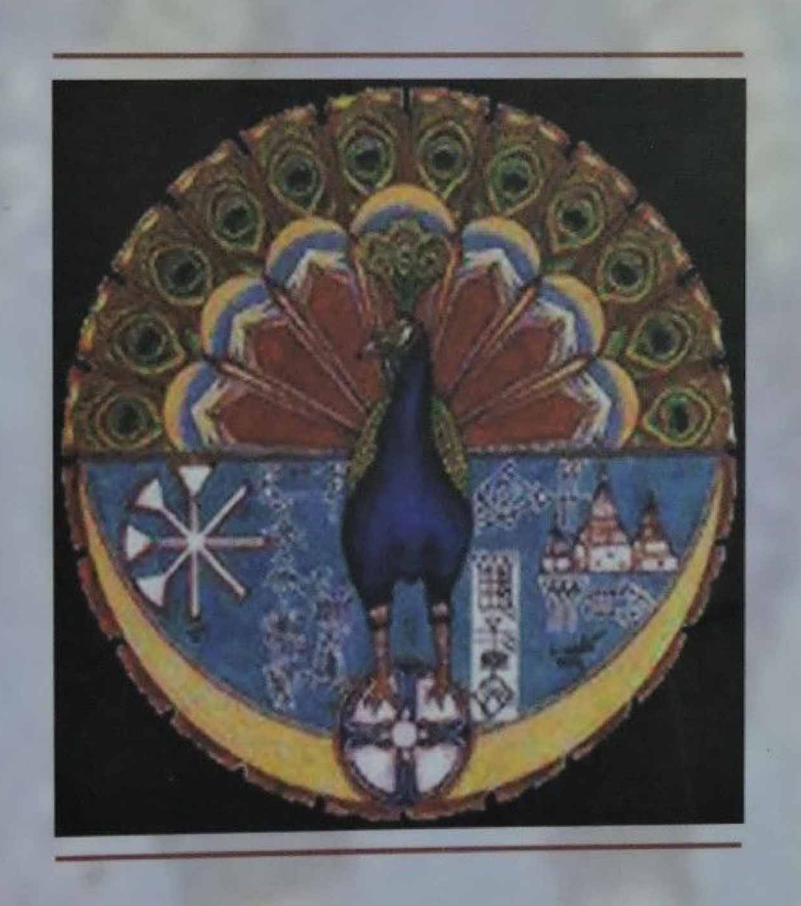
محمد الناصر صديقي

تاريخ اليزيدية

النشأة ❖ الفكر والمعتقدات ❖ العادات والطقوس





✿ تاريخ اليزيدية النشأة ـ الفكر والمعتقدات ـ العادات والطقوس

✿ محمد الناصر صديقي

✿ الطبعة الأولى 2008

✿ *الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع*

سورية ـ اللاذقية ـ ص.ب : 1018

هاتف وفاكس : 422339 41 963

البريد الإلكتروني : Soleman@scs-net.org

تم تنفيذ التنضيد والإخراج الضوئي في القسم الفني بدار الحوار

تصميم الغلاف: ناظم حمدان

محمد الناصر صديقي

تاريخ اليزيدية

النشأة - الفكر والمعتقدات - العادات والطقوس



المقدمة

اخترنا موضوعاً لبحثنا "اليزيدية في القرنين السادس والسابع للهجرة"، ولا يخفى ما يتسم به مثل هذا البحث من أهمية تاريخية وعقائدية موصولة بأبعاد اجتماعية وحضارية. وتتأكد هذه الأهمية إذا علمنا ندرة ما ألف عن اليزيدية من كتب وما توفر حولها من مراجع. وهذا المذهب عريق قديم. كانت له على امتداد الحقب التاريخية أتباع وأشياع استقروا خاصة في المناطق الشمالية من العراق (القسم الجنوبي من كردستان). ولكن الغريب أن ذكر اليزيدية كان شبه مغمور وأنهم كانوا يعرفون تحت اسم آخر: "العدوية". ولم تعرف اليزيدية كفرقة ذات كيان متميز ضمن الفرق والنحل إلا حين أماط المستشرقون اللثام عنها وكشفوا وجودها ومن أمكن لهم الاطلاع على الواقع الديني في منطقة شمال العراق كالمبشرين والرحالة الأجانب. وأبرز فضل "لمكتشفي" اليزيدية هؤلاء أنهم مكنونا من التعرف على ما كان خارجا عن المألوف ضمن عقائد اليزيدية وسلوكاتهم.

ولا غنى لمن يروم البحث في هذا الموضوع عن الاعتماد على ما خلفه هؤلاء من كتب ومراجع. إذ يمكن أن نقول دون مغالاة إن مصادرنا الحقيقية عن اليزيدية تعود إلى عصرنا الحالي وذلك لاكتمال وسائل البحث واتصافها بالإلمام مما أتاح إلقاء الضوء على أتباع هذه العقيدة. ولا يمنعنا ما تقدم من أن نضيف أن الحديث عن اليزيدية كان له ضرب من الوجود لدى قدامى

المسلمين كالسمعاني في كتاب "الأنساب"[1]. أما الأدبيات الفقهية فقد أدانتها كابن تيمية في مجموعة الرسائل الكبرى "رسالة إلى الطائفة العدوية"[2]. أما أصحاب الفرق كالشهرستاني، فقد أورد حديثا عن يزيدية ذات صلة بالخوارج[3].

هكذا كانت للقدامى معرفة معينة باليزيدية إذ الشائع أنهم يشكلون "فرقة" تعتقد الإمامة والصلاح في "يزيد بن معاوية" ثم غالت فيه إلى درجة التأليه، وتختص بأنماط من السلوك والمعاش مخالفة المألوف. أما ما اشتهر عنهم في العصر الحديث ـ إضافة إلى ما ذكرناه آنفا ـ أنهم من عبدة الشيطان فهو اعتقاد له جذور ضاربة في القدم.

إن ما يعرف إلى حد الآن عن اليزيدية يساهم في تكريس صفة فيها وهي أنها فرقة غريبة وربما "بدعوية" (Hérétique) وهذا ما يجعل البحث فيها عسيرا. لذلك لاقينا صعوبات في محاولتنا تقديم إضافة حول هذه الفرقة. من ذلك أننا وجدنا مشقة في الحصول على المعلومات الموثوقة حول فرقة يحيط أتباعها بها الكثير من التكتم والغموض بسبب الاضطهادات المتوالية التي كانوا ضحية لها على امتداد التاريخ. ومما عسر مسعانا إلى توفير المعلومات الدقيقة تراكم المغالطات التي أشاعها جيران اليزيدية ـ من مسلمين ومسيحيين ـ عنها، وهي مغالطات تفسّر بالتعادي المذهبي والتنازع العقائدي.

---

[1] الذين ذكر تزهدهم في جبال حلوان بشمال العراق واعتقادهم في يزيد بن معاوية بأنه إمام وعلى حق. تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، دار الكتب العلمية ودار الجنان، بيروت/لبنان، 1988/1408، ج V، ص 693.

[2] فقد ذكر بدايات انحرافهم وابتعادهم عن منهج الشيخ عدي بن مسافر وبالتالي عن طريق أهل السنة والجماعة. ومغالاتهم في يزيد ومشايخهم كالشيخ عدي الأكبر والشيخ حسن شمس الدين الذي ابتدع في منهج الطريقة العدوية "الرسالة السابعة إلى الطائفة العدوية". تصحيح ابن الشيخ حسن الفيومي إبراهيم، المطبعة العامرة الشرقية، القاهرة/مصر، 1332، ج I، ص 262 – 317

[3] لم يذكر "يزيدية الخوارج" الشهرستاني فقط بل ذكرها قبله الأشعري في مقالات الإسلاميين، وعبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق. لكن الشهرستاني يعتبر أكثر تمحيص واستقلالية في أحكامه وإن كان أقرب إلى رأي الفقهاء في ذكر فرق ومذاهب المعارضة (الخوارج والشيعة). وقد بين بأن هذه اليزيدية نسبة إلى أحد الخوارج يدعى "يزيد بن أنيسة". الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت / لبنان، (د.ت)، ج I، ص 136.

وما يتوفر في المراجع الموجودة لا يكفي لتكوين فكرة مسلمة عن اليزيدية. مما دفعنا إلى خوض غمار السفر وزيارة بعض مناطق اليزيدية في بلاد الشام بغية الاطلاع الميداني على بعض الحقائق والاستفادة مما حوته بعض المكتبات من كتب تطرق الموضوع من قريب أو من بعيد.

واقتضانا هاجس تعميق البحث أن نربط الصلة ببعض الجامعات والمكتبات الأجنبية في أمريكا وألمانيا ودول الخليج مما خول لنا الاستفادة من كتابات قديمة حول اليزيدية.

لقد أقمنا بحثنا على قاعدة الاستقراء والتحليل اللذين أفضيا بنا إلى نتائج نروم من خلالها تشكيل صورة عن اليزيدية. فقد حددنا أهداف دراستنا هذه على النحو التالي:

التعرف على المذهب اليزيدي مما جعلنا نتطرق إلى دراسة الديانات القديمة في المنطقة حتى نستحضر السياق العام الذي أحاط بنشأة المذهب وتطوره.

النظر في بعض الافتراضات التي قدمناها وبحثنا فيها بمنهج شبيه بالحفريات Archéologie مثل أن تكون اليزيدية امتداد للفكر المهدوي الشيعي أو السفياني الأموي

إخضاع عادات اليزيدية وتقاليدهم إلى ما يشبه الدراسة الأنثروبولوجية التاريخية. مما استدعى أن نخوض في عمل وصفي يتناول العقائد والطقوس وأنماط المعاش التي كانت تشكل ما يمكن تسميته "عالم اليزيدية الروحي" (L'univers spirituel).

هذه مجموع الأهداف التي ضبطناها وطوعنا البحث حتى يكون تمشيا في سبيل تحقيقها.

دراسة نقدية للمصادر

1. تنوع المصادر

إن مما ييسر مهمة الباحث فيما يتصل بالفرق والمذاهب أنه يجد مصادر كثيرة ومتنوعة بعضها فقهية (تشريعية) وأخرى فتاوى دون أن ننسى كتب الأنساب والمناقب والكتب التاريخية بصفة عامة ولكن هذه المصادر الوفيرة لا تعني وجود مادة علمية كافية في موضوع البحث لأنها مبثوثة ومتفرقة وتنحصر في أحيان عديدة في بعض الإشارات الطفيفة لذلك اقتضانا البحث إعادة القراءة لأصناف هذه المصادر وغايتنا الإحاطة والإلمام بالنصوص والفقرات التي تطرق موضوعنا من هذه الزاوية أو تلك.

2. تقديم لأهم المصادر التي وقع الاعتماد عليها وكيف تطرقت لموضوع الفرق بشكل عام واليزيدية على وجه الخصوص

أ- كتب الفرق والملل

كتب خاضت في موضوع الفرق الإسلامية وغيرها وتطرقت إلى معتقداتها وأصولها وأئمتها (منظريها) وفيها أخبار عن بدع وأعمال هذه الفرق. وتبقى

دوماً رؤية المؤلف من زاويته الخاصة حيث أن أكثر من كتب حول الفرق - وهي معدودة ومهمشة - (شيعية، خارجية، يهودية، نصرانية، بوذية، وثنية...) كان من ممثلي المؤرخين الرسميين ويدورون ضمن فلك السلطة صاحبة المذهب السني من أمثال الأشعري في مقالاته[4] (تـ 330 هـ/942 م) وعبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق[5] (تـ 429 هـ /1037م) والشهرستاني في الملل والنحل[6] (479 ـ 548 هـ / 1086 ـ 1153م) وهذا ما يفسر نزوع هذه الكتب إلى الإقصاء والتهميش إزاء هذه الفرقة وقد تطرقت جل هذه المصادر إلى "يزيدية" تنسب إلى الخارجي "يزيد بن أنيسة" لا صلة لها باليزيدية الكردية فقد نادت بآراء مخالفة للأزارقة والإباضية وتبدو هذه الإشارة الوحيدة التي ذكرت في أغلب كتب الملل القديمة حول موضوع اليزيدية ولم تذكر لنا هذه المصادر مناطق انتشارها ولا أبرز دعاتها علما أن هذه الفرقة تعتبر من المذاهب المندثرة والتي انصهر أتباعها في المذاهب الإسلامية الكبرى (سنة، شيعة وإباضية).

ب- الفتاوى الفقهية

وهي الصادرة عن فقهاء (علماء الظاهر) والتي من خلالها يمكننا الاطلاع على بعض الظواهر الاجتماعية خلال القرنين السادس والسابع هجري وأبرز هذه الفتاوى:

---

[4] الأشعري (الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل). مقالات الإسلاميين. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الحداثة. بيروت / لبنان. 1405 / 1985.

[5] البغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني). الفرق بين الفرق. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيد ـ بيروت / لبنان. 1995/1416.

[6] الشهرستاني (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد). الملل والنحل. تحقيق محمد السيد الكيلاني. دار المعرفة. بيروت / لبنان. (د.ت). ج 1.

• الإمام أبو حامد محمد بن يونس الشافعي الموصلي (ت 608 هـ / 1218 م)[7]: وقد عرض فتواه بناء على ملاحظات كتبت له عن تجاوزات وبدع ظهرت على العدويين بشكل يستدعي الانتباه والتيقظ. وهذه الفتوى خاصة ببدع لوحظت عند مشايخ العدوية الخاصة بـ "النقط والشكل وأسماء السور والتعاشير ورؤوس الآيات" بأنها مقدسة قدسية الذكر وأنها جزء من القرآن. فأنزل الشيخ يونس لعناته على كل من يقول بتلك "البدع" على حد قوله أنهم كفار وحكمهم حكم الزاني بل وإن تاب لا تقبل توبته. ولم يشر الشيخ يونس بشكل واضح وصريح إلى العدوية وإنما من خلال سياق النص والترجمة وإعادة القراءة والمثابرة وصلنا إلى ذلك.

• ابن تيمية في مجموعة الرسائل الكبرى[8] (الرسالة السابعة إلى الطائفة العدوية) (661 ـ 728 هـ / 1263 ـ 1328م): لم يمنع صدام ابن تيمية مع الصوفية من أن يبعث برسالة إلى القائمين بشؤون الزاوية العدوية مذكرًا إياهم بتعاليم الإسلام وبنهج أهل السنة والجماعة وبسيرة مشايخهم وعلى رأسهم الشيخ عدي الأكبر باعتباره "رجلا صالحا" ألهم جماعته وبدورهم المتميز في خدمة الإسلام إبان فترة الحروب الصليبية وانتقد ابن تيمية متأخري العدوية الذين عاصرهم غلوهم في مشايخهم كالشيخ عدي وبدايات الاعتقاد في يزيد بن معاوية ودور الشيخ حسن شمس الدين في هذا الغلو وكل هذا يعد انحرافا عن المنهج الأول النقي إلا أنه لم يبين لنا نوعية التبدلات ولا طبيعة المعتقدات المحدثة عندهم ولم يعطنا أي جديد عنهم.

• ابن جميل (أبو فراس عبيد الله بن شبل بن أبي فراس): أصيل منطقة الفرات (عاش في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر للميلاد). فقد كتب رسالة بعنوان "رد على الرافضة واليزيدية المخالفين للملة الإسلامية

---

[7] وجدنا نص الفتوى والجواب عليها ضمن ترجمة الشيخ حسن شمس الدين التي أوردها ابن المستوفي. تاريخ اربل. تحقيق وتعليق سامي بن السيد خماس الصفار. دار الرشيد. منشورات وزارة الثقافة والإعلام بغداد / العراق. 1980. ق ا. ص 119 ـ 121.

[8] ابن تيمية (تقي الدين أبي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي). مجموعة الرسائل الكبرى. تصحيح ابن الشيخ حسن الفيومي ابراهيم. المطبعة العامرة الشرفية. القاهرة / مصر. 1323هـ. ج ا.

المحمدية"[9] وتعتبر الفتوى الوحيدة التي قرن فيها اسمي اليزيدية والعدوية. وفي هذا الكتاب يبين الشيخ ابن جميل معتقدهم، وبين أنهم والشيعة على طرفي نقيض، ويتحامل المؤلف عليهم من جراء الشكل والنقط أنه من القرآن، ومن جهة التشبيه والتجسيم، ويشرح أنهم يرون أن لا يصلوا خلف الجمهور صلاة الجمعة ولم يبين لنا عودتهم لمعتقدات الأسلاف . وتحامل المفتي عليهم لأنهم على خلاف مذهبه فهو من السنة.

ج- كتب التصوف والمناقب

أما كتب التصوف والمناقب وخاصة التي كتبت ما بعد القرن السابع هجري فقد وجدنا فيها ما نحتاج إليه في معرفة أطوار حياة الشيخ عدي الأكبر وعلاقته بالشيخ عبد القادر الجيلاني وأهم أقواله والكرامات المنسوبة إليه.

- الشطنوفي (نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن جرير بن معضاد بن فضل اللخمي) (تـ 713 هـ / 1313 م)[10]: بالرغم من وجود إشارات مبثوثة ومتفرقة عن العدوية وكرامات الشيخ عدي ورجالات التصوف إلا أن الأسطورة التي تتجاوز المعقول جعلت من الصعب الأخذ بكل ما رواه ومع ذلك قد تساعدنا هذه الخرافات في معرفة العقليات وطرق التفكير.
- التادفي (محمد بن يحي الحنبلي) (تـ 963 هـ/1556 م)[11]: نجد في كتابه وصفا لأبرز مناقب المتصوفة الذين صاحبوا الشيخ عبد القادر الجيلاني ومن بينهم شيخ اليزيدية وإمامها عدي بن مسافر، كما نجد مقالات تنسب للشيخ عدي إلا أن الطابع الخرافي الأسطوري غلب عليها، مما استوجب منا

---

(9) منها نسخة بخط المؤلف فرغ من تأليفها في 17 رجب 725 هـ/1325 م، في خزانة كتب كوبريلي محمد باشا باستانبول تحت رقم 1617. راجع العزاوي (عباس)، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، مطبعة بغداد، شارع المأمون، 1935/1354. ص 81 ـ 84.

(10) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، طبعة البابي الحلبي، القاهرة/مصر، 1330 هـ.

(11) قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، القاهرة / مصر، 1356 هـ.

التحفظ من عديد الروايات ورغم ذلك كان بعضها ـ إذا أحسن تناوله ـ مساعدا في معرفة أكثر باليزيدية.

• الشعراني (أبو المواهب عبد الوهاب الأنصاري)[12] (ت 973 هـ/1565 م): ذكر في كتابه مناقب الشيخ عدي وأبرز كراماته وأقواله وفي الكتاب فقرات متفرقة في تراجم أصحابه لكنه لا يتعدى نقل هذه الجوانب المتصلة بعلي وخوارقه.

د- مؤلفات الإخباريين والمؤرخين

بالرغم من كثرتها لكنها تبقى بالنسبة لموضوعنا لا تفي بالحاجة لأنها لا تحتوي إلا على معلومات متفرقة يواجه الباحث في جمعها صعوبات إذ لم تتطرق إلى موضوع اليزيدية بشكل مباشر وإنما أخبرتنا بجوانب من حياة مؤسس هذه النحلة "عدي بن مسافر" وبعض أعماله وسيرته كداعية صوفي وبعض الجوانب عن أفراد أسرته.

الفارقي (أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق)[13]: ولد بمدينة "ميافارقين" وعاش في الفترة الممتدة بين 510 إلى 590 هـ / 1117 ـ 1194م رحل خلالها إلى مدن الجزيرة والعراق وبلاد الشام وبلاد العجم ويعتبر تاريخه لمدينة "ميافارقين" مصدرا من المصادر التي اعتمدها ياقوت الحموي وابن شداد في "الأعلاق الخطيرة" وقد ذكر لنا في تاريخه جماعات من أصول عربية لها صلة بيزيد بن معاوية وهذه المعلومات المتحصل عليها من هذا المصدر هي في حاجة إلى مزيد التوثيق حتى يكون من الممكن أن تساعدنا في الوصول إلى حقائق تاريخية غير التي بين أيدينا حول أصل اليزيدية، ومع

---

(12) الطبقات الكبرى، المسماة بـ"لواقح الأنوار في طبقات الأخيار". دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق/سوريا. (د.ت)، ج 1.

(13) تاريخ الفارقي. حققه د. بدوي عبد اللطيف عوض. دار الكتاب اللبناني. بيروت / لبنان، 1974.

ذلك تبقى بعض الإشارات التي ذكرها الفارقي يلفها بعض الغموض لعدة أسباب منها:

– أن مجال اليزيدية / العدوية غير مجال هؤلاء.

– وكذلك أن تلك النحلة أغلبهم من الأكراد بينما لسان الجماعة التي التقى بها الفارقي عربي.

– لم يذكر الفارقي لنا قياداتهم.

• ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني)[14] (تـ 630 هـ / 1232 م): ذكر في كتابه تاريخ وفاة الشيخ عدي ونبذة عن موطن ولادته وانتقاله إلى الموصل ولم يضف لنا أي شيء عن صلته بالأمويين أو طريقته.

• ابن المستوفي (شرف الدين بن أبي البركات المبارك بن أحمد اللخمي الإربلي)[15] (تـ 637 هـ/1239 م): يعتبر مؤلفه من المصادر القيمة التي تحصلنا من خلالها على مادة تاريخية ساعدتنا في بحثنا على الإلمام ببعض الجوانب الاجتماعية و"البدعوية" وكذلك المناقبية في سيرة أقطاب الزاوية العدوية ومكّننا من معرفة بعض الجوانب السياسية لمناطق العراق الشمالية آنذاك علما أن المؤلف من المعجبين بالشيخ عدي الأكبر ولعل هذا الإعجاب كان له أثر في محتوى هذا الكتاب.

ونجد مع كل هذه المادة الغزيرة المفيدة تعاطفاً واضحاً من قبل المؤلف مع الشيخ عدي مع العلم أنه لم يبين لنا أسباب رفض صاحب إربل إقامة الشيخ حسن شمس الدين بمدينته.

---

(14) الكامل في التاريخ. دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر. بيروت / لبنان. 1966/1386. ج XI.

(15) تاريخ اربل. (ذكرناه سابقاً في فتوى الشيخ أبي حامد محمد بن يونس).

• أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين بن إسماعيل)[16] (تـ 732 هـ / 1332 م): اكتفى بنقل ما ذكره ابن الأثير ولم يضف أي جديد عن الشيخ عدي أو اليزيدية.

• ابن الوردي (زين الدين عمر بن مظفر)[17] (تـ 749 هـ / 1348 م): نقل هذا المؤرخ أغلب مادته التاريخية من كتاب بهجة الأسرار للشطنوفي فقد ذكر لنا خوارق الشيخ عدي وعلاقاته بأرباب التصوف. وكذلك علاقة السلطة في بغداد بظاهرة التصوف من أصحاب الزوايا والأربطة وبين لنا نسب الشيخ عدي واصله الأموي الراجع إلى الخليفة مروان بن الحكم. لكنه لم يكن دقيقا في تحديد تاريخ وفاته ولا في مكان ولادته ببلاد الشام. ولذلك تبقى هذه المادة منقوصة ومحاطة بهالة من الأساطير.

• اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي)[18] (تـ 768 هـ / 1367 م): بين لنا أصل مؤسس الطريقة العدوية وأصحابه وكراماته وانقطاعه إلى جبال الموصل أين أسس زاويته وتحدث عن ميل الأكراد إليه. ولم يخل كتاب اليافعي كأغلب كتب مؤرخي عصره من التأثر بذكر الخوارق والكرامات التي تعتبر في جانب منها غير معقولة.

• ابن كثير (الحافظ عماد الدين الدمشقي)[19] (تـ 774 هـ / 1372 م): ذكر في كتابه تفاصيل مفيدة عن حياة الشيخ عدي ونسبه الأموي وبين لنا أيضا في طلب العلم وانقطاعه بجبل الهكارية أين أسس زاويته كما ذكر غلو الناس فيه إلى درجة التأليه والإشراك في الربوبية.

وبالرغم من عديد الفوائد المستقاة من هذا المؤلف إلا أنه اكتفى بسرد بعض الأحداث المعينة فلم يكن دقيقا في تحديد تاريخ وفاة مؤسس هذه الجماعة مثلاً.

---

(16) المختصر في أخبار البشر. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت/لبنان. (د.ت). ج III.

(17) تاريخ ابن الوردي. دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان. 1996/1417. ج II.

(18) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. منشورات الأعلمي للمطبوعات. بيروت / لبنان. 1970/1390. ج III.

(19) البداية والنهاية في التاريخ. مكتبة المعارف بيروت ومكتبة النصر الرياض. 1966. ج XII.

• البدليسي (الأمير شرف خان بن الأمير شمس البدليسي الروزكي)[20]:

وهو ذو أصل كردي تولى أهله حكم بعض المقاطعات الكردية ولد بـ"كرهرود" من أعمال "قم" في العراق العجمي (بلاد الجبل) في 20 ذي القعدة 949 هـ / 1543 م ويعود إلى أسرة يرتقي نسبها إلى القاضي "شريح بن هاني" الكوفي وكان قاضيا بالكوفة في عهد الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب.

وعين البدليسي من قبل مراد خان III على إمارة بدليس في سنة 986 هـ/1575 م وتنازل عنها لابنه أبي المعالي شمس الدين في عهد السلطان محمد خان III سنة 1005 هـ / 1596 م. وأما كتابه "الشرفنامة" فقد فرغ من تأليفه وهو مولى على إمارة "بدليس" في سنة 1005 هـ / 1596 م أي قبيل تنازله عن الإمارة لابنه ويعتبر هذا الكتاب من المصادر المتأخرة عن تاريخ الأكراد وإماراتهم وعن أصول الشعب الكردي لأنه اقتبس عن المصادر الفارسية وكتب التاريخ الإسلامي مما ساعده على تأليف كتابه فقد أورد لنا تقسيمات مناطق الأكراد أو مواطنهم التاريخية (كردستان) وعن ميزات الشعب الكردي وشجاعته كما بين تقسيمات الأكراد القبلية والعشائرية ومذاهبهم الدينية وتاريخ الانتشار الإسلامي في مناطقهم وفي ما يتعلق بموضوع بحثنا فقد وجدنا مادة تاريخية هامة ـ وإن كانت لا تفي بالغرض ـ حيث ذكر أصول النحلة اليزيدية وربطها تاريخياً بالمؤسس الأول الشيخ عدي، وبين درجات غلو أتباعه فيه ومعاداتهم للفقهاء (علماء الظاهر) الذين حرضوا عليهم الحكام لردعهم. وبالرغم من قيمة المادة التاريخية التي أوردها البدليسي وذكره لبعض بدع اليزيدية. إلا أنه لم يذكر تاريخ ابتعادهم عن المنهج الأساسي للشيخ عدي أو تاريخ إطلاق التسمية عليهم (اليزيدية)، وكيف دخلتهم هذه الهرطقات على حد قول الفقهاء.

---

[20] الشرفنامة في تاريخ الدول والإمارات الكردية. نقله إلى العربية من النص الفارسي مولا جميل بندي روزبياني. (طبع على نفقة عبد العزيز الدباس). مطبعة النجاح. بغداد / العراق. 1953/1372.

٥- كتب الوفيات

وهي غزيرة ومتنوعة أغلبها مقتبس. ومع ذلك تبقى لها فائدة في إطلاعنا على بعض الأخبار من سير وأعمال مشايخ العدوية / اليزيدية. بيد أنها لم تكن شاملة لبعض الجوانب التي نحتاجها في عملنا. وتبقى دوما ميولات الكاتب الشخصية هي البارزة ويبقى الانتماء المذهبي هو الذي يحدد موقف أصحاب المدونات.

• ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) (608 ـ 681 هـ / 1212 ـ 1282م)[21]: نجد في كتابه وفيات الأعيان مقتطفات عن سيرة ومناقب الشيخ عدي، وفيه كذلك ذكر صريح "للطائفة العدوية" ولنسب الشيخ عدي الراجع لأصول أموية مروانية. واقتداء خلفائه بمنهجه السني ولم يشر إلى أية بدعة أو هرطقات حدثت بعد وفاته.

وعلى كل يبقى تأثر ابن خلكان بابن المستوفي هو القائم حيث أشار في مؤلفه بشكل واضح إلى نقله عنه، وبالتالي فإن عديد المعلومات تؤخذ بشيء من التحفظ للانتماء المذهبي لأصحاب هذه الروايات التاريخية.

• ابن شاكر الكتبي (محمد)[22] (تـ 764 هـ / 1361 م): يعد لدينا مصدراً مهما في الحصول على ترجمة الشيخ حسن شمس الدين وسيرته وأبرز مؤلفاته ومغالاة الأكراد العدوية في شخصه. فتحدث ابن شاكر الكتبي عن قيمة الشيخ حسن العلمية والفرق بينه وبين الشيخ عدي الأكبر، أردفه بأبيات شعرية فيها شيء من الاتحاد والحلول وهو ما ساعدنا على معرفة جانب من عقائد اليزيدية وشطحات الشيخ حسن المبتدع، وجانباً سياسياً تعلق بطبيعة علاقتهم بحاكم الموصل الأرمني وكيفية قتله للشيخ حسن.

---

(21) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر للطباعة والنشر. بيروت / لبنان، (د.ت). ج III.

(22) فوات الوفيات والذيل عليها. تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر. بيروت / لبنان، (د.ت)، ج I.

و- كتب الأنساب

ولكتب الأنساب أهمية بالغة في هذا العمل. حيث ساهمت بشكل واضح في معرفة أصول الأسماء والكنى والألقاب ومشتقاتها ومكنتنا من معرفة الأصل "الهكاري / اليزيدي". ومن أهم هذه النوعية من المصادر المعتمد عليها في بحثنا نذكر:

- السمعاني (الإمام أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي)[23] (تـ 562 هـ / 1166 م): وكتابه من أقدم المصادر التي تعرضت إلى اسم "يزيدية" في جبال حلوان ممن يرون "الإمامة والصلاح" في يزيد بن معاوية. وذكر جانبا من طقوسهم الصوفية وأبرز إسلامهم وخروج بعض العادات عن المألوف لدى الجمهور الإسلامي. ورغم أهمية معلومات السمعاني إلا أنها لم تذكر أي صلة لليزيدية في حلوان - وهي من المناطق الكردية - بالشيخ عدي بن مسافر مع العلم أن السمعاني كان من معاصري الشيخ عدي (وفاة الشيخ عدي كانت 557 هـ / 1162 م) ولم يتحدث عن مصدر عقائد هذه الطائفة اليزيدية.
- ابن الأثير[24] (تـ 630 هـ / 1233 م): اكتفى بقسم مما أورده السمعاني عن اليزيدية، وإن ذكر في كتابه "الكامل" ترجمة حددت تاريخ وفاة الشيخ عدي إلا أنه لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى أية صلة أو علاقة للشيخ عدي بالجماعة المتزهدة في جبال حلوان.

ز- كتب الرحلات (أدب الرحلات)

وهي من الكتب ذات القيمة التاريخية والجغرافية ومن أثمن المصادر التي تصف لنا المناطق والممالك. وقد اهتم أصحابها بتسجيل النواحي الاجتماعية والعادات والتقاليد التي لا غنى للباحث أو الدارس عنها.

---

(23) الأنساب. تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي. دار الكتب العلمية ودار الجنان. بيروت / لبنان. 1408/1988. ج V.

(24) اللباب في تهذيب الأنساب. نشر مكتبة القدسي. القاهرة / مصر. 1369 هـ.

• ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي)[25] (704 ـ 779هـ / 1304 ـ 1377 م): يعتبر مصدراً ذا أهمية. خاصة لتسجيله بعض النواحي الاجتماعية لمناطق الأكراد في شمال العراق وعاداتهم بين لنا كذلك إشارة لوجود طائفة تقول إنها من نسل يزيد بن معاوية ويعيشون في مناطق الأناضول بجوار التركمان وهم من قطاع الطرق وهذا العمل هو نفسه عمل قسم هام من القبائل الكردية إن لم نقل الأكراد العدوية ولكن ابن بطوطة لم يشر إلى مذهبهم الديني أو مرجعيتهم بقدر ما اهتم بنسب هؤلاء وأماكن نشاطهم.

3. كيف تناولت المراجع العربية والأجنبية هذا الموضوع (اليزيدية)

إذا أردنا التمعن فيما كتب من مراجع عربية حول نشأة وأصل اليزيدية وجدنا إشارات طفيفة متفرقة في محاضر السلطة العثمانية آنذاك أو في فتاوى تكفرهم وتتهمهم بالمروق. أما الدراسات التي نعتبرها جادة فهي تلك التي تناولتها بعض المجلات كالمشرق المسيحية[26] حيث ذكرت بعض الآراء ذات القيمة العلمية والتاريخية وتستحق النظر والاهتمام. لكن أخطأ الأب انستاس الكرملي عندما اتهمهم بالمروق والانحراف. إذ أن كل ما يشاع عن الأقليات مرجعها الأساسي شائعات الأغلبية الرافضة لهم بالأساس. ومع ذلك يبقى عمله ذا قيمة لما بذله من جهود في معرفة هذه النحلة. فقد تنبه إلى أدق خصوصياتها وأشار إلى ذلك وأصبح عمله مرجعا لنا خاصة في مجلته "لغة العرب"[27]. وكذلك نجد عنهم مقالات في "المقتطف" التي صدرت تباعاً إما مترجمة عن أصول أنقليزية أو كتبها باحثون وكتاب عرب ومع ذلك تبقى تدور ضمن فلك واحد وهو أنها نحلة مخالفة للمألوف ومتهمة بعبادة الشيطان ولكن يبقى لعمل

---

[25] رحلة ابن بطوطة. المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". دار صادر. بيروت / لبنان. (د.ت). ج 1.

[26] الصادرة في بيروت عن كلية القديس يوسف.

[27] الصادرة عن الآباء الكرمليين ببغداد.

الباحث أحمد تيمور باشا[28] ذي الأصل الكردي (1288 ـ 1348 هـ / 1871 ـ 1929 م) قيمته فقد أفادنا بمقالاته المتنوعة في مجلة المقتطف أو في دراسته ذات القيمة التاريخية حيث أشار فيها إلى أصل هذه النحلة الإسلامي وقام بحفر تاريخي في أصل وأنساب العائلة العدوية وبالرغم من بعض النقائص التي لا يخلو منها أي عمل يظل إسهامه مفيداً في مجال بحثنا.

أما الدكتور قسطنطين زريق[29] فقد انطلق من أقوال وآراء الأمير اليزيدي صاحب الكتاب لمعرفة خصوصيات هذه النحلة وظروف نشأتها واعتمدها بشكل أساسي وجعلها غير قابلة للشك أو الطعن.

كما نجد كتب كل من المحامي عباس العزاوي[30] وصديق الدملوجي[31] والسيد عبد الرزاق الحسني[32] فالبرغم من انتهاجها لمنهج مخالف للدراسات القديمة وخاصة تلك التي كتبها الأستاذ الأب انستاس ماري الكرملي والدكتور قسطنطين زريق. إلا أنها لم تأت بالجديد حول اليزيدية ومنشأ نحلتهم وكذلك غلبت الآراء الفقهية المتهمة لهم بالمروق والكفر ولكن هذا لا ينفي أهمية الدراسة الميدانية التي قام بها كل من الدملوجي والحسني لمناطق اليزيدية والخوض في غمار بحث انتروبولوجي في عاداتهم وطقوسهم الدينية والاجتماعية.

أما الرحالة والمستكشفون الأجانب وكبار الباحثين في مواضيع الملل والفرق فنجد عندهم آراء مسبقة (جاهزة) فأغلب دراساتهم التي تعرضنا إليها تتحدث عن "عبدة الشيطان" وعن شعوب بقايا لأديان قديمة ولا صلة لهم بمحيطهم الإسلامي ولا حتى المسيحي. فمن الرحالة والمستكشفين الأجانب

---

(28) اليزيدية ومنشأ نحلتهم. المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة / مصر، 1352هـ.

(29) قام بنشر كتاب اليزيدية قديماً وحديثاً. ووضع مقدمته للأمير اليزيدي إسماعيل بيك جول. منشورات الجامعة الأميريكية. بيروت / لبنان. 1934.

(30) المرجع الذي سبق ذكره.

(31) اليزيدية. مطبعة الاتحاد. الموصل. 1949.

(32) اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، المطبعة العصرية للطباعة والنشر. صيدا / لبنان، 1968.

تجد نيبور كرستن (تـ 1815)[33] حيث بين الأصول العائدة إلى الشيخ عدي (عادي) وبعض صفات وعادات اليزيدية وموقف الأجوار منهم.

أما الدراسات التي طبعت في أوائل هذا القرن فأهمها كتاب الدكتور رودلف فرانك (Dr. Rudolf Frank)[34] الذي اعتمد على مخطوطات لآثار الشيخ عدي وبين الأصول الإسلامية لهذه النحلة وأنها هرطقة صوفية.

والإيطالي ميكائيل أنجلو غودي (Guidi Michel Angelo)[35] أصدر جملة من المقالات في أوائل الثلاثينات حول المباحث الجديدة عن أصول اليزيدية ورغم تأثره بمنهج Dr. Frank إلا أنه أفادنا بما حول جذور اليزيدية في محيطها الإسلامي.

والباحث الفرنسي روجيه لسكوت (Lescot Roger)[36] الذي قدم عمله عن يزيدية سورية في "جبل سمعان" و"عفرين" وكذلك يزيدية "جبل سنجار" بالعراق وبين في عمله مدى اتصالهم بجذور صوفية تعود للشيخ عدي بن مسافر ولكنه أوضح تباين العادات والطقوس بين اليزيدية في الفترة الوسيطة واليزيدية الحالية وأكد التأثيرات الصوفية في الطريقة العدوية وكذلك الآثار الزرادشتية والفارسية القديمة في عادات هؤلاء الأكراد. علما أن الباحث Lescot اقتبس كثيراً من عمل Dr. Frank.

ويبقى العمل الجدير بالمتابعة نظرا لحداثته هو عمل الباحث الأمريكي جون غاست (Guest John S.)[37] الذي استفاد من أعمال قديمة ووثائق

---

(33) رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر. ترجمه عن الألمانية د. محمود حسين الأمين ومراجعة سالم الألوسي، وزارة الثقافة والإرشاد. بغداد / العراق. 1965.

(34) Scheich Adi der große heilige der Jezidis, Berlin, 1911.

(35) أصدرت مجموعة من المقالات بالإيطالية في روما بمجلة Rivisita degli Studi Orientali (R.S.O).

(36) Enquête sur les Yezidis du Syrie et du Djebel Sindjar, Mémoires de l'Institut Français de Damas, Tome V, Beyrouth, 1938.

(37) The Yezidis (a study in survival), KPI, London & New York, 1987 ; Survival among the Kurds(a history of the Yezidis), KPI, London & New York, 1993.

الأجهزة الأمنية والديبلوماسية وتقارير البعثات الاستكشافية وأعمال المبشرين والرحالة... كما كان للعمل الميداني نصيبه فقد زار مناطقهم بلالش وأجرى حوارات مع قياداتهم الميدانية والروحية ولكن تبقى النقائص دوما كما بيَن هذا الباحث ظروف ابتعاد اليزيدية عن أصلها العدوي وفسحها المجال لليزيدية (المهرطقة).

المدخل: الإطار الجغرافي والتاريخي

1. المجال الجغرافي لليزيدية

تنتمي "اليزيدية" إلى عالم المشرق الإسلامي (الشرق الأدنى)، وتنتشر - بشكل تقريبي - في منطقة "الهلال الخصيب" (العراق وبلاد الشام)[1]. وليست هذه المنطقة نطاقاً متجانساً بل هي تمثل مجموعة من الواحات الشريطية، وتعتبر مناطق العراق الشمالية عصب التجارة العالمية في القرون الوسطى[2] ومجالا للحروب الفارسية البيزنطية[3]. فكانت تلك الأراضي معبرا لطرق التجار والحجاج ومرتعا للمبشرين والنساك[4]. وكانت كذلك معبراً للقوافل التجارية الرابطة بين الشرق والغرب بواسطة الموانئ المتوسطية أو بواسطة الخليج الفارسي / العربي، وهذه القوافل التجارية المارة بطريق الحرير كانت تتخذ لها ثلاثة مسارات معروفة في التاريخ:

---

(1) لومبارد (موريس)، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي. ترجمة د. عبد الرحمان حميدة. دار الفكر. دمشق. (د. ت)، ص 39.

(2) ابن حوقل. صورة الأرض. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت/لبنان. (د.ت). ص 191. 202 ـ 203؛ التونجي (محمد)، اليزيديون (واقعهم، تاريخهم، معتقداتهم). الناشر الدار السلفية. الكويت. 1409/1988، ص 9؛ GUEST (John S.), Survival Among The Kurds, P1.

(3) آخر تلك المعارك معركة نصيبين قرب نينوى في عمق المجال الفارسي. وقعت هذه المعركة في حوالي 5 هـ / 627 م. الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داوود). الأخبار الطوال. تحقيق عبد المنعم عامر ومراجعة د. جمال الدين الشيال. نقلا عن الطبعة الفارسية. منشورات وزارة الثقافة المصرية، القاهرة، 1960، ص 106.

(4) الصائغ (القس سليمان الموصلي)، تاريخ الموصل. المطبعة السلفية. مصر. 1342/1923. ج ا، ص 25.

- المسار الأول: ويدعى طريق الصحراء الكبرى. وهو أكثرها شهرة واختصاراً ويتبع سلسلة من منابع المياه جنوب نهر الفرات إلى البصرة[5]. لكنه كان دائما محفوفا بالمخاطر بسبب الحروب القبلية (آنذاك) أو غزو القبائل التركمانية لمناطق الجوار (كردية، فارسية، أرمينية، بيزنطية).

- المسار الثاني: ويدعى طريق الصحراء الصغرى. وكان يتبع نهر الفرات حتى منطقة بغداد شاقا طريقه في المراحل الأخيرة براً[6].

- المسار الثالث: وهو الذي يمتد من مدينة حلب (وهي من أهم المدن التجارية في القرنين 6 و7 هـ وحتى في الفترات الموالية). إلى نواحي وادي دجلة، ومن الموصل كان المسافرون يعبرون بـ"الطوافات" تدعمها "قرب الماعز" المنفوخة للوصول إلى بغداد بسرعة أكبر، ويعبر البعض إلى بغداد عبر الطريق الملكي « The Royal Road » عن طريق إربل وكركوك[7].

وكان التجار والملوك ينظمون القوافل في أوقات وأزمنة معلومة عدا فصل الحرارة (الصيف). وتقطع هذه القوافل التجارية 400 ميلاً بين حلب والموصل بحدود أربعين يوماً. وتسير القوافل مع ريف حلب قرابة خمسين ميلاً لتصل إلى منحنى نهر الفرات، فتعبره عند "جرابلس" أو "مسكنة". ثم تتابع مسيرتها على طول سفوح الأناضول إلى "أورفة"، ومن أورفة تختار أحد الطريقين. فقوافل الجمال تتابع طريقها عبر حوض نهر "الخابور" لتحط في أسفل "ماردين"[8]. وأما قوافل الخيل وغيرها، فكانت تتبع طريقاً تجارياً قديما شمال شرقي أورفة حتى "ديار بكر"[9] - وعلى امتداد هذه الطريق يمر نهر دجلة - ثم تتجه شرقاً نحو بحيرة "وان / Van"، ومن هناك تأخذ طريقها شرقا إلى بلاد إيران وتركستان. أما النهر فيتابع مسيرته حتى يصل إلى جزيرة "ابن عمر".

---

(5) ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله). المسالك والممالك. نشر وتحقيق DEGOEJE (M. J). بريل (Brill). 1889، ص 99.

(6) ابن خرداذبة. المصدر السابق. ص 93.

(7) ابن خرداذبة. المصدر السابق. ص 98 ؛ لومبارد (موريس). المرجع السابق. ص 44 – 46 ؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 9 . GUEST (John S), op. cit., P 1.

(8) ابن خرداذبة. المصدر السابق. ص 96 . GUEST (John S.), op. cit., P 1.

(9) ابن خرداذبة. المصدر السابق. ص 97.

وفي أيام الصحو كان بإمكان المسافر أن يطل من "ماردين" على سلسلة هضاب تمتد عبر الأفق نحو الجنوب، ويلوح في الأفق جبل سنجار الذي يبلغ طوله ستين ميلاً وارتفاعه 4914 قدماً، ويبدو في قلب الصحراء كهضبة منعزلة تتغطى شتاء بالثلوج، و"جبل سنجار"[10] منحدر - من الناحية الشمالية - وهو أشبه بجرف عمودي مزقته الوديان الصغيرة، وهو غني بغابات متنوعة. أما في الجانب الجنوبي فتمر الجداول الجبلية عبر السهل مروراً "ببلدة سنجار" - وهي قصبة المنطقة ومركزه[11] - متابعة طريقها إلى الأراضي المنخفضة نحو نهر الثرثار (من روافد دجلة). وتقع الموصل على بعد ثمانين ميلا شرقي سنجار على ضفة دجلة، وتقبع آثار "نينوى"[12] عبر النهر وسفوح هضاب وجبال "كردستان" وجبل "الجودي" أعلى هذه القمم[13] الذي يمكن مشاهدته أحيانا من الموصل ويبلغ ارتفاعه 6584 قدماً على سطح البحر. وتحت الموصل تنطلق ثلاثة روافد غزيرة من جبال زاغروس وهي: الزاب الأكبر ويندفع نحو أسفل جبال الهكاري، والزاب الأصغر ينبع من شرقي "راوندوز" وجنوبيها، ووادي "ديالة" الواسع الذي تمر فيه الطريق التجارية من بغداد إلى همدان وكرمنشاه وبقية أسواق الشرق.

ولهذا يمكننا القول أن اليزيديين لم يكونوا منحصرين في بقاع ضيقة[14] (كما هو الحال الآن). والظاهر حسب حركات انتشار القبائل الكردية اليزيدية[15] - مع عدم الجزم بذلك - أن كل المناطق التي يستوطنها الأكراد

---

(10) يقولون إن سفينة "نوح" لما مرت به نطحته، فقال نوح: "هذا سن جبل جار علينا" فسميت سنجار. الحموي (ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، بيروت/لبنان، 1957/1376، ج III، ص 262.

(11) مدينة مشهورة بنواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، وهي في لحف جبل عاري. الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج III، ص 262.

(12) LAYARD (Henry), Nineveh and its remains, New York, 1853, Vol. I, P 265 -266.

(13) بقرب الجزيرة (الفراتية)، وهو بالمناطق الثغرية، ابن حوقل، المصدر السابق، ص 206؛ الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج III، ص 262.

(14) تقرير لجنة الحدود، مطبعة الحكومة العراقية ببغداد، 1925، ص 59؛ العزاوي (عباس)، المرجع السابق، ص 90.

(15) انظر الخريطة رقم II، (مناطق القبائل اليزيدة ما بين القرنين 15 – 16 م).

تعتبر من مواطن اليزيدية التاريخية، ولكن حسب ما يكتبه الأكراد عن وطنهم التاريخي "كردستان"[16] (بلاد الأكراد) أنه يبدأ من حدود شواطئ بحر الهرمز[17] الملاحق للمحيط الهندي، ممتداً بخط مستقيم ولايتي ملاطية[18] (ملطية) ومرعش[19]، وفي الجانب الشمالي من هذا الخط توجد ولاية فارس وعراق العجم[20] وأذربيجان[21] والأرمينيتان الصغرى والكبرى[22] ويحدها جنوباً العراق العربي[23] والموصل[24] وديار بكر. هذا عن المجال الجغرافي لمواطن الأكراد. أما "اليزيدية" التي يعتبرها البعض الدين

---

(16) البدليسي، المصدر السابق، ص 21.

(17) وهو الخليج الفارسي العربي، حيث لا يزال يسمى إلى الآن بمضيق هرمز (بوغار هرمز).

(18) ملطية (ملاطية): مدينة في ولاية خربوط بكردستان الشمالية، ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج المالطي)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق انطون صالحاني، المطبعة الكاثولكية، بيروت/لبنان، 1890، ص 466.

(19) مرعش: بلدة كبيرة بشمال حلب وجنوبي الأناضول، البدليسي، المصدر السابق، ص 21.

(20) ويقال لها بلاد الجبال وهي إحدى مقاطعات بلاد إيران المتاخمة للعراق الغربي، البدليسي، المصدر السابق، هامش ص 21.

(21) أذربيجان: سكانها أخلاط من العجم الأذرية وغيرهم، فتحها المغيرة بن شعبة الثقفي في خلافة عثمان بن عفان، اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب)، كتاب البلدان، طبع في نفس مجلد الأخلاق النفيسة، طبعة بريل (Brill)، نسخة مصورة عن الأصل، مكتبة المثنى ببغداد، (د.ت)، ص 272.

(22) أرمينية الصغرى هي البلاد المسماة بولاية (أذنة كليكيا)، وأرمينية الكبرى جبال القفقاس وعاصمتها "آران" وتسمى "آريفان"، الترك (عثمان)، صفحات من تاريخ الأمة الأرمينية، مطبعة الأهرام، حلب، 1960، ص 45؛ المدور (مروان)، الأرمن عبر التاريخ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت / لبنان، 1981، ص 68 ـ 81؛ رسلان (د. أحمد فؤاد)، أرمينيا الأمة والدولة، دار الأمين، القاهرة، 1977، ص 36.

(23) إقليم كبير في غرب جنوبي بلاد إيران، يشمل الآن ولايتي بغداد والبصرة، يبتدأ من الشمال من بلدة تكريت وجبال حمرين وينتهي في بحر فارس عند مصب شط العرب ومقاطعة الحسا (الأحساء في شرقي شبه الجزيرة العربية)، راجع البدليسي، المصدر السابق، هامش ص 21.

(24) الموصل: مقاطعة كبيرة شمالي العراق مركزها مدينة الموصل وسميت بالموصل لأنها توصل بين العراق العربي والمناطق الكردية الشمالية، وتسميها المصادر القديمة بـ"الحصن العبوري"، الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج ٧، ص 223؛ الصائغ (القس سليمان)، المصدر السابق، ج ١، ص 55 — 57.

القومي والتاريخي للكرد[25]، فقد كانت أولى مصافحاتها للعالم الخارجي بعد الغزو المغولي وسقوط الموصل خاصة إثر وفاة بدر الدين لؤلؤ الأرمني أتابك الموصل سنة (657 هـ / 1258 م) الذي كان متحالفا مع المغول[26]. فكان انتشار العدويين (أسلاف اليزيديين)، الكبير في بلاد الشام ثم مصر[27]، ولكن يبقى موطنهم الأصلي أين كان منشؤهم وانطلاقتهم في تلك المناطق التي ذكرتها المصادر الوسيطة التي نعتتهم باسمهم الطائفي "اليزيدية" ويتواجدون في "جبال حلوان[28] ونواحيها ويتزهدون في القرى الواقعة في تلك الجبال"[29] والتي يطلق على أجزاء منها الشيخان (في سنجار وفي كوتاهية)[30]. وأما عن تواجد اليزيدية في بلاد القوقاز (قفقاسية) فمنهم من كان يقيم فيها أصلا حسب قول ابن العبري الذي ذكر أن جد أفراد العائلة العدوية (دار الزاوية) قد أقطع "خرتبرت" من قبل السلطان عز الدين كيكاوس بن غياث الدين[31]، أما الفارقي فقد ذكر وجود أنصار للأمويين وموالين ليزيد بن معاوية بالقرب من جورجيا[32]، في حين تحدث ابن بطوطة عن أناس يقولون بانحدارهم من يزيد بن معاوية في كوتاهية يقال لهم

---

(25) اليوسف (إبراهيم)، "اليزيدية ديانة التوحيد في التاريخ"، دراسات اشتراكية، العدد الثامن، آب 1988، ص 23.

(26) ابن العبري، المصدر السابق، ص 279؛ ابن الفوطي (عبد الرزاق)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق د. مصطفى الجواد، بغداد، 1351 هـ، ص 337 ؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج III، ص 198.

(27) GEOFFROY (Eric), Le Soufisme en Egypte et en Syrie, IF de Damas, 1995, P 229 – 230.

(28) مدينة جليلة كبيرة وأهلها أخلاط من العرب والعجم (من الفرس والأكراد)، افتتحت أيام عمر بن الخطاب، اليعقوبي، المصدر السابق، ص 270؛ الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج II، ص 290.

(29) السمعاني، المصدر السابق، ج V، ص 693.

(30) ابن بطوطة، المصدر السابق، ج I، ص 289.

(31) ابن العبري، المصدر السابق، ص 466.

(32) الفارقي المصدر السابق، ص 43 – 46.

"الجرميان"[33]. ولكن هذا لا يعني وجود هجرات متأخرة لليزيدية في القرن الماضي أثناء الحروب والنزاعات والكوارث التي تعرضت لها[34] في ظل الاضطهاد الديني العثماني. وتعود جذور اليزيديين في القفقاس إلى أيام غزو قياصرة الروس لتلك البلاد والإمبراطورية العثمانية. فقد فضل زعماء اليزيدية من أمثال حسن آغا وهو من المتحالفين مع الروس الانتقال مع أتباعه من "أرارات" في شمال الأناضول إلى "إيريفان" (Erivan) في أرمينيا على البقاء تحت تسلط العثمانيين[35].

وقد ذهب البعض إلى القول بأن اليزيدية متفرعة عن الكنيسة الأرمينية اليعقوبية الشرقية وذلك للتشابه الكبير في العادات بينهما وكذلك للصداقة المميزة والتاريخية التي تربط الأرمن باليزيديين[36]. ولم تكن جماعات اليزيدية معروفة للعالم الخارجي بالشكل الذي يجعل منها طائفة ذات خصوصيات دينية واجتماعية تختلف عن جيرانها من الطوائف الإسلامية والنصرانية إلا بعد موجات التبشير الغربية التي تزعمتها الكنائس في الغرب. فقد عملت هذه الجمعيات الدينية على بعث مؤسسات تعليمية دينية ومؤسسات صحية في المناطق التي توجد بها أقليات مسيحية من كلدان (نساطرة) وسريان يعاقبة وغيرها من المذاهب النصرانية. وقد لمست هذه الأعمال ذات المطامح والأهداف البعيدة حتى "اليزيدية" بحكم وضعها الخاص كأقلية "مضطهدة"[37] من قبل الأغلبية الحاكمة ومرفوضة من الأجوار رغم اختلافها المذهبي والديني.

---

(33) ابن بطوطة. المصدر السابق. ج 1. ص 289.
CAHEN (Claude), "Simples interrogations heresiographiques, (Yezidis, Nusayris)", Islamwissenschafliche Abhandlungen, mit 6 Tafeln, 1974, P 30.

(34) العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 99.

(35) COPHIN (J), "De l'origine des peuples habitants la province d'Arménie", Summarized by [P.I] Köppe, Bulletin scientifique, Académie Impériale des Sciences de Saint-Pétersbourg, Vol. VIII, 1841, P 16 - 20

(36) GUEST (J.S), The Yezidis, P 188 – 189.

(37) GUEST (J.S), op. cit., P45 - 49

2. الفتح الإسلامي للمناطق الكردية

في سنة 16 هـ / م بدأت اهتمامات دولة المدينة تتجه صوب المناطق الكردية فقد فتحت حلوان الواقعة في جنوب إقليم الجبال[38] المعروف باسم جزيرة ابن عمر "بوهتان" وهي تعرف عند الأرمن باسم "كوردوز"[39].

أما فيما يخص التسمية الحالية "كردستان" فقد ظهرت لأول مرة في القرن XIIIم / VIهـ في عهد السيطرة السلجوقية[40]. وكلمة "كردستان" فارسية الأصل تتألف من مقطعين اثنين: "كورد" و"ستان". يعني الأول الشجعان ويعني الثاني بلاد. وهي بمعنى "بلاد الشجعان"[41]. ودخل قسم من الكرد في الإسلام بعد فتح بلادهم[42] على يد الصحابي عياض بن غنم في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي أمر بفتحها سنة 18 هـ/ م. من جهة الجزيرة[43]. لذلك أرسلت ثلاثة جيوش لفتح هذه البلاد ومن أشهر مدنها وأقاليمها التي خضعت للانتشار الإسلامي نجد ديار بكر ومدنها المعروفة حران ونصيبين وسنجار

---

(38) ابن الأثير. المصدر السابق. ج II. ص 523؛ وإقليم الجبال تعني معاقل الأكراد ومواطنهم التاريخية التي أطلق عليها لاحقا "كردستان" بينما سماها العرب بلاد الجبال. والظاهر أن التسمية العربية كانت ذات مدلول جغرافي في العصور الوسطى الإسلامية. بينما نجد اسم كردستان هو الاسم الأحب إلى قلوب الأكراد. موصلي (منذر). عرب وأكراد. دار الغصون. بيروت/لبنان. 1995 م. ص 87.

(39) موصلي (منذر). المرجع السابق. ص 87.

(40) البدليسي (الأمير شرف خان). الشرفنامة في تاريخ الدول والإمارات الكردية. ترجمة محمد علي عوني ومراجعة يحي الخشاب. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة / مصر. مقدمة الشرفنامة. ص 12

(41) موصلي (منذر). المرجع السابق. ص 87.

(42) إضافة إلى هؤلاء الأكراد وهم متجذرون في هذه الأرض منذ آلاف السنين. نجد قبائل عربية قدموا مهاجرين أو غزاة. فغدت الجزيرة الفراتية ديارا لهم عرفت باسم قبائلهم. ابن الأثير. المصدر السابق. ج II. ص 523 ؛ خماش (نجدة). الادارة في العصر الأموي. دار الفكر. الطبعة الولى. دمشق / سورية. ص 45.

(43) الواقدي. تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق. تحقيق عبد العزيز فياض. حرفوش. دار البشائر. 1966. دمشق/سورية. ص 30؛ فتوح الشام. دار إحياء التراث العربي. بيروت / لبنان (د.ت). ج II. ص 59؛ ابن الأثير. المصدر السابق. ج II. ص532

والخابور والموصل وجبال هكاري و"بايهذار (بانهدار) وباعذرا وخبتون وداسن وجميع معاقل الأكراد وقودي (جودي) وباريدي وجميع أعمال الموصل"[44].

وقد سلك الفاتحون الجدد لهذه المناطق سياسات مختلفة منها عقد مصالحة مع بعض المناطق كالرها ونصيبين وأرمينية الرابعة وذلك بفرض الجزية عليها[45]. ولكن هذا لا يعني قبول الأكراد لهذه الغزوات فقد تواصلت مقاومتهم إلى حدود سنة 22 هـ ولم تفتح بعض أقاليمهم إلا بالقوة العسكرية[46]. وبذلك خضعت جميع معاقل الأكراد وغيرهم لدولة المدينة.

وإذا أردنا تحديداً زمنياً لمراحل الانتشار الإسلامي في هذه المناطق والأقاليم. فإننا نجد أن الفتح استمر من 16 هـ إلى 23 هـ وفرضت قيادة الفتح على السكان المحليين الذين أغلبهم من المجوس أتباع النبي زرادشت "سنة أهل الكتاب"[47] أي فرض الجزية على الرؤوس والخراج على الأرض. وبعد استعراضنا لمراحل السيطرة الإسلامية على بلاد الأكراد نستنتج أن الانتشار الإسلامي (اعتناق الكرد للإسلام) لم يتم عن طريق الفتح العسكري ولا بواسطة الولاة الحاكمين للمدن والأقاليم المجاورة لأن أغلب المناطق الكردية لم تخضع للحكم المباشر[48].

وكذلك نجد أن حملات الفتح لم تقم ولايات تابعة لدولة المدينة أو الدول الموالية بسبب عدم الحاجة الأمنية ولقلة ثرواتها وخاصة الإقليم الشرقي الذي كان يخضع الإمبراطورية الساسانية.

---

(44) ابن الأثير. المصدر السابق. ج II. ص 524.

(45) الطبري. التاريخ. تحقيق أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة/مصر. ج IV. ص 53. عاقل وخماش. تاريخ الدول العربية الإسلامية الأولى. مطبعة دار الكتاب. دمشق / سورية. ص 142.

(46) الطبري. المصدر السابق. ج IV. ص 187 ، ابن الأثير. المصدر السابق. ج III. ص 48 (ذكرها في حوادث 23 هـ).

(47) أبو يوسف (القاضي يعقوب بن إبراهيم). كتاب الخراج. سلسلة في التراث الاقتصادي الإسلامي. دار الحداثة. بيروت / لبنان. 1990. ص 260.

(48) موصلي (منذر). المرجع السابق. ص 169.

كما نرى أسبابا أخرى وجيهة أهمها عدم تكيف الجيوش العربية مع المناطق الجبلية الباردة لذلك تمتعت الأقاليم الكردية بنوع من "الحكم الذاتي" لقرون عديدة وهذا ما يفسر وجود فرق ومذاهب كاليزيدية وبعض الفرق المغالية من الكرد "كالشبك" و"العلي الاهية" وغيرها... في هذه المناطق النائية التي تخضع للتبعية الروحية والاسمية ولم تخضع للحكم الإداري أو السياسي المباشر للدول الإسلامية المتعاقبة (راشدون. أمويون. عباسيون) لذلك لا يمكننا الجزم النهائي بأن كل الأكراد اعتنقوا الإسلام وأن الفرق والمذاهب ببلادهم هي "مارقة" وهذا ما سنراه لاحقا في عملنا.

3. أبرز مراحل الحكم الإسلامي

وتتجسد في مرحلة ما بعد عمليات الفتح وما تلاها من تنظيم الأراضي المفتوحة في العهد الراشدي. وما بعد أحداث الفتنة الكبرى التي قسمت الصف المسلم وما نتج عنها من انتشار لآراء وأفكار مذهبية خارجية وشيعية ورأي السلطة المتمثلة في شخص الخليفة الجديد معاوية بن أبي سفيان (40 ـ 60 هـ / 661 ـ 680 م) الذي نقل العاصمة من الكوفة إلى دمشق. ولم يكن من السابقين للإسلام وليس له ثقل إسلامي كبير يؤهله للخلافة باستثناء وزنه القبلي. فهو ابن سيد قريش أبي سفيان. وبحكم دهائه السياسي وحسن استغلاله لسير الأحداث. أهلته الظروف لافتكاك الخلافة. فأصبح بذلك جهاز الخلافة وراثيا يورثه الأب لابنه. وبعد وفاة يزيد بن معاوية تسلط الفرع الآخر من الأسرة الأموية وهم آل أبي العاص. المتمثل في شخص مروان بن الحكم (مروان الأول تـ 65 هـ / 685 م) ففي عهد حفيده مروان بن محمد (مروان II) نقل بيت المال إلى حران بالجزيرة وفي سنة 132 هـ /750م سقطت الدولة الأموية وتولى الفرع العباسي من البيت الهاشمي الخلافة مدعماً بأعاجم خراسان ونقلت عاصمة الدولة إلى العراق واتخذت من بغداد المدورة عاصمة لها فأخذت الخلافة العباسية مجرى يختلف عن سابقتها الأموية. وعرف الحكم العباسي

أطوارا مختلفة مرت من مراحل القوة في عهد الخلفاء الذين تميزوا بقوة شخصياتهم وكانت للخلافة في عهدهم هيبتها وصولجانها[49] ثم بدأت عوامل الوهن والضعف تدب في كيان الخلافة بعد تسلط العساكر الأتراك على مقاليد الخلافة. فقد استكثر الخليفة العباسي المعتصم من المماليك الأتراك حتى ضاقت بهم بغداد وتأذى بهم الناس وزاحموهم في دورهم وتعرضوا للسكان. فكثرت الشكاوي ونتيجة الضغط الشعبي قرر المعتصم في 221 هـ أن يؤسس "سامراء" التي اتخذها عاصمة له ولعساكره[50]. وبعد وفاته (227 هـ / 842 م) بدأ الطور المؤلم في التاريخ العباسي. حيث أصبحنا نسجل تدخلات الجند في شؤون السياسة. ولقد استمر هذا الوضع القائم حتى سقوط الخلافة العباسية. وبعد أن تدخل الجند بالسياسة وتسلموا مقاليد الأمور دخلت السياسة إلى الجهاز العسكري وتغلغلت بين صفوف الجند. وقد ازداد عدد هذا الجيش وتضخم فضم أنواعا مختلفة من القطع العسكرية ومجموعات من أمم الدولة (مماليك). وبعد أن أخذ الجند بمقاليد السلطة قام صراع بين فئات الجيش ولعب رجال السياسة دورا في تأجيج هذه الصراعات لذلك يمكننا القول أن فترة حكم الجند تميزت بعدم الاستقرار السياسي لكثرة الانقلابات والاغتيالات[51] ولهذا تعددت الفئات فكان أتراك المعتصم ثم الديلم ثم التركمان...

وتمثلت أبرز أحداث ما بعد القرن الثالث الهجري في فترة التسلط البويهي[52]. وقبل معرفة كيفية تمكن بني بويه من تأسيس دولتهم وجب

---

[49] زكار (د. سهيل). تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي الثاني. مطبعة جامعة دمشق. 1990/1411. ص 26.

[50] ابن الأثير. المصدر السابق. ج IV. ص 200 – 230. ابن طباطبا. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. تحقيق عبد القادر محمد مايو. دار القلم العربي. حلب. 1997. ص 228 ـ 229. السيوطي. تاريخ الخلفاء. تحقيق الشيخ قاسم الرفاعي والشيخ محمد العثماني. دار القلم. بيروت/لبنان. 1986/1406. ص 377 ـ 379.

[51] قتل الخليفة جعفر المتوكل بتحريض هؤلاء الجند وبدعم من ابنه محمد المنتصر في سنة 247 هـ / 862 م. راجع ابن طباطبا. المصدر السابق. ص 234.

[52] ابن كثير. المصدر السابق. ج X. ص 25 ـ 55. ابن خلدون. التاريخ. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت/لبنان. 1391–1971. ج III. ص 251 ـ 279.

علينا التعريف بهذه الفئة. إذ ينتمي البويهيون إلى بلاد الديلم التي تقع جنوب بحر قزوين والطرم وشيء من أذربيجان وبعض الري وما يتصل بها من جهة المشرق بقية الري وطبرستان ويحدها من جهة الشمال بحر الخزر وتتصل أيضا بجزء من جبال الرويخ وفادوسبان وجبال وجرجان[53]. أما الديلم فهي عبارة عن سهل وجبل[54].

وقد أصبحت هذه البلاد في حوزة دولة المدينة في عهد دولة الخليفة عمر بن الخطاب إبان حركات الانتشار الإسلامي. ومع مرور الزمن اعتنق شعب الديلم الإسلام بواسطة التغلغل السلمي. وكان هذا الشعب من آخر شعوب المشرق التي خضعت للإسلام. ومن أوائل الذين أعادوا تأكيد شخصيتهم الخاصة ضمن الإطار الديني السياسي. وأسسوا مذهباً مخالفاً لمذهب السلطة حيث تبنت الأسرة البويهية الحاكمة مذهباً غير سني[55]. فقد وجد عدد من أفراد البيت العلوي بعد ثورة محمد النفس الزكية 145 هـ / 764 م بزعامة يحي بن عبد الله[56] في بلاد الديلم ملاذاً آمناً أين أدى لجوؤه إلى هذه البلاد قصد تكوين أنصار للشيعة الزيدية كان أخرهم الحسن الملقب بـ"الأطروش" والمعروف بالناصر العلوي والناصر للحق[57]، وبذلك تحولت بلاد الديلم إلى مركز لنشاط المعارضة الزيدية. وهو ما جعل هذه المنطقة تدافع عن مركزها واستغلالها ضد خلفاء بغداد ومذهب السلطة (السنة). واستطاع الديلم أن يمدوا نفوذهم وسيطرتهم إلى إيران والعراق، وكان ذلك بعدما قويت شوكة البويهيين حيث استطاعت الأسرة البويهية ذات المنشأ البسيط[58] أن يصبح

---

(53) ابن حوقل. المصدر السابق. ص 318.

(54) ابن حوقل. المصدر السابق. ص 320.

(55) ابن الأثير. المصدر السابق. ج V. ص 90.

(56) هو يحي بن عمر بن يحي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بأبي الحسين. ابن الأثير. المصدر السابق. ج V. ص 316.

(57) الطبري. المصدر السابق. ج X. ص 149.

(58) تنسب الأسرة البويهية إلى رجل ديلمي كان يعمل صيادا على شواطئ بحر قزوين. كان يدعى ببويه. وكان بويه هذا فقير الحال. وكان له من الأولاد علي والحسن وأحمد. وقد دخل هؤلاء في خدمة مرداويج بن زيار الذي علا شأنه سنة 315 هـ/927 م. وأسس في خراسان الدولة الزيارية. ابن الجوزي (عبد الرحمان)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. حيدر آباد ـ الدكن. 1942، ج VI، ص 207 ـ 208، 268 ـ 271.

أبناؤها أوصياء على الخلافة ببغداد التي ساءت أحوالها في أواخر عهد نفوذ الأتراك سياسيا واقتصاديا وحتى عسكريا. وقد نجح أحمد بن بويه في دخول بغداد دون عناء في عهد الخليفة المستكفي (333 ـ 334 هـ / 945 ـ 946م) الذي استقبل أحمد بن بويه سيد بغداد الجديد. وتقبل بيعته. وخلع عليه. ولقبه بمعز الدولة كما لقب أخاه عليا بعماد الدولة ولقب أخاه الحسن بركن الدولة. ثم أمر بضرب ألقابهم وكناهم على السكة[59]. وهكذا بدا لدخول معز الدولة أحمد بن بويه بغداد دور جديد في تاريخ الدولة العباسية. امتد إلى ما يزيد عن قرن من الزمان[60]. ولم يكن لأشباه الخلفاء هؤلاء سوى مجرد التطلع إلى التغيير أو محاولة إعادة شيء من هيبة الخلافة. فأصبحوا مجرد صنائع لبني بويه يتقاضون منهم رواتبهم. ولم يبق للخليفة من السلطة سوى الجانب الروحي. فالخليفة العباسي كان مجردا من أي سلطة أو نفوذ. وقد زادت أوضاع الخلفاء في عهد سيطرة بني بويه على مقاليد الخلافة ببغداد مذلة ومهانة[61]. واكتفى الخلفاء العباسيون بلقب "أمير المؤمنين" وإقامة الخطبة لهم ونقش أسمائهم على السكة[62]. ولم تذكر لهم أية بادرة قوية لاستعادة سلطانهم كما كان الحال في عصر تسلط الجنود الأتراك[63].

ومن أبرز النتائج المنجرة عن التسلط البويهي على خلفاء بغداد محاولتهم السيطرة المذهبية على الدولة. فكما هو معروف لدينا فإن المذهب الزيدي كان الأكثر انتشارا في البلاد أي أن الإسلام الذي نشر في صفوف "الديالمة" كان

---

(59) مسكويه (أحمد بن محمد). تجارب الأمم. تحقيق: AMEDROZ (H.F). طبعة القاهرة 1914 / 1332 هـ. (نسخة مصورة بالأفست لدار الكتاب اللبناني). توزيع مكتبة المثنى. بغداد / العراق. ج II. ص 84 ـ 85. ابن كثير. المصدر السابق. ج XI. ص 212. ابن تغري بردي (أبو المحاسن). النجوم الزاهرة. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ووزارة الثقافة. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة. القاهرة. (د.ت). ج III. ص 285.

(60) AMIR (Ali Sayed), Short History of the Saracenes, London, 1981, P 303 . محمد علي (د. وفاء). الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين. نشر المكتب الجامعي الحديث. الإسكندرية/مصر. (د.ت). ص 36.

(61) محمد علي (د. وفاء). المرجع السابق. ص 41.

(62) BROKLMAN (Carl), History of Islamic People, London, 1959, P 152

(63) محمد علي (د. وفاء). المرجع السابق. ص 42.

على الصيغة الشيعية مما جعل بني بويه يتأثرون بالمنهج الثوري الشيعي وبالتالي فإن لهم قناعاتهم العقائدية بعدم أحقية بني العباس بالخلافة[64]. وأنها من حق ذرية علي بن أبي طالب فقد كان البويهيون يغالون في تشيعهم وغصب العباسيون الخلافة وأخذوها من مستحقيها. ولقد نقلت لنا المصادر خطة معز الدولة البويهي لنقل الخلافة لأحد العلويين أو للمعز للدين الفاطمي وافتكاكها من بني العباس. فأشار عليه بعض خاصته بترك الأمر على حاله لأجل مصلحة الدولة البويهية ونفوذها على الخلافة[65].

وقد شعر شيعة العراق بنوع من القوة بسبب وجود البويهيين. فاستغلوا ذلك أسوأ استغلال لاسيما أن القبضة البويهية على الخلافة والخليفة حديدية وقوية، فأطلق بعض الغلاة ألسنتهم لسب كبار الصحابة: "... لعن الله من غصب فاطمة فدكا... ومن نفى أبا ذر الغفاري... ومن أخرج العباس من الشورى"[66]. والظاهر أن المنهج الذي سلكه البويهيون كان مجلبة للفتن بين الأغلبية السنية والشيعة التي وجدت الدعم والنصرة في البويهيين، ولذلك عمل بنو بوية على إحياء المناسبات الشيعية والاحتفال بها بطرق تعد سابقة خطيرة لما أنتجت من ثمار سيئة في الوضع الأمني بدار الخلافة والمشاكل الطائفية بين الشيعة الأقوياء بالبويهيين والسنة الضعفاء بخليفة المسلمين السني الذي لا يملك من أمره شيئا[67]. وكان من النادر أن يتدخل الخليفة لفض هذه الفتن والنزاعات خاصة وأن الحاكم الفعلي بويهي، ففي سنة 397 هـ / 1007 م غضب الخليفة القادر بالله (381 ـ 422 هـ / 991 ـ 1031 م) مما حدث من تحيز بهاء الدولة لصالح الشيعة ضد أهل

---

[64] محمد علي (د. وفاء)، المرجع السابق. ص 63.

[65] ابن الأثير. المصدر السابق. ج VI. ص 315 ؛ ابن كثير. المصدر السابق، ج XI. ص 213.

[66] وكانوا يقصدون بمن غصب فاطمة حقها أبا بكر. وبمن أخرج العباس من الشورى عمر بن الخطاب، وبمن نفى أبا ذر عثمان بن عفان. ابن كثير. المصدر السابق. ج XI. ص 240. محمد علي (د. وفاء). المرجع السابق. ص 65.

[67] ابن الأثير. المصدر السابق. ج VII. ص 7؛ ابن كثير. المصدر السابق. ج XI. ص 243، محمد علي (د. وفاء). المرجع السابق، ص 67 ؛ وللبحث في أمر الفتن ومصدرها راجع ابن كثير. المصدر السابق. ج XI.

السنة ببغداد فصدرت الأوامر من الخليفة بضرورة احترام أسماء الشيخين[68] وعلي[69]. وقبيل سقوط بغداد تحت الرايات المستنصرية اشتد القتال في سنة 441 هـ / 1049 م بين الشيعة والسنة. وناصرت كل طائفة منهم جماعة من الجند حسب الاعتقاد المذهبي لكل فئة من العساكر[70]. فقدم الديلم النصرة لشيعة بغداد بينما وجد أهل السنة الدعم من الأتراك. وكانت قمة الفتنة ما حدث في سنة 443 هـ / 1051 م عندما اندلعت فتنة بين الشيعة والسنة أحرق فيها ضريح موسى الكاظم[71] وقبر زبيدة وقبور بني بويه وما حولها. وقتل شيعة حي الكرخ ببغداد مدرس الحنفية أبا سعد السرخسي، وأحرقوا دور فقهاء السنة وكان القتال ضاريا بين الطائفتين[72].

ومن طرائف ما يروى من استغلال بعض الناس لهذا الخلاف المذهبي الدامي بين شيعة وسنة بغداد. أن متسولين وقفا على جسر بغداد يتوسل أحدهما بعلي ويتوسل الآخر بمعاوية. وتقدم لهما الصدقات على قدر الولاء لعلي أو لمعاوية. وفي آخر النهار يقتسمان النقود بالتساوي فيما بينهما لأنهما شريكان في الاحتيال[73]. ورغم سذاجة هذه القصة ـ المشكوك في صحتها ـ فإنها دليل على الحالة التي كان عليها الناس من خلافات وتطاحن مما يدعو للتندر بمثل هذه القصص.

وكانت نهاية البويهيين على أيدي السلاجقة الذين كانوا متربصين وخطرهم يدق أبواب بغداد. زد على ذلك الانقسام والتطاحن داخل البيت

---

(68) المقصود بالشيخين أبو بكر وعمر.

(69) ابن كثير. المصدر السابق. ج XI. ص 339.

(70) الذهبي (الحافظ شمس الدين). دول الإسلام. تحقيق محمد مصطفى وفهيم محمد، القاهرة. 1974. ج I. ص 359.

(71) الإمام السابع للشيعة الاثني عشرية موسى الكاظم (ت 183 هـ/799 م) وهو الابن الوريث للإمامة بعد أبيه جعفر الصادق (148 هـ/766 م) بينما عند الإسماعيلية ورثها إسماعيل بن جعفر الصادق ومنه انتقلت مباشرة لابنه محمد بن إسماعيل. الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 168 ـ 169.

(72) الذهبي. المصدر نفسه. ج I. ص 261.

(73) نقلها الدكتور وفاء محمد علي. في كتابه المذكور ص72 ـ 73 عن نشور المحاضرة للتنوخي.

البويهي الذي كان بين أبي النصر الملقب بالملك الرحيم وإخوته[74]. وزاد الأمور خطورة اندلاع حركة البساسيري[75] الذي وجد من الفاطميين كل الدعم. ففي سنة 448 هـ / 1056 م جهز الوزير الفاطمي اليازوري خزائن الأموال على يد المؤيد في الدين للسباسيري فلم يبق في بيوت الأموال بالقصر شيئا إلا أخذ لفتح بغداد[76].

4. أبرز أحداث تلك الفترة وأهم نتائجها

من أبرز الأحداث المسجلة في القرنين السادس والسابع الهجري تفكك أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي مما عرضه للتدخل الأجنبي الذي تمثل في تعرض سواحل بلاد الشام وعديد المدن الداخلية في لبنان وفي فلسطين للاحتلال الصليبي[77]. بعدما دمرتها القبائل التركمانية الغازية التي انساحت في بلاد الشام وتمكنت في مدى ثلث قرن من تدمير البنية التحتية في بلاد الشام[78] ولذلك لم يجد الصليبيون أية مقاومة هامة فتوغلوا في أراضي

---

[74] ابن الأثير. المصدر السابق. ج VIII. ص 48.

[75] هو أبو الحارث أرسلان التركي. والبساسيري نسبة إلى "بسا" بلدة بفارس. والعرب تسميها فساء وينسبون إليها فسوى. وكذلك ينسبون البساسيري. وقد بدأ البساسيري حياته كعبد تركي في خدمة حاكم بغداد البويهي بهاء الدين فيروز (388 ـ 403 هـ/998 ـ 1012 م) وأصبح تدريجيا مقدم الأتراك ثم الحاكم العسكري للقسم الغربي من بغداد وفي سنة 436 هـ/1034 م أصبح من كبار شخصيات بغداد. وبدأ شأنه يرتفع وهيبته تقوى. ابن الجوزي. المصدر السابق. ج VIII. ص 118 – 127 ؛ ابن خلكان. المصدر السابق. ج I. ص 72.

[76] المقريزي. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. تحقيق د. محمد حلمي أحمد. طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة. 1967. ج II. ص 252 – 253.

[77] ابن خلدون. المصدر السابق. ج V. ص 182 ـ 184 ؛ كاهن (كلود). الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية. ترجمة أحمد الشيخ. دار سينا للنشر. القاهرة/مصر. 1995. ص 98 – 103.

[78] العبادي (أحمد مختار). في التاريخ العباسي والفاطمي. الاسكندرية / مصر. (د.ت). ص 185، 197.

الشام حتى نزلوا جنوبا. وفي 23 شعبان 492 هـ/ 16 جويلية / تموز 1099 سقطت مدينة القدس تحت ضربات الصليبيين[79]. هذا من الغرب.

أما من الشرق. فقد عرفت إمبراطورية المغول انتصارات سريعة زادت مواردهم. وملكوا الفرصة. وتشجعوا للقيام بمغامرات جديدة. فنجاحهم في الصين كان مؤشرا ونقطة انطلاق لانتصارات متتالية. فقد وجه المغول اهتمامهم نحو الغرب[80]. فقد كانت أهم الدول التي تمثل العالم الإسلامي في الشرق تقوم في إيران والجزيرة والعراق والشام ومصر[81]، وبدأت جحافل الغزو المغولية زحفها ابتداء من سنة 616 هـ / 1219 م لتهدد الدولة الخوارزمية[82].

ويمكن القول أن الانحلال الذي كان يسود العالم الإسلامي الشرقي بأجمعه وتفكك دوله ومظاهر التناحر السياسي والعسكري بينها هو الذي مهد لانتشار الجيوش المغولية في الأقاليم الإسلامية الشرقية واستباحتها وإبادة سكانها.

وحسب بعض الآراء أن الخليفة العباسي الناصر الذي كان لا يزال - اسميا على الأقل - قائد المسلمين وإمامهم هو الذي جلب عليهم أعظم كارثة حلت بهم في التاريخ[83] ونتج عن ذلك سقوط حاضرة الخلافة العباسية[84]، وبسقوطها تغير مجرى التاريخ الإسلامي، فأصبحت القاهرة مركز الثقل الإسلامي خاصة بعد معركة "عين جالوت" في فلسطين في 13 سبتمبر 1260م /

---

(79) أبو الفداء. المصدر السابق. ج II. ص 211.

(80) النسوي (محمد بن أحمد). سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي. تحقيق حافظ أحمد حمدي. القاهرة / مصر. 1953. ص أ وب من المقدمة . شابولر (برتولد). العالم الإسلامي في العصر المغولي. ترجمة الأستاذ خالد أسعد عيسى. دار حسان. دمشق. 1402/1982. ص 30

(81) الرويشدي (سوادي عبد محمد). إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ. مطبعة الإرشاد. بغداد / العراق. 1971. ص 241.

(82) النسوي (محمد بن أحمد). المصدر السابق ص 93؛ شابولر (برتولد). المرجع السابق. ص 30 ؛ الرويشدي (سوادي عبد محمد). المرجع السابق. ص 241.

(83) شابولر (برتولد). المرجع السابق. ص 30.

(84) النسوي. المصدر السابق. ص 113.

25 رمضان 658 هـ[85]. فقد كانت هذه الموقعة سدا منيعا حال دون تقدم جحافل المغول إلى مصر وإنقاذ ما تبقى من ماء الوجه، وقضت على الخرافة القائلة أن "المغول قوم لا يغلبون".

ورفعت هذه المعركة من شأن المماليك لدى أهالي مصر وبلاد الشام وجعلهم الأجدر بالحكم من العائلة الأيوبية، أي أن انتصار "عين جالوت" كان بمثابة صك تنازل من الأيوبيين لمماليكهم لقيادة مصر والشام. ومنح هذا النصر مصر مركز الزعامة الإسلامية، فقد استطاعت أن تقف في وجه عدوين خطيرين: الصليبيين من جهة والمغول من جهة أخرى، وحافظ نصر "عين جالوت" على ما تبقى من التراث العربي الإسلامي الذي دمر الجزء الأكبر منه في بغداد سنة 656 هـ/ 1258 م.

6. وصف عام للمذاهب المسيحية الموجودة في المنطقة

يعتبر شمالي العراق وبلاد الشام من المناطق التي عرفت فيها النصرانية (المسيحية) تجربتها الأولى حتى قبل بروز الساسانيين كقوة في بلاد فارس والعراق[86] وقد ساعد على انتشار المسيحية في العراق وجود الأسرى الذين جلبهم شابور الأول خلال حملاته على الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية)، وكان معظمهم من النصارى اليونانيين[87] الذين قاموا بالتبشير خاصة بتوفر إطار ملائم من التسامح مكنهم من زيادة عدد المسيحيين وبناء الأديرة والكنائس حتى تكونت جماعات "الرهبانية" في أصقاع كثيرة من

---

(85) أبو الفداء، المصدر السابق، ج II، ص 205؛ السيوطي، المصدر السابق، ص 543؛ شابولر (برتولد)، المرجع السابق، ص 48؛ زيتون (عادل)، تاريخ المماليك، منشورات جامعة دمشق، 1992/1412، ص 22.

(86) LABOURT (J), le Christianisme dans l'empire Perse sous la dynastie Sassanide (224 - 632), Paris, 1904, P 43.

(87) LABOUR (R), op. cit., P 19 - 20؛ العايب (د. سلوى بالحاج صالح)، المسيحية العربية وتطوراتها، دار الطليعة، بيروت / لبنان، 1997، ص 50.

ولاية الكرسي الرسولي الأنطاكي[88] أي في سوريا وفلسطين وما بين النهرين ولبنان وعلى قمم جبال تركيا وفارس وأثور[89] وفي مرحلة لاحقة أصبح لمسيحي المناطق الغربية من الإمبراطورية الساسانية كنيسة منظمة خاضعة لكرسي طيسفون / سلوقية وبذلك ارتبط مصير نصارى المشرق وكنيستهم بهذه الامبراطورية[90]. ثم بدأت هذه المنطقة تعيش تحولات مهمة مع ظهور أصحاب المذاهب وخاصة المذهبين اليعقوبي[91] والنسطوري[92] وهما من نفس

---

[88] نسبة إلى مدينة أنطاكيا التي شيدها "سلوقس الأول نيقاطور" على نهر العاص في شمال سورية سنة 311 ق.م بعد اقتسام مملكة الاسكندر الكبير ودعاها أنطاكية باسم أبيه أنطيوخس. وكانت عاصمة السلوقيين حتى السيطرة الرومانية سنة 64 ق.م على بلاد الشام (سورية) وكانت عاصمة سورية. رستم (د. أسد). تاريخ كنيسة مدينة الله العظمى أنطاكية. بيروت/لبنان، 1958 م. ج ا. ص 14؛ عيواص (أغناطيوس زكا الأول). كنيسة أنطاكية السريانية عبر العصور. (دراسات سريانية). حلب/سورية. 1981. هامش ص 5.

[89] ساكا (المطران إسحاق). السريان ايمان وحضارة. مطرانية السريان الأرثوذكس. حلب / سورية. (سلسلة يصدرها المطران يوحنا إبراهيم). ج ا. ص 209.

[90] LABOUR (J), op. cit., P 131 - 136؛ العايب (د. سلوى بالحاج صالح). المرجع السابق. ص 51.

[91] نسبة إلى مار يعقوب (أي القديس يعقوب) الذي رسم مطرانا عاما سنة 544 م على يد مار تيودوسيوس بطريرك الاسكندرية الذي كان منفيا في القسطنطينية. وقد عمل مار يعقوب البرادعي الذي عمل على نشر عقيدة الكنيسة السريانية وصمودها ضد الاضطهاد البيزنطي وتوفي مار يعقوب البرادعي في 30 تموز (جويلية) 578 م بعدما بعث من جديد الكنيسة السريانية. علما أن السريان التابعين للكرسي الأنطاكي يتحدون إيمانيا مع الكرسي الاسكندري ومعهم الكنيسة الآرمنية الأرثوذكسية والكنيسة الأثيوبية (الحبشة). دولباني (يوحنا). المثال الرباني. المطبعة السريانية. بوينس أيرس/الأرجنتين. 1942. ص 4 ـ 6، عيواص (أغناطيوس زكا الأول). المرجع السابق. ص 46 ـ 47.

[92] نسبة إلى نسطور بطريرك القسطنطينية. طلع بتعليم جديد آخر مغاير لعقيدة الكنيسة الجامعة. ولد نسطور في مدينة جرمانيقي (مرعش) في سنة 381 م. وعقد لأجل العقيدة التي نادى بها مجمع في مدينة روما سنة 430 م الذي رفض تعاليم نسطور. وبعد سنة عقد مجمع آخر في "أفسس" بتاريخ 22 جوان 431 الذي حرم نسطور وتم نفيه في سنة 435 م إلى "أودسا" في صعيد مصر حيث توفي في سنة 450 م ويعرف أتباعه "بالنساطرة الأشوريين". وفي العصر العباسي حاول طبيب هارون جبرانيل بن بختيشوع نقل عظام نسطور من "أودسا" إلى بغداد لتدفن في كنيسة كوحى الكبرى. واستحصل من الخليفة العباسي رسالة إلى والي مصر يوصيه أن يسعى بإرسال العظام المذكورة. ولكن أهمل الأمر أخيرا. ساكا (المطران إسحاق). كنيستي السريانية. مطابع ألف باء الأديب. دمشق / سورية. 1985. ص 33 ـ 34. العايب (د. سلوى بالحاج صالح). المرجع السابق. هامش ص 28.

الشعب أي آراميين وكانوا يمثلون السكان الأصليين للجزيرة الفراتية وكذلك جهة طور عابدين حيث توجد أهم مراكزهم. ويصل امتداد الآراميين شرقا حتى حدود فارس الطبيعية جبال زاغروس[93] ويمثلون أساس السكان المتمدنين في الجزيرة واشتهر الآراميين بنشر كتابتهم السريانية التي كان لها دور في نشر المسيحية في المشرق[94] ويعتبر السريان أن لغتهم مقدسة حيث تكلم بها السيد المسيح وأمه وتلاميذه. وبها نزل قسم من الكتاب المقدس وأن أول قداس أقيم بهذه اللغة. وانقسم الشعب الآرامي / السرياني بين نساطرة في غرب الجزيرة حيث يخضعون للنفوذ البيزنطي ويعاقبة في شرقها تحت السيطرة الفارسية[95] كما توجد في القسم الغربي من الجزيرة بعض الأقليات الملكانية التابعة لكرسي القسطنطينية وتعود نشأة هذه العقيدة إلى مجمع خلقيدونية في سنة 451م وتبناها الملك البيزنطي في ذلك الوقت "مرقيان"[96] ولذلك يسمى هؤلاء الأتباع بالملكانيين[97] وانتشرت المسيحية في صفوف القبائل العربية القاطنة في تلك المناطق التي تعود إلى بدايات القرن الثالث

---

(93) بن حسين (رضا). الجزيرة الفراتية وعلاقتها بالأمصار والخلافة (بين الفتح - 132 هـ). (شهادة الكفاءة في البحث مرقونة). كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس. 1990. ص 4.

(94) اللغة السريانية هي إحدى اللغات السامية القديمة. وتسمى بالأرامية أيضا. وقد أخطأ من فصل بين اللفظتين أو جعل السريانية فرعا من الآرامية أو لهجة من لهجاتها. وقد كانت لغة أهالي سورية وما بين النهرين وأضحت لغة الدولة في آثور (آشور) وبابل ولغة اليهود الدارجة في فلسطين بعد السبي البابلي. ولذلك دعيت بالكلدانية والعبرية وقام الرهبان النساطرة بالتبشير بها في بلاد الصين وقد انقسمت إلى لهجتان. اللهجة الرهاوية (نسبة إلى الرها/أورفة) ولهجة شرقية وهي لهجة الكلدان النساطرة. ساكا (المطران إسحاق). المرجع السابق. ص 41 وهامشها.

(95) RABBATH (Edmand), L'orient chrétien à la veille de l'Islam, Beyrouth, Librairie Orientale, 1986, P 139.

(96) كان قائد للجيش البيزنطي قبل 451 م. ولما توفي القيصر ثاودوسيوس عام 450 م عن غير وارث خلفته أخته الراهبة بلخاريا. وتزوجت من "مرقيان" قائد الجيش. الذي أصبح ملكا لبيزنطة وبأوامر عقد مجمع خلقيدون (قاضي كوي) عام 451 م. ساكا (المطران إسحاق). المرجع السابق. ص 36 . المسعودي. التنبيه والاشراف. دار ومكتبة الهلال. بيروت / لبنان. 1993. ص 145.

(97) JANIN (R), "L'église Melkite" dans le dictionnaire de théologie catholique, T. X, Paris, 1928, P 515 - 520

الميلادي وأصبح وجود قبائل عربية في الجزيرة الفراتية حقيقة ثابتة منذ القرن الرابع للميلاد وتطلق المصادر السريانية على سكان هذه المناطق اسم "العرباي"[98] كما توجد تنظيمات كنسية للأرمن في مناطق الجزيرة بحكم الجوار واستقرار عديد التجار منهم بمدن شمال الجزيرة[99] وحافظوا على خصوصياتهم العرقية والدينية وهم على المذهب الأرثوذكسي كالسريان أتباع مار يعقوب البرادعي[100] وتعتبر كنيسة الرها من أهم الكنائس في شمال الجزيرة الفراتية[101] وقد بشر الرسول "توما" (توماس) في هذه المدينة السريانية[102] وتنتشر الأديرة المسيحية حسب مذاهب أصحابها فدير الربان "هرمزد الفارسي" كان للكلدان[103] النساطرة. كما هو الحال لكنيسة الرها بالنسبة لليعاقبة...

وكان النصارى يؤلفون معظم سكان القرى المنتشرة في فضاء الموصل مثل باعشيقا[104] وبأحذيذ[105] (قرى قوش) وبيت سحرايا وبرطلي وطرميس. وهي من القرى الكبيرة التي غلب على ديانة أهلها النصرانية[106]. وقد نزح كثير من نصارى القرى والأرياف إلى مدينة الموصل وخاصة في مستهل القرن السادس الهجري وربما كان نتيجة حروب الأتابكة وصراعاتهم حول المجال[107] فكان النصارى بين الضحايا ومع ذلك فإن أوضاع عديد

---

(98) العايب (سلوى بالحاج صالح)، المرجع السابق، ص 46 – 47.

(99) الطبري، المصدر السابق، ج IV، ص 53 ؛ بن حسين (رضا)، المرجع السابق، ص 7

(100) عيواص (أغناطيوس زكا الأول)، المرجع السابق، ص 47.

(101) المسعودي، المصدر السابق، ص 140؛ الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج III، ص 106

(102) عيواص (أغناطيوس زكا الأول)، المرجع السابق، ص 28.

(103) الكلدانيون وهم السريانيون وكانوا شعوبا وقبائل في أرض العراق، الصائغ (القس سليمان)، المصدر السابق، ج I، ص 45 – 47 ؛ شميساني (د. حسن)، مدينة سنجار، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت/لبنان، 1983/1403، ص 250.

(104) الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج I، ص 324.

(105) الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج I، ص 472.

(106) الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج I، ص 458.

(107) ابن خلدون، المصدر السابق، ج V، ص 226 – 227.

الطوائف النصرانية تعتبر حسنة وخاصة اليعاقبة[108] وبسبب تقلب الأوضاع السياسية آنذاك عاني النصارى من الاضطهاد الشديد وقد أكره البعض منهم على الدخول في الإسلام[109] لذلك تذكر لنا المصادر عن تعاون النساطرة في شمال العراق مع المغول[110] وكانوا أعوانا مسهلين لسقوط بعض المدن كالموصل في سنة 659 هـ / 1260 م التي كان القائد المغولي الذي فتحها محبا للنصارى[111] وبعد الغزو المغولي وانصهار ما تبقى من المغول في بلدان الشرق الأدنى تراجعت أعداد النساطرة وأصبحوا يشكلون أقليات عكس الحال الذي كانوا عليه قبل هذا الغزو[112]. أما الفرق النصرانية الموجودة حاليا في المنطقة فلا يمكن أن نعدها ضمن الفرق الثلاث الأولى وخاصة اليعاقبة والنساطرة. وذلك لأن معظمها تعود نشأتها إلى الفترة الحديثة[113].

---

[108] ابن العبري. المصدر السابق. ص 283.

[109] ابن العبري. المصدر السابق. ص 283 – 284.

[110] FIEY (J.M.O.P), Mossoul chrétienne, Collection recherches, l'Institut de lettres orientales de Beyrouth, 1959, Vol. XII, P 46 – 47.

[111] ابن العبري. المصدر السابق. ص 284.

[112] GUEST (J.S), Survival among the Kurds, P 26 – 27.

[113] إن دخول عديد القرى والأديرة الآرامية (السريانية) في صفوف الروم الكاثوليك أي الانضمام إلى الكرسي الروماني في الفاتيكان وخاصة في مناطق العراق الشمالية يعود للسياسة العثمانية الاستبدادية تجاه أبناء الأقليات ففي "الربع الأخير من القرن الثامن عشر انضم قسم من السريان الأرثوذكس في العراق إلى الكرسي الروماني وذلك بدهاء القنصل الفرنسي الذي كان يشير على الحاكم العثماني في الموصل بتثقيل كواهل المسيحيين بالضرائب ومن ناحية أخرى كان يبث المسيحيين الدومنكيين بين المسيحيين السذج يرغبونهم في طلب حماية فرنسا كي يتخلصوا من تلك الضرائب شريطة أن يخضعوا لبابا روما وهكذا دخلت الكثلكة العراق وكان أهل "قرى قوش" أول من اعتنقها سنة 1761 م وبعد أواسط القرن التاسع عشر امتدت إلى برطلة فالموصل. عيواص (البطريك زكا)، المرقاة في حياة راعي الرعاة. حمص، 1958. ص 24 ـ 25 ، عيواص (أغناطيوس زكا الأول). كنيسة أنطاكيا السريانية عبر العصور. ص 45.

6. وصف عام لأهم مذاهب الشيعة في المنطقة

يعتبر المذهب السني من أكثر المذاهب الإسلامية انتشاراً في المناطق الكردية وغيرها وأغلب المسلمين السنة هناك يدينون بالمذهب الشافعي وخاصة الأكراد. كما يوجد أتباع أبي حنيفة النعمان وخاصة في العائلات ذات الأصل التركي. فأتابكة الموصل كانوا سنيين متعصبين للمذهب الحنفي إلى درجة أن عماد الدين زنكي كان كثير الذم لفقهاء الشافعية[114]. وتعود أسباب هذه الشحناء بين الحكام وفقهاء المذاهب إلى تعصب حاكم لمذهب معين أو لوجود معارضة قوية في صفوف المذهب الذي يدين به. فالسنة أغلبية السكان في هذه المنطقة ومنهم يكون الخليفة كما كان إليهم ينتسب الملوك. وتوجد كذلك أقلية من الشيعة الاثني عشرية في الموصل وأطرافها وقد نشط منهم بعض الفقهاء أمثال عبد الرزاق الرسعني المحدث النشط في فضائل آل البيت النبوي لذلك أمره حاكم الموصل بدر الدين لؤلؤ بكتابة ملحمة عن مصرع الحسين[115]. والظاهر أن الشيعة الاثني عشرية كانوا يمثلون أقلية ذات وزن كبير مما جعل بدر الدين لؤلؤ يتقرب منهم ويميل إليهم لكسب موالاتهم ويهتم بالمجالس الحسينية والمآتم ويهتم بمراقد الشيعة في الموصل أو في أعمالها[116].

وإلى جانب الاثني عشرية الذين يمثلون مع السنة طائفتين مسلمتين انبعثتا من الأصل الإسلامي[117] فقد انبعثت من الشيعة عديد الفرق المنقسمة

---

[114] ابن الأثير. التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل. تحقيق عبد القادر طلمات. نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة / مصر. 1963. ص 191

[115] ابن العماد الحنبلي (أبي الفلاح عبد الحي). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت / لبنان. (د.ت). م III. ج 5. ص 100

[116] البغدادي (زين الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن شهاب الدين أحمد). كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب. مطبعة السنة المحمدية. القاهرة/مصر. (د.ت). ج II. ص 274.

[117] كريزر (كلوس). وآخرون. معجم العالم الإسلامي. ترجمة الدكتورة ج كتورة. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت/لبنان. 1991/1411. ص 479 ـ 480.

والأغلبية منها غالت في الانتصار لعلي بن أبي طالب وذريته[118]. ومن أهم فرق الشيعة الغالية نجد:

الشبك: وهم جماعات قليلة يعرفون باسم الشيك أو الشاباك[119] وهم كثيرو الاختلاط مع بعض الفرق ذات الأصل السني كـ"الباجوان" (باج - وان) ولسانهم قريب جدا من لسان الشبك ويتظاهرون بالغلو في شخص الإمام علي ربما تقليدا لأجوارهم أو تظاهرا أمامهم[120] ويختلط الشبك كذلك مع الأكراد والتركمان والعرب. ولسانهم خليط من العربية والكردية والفارسية والتركية وتغلب اللغة التركية أكثر على لسانهم. لذلك نجد عدة احتمالات حول أصول هذه الجماعة الشيعية الغالية وتاريخ نزولها بأرض العراق، فيقال أنهم من العنصر التركي الذين قدموا مع السلاجقة في سنة 447 هـ/1055 م. كما يقال أنهم من عشائر "القره قونيلو والاق قونيلو" من التركمان[121] والشبك يرفعون الإمام علي إلى مقام الألوهية وأنهم لا يعرفون من الإسلام شيئا سوى حب علي وآل علي، حيث يعدون أن حب علي حسنة تمحو كل سيئة[122].

العلي - إلهية: وهم من بقايا الفرق القديمة التي حاربها الإمام علي بن أبي طالب لأنهم غالوا فيه إلى درجة العبادة فروجوا أنه إله ومازالت بقاياها في المناطق الجبلية بشمال العراق وفارس[123] ولا يلتزمون بالفرائض الشرعية. وإذا سئلوا عن ذلك يقولون "نحن لا نصلي لأن عليا عليه السلام جرح وقتل

---

[118] لمزيد الاطلاع عن فرق الشيعة راجع النوبختي. كتاب فرق الشيعة. طبعة ويتر. استنبول. 1930.

[119] زكي (محمد أمين). خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية إلى الآن. ترجمة محمد علي عوني. مطبعة السعادة. القاهرة/مصر. (1948 – 1961). ج 1. ص 29.

[120] الصراف (أحمد حامد). الشبك (من فرق الغلاة في العراق). مطبعة المعارف. بغداد. 1954/1373. ص 91 – 92.

[121] زكي (محمد أمين). المرجع السابق. ج 1. ص 29 ؛ الصراف (أحمد حامد). المرجع السابق. ص 90 – 91 ؛ شميساني (د. حسن). المرجع السابق. ص 275.

[122] الصراف (أحمد حامد). المرجع السابق. ص 5 – 7.

[123] العسكري (السيد عبد الحسين مهدي). العلويون أو النصيرية. نشره المؤلف دون تجديد مكان النشر. بيروت / لبنان. 1980/1400. ص 32.

وهو ذاهب إلى الصلاة وكذلك لا نصوم لأنه قتل في رمضان"[124]. والعلي - إلهية تعتبر امتداد للسبائية[125] التي زعمت أن عليا في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه[126]. ولم تخل المنطقة المذكورة كذلك من ظهور عديد الفرق المماثلة للغلاة في صفة "المعوجة"[127]

(124) الصراف (أحمد حامد)، المرجع السابق، ص 8 ـ 9.

(125) وذهب البعض إلى أنه اسم العلي ـ إلهية "محلي" لأتباع النصيرية أطلقه سكان مناطق كردستان وفارس على المغالين في الإمام علي ولهم صلة قوية بالنصيرية المنسوبة لأبي شعيب محمد بن نصير النميري (المتوفي حوالي 270 هـ / 884 م). حتى (فيليب). تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين. ترجمة كمال اليازجي. دار الثقافة. بيروت / لبنان، 1959، ج II، ص 143 ـ 144. العسكري (السيد عبد الحسين مهدي)، المرجع السابق، ص 7، 31 ـ 32.

(126) البغدادي. الفرق بين الفرق. ص 234.

(127) زكي (محمد أمين). المرجع السابق. ج I. ص 29.

الباب الأول

أركيولوجية ديانات الشرق الأدنى
وانتشار الفكر الإنقاذي المهدوي

الفصل الأول

ديانات بلاد ما بين النهرين وإيران والأناضول

1. ديانات ما بين النهرين

أ- ديانات سومر وبابل

إن عديد الأفكار التي يعتبرها البعض جوهر عقيدته لها جذور موغلة في القدم فعديد الأفكار والعقائد لم تعرفها اليهودية إلا بعد السبي البابلي وأن اليهود أخذوها عن "الزروانية" ثم تطورت بعدما تم إثراؤها بالأفكار الغنوطسية لبلاد بابل وشمالي بلاد الرافدين[1]. وظلت هذه الأفكار والعقائد راسخة في عقول أتباعها وقلوبهم حتى ما بعد التوحيد الديني وانتشار المسيحية والإسلام خاصة.

فاليزيدية وهي مما يعتبر جديداً. مذهب كان انتشاره محدوداً وكانت المعرفة به قليلة بالرغم من تكاثف أعمال الدارسين فقد بقي غامضاً. ولأجل تبيان بعض أصولها وجذورها رأينا الغوص في البحث في ديانات المنطقة قديما من هضبة الأناضول شمالاً إلى بابل جنوباً والهضبة الإيرانية حيث مركز الزرادشتية إلى سواحل الفرات غرباً. وإن لم نقل إن عدة أفكار تجاوزت الحدود بين حضارتي وادي النيل وما بين النهرين والهضبة

---

[1] نغرين (جيووايد). ماني والمانوية. (دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها). ترجمة د. سهيل زكار. دار حسان للطباعة والنشر. دمشق. 1985. ص 7.

الفارسية (دعوة زرادشت الحكيم في إيران وإخناتون في مصر التي مازالت آثارها باقية بل سابقة لأي فكر ديني إنساني).

وتعتبر منطقة الهضبة الإيرانية وشمال بلاد الرافدين من أكبر المراكز الحضارية الكبرى لما لعبته حركات الإصلاح الديني الإيرانية أو البابلية وغيرها... من دور في غرس معتقدات وقيم جديدة لكل شعوب الإنسانية. كشريعة حمورابي وأسطورة الخلق البابلية التي توارثتها كل الديانات والتشابه الكبير الذي نجده في قصص ولادة الأنبياء والقيادات الكبرى وجدناه لدى هؤلاء في كتاباتهم المسمارية فالإرث الرافدي القديم تغلغل لدى معتنقي الديانة اليهودية ومنها إلى كل الديانات السماوية خاصة بعد السبي البابلي. فكتبة العهد القديم اقتبسوا الكثير من معتقدات بابل وبلاد ما بين النهرين ونجد الشيء نفسه عند كل من تأثر بالحكيم "زرادشت" ففكره الديني التوحيدي سبق به حتى أصحاب الديانات السماوية وغيرها وكما بين هيقل "أن الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون له دين وأن الحيوانات تفتقر إلى الدين بمقدار ما تفتقر إلى القانون والأخلاق"[2].

فدراسة العقائد والطقوس الدينية لأي شعب تكشف عن طبائعه[3]. ونبدأ بديانات بلاد ما بين النهرين حيث موطن الشعوب السومرية والبابلية والآشورية ومن هناك كان التأثير الأكبر في جميع الديانات وتطورها ناهيك أن المنطقة ذات تركيبات عرقية مختلفة ومزيج ثقافي مختلط مهد فيما بعد لظهور الديانات التوحيدية الثلاث: اليهودية. المسيحية والإسلام التي تأثرت كثيراً بالفكر الديني الرافدي[4] والحضارات المبكرة في الشرق الأدنى القديم أعطت لنا فرصة عن نشأة الأديان.

---

(2) هيقل. موسوعة العلوم الفلسفية. ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام. دار التنوير. بيروت / لبنان. 1983. ص 47 - 48.

(3) برنارد (جفري). المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام. سلسلة عالم المعرفة. العدد 173. ماى 1993. ص 8.

(4) بارندر (جفري). المرجع السابق. ص 11.

فالساكن في هذه البلاد على وعي بالقوى الغيبية الروحية التي يعتمد عليها وجود أي مجموعة بشرية. فالتاريخ يبدأ من سومر (بالرغم من جهل الجميع لأصل هذا الشعب غير السامي)[5].

▪ قصة الخلق الرافدية بين تعدد الآلهة واستمرارية الموروث

فالعناصر الرئيسية التي يتألف منها الكون عندهم هي السماء ويطابقون بينها وبين "آن" (An) وهو الإله الرئيسي في مجمع الآلهة السومرية ويرمزون إليه بغطاء للرأس ذي قرون علامة على ألوهيته فهو الإله الأعلى والقادر. والأرض (أنكي Anki) وهي رب الأرض (إله الأساسات) الذي إلاها للمياه لأن الأرض كانت معتبرة في المفهوم السومري قائمة على الماء[6] بينما إله المحيطات والمياه عند قدماء العراقيين هو "أبسو" (Apsu) الذي بيده أمر المياه التي تستقر حول قرص الأرض[7] أما الكائنات التي تعلو الإنسان والموجودات غير المنظورة التي تتحكم في الكون الكبير وتتجسد فيه فكانت بالضرورة توصف بصفات بشرية من ذلك أنها كالرجال والنساء لها انفعالاتها الطاغية كما أنها تأكل وتشرب وتتزوج وتنجب أطفالاً وتقتني خدما ومنازل لكنها على خلاف البشر خالدة "فالآلهة عندما خلقت البشر احتفظت لهم

---

[5] إلياد (مارسيا). تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية. ترجمة عبد الهادي عباس. ج أ. دار دمشق. 1986 ـ 1987. ص 79. الصفدي (د. هشام). تاريخ الشرق القديم. منشورات جامعة دمشق. 1992. ج ا، ص 126 ـ 128. فرزات (محمد حرب) ومرعي (عيد). دول وحضارات في الشرق العربي القديم. دار طلاس للدراسات والنشر والترجمة. 1990. ص 52 ـ 57.

[6] إلياد (ميرسيا). المرجع السابق. ص 81.

[7] الأمين (د.محمود). "شعار سومر رمز الحياة الخالدة والحكمة والعرفان". سومر. مجلد VIII. ج 2. 1952. ص 222.

بالموت وأبقت الحياة في يدها"[8]. ووفقا للعقيدة السومرية نجد أن تعدد الآلهة (Polytheisme) لم يكن يثير قلق رجال الدين السومريين وبعد ذلك (أي حوالي 2500 ق م) وضع السومريون مئات الأسماء المقدسة، وصنفوا كلا منها على أنه إله (والإله في السومرية هو دينجر (Dingir) وفي السامية إيل)[9].

وجعلوا لكل إله خاصية أو صفة مميزة وكتبوا هذه الأسماء مع تصديرها بعلامة لأحد النجوم أو الكواكب. وهذا ما سنراه عند اليزيدية وتعدد آلهتهم المقدسة التي ربطوها بأسماء وكواكب معينة. علما أن لكل إله سومري مناطق نفوذ محددة ولكن كل هذه الآلهة تلتقي حول إله قوي واحد تعود بالنظر إليه كزوجات وأبناء أو خدم أو نتاج زواج مقدس[10].

وعندما تهزم مدينة يصبح إلهها إله المدينة الغالبة، مثلما حدث لـ "نيبور" (Nippur) المجاورة لأوروك أصبح إلهها "إنليل"(Enlil) الليل: (Elil)[11] (سيد الغلاف الجوي والرياح عند السومريين بمعنى سيد النسيم وهو يأتي الثاني بعد رئيس مجموع الآلهة "آنو" (Anu)[12] ويعود إليه خلق الشمس والقمر والأدوات التي بإمكان الإنسان السيطرة عليها. بل إن بعض النصوص الدينية تقول بأن إنليل هو ابن آنو وهو الماسك بألواح القدر للناس جميعا وقد استولى على مكانته الإله "مردوخ" (Marduk) الإله القومي للبابليين في عهد حمورابي[13] حيث نال درجات كبرى من التعظيم والقداسة ويرجعون إليه خلق التراب. ومصادرنا هي الملاحم والتراتيل الدينية الخاصة بهذه المعابد والآلهة. وفيما يذكر عن "مردوخ: بحياكة بناء القصب فوق المياه

---

(8) بارندر (جفري). المرجع السابق. ص 12

(9) بارندر (جفري). المرجع السابق. ص 13.

(10) باقر (طه). "ديانة البابليين والآشوريين". سومر. المجلد II. ج 1. 1946. ص 4 .

(11) بارندر (جفري). المرجع السابق. ص 14.

(12) هو الإله "أن" (An) ويلفظ بالأكادية "آنوم" أو "آنو" حسب المترجم. عبد الفتاح (د. إمام). نفس المرجع. ص 14. إلياد (مرسيا). المرجع السابق. ج I. ص 81.

(13) باقر (طه). المرجع السابق. ص 4 .

وذلك خلقه للتراب الذي جعله مكدسا فوق البناء وبعد خلقه لمعبد الأيزاكيل في بابل".[14]

وقصة "مردوخ" نفسها وجدت في "دلفي" (Delphes)[15] إحدى المدن اليونانية فهي قلب العالم أو محور العالم (Egocentrisme). وكذلك نجد في أخبار العرب مثل هذه القصة عن الكعبة (البيت المعمور) وتدور أحداث القصة كما ذكرها الإخباريون: الكعبة بنتها الملائكة قبل خلق آدم بألفي عام وكانوا يحجون إليها وفي رواية العمري في كتابه "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"[16] عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال "خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة وكان عرشه على الماء على زبدة بيضاء فدحيت تحته" وبالعودة إلى المصادر الأقدم وما يروى حول ذلك نجد تفسير الإمام علي لقوله تعالى "البحر المسجور" بأنه بحر تحت العرش[17] وهذه الرواية زادت في تعظيم المكان فهو من أقدس البقاع عند العرب قبل الإسلام وبعده ولذلك كانت الروايات تنسج حوله وعمل الإخباريون على بناء هذه الأحداث، على أن كل مكان تتجلي فيه الآلهة. يغدو محرماً وآمناً بالإضافة إلى قدسيته ويؤكد هنا الإنسان وبكل إرادة وتلقائية تبعيته إلى قوة غيبية تهيمن عليه حتى في تقاليدنا الحياتية اليومية عندما ندخل إلى مكان مظلم نقول "باسم الله" وإذا ذكرنا الجن وعالمهم الغريب نذكر اسم الله وإذا عبرنا مجرى مياه الصرف المنزلي خوفاً من أن نتأذى نذكر اسم الله. وهذا دليل على إيمان متوارث منذ القدم بوجود قوة غيبية مهيمنة على حياتنا العادية والروحية.

---

(14) كاسان (إيلينا)، "مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين". ترجمة د. وليد الجادر. مجلة سومر. المجلد XXXI. ج 1 و2. 1975. ص 334

(15) مدينة يونانية تقع في الأطراف الجنوبية الغربية من مرتفعات "بارناس"، تعتبر هذه المدينة من المدن الغربية التي احتوت على أكبر الكنوز التي ضمت نماذج عديدة من فنون النحت الإغريقي القديم. كاسان (إيلينا)، المرجع السابق. هامش ص 334.

(16) العمري (ابن فضل الله شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحي)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق أحمد زكي باشا. القاهرة 1921، ص 93.

(17) ابن قتيبة (أبي محمد عبد الله بن مسلم)، المعارف، حققه وقدم له د. ثروت عكاشة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ص 10.

أما قدسية المكان الخاص بالكعبة وما نسجه الإخباريون حول ذلك من أخبار فنصادفها في أشكال مماثلة تماما أو نسبيا في أغلب الحضارات القديمة. وتذهب المأثورات الإسلامية في بعض الأحيان إلى أن الكعبة هي خيمة السماء[18] "وهي ياقوتة مفرغة أرسلها الله إلى آدم ليعزيه (أو يعوضه) عن فقدانه الجنة وهي أيضا مركز العالم وصرته"[19] فالأفكار المتوارثة عن المعتقدات المتعلقة بقدسية المكان مقبولة دينيا عند أصحاب الرسالات السماوية وتحديدا الإسلام.

وفي بلاد ما بين النهرين عمل الإنسان على تقديس مدينته وجعلها قطب الرحى وكذلك قصة الخلق البابلية التي توارثت عند العديد من الشعوب بل اعتبرها مؤرخو الإسلام حقيقة خاصة وأنها نفسها في التوراة التي اقتبست الكثير من الأدب والمعتقدات والأساطير الرافدية. وسوف نذكرها.

فالماء رمز للحياة والعرفان والحكمة فكان "آن" وهو إله يلهمهم العقل والحكمة والعرفان[20] ويعمل كل ملك من الملوك أن يعبر النهر الذي هو حمى ومقدس للإله وكل من عبره فقد استمد المهارة والحكمة وتعمل "عشتار" على إلهام الملوك والأبطال الأسطوريين بمعية "آيا" إله الحكمة والطب والشفاء وكذلك ابنتها الآلهة "نينا"(Nina) التي أعطاها والدها مسؤولية الينابيع والأنهار والأمطار والظاهر أنها هي التي تتجلى بين غيوم السماء حاملة بيدها ينبوع الحياة الفوار[21] وكل ملك يقدم على عبور مياه "الزاب" الهائجة فهو جدير بمحاربة ملك المحيطات والثوار في بلاد البحر والشيء الملفت للانتباه الوصف المتعلق بالإله "إيا" الذي بقي منحوتاً في ذاكرة مؤرخي بابل فقد

---

(18) ابن قتيبة. المصدر السابق. ص 20

(19) شلحد (يوسف). بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده. تعريب د. خليل أحمد خليل. دار الطليعة. بيروت/ لبنان. 1996. ص 151.

(20) الأمين (د. محمود). المرجع السابق. ص 226.

(21) Cuneiform texts from Babylanian tablets in the British Museum, XVI, 13, II, 38, Hilprecht, the Babylanian expedition of the university of Pennsylvania, Nr 1, 83, 22.

عبروا عنه "بأنه مخلوق سحري يقضي الليل في مياه الخليج ويخرج منها عند طلوع النهار"[22].

وفيما يخص دخول آيا الماء في الليل وخروجها منه عند طلوع النهار فقد وجدنا أصداء عنه في طقوس اليزيدية التي لها عقائد وطقوس دينية واجتماعية ضاربة في القدم وهي الاستحمام والصلاة في مياه العيون عند طلوع الشمس. أما الصابئة المندائيون فهم يقيمون عند سواحل الأنهار والبحيرات الداخلية العذبة والماء الحي أو الجاري هو رمز الحياة العظمى عندهم[23]. فمن الواضح أن الماء كان يلعب دوراً خطيراً في معتقدات الشعوب التي استقرت في بلاد ما بين النهرين من ناحية المعالجة الدينية ولاسيما في مراسم التعاويذ والعزائم وقراءة الأدعية وعمليات الرقي وقد كان يطلق عليه ماء الحياة الذي يحيي الموتى وينجيهم من الأمراض والخبائث ويعتق المجذومين منهم فكان هذا الماء يصب على المرضى من نفس الإناء الذي يمثل الينبوع الفوار فينجيهم من الموت ويطرد عنهم السوء ويجدد لهم الحياة.

وبما أن الإله "آيا" هو المسيطر والمالك لماء الحياة هذا. فهو إذن حسب معتقدات قدماء بلاد ما بين النهرين رب الماء المقدس[24] وهو رئيس آلهة التعاويذ والعزائم[25] وكان اسمه يردد في الرقي باسم "سيد الشفاء" (بيل أو بعل شفى) ويساعده مجمع الكهنة المباشرين لعمليات التعاويذ وينوبون عنه في بعض الأحيان والحالة نفسها نجدها اليوم عند شيوخ الطرق الصوفية ومريديهم حتى أنهم يقولون أخذ فلان من الناس الطريقة من شيخه أو سيده فلان وإذا كانت للشيخ مواهب وقدرات رهيبة فعليه أن يعطيها لأفضل مريديه الثقاة فعند الكثير من الطرق كالقادرية والنقشبندية والبكتاشية والعدوية (اليزيدية) تعليمات تجيز لأتباعها قراءة التعاويذ على المرضى

---

[22] الأمين (د. محمود). المرجع السابق. ص226.

[23] حمادة (محمد عمر). تاريخ الصابئة المندائيين. دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق. 1992. ص 43.

[24] الأمين (د. محمود). المرجع السابق. ص 227.

[25] الأمين (د. محمود). المرجع السابق. ص 227.

وكتابة الرقي والطلاسم وسكب الماء المعوذ (المقروء عليه آيات قرآنية وأذكار وأوراد) بل نجد أن البعض يأتي بالماء من منزله ليقرأ عليه في المسجد يوم الجمعة وليتبرك ويوزع على أصحاب الدار أو ماء زمزم عندما يحمله العائدون من الحج وكذلك ماء زمزم معبد لالش حيث يشرب منه حجاج اليزيدية.

وكان قدماء بلاد الرافدين يعتقدون أن الأرواح الشريرة والخبائث من عالم الجن تدخل جسد الإنسان وتسبب له أمراضا وتدخل هذه الخبائث عن طريق الفم ولذلك كان الكهنة ومساعدوهم ينصحون الناس بالحيلولة دون دخول "الجان في الأباريق والجرار لأنها تدخل في جوف الإنسان عن طريقها أثناء الشرب ويميزون حضور هذه الأرواح الخبيثة بالدردقة التي تحدث عند سكب الماء"[26] وقد وجد هذا الاعتقاد عند اليزيدية وقد أشار إلى ذلك Louis Massignon بأن اليزيدية تخاف من دردقة المياه عند صبها من الجرار خاصة إن كانت أفواهها ضيقة[27] فربما تأتيهم أرواح شريرة تسكن داخلها ويوصون بناتهم بعدم شرب مياه الجرار طويلة العنق.

ويعتبر ماء دجلة أكثر قدسية من مياه الفرات عند الآشوريين سكان شمال العراق وهم يعتقدون بذلك إلى اليوم وينظرون إلى ماء دجلة نظرة تعظيم وتقديس[28].

أما المجموعة الثانية من الآلهة فتتألف من الكواكب والنجوم فالشمس عرفت عند السومريين بـ "أتو" وعند الساميين "شاماس" أو "شمس". والقمر وهو "ننار" (Nannar) أو "سين" عند السومريين[29] أما الكواكب الرئيسية ونجمة الصباح عشتار (Ishtar) كوكب الزهرة "فينوس" (Venus) و"عشتار" كلمة أكادية بمعنى الآلهة وهي تعني المعبودة الشخصية وقد اشتق اسمها من

---

(26) الأمين (د. محمود). المرجع السابق. ص 228.

(27) MASSIGNON (Louis), La passion de Husayan Ibn Mansour Hallaj, Gallimard, Paris, 1975, Tome II, P 38

(28) الأمين (د. محمود). المرجع السابق. ص229

(29) بارندر (جفري). المرجع السابق. ص 16. حنون (نائل). "هل كان تموز في عقائد السومريين والأكاديين إله الخصوبة أو من آلهة الحب". سومر. المجلد XXXVI. ج 1 و2. 1980. ص 41

(Ishtaritu) بمعنى المقدسة وصفاتها مأخوذة من صنف معين من النسوة اللواتي كن مكسوات حسب الظاهر للخدمة في المعابد بممارستهن للعهر المقدس[30] (Sacred prostitution) فالإله "سين" (القمر) قد وردت الإشارة إليه في أحد النصوص السومرية (أي أناتم) فهو الثور الفتي المفعم بالحيوية للإله إنليل ونجد عند اليزيدية إله القمر "سين" هو الملك السابع عندهم (نورائيل، ولقب باسم أحد شيوخهم "الشيخ فخر الدين")[31] أما عند أهل حران فقد جعل عندهم يوم الإثنين يوما مقدسا لهذا الإله سين (القمر)[32].

أما أتو (الشمس) فقد لقب في أسطورة (أنكي) بلقب الثور الذي سيعرض عضلاته ببسالة في غابة (فاشر Khasher)[33] ومعه الآلهة "أنانا" (Inana) وهي بالأكادية "عشتار" العظيمة التي استحوذت على كل وظائف الآلهة الأنثوية وأصبحت محظية في جميع المعابد فهي راعية الحرب والحب في آن واحد[34].

وما زال المصطلح ذوالمعنى الجنسي لعشتاروت في اللغة العربية حيث نقول عشرت الناقة وأعشرت بمعنى حملت[35] ومن الطبيعي أن تقرن "عشتار" بصفتها الإنسانية كربة للجمال بأكثر نجوم السماء لمعانا حيث عرفت بنجمة "الزهرة" في النصوص الفلكية البابلية[36].

لقد كانت معظم الآلهة في بلاد ما بين النهرين تجسيدا لمظاهر الطبيعة المختلفة وخاصة النجوم والكواكب وحين ظهر أمر اليزيدية في هذه البقاع عملت على الحفاظ على الإرث العقائدي والحضاري لسكان بلاد ما بين

---

[30] عبد الواحد (علي د.فاضل)، "عشتار وتموز جذور المعتقدات الخاصة بهما في حضارة وادي الرافدين". المجلد IXXX، ج 1 و2، 1975. ص44

[31] الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 41

[32] حبيب (جورج)، <u>اليزيدية بقايا دين قديم</u> (بحث تاريخي)، دار بترا، دمشق، 1996. ص37

[33] حنون (نائل)، المرجع السابق، ص 41

[34] العهد القديم، سفر الملوك الأول (11: 1، 4، 5)؛ صموئيل الأول 31 : 10. بارندر (جفري)، المرجع السابق، ص 17، عبد الواحد (علي د.فاضل)، المرجع السابق، ص 39 .

[35] بارندر (جفري)، المرجع السابق، ص 17.

[36] عبد الواحد (علي د. فاضل)، المرجع السابق، ص 50.

النهرين فأعطوا لصلحائهم وأوليائهم أسماء آلهة الأجداد وعظمتهم وخوارقهم. فالبابليون اعتقدوا بأن الشمس تمثل الإله "شمس" والقمر الإله "سن". وعطارد الإله "نابو" والزهرة الآلهة "عشتار" والمريخ الإله "نركال" والمشتري الإله "مردوخ" وزحل "الإله"نتورتا" وجعلوا لكل إله يوما من أيام الأسبوع. فيوم الأحد للإله شمس والاثنين للقمر (سن)، الثلاثاء للمريخ ويوم الأربعاء لعطارد (نابو = نابق). يوم الخميس للمشتري (بعل مردوخ). يوم الجمعة للزهرة (عشتار) ويوم السبت لزحل[37].

أما اليزيدية فقد أعطت لملائكتها السبعة أو "صلحائها" لكل منهم يوما من أيام الأسبوع:

ففي يوم الأحد خلق الملك الأول (عزازيل) وهو طاووس ملك رئيس الجميع.
وفي يوم الاثنين خلق الملك "دردائيل" وهو الشيخ حسن[38].
وفي يوم الثلاثاء خلق الملك "إسرافيل" وهو الشيخ شمس الدين[39].
وفي يوم الأربعاء خلق الملك "ميكائيل" وهو الشيخ أبو بكر.
وفي يوم الخميس خلق الملك "جبرائيل" وهو سجادين[40].
وفي يوم الجمعة خلق الملك "شمنائيل" وهو ناصر الدين.
وفي يوم السبت خلق الملك السابع "نورائيل" وهو الشيخ فخر الدين[41].

وإن مجمل هذه المقارنات ليست بدليل كاف حتى تتضح الحقيقة العلمية الواجب علينا تحديدها. فيتحتم علينا العودة كذلك إلى قصة الخلق البابلية الضاربة في أعماق التاريخ الرافدي القديم خاصة وأن جميع شعوب الشرق الأدنى القديم قد استمدت من هذا الإرث في أعماق الحفريات الرافدية.

---

(37) حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 37.
(38) وهو نفس الاسم للشيخ حسن وقد لقب بـ"شمس الدين". ابن المستوفي المصدر السابق. ق1. ص 116 ـ 117، ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. ج V. ص 229 ـ 230
(39) انظر الهامش السابق
(40) وهو المنعوت بسراج الدين.
(41) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 40 ـ 41.

فقصة الخلق البابلية نجدها عند كل الشعوب المجاورة. فقصة الخلق والتكوين أو الأسطورة التي عمل الفكر الديني في خطواته الأولى على حبكها ونسجها تمثل أصل الموجودات وهي نفسها عند قدماء البابليين وحتى عند العبرانيين في التوراة[42]. ولكن بصيغة مختلفة تعود لخصوصية كل شعب وحسب طبيعة نظرته للكون.

وفي الحقيقة تمت حياكة الأساطير ونسجها خيال الشعوب الشرقية. فتاريخ هذه الشعوب مختلط بالأسطورة[43] لذلك كتبت الملاحم والأساطير واحتل الأبطال فيها مكانة هامة خاصة بعد أن أصبحوا ملوكا فحرم الموت على أجسادهم[44]. وحولوا أنفسهم إلى أنصاف آلهة من طبيعة "ناسوتية" وآلهية وهذا ما نجده عند عديد الطوائف النصرانية أمثال أتباع نسطور السرياني في شخصية السيد المسيح[45].

ولذا نقول إن هذا التأثير العميق في جوهر عقائد الديانات التوحيدية ممتد منذ الأصول الأولى بل إن بعض الفرق الإسلامية الغالية ذهبت إلى تأليه أشخاص وإعطائهم القدرات التي لم نسمع بها حتى عند الأنبياء (ولكن دوما نحتاج إلى الجرأة العلمية التي من الممكن أن تحطم عديد الحواجز المعترضة لكل عمل هادف).

فكثير من الآلهة الرافدية ذات أصول بشرية وإن الأساطير القديمة ما هي إلا قصص عن الآلهة وخلقها للكون وهذه الأساطير تولى الإنسان صياغتها ونسجها وخاصة في منطقة الشرق الأدنى القديم. فمن المستحيل فهم الدين وبشكل عام فهم أسلوب الثقافة التي سادت بلاد الرافدين فالعديد من

---

(42) عرنوق (مفيد). التوراة والتراث السوري. دار النضال للطباعة والنشر. بيروت / لبنان. 1987. ص 40 - 41

(43) راجع مقالة أبو زيد (أحمد). "الملاحم كتاريخ وثقافة مثال من الهند الرمايانا". مجلة عالم الفكر. المجلد XVI. العدد الأول. 1985. حسن (محمد خليفة). الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم (دراسة في ملحمة جاجامش). عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. 1997. ص 23 .

(44) حسن (محمد خليفة). المرجع نفسه. ص 23.

(45) راجع ما سبق حول المذاهب المسيحية.

الأساطير التي تحكي عن نشأة الكون وعن الأصل محفوظة في "الأنوما أليش" (Anoma Elish) وفي ملحمة جلجامش[46] وأترخاسيس[47].

وقد يتساءل متسائل من أين جاءت هذه الأفكار الأسطورية عن الحياة والكل يعلم أن الأسطورة تشكل ركنا هاما في تاريخنا الإنساني إذا تعتبر الأسطورة بمثابة التاريخ الصحيح لأنها تروي كيف خرجت الأشياء الفعلية إلى الوجود فهي المثل النموذجي لأفعال أجدادنا وذكرها يعني الدليل القاطع القوي الذي يبرر كل هذا ؟[48]

إذن لعبت الأسطورة دورا هاما في نشأة هذه الأفكار حول الحياة والنشأة في الفكر الرافدي القديم، فأسطورة الخلق البابلية حددت الموقف بالصورة الآتية: أن العالم قد خلق من جسم تيامت آلهة الحياة المالحة[49].

وتتلخص هذه القصة كما يلي "في البدء لم تخلق السماء ولا الأرض ولم يكن سوى العمى، تمثله المياه الأولى التي تولدت منها الآلهة وجميع الأشياء وكانت هذه المياه عنصرين مختلطين[50] من الإله (أبسو) وزوجته الآلهة "تيامت" وبعد صراع بين الإله "أبسو" والإله "أيا" وقتل نتيجة لذلك "أبسو" واحتد الصراع بين الآلهة الجديدة (الحديثة) المتمثلة في "أيا" وأبناء "أبسو" المتمردين على أبيهم وأمهم (تيامت) وكان على رأسهم الإله العنيف "مردوخ"

---

(46) إلياد (مرسيا)، الحنين إلى الأصول في منهجية الأديان وتاريخها، ترجمة حسن قبيس، دار قابس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت / لبنان، 1994، ص 103، حسن (د.محمد خليفة)، المرجع السابق، ص 23 .

(47) كاسان (ايلينا)، المرجع السابق، ص 335، أساطير من بلاد ما بين النهرين، جمع وترجمة سيتفاني م. دالي، ترجمته إلى العربية د. نجوى نصر، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت / لبنان، 1997، ص 21.

(48) عرنوق (مفيد)، المرجع السابق، ص 47، إلياد (مرسيا)، المرجع السابق، ص 106.

(49) كرومي (كيورك مرزينا)، "ملامح في الفكر العراقي القديم"، مجلة آداب الرافدين، الصادرة عن جامعة الموصل، العدد IX، 1 أيلول 1978، ص 106.

(50) باقر (طه) وفرنسيس (بشير)، "الخليقة وأصل الوجود"، مجلة سومر، المجلد V، ج 1، كانون الثاني 1949، ص4.

الذي آمن به الناس كإله أكبر من كل الآلهة وعلى يديه خلقت البشرية وجرى الطوفان[51].

وعبثا حاولت تيامت التصدي للآلهة ومن جسمها الذي قسم إلى نصفين كان الخلق. النصف الأعلى منه كانت السماء والنصف الأسفل كانت الأرض ووضع كل مناطق السماء والكواكب ونظام الفصول والأوقات. ثم رأى الإله المجدد "مردوخ" أن يخلق مخلوقاً من دم ولحم وعظم هو الإنسان ليعبد الآلهة ومن دماء الآلهة المذنبة التي ساندت الآلهة القديمة ضد المجددين ومن التراب خلق الإنسان[52].

يتيح لنا عرضنا لهذا الموروث الديني في الآداب الرافدية القديمة أن نقدم هذه الاستنتاجات:

- وجود تشابه وتناظر واضحين بين قصة الخليقة الرافدية (السومرية، البابلية) "اينوما ايليش وغيرها" وبين التوراة العبرانية (سفر التكوين) فكلتا القصتين عن خلق الأول للكون تشير إلى وجود عمى (Chaos)[53]

- والظاهر أن هذه الأفكار الدينية الأسطورية سارت في خط متناسق أو منتظم لدى شعوب منطقة الهلال الخصيب دون انقطاع باستثناء بعض التغييرات في أسماء الآلهة ودون مساس بوظائفها التي لأجلها خلقت.

- وفي أيام السبي البابلي كان الاحتكاك الكبير بين اليهود وشعوب بلاد الرافدين حيث وقفوا على التراث الديني القديم لهذه البلاد وفي هذا المنفى بالذات كتبت التوراة على يد "عزرا" في حدود سنة 586 ق م[54].

---

(51) مظهر (سليمان)، أساطير من الشرق. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997. ص 87، إلياد (مرسيا). المرجع السابق. ج ا. ص 96.

(52) باقر(طه) وفرنسيس (بشير)، المرجع السابق. ص 4 ـ 5، مظهر (سليمان). المرجع السابق. ص 61، إلياد (مرسيا). المرجع السابق. ج ا. ص 96 .

(53) العهد القديم. سفر التكوين (1): 1-2، باقر (طه) وفرنسيس (بشير). المرجع السابق. ص6، عرنوق (مفيد)، المرجع السابق. ص 39 — 40.

(54) عرنوق (مفيد)، المرجع السابق. ص 39.

أما اختلاط المياه في القصة البابلية فيؤكد أهمية الماء لأنها المادة الأولى وأصل الأشياء وهذه المادة مؤلفة من عنصرين من الماء. ففكرة المياه العذبة للإله "أبسو" وهو العنصر المذكر والمياه المالحة الآلهة "تيامت" وهي العنصر المؤنث.

ومنها يكون استنتاجنا واضحاً بأن فكرة الإنسان الرافدي تنهض على ما تأثر به من فكرة التلازم للصفة الثنائية للمادة المتكونة من زوجين إلهيين ويمكن أن نعبر بصيغة أخرى عن ذلك فالروح والمادة متلازمان منذ أول الخليقة[55]. وسوف نرى لاحقا بأن فكرة نشأة الكون عند أتباع الطائفة العدوية "اليزيدية" قد نهلت من هذا الإرث العميق في تاريخه وجوهر عقيدتها حول التكوين (التكوين اليزيدي) ما هو إلا تواز لنفس الخط القديم وتراكمات على امتداد قرون غابرة.

ومن أشهر القصص الموروثة عن الثقافة الرافدية قصة الطوفان.

▪ الطوفان الرافدي

يعتبر من الحقائق المعروفة عن أصول التراث الحضاري في بلاد ما بين النهرين فالفضل الأكبر يعود للسومريين في ابتداع فكرة هذا الطوفان. أما ما نراه بعد ذلك من إضافات جديدة في شكلها فقد تجلى فضل الساميين (خاصة البابليين) في الجمع ثم الإضافة كما ذكرنا قبل قليل، فقصة الطوفان قديمة في جذورها وهذه القصة مثل غيرها من القصص كالخليقة والتكوين والملاحم[56] الكبرى كانت منبعاً لجميع شعوب المنطقة التي تلت السومريين

---

(55) باقر (طه) وفرنسيس (بشير). المرجع السابق. ص 6.

(56) علي (د. فاضل عبد الواحد). "ثم جاء الطوفان". مجلة سومر. المجلد XXXI. ج 1 ـ 2. 1975. ص 5.

من بابليين وآشوريين وعبرانيين وتلقمت بأساطير هذه الأمم[57] بل إن اليزيدية لهم عقيدتهم الخاصة في الطوفان وهي مزيج من العقائد الدينية لجميع الشعوب التي حكمت مناطقهم، فنجد آثارا مقتبسة عن السومريين والساميين بل نجد فيها تأثيرات إسلامية واضحة وسنعود إلى هذا الموضوع لاحقا بعد دراسة الطوفان ضمن الإرث الديني لبلاد ما بين النهرين ومدى اتصاله بالتراث الديني لليزيدية وكيف تنقلت هذه القصة عند بقية الأمم حتى أصحاب الديانات السماوية (اليهود والمسلمين).

وقد اقتبس الساميون من أهل بابل هذه القصة في حدود سنة 2000 ق م بل حتى الحثيين[58] في الأناضول أخذوا من المنهل القصصي السومري بالرغم من تواجدهم شمال بلاد الرافدين بواسطة البابليين في حوالي 1800 ق م[59].

ونجد صدى الطوفان واضحا في سفر التكوين[60] وكذلك في القرآن الذي ذكر نفس الفكرة والمحتوى[61] وتعتبر ملحمة جلجامش المصدر الأول الذي ذكر تفاصيل قصة الطوفان فنوح الذي صنع السفينة.هو رجل شروباك أو ابن أوبارانوتو الذي فكك أخشاب منزله لصنع السفينة وعمل على إنقاذ الحياة من على وجه الأرض[62].

---

(57) جميل (السيد فؤاد)، "الطوفان في المصادر السومرية، البابلية، الآشورية والعبرانية". (دراسة نقدية). مجلة سومر، المجلد XXIIX، ج 1 - 2، 1972، ص 87.

(58) شعب هند وأوروبي استقر في الأناضول وعرفت بلاده "ببلاد حاتي" التي ظهرت في الألف الثانية ق. م وتوسعت في شمال سورية وبلاد الرافدين، كانت لها علاقات تجارية مع الآشوريين وسرعان ما أصبحت إمبراطورية واسعة بعد ذلك (1430 ـ 1200 ق. م) وأضحت القوة الرئيسية المنافسة للفراعنة وامتدت دولتهم من الأناضول إلى البحر المتوسط وفي سنة 1595 ق. م قامت الجيوش الحثية بغزو خاطف ومذهل على بابل انتهت بسقوط عاصمة بلاد الرافدين. فرزات (د. محمد حرب)، موجز في تاريخ سورية القديم، منشورات جامعة دمشق، 1985، ص 138.

(59) جرني (أ. د)، الحيثيون، ترجمة د. محمد عبد القادر محمد، مراجعة د. فيصل الوائلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص 214 - 219 .

(60) العهد القديم، سفر التكوين : (6 ـ 9) .

(61) هود (11: 25- 48) .

(62) أساطير من بلاد الرافدين، "ملحمة جلجامش"، لوحة 11، ص 138.

ويتجلى من خلال هذا الذي أوردناه أن الشعوب البدائية والمتحضرة تروي. قصة الطوفان جيلا إثر جيل ومما ورد في الرخيمات الآشورية والأساطير السومرية وهي الأصل والمنبع الذي تفرعت منه إلى هذه القصة. وقد انبثقت هذه القصة عن أصول الأساطير السومرية ثم دخلت التراث الأدبي لبلاد ما بين النهرين ومن الممكن أن نقول عنها "قصص دينية" كما هو الحال عند أصحاب الديانات السماوية التوراة وقصصهم المفصلة قصص القرآن الوعظية للاعتبار عن الأمم الغابرة... كذلك امتد تأثيرها إلى جميع الشعوب والحضارات المجاورة ويذهب كثير من الباحثين إلى أن قصة نوح في التوراة كتبها عزرا وقد عاش في حدود سنة 458 ق.م وكان من بطانة الملك ارتحشتا[63] ملك بابل وبالتالي فقصة الطوفان التوراتية قد اقتبست الكثير عن القصة البابلية. ففي القصتين البابلية والتوراتية قد حدث الطوفان قصاصا لأعمال البشر الشريرة[64] وكذلك ما وجدناه في النص القرآني فنوح القرآن هو نفسه نوح التوراة لكن الفرق بين النصين أو القصتين هو أن الرواية التوراتية فيها كثير من التفاصيل بل اعتمدت بجمعها على روايات متواترة شفهية فيها الكثير من الاجتهادات حول أصل تسمية النبي نوح ناحموليل (العبراني / أوتا) نبشتم بطل قصة الطوفان البابلية.

والظاهر أن الاجتهادات التوراتية تركزت حول تبيان تركيبة وأصل اسم نوح (نحموليل Nahmolel) [65] أو ناحموليل وإن هذا الاسم إما بالاشتقاق أو الاختصار حسب اللهجة الحرانية[66] التي كانت تكتب بها الرقم (الرقميات الطينية). وهي لغة التخاطب اليومي في منطقة الشرق الأدنى

---

(63) العهد القديم. سفر عزرا : 1 ـ 4.

(64) عرنوق (مفيد). المرجع السابق ص 144.

(65) BURROWS (Father), "Notes on hairian", in J.R.A.S., Londres, 1925, P 281 - 284. جميل (فؤاد). المرجع السابق. ص 110

(66) حران مدينة عظيمة مشهورة في الجزيرة. حاليا تتبع الجمهورية العربية السورية. مقر لعديد الأبراشيات والكنائس الشرقية (سريان. كلدان. آشوريين). الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج 1. ص 241.

القديم التي فيها مدينة حران الحالية. والظاهر أن الاسم العبراني أو القرآني لنوح لم يكن شائعاً حتى عصر إبراهيم الذي يعتبر ابنا لبلاد ما بين النهرين وليس بالغريب على مسامع إبراهيم أن تكون له دراية بأخبار الطوفان وهو وليد "أور" الكلدانية[67] وبالتالي ربما نقلها إلى أرض كنعان (بلاد الشام) ثم عرفها اليهود بعد ذلك وتم نقلها للتوراة. إذا فمصادر التوراة لقصة الطوفان قد استمدت من الشمال وعلى ذلك لاحظ الأب باروز أن اسم جبل "أراراط"[68] لا نجده في النسخة البابلية، بينما نجده في قصة الطوفان العبرانية فهو الجبل الذي استوت عليه السفينة[69] بينما القرآن الكريم يشير: "وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين"[70].

وفي ملحمة جلجامش نجد "هدأ البحر وسكنت ريح أنمخولو، وكبح الطوفان... مساحات يابسة بدأت تلوح من كل صوب. ورست السفينة فوق جبل نيموش سند جبل نيموش السفينة بإحكام ولم يدعها تتزحزح"[71].

وفي قصة أتراخاسيس (Atrahasis) وهي نسبة إلى البطل نفسه الذي يقابله بطل الطوفان أو تنايشتم (نوح في القرآن والتوراة).

(67) العهد القديم، سفر التكوين: الإصحاح 11، أور: (UR) كانت نحو 2500 ق.م عاصمة سومر وامتدت علاقاتها التجارية حتى ديلمون (Dilmun) (البحرين) وماجان (Magon) (عمان) وميلوخا (Meluchcha) منطقة في واد السند وقد استفادت مدينة أور في ذلك الوقت من موقعها المناسب على المجرى السفلي لنهر الفرات وكان أول ملوكها Mesanipada نحو 2475 ق.م وقد وهبه إنليل سيد مجمع الآلهة السومرية حكم مدينة أور.
ROMER (W. H. Ph), Einfuhrung in die sumerologie, Nijmegen, 1984, P310-332، مرعي (د.عيد)، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539 ق.م. الأبجدية للنشر، 1991. ص 35.

(68) العهد القديم، سفر التكوين: الإصحاح 8.

(69) BURROWS (Father), op. cit., P 281-284

(70) سورة هود (11: 44).

(71) أساطير بلاد ما بين النهرين، "ملحمة اتراخاسيس". اللوح 11 السطر 135 لـ ص 142.

نجد تشابها في عديد الجزئيات مع ملحمة جلجامش "... وفي تلك الأثناء استقرت السفينة على جبل اسمه نيسيرNisir" ومضت ستة أيام "جبل نيسير مسك بالسفينة ولا يدعها تتحرك"[72] وهنا نجد أنفسنا أمام أربعة أسماء لأربعة جبال: أراراط. الجودي. نيسير. نيموش. وفي تلخيص لأسطورة الخلق والطوفان نجد اسماً خامساً "ظهرت الأرض من بعد... وكانت الأرض التي ظهرت هي قمة جبل نازير..."[73].

وهذا التداخل والاختلاط في القصص المختلفة ذات الأسماء المتنوعة حول موضوع واحد مثّل معضلة كبيرة ولكن هناك شبه اتفاق بين علماء الآثار المختصين في الآشوريات أن نسير أو (نصير) هي نيموش[74] وموقع نسير / نصير تم تحديده بـ"بيرعمر عذرون"[75] وهو أعلى جبل بالمنطقة[76] - كردستان - قرب السليمانية شمالي شرق كركوك[77].

وقد جاء تحديد موقع الجبل بالدرجة الأولى في ضوء ما تذكره كتابات الملك أشور ناصر بال الثاني (882 - 859 ق.م) والتي تقرنه ببلاد الكوتيين وتحديد موقعه جنوبي الزاب الصغير[78]. أما التسمية التوراتية لهذا الجبل

---

[72] علي (د.فاضل عبد الواحد). المرجع السابق. ص 36 - 37.

[73] مظهر (سليمان). المرجع السابق. ص 93 - 94.

[74] LAMBERT (W. G), "Note brève Nişir ou Nimuš", Revue d'Assyriologie, T 80, 1986, P 185 – 186.

[75] بير عمر غدرون (Pir Omar Gudrun) أو "بيره مه كرون" وهو في حقيقة الأمر اسم لأحد شيوخ الإسماعيلية وهي من الفرق الشيعية الباطنية ويوجد ضريحه تحت قمة هذا الجبل. انظر SPERSER (E. A), "Southren Kurdistan in the Annals of Ashurnasirpal and Today", Annual of the American schools of oriental research 8, 1926 - 1927, P 17-18، وهبي (توفيق). سفرة من ده ربه ندي بازيان إلى ملة ناسلوجه، مطبعة دار المعارف، بغداد 1965. ص 28 – 29

[76] يبلغ ارتفاعه 2684 متر أي نحو 9 آلاف قدم وهو أعلى قمة بالمنطقة. أساطير بلاد ما بين النهرين. هامش ص 165؛

[77] المصدر نفسه. ص 136

[78] SPEISER (E.A), op. cit,. P 17-19، علي (د.فاضل عبد الواحد). المرجع السابق. هامش ص36 .

فهي أراراط وقد ذكر الأب باروز أن السفينة قد استقرت على جبال أراراط والظاهر حسب ما يشير البعض أن هذا الاسم ما هو إلا تحوير للاسم القديم أورارتو (Urartu) الوارد ذكره في الكتابات المسمارية بأنه بلاد أرمينيا[79] وهي تقع بشمال ما بين النهرين.

أما الاسم القرآني فهو نفسه الذي نجده عند اليزيدية وهم يرون رأياً يختلف عن غيرهم في الطوفان وقريبا من النصوص الإسلامية وفيه الكثير من الخلط والأساطير ذات الجذور القديمة (سوف نرى ذلك في معتقدات اليزيدية لاحقاً).

وحسب هذا التصور القرآني الذي كانت له أصداء عند اليزيدية استوت السفينة على جبل "الجودي" بـ"قردى" قرب جزيرة ابن عمر، إذ لما خرج نوح منها اتخذ بناحية قردى من أرض الجزيرة موضع قرية كانت أول مكان بني فيه بعد الطوفان وسماها نوح "قرية ثمانين" لأنه كان قد بني فيها ثمانين بيتا لكل إنسان ركب معه في السفينة[80].

وما يروى في هذه الحادثة أن كل الجبال تشامخت وتطاولت لئلا ينالها الماء فعلا الماء إلا جبل الجودي فقد تواضع لأمر ربه فلم يغرق وأرست السفينة على هذا الجبل في يوم "عاشوراء" وبما أنهم كانوا داخل السفينة طوال مدة الطوفان فإنهم عندما أرادوا النظر إلى الماء فأمروا بالاكتحال يوم "عاشوراء" الذي خرجوا فيه من السفينة[81] والظاهر أن عادة الاكتحال يوم عاشوراء تعود جذورها إلى فترة قديمة.

---

(79) BURROWS (Father), op. cit., P 281-284، علي (د.فاضل عبد الواحد). المرجع السابق، ص36.

(80) الأصطخري (أبي اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي)، مسالك الممالك. طبعة بريل/هولندا. 1927. ص 78، المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي)، مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق الشيخ القاسم الشماعي الرفاعي، طبعة دار القلم. بيروت / لبنان، 1408 هـ، ج I، ص 412. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 206، الثعلبي (الإمام ابن إسحاق أحمد بن إبراهيم)، قصص الأنبياء المسمى بالعرائس. دار الفكر، بيروت / لبنان. 1991. ص 59 - 61، الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج III، ص 262، ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 229 ـ 230، ابن إلياس (الشيخ محمد بن أحمد بن إلياس الحنفي). بدائع الزهور في وقائع الدهور. شرح ومراجعة سعيد اللحام. المكتبة الحديثة. بيروت / لبنان. 1992. ص 63 ـ 64.

(81) الثعلبي. المصدر السابق. ص 61. ابن إلياس. نفس المصدر، ص 63.

إن قصة الجبل الذي رست عليه سفينة نوح حسب القصص التوراتية والقرآنية ضاربة في القدم أكثر بكثير من تاريخ نشأة هذه الجماعات وأصحابها ومع ذلك نجد في كتب الأخبار بأن الحجارة التي بنيت بها الكعبة من هذا الجبل. فقد روي أن الكعبة بنيت من خمسة جبال: طور سينا، وطورزيتا ولبنان والجودي[82] وقيل بأن حجارة الكعبة نقلت من جبل الجودي حتى يصير ثقله في ميزان من يحج[83] واليزيدية تذهب إلى نفس الرواية الإسلامية القائلة أن هذا الجبل هو الذي رست عليه سفينة نوح وبالتالي تلك المنطقة هي من البقاع المقدسة عندهم[84]. كما تذكر اليزيدية أن طوفانا حل بالعالمين بعد نوح وأن السفينة اصطدمت بجبل سنجار[85] وخرقت واتكأت على جبل الجودي[86]. ولكن الملفت للانتباه أن قصة الطوفان ضاربة في أعماق العقلية البشرية وتناسجتها الشعوب كل بطريقته وكما ذكرنا بقي الأصل ثابتا يعود إلى جذور رافدية عريقة وتوجد عدة طقوس وعوائد نعني القرابين التي تبين أن لا دين بدون تضحية فأول شيء قام به الناجون هو تقديم الضحايا[87] وكذلك نجد في النص العبري (التوراة) أن نوح قرب إلى الرب "بعضا من جميع البهائم والطيور الطاهرة وقربها محرقات على المذبح"[88] وهنا تتأكد طبيعة القرابين وأسسها في كل عبادة.

---

[82] الثعلبي. المصدر السابق. ص 90. ابن إلياس. نفس المصدر. ص 81.

[83] نفس المصدر. ص 24.

[84] مؤلف مجهول، "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية". نشرها الأب إغناطيوس عبده خلفة اليسوعي في مجلة الشرق المجلد 47. كانون II / شباط 1953، ص573.

[85] يقولون بأن سفينة نوح لما مرت بهذا الجبل ونطحته فقال نوح هذا سن جبل جار فسميت سنجار. الحموي (ياقوت). المصدر السابق. ج III. ص 262.

[86] إسحاق (القس). قصة ديانة الداسنية أي اليزيدية. ترجمها إلى العربية عن النص السرياني ـ الكلداني ـ حنا مرقس، نشرها وأشرف على طبعها القس الربان شمونيل جميل، روما العظمى عام 1900. نشرت في ملاحق كتاب اليزيدية لجورج حبيب. ص 107؛ الحسني (السيد عبد الرزاق). المرجع السابق، ص 43 ـ 44؛ الفيل (د.سهير محمد علي)، اليزيدية. دار المنار للنشر والتوزيع. القاهرة. 1990. ص 78؛ الجراد (د. خلف). اليزيدية واليزيديون. دار الحوار. اللاذقية / سورية. 1995. ص 81.

[87] جميل (فؤاد). المرجع السابق. ص 111؛ علي (د. فاضل عبد الواحد). المرجع السابق. ص 37.

[88] العهد القديم. التكوين 8 (20 : 21).

ومن هنا يتبين لنا عديد التأثيرات في الذهنية اليزيدية التي مازالت متقيدة بطقوس وإرث القدامى وأن أي تشابه بينها وبين عقائد قدماء الرافديين مرده عمق حضارة تلك الشعوب التي يعود إليها الفضل في كتابة ونسج أجزاء هامة من تاريخ الإنسانية.

ب- الصابئة

تعيش في منطقة الهلال الخصيب وتحديداً في أرض العراق بالقرب من ضفتي الرافدين وبخاصة في مناطق تجمع مياه النهرين العظيمين، دجلة والفرات، مجموعة بشرية لها أساطيرها وقصصها المرتبطة بعادات وتقاليد وشعائر. ولهذه الشعوب طرائق تعبير خاصة في بيئتهم النائية تلك. هؤلاء هم الصابئة المندائيون ويطلق عليهم الحرانية في بعض المصادر[89]. ديانتهم من النوع الغنوصي وكانت لها أهمية بالغة فيما مضى في الشرق الأدنى القديم وقد تقلص أتباعها في الوقت الحاضر في العراق وفي إيران[90].

أما أصل التسمية فجاءت من قولهم: "صبأت إذا خرجت من شيء إلى شيء وصبأت النجوم إذا ظهرت وصبأ به إذا خرج والصابئون الخارجون من دين إلى دين"[91]. وفي اللغة الأرامية صبا (أو صبع) تعني الاغتسال بالماء الجاري وكان صابئة العراق يعرفون بالمغتسلة وقد أشار صاحب الفهرست لوجود قوم يعرفون بالمغتسلة وفروعهم متواجدة إلى سنة 380 هـ / 991 م .

---

(89) المقدسي (مطهر بن طاهر) ينسب خطأ إلى البلخي (أبي زيد أحمد بن سهل). البدء والتاريخ، قام بنشره قنصل الدولة الفرنسية كلمان هوار. شالون / فرنسا، 1899. ج IV. ص 22؛ الشهرستاني، المصدر السابق. ج II. ص 54.

(90) كاليبو (جاك ونبكول)، مذاهب وملل وأساطير في الشرقين الأدنى والأوسط. تعريب فارس غصوب. دار الفارابي. بيروت / لبنان. 1997. ص 216

(91) ابن الجوزي (عبد الرحمان جمال الدين بن أبي الحسن)، تلبيس ابليس، دراسة وشرح وتقديم مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية. منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت / لبنان. 1991 م، ص79

وبذلك تكون كلمة صابئة مشتقة من صب الماء كما ذهب إليها بعض المستشرقين حالياً وهي إشارة إلى تعمّدهم بالماء وكلمة صبا في المندائية بمعنى الإرتماس والاغتسال بالماء الجاري[92] وقد عدّهم القرآن الكريم ضمن أهل الكتاب (أصحاب الكتب السماوية) "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ومن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[93] وقد ورد ذكر الصابئة في موضعين آخرين من القرآن الكريم في سورة البقرة (الآية 62) وفي سورة الحج (الآية 17).

ويطلق الصابئة على أنفسهم اسم "المندائية"[94] وبهذه التسمية يعرفون أنفسهم. وإذا رجعنا إلى الأصل الأرامي لهذه الكلمة "منداي" تعني العارف من الفعل مدعا أي عرف وعلم. ولفظة "مندا" تأتي في عدة لهجات آرية ففي "كوجوراتي" توجد كلمة "مندي" أو "مندافا" وتعني الظل أو الهيكل مأخوذة من "ماندايا" السنسكرتية بنفس المعنى و"التوديون" في جنوب شبه القارة الهندية يسمون قراهم أو أكواخهم من القش للأبقار المقدسة "ماند"[95].

---

[92] ابن النديم (محمد ابن إسحاق). الفهرست. المطبعة الرحمانية. مصر. 1348 هـ. ص 442 ـ 456؛ دراور (الليدي). الصابئة المندائيون. ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي. بغداد. مطبعة الإرشاد. 1969 . ج ا. ص 5. كامل (مراد) وبكري (أحمد). تاريخ الأدب السرياني. دار المقتطف. القاهرة. 1949 م. ص 49؛ حمادة (محمد عمر). المرجع السابق. ص 18. البرنجي (سليم). الصابئة المندائيون. (دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين)، ترجمة جابر أحمد. دار الكنوز الأدبية. بيروت / لبنان. 1997. ص 15؛ الحمد (محمد عبد الحميد). صابئة حران والتوحيد الدرزي. دار الطليعة الجديدة. دمشق / سوريا، 1999 م. ص 21. أبو واثق (الكاتب). "ملاحظات عابرة حول اليزيدية والصابئة". لالش. العدد V. 1995. ص 142. أبو وجدان. "تعقيب حول الأيزيدية والصابئة". لالش. العدد V. 1995. ص 145 ـ 146

[93] سورة المائدة (5) : 69.

[94] ابن النديم. المصدر السابق. ص 443؛ كامل (مراد) وبكري (أحمد)، المرجع السابق. ص 49؛ البرنجي (سليم). المرجع السابق. ص 15؛ الحمد (محمد عبد الحميد). المرجع السابق. ص 21.

[95] يسمى كذلك الصابئة المندائية معبدهم (بالمندى) وهي عبارة عن كوخ من القصب منصوب على شاطئ نهر أو نبع خارجي، سليم البرنجي. المرجع السابق. هامش ص 80. الحمد (محمد عبد الحميد). المرجع نفسه. ص 28.

وترد كلمة "مادا" في اللغة السومرية بمعنى الأرض أو السكن. وكلمة "مندائي" منسوبة إلى"مندا" الأرامية وهي بمعنى العلم والمعرفة ومنها اشتقت عديد المفردات الأخرى: "مندا"، "مندائي"، "بيماندا" أو "بيت مندا" ومعناها بيت العلم والدين[96].

وإذا طلبت التوسع لمزيد التدقيق في سبيل غايتنا المنشودة. أمكننا أن نضيف أن "المندا" هو اسم لقبيلة كردية اعتنق معظم أفرادها الإسلام وتمكنت من تأسيس إمارة تدعى "مندا" أو الأمير "منت" كما كتبها البعض أو "مندا" وهو الجد الأعلى لأسرة "جان بلاط" أو"جنبلاط" حيث أسسوا إمارتهم حوالي سنة 700هـ / 1300 م وبقيت إلى حوالي سنة 829 هـ / 1425م في منطقة القصير وهي قلعة تتبع ولاية حلب وهي قريبة من أنطاكيا[97] وقد ولاه السلطان الأيوبي على الأكراد في ولايتي الشام وحلب[98] ومن قبيلة "مند" نجد الشيخ عز الدين وهو من سلالة شيوخ اليزيدية سنة 948 هـ / 1541 م الذي كان معروفا أنّ من أصابته حية. أطعمه من خبز رقي عليه، وقد أخذ الشيخ عز الدين هذه الموهبة وراثة من جده "مند"[99] ويقول المستشرق أدموندز توجد قرية (عمر مندان) بالقرب من الطريق العام بين كركوك وطقطق وهي غير بعيدة عن رافد الزاب و قد سمع هذا المستشرق عند مروره من هذه المنطقة بأن أهاليها "من السادة (الأشراف) ولديهم القدرة على شفاء لدغات الأفاعي"[100].

---

(96) الكوفان (ب.ش.)، المرجع السابق، ص 132، أبو وجدان (الكاتب)، المرجع السابق، ص 146. البرنجي (سليم)، المرجع السابق، ص 50.

(97) العمري (ابن فضل الله شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحي)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، "دولة المماليك الأولى". دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت / لبنان، 1986، ص 200، القلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة 1337-1340 هـ/1918-1922م، ج VI، ص123. الكوفان (ب.ش.)، المرجع السابق، ص131.

(98) البدليسي، المصدر السابق، (الطبعة العراقية)، ص 230-231 ، الكوفان (ب.ش.)، المرجع السابق، ص 131.

(99) الديوه جي (سعيد)، اليزيدية، ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره، بغداد 1393هـ/1973 م، ص 112.

(100) ADMONDS (C.J.E), Kurds Turks and Arabs, London, Oxford University Press, 1957, P 173.

وفي قضاء الشيخان يوجد مزار يطلق عليه "الشيخ مند" وقد نقشت على جداره الخارجي صورة أفعى سوداء ويعزى لهذا للشيخ "مند" هذا القدرة على شفاء لدغات الأفاعي[101] وسيتبين لنا لاحقاً أن عقائد الصابئة والحرّانية قريبة إلى اليزيدية في عديد المسائل العقائدية على أننا نركز على ما نجده عند الصابئة من عوائد تتمثل في رسم أفعى منقوشة سوداء اللون فوق عتبات دورهم والحية رمز للحياة المتجددة[102] وقد تكون الأفعى خادما للإنسان وعندئذ تقوم بدور الحارسة أو الحامية وقد تكون على عكس هذا فتقوم بدور الشياطين والجان الشريرين ولما كانت الأفعى على هذا النحو مخلوقا بين الضدين. الخير والشر. فقد تمثلت في الخيال والقصص الشعبية والأساطير الدينية رمزاً يشير إلى حقائق كونية وفلسفية[103] سرعان ما تطورت إلى عبادتها وترجع أشكال هذه العبادة في الغالب إلى عبادة أفعى حقيقية سرعان ما أصبحت خير مكان تحل فيه روح الآلهة[104].

إن في الكتابات الصابئية وبعض ما يعتمده كتاب التراث العربي عناصر تخول لنا إرجاع تاريخ هذه الفرقة إلى أيام النبي "شيت ابن آدم"[105] كما هو

---

(101) الكوفان (ب.ش.). المرجع نفسه. ص131.

(102) FREZER (J.G.), In the old testement, London, 1918, Vol. I, P 66. دراور (الليدي). المرجع السابق. ج I. ص 136؛ الكوفان (ب.ش.)، المرجع السابق. ص137؛ الوجود (سناء أنس). رمز الأفعى في التراث العربي. مكتبة الشباب. القاهرة / مصر 1996. ص 20 ـ 21؛ سواح (فراس). لغز عشتار. دار علاء الدين. دمشق. 1993. ص 135؛ أحمد (أبو يحي). الحية في التراث العربي. المكتبة العصرية. صيدا / لبنان 1417هـ / س1997 م. ص 190؛

(103) سواح (فراس). المرجع نفسه. ص 142؛ الوجود (سناء أنس). المرجع نفسه. ص 18.

(104) Encyclopaediea of relegion and ethics, Vol. XI, P 399 . الوجود (سناء أنس). المرجع السابق. ص 21.

(105) البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي). الآثار الباقية عن القرون الخالية. مكتبة التنبي (مصورة عن طبعة Leipzig). 1923. ص 205. الشهرستاني. المصدر السابق. ج II. ص 6. 45

الحال عند اليزيدية (أبناء آدم من شيت و ليسوا أبناء حواء[106]) ويعتبر الصابئة "شيت" شخصية مقدسة ويدعونه "شيتل طابا" أي الفرس الطيب[107].

وهذه الديانة من النوع الغنوصي تُجْليها كتب عديدة منها ثلاث أساسية هي: "الكنزريا" و"العنصر الخامس" يتضمنان الأساطير المؤسسة لعقيدتهم[108] والتسابيح والشعائر المسيحية حتى أن بعض كتب التراث الإسلامي أرجعهم إلى أصول مسيحية ومجوسية[109] ولابد من سؤال يفرض نفسه وهو الآتي: من هم الصابئة وما هي علاقتهم باليزيدية خاصة وأن لهم مجالاً حيوياً واسعاً للعيش المشترك؟ وما حرّان إلا تلك المدينة الزاخرة المنسوبة إلى القمر وهي على صورة "طيلسان"[110] وهي إحدى أهم عواصم الجزيرة الفراتية بل من أقدم مدنها العامرة، سكنها الإغريق واستقرت فيها جالية مقدونية وامتزج فيها الفكر الرافدي الكلداني بالفكر "الهيلسنتي"[111] حتى أن أكثر أنبياءهم اشتغلوا بالفلسفة اليونانية كـ"هرمس المصري" و"أغاذيمون" و"واليس" و"فيثاغورس" و"بابا وسوار" جد "أفلاطون"[112]. والجميع مازال يختلف في أصول هذه العقيدة وقد ذهب العلماء في مذاهبهم إلى أقوال مختلفة حسب ما يراه كل مفسر من اجتهاد وتدور أغلب هذه الترجيحات أو التخمينات حول أصل عقيدتهم وصلتها بهذه الديانة أو

---

(106) كتاب القس اسحاق. ملاحق كتاب اليزيدية لجورج حبيب. ص 104؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 42 ـ 43؛ التونجي (د. محمد)، المرجع السابق. ص 78 ـ 79.

(107) كتاب كنـزرايا فصل يمينا وكتاب دراشا أديهي (تعاليم سيدنا يحي الآية بوثة (تسمى أدقنش). المصدر كتاب أيناني وسيدرا أدنشماثا. طبع في ذيل كتاب الصابئة المندائيون (الكتب المقدسة للصابئة). ص 62.

(108) كنـزاريا (الكتاب المقدس للصابئة). (الترجمة العربية). ص 67- 72؛ كتاب دراشا داديهيا (تعاليم سيدنا يحي) الترجمة العربية. ص 74 – 81.

(109) ابن الجوزي. تلبيس ابليس. ص 79؛ كاليبو (جاك ونيكول). المرجع السابق. ص216.

(110) البيروني. المصدر السابق. ص 205.

(111) الحمد (محمد عبد الحميد). المرجع السابق. ص 8.

(112) البيروني. المصدر نفسه. ص 205. الشهرستاني. المصدر السابق. ج II. ص 45 ـ 46

تلك[113] وفي ذكر شرائعهم وعباداتهم قالوا إن الصانع المعبود واحد وهو المدبر لنظام الكون[114].

أما صلواتهم فهي ثلاث: الأولى عند طلوع الشمس و الثانية عند زوالها والثالثة عند غروبها... وصلاتهم في كل يوم إلى كوكب ففي كل يوم يصلون إلى كوكب... فالشمس تعبد يوم الأحد و القمر يوم الاثنين[115].

وكذلك نجد عند اليزيدية. ففي مصحف "رش" يرد ما يلي: "أول يوم خلق الله فيه يوم الأحد[116] وخلق فيه عزرائيل (عزازيل). ويوم الاثنين خلق ملك دردائيل[117]".

ويرجع أغلب الباحثين في التراث العربي الإسلامي وخاصة العلماء المختصين بالملل والنحل أن أصل التناسخ والحلول نشأ عند الصابئة والحرّانية[118] وقد قسموا إلى فرق مختلفة منهم "أصحاب الهياكل" (أصحاب الكواكب). وإلى "أصحاب الأشخاص"[119] و"الحلولية والصابئة الفلاسفة"[120] والصابئة المعتدلون يحرمون المحرمات و يؤمنون ببعض بشارات الأنبياء ولا يأكلون مالا يذبح[121] والصابئة المفكرون وهم الذين لا يدينون بشيء في هذا الكون وإنما يؤمنون بوجود الصانع الحكيم[122] وكذلك توجد فرقة تدعى الصابئة الحرّانية والكثيرون يشككون في أصولها الصابئية. حتى أن دارسي التراث العربي الإسلامي وإن جمعوا بين الحرّانية والصابئية فإنهم يذكرون

---

(113) ابن الجوزي، المصدر نفسه. ص 79 ـ 80.

(114) البيروني. المصدر نفسه. ص 205. المقدسي (البلخي)، البدء والتاريخ.ج IV. ص 22. الشهرستاني. المصدر السابق. ج II. ص 7.

(115) المقدسي (البلخي). المصدر السابق. ج IV، ص 23. دراور (الليدي). نفس المرجع. ج I . ص 136.

(116) الثعلبي (الإمام أحمد بن إبراهيم). المصدر السابق، ص 15. مصحف "رش". الآية: II.

(117) مصحف "رش". الآية : III.

(118) الشهرستاني، المصدر السابق، ج II. ص 55 .

(119) الشهرستاني، المصدر السابق. ج II. ص 45 – 54.

(120) البيروني، المصدر السابق. ص 205.

(121) البيروني. المصدر السابق. ص 206. المقدسي (البلخي). المصدر السابق. ج IV. ص 23.

(122) ابن الجوزي. المصدر السابق. ص 80، حمادة (محمد عمر). المرجع السابق. ص 35.

اختلافهم العقائدي ويفصّلون ذلك[123] ونجد عند المختصين من الباحثين الغربيين مثل هذا القول: "إن الحرّانيين لم تكن لهم وحدة مع المندائيين لأن الحرّانيين عبدة الكواكب بينما يبغض المندائيون عبدة الكواكب"[124].

وقد زعم أحد المبتدعين الغلاة من الخوارج و يدعى يزيد بن أنيسة[125] أن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليه كتاباً قد كتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة ويترك دين محمد. ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن وليست هي الصابئة الموجودة بحرّان وواسط وهذه الفرقة الخارجية تنسب لصاحبها يزيد بن أنيسة واصطلح على تسميتها باليزيدية[126].

وبالتالي تبين لنا إن من نعت بالصابئة الحرّانية ليسوا بالمندائية وإن جمع البعض بينهما وبالاعتماد على المصادر السريانية (الأرامية) والعربية نجد أن هذه النحلة ذات عقائد مختلفة منها الضارب في القدم ومنها الموصولة بالتأثيرات التوحيدية المسيحية التي نزعت إلى الانتشار في كامل منطقة الشرق الأدنى القديم.

وكانوا ينعتون بالكلدان ومما يؤكد هذا التأثير أنه وجدت تماثيل لـ "بعل" وبعده "مآرود" (مردوك / مردوخ) كما أعطى أتباع هذه الفرقة للشمس والقمر قدسية رفعتهما (الشمس والقمر) على جميع الكواكب[127] وكان الحرانيون في العهود الإسلامية الأولى يعرفون بالحرّانية أو الحنّوفون أو الكلدان وعندما مر المأمون بن هارون الرشيد في عام 218 هـ / 833 م بحرّان لفت انتباهه زي

---

[123] الشهرستاني، المصدر السابق. ج II. ص 54 ـ 57.

[124] دراور (الليدي). نفس المرجع، ج I. ص 13.

[125] قال بتولي المحكمة الأولى قبل الأزارقة (أتباع نافع بن الأزرق) كان في البصرة ثم انتقل إلى جور في فارس، الأشعري، المصدر السابق. ج I. ص 170– 171، الأمين (شريف يحي). معجم الفرق الإسلامية، دار الأضواء. بيروت /لبنان. 1986/1406. ص 271.

[126] البغدادي . الفرق بين الفرق. ص 279 – 280، الشهرستاني، المصدر السابق. ج I. ص 136، الجرجاني (الشريف علي بن محمد بن علي). التعريفات. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت / لبنان. 1997/1418. ص 179.

[127] الرهاوي (مار يعقوب)، الأيام الستة. ترجمة صليبا شمعون. دار الرها. حلب / سوريا. 1990. ص 51. الحمد (محمد عبد الحميد). المرجع السابق. ص 22.

كهنتهم الغريب وهددهم المأمون أنهم إن لم يغيروا ديانتهم الغريبة فإنه سيتولى قتلهم واستئصال شأفتهم فأرشدهم فقهاء المسلمين إلى دين الصابئة وهو من الديانات المذكورة في القرآن الكريم[128].

ونرد هذا التشابه الذي تبيناه بين المعتقدات الصابئية واليزيدية (الأكراد) إلى تأثيرات الجوار ولخضوع نفس الأقليات والشعوب لنفس السيطرة والاحتلال وبالتالي معاناة كلتا الطائفتين (أو النحلتين) من الاضطهاد خاصة وأن أصول الصابئة المندائيين من فلسطين وما التجاؤهم لشمال العراق والمناطق الفارسية إلا هرباً من البطش اليهودي لهم في أورشليم[129] وتأكيد ذلك أن نبيهم "يوحنا المعمدان"[130] النبي يحي بن زكريا عندنا في الإسلام قد تم اغتياله من قبل اليهود وتعرض أغلب أتباعه إلى أبشع صور التنكيل والتعذيب. أما صابئة حرّان فقد انتحلوا اسم الصابئة خوفاً من اضطهاد وبطش المأمون العباسي الذي كان يلاحق أتباع الملل غير الكتابية[131] بل إن الصابئة تنكر أي صلة أو علاقة مذهبية بالحرّانية من خلال طقوس الطهارة والتعبد والأدعية التي تتلى أثناء أداء هذه العبادات[132].

وكما أن لليزيدية غموضها وباطنيتها فالصابئة والحرانية مثلها تتحريان التخفي وتتوسلان بالتستر وأي تشابه مرده التراكم العقائدي وبفعل عامل الزمن وإن أصل العقائد كلها واحد ومنطقة الهلال الخصيب منبع حضارات

---

[128] ابن النديم. المصدر السابق. ص 445 – 446؛ حمادة (محمد عمر). المرجع السابق. ص 36 ـ 37؛ الحمد (محمد عبد الحميد). المرجع السابق. ص 15.

[129] دراور (الليدي). المرجع السابق. ج ا. ص 15. حمادة (محمد عمر). المرجع السابق. ص 41 ـ 45.

[130] دراور (الليدي). المرجع السابق. ج ا. ص 14؛ كاليبو. المرجع السابق. ص 216؛ الحمد (محمد عبد الحميد). المرجع السابق. ص 28؛ حمادة (محمد عمر). المرجع السابق. ص 40 .

[131] ابن النديم. المصدر السابق. ص 445. دراور (الليدي). أساطير وحكايات صابئية. ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي. بغداد. مطبعة الأديب. 1973. ص 23 – 24؛ حمادة (محمد عمر). المرجع السابق. ص 36 ـ37.

[132] دراور (الليدي). المرجع السابق. ج ا. ص27؛ البرنجي (سليم). المرجع السابق. ص 188 ـ 189.

الإنسانية هي الجامع المشترك لكل هذه النحل و الملل وكلها مطعمة بعدة عقائد وطقوس مختلفة المصادر ولذلك حاولنا التركيز وإجراء صلات وعقد مقارنات سعيا إلى مقاربة حقيقة لهذه المذاهب بما يبلغنا قدر الإمكان إلى تأسيس قول معرفي بشأن حياتها العقائدية.

2. ديانات الهضبة الإيرانية

أ- الزرادشتية (133)

وهي دين ثنوي ينتهي الأمر غالبا بمعتنقيه إلى التوحيد، وهذا الدين عرف في العصور الإسلامية المبكرة وإلى أيامنا هذه بالمجوسية، وما هذه التسمية الأخيرة إلا سبب الانحراف والهرطقات التي أدخلت على أصل دين زرادشت الحكيم نبي المجوس كما ذهب إلى ذلك بعض الإخباريين(134). وزرادشت أو (زارا) عاش على وجه التقريب حسب إجماع أغلب المهتمين

---

(133) الأندلسي (صاعد). طبقات الأمم. تحقيق حياة بوعلوان. دار الطليعة. بيروت / لبنان. 1985. ص 64؛ الشهرستاني. المصدر السابق، ج 1. ص 237. ابن الجوزي، تلبيس إبليس. ص 80 ـ 82؛ إلياد (مريسيا)، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية. ج 1. ص375، الزحيلي (محمد) والعش (يوسف). تاريخ الأديان. منشورات جامعة دمشق. 1995م / 1416هـ. ص160.

(134) الدينوري. المصدر السابق. ص 25، الطبري. المصدر السابق. ج 1. ص 561، المسعودي. مروج الذهب ومعادن الجوهر. م 1، ص 218؛ البيروني. الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص 207، الأندلسي (صاعد)، المصدر السابق. ص 65؛ الشهرستاني. المصدر السابق. ج 1، ص 236، ابن الأثير . الكامل في التاريخ. م 1. ص 258. البحراني (مكي). "زاردشت المصلح الحكيم". مجلة الإخاء (الفارسية). العدد 61 السنة 5. شوال 1384هـ / آذار (مارس) 1965. ص 38، زيباري (محمد صالح). "مقدمة في تاريخ الديانة الزرادشتية". مجلة لالش (ناطقة باسم اليزيدية) العدد 1. 1993. ص 85.

والمختصين بالتاريخ الإيراني في القرن السادس (ق.م) ومنهم من حدد هذه الفترة ما بين 660 إلى 583 ق.م وهي فترة حكم يشتاسف (كشتاسف)[135].

وقد ورد اسم زرادشت في المصادر اليونانية المتأخرة في تسمية فيها تغيير زوروستر (Zorastre) وذكر الباحث أولمستد (Olmstead) وآخرون. بأن معنى اسمه مع الجمال الذهبية[136]. أو راعي الجمال الذهبية. وقد أوردت بعض المصادر الإسلامية نسبا للنبي المجوسي جاء فيه «زرادشت بن أسبيمان. وقيل إنه زرادشت بن يورشف بن فذراسف[137]» ولكن بالنسبة لمسقط رأسه فقد أجمع أغلب المؤرخين أنه من أصول ميدية كردية ولد في مقاطعة "آتروباتين" في جنوب غرب بحيرة أورمية في آذربيجان[138].

---

(135) الدينوري. المصدر السابق. ص 25. المسعودي. المصدر السابق. م ا. ص 217. الأندلسي (صاعد). المصدر السابق. ص 64. الشهرستاني. المصدر السابق. ج ا. ص236. ابن الأثير. المصدر السابق. المجلد الأول. ص 258. القرماني (أحمد بن يوسف). أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ. دراسة وتحقيق الدكتور أحمد حطيط والدكتور فهمي سعد. طبعة عالم الكتب. بيروت / لبنان. 1912-1992. م III. ص 134؛ البحراني (مكي). المرجع السابق. ص38؛ زيباري (محمد صالح)؛ المرجع السابق. ص 83؛ سعيد (حبيب). أديان العالم. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة. (S.P.C.K). بولاق. القاهرة / مصر. (د.ت). ص 150؛ العريبي (محمد). موسوعة الأديان السماوية والوضعية. (الديانات الوضعية المنقرضة). دار الفكر اللبناني. بيروت / لبنان. 1995، الجزء الثاني، ص209؛ وبدجري (آليان ج). التاريخ وكيف يفسرونه. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. والهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة / مصر. 1996. الجزء الأول. ص 138؛ إسماعيل (نوري). الديانة الزرادشتية (مزديسنا). منشورات دار علاء الدين. دمشق / سورية. 1997. ص 8؛ سيرغي (أ. توكاريف). الأديان في تاريخ شعوب العالم. ترجمة د. أحمد فاضل. دار الهالي. دمشق. 1998. ص 357.

(136) OLMSTEAD (A.T), History of the Persian Empire, Chicago, 1943, P 94؛ الزيباري (محمد صالح). المرجع السابق. ص 82؛ إسماعيل (نوري). المرجع السابق. ص 6.

(137) المسعودي. المصدر السابق. المجلد الأول. ص 218؛ الشهرستاني. المصدر السابق. ج ا. ص 236. ابن الأثير. المصدر السابق. ج ا. ص 258.

(138) الطبري. المصدر السابق. ج ا. ص 561؛ المسعودي. المصدر السابق. ج ا. ص218؛ الشهرستاني. المصدر السابق. ج ا. ص 236؛ ابن الأثير. المصدر السابق. ج ا. ص 259؛ الأحمد (سامي سعيد الهاشمي) ورضي (د. جواد). تاريخ الشرق الأدنى القديم ايران والأناضول. ببغداد 1985. ص 110. زيباري (محمد صالح). المرجع السابق. ص 183.

وقد ذكر بعض كبار المؤرخين المسلمين نقلا عن أهل الكتاب بأن النبي زرادشت قد تتلمذ على يد النبي اليهودي "إرميا"[139] على أنه لا يوجد أي شيء في سفر "إرميا" يشير تصريحا أو تلميحا لزرادشت[140]

طبعا أحيطت بولادة زرادشت حكايات وأساطير وخوارق تنسج عادة لذوي الشأن العظيم من الأنبياء والملوك والزعماء والأبطال. فقال الكتاب مزاعم حول فترة حمل أمه به وولادته. فذكروا بأن ملاكه الحارس حل في نبات "الهوما" (ذلك النبات الذي يستخرج منه رجال الدين المجوس مادة مسكرة بعد عصره لاستعماله في طقوسهم الدينية) وانتقل مع العصر إلى جسم كاهن وفي الوقت نفسه دخل شعاع من السماء المقدسة في عذراء من أصل نبيل فتزوجها الكاهن فاتحد الملاك المجوس في جسم الكاهن بإشعاع إلا هي في جسم العذراء فتكون زرادشت[141] وكان هذا الحمل شبيها بالخوارق إذ اعتقد القدماء بأنه امتزاج بين "اللاهوت" و"الناسوت" كما تفكر بعض الفرق النصرانية في طبيعة السيد المسيح[142].

فقد جاء في وصف عملية حمل زرادشت حسب الرواية المزدية[143] أن جوهر روح الله قد حلت في رحم أمه وبذلك أصبحت الحامل "تشع نوراً فأرسلها أبوها إلى أورمية فتزوجت هناك من أحد الفلاحين... وظهر لوالده الفلاح ملاكان وأعطياه غصنا من أغصان الهاوما الذي تم مزجه باللبن. وفي تلك الليلة تم اقتران والده بوالدته فحملت بزرادشت الذي عمل أهريمان

[139] ابن الأثير. المصدر السابق. ج I. ص 258، القرماني. المصدر السابق. ج III. ص134، الزبياري(محمد صالح). المرجع السابق. ص 185.

[140] العهد القديم. سفرأرميا: الآية 24.

[141] الشهرستاني. المصدر السابق.ج I. ص 237، طه (باقر). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. بغداد. 1956. ص 429، الزبياري (محمد صالح). المرجع السابق. ص 83.

[142] انظر حول ذلك اختلاف الفرق المسيحية حول طبيعة السيد المسيح. ساكا (المطران إسحاق). كنيستي السريانية. ج I. ص 33. العايب (د. سلوى بالحاج صالح). المرجع السابق. ص 28- 29.

[143] المزدية : تحمل هذا الاسم تيمنا باسم الإله الرئيسي "أهورامزدا"، أما الزرادشتية فهي على اسم مؤسس هذا الدين النبي المجوسي زرادشت. ودين أفستا (الأفستية) باسم كتاب المقدس الرئيسي لهم. سيرغي (أ.توكاريف). المرجع السابق. ص 355.

وشياطينه على إفساد هذا الحمل ولكن إرادة الخير حمته من كل شر فأنيرت السماء بوهج ناري ونزلت "الفرافاشي"[144]. وقامت بحماية الجنين وفي يوم ميلاده أنيرت القرية وقدم إلى العالم وهو يضحك وشاع نور رباني"[145]

وهذه من روايات الحمل بالعظماء المؤهلين لأقدار استثنائية وهذه الأوصاف التي ترددت عن حمل زرادشت وولادته. ووجدت كثيرين آمنوا بها وهي من جنس تلك التي ترددت وشاعت في كتب السير والمناقب عن الأنبياء والصلحاء فقصة حمل عدي بن مسافر الهكاري مؤسس الطائفة العدوية التي تطورت لاحقاً وحملت اسم اليزيدية تتضمن عناصر شبيهة بما حكي عن زرادشت وهذه القصة ستكون فصلاً لاحقاً نعقده للعدوية. أما مجال بحثنا الراهن فهو السياق العقائدي الذي أحاط بظهور الزرادشتية فقد كان لشعوب منطقة ميديا والهضبة الإيرانية تراث عقائدي عريق فقد كان القدماء يقدسون منذ بدء تاريخهم قوى الطبيعة والكواكب كالنار والماء والهواء والرياح والرعد والشمس والقمر ومدار هذه العناصر الكونية الشمس والقمر رمزي النار التي قدسها الفرس المجوس كما ارتبطت عبادتهم بالمكونات الثلاث الأخرى للطبيعة (الهواء والماء والتراب المحيل إلى مصدره الأرض والنار) وهذه العناصر الأربعة مقدسة في الديانة الفارسية لذلك كان اعتقاد فلاسفة اليونان في القرن السادس ق.م أنها العناصر الأساسية في الكون"[146].

---

(144) هي الأرواح الحرة النقية التي ترشد البشر وتقودهم إلى الخير واعتقدوا بوجودها في كل الكائنات الطبيعية. وهي غير موجودة في الأشياء المصنعة فهي تمثل عندنا في الإسلام والديانات السماوية الملائكة الحراس التي تقوم بحراسة السماء. سورة الملك (67: آية 5) إذن هي الملائكة بصورتها الإلهية. العريبي (د. محمد). المرجع السابق. ص225 ـ 226.

(145) الشهرستاني. المصدر السابق. ج 1. ص 237، طه (باقر). المرجع السابق. ص 426، الزبياري (محمد صالح). المرجع السابق. ص 83، العريبي (د.محمد). المرجع السابق. ص 209 ـ 210، إسماعيل (نوري). ص 9 ـ 10.

(146) ترانيم زرادشت. (ترنيمة 51: 7). ترجمة وتقديم د. فليب عطية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1993. ص 146، الشهرستاني. المصدر السابق. ج 1. ص237، ميرسيا (إلياد). المرجع السابق. ج 1. ص 388، فرزات (محمد حرب). المرجع السابق. ص 92، الزبياري (محمد صالح). ص 88، ويد جري (آليان. ج). المرجع السابق. ج 1. ص139، إسماعيل(نوري). المرجع السابق. ص 44 ـ 47.

وقد خلَف زرادشت تراثا تمثل في كتاب مشهور اسمه "الأوستا" (Avesta). وأعرف هذه الأسماء هو "أوستا" وقد ورد هذا الاسم في المصادر العربية بشكل بستاق. أبستاق. أفستاق[147] وكتاب الأبستاق كان كتابا عظيما جدا فحسب الروايات التاريخية أنه "كتب في جلد اثني عشر ألف بقرة حفرا بالجلود ونقشا بالذهب"[148]. وقد عمل زرادشت لكتابه تفسيرا "عند عجزهم عن فهمه" وسموا التفسير "زندا" ثم عمل للتفسير تفسيرا وسماه "البازند"[149]. وعندما قام الاسكندر الكبير بغزو الإمبراطورية الفارسية سنة 330 ق.م وقتله للكها "داريوس" أحرق بعض أجزاء هذا الكتاب مع ما أحرق من تراث الفرس الديني والعلمي[150] وتعود فترة كتابة هذا الكتاب إلى القرن الخامس قبل الميلاد لأن ليس كل "الأبستاق" من كلام زرادشت على أنه يتفق بعض أصحاب الاختصاص في هذا الموضوع بأن القسم الأقدم هو له فهو كلامه وترانيمه وتعليماته الحقيقية. وأن البعض منها من كلام بعض أصحابه ومريديه وأن الأجزاء الأخرى ليست له على وجه التحقيق[151] ولم تسلم "الأبستاق" من التدمير على يد قوات الزحف اليونانية وكل ما بقي من هذا الكتاب المقدس ترنيمات زرادشت أو الأناشيد (Gathas)[152] ونصوص

---

[147] الطبري. المصدر السابق. ج ا. ص 561. المسعودي. المصدر السابق. ج ا. ص 218؛ التنبيه والاشراف. ص 96. مسكويه (علي أحمد بن أحمد). المصدر السابق. ج ا. ص 53؛ ابن الأثير. المصدر السابق، ج ا. ص 258 ـ 259؛ القرماني. المصدر السابق. جIII. ص 134، HARTMAN (Seven.S), "la disposition de l'avesta", Orientalia, vol. V, 1956, P 30.

[148] الطبري. المصدر السابق. ج ا. ص 561؛ المسعودي. مروج الذهب. ج ا. ص 218، التنبيه والاشراف. ص 96. القرماني. المصدر السابق. ج III. ص 134.

[149] المسعودي. مروج الذهب. ج ا. ص 218، ابن الأثير. المصدر السابق. ج ا. ص 259.

[150] المسعودي. مروج الذهب. ج ا. ص 218. التنبيه والاشراف. ص 96. صفاء (د. ذبيح الله). حماسه سرائي در ايران. طهران 1324 ش. ص 29

[151] رازي (عبد الله). أئين زردشت. طبعة القاهرة، 1306 ش. ص 280؛ سايكس (سربرسي). تأريخ ايران. ترجمه إلى الفارسية فخر داعي الكلاني. مطبعة رنكين. طهران / إيران. 1322 ش. ج ا. ص 139. HARTMAN (Seven S.), op. cit., P 30 – 35.

[152] فيه مجموعة من الترانيم المنسوبة للنبي الزرادشت. راجع ترانيم زرادشت. ص 27 ـ 29؛ الشيخ (حسين)، ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ. دار العلوم. بيروت / لبنان. 1996/1416. ص 138.

الطقوس الدينية الرئيسية "اليسنا"[153] ومعناها العبادة والتسبيح حيث كان يتجه بهما زرادشت إلى الله وملائكته والكائنات المقدسة[154] و"الونديداد" (Windidad) ومعناها القوانين المضادة للشيطان وتتعلق فصولها بخلق الأرض والأقاليم والقوانين الدينية والاجتماعية وترنيمات أخرى هي (Yashts) وهي إحدى وعشرون ترنيمة تتلى في مدح الملائكة المشرفين على أيام الشهر[155]. و"الأبستاق" ليس كتابي "رش" (المصحف الأسود) و"الجلوة" وبالتالي بعد عرضنا للزرادشتية ومقارنتها باليزيدية نلاحظ أوجه تشابه كثيرة بينهما وهذا ليس بالأمر الغريب فالأديان والمذاهب تتلاقح وتتثاقف من بعضها بشكل عادي ولا تلعب الصدف دورا في ذلك.

هذا الأساس العقائدي لإرث الشعوب الشرقية مهد لظهور زرادشت في بحثه عن الحقيقة فقد اعتزل هذا النبي المجوسي[156] الحياة العادية وعاش في متاهات الجبال وبدأ في رحلة التفكير في أصل الوجود وما هي مصادر الخير والشر. وقد أمسك زرادشت سر الحكمة التي يبحث عنها وبدأ يقارن بين الليل والنهار والخير والشر[157] وأفضت به تأملاته إلى النور هو ممثل لروح الخير بينما الظلام هو ممثل لروح الشر فكانت الثنائية هي الفكرة الأساسية في العقيدة الزرادشتية (ومنها سميت عقيدته ثنوية) تفصل العالم إلى أطوار مضيئة وأخرى مظلمة (... من أيها الرب الحكيم خالق العقل... من

---

(153) الشيخ (حسين). المرجع نفسه. ص 35.

(154) برنارد (جفري). المرجع السابق. هامش ص 118. العريبي (محمد). المرجع السابق. ج II. ص 215؛ الشيخ (حسين). المرجع السابق. ص 35 ـ 36.

(155) برنارد (جفري). المرجع السابق. هامش ص 118؛ العريبي (محمد). المرجع السابق. ج II. ص 215؛ الشيخ (حسين). المرجع السابق. ص 36.

(156) برنارد (جفري). المرجع السابق. هامش ص 118. العريبي (محمد). المرجع السابق. ج II. ص 215، الشيخ (حسين). المرجع السابق. ص 36.

(157) ترانيم زرادشت. (ترنيمة 48 : 1– 2)؛ الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 237 ـ 238. الزبياري (محمد صالح). المرجع السابق. ص84 ـ 85؛ سعيد (حبيب). المرجع السابق. ص 151. ويد جري (اليان .ج). المرجع السابق. ج II. ص139؛ العريبي (محمد). المرجع السابق. ج II. ص 211. سيرغي (أ. توكاريف). المرجع السابق. ص 358.

الصانع الذي صنع الضوء والظلام. من صنع النوم واليقظة...)"[158] الخير والشر ومن دار بفلك كل منهما في صراع دائم فهما أصلان متضادان"[159]. لقد بشر زرادشت بالتوحيد فالإله الواحد هو "أهورامزدا"[160] فهو إلاه سام لا قياس لقوته وعظمته وقدرته وروحانيته وتوجد معه قوى مجردة هي أشكال منه أو صادرة عنه لكنها في منزلة أقل من منزلته فهم الواقفون أمام عرش "أهورامزدا".

أما الإله الثاني فهو "أهريمان" إله الظلام والشر ويقابله "أهورامزدا" إله النور والخير. وقد قال الشهرستاني: "النور والظلمة أصلان متضادان وكذلك يزدان (أهورامزدا) وأهريمان هما مبدأ موجودات العالم"[161] وقد خلق "أهورامزدا" ملائكة كبارا شبيهين بالوزراء والاسم افيراني الذي أطلق عليهم يفيد الكائنات المقدسة الخالدة وعددهم ستة ويطلق عليهم "الملائكة واليازات" ولفظها القديم "إيزيديون / يزيديون"[162] وهي تجسيد للعناصر النقية أو لصفوية أخلاقية ومن تعديل توجهنا هذه التسميات القديمة إلى هذه الكلمات "واليازات / إيزيديون / يزيديون" وهي تطلق على الملائكة التي تتوسط بين الله

---

(158) ترانيم زرادشت (ترنيمة 44 : 4 ـ 5)، الأندلسي (صاعد). المصدر السابق. ص 64؛ الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 237. القرماني. المصدر السابق. ج III. ص 141؛ الزبياري (محمد صالح). المرجع السابق. ص 84. العريبي (محمد). المرجع السابق. ج II. ص 217 ـ 218.

(159) الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 237. برنارد (جفري). المرجع السابق. ص 118 ـ 119.

(160) ترنيمة (33 : 7)، الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 233؛ مرسيا (إلياد). المرجع السابق. ج I. ص 388؛ فرزات (محمد حرب). المرجع السابق. ص 93؛ برنارد (جفري). المرجع السابق. ص 119؛ سيرغي (أ. توكاريف). المرجع السابق. ص 358.

(161) الراغب الإصفهاني (أبي القاسم الحسين بن محمد بن محمد الفضل)؛ الاعتقادات. تحقيق د. شعران العجمي. مؤسسة الإشراف للطباعة والنشر. بيروت/ لبنان. 1988. ص145؛ الملل والنحل. ج I . ص 237.

(162) برنارد (جفري)، المرجع السابق. ص 119؛ معو (د. ييبر)، "ضوء على فلسفة الديانة اليزيدية وأصلها". مجلة لالش. العدد (II ـ III) 1994. ص 156؛ آغرى (نزار) وفتاح (أوميد). "تحقيق حول اليزيدية". ملحق جريدة النهار اللبنانية. السبت 1995/3/25 م. ص 1. سيرغي (أ. توكارف). المرجع السابق. ص 358.

والبشر وقد تكون يزيدية انطلاقا من اسمها موصولة بجذور فارسية ميدية. ولا نقدم حكما نهائيا بشان هذه المسألة لكن يقتضينا البحث التعمق في ديانات المنطقة قبل الإسلام لنتبين مدى تشابه معتقدات اليزيدية بالمعتقدات المجوسية عسانا نخلص إلى رأي حول ما أكده بعض الباحثين من أن اليزيدية خليط من عناصر وثنية قديمة وعناصر زرادشتية ونصرانية وإسلامية"[163]

واليزيديون يؤمنون بوجود إله أكبر خالق لهذا الكون كما هو الحال للزرادشتية إلا أنه قد أعطى أمر تدبير الكون وإدارته إلى مساعده "ملك طاووس" أو "طاووس الملائكة" (إبليس)[164] الذي يرتفع عند اليزيدية إلى درجة الألوهية ويتمتع بمكانة خاصة عندهم ويصنفونه مع الملائكة[165]. وفكرة الشيطان "ملك طاووس" ترتبط بفكرة الخير والشر المتوارثة عن ديانة الأسلاف ويعبدونه اتقاء لشره[166].

---

(163) ملاحق الشهرستاني. ج II. ص 26.

(164) الغزالي (أبي حامد محمد بن محمد). مكاشف القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف. الناشر مكتبة الأزهر للتراث. القاهرة / مصر. 1412 هـ / 1991 م. ص 42. كتاب "الجلوة". المقدمة. آية: I. تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 24. الفرحاني (محمد). أقوام تحولت بينها فعرفتها. دمشق. 1958/1378. ص 31 – 35. جراد (د. خلف). اليزيدية واليزيديون. ص 22 – 23. حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 37 ـ 38. مراد (د. سعيد). الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي (قديما وحديثا). عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة / مصر. 1997 م. ص 189. LESCOT (R), "Un peuple minoritaire d'orient", la France méditerranéenne et africaine, série 3, 1938, P 59 ; SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), "Un témoignage kurde sur les Yezidis du Djebel Sindjar", Orientalia, série 2/4, Vol. II,1953, P 115 - 116 ; GUEST (J. S), op. cit., P 30 - 33

(165) الطبري. المصدر السابق. ج I. ص 81 ـ 82. الغزالي. المصدر السابق. ص 41. ابن الأثير. المصدر السابق. ج I. ص 23 ـ 25. ممو (د. بيير). المرجع السابق. ص 157.

(166) الأصفهاني (الراغب). المصدر السابق. ص 251. الفرحاني (محمد). المرجع السابق. ص 31 ـ 43. زكي (محمد أمين). المرجع السابق. ص 294 ـ 295. جندي (د. خليل). "نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية". لالش. العدد V. 1995. ص 26 ـ 27. السحمراني. من قاموس الأديان (الصابئة. الزرادشتية. اليزيدية). دار النفائس. بيروت / لبنان. 1997/1417. ج I. ص 79 ـ 80. الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 19. GUEST (J. S), op. cit., P 29 – 30.

ويتضح من خلال هذه الدراسة المقارنة لجوهر العقيدتين الزرادشتية واليزيدية أن هذه الأخيرة من الأديان الثنوية التي تصب تعاليمها على عبادة الخير وربما كان اليزيديون من أتباع الديانة الزرادشتية التي تجعل الكون تحت سيطرة النور والظلام[167] بينما يؤكد الباحث درويش حسو وهو من اليزيديين المهاجرين في ألمانيا أن الدين الزرادشتي هو نفسه الدين اليزيدي وان الملك طاووس هو الذي نزل على النبي زرادشت في شكل إنسان ذي أجنحة بلغة تبشير البشرية لعبادة الله[168] ويضيف هذا الباحث أنه بعد ظهور الديانات السماوية الكبرى في المنطقة انقسم الزرادشتيون إلى قسمين (الإيرانيين والكرد) وشطرت الديانة الزرادشتية إلى شطرين احتفظ الإيرانيون في الشرق بالتسمية الزرادشتية أما في الغرب في مناطق ميدية والجبال فأصبح الكرد يحملون اسم اليزدانيين[169] أو الازداهيين[170]. و"يزدان" هو نفسه إله الخير (أهورامزدا) كما بين ذلك الشهرستاني[171]، وبالتالي هذه التسمية مأخوذة من اسم هذا الإله الإيراني القديم وأطلقت فيما بعد على أتباعه الخلص[172] وذهب البعض إلى أنها نسبة إلى مدينة يزد الفارسية المعقل التاريخي للمجوسية[173] أو إلى يزدان وهي بمعنى الله[174]. ومع كل ذلك يؤكد

---

(167) الدرة (محمود). القضية الكردية. دار الطليعة. بيروت / لبنان. 1966. ص 181؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق. ص 19.

(168) ذكر القزويني في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات بأن جبريل هو نفسه "طاووس الملائكة" وأمين الوحي الذي ينزل على الرسل والأنبياء، وهو في شكل إنسان ذي أجنحة؛ حسو (درويش). الازداهيون اليزيديون. المركز الثقافي الكردي. بون / ألمانيا 1992. ص 24؛ الحكيم (دخيل). "مراجعة نقدية في كتاب الإزداهيون اليزيديون". لالش. العدد VII، 1997. ص 31.

(169) حسو (درويش). المرجع السابق. ص 16.

(170) حسو (درويش). المرجع السابق. ص 15. أي أن شعوب الله وأتباعه المباشريين.

(171) المصدر السابق، ج I. ص 237؛ حبيب (جورج). المرجع السابق، ص 49.

(172) زكي (محمد آمين). المرجع السابق. ص 293.

(173) مدينة يزد: متوسطة بين نيسابور وشيراز وإصبهان / إصفهان من أعمال فارس. والذي ينسب إليها يلقب باليزدي. معجم البلدان، ج V. ص 435؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 15.

(174) ملاحق الشهرستاني. ج II. ص 35.

عدد من اليزيديين بأن لديانتهم جذورا تعود إلى أزمنة غابرة أقدم حتى من ظهور زرادشت.

ومهما يكن من أمر فإن الارتباط بين المذهب اليزيدي والعقيدة الزرادشتية أكيد ويؤكد بعضهم أن الدين اليزيدي هو الدين "الإزداهي الزرادشتي"[175] ويتأكد لدى هذا الباحث من خلال المبادئ الأساسية التي تقوم عليها الزرادشتية أنها هي نفسها التي تتباناها اليزيدية وهي المبادئ الإلاهية (الأفكار الجيدة والسليمة، الكلام الجيد والسليم، الأعمال الجيدة والسليمة)[176] وقد هاجر عدد من الزرادشتيين من إيران نحو الشرق واستقروا في الهند وخاصة في مدينة "بومباي" وما حولها في القرنين السابع والثامن للميلاد وأطلقوا على أنفسهم اسم (Pesrsis/Parssia) أي الفرس القدامى[177] وبقي قسم قليل منهم في مدينة "يزد" معقلهم التاريخي وفي مناطق أخرى من غرب إيران. ومن المفيد أن الديانة الزرادشتية بقيت متجذرة في إيران وميدية إلى الفتح الإسلامي خلال القرن السابع ميلادي[178]. وحتى إبان مرحلة لاحقة من الفتح خصوصاً أن المسلمين عاملوا المجوس الزرادشتيين كأهل كتاب فالأغلبية العظمى من سكان فارس منهم وهي بلادهم التي بها بيوت نيرانهم ودار ملكهم وأديانهم وكتبهم[179]

---

(175) حسو (درويش). المرجع السابق. ص 65. سيرغي (أ. توكاريف). المرجع السابق. ص 365.

(176) الشهرستاني، المصدر السابق. ج I. ص 237. حسو (درويش). المرجع السابق. ص 65 ـ 68. الزيبياري (محمد صالح). المرجع السابق. ص 85. الجراد (د.خلف). المرجع السابق. ص 20 ـ 21.

(177) البحراني (مكي). المرجع السابق. ص 39. حبيب (سعيد). المرجع السابق. ص 157. الزيبياري (محمد صالح). المرجع السابق. ص 92. برنارد (جفري). المرجع السابق. ص 132 ـ 133. الزحيلي (محمد) وآخرون. المرجع السابق. ص 161. سيرغي (أ. توكاريف). المرجع السابق. ص 365.

(178) البلاذري. المصدر السابق. القسم الثاني. ص 371. الطبري. المصدر السابق. ج IV. ص 94. 144. الأندلسي (صاعد). المصدر السابق. ص 65. ابن الأثير. المصدر السابق. ج II. ص 388. خماش (نجدة). الإدارة في العصر الأموي. ص 66 ـ 67.

(179) الإصطخري (أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي). مسالك الممالك. بريل (Brill). 1927. ص 139.

ب- المانوية

لابد أن نحدد السياق الحضاري الذي اكتنف ظهور ماني في البداية.

فقد كانت بلاد الرافدين والهضبة الإيرانية في بدايات القرن الثالث ميلادي مؤلفة من مناطق متصارعة سياسيا. وتقع كل واحدة منها تحت مؤثرات متضاربة وعقائد متنافسة ومركز للصدام الدولي[180] بين كل من الإمبراطورتين الرومانية والفارسية وحقل صراع بين الثقافتين الإيرانية الشرقية واليونانية الغربية ومجموعة من العقائد المختلفة لعديد الطوائف، والديانتان هما المسيحية التي سوف تكون الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية والزرداشتية التي شاءت الأقدار والظروف أن تكون منافسة للمسيحية وهي الأكثر انتشاراً في فارس وفي ظل هذه الظروف والتغيرات الدولية اعتبر كل طرف أن انتشار عقائد الطرف الآخر في منطقة نفوذه خطر يهدد سيطرته السياسية[181]. في هذه الظروف ولد "ماني" أو "ماينخوس" في 14 أفريل 216 م في جنوب بابل لعائلة من أصل إيراني[182] وقضى طفولته وشبابه في هذه البلاد التي كانت في ذلك الوقت بوتقة تنصهر فيها عديد المذاهب والأديان. ومعنى اسم ماني بالفارسية "الفريد النادر"[183] وكعادة العظماء والأنبياء الذين شاءت لهم الظروف والأقدار أن يلعبوا على مسرح الحياة دوراً غير عادي تقترن ولادتهم دوما بمعجزات تتدخل قوى غيبية غير عادية في هذا الأمر فنجد أن الأسطورة المانوية قد زخرفت هذا الحدث بكل أنواع البشائر والمعجزات الرائعة مما يحيل في الأذهان إلى قصص

---

(180) المسعودي. مروج الذهب. ج ا. ص 235 ـ 236، جيو وايد. المرجع السابق. ص11.

(181) عثمان (أحمد). "ماني التوأم البابلي": نشر دعوته من الحيرة إلى بلاد المغرب. جريدة الحياة العدد 1278 بتاريخ 6 مارس 1998، ص 21.

(182) الدينوري. المصدر السابق. ص 47. ابن النديم. المصدر السابق. ص 457، البيروني. الآثار الباقية عن القرون الخالية. ص 208، جيو وايد. المرجع السابق. ص 40 ـ 41، برنارد (جفري). المرجع السابق. ص 129.

(183) برنارد (جفري). المرجع السابق ، ص 129.

الولادات الخارقة فمن المسلم به أن تكون مريم أم ماني قد علمت عن طريق الإلهام ما قدر لابنها من مواهب عظيمة مقبلة[184] والهاتف الذي هتف لوالد زردشت وزكريا يبشره بيحي (يوحنا المعمدان عند النصارى) وللسيدة مريم العذراء يبشرها بعيسى[185] هو نفسه الذي أتى لفاتق والد ماني في المعبد[186] والقصة نفسها سنلاحظها في ولادة إمام العدوية أو اليزيدية عدي بن مسافر. وهكذا يتبين أن المشترك في هذه القصص هو الهالة المقدسة التي رافقت بل وسبقت حدث الولادة.

ولقد أخرج النسابة العرب نسبا لماني بن فتق بن بابك ويعرف كذلك باسم أستاذه قادرون أو القادرون[187] ففي عهد الملك سابور بن أردشير[188] (241 ـ 272 م) برز ماني بوصفه مصلحا دينياً حاول أن يوفق بين عناصر متعددة لإنشاء دين جديد حيث كان على إطلاع على الديانات المعاصرة في المنطقة (الزرادشتية. البوذية. اليهودية والمسيحية)[189] حتى أن ديانته كانت مزيجاً من هذه الديانات بالرغم من استنادها في مبادئها على ما جاء به زرادشت[190].

---

[184] ابن النديم. المصدر السابق. ص 457؛ فرويد (سيغموند). موسى والتوحيد. ترجمة د. جورج طرابيشي. دار الطليعة. بيروت/لبنان. 1986. ص 12.

[185] القرآن الكريم (19 : 7. 19).

[186] ابن النديم. المصدر السابق. ص 457. جيو وايد. المرجع السابق. ص 40.

[187] المسعودي. مروج الذهب. ج ا. ص 237. التنبيه والإشراف. ص 207.

[188] الفردوسي (أبو القاسم). الشاهنامة. ترجمة الفتح بن علي البنداري. تحقيق وتعليق د. عبد الوهاب عزام. طبعة دار السعاد الصباح. الكويت 1413 هـ / 1993م. ج ا. ص71؛ المسعودي. المصدر السابق. ج ا. ص 236؛ الشهرستاني. المصدر السابق. ج ا. ص244. جيو وايد. المرجع السابق. ص 13.

[189] الدينوري. المصدر السابق. ص 47. ابن النديم. المصدر السابق. ص 458؛ جيو وايد. المرجع السابق. ص 41 ـ 44؛

[190] الدينوري. المصدر السابق. ص 47؛ ابن النديم. المصدر السابق. ص 458؛ البيروني. المصدر السابق. ص 207. جيو وايد. المرجع السابق. ص 44؛ حميد (فوزي محمد). عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة. ص 270 ـ 272. الزحيلي (محمد) وآخرون. المرجع السابق. ص 223. فرزات (محمد حرب). مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة قبل الإسلام. 1989/1409. ص 154.

فقد قبل من الزرادشتية حلها لمسألة الخير والشر واقتفى أثر الحكيم بوذا في الزهد وادعى أنه هو المخلص المنتظر أو "الفار القليط" الذي بشر به السيد المسيح[191]. ثم لقي ماني صدودا ونفورا من قبل كبار الكهنة الزرادشتيين حيث عملوا على طرده من البلاد فمضى إلى منفاه في شرق آسيا وبدأ عمليات التبشير بمذهبه في شمال الهند وهضبة التبت (Tebet) وتركستان وخراسان[192] ووصلت تعاليمه إلى مصر والمغرب الروماني[193] ففي مصر وجدت برديات باللغة القبطية تحمل تعاليم من العقيدة المانوية[194] وفي المغرب اعتنقها القديس أوغسطين (354 ـ 430م) ثم تخلى عنها إلى المسيحية[195]. وقد نادى ماني في تعاليمه بأفكار ألهبت حماس الطبقات المسحوقة في المجتمع الإيراني ونشرها ضمن رسائل تناول فيها الفكر والفلسفة وقد اعتبر ماني المادة رأسا للشر[196] وقد فرض ماني على أصحابه جملة من الفرائض كالزكاة والصلوات الأربع في اليوم والليلة والدعاء إلى الحق وترك الكذب، والقتل والسرقة والزناء والبخل والسحر وعبادة الأوثان[197] وعمل خصومه الألداء على اتهامه بالإباحية حيث ألصقوا به تهمة "اللواط"،

---

(191) الدينوري. المصدر السابق. ص 47؛ ابن النديم. المصدر السابق. ص 458؛ البيروني. المصدر السابق. ص 207؛ جيو وايد. المرجع السابق. ص 44؛ حميد (فوزي محمد). عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، ص270 ـ 272؛ الزحيلي (محمد) وآخرون. المرجع السابق. ص 223؛ فرزات (محمد حرب). المرجع السابق، ص 154.

(192) الفردوسي. المصدر السابق. ص 71؛ البيروني. المصدر السابق. ص 207؛ جيو وايد. المرجع السابق. ص 50 ـ 53؛ فرزات (محمد حرب)، المرجع السابق. ص 155؛ عثمان (أحمد). المرجع السابق. ص 21.

(193) جيو وايد، المرجع السابق. ص 53؛ فرزات (محمد حرب)، المرجع السابق. ص 155؛ عثمان (أحمد)، المرجع السابق. ص 21.

(194) جيو وايد. المرجع السابق. ص 58؛ عثمان (أحمد)، المرجع السابق، ص 21.

(195) جيو وايد، المرجع السابق، ص 53؛ فرزات (محمد حرب)؛ المرجع السابق، ص 155؛ عثمان (أحمد). المرجع السابق. ص 21.

(196) ابن النديم. المصدر السابق، ص 457؛ البغدادي، الفرق بين الفرق. ص 271؛ البيروني. المصدر السابق. ص 207؛ الشهرستاني. المصدر السابق. ج 1. ص 248.

(197) الفردوسي. المصدر السابق. ص 70؛ البيروني. المصدر السابق. ص 207 ـ 208. الشهرستاني، المصدر السابق. ج 1. ص 245 ـ 246؛ جيو وايد. المرجع السابق. ص 47 ـ 52.

إذ قالوا على لسانه: "أنه إذا اهتاجت شهوة الإنسان فعليه أن يختص بخادم أمرد أجرد"[198] وقد شكك البيروني في صحة هذه الإدعاءات حيث وقف على كتب المانوية ولم يجد ذكراً لذلك. وأن سيرة ماني وتزهده تدحض كل الإشاعات التي يضعها السوقة لمحاربة الأخيار وتدعو المانوية إلى التزهد ونبذ الترف وأن الجسم البشري شيئاً فيزيائياً ليس في حد ذاته شرا كما أنه ليس بالضرورة مصدرا للشر وقد أخبر ماني عن تكون العالم وهيئته ودعا إلى ملك عوالم النور والإنسان قديم وروح الحياة قديمة أيضاً وقال بقدم النور والظلمة وأزليتهما. وحرم ذبح الحيوانات وإيلامها[199] وإيذاء النار والماء والنبات وحرص ماني على قمع شهوات الجسد والزهد في هذه الدنيا أقصى ما يمكن بدوام الصوم والتصدق بما أمكن وتحريم اقتناء شيء عدى قوت اليوم الواحد ولباس سنة وأن عمل الإنسان هو الدعوة والتبشير والإرشاد لذلك[200] وقد اتخذ جميع وسائل التبليغ لذلك كان الرسم من جملة وسائل الدعوة وقد اشتهر عند الإخباريين بماني النقاش[201] وصوره بقيت حتى العهد العباسي[202]. واعتبر عمل ماني بدعة في تلك الحقبة التاريخية وهرطقة دينية ضد ما كان سائداً ومألوفاص خاصة إذا ما خالف جوهر عقائد "الآخر" الذي يملك جميع أسباب القوة من سلطان ومال وعساكر.

---

[198] البيروني. المصدر السابق. ص 208. جيو وايد. المرجع السابق. ص 42.

[199] المعري (أبو العلاء). لزوم ما لا يلزم من اللزوميات. دار صادر بيروت / لبنان. (د.ت). ص 295.

[200] الدينوري. المصدر السابق. ص 47. البغدادي. الفرق بين الفرق. ص 271. البيروني، المصدر السابق. ص 207 ـ 208. الشهرستاني. المصدر السابق. ج 1. ص 244 ـ 249. ابن الجوزي، تلبيس ابليس. ص 51 ـ 52. برنارد (جفري). المرجع السابق. ص 129 ـ 130. حميد (فوزي محمد). المرجع السابق. ص 273 ـ 276.

[201] الدينوري. المصدر السابق. ص47. ابن النديم. المصدر السابق. ص458. الخوارزمي. مفاتيح العلوم. تقديم وإعداد د. عبد اللطيف محمد العيد. دار النهضة العربية بيروت / لبنان (د. ت). ص 46. الفردوسي. المصدر السابق. ص 70. البيروني. المصدر السابق. ص 208. جيو وايد. المرجع السابق. ص 180 ـ 181. برنارد (جفري). المرجع السابق. ص 130.

[202] الخوارزمي. المصدر السابق. ص 46. البيروني. المصدر السابق. ص 208. جيو وايد. المرجع السابق. ص 128 – 129.

انتشرت العقيدة المانوية انتشارا واسعا في آسيا الغربية (الشرق الأدنى القديم) والهند والصين وبعض أجزاء الإمبراطورية الرومانية الغربية. بل استطاع ماني أن يطول القصور الملكية ويؤثر على الملك بهرام I (273 ـ 276م) وإقناعه باعتناق مذهبه الجديد[203] والظاهر أن الملك تظاهر باعتناقه للمانوية نتيجة الضغط الكبير لكهنة معابد النار الزرادشتية الذين تضايقوا من هذه الدعوة[204] وبعد مناظرة بين ماني وكبار كهنة الزرادشتية وبدعم من سلطة الإمبراطور نظم هذا الأخير محاكمة صورية أرادها الإمبراطور من أجل الحفاظ على دسته وحرمته أمام شعبه لذلك لم يقدم على عقوبته إلا بعد محاججته بالبراهين المنطقية التي خطط لها الإمبراطور وفي الحقيقة خشي بهرام I من ماني ومن المبادئ التي رفعها ونادى بها بل إن عديد النصوص القبطية للمانوية تؤكد لنا كيف تمت مؤامرة اعتقال ماني حيث تحالف رجال الدين بقيادة كارتير Kartir والإمبراطور بهرام I الذي أحسن التدبير والتخطيط حتى لا يتهم بقتل مصلح ديني وإنما تمت مناظرته وثبت فساد دعوته وبطلانها وأنه داعية للشيطان[205] وهكذا وجدت المبررات لقتل ماني ومحاربة دعوته بعد استفحال انتشارها خاصة وأنها تضاربت مع مصالح رجال الدين وبالتالي معارضة السلطة لها بقوة الحديد وعلى الأرجح تم إعدامه بعد المناظرة مباشرة بين سنوات 273 و 276 م فسلخ جلده حيا وصلب على بوابة مدينة جنديسابور. وسمي باب المدينة باسمه[206].

---

[203] الدينوري. المصدر السابق. ص 47؛ المسعودي. المصدر السابق. ج ا. ص 237، الخوارزمي. المصدر السابق. ص 45؛ الفردوسي. المصدر السابق. ص 70، جيو وايد. المرجع السابق. ص 57.

[204] الخوارزمي. المصدر السابق. ص 45؛ البيروني. المصدر السابق. ص 208، جيو وايد، المرجع السابق. ص 58 ـ 61؛ فرزات (محمد حرب). المرجع السابق. ص 155، حميد (فوزي محمد). المرجع السابق. ص 281.

[205] الدينوري. المصدر السابق. ص 47، الطبري. المصدر السابق. ج ا، ص 398، المسعودي. المصدر السابق، ج ا. ص 237، الخوارزمي. المصدر السابق. ص 45؛ برنارد (جفري). المرجع السابق. ص 129. جيو وايد. المرجع السابق. ص 58.

[206] الدينوري. المصدر السابق. ص 47؛ المسعودي. المصدر السابق. ج ا. ص 237، الخوارزمي. المصدر السابق. ص 56. الفردوسي. المصدر السابق. ص 71؛ برنارد (جفري). المرجع السابق. ص 129. جيو وايد. المرجع السابق. ص 61 ـ 62.

وكتب ماني باللغة السريانية (الأرامية) معظم كتبه لأنها لغة الثقافة والفكر في مناطق الهضبة الإيرانية وبلاد ما بين النهرين، ما عدى كتابا واحدا كتبه باللغة الفارسية وهو المجلد المسمى "التابرقان" الذي أوقفه على الملك شابور بن أردشير حيث عرض فيه عقيدته وذكر به عن نزول الأنبياء والرسل وعن الوحي النازل من السماء كما تكلم فيه عن الإيمان بالآخرة وله كتاب "الإنجيل الحي" و"الإنجيل العظيم" الذي أعده ماني ليكون نظيرا وبديلا لإنجيل عيسى ويلقي به كل الأناجيل المسيحية وكتابه "كنز الأحياء" وفيه سبعة أسفار. وكتاب "سفر الأسرار" وفيه ثمانية عشر باب وكتاب "سفر الجبابرة" و"سفر الأحياء" وغيرها[207] وله عشرات الرسائل باللغة القبطية تناولت الكثير من المواضيع[208] وكما وضحنا سابقا فقد أشعت العقيدة المانوية وكانت لها في هذه المنطقة من بلاد فارس والعراق امتدادات في اللاحق من الفترات التاريخية لذلك تذهب بعض الدراسات الحديثة إلى اعتبار المانوية مع الزرداشتية من أصول النحلة اليزيدية[209] حيث تكمن في اليزيدية بعض الجذور الثنائية (Dualisme)[210] ومن جملة التأثيرات المانوية على اليزيدية نظامها الهرمي للأتباع والمريدين الذين قسموا حسب الأدوار التعبدية وهذا التقسيم الطبقي مازال عند اليزيدية إلى يومنا هذا[211] كذلك تأثيراتها على الصوفية الإسلامية وبالتالي تأثر العدوية ومن ثمة اليزيدية بمظاهر التزهد وغيرها[212]. فالفلسفة الصوفية جميعها مزيج من

---

[207] ابن النديم. المصدر السابق. ص 470 ـ 471؛ الآثار الباقية، ص 208؛ القرماني. أخبار الدول، ج I، ص 134. جيو وايد. المرجع السابق. ص 142 ـ 148؛ حميد (فوزي محمد). المرجع السابق، ص 276.

[208] عثمان (أحمد). المصدر السابق. ص 21 .

[209] LESCOT, (Roger), Enquête sur les Yezidis., P 61; DE PLANHOL (Xavierl), Minorités in Islam, Geographie Politique et Social, Paris 1997, P 179 - 180 .

جراد (خلف). المرجع السابق، ص 19.

[210] كتاب "الجلوة" فصل III (آية 1 ـ 3) .

[211] سنطلع بشكل دقيق على طبقات اليزيدية الدينية والاجتماعية في فصل آخر من هذا البحث.

[212] المقدسي (البلخي). البدء والتاريخ، م II، ص 104؛ محمود (عبد القادر). الفلسفة الصوفية في الإسلام. دار الفكر العربي القاهرة/مصر. 1967، ص 10.

العقائد الفارسية والهندية القديمة وكذلك الإغريقية ولكن التأثيرات الفارسية أكثر لأن أغلب متكلمي صوفية الإسلام من أصول إيرانية واعتقادهم بوحدة الوجود وأن لكل زمن نبيه ولكل قطب زمانه هي امتداد لتلك الصور التي نادى بها ماني وطورها عن زرادشت حيث نجد أن "الصفي اوالولي أو الكلمة الذكية... كل أولئك كان قبل أن تكون السماء والماء والأرض والأنعام والأشجار والنار"[213].

وما قام به الشيخ عدي بن مسافر هو نفسه امتداد لإصلاحات زرادشت فكلاهما جاء لتغيير التركيبة الخارجية بوضع نظام هرمي وتقسيم اليزيدية إلى مراتب دينية دون أن يتمكن من تغيير محتواها وفلسفتها اللاهوتية بحيث بقيت الآثار القديمة تتعامل مع اليزيدية في كل زمان ومكان[214] وكذلك نلتمس الزهد الذي حرص عليه ماني وأتباعه ومريديه عند اليزيدية وما وجود عديد الطرق الصوفية في جبال الأكراد والهضبة الإيرانية إلا تواصل وامتداد لمبادئ دعوة ماني لكن بثوب إسلامي[215] ومع ذلك لم يتلاءم فكر ماني مع العقائد الإسلامية التوحيدية لذلك حافظت المانوية على المظهر الذي قد يغض عنه الطرف ألا وهو الزهد والتقشف[216].

ج- المزدكية

تعود بداية الدعوة المزدكية إلى أيام الإمبراطور الساساني "قباذ الأول" (488 - 491م)[217] الذي استجاب لأفكار ولدعوة "مزدك بن مازيار" من

---

(213) محمود (عبد القادر). المرجع السابق. ص 21.
(214) ممو (د. بير). المرجع السابق. ص 163.
(215) ممو (د. بير)، المرجع نفسه. ص 106.
(216) الزحيلي (د. محمد). المرجع السابق. ص 225.
(217) الدينوري. المصدر السابق.. ص 65؛ المسعودي. المصدر السابق.. ج 1. ص 247. فرزات (محمد حرب). المرجع السابق، ص 159؛ الزبياري (محمد صالح). المرجع السابق. ص 91.

أهل اصطخر[218] وتشير المصادر إلى سعة إطلاعه العلمي والمعرفي وأنه امتداد فكري لزرادشت وماني فقد نهل من مشارب دينية وفكرية مختلفة وأنه اشتغل "موبذان" أيام "قباذ بن فيروز" و"موبذ" بمعنى قاضي القضاة في ديانة المجوس / الفرس[219] وكان أساس دعوته هو القضاء على امتيازات الأشراف ورجال الدين الزرادشتيين الذين أثروا على حساب الرعية المدقعة والفقيرة خاصة وأن المجتمع الفارسي الساساني كان طبقيا ومن السهل جداً التمييز بين العامة والنبلاء في الملابس والمهنة والزينة والمراكب وقد حافظت النظم والأعراف الساسانية على هذا التمييز الطبقي مما جعل الأمور تصل إلى حد الغليان في الأوساط المسحوقة والمعدمة فدعوة مزدك كانت إلى المساواة بين الناس وتطبيق العدالة الاجتماعية وتوزيع الأموال على الفقراء[220]. ومما قاله مزدك في تعاليمه: "أن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتآسي ولكن الناس تظالموا فيها وزعموا أنهم يأخذون الفقراء من الأغنياء ويردون من المكثرين على المقلين وأنه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو أولى به من غيره"[221].

وقد أحسن قباذ استغلال دعوة مزدك الدينية الاجتماعية لدعم أركان حكمه نتيجة الوهن السياسي وضعف نفوذه أمام تزايد نفوذ قادة الجيش ورجالات الدولة الكبار الذين سلبوه السلطة ولم يبق له غير الاحتفاظ بمنصبه كإمبراطور لدولة كبرى[222] وقد استغل العامة والسفلة وغوغاء الناس هذه الدعوة الاجتماعية للحصول على مبتغاهم من الأموال والنساء أي للإثراء

---

(218) الدينوري. المصدر السابق. ص 65 – 67

(219) الخوارزمي. مفاتيح العلوم. ص 38. البيروني. الآثار الباقية. ص 209.

(220) سبير (أ. توكاريف). المرجع السابق. ص 363. الزبياري (محمد صالح). المرجع السابق. ص 91 .

(221) ابن الأثير. الكامل في التاريخ. ج 1. ص 413

(222) الدينوري. المصدر السابق. ص 65. المسعودي. المصدر السابق. ج 1. ص 247 – 248. ابن الأثير. المصدر السابق. ج 1. ص 413. الزبياري (محمد صالح). المرجع السابق. ص 91 .

والاغتنام كما أشار بعض المؤرخين[223]. وككل دعوة تجديدية ذات جذور وأهداف دينية لقيت كل الرفض من قبل النبلاء وكبار الساسة ورجال الدين الذين عملوا بكل الوسائل لضرب تعاليم مزدك المثالية آنذاك. ولم يبق هؤلاء مكتوفي الأيدي بل دافعوا عن مصالحهم بكل قوة وبدون هوادة فأكبر ضربة وجهت للمزدكية تمت بدعم ومباركة من رجال الدين الزرادشتي والأرستقراطية الفارسية المتنفذة وعزلت قباذ من الحكم بين سنتي (496 و 498 م) بسبب مساندته لمزدك واستصداره مراسيم وقوانين لتسهيل تنفيذ مبادئ هذه الدعوة ومعاقبة كل من يرفض مقاسمة الفقراء وأفراد الشعب أمواله وممتلكاته وكذلك أوامره بتخفيض الضرائب وتخفيف قيود الزواج واعتبرها مناقضة لمقاصد "الله" في تفريقه بين الناس في اختلاف الخليقة[224] وعينوا مكانه أخاه "جاماسب"[225].

وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ويتهم بأنه جعل الناس شركة في النساء والأموال. حيث أحل النساء وأباح الأموال. وحكي أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر والظلمة[226] ولكن طرأ دسّ على المزدكية خاصة فيما يشاع عن إباحية النساء كما اتهم ماني بإباحية "اللواط" في حين أن سيرته تخالف كل ما قيل عنه فلفقت له قصة تتهم مزدك نفسه بطلبه من قباذ الأول[227] تمكينه من زوجته أم كسرى "أنو شروان" للمتعة بها فأجابه إلى ذلك وهذه هي الطامة الكبرى التي أثارت نقمة أعيان المجتمع الساساني وهذا يعتبر في نطاق حملة الدس والتشويه ضد شخص مزدك وما أشيع محاولة من خصوم مزدك للقضاء عليه[228].

---

[223] الدينوري. المصدر السابق. ص 67؛ المسعودي. المصدر السابق. ج ا. ص 247؛ البيروني. المصدر السابق. ص 209.

[224] ألبان (ج. ويدجري). المرجع السابق. ج ا. ص 142.

[225] المسعودي. المصدر السابق. ج ا. ص 247. فرزات (محمد حرب). المرجع السابق. ص 159.

[226] الشهرستاني. المصدر السابق. ج ا. ص 249.

[227] البيروني. المصدر السابق. ص 209؛ ابن الأثير. المصدر السابق. ج ا. ص 413.

[228] البيروني. المصدر السابق. ص 209؛ ابن الأثير. المصدر السابق. ج ا. ص 413.

أما تعاليمه فبعيدة عما نسب إليه فقد أمر أتباعه بالكف عن ذبح البهائم حتى يأتي عليها أجلها وقال يكفي الإنسان ما تنبته الأرض وما يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجبن[229] وهذا نجده عند أتباع الديانات الهندية بشكل واضح كما وجدنا هذا عند بعض الشيوخ العقل من الدروز في سوريا ولبنان والمثال المشهور في التراث الأدبي هو الفيلسوف الشاعر العربي الكبير أبو العلاء المعري الذي حرم على نفسه أكل منتوج ذوات الأرواح كالبيض واللبن واللحم إلى أن مات[230].

وقد استطاع "قباذ" الذي خلع من ملكه العودة إلى الحكم ما بين (502 ـ 531 م) بعد أن وطد أركان دولته وعمل على إضعاف الحركة المزدكية حيث لم يعد أي اعتبار لكهنة مزدك خاصة أن المزدكية هددت مصالح العائلة المالكة وما تتمتع به من امتيازات وما تملكه من ثروات وقد وضع كسرى أنو شروان ابن قباذ الأول حداً لحياة مزدك ولدعوته وأتباعه كتمهيد للنجاحات التي سوف يحرزها طيلة حكمه كإمبراطور ساساني عظيم (531 ـ 579 م). ففي سنة 528 م قتل مزدك مع ثمانين ألف من أتباعه وذلك في المناطق الممتدة ما بين "حادر" و"النهروان" من أرض العراق وبذلك تمت تسميته بـ"أنو شروان" أي جديد الملوك[231] ووحد ديانة مملكته على المجوسية حينما تولى عرش أجداده سنة 531 م. علما أنه منح رعيته نوعا من الحرية الدينية وخفف من عقوبة الارتداد عن دين زرادشت إلى السجن بدل الإعدام ثم إصلاحهم بالوعظ والإرشاد[232].

---

[229] الدينوري. المصدر السابق. ص 66. المسعودي. المصدر السابق. ج ا. ص 247 ـ 248. البيروني. المصدر السابق. ص 209.

[230] الدينوري. المصدر السابق. ص 67. المسعودي. المصدر السابق. ج ا. ص 248. ابن النديم. المصدر السابق. ص 480. الشهرستاني. المصدر السابق. ج ا. ص 249. ألبان (ج. ويدجري). المرجع السابق. ج ا. ص 142. فرزات (محمد حرب). المرجع السابق. ص 159. الزبياري (محمد صالح). المرجع السابق. ص 92.

[231] المسعودي. المصدر السابق. ج ا. ص 248. DE PLANHOL (Xavier), op. cit., P 180.

[232] المسعودي. المصدر السابق. ج ا. ص 251 – 252

بل وتذكر المصادر التاريخية عن إقامته مناظرات دينية بين رجال الدين الزرادشتيين ورجال الدين المسيحيين[233] وهذه من الحلول التي رآها جديد الملوك للقضاء على التعصب الديني.

ومهما يكن من أمر ديانة ومذهب مزدك فإننا نجد بصماتها لدى اليزيدية خاصة وأن منطقة السيطرة والمجال الحيوي للمزدكية والقاعدة الخلفية لكهنتها هي تلك المناطق التي يعتبرها اليزيديون الأكراد وطنهم القومي وهي من حادر إلى النهروان في شمالي العراق وسوريا[234] وبالتالي نجدها في اعتقاداتهم التي نلحظ فيها التأثيرات الزرادشتية والمانوية ثم تبنتها المزدكية وعملت اليزيدية على الحفاظ عليها كإرث خاص بها فيما يتعلق بالطقوس وبعض العادات التي سوف نراها لاحقا. وبالتالي ربما يساعدنا الاطلاع على بعض جوانب المزدكية في معرفة أصول وجذور اليزيدية.

3. الأناضول: المثرائية

انبثقت في بلاد فارس وجبال العراق والأناضول نسبة إلى الإله "ميثرا" من الأرباب المعبودة لدى الشعوب الهندية والإيرانية في موطنها الأصلي في شبه القارة الهندية والهضبة الإيرانية وهو الإله الذي حملوه معهم في حلهم وترحالهم ولقد جاء ذكره في ترانيم النبي الحكيم زرادشت وهو أقدم ذكر لهذا الإله باسمه[235]. بأنه إله النور حامي حمى الحقيقة وعدو الكذب والخطيئة[236].

---

(233) المسعودي. المصدر السابق. ج ا. ص251؛ كريستنسن (آرثر). ايران في عهد الساسانيين. ترجمة يحي الخشاب. القاهرة. 1958. ص 302 ـ 347. الأحمد (سامي سعيد الهاشمي) ورضا (جواد). المرجع السابق. ص 161 ـ 164؛ الزبياري (محمد صالح). المرجع السابق. ص 92.

(234) المسعودي. المصدر السابق. ج ا. ص 248؛ DE PLANHOL (Xavier), op. cit., P 180.

(235) ترانيم زرادشت. (يخت: (10) ـ1)؛ إلياد (مرسيا). المرجع السابق. ج ا. ص 398.

(236) المصدر نفسه. (يخت: (10): 142 ـ 144)؛ الشهرستاني. المصدر السابق. ج ا. ص 234؛ إليا (مرسيا). نفس المصدر. ج ا. ص 399. WAHBEE (Taufiq), Yezidies are the remmant of mithrism. ترجمه عن الأصل الأنقليزي شوكت إسماعيل حسن تحت عنوان "اليزيدية بقايا الديانة المثرائية". مجلة لالش. العدد II ـ III. 1994. ص 65.

يصور الإله "ميثرا" دوما. وهو يقتل ثورا في الإمبراطورية الرومانية. ويسمى هذا النوع من التصوير، Tauroctone، أي "ذبح الثور" وهو شعار الديانة الميثرائية[237]. وميثرا واحد من تلك الآلهة التي ظلت عبادتها في إيران مع إن الحكيم زرادشت كان قد ألغاها وأبطلها[238]. وحورت كلمة ميثرا في إيران منذ القرن الأول بعد الميلاد إلى "مهر" وهي تعني الشمس والعقود وبقيت إلى العهد الإسلامي اسما للشمس ولفكرة الشفقة والمحبة[239].

أما عن أصول هذه الديانة فقد اختلفت فيها الآراء وأقدمها يقول بأنها ذات جذور فارسية قديمة أخذت شكلها النهائي في مناطق آسيا الصغرى خلال العصر الهللينستي[240]. وهناك رأي آخر يقول بأنها ديانة غريبة تطبعت بملامح شرقية تتميز بها ديانات الشرق الأدنى[241] وهناك رأي ثالث يعيد هذه الديانة إلى أصول يونانية شرقية. نشأت في سوريا أو بلاد الأناضول في أواخر العهد الهللنستي. ثم انتقلت إلى الغرب الروماني[242].

وإذا حاولنا التعرف على السياق الذي أحاط بوجود الإله "ميثرا" في الإمبراطورية الفارسية للتحقق من أصول وجذور هذه الديانة. وجدنا أن ميثرا قد ظهر في ديانة عباد الطبيعة "الهند وإيرانية" القديمة قبل محاولة النبي

---

(237) VERMASEREM (M), Mithras : The secret God, New York, 1963, P 21. الشيخ (د. حسين). ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ. ص 78. جورج حبيب. المرجع السابق. ص 51.

(238) WIKANDER (Stig), "Mithraen vieux-perse", Orientalia, vol (I), Fax 1/2, 1952, P 66؛ وهبي (توفيق). "اليزيدية بقايا الديانة المثرائية". لالش العدد II-III. 1994. ص 65.

(239) ترانيم زرادشت. (بخت: (10)-142). وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 65؛ إلياد (مرسيا). المصدر السابق. ج I. ص 398. الشيخ (د. حسين). ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ. ص 79. HOWARD (Teeple), The Cult of Mithras, Religion and Ethics, Institute, Evanston, U.S.A, 1988, P 3-4.

(240) WIKANDER (Stig), op. cit., P 66.

(241) HOWARD (Teeple). op. cit., P 3. الشيخ (د. حسين). المرجع السابق. ص 78.

(242) HOWARD (Teeple),op. cit., P 3.

الحكيم زرادشت تطويرها والتبشير بمذهبه الجديد(243). ومع ذلك نجد بعض الإشارات إلى ميثرا في كتاب الزرادشتية المقدس "الأفستا" Aesta وخاصة في الترانيم (الأناشيد: Gathas) إلا أن أغلب المختصين في الأديان والمذاهب يميلون إلى الاعتقاد بأن هذه الأناشيد منسوبة إلى الأفستا. ورغم ذلك فتمجيد ميثرا لا يرجع إلى زرادشت بل إلى أتباعه الذين كتبوا بعد موته هذه الأناشيد لتحقيق بعض المواءمة بين الزرداشتية والديانات الإرية القديمة(244).

وبعد الانتشار الواسع للزرادشتية في بلاد فارس بفعل اتخاذها من الملوك الفرس كديانة رسمية لهم اضطر كهنة الديانات القديمة إلى الهجرة إلى مناطق جديدة في بابل وسوريا والأناضول ونشروا فيها عبادة ميثرا ثم امتد هذا الانتشار إلى الامبراطورية الرومانية حيث اتخذت العبادة شكلا يونانيا(245).

وتبعاً لذلك حدث تطور كبير فيما يخص ديانة ميثرا فقد حوله معتنقوه إلى إله كبير مستقل لا يخضع لإله آخر بل لا نظير له ولا مثيل مع الآلهة الأخرى(246) كما كان الشأن في السابق وأصبح أتباعه يمثلون الوسطاء بين الإنسان وأهورمازدا (Ahurmazda).

وقد أجمع أصحاب الاختصاص على قدم هذا المعتقد الأري لدى الشعوب "الهند والإيرانية" ثم أخذت عديد الملامح والتأثيرات الأخرى في التجلي بعد هجرة أتباعه خارج الهضبة الإيرانية.

ويذكر بأن تاريخ ميثرا أو "الميثرائية" يعود إلى حوالي 6000 سنة خلت(247) لذلك أرجعوها إلى قدماء الفرس الإيريين(248) وعلى الرغم من قلة

---

(243) WIKANDER (Stig), op. cit., P 66؛ وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 65؛ الشيخ (د. حسين). المرجع السابق. ص 79.

(244) ZAEHNER (R. C),<u>The Dawn and Twilight of Zoroatrinism</u>, London 1961, P 62. الشيخ (د. حسين). المرجع السابق. ص 79 – 80

(245) HOWARD (Teeple),op. cit., P 5 - 6. وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 66؛ الشيخ (د. حسين). المرجع السابق. ص 81 – 82.

(246) WIKANDER (Stig), op. cit., P 66.

(247) دارول (أركون). <u>الجمعيات السرية بين الأمس واليوم</u>. ترجمة آسيا الطريحي ومراجعة د. عزمي الصالحي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت/لبنان. 1994. ص 73.

(248) WIKANDER (Stig), op. cit., P 66 – 68.

الوثائق الصامتة أو المكتوبة عن الميثرائية إلا أن كثيرا من الطقوس السرية التي كان يمارسها أتباعها في الشرق الأدنى والأناضول ما تزال بقاياها موجودة[249]. فالميثرائية كانت نوعا من الزروانية[250] التي كان يعبد فيها كل من ميثرا إله الشمس واهريمان وهو الشيطان عند بقية الشعوب[251].

وهذا تأكيد على جذورها الآرية ومن هذه الطقوس نجد أن اجتماعاتهم التعبدية تعقد في السرية التامة ويقوم حديثو العهد فيها باجتياز طرق وأسرار وشعائر خفية وصعبة[252]. فالمثرائية إذن ديانة سرية ويفسر اعتمادها على التنظيم والدعوة السرية بالاضطهاد من قبل كهنة الزرادشتية لذلك شاعت عنها لدى كل دارس صورة الغموض.

كرست الزرداشتية عبادة الشيطان (أهريمان) خاصة لأتباعها الجدد وذلك من أجل الاستعانة به في القضاء على أعدائهم وكانت لهم رقيات وتمائم وتعازيم خاصة لتجنيد العفاريت لخدمة أهدافهم والقضاء على أعدائهم[253].

وآمنت المثرائية بخلود الروح وبيوم الحساب وببعث الميت وبنهاية العالم وهذه الحياة الدنيا. كسائر الديانات. واعتمدت على السحر في الطقوس الدينية وغيرها حيث يدخل ذلك في الإعداد والتكوين الباطني للمريدين والأتباع[254]

وتستخدم الطائفة المثرائية ثلاثة رموز وهي التاج والمطرقة والثور. أما التاج الذي يرمز إلى الشمس والقوة الخارقة[255] فهو يتمثل في قرص ذهبي على هيئة شمس يحتوي على فراغ في الوسط لتثبيته على الرأس وتكون نهايات التاج مذببة شبيهة بأشعة الشمس وما تزال تلك النماذج من التيجان منتشرة في الغرب وقد أطلق عليها اسم التيجان الشرقية[256]. ويعني الرمز الثاني

---

(249) دارول (أركون). المرجع السابق. ص 73.

(250) الزروانية: نسبة إلى زروان وهو من المجوس أتباع الديانات الآرية القديمة وأساسها ثانوي تعتقد بوجود آلهة للنور وأخرى للظلمة والشيطان. الشهرستاني. المصدر السابق. ج1. ص 233 – 235.

(251) الشهرستاني. المصدر السابق. ج 1. ص 342. وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 67.

(252) وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 67. دارول (أركون). المرجع السابق. ص 73؛ الشيخ (د. حسين). المرجع السابق. ص 82.

(253) وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 67؛ دارول (أركون). المرجع السابق. ص 74.

(254) وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 68. دارول (أركون). المرجع السابق. ص 77.

(255) دروال (أركون). المرجع نفسه. ص 74.

(256) دروال (أركون). المرجع نفسه. ص 77.

(المطرقة) النشاط الخلاق للإنسان. والرمز الثالث (الثور) يوحي بالطبيعة والرجولة والإخصاب[257] وبهذه الرموز وما تعنيه من بواطن وطلاسم سرية يؤمن أتباع هذه الطائفة بقدسية معتقدهم.

ومن رموزهم التي تعبر عن قوة ميثرا وسيطرته على اتجاه الرياح الأربع صليب متساوي الأذرع يرسم على شكل علامة زائد الرياضية (+) وهو يختلف عن شكل الصليب المسيحي[258] كذلك نجد عندهم احتفالاً بالخامس والعشرين من شهر ديسمبر (كانون الأول) وهو بالنسبة للمثرانية ميلاد ميثرا أو ميلاد الشمس وهو عند النصارى ميلاد السيد المسيح[259]. ويعود أمر التماثل إلى التنافس بين المسيحية والمثرانية في القرون الميلادية الأولى.

وهناك سبع درجات في طائفة الميثرا وهي هبوط سبعة سلالم إلى المعبد المنحوت في الجبال على هيئة كهف حيث تجرى الطقوس السرية لهم، وهذه الدرجات أو السلالم السبعة تمثل كل واحدة منها مرحلة يمر بها المعتنق الجديد. ولكل مرحلة كوكب يحميها من الكواكب السيارة السبعة التي ارتبطت بالإله ميثرا. وتبدأ هذه المراحل من الأسفل على الأعلى:

- غراب ويحميه عطارد.
- عروس ميثرا ويحميه كوكب الزهرة.
- جندي ويحميه كوكب المريخ.
- أسد ويحميه كوكب المشتري.
- فارس ويحميه القمر.
- رسول الشمس ويحميه الشمس.
- الأب (أو الكاهن ومعلم ومرشد الديانة) ويحميه كوكب زحل[260].

---

(257) دروال (أركون). المرجع نفسه. ص 74.

(258) وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 74. حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 53. دروال (أركون). المرجع نفسه. ص 76.

(259) حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 53. دروال (أركون). المرجع نفسه. ص 78. توكاريف (سيرغي أ). المرجع السابق. ص 364.

(260) وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 77، حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 14 ـ 15، دارول (أركون). المرجع السابق. ص 78. HOPFE (Lewis), The Cult of Mithras, Religion and Ethics, Institute, Evanston, U.S.A, 1988, P 6.

ويبدو أن كل مرحلة من هذه المراحل لها طقوسها الخاصة والسرية ولكن يمكننا القول إنها تبدأ بتجرد عبدة ميثرا من ملابسهم ثم تطهير أنفسهم بحرارة النار حتى يولدوا مجدداً. ويتم هذا الطقس مع شروق الشمس رمز الحقيقة والعظمة.

وتجرى عبادة ميثرا وسط قرع الصنوج (أي ضرب صفيحة من النحاس الأصفر على صفيحة أخرى). والطبول. وبعد ذلك يشارك المتعبدون في تناول وجبة مقدسة تتكون من الخبز والنبيذ الممزوج بالماء والتي ترمز إلى دم وجسد الثور المقدس وبذلك يمكنهم الوصول إلى حالة النشوة والاتصال بالقوى العليا لتضمن لهم حياة أبدية سعيدة بعد الموت[261].

وقد اعتبرت هذه الديانة من الديانات المتأخرة بالرغم من جذورها القديمة وذلك لامتزاجها بعناصر مختلفة (فارسية. رافدية. إغريقية ورومانية).

وقد ذهبنا في شرح عقيدة المثرائية ووصف تطورها بعيداً. وذلك التوسع يقتضيه بحثنا عن علاقة المثرائية باليزيدية. وقد اتضح ترابطهما من خلال هذه المعطيات:

- أن الأقاليم ومناطق حضور أتباع المثرائية هي نفسها تقريباً مناطق انتشار اليزيدية فقد تركزت هذه في المناطق الشمالية من العراق وسوريا والقسم الجنوب شرقي من الأناضول. وقد غلب على تضاريسها الجبال التي تنحت فيها معابد داخل الكهوف والمغارات.
- يرسم اليزيديون علامة الصليب المثرائي (+) على مشترياته على سبيل التيمن والبركة[262].
- كما يتطابق موعد ميلاد يزيد وعيد ميلاد ميثرا في 25 ديسمبر (كانون الأول) إذ يشعل كلا الفريقين النار احتفاء بذلك[263].

---

(261) HOPFE (Lewis), op. cit., P 26؛ الشيخ (د. حسين). المرجع السابق. ص 77. دروال (أركون). المرجع السابق. ص 75 ـ 76.

(262) حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 54.

(263) حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 55.

وقد تقدم ذكرنا لوجود الكهوف وأشهرها كهف الشيخ عدي بن مسافر أو كهف اليزيدية موجود في جبال الهكارية شمال الموصل[264] يقع في الوادي المقدس وهو من أقدس المقدسات اليزيدية ولا يسمح للغرباء بزيارته عدى السدنة ومشايخهم الكبار[265]. وينبع في الكهف جدول أبيض "العين البيضة". تقول الأسطورة إنه تدفق إثر ضربة وجهها الشيخ عدي نفسه إلى أرضية الكهف ولكن الاحتمال الظاهر هو أن هذا الكهف وينبوعه المتدفق فيه كان موقعا يعبد فيه الإله ميثرا (مهر) وآلهة الينابيع "أناهيتا" ثم اتخذه الشيخ عدي صومعة لتعبده وتأمله ثم أصبحت زاوية بعد وفاته[266] وهناك عديد المغارات والكهوف التي توارثها رهبان النصارى ومتصوفة الإسلام كانت في الأصل مراكز عبادة ميثرائية ففي شمال السليمانية[267] وتحديداً في قرية باحزاني[268] زارت السيدة ليدي دراور كهفاً لليزيدية مقدسا[269].

---

[264] ابن خلكان، المصدر السابق، ج III، ص 254. ابن الوردي. المصدر السابق. ج II، ص 64. ابن كثير. المصدر السابق. . ج XII. ص 243؛ ابن العماد الحنبلي. <u>شذرات الذهب</u>. ج IV. ص 180؛ وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 72. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 51، الجراد (خلف). المرجع السابق. ص 55.
SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 115 ; E.I², "Adi" Tritton (A. S), T I, P 201 ; GUEST (J), The Yezidis P 15 – 17 ; GEOFFROY, (E), op. cit., P 229 – 230.

[265] وهبي (توفيق)، المرجع السابق. ص 72.

[266] ابن الأثير. المصدر السابق. ج IX. ص 289؛ ابن المستوفي. المصدر السابق. ج I. ص 114؛ ابن خلكان. المصدر السابق. ج III، ص 254؛ أبو الفداء. المصدر السابق. م III، ص 40. المقريزي. الخطط. ج I. ص 138. تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 31 - 33؛ GEOFFROY, (E), op. cit., P 229 - 230 ; E.I2, IBID, P 201.

[267] السليمانية: مركز لواء السليمانية مدينة بناها إبراهيم باشا بابان في سنة 1198 هـ / 1783م وقد سماها السليمانية تيمنا باسم سليمان باشا والي بغداد (1780 ـ 1802)، فرنسيس بشير وكوركيس عواد. "نبذة تاريخية في أصول أسماء الأمكنة العراقية". سومر، العدد VIII. الجزء الثاني لسنة 1952. ص 264.

[268] باحزاني: قرية من قرى اليزيدية في شرقي الموصل. على نحو 16 ميلاً منها. تقوم في السفح الجنوبي لجبل باعشيقا واسمها أرامي مؤلف من لفظتين "بيث ـ حزياني" أي محل الرؤية والمشهد، فرنسيس بشير وكوركيس عواد. المرجع نفسه. ص 253.

[269] DROWER (E. S), Peacock Angel, John Murray, Albermarie street, W, London, 1941, P 55؛ وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 73.

كما أن الطقوس الدينية لكلتا الطائفتين المثرانية واليزيدية لا تعقد إلا بالموسيقى التي كانت مزيجا من التراث الشعبي الكردي والترانيم الدينية الموروثة. وما ترسخ من أهازيج وتراتيل أصحاب الطرق الصوفية التي تحتفظ بخصوصيتها الموسيقية. وقد وصف ليارد (Layard) أغانيهم وموسيقاهم عند "ضريح الشيخ عدي حيث ذكر أنه لم يسمع بهذه الموسيقى العذبة والحماسية فقد انسجمت مع أصوات الناي وتنقطع في فواصل زمنية متساوية بضربات الدفوف والأجراس"[270].

كما نجد آثارا للمثرانية في عالم اللاهوت اليزيدي بالرغم من عدم وضوحها. فقد جاء في "مصحف رش" أن الله القادر على كل شيء خلق سبع ملائكة كل واحد في يوم من أيام الأسبوع على رأسهم "الملك طاووس" الذي خلقه في أول يوم من أيام الأسبوع (يوم الشمس) وجعله رئيسا لبقية الآلهة[271]. وقد مثل كل واحد من هذه الآلهة باسم لأحد الكواكب السبعة وهي بشكل واضح تشير إليها وقد اعتقد بها المثرائيون كآلهة. والاعتقاد الراسخ أن كل واحد من هاته الآلهة مسؤول عن يوم من أيام الأسبوع.

وفي المثرانية جعلت الكواكب السبعة آلهة الحظوظ لذلك شبهت بالإنسان ونجد هذا الاعتقاد متواصلا عند اليزيدية إلى يومنا هذا. وهم يقدمون قرابينهم وأضاحيهم في معابد شيوخهم المؤلهين والتي مثلت بالكواكب. فعيد يزيد أو "طاووس ملك" هو عيد الشمس أو ميثرا ومقابله "طاووس ملك" الذي يضحى إليه بالثور الأبيض[272] ومن الشواهد على تأثر اليزيدية بالمثرائية شمس

---

(270) LAYARD (Henry), op. cit., vol I, P 241- 243. ليرخ (ب). دراسات حول الأكراد وأسلافهم الخالدين الشماليين. ترجمة عبدي حاجي. حلب / الأشرقية. 1994. ص 37.

(271) مصحف رش. الآيات (1 ـ 11). انظر الملاحق. تيمور (أحمد باشا). "اليزيدية بحث في منشأ نحلتهم". المقتطف. المجلد الـ 48. يناير/جانفي 1916. ج ا. ص 54؛ صادر (قيصر). "اليزيدية عقائدهم وتقاليدهم). المقتطف. المجلد الـ 88. مارس 1936. ج III. ص 365؛ وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 74؛ حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 13 ـ 14.

(272) EMPSON (R.H. W), The Cult of the Peacock Angel, London 1928, P 126. وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 83.

الآلهة التي يعبدونها عند الشروق والغروب ويقومون بتقبيل آخر مكان يلامسه شعاع الشمس[273].

ومع كل هذه القواسم المشتركة بين اليزيدية والمثرائية لا يمكننا الجزم بأن اليزيديين هم اتباع ميثرا ديانة الأسرار الغامضة ومرد كل ذلك هو الإرث التاريخي المتراكم في الذاكرة البشرية فاليزيدية ليست هي المثرائية وبالتالي يبقى البحث متواصلا لمعرفة أصل هذه الطائفة الغريبة والخارجة عن المألوف!

---

(273) LUKE (Harry Charles), Mosul and its Minorities, London 1925, P 123، وهبي (توفيق)، المرجع السابق، ص 82.

الفصل الثاني

الفكر المهدوي والبحث عن المنقذ

إن المسألة التي نبحثها تقتضي أن نبدأ مقاربتها بهذا السؤال "لماذا لا ينفك الإنسان عبر جميع الحضارات عن البحث عن المنقذ أو المخلص (Messie)؟"

فما يمكن لنا ملاحظته في الديانات السماوية والوضعية "الوثنية" هو أننا نجدها جميعها تخبرنا بنهاية حتمية لهذا العالم وستكون هذه النهاية مرتبطة بنزول المخلص أو المنتظر بواسطة قدرة إلهية[1] ودور هذا المخلص حسب ما يوصف به هو إنقاذ الأخيار من البشر بعد أن يحل الدمار ويصيب الفناء العالم كما جاء في ملحمة جلجامش[2] كذلك في "مصحف رش" كتاب اليزيدية المقدس أنهم من نسل آدم وأبنائه الأخيار الذين تم إنقاذهم من الطوفان وهم من عمر الأرض[3] فتروى لهذا المخلص ولادة صعبة وحياته تعرضت لمخاطر كثيرة وله علامات لا تتوفر لدى البشر العاديين[4]، إضافة لكونه من سلالة الملوك والأمراء[5] فلجلجامش من سلسلة ملوك وزرادشت من سلالة ملوك. وموسى بن عمران أهله من المفضلين عن العالمين[6] والرسول

---

[1] المهدي (فالح)، البحث عن منقذ. دار ابن رشد للطباعة والنشر. بيروت / لبنان، 1981: ص 5.

[2] ملحمة جلجامش. (اللوح الأول). ص 76: (انظر أساطير بلاد ما بين النهرين)

[3] مصحف رش الآية XXII.

[4] الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 237؛ طه (باقر)، المرجع السابق، ص 426.

[5] ملحمة جلجامش، اللوح الأول. ص 76-77: (أنظر أساطير بلاد ما بين النهرين)؛ فرويد (سيغموند)، المرجع السابق. ص 13.

[6] القرآن، سورة آل عمران(III: 33 ـ 34).

محمد (ص) من أعرق أنساب قريش حسب ما ذكر علماء الأنساب والمؤرخون العرب[7] وإمام اليزيدية الأول الشيخ عدي من أصول أموية حكم أجداده إمبراطورية كبرى (40 هـ / 661 م إلى 132هـ / 750م).

وقد مثلت فكرة البحث عن المنقذ والإيمان بحتمية مجيئه قاعدة الأمل التي استندت عليها عديد الدول[8]. فلم تخل الحضارة العربية الإسلامية من التعلق بمذهب شعاره رايات خراسان السوداء وقوامه دعوة للتعصب لأهل البيت سميت "الرضا من آل محمد" وقد أفضت إلى وصول بني العباس إلى الخلافة وكانت التقية والعمل الحركي السري قد توجا بإقامة الدولة الفاطمية وكذلك المحاولات التي قام بها الأمويون ومواليهم لإعادة أمجاد سلالتهم[9]. ولكن في الحقيقة نجد أن الفكر الإنقاذي / المهدوي، كان سابقاً للإسلام وله جذور قديمة بعض الشيء في المناطق المتحضرة من الجزيرة العربية وقريبا من مهد الإسلام. فعلى أرض البحث وجدنا إشارات بأفكار مهدوية إنقاذية خاصة بعد الاحتلال الحبشي لليمن علماً أنه ليس بالغريب على تلك البلاد أن تبعث فيها مثل هذه الأيديولوجية ذات الطابع الديني التبشيري. فعديد الثقافات تواجدت وانتشرت على أرضها كاليهودية والنصرانية[10] وحتى الإرث الإفريقي الذي يعود بجذوره للاحتكاك بين الثقافتين الإفريقية الحبشية والعربية اليمنية وكذلك تواجد الفرس العسكري والسياسي الذي توج بإقامة محمية فارسية على أرض اليمن.

---

[7] ابن هشام. سيرة النبي. دار الفكر. دمشق. 1981/1401. ج I. ص 1 ـ 2 .

[8] جولدزيهير. العقيدة والشريعة في الإسلام. ترجمه إلى العربية الأساتذة: محمد يوسف موسى. وعبد العزيز عبد الحق. وعلي حسن عبد القادر. طبع دار الكاتب المصري. القاهرة. 1946. ص 192.

[9] الذهبي. العبر في خبر من غبر. تحقيق فؤاد السيد. طبعة وزارة الإعلام الكويتية. 1984. ج III. ص 64 – 65.

[10] ابن هشام. السيرة. ج I. ص 27 ـ 39؛ الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد). الأغاني. طبعة دار الكتب المصرية عن نسخة بولاق المطبوعة في سنة 1285 هـ. ج XX. ص 7 ـ 9.

كل هذه الثقافات المحلية المتنوعة والخارجية الوافدة قد أثرت وتأثرت بالإرث الحضارى لكل أمة وبالتالي ساهمت في نشر الفكر الإنقاذي (المخلص المنتظر) فكان القحطاني والحميري المنتظر[11]. وامتدت هذه الفكرة إلى ما بعد قيام دول الخلافة فاليمينيون ما زالوا يأملون في بعث أمجاد بلادهم السعيدة وأن يتربعوا على عرش الحكم العربي كما فعلت قريش. "...لا تقوم الساعة حتى يقفل القافل من رومية (روما). ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس رجل من قحطان"[12]. فالأمل في الخلاص والانتصار هو السلاح المؤثر الذي يعزز جانب المقهور الذليل بعد أن فترت فيه عزيمته ووهن رجاؤه في الخلاص فأصبح ينتقي الحلول. وينتظر من السماء أو أن يستجيب له القدر على المدى البعيد لينتصر للمغلوبين ويرد إليهم حريتهم المسلوبة ويهبه القدر قوى أدبية وروحية.

وعن هذا الأمل نشأ الاعتقاد عند المقهورين في المخلص والمهدي وبأن الله سوف يبعثه في زمن معلوم لفترة معينة أو في آخر الزمان ليعيد السلام ويملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا.

ويظهر هذا التصور في اطلاع متأن على تاريخ أمم مختلفة كالمصريين الذين اعتبروا الإسكندر الكبير "أمون" محرراً ومخلصاً ومنقذاً منتظراً[13]، كما نجد هذا الاعتقاد عند قدماء البابليين والفرس واليونان. إلا أنه لم يظهر لأول مرة بجلاء، وبعض التدقيق والتفصيل إلا عند الفرس فالفكرة المهدوية ذات أصول متجذرة في الشرق[14] "...إن أول رجل تاريخي أو شبه تاريخي نادى بهذا هو زرادشت"[15].

---

[11] ابن الأثير (مجد الدين أبي السعدات). النهاية في غريب الحديث والأثر. المطبعة العثمانية. القاهرة. 1311هـ. ج II، ص 193.

[12] المقدسي (البلخي). البدء والتاريخ. ج II. ص 183.

[13] المهدي (فالح). المرجع نفسه. ص 29.

[14] فان فولتن (ج). السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات "المهدية" في ظل خلافة بني أمية. ترجمة د. إبراهيم بيضون. دار النهضة العربية. بيروت/ لبنان. 1996. ص 97 ـ 102.

[15] ترانيم زرادشت (الترنيمة: 48 الآية: 121). ص 42؛ جوزي (بندلي). "السفياني". المقتطف. ج I. 1 يونيو 1933 م / 8 صفر 1352 هـ. ص 48.

ولم تكن العوامل الاجتماعية والسياسية غريبة عن انبثاق الاعتقاد بالمخلص بل كان دورها محدداً فالأوضاع الاقتصادية وأحوال البيئة والظروف السياسية من العوامل المؤثرة في هذا الشأن ضمن تفاعلها توفرت الظروف المهيأة لتوجيه غالبية الناس نحو اعتناق هذه الفكرة[16].

إذن نتبين في العقلية الإنسانية على اختلاف الحضارات ثوابت يمكن اختزالها في هذا النزوع إلى الاعتقاد بما يتجاوز العقل وبما يخالف القوانين الموضوعية للظواهر وهو اعتقاد يجعل الشعوب منشدة إلى "آت / المنتظر" إلى رجاء تمثله فكرة مثالية بها يقدر على تغيير الواقع فتحول الشرور فيه إلى خير محض لأنصارهم ودمار وخراب لأعدائهم[17].

---

[16] في ذلك أن المنصور العباسي أطلق على ابنه اسم المهدي، لضرب أي تنبؤ بالمهدي الشيعي من أحفاد الرسول ففي إحدى الروايات المنسوبة لأبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، أنه قال لمسلم بن قتيبة: لقد خرج محمد بن عبد الله (المعروف بمحمد النفس الزكية) وتسمى بالمهدي ووالله ما هو به وأخرى أقولها لك لم أقلها لأحد قبلك ولا أقولها لأحد بعدك وابني والله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية، ولكنني تيمنت به وتفاءلت به." أبو فرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق السيد أحمد صهر، منشورات مؤسسة الأعلى، بيروت / لبنان، 1987م / 1408 هـ، ص 218؛ وكذلك قصة السفياني الذي ينتظره أنصاره وموالي الأمويين فهو من سوف يدمر بغداد ويقتل 300 كبش (عباسي) من ولد بني العباس وينتقم منهم أبشع انتقام، الخطيب البغدادي (أبي بكر بن أحمد)، تاريخ بغداد، طبع مطبعة السعادة بالقاهرة، 1931، ج I، ص 38 ـ 40؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 36.

[17] فان قلوتن (ج)، المرجع نفسه، ص 108، هناك تأثيرات إسلامية ومسيحية عند الأقليات العرقية المسحوقة بالقارة الأمريكية تؤمن برجعة منقذ يخلصهم من الرأس الأبيض الذي استعبدهم فمن بين الحركات نجد حركة الآسويين تضم فئة من زنوج وهي تنتظر منقذ يمحق الرأس الأبيض في حرب مقدسة؛ الكعبي (د.حاتم)، "الحركات الاجتماعية التي تدور حول منقذ منتظر"، مجلة الأستاذ، المجلد III، عدد 1-2، سنة 1965 ـ 1966، ص 209.

1. المهدي الهاشمي المناهض للسفياني[18]

منذ وفاة الرسول محمد بن عبد الله (ص) بدأت عوامل الفرقة والخلاف والشقاق تدب داخل جماعته. فكان اجتماع سقيفة بني ساعدة وما آلت إليه الأمور، حيث تم تعيين أبي بكر الصديق خليفة الرسول[19] وهذا الحدث أسهم في تسليط الضوء على شخصية أخرى: الإمام علي. إذ كانت له مكانة خاصة تفسر بقرابته من الرسول، فهو ابن عمه وصهره وأب حفيديه الحسن والحسين[20] وتفسير ذلك بما هو راسخ في الوجدان الاجتماعي من تبجيله والاعتقاد في أنه يمثل الرجل القائد والإمام العادل وهذا ما يشرع له طموحاً سياسيا. وقد نتج عن اجتماع السقيفة بروز تيارين الأول تمثله السلطة بالشرعية التي اكتسبتها "... مع تحول الخلافة إلى واقع" والثاني "تمثله المعارضة التي اجتمعت على بيعة السقيفة وتكتلت حول علي حيث كان برأيها الشخصية المؤهلة لاستلام الحكم"[21] بعد وفاة الرسول فما كان من أبي سفيان ذلك التاجر القرشي الكبير وأحد أهم وجهاء مكة والحديث العهد بالإسلام وهو من ضمن المجموعة التي عرفت باسم الطلقاء[22] إلا أن اقترب من علي بن أبي طالب قائلاً: "أغلبك على هذا الأمر أقل بيت في قريش أما والله لأملأنها خيلاً ورجالاً إن شئت..." فقال علي: "ما زلت عدواً للإسلام وأهله فما ضر ذلك الإسلام وأهله شيئاً إنا رأينا أبا بكر لها أهلا"[23] وبذلك

---

[18] الهاشمي من بني هاشم الجد الأول لبني عبد المطلب (أو بني هاشم) آل الرسول. أما السفياني فنسبة للفرع السفياني من بني أمية الذين حكموا ما بين 40 هـ إلى 66 هـ ثم تلاهم أبناء عمهم من فرع المرواني.

[19] ابن هشام، السيرة، م II، ص 658 ـ 661. للوقوف على الأخبار وتفاصيل السقيفة راجع الطبري، المصدر السابق، ج III، ص 204 ـ 205. 218 ـ 223.

[20] الطبري، المصدر السابق، ج V، ص 153.

[21] فان فولتن (ج)، المرجع السابق، ص157.

[22] ابن هشام، المصدر السابق، م II، ص 412.

[23] المقريزي، كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، تحقيق القاضي محمود عرنوس، نشر وطبع إبراهيم يوسف، مكتبة الأهرام، القاهرة / مصر، (د.ت)، ص 30.

ندرك مغزى مقولة عمر بن الخطاب: "كانت بيعة أبي بكر فلتة غير أن الله وقى شرها المسلمين"[24].

كانت حادثة السقيفة ذات نتائج مهمة فالاتفاق فيها على مبايعة أبي بكر وإقصاء علي من الخلافة كان من أهم أسباب شق الصف المسلم[25] وعمل الزمان على اتساع هذه الشقة خاصة بعد مقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (23هـ / 644 م) ووصول الخليفة عثمان بن عفان إلى سدة الخلافة وهو معروف بلينه وضعف شخصيته أمام أبناء عمومته فدخل عليه أبو سفيان. حين صار له هذا الأمر قائلا "قد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أمية فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار فصاح به عثمان قم عني"[26]. ولكن مما يؤخذ على هذا الخليفة الثالث تعيينه لذوي قرابته من آل أبي معيط. مع ذلك كانت نصيحة أبي سفيان آخر ما سمع عثمان فكانت معظم المراتب الحساسة في الإدارة والجيش بيد أقاربه[27] الذين لا يتمتعون بالحنكة والخبرة الجيدة بالإضافة إلى عدم وجود قيادات منهم من ذوي السابقة في الإسلام ونتيجة للإجراءات السابقة كثرت مشاكل الأمصار بعد ما شحت غنائم الفتح ثم تزايد هجرة القبائل الأعرابية خاصة بعد معركة الجسر 13هـ / 634 م.

أثارت سياسة الخليفة عثمان تذمر فئات واسعة من الصحابة فنأوا بأنفسهم عما لاحظوه من انحراف واعتزلوا مرابطين في المركز. فالقادة الحقيقيون هم أولئك الذين شعروا بأنهم قيادات طبيعية للأمة فهم فوق الأشراف بل إن مفهوم الشرف نفسه قد شكل في ذهنية المسلم في عهد عمر بن الخطاب "الشريف هو من ينال شرف العطاء"[28]. فنجد هؤلاء الكبار من

---

(24) ابن هشام. السيرة. م IV. ص 226.

(25) الطبري. المصدر السابق. ج III. ص 226. جعيط (د. هشام). الفتنة. ترجمة خليل أحمد حليل. دار الطليعة. بيروت / لبنان. 1996. ص 37.

(26) المقريزي. المصدر السابق. ص 31.

(27) الطبري. المصدر السابق. ج IV. ص 271. الجندي (محمود). ما هي اليزيدية ومن هم اليزيديون. بغداد. 1976. ص 54. جعيط. المرجع السابق. ص 65.

(28) جعيط. المرجع السابق. ص 70.

الصحابة ينغمسون مع الطلقاء من بني وآل أبي معيط في نهب ثروات الأمة ويشكلون معهم أرستقراطيات قبلية وعاد الصراع القديم بين أعرق بيتين في قريش (بني هاشم وبني عبد شمس) أو بالأحرى نفض عثمان الغبار بسياسته تلك القائمة على محاباة أهله عن الضغائن القديمة بين هاتين الأسرتين.

واعتبر مثل أولئك المرتدين الشيخين (أبا بكر وعمر) نموذج الخليفة الصالح فحولوهما إلى القدوة عند عامة المسلمين وخاصتهم. لكن ونتيجة لكل هذه التجاوزات اشتدت النقمة عليه وطلب منه أن يعتزل الأمر ويحتكم إلى الشورى وهي المقياس الذي أمر به الله "وأمرهم شورى بينهم" واعتبر الخلافة "قميصاً ألبسه الله إياه"[29] بينما كان صاحبه أبو بكر يقول "أطيعوني ما أطعت الله فيكم". وعثمان يعبر بذلك عن استخلاف الله له في الأرض وحقه الإلهي في الحكم فقد اعتبر نفسه خليفة الله لا خليفة رسول الله[30] فكان يوم الدار يوما تاريخيا فقتل الخليفة الثالث واستبيحت المدينة دار الهجرة ومرقد الرسول لقبائل الإعراب ينتهكون حرماتها ويدوسون هيبتها. لقد كان موت عثمان مأسويا فلم يجد عوناً وهو محاصر من أولئك الذين فرضهم الخليفة نفسه على رقاب المسلمين، وهو الملقب بذي النورين. لأجل تبرير غطرسة أبناء عمومته والدفاع عن تجاوزاتهم غير المنتهية وهناك أخبار عن إرسال وحدات عسكرية من جندي الشام والبصرة[31] أثناء مدة الحصار. ولكنها تأخرت وربما يعود هذا التأخير إلى حسابات معاوية السياسية. وقد استفظع مؤرخ مسلم هذا الحدث الجلل الذي استبيحت فيه مدينة رسول الله حيث يختلف (مقر الحكم) الخليفة ورمز الأمة ويقتل. فاعتبره كبيرة تمت بإيعاز من اليهودي عبد الله بن سبأ (أو ابن اليهودية) وعرف أيضاً بابن السوداء وهو على حد قول الطبري "كان يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء أسلم زمن عثمان ثم تنقل

---

[29] الطبري. المصدر السابق. ج IV. ص 376.

[30] البلاذري. أنساب الأشراف. طبعة القدس. ج V. ص 82؛ الطبري. المصدر السابق. ج IV. ص 394.

[31] الطبري. المصدر السابق. ج V. ص 385؛ جعيط. المرجع السابق. ص 117.

إلى بلدان المسلمين"[32] من رؤوس الفتنة والشغب والبدعة. تنقل في الأمصار داعياً فيها للثورة كما عد من رؤوس الدعوة التي أسست مذهب المغالاة في الإمام علي بن أبي طالب والمبالغة في حبه مبالغة انتهت إلى تأليهه[33] بل إنه نادى برجعته وهو المنتظر للمهدوية الشيعية في شخص علي حيث كان يزعم "أن علي لم يمت" وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا. وذكروا عنه أنه قال لعلي (ع): "أنت أنت أنت!"[34] وبالإضافة إلى هذا فابن سبأ قد دخل المجموعة الإسلامية بإرثه الحضاري فهو يمني من صنعاء ويهودي وكلا الاسمين لهما وقع خاص على أذن المؤرخ فنجد بني أمية يتهمون ابن عمهم علي بن أبي طالب بأنه وراء مقتل عثمان وأنه يحمي قتلته[35] والواقع لا توجد أدلة على أن معاوية أو حتى كبار الأمويين على ولاء تام لعثمان ولكن أغلبهم قد ركبوا الأحداث لمطامح شخصية.

فهذا الوليد بن عقبة وهو من طلقاء يوم الفتح والمتهم بالفسق حسب النص القرآني[36] يؤجج الصراع العشائري الهاشمي الأموي ناسياً أو متناسياً الروابط الجديدة التي أرساها الإسلام في بناء مجتمع موحد بدون نعرات الجاهلية فالظاهر أن فقدان الملك قد ساهم في ذلك وكما قال أبو سفيان "إنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار"[37] فالجاه والعز والسلطان والاستغلال والنفوذ قد ذهب مع مقتل شيخهم في يوم الدار واليوم عليهم المطالبة بثأره. خاصة وأنهم لم يقوموا بإنقاذه.

---

(32) المصدر السابق. ج IV، ص 340؛ وعن عبد الله بن سبأ وحياته وأعماله. انظر النوبختي. كتاب فرق الشيعة. ص 20؛ عاقل وخماش. تاريخ الدولة العربية الإسلامية الأولى. ص 185.

(33) الأشعري. المصدر السابق. ج I. ص 85؛ جواد علي. "عبد الله بن سبأ". مجلة المجمع العلمي العربي ببغداد (م.م.ع.ع). م VI. 1378هـ / 1959م. ص 66.

(34) ابن الأثير. الكامل في التاريخ. ج III. ص 77.

(35) الطبري. المصدر السابق. ج IV. ص 564 وما بعدها.

(36) سورة الحجرات (49): الآية: 6.

(37) المقريزي. المصدر السابق. ص 31.

وتجاوزاتهم غير المبالية التي نسبها جمهور الصحابة لعثمان واعتبرت من المنكرات عليه[38] هي التي عجلت بمقتله لكن ما يلاحظ هو أن الوليد بن عقبة يتهم علي بن أبي طالب أنه وراء مقتل عثمان.

بنى هاشم إن وما كان بيننا كصدع الصفا ما يومض الدهر شاغبه
بنى هاشم كيف الترحم بيننا وسيف بن أروى عندكم وحرائبه[39]

فأجابه الفضل بن العباس متهما إياه بالفسوق وبأنه مارق عن الإسلام

سلوا أهل مصر سلاح أخيكم فعندكم أسلابه وحرائبه
وكان ولى الأمر بعد محمد على وفى كل المواطن صحابه
وقد أنزل الرحمان أنك فاسق فمالك فى الإسلام سهما تطالبه[40]

وهذا معاوية يمضي في عناده رافضا الاعتراف بعلي أميرا للمؤمنين ومنكرا عليه شرعية الخلافة ويفسر موقف معاوية بمطامح شخصية، وأهداف ليست خفية على أحد آنذاك. وبحسب المقدسي (البلخي) كان علي "يقنت على معاوية إلى أن مات ومعاوية يلعن عليا وولده"[41].

وكانت همدان وقسم من عشائر اليمن ويمني العراق في صف علي حيث كانوا سنداً رئيسياً له في جميع معاركه الكبرى كالجمل وصفين. ويعود هذا التقارب بين علي وأهل اليمن لعلاقة خؤولة ولهذا استجاب أهل اليمن لدعوة علي إلى الإسلام عندما ذهب إليهم من قبل الرسول ولم يستجيبوا لخالد بن الوليد رغم طول إقامته بينهم[42].

---

(38) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، (المعروف بتاريخ الخلفاء)، تحقيق الأستاذ علي بشري، انتشارات الشريف الرضى، قم / إيران، 1413 هـ/1992 م، ج I، ص 50 ـ 52.

(39) المقدسي (البلخي)، المصدر السابق، ج V، ص 207 ـ 208.

(40) المقدسي (البلخي)، المصدر السابق، ج V، ص 208.

(41) المقدسي (البلخي)، المصدر السابق، ج V، ص 234.

(42) ابن هشام، السيرة، المجلد الرابع، ص 272 ـ 273؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص 254 ـ 255؛ محمود (إبراهيم)، أئمة وسحرة، دار رياض الريس للنشر، بيروت ولندن، 1996، ص 210 ـ 211؛

DAGHFOUS (R), Le Yaman islamique, Université Tunis I, 1995, T. I, P 205-206.

وقد كان اليمنيون ينتظرون منقذاً لهم يخلصهم من هيمنة الفرس ومن ثم يعيد إليهم أمجادهم الذهبية التليدة لذلك نجد أن اليمن بإرثهم الثقافي القديم بشروا بوجود مهدي يكون مسلماً تكون لهم صلة قرابة به فكان علي هو المنتظر فلذلك غالوا فيه قبل غيرهم لإضفاء صفة الشرعية على كل ما يقومون به لمواجهة الشرعية التي عمل معاوية على أخذها بصفته وريث عثمان بن عفان وصاحب الحق الأول في المطالبة بدمه ووصي عثمان في هذا الأمر[43] وقد استطاع معاوية أن يوطد أركان دولته وينفذ أهم أهدافه السياسية والعسكرية[44] بتحالفه مع يمني الشام واستطاع معاوية أن يبلغ كل آماله وطموحاته وكان مواليه سندا لابنه يزيد ولي العهد وحتى لابنه خالد الذي اعتزل الحياة السياسية بعد وفاة الخليفة مروان بن الحكم والبيعة لابنه عبد الملك وهناك بدأ خالد يبشر بمهدوي بني أمية السفياني المنتظر وهنا نقف على الدور اليمني الداعم لكل طرف ففرق الغلاة في علي وبنيه كانوا من اليمن فقد زعموا أن علياً لم يمت وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا[45] والظاهر أن الأمويين وتحديداً الفرع السفياني وبسبب الصراع القديم والمتوارث بين أبناء العمومة قد وضعوا أسطورة السفياني تحدياً للشيعة الموالين لعلي وبنيه الذين قالوا بوجود مهدي منهم ولكن المهدي الأموي وهو السفياني وقصته لا تخلو من الطرائف فحديث السفياني المنتظر وضعه خالد بن يزيد الذي خابت كل آماله في الخلافة فوضع هذا الحديث عن السفياني لما سمع بحديث المهدي[46].

---

[43] ابن قتيبة الدينوري. المصدر السابق. ج I. ص 49 ـ 50.

[44] ابن مزاحم (نصر). واقعة صفين. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. منشورات مكتبة آية الله المرعشي. قم / إيران. 1382 هـ. ص 207؛ عاقل (د.نبيه). دراسات في تاريخ العصر الأموي. مطبعة جامعة دمشق. 1991. ص32.

[45] ابن الأثير. المصدر السابق. ج III. ص 77؛ محمود (إبراهيم). المرجع السابق. ص 201.

[46] الأصفهاني. الأغاني. ج XVI. ص 88؛ ابن تغري بردي. المصدر السابق. ج I. ص 221؛ محمد حسن (سعد). المهدية في الإسلام (منذ أقدم العصور إلى اليوم. دراسة وافية لتاريخها العقدي والسياسي والأدبي). دار الكتاب العربي. القاهرة / مصر. 1373هـ / 1953 م. ص 178.

وسوف نتطرق من خلال هذا البحث لكلا المهديين الفاطمي الشيعي والأموي السفياني.

2. المهدي من آل محمد (من ذرية فاطمة وعلي)

في خضم هذا الصراع الديني المتضمن لخلفيات ومطامح سياسية نجد أنصار علي وبنيه وهم من أطلق عليهم الشيعة من أجناس مختلفة وأغلبهم من الفرس والقبائل العربية المهاجرة إلى العراق وتحديداً مصري الكوفة والبصرة ولهذه الفرقة اعتقادات ببعث إمام منتظر من عترة آل النبوة وقد استندوا في ذلك إلى القول الذي ينسب إلى الرسول محمد "لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي"[47] وهذا المهدي الذي تنسبه بعض الفرق الشيعية إليها له كل ما لإمام الظاهر من خصائص روحية وهو مؤيد بالعناية الإلهية ولظهوره بعد اختفاء طابع حتمي فرجعته ليست مرتبطة بالانتصار للمظلومين والمعذبين في الأرض فقط كذلك ليحقق بشارة النبي وهي أن يتم لآل البيت النبوي النصر على أعدائهم الذين أذاقوهم صنوف الخسف والظلم والهوان.

وأول فرقة تحدثت عن المنقذ المنتظر هي "السبيئية"[48] بزعامة عبد الله بن سبأ وقد ادعت هذه الفرقة أن جزءاً إلهياً حل في علي وفي خلفائه من بعده[49]. وكل القصص التي حيكت والأساطير التي برع المغالون في صياغتها أدت إلى ميلاد فرق مغالية أخرى لها تقريبا نفس الآراء والأفكار والغرض من

---

[47] التبريزي (محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي). مشكاة المصابيح. تحقيق محمد ناصر الألباني. طبعة الدهلي. ج III. ص 24.

[48] ذكر البغدادي. الفرق بين الفرق. ص 233 ـ 236. "أن السبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي وهو من الغلاة في علي بن أبي طالب. وزعم أنه كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله" ؛ الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 174.

[49] البغدادي. الفرق بين الفرق. ص 255 ؛ الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 174 ؛ فان فلوتن. المرجع السابق. ص 79 – 80.

كل ذلك تأجيج الصراع مع بني أمية ونصرة صف علي بإحاطة حربه مع أعدائه الأمويين بهالة أسطورية تبقي أتباعه في حالة جهادية حماسية مستمرة ولاشك أن شخصية علي كانت ذات منزلة خاصة في الإسلام وعند المسلمين لذلك برز لدى أنصاره كمتمتع بشرعية دينية أقوى من تلك التي يمثلها الأمويون بمن فيهم عثمان بن عفان وهذا ما ساعد في جانب من الجوانب على تغذية فكرة الاعتقاد بالمنقذ الذي يكون من سلالة علي. لكن في الحقيقة ليست شخصية علي هي التي خلقت جناح المغالين حول شخصه وإنما طبيعة الصراع بين البيت الأموي الذي يمثل الأرستقراطية القرشية وبين فقراء المسلمين الذين جعلوا من علي زعيما لهم[50] خاصة أنهم لم ينالوا من عطايا عثمان شيئاً[51] وأن الخليفة عثمان نفسه قد أقصى كبار الصحابة من دائرة الشؤون العامة وهم من أهل الحل والعقد وأخذوا من نهج الرسول محمد واكتفى بالاعتماد على مشورة ابن عمه مروان بن الحكم الذي أسرف في استغلال طيبة عثمان وضعف شخصيته حتى اعتبره الخليفة الثالث حاميه وناصحه من صحابته القدامى[52].

ومن نتائج هذا الصراع استئثار الأمويين بمركز السيادة في العالم الإسلامي من ناحية، ومن ناحية مقابلة رسوخ فكرة زعامة علي في ذهنية الشيعة وقد تطور الاعتقاد بها فحولها من مجرد طموح سياسي إلى حق إلهي[53] وهذا الادعاء ما هو في الحقيقة إلا لجمع شمل الشيعة الذين خذلوا علياً وبنيه[54]

---

(50) الصادقي (د. محمد). علي والحاكمون، دراسة تحليلية. منشورات مؤسسة الأعلمي. بيروت / لبنان. 1969، ص 168 ـ 170 ؛ المهدي (فالح). البحث عن منقذ. ص 197.

(51) طفق بعهد عثمان إلى أقاربه بالمناصب الكبرى ويخصهم بامتيازات أخرى اعترض عليها الناس عامة؛ البدء والتاريخ، ج V. ص 199 ـ 206؛ ابن الكثير. الكامل، ج III. ص 46؛ فياض (نبيل). يوم انحدر الجمل من السقيفة. ليماسول، بيروت، 1994. ص 115.

(52) فياض (نبيل). المرجع نفسه، ص 117.

(53) دونلدسن (د. دوايت م.)، عقيدة الشيعة. تعريب (ع.م). طبع مطبعة السعادة. القاهرة، 1946. ص 58. الغريفي (عبد الله). أحاديث وكلمات حول الإمام المنتظر. مكتبة الهداية الإسلامية. دبي. 1988، ص 52 ـ 54.

(54) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب العباسي). تاريخ اليعقوبي. تحقيق عبد الأمير مهنا. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت/لبنان. 1413/1993. ج II، ص 122؛ المسعودي. مروج الذهب، ج III، ص 13 ـ 14.

وتصبيرهم على الانتصار تحت قناديل الأمل بمجيء المنقذ والمخلص الذي يملأ الأرض عدلاً. وفي الحقيقة ليست الشيعة وفرقها هي الوحيدة التي تؤمن بذلك فحتى علماء السنة وجمع كبير من أصحاب كتب الحديث يذكرون أحاديث تؤكد رجعة الإمام المنتظر والمصادر السنية التي تناولت موضوع المهدي من آل محمد وأكدت على رجعته هي:

- عقد الدر في أخبار المنتظر، لأحد علماء القرن السابع للهجرة ليحي بن يوسف،
- البيان في أخبار صاحب الزمان، للحافظ الكنجي الشافعي من علماء القرن السابع للهجرة،
- الفصول المهمة في معرفة الأئمة. لابن الصباغ المالكي.
- تذكرة خواص الأمة، لسبط بن الجوزي الحنفي.
- الفتوحات المكية، للشيخ محي الدين بن العربي،
- إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين، للشيخ محمد الصبان.
- ينابيع المودة، للشيخ الشعراني المصري،
- فصل الخطاب، للحافظ محمد بن محمد البخاري.
- تواريخ مواليد الأئمة ووفياتهم، لإبن الخشاب[55].

وللمتصوفة اعتقادات راسخة في وجود المهدي من آل محمد وفي أن رجعته وظهوره حق إلهي ولهم طلاسمهم العددية يعرفون بها متى وأين وكيف يظهر؟[56].

فعديد الآراء والمقالات من مشارب مذهبية مختلفة تتماثل في الاتجاه مع السبئية وينبغي أن نظهر التحفظ لوجود شخصية عبد الله بن سبأ مؤسس

---

(55) الغريفي (عبد الله)، المرجع السابق، ص 72 ـ 73؛ الفتلاوي (مهدي)، مبادئ الثقافة المهدوية، دار الكرام، بيروت / لبنان، 1995، ص 82.

(56) ابن عربي (محي الدين)، كتاب عنقا مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب، مطبعة محمد علي صبيح بالأزهر، مصر، 1954، ص 76 ـ 77.

هذه الفرقة[57] فقد أصبح يطلق لقب السبئي على كل معارض للخليفة عثمان وولاته الأمويين[58]. ويحتاج الحديث عن ابن سبأ هذا إلى إيضاح ليساعدنا على التقدم في بحثنا.

فقد ارتبط ذكر هذا الشخص في التاريخ بضوضاء كبيرة فتعددت عبر الروايات أسماؤه وألقابه وغمض علينا تحديد هويته. فأغلب الروايات التي وصلتنا تنسب ابن سبأ إلى اليمن أي تعطينا معلومة جغرافية ولكن تطور مدلول "السبيئة" من الدلالة على الانتساب إلى قبائل عربية جنوبية إلى الدلالة على الانتساب إلى فرقة مذهبية تعتقد بأن عليا وصي النبي وتفسر ضخامة الدور الذي أوكل لابن سبأ في نشأة فكرة المهدي نزوع فكري إلى اصطناع شخصية نحملها تبعات مشاكلنا و"نتخذها آخر" يكيد لنا ويتآمر على وجودنا أما الاسم فهو "عبد الله بن سبأ" عربي من شبه الجزيرة العربية من صنعاء ومع ذلك فهو مجهول النسب خاصة وأن الأعمال والأقوال التي تنسب إليه تجعل النسابة والمؤرخين على إطلاع كاف حول تسلسل آبائه وأجداده ولا نجد عربيا في فترة صدر الإسلام وإلى العصر الأموي يعرف اسمه واسم أبيه ومحل نشاطه في حين نجد العرب قد غالوا في حفظ أنسابهم بل "أنهم عنوا بحفظ أنساب خيولهم"[59] ومع ذلك لم نجد أي شيء عن نسبه على شدة اهتمامهم بذكر الأساطير التي حيكت حوله!. وكل ما وجد عنه في أمهات الكتب بعض الروايات لأحاديث الخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب فيما كتبه لأهل العراق أو بعض الأسئلة التي أثارها له أصحابه. فذكر صاحب الإمامة والسياسة: "فقام حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وعبد الله

---

[57] جواد (علي). "عبد الله بن سبأ". ص 66. 96؛ العسكري (السيد مرتضى). عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى. طبعة إيران. 1992. المجلد II. ص33 ـ 41. محمود (إبراهيم). المرجع السابق. ص 166.

[58] البلاذري. أنساب الأشراف. القسم الخامس (مجلد). تحقيق غويتاين س.. القدس. 1936. ص 84؛ الطبري. المصدر السابق. ج V. ص 137؛ جواد (علي). "عبد الله بن سبأ". ص 89.

[59] العسكري (السيد مرتضى). المرجع السابق. م II. ص 310. (انظر أنساب الخيل لكل من ابن الكلبي وأبو عبيد الله القاسم بن سلام وألف ابن الأعرابي أسماء الخيل).

بن وهب الراسبي على علي فسألوه عن أبي بكر وعمر"[60] وفي رواية البلاذري: "وأما حجر بن عدي الكندي وعمر بن الحمق الخزامي وحبة بنت جوين التجلي ثم العرني وعبد الله بن وهب الهمداني وهو عبد الله بن سبأ فإنهم أتوا عليا فسألوه عن أبي بكر وعمر"[61]. وقد ورد خبر عبد الله بن وهب الراسبي في الإمامة والسياسة. وقال البلاذري عبد الله بن وهب ابن سبأ وقال القمي في ذكر الفرق الغالية: "وأول من قال منها بالغلو. وهذه الفرقة تسمى بالسبيئة أصحاب عبد الله بن سبأ وهو عبد الله بن وهب الراسبي"[62]. ونسبه ابن ماكولا للخوارج: "وعبد الله بن وهب السبئي رأس الخوارج"[63] كان مع علي في حروبه ولما وقع التحكيم بعد صفين وأنكره الخوارج أصبح عبد الله متهماً ولم يعرف عنه أي سلوك مشين أو دعوة للفتن "عبد الله بن وهب ذو الثفنات[64] أول من قدم الخوارج على أنفسهم يوم النهروان وكان من خيار التابعين فقتل يومئذ"[65].

وحسب الظاهر لم نجد رواية خص بها عبد الله بن سبأ. وإنما وجدت روايات تذكر عبد الله بن وهب الراسبي ذا الأصل اليمني من سبأ. وينسب إليها سبائي أو السبائي وهي نسبة سبأ بن لشجب[66] وهي مرادفة لليمانية

---

[60] ابن قتيبة الدينوري. المصدر السابق. ج I. ص 174.

[61] أنساب الأشراف. تحقيق القسم II. ج I. محمد باقر المحمودي. مؤسسة الأعلمي. بيروت. 1974. ص 383.

[62] الأشعري (سعد بن عبد الله القمي). المقالات والفرق. تصحيح محمد جواد مشكور. طبعة الحيدري. طهران. 1963. ص 20.

[63] ابن ماكولا (أبو نصر علي بن هبة الله الشهير بابن ماكولا). الإكمال لرفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب. تعليق عبد الرحمان بن يحي العلمي. طبعة حيدر أباد. 1962. ج IV. ص 536.

[64] ذو الثفنات: لقب عبد الله السبائي هذا بذي الثفنات لما صار على كفيه وركبتيه ثفنات كثفنات البعيرة لكثرة سجوده. العسكري (السيد مرتضى). المرجع نفسه. ج II. ص 313 ـ 314.

[65] ابن حزم (أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي). جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام هارون. طبعة دار المعارف. مصر. 1962. ص 386.

[66] ابن حزم. المصدر السابق. ص 329 ـ 330. ابن ماكولا. المصدر نفسه (مادة السبائي). ج IV. ص 532.

والقحطانية والظاهر أن سيف بن عمر كانت له اليد الأولى في ذكر عبد الله بن سبأ. وهو كما مر معنا عبد الله بن وهب الراسب السبائي وبتحول مدلول السبئية إلى مدلول مذهبي جديد راجت الأسطورة وشاعت واشتهر عبد الله بن سبأ في مقابل عبد الله بن وهب السبائي بينما كانت السبئية في عصر علي بن أبي طالب تدل على الانتساب إلى القبائل اليمانية وبعد انتشار هذه الأسطورة أصبحت تدل على الفرقة التي أسسها عبد الله بن سبأ والتي تؤمن بالرجعة والوصاية إلى الإمام علي[67] واتخذت السبئية تعلة لتسيير ما ظهر في عهد حكم عثمان من اضطرابات و قلاقل. فكل المشاكل والأخطاء اعتبرت مؤامرات ودسائس من تدبير عبد الله وأتباعه والظاهر أن أسطورة ابن سبأ أو ابن السوداء لم تكن من الأخطاء العرضية وإنما مردها إلى دوافع السلطات آنذاك في التغاضي عن المشاكل الحقيقية للخلافة والميل إلى إرجاع أي خلل أو تجاوز لأطراف خارجية أو دخيلة على الدين.

ولا ينفصل الحديث عن هذه الفرقة عن حديث فرقة أخرى منسوبة إلى أتباع كيسان وهي فرقة منقرضة من الشيعة سميت بالكيسانية. وقيل أن كيسان مولى للإمام علي وقيل أيضا تلميذ لمحمد بن الحنفية[68]. وقالت الكيسانية بإمامة الحسن والحسين ثم أخيهم من الأب محمد بن الحنفية الملقب بأبي القاسم ويعد من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة وقد جاءته الإمامة من أبيه مباشرة حينما دفع إليه الراية "يوم الجمل" قائلاً له:

اطعنهم طعن أبيك تحمد لا خير في حرب إذا لم تزبد[69]

وذهب صاحب الفرق بين الفرق إلى أن إمامة محمد بن الحنفية بعد أخويه كانت بوصية من أخيه الحسين حينما هرب من المدينة إلى مكة وألزم بالبيعة ليزيد بن معاوية[70]. وتذهب هذه الفرقة إلى اعتبار محمد بن الحنفية

---

(67) العسكري (مرتضى)، المرجع نفسه، ج II، ص 357 ـ 358.

(68) الشهرستاني، المصدر السابق، ج I، ص 147 ؛ الأمين (شريف يحي)، المرجع السابق، ص 202.

(69) الأشعري، المصدر السابق، ج I، ص 90؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 39.

(70) المصدر نفسه، ص 39.

هو المهدي وأنه قد أحاط بالعلوم كلها واطلع على الأسرار من علم التأويل وعلم الآفاق والأنفس[71] وهكذا أصبح ابن الحنفية موضوع العقيدة الخاصة بغلاة التشيع من الكيسانية والفرق المتفرعة عنها، "الخاصة بالخلود الجثماني والرجعة وهما صفتا من يختاره الله لهداية البشر ويعرف بالمهدي كما كان معقد رجاء وإيمان الأتقياء وموضع ثناء الشعراء المتصلين به."[72] ومن ذلك قول الشاعر كثير عزة[73]

ألا إن الأئمــة من قـريش	ولاة الحـــق أربعـة ســـواء
علي والثلاثـة مـن بنيــه	هـم الأسـباط ليس بهم خفـاء
فسيط سـبط إيمان بـــر	و سيط غيبته كـــــربلاء
تغيب لا يرى فيهم زمانا	برضوي عنده عسل و مـــاء[74]

---

[71] الطبري. المصدر السابق. ج VI. ص 83 وما بعدها؛ الأشعري. المصدر السابق. ج I. ص 90 ـ 91؛ البغدادي. الفرق بين الفرق. ص 38 ـ 39؛ الشهرستاني. المصدر السابق. ج I، ص 149 ـ 150؛ جولدزيهر. المرجع السابق. ص 129؛ الأمين (شريف يحي). المرجع السابق، ص 202 ـ 203؛ المهدي (فالح)، المرجع السابق، ص 197.

[72] جولدزيهر، المرجع السابق، ص 129.

[73] كثير بن عبد الرحمان بن أبي جمعة كان ينسب نفسه في قريش ويقال هو أزدي من قحطان وهو شاعر حجازي من شعراء الدولة الأموية يكنى أبا صخر واشتهر بكثير عزة وهو أحد عشاق العرب وكان يقول بتناسخ الأرواح والرجعة وكان كثير من غلاة الشيعة الكيسانية الكربية ومات كثير عزة بالمدينة المنورة سنة 105 هـ ومما يروى أن كثير مات وعكرمة مولى ابن عباس في يوم الأحد، فاختلفت قريش في جنازة كثير ولم يوجد لعكرمة من يحمله وكان الخليفة عمر II يبغض كل هاشمي يحب كثير؛ ابن سلام (الجمعي محمد). طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، دار المعارف. 1953، ص 184؛ الأصفهاني، الأغاني، ج IX. ص 4 ـ 36؛ حسن (سعد محمد)، المهدية في الإسلام، ص 149 ـ 153.

[74] نسبها الأشعري في مقالات الإسلاميين، ج I، ص 91، لكثير وكذلك البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق، ص 41؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج IX، ص 6؛ ومراجع الأدب تخلط في نسبتها إلى الشاعرين كثير عزة والسيد الحميري الذي كان يدين بمهدية ابن الحنفية كصاحبه كثير ومرد ذلك تشابه الشاعرين في العقيدة، الأصفهاني. الأغاني. ج IX، ص 14. حيث نسب هذه الأبيات لكثير بينما نجد في الجزء VII، ص 245، ينسبها نفس الكاتب للسيد الحميري مع اختلاف طفيف في الرواية.

والكربية أصحاب أبي الكرب يقولون بأن محمد بن الحنفية حي بجبل رضوى[75] أسد على يمينه ونمر على يساره يحفظانه إلى وقت خروجه[76]. وبالتالي إن آراء ومعتقدات الكربية عبر عنها شعراؤهم أمثال كثير والسيد الحميري في الأبيات السابقة وكل هذه الآراء والمعتقدات الغالية التي ساقتها الكربية في شخص محمد بن الحنفية حيث لم تعترف بموته فهو عندهم حي يرزق ويحرسه الأسد والنمر وتنزل عليه الملائكة وتؤنسه وقد اختلفت هذه الفرقة في سبب حبسه بجبل رضوى فمنهم من قال: "كان ذلك عقاباً له على خروجه بعد قتل أخيه الحسين إلى يزيد ين معاوية. وطلبه الأمان منه وأخذه عطاءه" ومنهم من قال: "لهروبه من ابن الزبير ومبايعته لعبد الملك بن مروان"[77]. ولكن ابن الحنفية تنقصه الحنكة السياسية والتجربة وهذا ما يفسر اندحاره وفشله في دعوته. وكانت نهايته في محرم سنة 81 هـ / 700 م.

ولا يقتصر أمر الاعتقاد في المهدي وانتظاره على ما ذكرناه من فرق بل توجد عديد الفرق الأخرى وفد تفرعت عن الشيعية من ذلك أننا نجد الباقرية وهم أتباع محمد بن علي بن الحسين الملقب بالباقر ينتظرون رجعته ولا يصدقون بموته[78]. أما الإثنا عشرية فهي أكبر الفرق الشيعية عدداً وأنصاراً وتواجدها الجغراسياسي في القسم الشرقي من العالم الإسلامي وغلب على معتنقيها العنصر الأعجمي وخاصة الفرس. والمنقذ عند الإثنى عشرية هو "المهدي" الذي هو الإمام الثاني عشر من سلسلة أبناء وأحفاد الإمام علي وفاطمة الزهراء "والمهدي

---

(75) جبل بالقرب من "ينبع" بالحجاز الأصطخري. المصدر السابق. ص 21. فان قلوتن. السيطرة العربية. هامش ص 80.

(76) الأشعري. المصدر السابق. ج I. ص 90. البغدادي. الفرق بين الفرق. ص 52. الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 150. فان قلوتن. السيطرة العربية. ص 80. حسن (سعد محمد). المهدية في الإسلام. ص 105. المهدي (فالح). البحث عن منقذ. ص 197.

(77) البغدادي. الفرق بين الفرق. ص 52 ـ 53. الإسفرايني (أبو المظفر عماد الدين). التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. نشر العطار. مطبعة الأنوار. القاهرة / مصر. 1940. ص 20. حسن (سعد محمد). المرجع نفسه. ص 105 ـ 106.

(78) البغدادي. الفرق بين الفرق. ص 60. الأسفرايني. المصدر السابق. ص 26. الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 165. شريف (يحي). معجم الفرق الإسلامية. ص 51. المهدي (فالح). المرجع نفسه. ص 198.

الذي هداه الله الحق... وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة. وبه سمي المهدي الذي بشر به النبي (صلعم) أنه يجيء في آخر الزمان"[79].

وارتكزت هذه الفرقة على كلمة المهدي الواردة في القرآن الكريم بصيغ مختلفة. ويعمل أنصار ودعاة المنقذ المنتظر / المهدي في معظم الفرق التي عملت على الأخذ من ماضيها الديني الكثير وهذا شيء طبيعي في الإنسان لأن العادات الراسخة والقيم المتجذرة تبقى حية وإن انتشحت بالرداء الإسلامي[80].

وبمرور الزمن سوف تختلط هذه المفاهيم بالقيم الإسلامية الجديدة وتصبح لدى الجمهور إن لم نقل النخبة أكثر من شيء عادي ولا يمكن التمييز بين القديم المتأصل والجديد السامي... هذا ما حصل مع الفرس الذين كانوا الدرع الصائن واليد المحتضنة لآل البيت النبوي بعدما حلت بهم عديد الفواجع خلال الحكمين الأموي والعباسي وهذا دعبل الخزاعي[81] أحد كبار شعراء الشيعة يرثيهم.

أفاطم! قومي يا بنت الخير واندبي　　　نجوم سماوات بأرض فلاة
قبور بكوفان[82] وأخرى بطيبة　　　وأخرى بفخ نالها صلواتي[83]

---

[79] ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن جلال الدين أبي العز مكرم الأنصاري الإفريقي المصري). لسان العرب أعاد بناءه على الحرف الأول من كلمة يوسف الخياط ونديم مرعشلي. دار لسان العرب. بيروت / لبنان. 1970. ج III. ص 786 ـ 787.

[80] بو حديبة (عبد الوهاب). الإسلام والجنس. ترجمة وإعداد هالة العوري. مكتبة مدبولي. القاهرة / مصر. 1987. ص 5.

[81] هو دعبل بن علي الخزاعي من عرب الجنوب وكان على ولاء شديد لعلي وبنيه. مدح آل البيت النبوي ورثاهم وهو من الشعراء الذين جابوا الآفاق للامتهان بشعرهم وقد عاصر هارون الرشيد فأبنائه الأمين والمأمون ومحمد المعتصم وكذلك الواثق وجعفر المتوكل. توفي قتيل سنة 860 م. ابن المعتز (عبد الله بن المعتز العباسي). طبقات الشعراء. تحقيق عبد الستار أحمد فرج. دار المعارف. القاهرة/مصر. 1956. ص 265؛ الأصفهاني. الأغاني. ج XVIII. ص 29 ـ 59؛ الصدر (السيد حسن). تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام. مؤسسة النعمان للنشر والتوزيع. بيروت / لبنان. 1993. ص 193 ـ 195.

[82] كوفان أو الكوفة. مصرت سنة 638 م واستوطنتها قبائل عربية متعددة. ياقوت. معجم البلدان. ج IV. ص 490؛ راجع كتاب الدكتور هشام جعيط. الكوفة. دار طليعة بيروت / لبنان. 1993.

[83] الخزاعي (دعبل بن علي). الديوان. جمعه وحفظه عبد الصاحب عمران الدجيلي. دار الكتاب اللبناني. بيروت / لبنان. 1989. ص 135.

وله بيت في تائيته الخالدة التي رثى فيها أولئك الذين طالبوا بالخلافة ووقفوا في وجه السلطة الحاكمة وكان جزاؤهم الموت، يستبشر فيها بالفرج على يد المنقذ، يقول:

إلى الحشر حتى يبعث الله قائما   يفرج عنا الهم والكربات[84]

ونلاحظ وجود تأثر لدى الفكر الإسلامي الشيعي بمفاهيم من الفكر الزرادشتي الفارسي القديم فالحكيم ونبي المجوس زرادشت بشر بمنقذ يكون من صلبه يملأ الدنيا عدلاً ونوراً بعد أن كانت مرتعاً للظلم والظلام ومما أخبر به زرادشت في كتابه زند أو أستا أنه قال سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه "اشيزيكار" ومعناه الرجل العالم بالدين والعدل ويجيء العدل ويميت الجور ويرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأول وتنقاد له الملوك... وينتصر الدين الحق ويحصل في زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن"[85] وأن زوجة زرادشت الثالثة "هفوني" هي الأم الروحانية للمنقذ المنتظر الذي ينحدر من زرادشت بطريق التناسل الروحاني[86].

بينما نجد عند الفرق الكبرى الإسلامية أن المهدي هو من أحفاد فاطمة الزهراء ومن الأحاديث التي تؤكد على تغييره مجرى الأمور التي رواها صاحب بحار الأنوار وهي مشابهة لنبوءة زرادشت "تنعم أمتي في زمانه نعيماً لم تنعم مثله قط البر والفاجر ترسل السماء عليهم مدراراً ولا تدخر الأرض شيئاً من نباتها"[87] والمهدي إذا هو "محمد القائم بن حسن العسكري[88] وهو

(84) دعبل. الديوان. هامش ص 137.

(85) الشهرستاني. المصدر السابق. ج 1. ص 239.

(86) حامد (عبد القادر). زرادشت نبي قدامى الإيرانيين. القاهرة / مصر. (د.ت). ص 92.

(87) المجلسي (المولى الشيخ محمد باقر). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. مؤسسة الوفاء. بيروت/لبنان. (نسخة مصورة عن طبعة طهران). 1983/1403. م XIII. (ج 51). ص 78. دونالدسن (داويت م). عقيدة الشيعة. ص 230.

(88) العسكري نسبة إلى مدينة "سر من رأى" انتقل إليها المعتصم بعسكره فمن ثم قيل لها العسكر ونسب إليها الحسن العسكري لأن المتوكل أشخص أباه عليا إليها فأقام بها عشرون سنة وتسعة أشهر فنسب هو ولده الحسن إليها. حسن (سعد محمد). المرجع نفسه. هامش ص 129.

الابن الوحيد لوالده[89] وتذكر الكتب والمصادر الشيعية أن والدة الإمام محمد المهدي من بنات الملوك فهي بنت يشوعا بن قبصر ملك روما ووالدتها من بنات الحواريين وتنسب إلى وصي المسيح شمعون[90]. وتذكر المصادر الشيعية أن الإمام أبو محمد الحسن العسكري ذكر صفاتها ولباسها إلى أحد المقربين منه من ذرية أبا أيوب الأنصاري.

وتتضافر هذه الروايات حول انتساب المنقذ المسلم المنتظر لحفيدة وصيٍ المسيح. وفي الآن نفسه يعتبر حفيداً للنبي محمد ولوصيه علي. وحتماً سيكون للمنقذ نسباً عظيماً من كلا الوالدين وإذا لم يوجد لأحد نسباً. اجتهد النسابة وأنصاره لوضع نسب يليق بهذا الشخص. فالبطل أو المنقذ سليل أسرة رفيعة المقام إلى أبعد الحدود وهو بوجه عام حفيد لوصي المسيح ومحمد وقد وضعت حول ولادته عديد الحكايات وحيكت الأساطير التي تحاك عادة للعظماء والمنقذين: "وقد راق لها بوجه خاص، أن تسيغ على التاريخ ميلاد هؤلاء الأبطال وحداثتهم ملامح خارقة ومن الحقائق المعروفة منذ طويل الزمان والتي لفتت انتباه العديد من العلماء التشابه المذهل بل التطابق في تلك القصص لدى شعوب متباينة تفصل بينها في غالب الأحيان مسافات شاسعة"[91] فالنور الذي ظهر عند ولادة زرادشت وللنبي موسى وللرسول محمد[92] هو نفسه الذي حدث مع الإمام المهدي حيث تكلم في المهدي صبياً قائلاً: "الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله. زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة ولو أذن لنا في الكلام لزال الشك"[93]. ومما يروى أيضاً عن

---

[89] المجلسي، بحار الأنوار، م XIII. (ج 51)، ص 2؛ الفضيلي (عبد الهادي). في انتظار الإمام، دار الأندلس، بيروت / لبنان، 1979، ص 21.

[90] المجلسي. بحار الأنوار، م XIII، (ج 51)، ص 2؛ العاملي (السيد محسن الأمين الحسيني)، في رحاب أئمة أهل البيت، دار الثقافة المطبوعات. بيروت / لبنان. 1980. م II (ج 5)، ص 10.

[91] فرويد (سيغموند)، المرجع السابق. ص 12.

[92] ابن هشام، السيرة، ج I، ص 172؛ البرزنجي (جعفر)، مولد البرزنجي، طبع على نفقة التيجاني محمد، مطبعة المنار، تونس، (د.ت)، ص 9.

[93] المجلسي، بحار الأنوار، م XIII، ج (51)، ص 4 ـ 6، 13.

المعجزات التي حدثت في ولادته أنه ولد طاهراً مختوناً مكتوباً على عضده الأيمن "جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا"[94].

أعتقد أن هذه النصوص تغنينا عن المقارنة مع الديانات والمذاهب الأخرى التي عظمت رجالاتها وأبطالها في الشعر والأسطورة من باكر الزمان وجعلت منهم أسطوريين[95]. فالمسألة في غاية الدقة والوضوح فهي تذكرنا بميلاد سرجون الأكادي وجلجامش وموسى وعيسى وعدي بن مسافر الذي كلم الأولياء في بطن أمه.

إذن ولد للحسن العسكري ابنه محمد الإمام المنتظر سنة 255 هـ/869 م وهو ثاني عشر الأئمة عند الشيعة الإمامية ويقال له: القائم والمهدي والحجة[96]. وللإمام الثاني عشر (وهو الحجة) في الفكر الإسلامي الشيعي غيبتان. صغرى وكبرى[97] وفي الغيبة الكبرى لا يظهر إلا بعد أن يأتيه الأمر السماوي بالخروج حتى تمتلأ الأرض جوراً وقلوب الناس قساوة[98] وهذه مما رواه العلماء من أحاديث تنسب للرسول عن علامات ظهور المنقذ الإسلامي الإثنى عشر وهو حسب إجماع الأغلبية التي أرخت لميلاده ونسبه أنه هو المنقذ الإسلامي[99].

فالشهرستاني الذي تميز بالعقلانية إلى حد ما والتمحيص والتحليل ذكر أنه إلى حد زمانه (ولد 1086م. ت 1153م) امتدت الغيبة إلى مائتين ونيفاً وخمسين سنة والمهدي سوف يخرج وعمره أربعون سنة. قال: "كيف تنقض

---

(94) المجلسي. بحار الأنوار. م XIII. ج (51). ص 18 ـ 19؛ دونالسن (دوايت م). عقيدة الشيعة. ص 231.

(95) فرويد (سيغموند). المرجع السابق. ص 11.

(96) أبو الفداء. المصدر السابق. ج II. ص 45؛ ابن الوردي المصدر السابق. ج I. ص 232.

(97) الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 170 ؛ المهدي (فالح). المرجع نفسه. ص 202.

(98) المجلسي. بحار الأنوار. م XIII. ج (51). ص361؛ الفضيلي (عبد الهادي). المرجع نفسه. ص 29.

(99) الصافي (لطف الله). منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر. منشورات مكتبة الصدار. طهران / إيران. (د.ت). ص 326 ـ 346. حيث ذكر هذا الباحث الشيعي وترجم إلى شهادات لعلماء سنة بولادة المهدي وأنه المنقذ الإسلامي من آل محمد وعدد نسبة هامة من العلماء والفقهاء تقارب المائة عالم وقد عددهم في أول هذا الفصل.

مائتين ونيف وخمسين سنة في أربعين سنة"(100). ويضيف أنه كلما سئل القوم عن مدة الغيبة كيف تتصور؟ قالوا "أليس الخضر(101) وإلياس(102) (ع) يعيشان في الدنيا من آلاف السنين لا يحتاجان إلى طعام وشراب ؟"(103).

وهناك خمس علامات قبل ظهوره ورجعته إلى عالمنا وهي "الصيحة والسفياني والخسف وقتل النفس الزكية واليماني"(104). وقبل قيامه ينادي مناد من السماء في أول النهار "ألا إن عليا وشيعته هم الفائزون وينادي مناد [في] آخر النهار ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون"(105).

وهنا نشتم رائحة روح عقائد زرادشتية متسربة إلى هذا الحديث المروى عن الكليني في "كافية" وقد مر معنا في الديانة الزرادشتية معتقد اليزيدية القديم كيف أن الصراع بين الخير والشر لا يمكن أن يتبدل لذلك شبهتها بالليل والنهار فكما أن الليل مظلم والنهار متألق كذلك لا يمكن للخير أن يكون شراً ولا للشر أن يكون خيراً أبداً(106).

والنص الذي أوردناه أدمج فيه الصراع الهاشمي الأموي وهو صراع عشائري قبلي تطور بعد الإسلام ليصبح صراعاً سياسياً بين أكبر عشيرتين في قريش عمل كلا الجانبين على إعطائه طابعاً دينياً مميزاً ولذا كان الانفتاح على حضارات وثقافات الشعوب الأخرى للنهل منها كل ما يمكن نهله في

---

(100) الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 172.

(101) الخضر في الإسلام. مارجرجبس أو جرجير أو جورج عند النصارى وهو صاحب موسى الذي يعلم أكثر من موسى في سورة الكهف (18: 61 ـ 82)؛ الثعلبي. قصص الأنبياء. ص 226؛ ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي). قصص الأنبياء. منشورات دار ومكتبة الهلال. بيروت / لبنان. 1996. ص 347 ـ 353.

(102) (وإن إلياس لمن المرسلين) الصافات (37: 123)؛ الثعلبي. المصدر نفسه. ص 255 ـ 261. من صلحاء بني إسرائيل ويتبركون به. عاش في تزهد وسياحة في الجبال. ابن كثير. قصص الأنبياء. ص 406 ـ 409.

(103) الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 172.

(104) الكليني (أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني). الروضة من الكافي. تصحيح علي الغفاري. نشر دار الكتب الإسلامية. طهران. 1380 هـ. ج VIII. ص 310.

(105) الكليني. المصدر نفسه. ج VIII. ص 310.

(106) الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 237؛ المهدي (فالح). البحث عن منقذ. ص 71.

هذا الصراع فكان علي ممثلاً لقوة الخير والنور يزدان أو أهورامازدا وعثمان ممثلاً لقوة الشر والظلام أهريمان.

وفي هذه الصراعات السياسية التي تطورت لتصبح مذهبية مكسوة بوشاح ديني تسربت لعديد الفرق الكلامية الإسلامية ثقافات الشعوب التي دخلت في الإسلام وتسربت في كتب الأحاديث والسير ولا يمكن التمييز بينها وبين الأحاديث الصحيحة. وهنا يمكننا القول إن كل شعب اعتنق الإسلام حافظ على جانب هام من الموروث الديني القديم نتيجة التساهل والمرونة التي يتضمنها الإسلام[107]، ويعامل بها الشعوب التي دخلت في دائرته الحضارية والدينية وحتى التي خضعت له سياسياً.

3. المهدي المنتظر: "السفياني"

يسبق قيام المهدي ورجعته ظهور السفياني وهو منتظر لدى الأمويين ليعيد لهم أمجادهم كما يعده الشيعة الدجال الذي يقتضي مجيء المهدي.

وظهور حديث السفياني يعود إلى الفتنة الثانية أو الفتنة الزبيرية، التي ابتدأت بعد وفاة معاوية ورفض كبار أبناء الصحابة المبايعة ليزيد بن معاوية، مروراً بكربلاء وواقعة "الحرة" بالمدينة المنورة حيث أبيحت مدينة الرسول محمد لجند الشام ثلاث أيام وبحصار مكة وحرق الكعبة وما تلاها من أحداث إلى أن تنازل معاوية الصغير عن الخلافة ليعيد مبدأ الشورى كأساس لاختيار خليفة المسلمين[108]، الذي غيبه جده معاوية وأبوه يزيد، الذي قطع شعرة معاوية، فقد اختل التوازن القبلي حيث اعتمد يزيد اعتماداً كبيراً على

---

[107] بوحديبة، (د.عبد الوهاب)، المرجع السابق، ص 152.

[108] ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ج II، ص17 ـ 18؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج IV، (قسم II)، ص 64 ـ 65؛ اليعقوبي، التاريخ، ج II، ص 169 ـ 170؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج VI، ص 16 ـ 17

أخواله من قبيلة كلب وأبعد القبائل القيسية. وكان على رأس الكلبيين ابن خاله حسان بن مالك بن بحدل. وكما ذكرنا سابقاً، لم يحتفظ معاوية الصغير بالخلافة وطمح أكثر من طامح في استلامها.

وقد أفرز الصراع السياسي على السلطة بين المسلمين نتاجاً فكرياً تطور مع الأيام ليشغل أدواراً كبيرة في العصرين الأموي والعباسي(109)، خاصة وأن الماسكين بمقاليد السلطة في التاريخ الإسلامي ربطوا كل شيء بأشخاصهم لاسيما بعد وفاة يزيد بن معاوية الذي ذهب ضحية اختلال التوازن السياسي داخل البيت الأموي الكبير(110). ومن مظاهر ذلك أن هذا الخليفة كان محل طعن حتى المبالغة في أغلب الروايات التاريخية(111). وهناك دلالة أخرى كشفت عنها وفاة يزيد المفاجئة، هي أن البيت السفياني كان يدين عملياً لشخصية معاوية القوية والمحنكة وقدرته على توظيف الموروث الأموي في الحجاز لتحقيق أهدافه ومخططاته السياسية، ولم يكن لأفراد أسرته حضورهم البارز في دولته(112). وبايعت كل الأقاليم بعد وفاة يزيد لابن الزبير ما عدى جند الأردن وعلى رأسهم حسان بن مالك بن بحدل الكلبي الذي كان يميل إلى بني أمية ويدعو إليهم(113)، حتى أنه كان يفكر في البيعة لخالد ابن أختهم(114)، وبعد اجتماع "الجابية" خرج المجتمعون على أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم على أن يخلفه خالد بن يزيد وأن يكون الحكم بعدهما لعمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق وأن تكون إمارة دمشق

---

(109) عيسى (د. رياض)، الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية. دار الفكر، دمشق / سورية، 1412 هـ / 1992 م، ص 302.

(110) بيضون (د. إبراهيم)، مؤتمر الجابية دراسة في نشوء خلافة بني مروان. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت / لبنان، 1417 هـ/1997 م. ص 40.

(111) الطبري، المصدر السابق، ج VII. ص 5؛ المسعودي. التنبيه والإشراف. ص 280. GUEST, The Yezidis, P 11 - 12 ؛ بيضون (د. إبراهيم). المرجع السابق. ص 40.

(112) ابن بكار (أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله الأسدي)، الأخبار الموفقيات. تحقيق سامي العاني، بغداد، (دت)، ص 182؛ بيضون (د. إبراهيم)، المرجع السابق. ص 41.

(113) الطبري، المصدر السابق، ج V، ص 530 ؛ المسعودي، التنبيه والإشراف. ص 282

(114) المسعودي. التنبيه والإشراف، ص 282.

لهذا الأخير وإمارة حمص لخالد بن يزيد(115). فمروان بن الحكم لم يقع اختياره كخليفة لمواجهة الخليفة عبد الله بن الزبير الأسدي وهو الأكثر شرعية نظرا لإجماع أغلب أقاليم الخلافة على بيعته، باستثناء جند الأردن كما ذكر، ثم لتاريخه العريق الذي يضاهي مروان بن الحكم والطلقاء من بني أمية(116) إلا لسنه ولأنه أكبر شيوخهم ولتجربته وقدرته على مواجهة ابن الزبير ودسائسه(117). وقد أعرب خالد بن يزيد عن استيائه من نتائج مؤتمر "الجابية". وخاصة تخلي خاله حسان بن مالك وتراجعه عن تأييده له وانضمامه إلى أنصار مروان بن الحكم(118). وقد لاحظ خالد بن يزيد كيفية تخطيط مروان للإبقاء على سلطانه وتوريثه لأبنائه من بعده. ومن أجل ذلك تزوج فاختة أرملة يزيد أم خالد(119). وبهذا الزواج استطاع أن يستميل آل يزيد والكلبيين، وأن يتخلص من ولي عهده وما لبث أن خلعه وأخذ البيعة لابنيه عبد الملك ومن بعد عبد العزيز(120). وبذلك تم انتقال الحكم من الفرع

---

(115) الطبري. المصدر السابق. ج V. ص 535 ـ 537 . المسعودي، التنبيه والإشراف. ص 282 ، VON SALEH (K. Mammaneh), "Marwan b. Al-Hakam and the Caliphate", Der Islam, Band 65, Heft II, 1988, P 222.

(116) البلاذري. أنساب الأشراف. ج IV. القسم II، أو (ب) تحقيق م. شلو سنغار. القدس، 1938. ص 65.

(117) البلاذري. المصدر السابق. ج V. تحقيق س. غويتاين. القدس. 1936. ص 144؛ ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي)، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وزملائه. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. 1962. ج IV. ص 394؛ المسعودي. التنبيه والإشراف. ص 282؛ خليل (فاضل). خالد بن يزيد (سيرته واهتماماته العلمية. دراسة في العلوم عند العرب). منشورات وزارة الثقافة والإعلام. بغداد / العراق. 1984. ص69 ـ 70؛ MULLMAN (Manfred), "Halid Iben Yazid und die Alchemie", Eine Legendes der Islam, Band 55, Heft II, Tübingen, 1978, P 194 – 195.

(118) الطبري. المصدر السابق. ج V، ص 537؛ ابن الأثير، المصدر السابق. ج VI. ص148؛ فاضل (خليل). المرجع السابق. ص 71 ـ 72.

(119) الزبيري (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله المصعب). نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال. دار المعارض. القاهرة / مصر، 1976. ص 129.

(120) الطبري. المصدر السابق. ج V. ص 610 ـ 611.

السفياني إلى الفرع المرواني من الأسرة الأموية وهذا يؤكد فقدان آل أبي سفيان لنفوذهم السياسي. فأحداث خطيرة مثل ما لحق آل البيت النبوي من تقتيل وتشريد ألبت المسلمين ضدهم.

أ- من نظّر لهذه الفكرة

واتسمت وضعية خالد بن يزيد تجاه الحكم المرواني بالتهميش(121). صحيح لم يعتبر معارضاً بل أحسن عبد الملك بن مروان الاستفادة من حنكته السياسية(122) وخبرته في المجال العسكري(123). لكنه أقصي من شؤون السياسة فاتجه اتجاهاً علمياً عرف به من قبل الجميع فكان يرد على خصومهم الذين اتهموه بالعجز عن الوصول إلى سدة الخلافة وكيف احتال عليه مروان فكان رد أحد مؤيدي خالد: "إنه لو طلب الأمر لطلبه بحد وجد. ولكنه علم علماً فسلم الأمر أهله"(124). ولقد أفرز الصراع السياسي على السلطة نشاطاً فكرياً ساهمت كل الظروف في تأجيجه ولعب الموروث الثقافي والحضاري للأمم والشعوب الخاضعة للسيطرة العربية أكبر دور في ذلك خاصة وأن الإرث سرعان ما يصطبغ بصبغة إسلامية لا تستطيع مع مرور الأيام دحضها أو حتى التشكيك فيها. خاصة بعد الواقع الجديد الذي آل إليه الحكم في العهد العباسي وكيف نشطت حركة الترجمة بشكل نقل فيه المترجمون عن الأعاجم تراثهم الديني والحضاري للغة العربية بدون تحفظات علما أن البدايات الأولى للترجمة برزت في الحقبة الأموية(125).

---

(121) الطبري. المصدر السابق، ج VI. ص 158 ـ 159؛ فاضل (خليل). المرجع السابق. ص 76 –77.

(122) الطبري. المصدر السابق، ج IV. ص 339؛ ابن الأثير. المصدر السابق، ج V. ص 408.

(123) ابن الأثير. المصدر السابق. ج IV. ص 408.

(124) ابن قتيبة. المعارف. ص 352؛ ابن عبد ربه. المصدر السابق، ج IV. ص 122 .Manfred, IBID, P 181 – 185

(125) البلاذري. فتوح البلدان. دار النشر للجامعيين. بيروت / لبنان. (د.ت). ج III. ص 271؛ العاقل (نبيه). تاريخ خلافة بني أمية. ص 190 ـ 192؛ Manfred, IBID, P 181. فاضل (خليل). المرجع السابق. ص 41.

وبسبب الضغط الشامي الشعبي الكبير على خالد بن يزيد خاصة وأن أهل الشام من الموالين لجده معاوية بن أبي سفيان، يشكلون بوزنهم الكبير قوة لا بأس بها، أخرج خالد هذا خبر السفياني والمنقذ والمخلص الذي ينتظره أشياع آل أبي سفيان من أهل الشام والجزيرة وغيرهم. وهو يقابل المهدي المنتظر من ذرية علي بن أبي طالب، فكان لزاماً أن يبحث لهذا "السفياني" عن الشرعية حتى يصبح أمر خروجه حقيقة لا مناص منها. خاصة وأن ابن يزيد يعد من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام(126)، وأنه اشتغل بالحديث(127)، فعمل على ترويج أحاديث تنسب للرسول تؤكد مبعث هذا "المهدي السفياني" الذي يعيد أمجاد آل أبي سفيان في الخلافة وأنه يحمل نفس اسم جدهم أبو سفيان، وهذا الترويج لدعايته له بصمات شيعية واضحة. فاسم المهدي الشيعي يحمل اسم محمد وهو اسم الرسول.

وأغلب المؤرخين يرجعون أن خالد بن يزيد حكيم بني أمية هو واضع خبر السفياني المنتظر وأنه "...أراد أن يكون للناس فيهم طمع، حين غلبه مروان بن الحكم على الملك وتزوج أمه أم هاشم"(128)، وذكر خبر السفياني صاحب الأغاني لكنه أنكر على مصعب الزبيري نسبته ذلك إلى خالد بن يزيد(129)، قائلاً: "... هذا وهم من مصعب الزبيري، فإن خبر السفياني قد رواه غير واحد وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامة وكذلك خبر أمره أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، وغيره من أهل البيت"(130)، كالحديث الذي ينسب للإمام جعفر الصادق ويرويه عن أبيه محمد بن علي بن الحسين الذي دعم به الأصفهاني حجته على الزبيري، أن جدهم علي بن أبي طالب يقول: "يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، وهو رجل قبيح الوجه، ضخم الهامة

---

(126) ابن أبي حاتم (أبو محمد عبد الرحمان التميمي)، الجرح والتعديل، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن / الهند، 1959. ج I، (ق 2)، ص 357.

(127) البلاذري، أنساب الأشراف، ج IV، (ق II)، ص 66.

(128) الزبيري، المصدر السابق، ص 129.

(129) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج XVI، ص 85.

(130) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق، ج XVI، ص 85؛ فان فلوتن، المرجع السابق، ص 107.

بوجهه أثر جدري، إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان وأبو عينة وهو من ولد أبي سفيان حتى يأتي أرضاً ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها"(131). وفي الحقيقة فإن متن حديث كهذا يشك في أن سنده للإمام علي خاصة وأن رواية الحديث وإخراجه فيه رائحة صراع مذهبي مبطن بأهداف ومطامح سياسية واضحة ولا تحتاج إلى تدليل ولهذه الروايات تأثيرات غير إسلامية سبق وأن أشرنا إليها، وهنا لا بد من تأكيد أن الشيعة اعترفت مباشرة بدعوة السفياني وأكدت مجيئه على أن تكون بينه وبين المهدي الشيعي معركة تكون الغلبة فيها للمهدي وتنقلب على السفياني، وسرعان ما روت الشيعة عن النبي هذا اللقاء ووضعت أحاديث تؤكد وقوع المعركة الفيصل بين السفياني والمهدي "... سيبايع الناس المهدي يومئذ حكمة بين الركن والمقام ثم يقول المهدي: أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدو الله وعدوكم فيجيبونه ولا يعصون له أمراً، فيخرج المهدي ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام، لمحاربة عروة بن محمد السفياني ومن معه من كلب"(132)، ويعود الاعتراف الشيعي بالسفياني إلى انه ذلك الأعور الدجال الذي سوف يدعي أنه هو المسيح عيسى بن مريم ويكون أعور العينين والظاهر قد أصبح للعور حظ كبير في هذا المجال(133) حتى أن بعض العور المقربين من السلطان يمازحون الخلفاء بذلك(134)، وبالرغم من

---

(131) الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن)، أعلام الورى بأعلام الهدى، قدم له السيد محمد مهدي والسيد حسن الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف / العراق، 1390 هـ / 1970 م، ص 457.

(132) ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز نواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق صلاح الدين المنجد، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1954، ج XI، ص 280؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج I، ص 221؛ الحنبلي (مجير الدين أبو اليمن القاضي عبد الرحمان بن محمد)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المطبعة الوهبية، القاهرة / مصر، ج I، ص 237.

(133) الطبرسي، المصدر السابق، ص 457 ؛ فان فلوتن، المرجع السابق، ص 105.

(134) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج II، تحقيق محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة / مصر، 1943، ص 149 ؛ فان فلوتن، المرجع السابق، ص 106.

وجود نصوص تنسب للرسول عن الدجال(135). إلا أن كلمة دجال لم ترد في القرآن وهذه الكلمة لها أصل أرامي(136). ودخلت التراث الديني العربي بالتثاقف والجوار المشترك حسب الظاهر.

وقد أحسنت الشيعة استغلال شعار "السفياني" الذي قد ثبت وضعه بدون جدال من قبل الأمير خالد بن يزيد لتدعي أن "السفياني" نفسه هو "الدجال". فإن عرفنا الإرث الديني والتثاقف بين الشعوب فالدجال الذي يقابل السيد المسيح انسحب في الفكر الشيعي على السفياني الذي يقابل المهدي. فقد حل السفياني محل الدجال وهو رمز للشر والضلال فهو يدعم أعمال "أهريمان" إله الظلمة والشر عند قدماء الزرادشتيين ومن هذه التصورات يتضح لنا عديد الأفكار ذات الجذور الراسخة في تقاليد الأمم بل الضاربة في أعماق التاريخ تتحول إلى أصحاب الديانات السماوية والمذاهب المتفرقة عنها. ومهما عمل أولئك الأنبياء الذين اختارتهم العناية الإلهية لإصلاح "النفس البشرية" وبعض طبائع الإنسان إلا أن هناك قيماً ومفاهيم تبقى راسخة لم تتغير ربما يعاد صياغتها لتلائم الدين الجديد وهكذا نجد فكرة "التنين السومرية"(137) مجدداً ابتداء من قدماء المصريين في صراع الخير والشر عندهم(138) إلى الديانة اليهودية حيث نجد الحية رمز الشيطان أو الشر

---

(135) والأحاديث التي رواها مسلم في صحيحه عن الدجال كثيرة. صحيح مسلم. شرح النودي. مكتبة الغزالي. دمشق. مؤسسة مناهل العرفان. بيروت. المجلد VI. (ج 18). ص 58 ـ 78؛ وآخر هذه المصادر الزرقاني (الإمام محمد بن عبد الباقي). مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ. نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض. 1416 هـ/1995 م. ص 124

(136) فان قلوتن. المرجع السابق. ص 104؛ المهدي (فالح). المرجع السابق. ص 205 ـ 207.

(137) والتنين هو ممثل روح الشر التي اعتبرت متمما لنظام الكون فالتنين هو ذلك الوحش الهائل الذي يعمل على تدمير سفينة النجاة لبقية آلهة الخليقة. كريمر (صموئيل نوح). الأساطير السومرية. ترجمة يوسف داود عبد القادر. بغداد. 1971. ص 125؛ حبي (د. يوسف). "أسطورة التنين السومرية وامتدادها عبر العصور". التراث الشعبي. العدد VII للسنة الثامنة. 1977. ص 27؛ المهدي (فالح). المصدر السابق. ص 207.

(138) PRITCHARD (James B.), Ancient new Eastern Texts Melating to the old Testament, Princeton, 1969, P 6 - 7

تغوي أم البشر المرأة "حواء" وتأكل من الشجرة المحرمة وتطعم زوجها وتدخل هكذا المعصية إلى العالم[139]. وتطور مفهوم هذه الأساطير في أسفار العهد الجديد حيث أتت مفسرة لدوائر الصراع بين الخير والشر إلى حد كبير بما جاء في الملاحم الرافدية القديمة[140]. ويأتي التنين رمز الشر والدمار وهو نفسه الحية القديمة التي أغوت أبا البشر آدم وزوجته وهي من رموز اليزيدية المقدسة ونجدها على يمين عتبة ضريح الشيخ عدي الأكبر بلالش[141].

وهنا نجد المخلص والمنقذ الراكب على فرس أبيض يصارع التنين والوحوش والنبي الكذاب (الدجال)، حتى يلقي بهم في مستنقع من نار وكبريت ملتهب ويبيد الباقين بسيفه وتظهر بعد ذلك سماء جديدة وأرض جديدة ويصير كل شيء جديداً بفضل الفارس المقدام[142]. ونجد صوره وحتى بعض التماثيل له في بيوت النصارى وكنائسهم وحتى عند الدروز للبطل "مارجرجس" أو "الخضر" وقد نسجت الأساطير حولهم ولاسيما بعض الشهداء والأولياء وهم يمتطون الفرس الأبيض ويحاربون الشر والظلام[143]. وهنا يتضح لنا جلياً كيف تحولت "التنين" إلى الأمم والحضارات الأخرى والديانات المختلفة فتحولت في المسيحية إلى الدجال وعند بعض فرق الشيعة إلى السفياني[144] ووضعت أحاديث لتأكيد خروج السفياني ونهايته على يد الإمام المنتظر. فالإمام الحسين شهيد كربلاء أُنطق بحديث جاء فيه: سئل الحسين بن علي عن السفياني. فقال: "وما تصنع باسمه إذا ملك كور الشام الخمس دمشق وحمص وفلسطين والأردن وقنسرين، فتوقعوا عند ذلك فرجاً قلت يملك تسعة أشهر، قال لا، لكن يملك ثمانية أشهر لا تزيد يوماً"[145]. وهنا يتضح جلياً كيف أن المناطق التي يحكم فيها السفياني هي المعقل

---

(139) سفر التكوين، الفصل III.

(140) العهد الجديد، إنجيل متى: IV: 11، مرقس I :13، لوقا X : 17 ـ 19.

(141) انظر صورة الأفعى في الملاحق المصورة.

(142) العهد الجديد، إنجيل يوحنا الفصل IX وما بعده.

(143) حبي (د. يوسف)، المرجع السابق، ص 41 .

(144) المهدي (فالح)، المرجع السابق، ص 207.

(145) الطبرسي، المصدر السابق، ص 457.

التاريخي لبني أمية وتحديداً مناطق نفوذ "السفيانية" التي تعتبر تاريخيا من الموالين لجدهم معاوية بن أبي سفيان، بل وزادوا في ذلك بخروج الثلاثة وهم "السفياني" و"الخراساني" و"اليماني" في نفس المدة الزمنية (في نفس السنة والشهر واليوم) ويضيف مصطنع الحديث: "وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني لأنه يدعو إلى الحق"(146). ويدل محتوى هذه الرواية بلا شك على أن مصدرها "يماني" خاصة وأن اليمانية لهم عقيدتهم الخاصة في "المخلص المنتظر" ومنهم حسب النصوص التي تم طرحها انتقلت إلى الفرق الإسلامية المتصارعة وتم تأويلها حسب الأحداث والظروف السياسية وهذا ليس بالجديد فمتكلمو هذه الفرق عاشوا الواقع وبالتالي مارسوا كل السبل والطرق التي تقودهم لتحقيق مآربهم السياسية ويتفق بشكل أساسي عن أمل أهل اليمن بالمخلص الذي يعيد إليهم أمجادهم الغابرة وينقذهم من المحتلين الأحباش والفرس(147)، وعلي بن أبى طالب بالنسبة لأهل اليمن معقد آمالهم(148). فكذلك كان شعار القحطاني المنتظر دعوة ترفع عند اليمانية كلما سنحت الفرص وخاصة إذا كان رافعها من أشراف اليمن كما حدث مع عبد الرحمان بن الأشعث الذي انتفض على الحجاج بن يوسف في سنة 81 هـ / 701 م أيام خلافة عبد الملك بن مروان. وادعى عبد الرحمان هذا بأنه "القحطاني" الذي عقدت اليمانية آمالها على خروجه ليقف يمانية العراق وغيرهم إلى جانبه فقيل له القحطاني على ثلاثة أحرف، فقال اسمي "عبد" أما "الرحماني" فليس من اسمي ولقب نفسه بناصر أمير المؤمنين(149). ويروي ابن الأثير: "لا تقوم الساعة حتى يخرج من قحطان رجل يسوق الناس بعصاه"(150). وتزيد الأحاديث التي عمل اليمانيون على حبكتها وحسن

---

(146) الطبرسي، المصدر السابق، ص 458.

(147) محمود (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 210.

(148) الجابري (د. محمد عابد)، العقل السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت / لبنان. 1990. ص 215.

(149) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص288؛ المقدسي (البلخي)، البدء والتاريخ، مII، ص183.

(150) النهاية في غريب الحديث والأثر، المطبعة العثمانية، القاهرة، 1311 هـ / 1893 م، ج II، ص 193.

إخراجها بأن القحطاني هو نصير للمهدي ومتمم لمشروعه الإصلاحي: "القحطاني رجل صالح وهو الذي يصلي خلفه عيسى (المسيح) وهو المهدي وروي عن كعب الأحبار يموت المهدي ويبايع للقحطاني وما هو بدون المهدي في العدل"(151). ومن الغريب حقاً أن نجد البخاري - وهو من هو - يروي لنا "حديث القحطاني" الذي رواه ابن الأثير كحديث غريب(152)، فالقحطاني نصير للمهدي بينما نجد "الكلبي" وهو من أصول يمانية المخلص المنتظر لكلبي الشام وهو الذي يؤازر السفياني ويدعمه حتى يحقق آل أبي سفيان أمانيهم من جديد في الحكم(153)، وفكرة السفياني لم ترتبط بسقوط الدولة الأموية وظهورها(154)، كما ذكرنا، بل تعود إلى استفزازات عديد الأطراف لخالد بن يزيد بأنه غير جدير بالخلافة مما جعله يفرط في ملك أبيه وجده، فدفعه ذلك أن يمنّي نفسه وأسرته المقربين ويعمل على تحدي منتقديه واستفزازاتهم بأن الأمر عائد إلى آل أبي سفيان.

وخالد هذا درس علم الحديث - ولو مؤقتاً - وأصبح محل رأي وسداد عند الجميع وله نبوءات خارقة مثل نبوءته في عمر بن عبد العزيز الذي عرف من دون قومه بني مروان بالصلاح والعدل في الحكم وبأنه إمام هدى(155)، كما اصطنع له العباسيون "نبوءة" عن ميلاد دولتهم: "إن الأمر سوف يزول عن بني أمية إذا ظهرت الرايات السود في المشرق وأن الخلافة ستؤول إلى بني

---

(151) المقدسي (البلخي)، البدء والتاريخ، م II، ص 183.

(152) البخاري (الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الحسين إسماعيل بن إبراهيم الجعفي)، صحيح البخاري، طبعة بولاق، القاهرة / مصر، 1311 - 1313 هـ، ج IX، ص 58.

(153) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج XI، ص 280؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج I، ص 622، ج II، ص 147 - 148، 159؛ فان فلوتن، المرجع السابق، ص 108.

(154) كما ذهب إلى ذلك لامانس فقد اعتبر أن هذه الفكرة وضعت بعد سقوط الخلافة الأموية على يد بني العباس في سنة 132 هـ / 750 م، "مادة الشام"، دائرة المعارف الإسلامية، م XIII، ص 84.

(155) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، دراسة وتحقيق وتعليق د. السيد الجميلي، منشورات دار مكتبة الهداية، بيروت / لبنان، 1988، ص 94.

العباس وسيبقون فيها إلى أن ينزل المسيح"(156). وهذا الحديث مما لا شك فيه موضوع من قبل أياد عباسية.

ومن هنا يتضح لنا أن "السفياني" هدفه سياسي بحت. بينما فكرة المهدي الشيعي أعطاها الزمن فكرة الشمولية لجميع المسلمين وأن الغرض من مبعثه أصبح أخلاقياً اجتماعياً أكثر منه سياسياً(157). ولذلك كان خبر المهدي أكثر شعبية في الأوساط الإسلامية فهو متنفس الضعفاء والمسحوقين وهو السفينة الناجية التي يأمل الكثيرون فيها الخير. بينما كانت الإيديولوجيا السفيانية ذات أهداف ومرام سياسية هدفها بعث مجد آل أبي سفيان المغتصب من أبناء عمهم آل مروان ثم سرعان ما تحول إلى مبعث مجد الدولة الأموية التي سقطت تحت ضربات الأعاجم من خراسان وإذا حققت دعوتهم غايتها وهدفها فلا حاجة لهم بهذا السفياني(158) الذي تنتظره قبائل غسان وقضاعة ولخم وجذام(159). وكما وضع الشيعة أخبار وملاحم للمهدي وضع كذلك العثمانية أنصار بني أمية ملاحم لسفيانيهم عن غاراته وحروبه وكيف سيدعمه أمويو الأندلس وأنهم أصحاب الخيل الشهب والرايات الصفر وما يكون لهم من الوقائع والحروب والغارات والزحوف(160). فالسفياني صاحب الرايات الصفر ولذا قالوا أشقى الناس بالرايات السود من أهل الشام أهل دمشق وأسعد الناس

---

(156) مؤلف مجهول. أخبار الدولة العباسية (وفيه أخبار العباس وولده). بيروت / لبنان. 1971. ص 168. 178 ـ 179.

(157) جوزي (بندلي). "السفياني". مجلة المقتطف. م II. ربيع الأول 1352 هـ / جويلية 1933. ص 181.

(158) جوزي (بندلي). المرجع نفسه. ص 181.

(159) المقدسي (البلخي). البدء والتاريخ. ج VI. ص 73. المسعودي. التنبيه والاشراف. ص 308. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 36. بيطار (د. أمينة). تاريخ العصر العباسي. طبع جامعة دمشق. 1990. ص 81.

(160) المسعودي. التنبيه والاشراف. ص 308. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 36. الجندي (محمود). اليزيدية. ص56. بيطار (د. أمينة). تاريخ العصر العباسي. هامش ص 81.

بالرايات الصفر(161) التي نرى تأثيرها في الأكراد فالقائد صلاح الدين الأيوبي اتخذ راية صفراء اللون(162).

ب- من تلقب بالسفياني

قد وحدت فكرة السفياني جميع أفراد البيت الأموي. خاصة أن العباسيين قد نكلوا أبشع تنكيل بهم. فجمعتهم هذه المصيبة. وتوحدت كلمتهم وصاروا يؤيدون إيديولوجية السفياني المنتظر وتحولت هذه الفكرة من دعوة إلى عودة الخلافة إلى الفرع السفياني كما كانت عليه في الأول إلى محاربة بني العباس فصارت مظهراً للصراع العباسي الأموي وأن السفياني هو الذي سيقاوم الظلم والجور ويخلص الناس من جبابرة "خلق الله" وينشر العدل والسلام في ديار الإسلام ولأجل تدعيم صحة دعوتهم أسندوا حديثاً للإمام علي بن أبي طالب لتلقى دعوتهم تأييداً وأنصاراً من العلويين والشيعة الذين عانوا من الاضطهاد العباسي(163). وقد احتد الصراع السياسي بين الأمويين وأفراد البيت العباسي المتصدر على سدة الخلافة الإسلامية خاصة وأن جهاز المخابرات العباسي كان كثير التنكيل بمعارضيه فانضافت إلى الرقابة الأمنية رقابة أخرى لضمان وصول المعلومات الصحيحة عن خصومهم السياسيين(164) وقد أعقب الخطيب البغدادي بعد أن ذكر أحاديث كل طرف وقال بصريح العبارة: "... وكل هذه الأحاديث التي ذكرناها واهية عند أهل العلم والمعرفة لا يثبت بأمثالها حجة وأما متونه فإنها غير محفوظة"(165).

---

(161) الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 37.

(162) الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. هامش ص 37.

(163) الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. ج ا. ص 38.

(164) الأعرجي (محمد حسين). جهاز المخابرات في الحضارة الإسلامية. دار المدى للثقافة والنشر، بيروت / لبنان. 1998. ص 93.

(165) البغدادي. تاريخ بغداد. ج ا. ص 39؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 37.

وهنا يمكننا القول أن السفياني ظهر في الإسلام بعد انتشار العقائد المهدوية بصفة عامة وكانت بلاد الشام منشأ هذه الإيديولوجيا خاصة وأن تراثها القديم غني بكتب التنبؤات والملاحم والكتب الغيبية والأهم من كل ذلك أن الروح الشرقية شديدة التأثر بكل ما هو غيب وأحداث المستقبل(166)، ومع هذا أصبح الشعار السفياني شعار عرب بلاد الشام وينادون به كلما ثاروا على أصحاب السلطة الجديدة خاصة في العهد العباسي فكان هؤلاء يخشون من رفع هذا الشعار. وكما يستفاد من الحديث الذي رواه أكثر من واحد "أن رجلا تعرض للمأمون بالشام مرارا فقال: يا أمير المؤمنين انظر إلى عرب الشام كما نظرت إلى عجم أهل خراسان فقال المأمون: كثرت علي يا أخ أهل الشام، والله ما أنزلت قيس على ظهور الخيل إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه أغرب فعل الله بك"(167). وقد حاول عرب الشام مرارا أن يردوا الملك إلى بني أمية في عديد الفرص، وكان أول من تلقب بالسفياني ورفع هذا الشعار هو أبو محمد زياد بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان(168) علما أن التنكيل العباسي وسوء تدبيرهم السياسي جعل العديد من أهالي أقاليم بلاد الشام يثورون عليهم كما فعل أبو الورد وهو من أهالي الأمويين الذي أعلن الثورة على العباسيين ودعا أهل قنسرين وحلب إلى اتباعه ولكي يضفي الشرعية على ثورته فإنه بايع لرجل أموي تلقب بالسفياني(169)، ثم تأتي حركة أخرى يقودها سفياني من نفس هذه الأسرة وذلك في سنة 195 هـ / 810 م لقب

---

(166) فان فلوتن، المرجع السابق، ص 97.

(167) ابن الأثير، الكامل، ج VI، ص 159 ; جوزي (بندلي)، "السفياني"، ص 182؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 36.

(168) المقدسي (البلخي)، البدء والتاريخ، ج VI، ص 73؛ أما بيتشوف الجرماني في كتابه تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء، طبعة بيروت، 1880، ص 15: فيذكر اسمه أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

(169) الطبري، المصدر السابق، ج VII، ص 443؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج IV، ص 334؛ بيطار (د. أمينة)، المرجع السابق، ص 81.

بأبي العميطر(170)، حيث دعا لنفسه بالخلافة مدعيا أنه السفياني المنتظر وتغلب على سليمان ابن أبي جعفر المنصور عامل دمشق ووجد هذا السفياني دعما كبيرا من موالي بني أمية ومن ابن بيهس من قبيلة نمير وكان أغلب أصحابه وأتباعه من أخوالهم في قبيلة كلب(171)، ولولا الفرقة والانقسام داخل البيت الأموي الكبير لصدقت نبوءة خالد بن يزيد بعودة الحكم إليهم مجددا ولكن كانت النهاية على يد الجيش العباسي الذي قضى على الانشقاق السفياني المرواني إلى الأبد(172)، ثم ظهرت حركة المبرقع (وضع برقع على وجهه) في جندي الأردن وفلسطين سنة 227 هـ / 841 م وادعى أنه السفياني واعتقد اليمانية في جنوب بلاد الشام أنه السفياني المنتظر فالتفوا حوله(173)، ولكن استخدام بني العباس الشدة مع الأهالي وحسن استغلالهم للظروف مكنهم من القضاء عليها. وفي العهد الفاطمي تحديداً في سنة 397 هـ / 1007م ظهر في طرابلس الغرب سفياني آخر يلقب بأبي ركوة(174).

ولم ينته أمر السفياني إلا بعد سيطرة الأعاجم على مقاليد الخلافة وتحديداً في العهد السلجوقي وانتهى أمر هذا السفياني بعد سقوط الحكم العربي نهائياً تحت ضربات المغول المدمرة، ومع ذلك بقي أنصار للأمويين في جبال الأكراد بشمال الموصل معتقدين بظهور السفياني الذي حل في شخصية عدي بن مسافر الشامي ثم الهكاري سليل البيت المرواني وداعيتهم(175)، حيث التجأ بدعوته الصوفية إلى جبال الهكارية لوجود أنصار موالين للبيت الأموي

---

(170) يسمى علي بن عبد الله بن يزيد بن معاوية هذا نسبه من أبيه. أما نسبه من أمه فهي نفيسة بنت عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وكان يستغل نسبه لأبيه وأمه ويقول أنا ابن شيخي صفين، ابن الأثير، المصدر السابق. ج V. ص 234؛ ابن خلدون. المصدر السابق، ج III، ص 234.

(171) ابن الأثير. المصدر السابق. ج V، ص 147؛ ابن خلدون. المصدر السابق. ج III. ص 235.

(172) ابن الأثير، المصدر السابق. ج V، ص 147؛ ابن خلدون. المصدر السابق، ج III. ص 235.

(173) الطبري. المصدر السابق، ج IX، ص 116 ـ 118 ؛ ابن خلدون. المصدر السابق، ج III، ص 270؛ بيطار (د. أمينة)، المرجع السابق. ص 92 ـ 93.

(174) أبو الفداء، المصدر السابق، ج II، ص 138؛ جوزي بندلي. "السفياني". ج II، ص 182.

(175) مصحف رش، آية: XXV.

فعدي هذا في نظر الأكراد اليزيدية هو صاحب الحق الشرعي في ميراث أوقاف صاحب الزمان (السفياني) الذي طال انتظاره وكلما نصبت الطواويس والسناجق يقولون: "دولتي خليفتي عصر زمان وايمي بي" أي تعيش دولة خليفة صاحب الزمان مدى الدهر(176). وصاحب الزمان هذا هو المخلص الذي تنتظره اليزيدية وهو السفياني في نظر أنصار الأمويين وقد تقمص شخصية عدي بن مسافر أو الشيخ حسن الذي ظهرت على يديه الهرطقات الدينية(177). بل إن الكثير من الأكراد العدوية أسلاف اليزيدية يغالون فيه وينتظرون رجعته ليعيد الحق إلى نصابه(178). بل إن هناك طبقة عندهم تسمى "خدام المهدي"(179) وهم من حاشية هذا المهدي المخلص الذي تعتقد فيه اليزيدية وغيرهم. ومن عاداتهم جمع الصدقات والنذور لهذا المنتظر ويلقون ما يجمع منها في شق بجبل سنجار يسمى "كهف جلميرا"(180).

---

(176) جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 78 ـ 79.

(177) ابن تيمية. المصدر السابق. ج I. ص 300 ـ 301؛ ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. ج I. ص 335؛ ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م III. (ج 5). ص 229.

(178) الذهبي. العبر في خبر من غبر. ج V. من تحقيق صلاح الدين المنجد. ص 183؛ ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. ج I. ص 334؛ جولدزهير. العقيدة والشريعة في الإسلام. ص 292.

(179) عريضة اليزيدية للدولة العثمانية فيما يخص التجنيد. البند الثالث. راجع ملاحق اليزيدية لسعيد الديوه جي ص 222.

(180) يقع كهف "جلميرا" بين قريتي "يوسفان" و"البكران" في جبل سنجار. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. هامش ص 38.

الباب الثاني

الأســرة العدويـة

هل هي بعث أموي ؟
أو منـهاج جديد للدعوة ؟
أم تـكريس لفكرة المنقذ المخلص ؟

الفصل الأول

الشيخ عدي بن مسافر الأموي نسباً الهكاري موطناً

1. نسبه ومولده

للشيخ عدي أو (عادي) بن مسافر مكانة مرموقة عند اليزيدية. بل إن أغلب الأبحاث والدراسات التي كتبت حولهم أجمعت على المكانة المتميزة والرفيعة لهذا الشيخ. إذ إنهم يضعونه في نفس الدرجة والمكانة مع "طاووس ملك" فقبره وزاويته هما مركز حجهم وانطلاقاً من قبره تخرج السناجق إلى القرى لجمع الصدقات. ومن ترابه يعجنون "البران" (كرات صغيرة للتبرك...!.

وهناك شخصان يحملان نفس الاسم (عدي). ولكن أكبرهما قدم من بلاد الشام وهو المذكور في مصحف رش بصراحة: "ثم أرسل الشيخ عدي بن مسافر من أرض الشام وأتى إلى لالش"[1]. أما عدي الثاني فهو ابن لابن أخيه وارث الشيخ عدي الأكبر أو الأول وعدي الثاني هو أول من ولد في جبال الهكارية من أفراد أسرة الشيخ عدي الأكبر[2].

فمن هو عدي هذا؟

---

(1) مصحف "رش". الآية : XV

(2) الشطنوفي (اللخمي). المصدر السابق. ص 17؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 73 ـ 74. GUEST (John S.), Survival Among the Kurds, P 19 ; GUIDI (Michel Angelo), "Nouve ricerche sui Yazidi", R.S.O, Vol. XIII, 1932, P 414 - 415.

هو مؤسس الطريقة العدوية التي تحمل اسمه وقد أجمع المؤرخون وأصحاب السير وكتاب المناقب، على أن الشيخ عدي بن مسافر الذي ينتسب إليه اليزيديون رجل صالح من زهاد عصره وأتقيائهم، ويعود نسبه إلى الفرع المرواني من الأسرة الأموية[3]. فاسمه كما هو متعارف عليه: الشيخ شرف أبو الفضائل عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان[4]. ولد في منطقة البقاع الغربي وتحديدا ببعلبك في قرية بيت فار سنة (465 هـ / 1073 م) وفي خربة قنفار (وهي قرية في جنوبي البقاع قرب بعلبك في لبنان لا تبعد كثيراً عن شاطئ نهر الليطاني الأيمن) وقبر والديه يزار إلى الآن[5]، وكانت منطقة بعلبك تتبع السيطرة الفاطمية الشيعية بالقاهرة[6]. أما وفاته فلئن حددها النسابة بين 555 و557 هـ فإن أغلبهم اتفق على سنة 557 هـ. وقد توفي وهو ابن تسعين سنة ودفن في زاويته بجبال الهكارية وتحديداً بلالش حيث مركز حج اليزيدية[7].

وهكذا نخلص إلى أن أصل الشيخ عدي يعود إلى جذور أموية من سلالة الخلفاء المروانيين فجده الأكبر لأبيه هو المؤسس الثاني للدولة الأموية مروان

---

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج XI، ص 289؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج III، ص 254؛ ابن تيمية، المصدر السابق، ج I، ص 262؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج XII، ص 243؛ المقريزي، الخطط، تحقيق د. محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج III، ص 623؛ العمري (محمد أمين خير الله الخطيب العمري)، منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق ونشر سعيد الديوه جي، مطبعة الجمهورية، الموصل / العراق، 1968/1388، ج II، ص 145.

(4) ابن خلكان، المصدر السابق، ج III، ص 254؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج XIII، ص 243؛ المقريزي، المصدر السابق، ج III، ص 623؛ العمري (محمد خير الله)، المصدر السابق، ج II، هامش ص 145.

(5) فرديناند (الأب اليسوعي توتل)، "اليزيدية قديماً وحديثاً"، المشرق، مجلد (33)، 1935، ص 155.

(6) ابن كثير، المصدر السابق، ج XI، ص 112 ـ 119.

(7) وهذه المنطقة خالية من أي تواجد مسلم فأغلبها قرى مسيحية وباستثناء قبر والدي الشيخ عدي (انظر الصورة رقم I).

بن الحكم ووالده مسافر مشهود له بحسن إسلامه وصلاحه وهو يعتبر أول من لقن ابنه شعائر الإسلام ومبادئ التصوف وأمه المرأة الصالحة "يزدة"[8].

هذا عن نسبه. أما فيما يخص ولادته فقد حفت بالقصص والأساطير الطريفة. وهذا ليس بالشيء الغريب فقد تعودنا منذ غابر الأزمان أن البطل يجب أن تحف ولادته بالأسطورة فميلاده ليس بالشيء العادي. وهذا مرده إلى الطبيعة البشرية التي تبقى دوما تواقة إلى الإرث الكامن والمتراكم في ذاكرة الأجداد. وإن لم تتشابه قصص ميلاد هؤلاء الأبطال أو الصلحاء فإن الخوارق والكرامات قد حفت بها.

وقد روي عن ميلاده ما يلي:

"كان مسافر بن إسماعيل - والد الشيخ عدي - قد دخل الغابة ومكث بها أربعين سنة[9]، ثم إنه رأى في المنام قائلاً يقول له: يا مسافر اخرج وجامع زوجتك يأتيك ولي لله تعالى يكون ذكره في المشرق والمغرب، فخرج وأتى زوجته فقالت لا أفعل حتى تصعد هذه المنارة وتنادي: يا أهل البلد أنا مسافر وقدمت وقد أمرت أن أعلو فرسي، فمن علا فرسه أتاه ولي... فولد لأجله ثلاثمائة وثلاثة عشر ولياً"[10].

ونسب إليه صاحب القلائد والنبهاني الكثير من الخوارق والكرامات التي حصلت أثناء حمله كتسليم الأولياء عليه وهو في بطن أمه، وجوابه بعد ولادته، وتكلمه في المهد صبياً، وكأن الحادثة التي وقعت للسيد المسيح

---

(8) التادفي، المصدر السابق، ص 89؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 52؛ GUEST (J. S), op. cit., P 19.

(9) التادفي، المصدر السابق، ص 89

(10) التادفي، المصدر السابق، ص 88 - 89؛ النبهاني (يوسف بن اسماعيل)، جامع كرامات الأولياء، دار الفكر، بيروت / لبنان 1992/1412 م II، ص 295 - 296؛ العزاوي (عباس)، المرجع السابق، ص 29 - 30؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 23؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 52؛ الأحمد (د. سامي سعيد)، اليزيدية، ج I، ص 119 - 120.

وأوردتها الكتب السماوية ومنها القرآن الكريم[11] ترى النور ثانية على يد إمام العدوية (اليزيدية) ونبيهم. وهذا يدخل في إطار إعلاء شأن الإمام القدوة وشيخ الطريقة العدوية بوضع نسب له بحكم الميل التقليدي لأكراد هذه الناحية إلى الأسرة الأموية وتحديدا الفرع المرواني.

ثم نأتي إلى الكرامات والمعجزات التي تعتبر من الخوارق فالمنادي الذي كلم أم زرادشت نبي المجوس وهو نفسه الذي أتى لوالد ماني بالمعبد يبشره بمولد ماني الذي طار اسمه في الخافقين.

أما يزدة / (زبيدة) والدة عدي فهي تلك المرأة التي صورتها لنا المصادر في صورة امرأة عفيفة شريفة. لم لا وهي أم أحد أكابر الطريقة وسليل مروان بن الحكم الأموي القرشي. فيجب أن يكون نسب أمرائهم وخلفائهم وشرفهم لا لبس فيه ولا دس. فكيف بصلحائهم وأقطاب العرفان من أحفادهم؟ ومما هو متعارف عليه عندهم أنه لا يتولى الخلافة والحكم إلا ابن حرة عربية[12] فكم من القادة الكبار أمثال مسلمة بن عبد الملك بن مروان حرموا من منصب الخلافة بسبب نسبهم لأمهاتهم باستثناء مروان II الذي كان ابن أمة كردية أسرت في الفتنة الزبيرية[13] وقد أنجبت لمحمد بن مروان I ابنه مروان II لذلك نجد ميلا لدى الأكراد إلى فرع هذه الأسرة. كما هو عليه الحال عند الفرس لأفراد آل البيت النبوي[14].

لذلك نجد امتداداً لنسب الشيخ عدي بن مسافر في العائلة الأموية وتحديدا جده الأكبر مروان الأول (ابن الحكم). واليزيدية التي اعتمدت الأسطورة في كتابة تاريخها بل حتى كتبها الدينية ترجع الشيخ عدي الأول إلى زمن آدم أبي البشر[15]! وهذا مرده البحث عن خلفية وسابقة تاريخية

---

(11) سورة مريم (19: 18 ـ 22).

(12) السيوطي. المصدر السابق. ص 293، عاقل (د. نبيه). دراسات في تاريخ العصر الأموي. ص 332.

(13) ابن الأثير. المصدر السابق. ج V. ص 428

(14) شيركوه (ب ج). ماضي الكرد وحاضرهم. رابطة عاوا للثقافة الكردية. دار الكاتب. بيروت / لبنان. 1986. ص 16.

(15) مصحف "رش": XV.

تساعدهم على تأكيد مرجعيتهم الدينية وتقديسهم لشخصه. بل إننا اطلعنا على آراء يزيدية تعده من أنبيائهم كما هو الحال عند بقية الأديان السماوية وحتى الوضعية التي تضع صلحاءها وكبار رجالاتها في مرتبة عالية وفي بعض الأحيان يحل فيهم "روح القدس" بالرغم من انقضاء زمن الأنبياء.

وفي حالة إمام العدوية / اليزيدية فالكل متفق على أنه أموي لذلك يمكننا أن نفسر سبب انقطاعه في جبال الهكارية في جزيرة ابن عمر. حيث نجد خلفية تاريخية فالجزيرة والمناطق العراقية الشمالية تعتبر قاعدة خلفية للأمويين ففيها طابورهم الخامس وأنصارهم ومواليهم فالعائلة الأموية تملك إقطاعات واسعة ومهمة في أرض عرفت بثرائها[16] إضافة إلى كونها تتمتع بموالاة السكان لها. وما مجزرة الموصل التي ارتكبها القائد العباسي يحي بن عبد الله بن العباس ضد الأهالي بسبب موالاتهم لبني أمية[17] إلا دليل على ذلك هذا فضلاً عن ادعاء العديد من الأمراء الكرد نسبهم الأموي[18]. خاصة أن جبالهم كانت ملاذاً آمناً لأفراد بيتهم.

وهكذا يكون نسبه الأموي لا لبس فيه وبالتالي لا نستغرب أي كرامات أو معجزات تنسب إليه إذا عرفنا جذوره القبلية.

▪ قصة ولادته

أما عن حادثة حمله وقصة ولادته التي رويت من قبل كتاب المناقب والسير فقد حفت بها العديد من الأساطير والخوارق ومما يروى من قصص طريفة عن ولادة هذا الرجل: يحكى أن والده مسافر بن إسماعيل كان متزهداً سائحاً فقد دخل غابة وظل فيها ما يقرب الأربعين سنة ورأى في منامه يوماً شخصاً يخاطبه ويقول له: "يا مسافر، انطلق من الغابة. واقصد زوجتك

---

[16] الأزدي، تاريخ الموصل، ج ا، ص 32 – 33.
[17] الأزدي، المصدر السابق، ج ا، ص 150.
[18] البدليسي، المصدر السابق، ص11.

وضاجعها حتى يخرج من صلبك ولي يملأ اسمه الشرق والغرب"[19]. وهنا يستوقفنا الـ 40 سنة الذي يذكرنا بتيه بني إسرائيل. والعمر الذي يكون فيه الكمال للرجال كما أنه يمثل العمر الذي يصطفى فيه الأنبياء. من ذلك أن سيدنا موسى بعد ترحال في بلاد مدين[20] نزل عليه الوحي في سن الأربعين وهو بجبل الطور في سيناء[21] فالأرقام والرحلة السياحية تتشابه أحداثها من زمن إلى آخر ومن نبي إلى ولي أو قديس ولهذا لا نستغرب بروز هذه الكرامات وتطابقها مع خوارق الأنبياء والرسل في الأزمنة القديمة.

ومع حمل وفصال عدي الأول نقف على تردد زبيدة أم هذا القديس اليزيدي في مضاجعة زوجها السائح بسبب جهل أهالي "بيت فار" بقدوم الزوج لذلك أصرت عليه أن يخبر سكان القرية بقدومه وبخبر رؤياه وكجزاء السماء له على المجاهدة والتزهد والسياحة في الغابات والفيافي بشر بغلام يكون من الصالحين وكأننا بقصة المسيح تكرر مع مسافر بن إسماعيل الأموي فتكون الكرامة التي تشد الناس إليه وتعظم صاحبها وتعمل عملها في الأتباع ولذا فلا مجال للقدح أو الشك في سيرة صاحب الكرامة سليل قريش ووليها الصالح صاحب المجاهدات التي لا تخطر على بال بشر. وعقب انتشار خبر ولادة "الغلام الصالح والولي صاحب الكرامة" ولد ثلاثة عشر وثلاثمائة ولي[22] وهذا العدد ليس ككل الأعداد التي نطلع عليها عند المتصوفة أو أصحاب الفرق الخارجة عن المألوف وليس السر في وجودها وإنما السر فيها. فهذا العدد يذكرنا بعدد جيش الرسول محمد في أول غزواته ضد قريش في 2

---

(19) الحنبلي. المصدر السابق. ص 88؛ النبهاني. المرجع السابق. ج II. ص 297، التونجي. المرجع السابق. ص 18؛ GUEST (J. S), Survival Among the Kurds, P18-19.

(20) قرب بحيرة طبرية حيث يوجد حولها عدد من دروز فلسطين ويعتبرون أنفسهم أحفادا للنبي شعيب الذي زوج ابنته موسى. الثعلبي. قصص الأنبياء. ص 176 ـ 177.

(21) سورة طه (20: 11 ـ 16)؛ سورة القصص (28: 29 ـ 32).

(22) الحنبلي. المصدر السابق. ص 88؛ العزاوي عباس. المرجع السابق. ص 30، التونجي. المرجع السابق. ص 18.

هـ/ 624 م وهي غزوة بدر حين كان عدد أفراد هذا الجيش[23] 313 مقاتل وكان لهم الدور البارز في بناء الدولة الإسلامية عقب معركة بدر الكبرى لذلك نجد الرسول يقول: "لا تؤذ رجلاً من أهل بدر فلو أنفقت مثل أحد ذهبا لم تدرك عمله"[24] ولأجل ذلك اعتبر عمر بن الخطاب الخليفة الثاني أن المشاركة في هذه المعركة شرط أساسي في هذه المعركة فميز "البدريين" من غيرهم باعتبارهم نواة الدولة الإسلامية الأولى وكل من سواهم أقل أهمية في الإسلام السياسي والعقائدي[25].

ومن هذا المنطلق اعتبرنا قدسية العدد 313 بل إن أصحاب بدر مع الرسول محمد يقولون إن عددهم المذكور هو نفسه عدد أصحاب طالوت[26] الذين جاوزوا نهر الأردن لمحاربة جالوت والفلسطينيين.

فالرقم 313 يعتبر رمزاً لعدد المستضعفين الذين ملكوا أسباب القوة والولاية والصلاح التي ينالها أصحابها بالمجاهدة، فكجزاء على التضحية والمجاهدة يصبح صاحبها ولياً قديساً صاحب كرامات ومعجزات. ولهذا عملت المتصوفة بشطحاتها الخارجة عن المألوف وعن الإجماع المتفق عليه عند "علماء الظاهر" فقهاء السلطة على الاقتداء بالأنبياء في سياحتهم وعزلتهم وتزهدهم خاصة أنهم كلفوا أنفسهم مشقات المجاهدة والصبر واختاروا الفقر فهم بذلك قد خالفوا الجمهور في الفروض والتكاليف فجعلوها ثقيلة على أنفسهم ومخففة على العامة وحين تبلغ هذه الأشياء النصاب والأوان الذي

---

[23] الطبري، المصدر السابق. ج II. ص 421 وما بعدها؛ أبو الفداء، المصدر السابق. ج I. ص 128.

[24] الكاندهلوي (محمد يوسف). حياة الصحابة، دار الوعي، حلب، 1979، ج II. ص 239 ؛ عبد الكريم (خليل). محمد والصحابة. سينا للنشر القاهرة ومؤسسة الانتشار العربي بيروت، ص 9.

[25] عمامو (حياة)، أصحاب محمد ودورهم في نشأة الإسلام. دار الجنوب للنشر، تونس، ص 192.

[26] من ملوك بني إسرائيل قبل نبوة داود: سورة البقرة (2: 247). حارب الفلسطينيين وكان من سبط بنيامين وهم أضعف أسباط بني إسرائيل فتم اختياره لمحاربة جالوت والفلسطينيين، الثعلبي. قصص الأنبياء، ص 268 ـ 269؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 417 ـ 418.

يوجب عنده الحصاد والقطاف تكون الولاية هي جزاء النضال المستميت ولذلك نجد بعض طلسمات في الأرقام والأعداد عند المتصوفة وهي رمزية في ظاهرها ولكن في باطنها عمق محفور في نظام طقوسي يعرفه أصحابه وندرسه نحن كتاريخ للعقليات والذهنيات أو كدراسة للإنسان في مراحل عقيدته المختلفة.

وما كل هذا التضخيم والتعظيم وهذه الصبغة القدسية ذات المرجع الأسطوري إلا لإبراز مكانة هذا القديس الذي هيأته الأقدار ليكون كذلك. فهو سليل بني مروان الذين ينتسب إليهم الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان وعمر بن عبد العزيز في مسيرته وعدله. فكان عدي من قبيلة ذات نسب عريق فقد حكم أجداده العالم الإسلامي وكانوا من أقوى خلفاء الدولة الإسلامية مقارنة بمن أتى بعدهم ثم سلك أفراد هذه الأسرة مسلك التصوف والتزهد وهو وسيلة تعبيرية ترفض الوضع القائم آنذاك في المشرق الإسلامي وتعتبر كذلك أداة لتحقيق أهداف وتطلعات عادة ما تكون خفية حتى أنها حفت بالكرامات والسلوكات الدينية التي تميز أصحابها أمثال والد شيخنا وقطب اليزيدية وإمامها الأوحد عدي الأكبر.

وقبل التعرض إلى ما نهله من هذه المدرسة وجبت الإشارة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية التي مر بها العراق والتي تولد عنها مذهب وفكر مخصوص كان له الأثر البالغ في تكوين الشيخ عدي.

2. رحلته في طلب العلم وأصحابه

ككل من سلك هذا الطريق. أخذ عدي بن مسافر بعض المبادئ والعلوم الأولية في بيت فار حيث قامت والدته زبيدة على تنشأته خاصة أن والده كان كثير السياحة في الغابات. فحفظ القرآن الكريم ودرس الفقه وغيره ولما كبر قام برحلة في طلب العلم. فكانت بغداد أبرز المدارس السنية التي نهل

منها أثر الأتراك السلاجقة في ترسيخ أسس المدرسة النظامية[27] القائمة على المذهب الأشعري[28] (السني) بعد أن سيطر الإعلام الإسماعيلي ونجحت الإيديولوجية الدعائية الفاطمية في القاهرة في السيطرة على أجزاء هامة من بلاد الشام والعراق بل حتى بغداد نفسها رفعت فيها يوم الجمعة السادس من ذي القعدة سنة 450 هـ / 25 ديسمبر 1058 م الرايات الفاطمية المستنصرية[29] لذلك عمل السلاجقة الأتراك على تحرير بغداد من السيطرة الشيعية لتقع تحت احتلال تركي استبدادي.

لقد كان السلاجقة سنة متعصبين ويدافعون عن المذهب السني بطريقتهم الخاصة ناهيك وأن الخلافة العباسية ببغداد كانت قبل الغزو التركماني السلجوقي تحت سيطرة بني بويه وهم شيعة الزيدية[30]. وقد مر معنا أطوار حكمهم وسيطرتهم على دار الخلافة والخليفة نفسه.

كما مر معنا في تلاحق الأحداث في خلافة بني عباس وقبل متابعة بعض تفاصيل وظروف انتشار الأيديولوجيات الحتمية ومن ورائها انتشار الفكر الطرقي بشكل مختلف فنعرف الظروف والملابسات التي كانت وراء نشأة الشيخ عدي بن مسافر. نقول إن القسم الأعظم من العالم الإسلامي كان حتى

---

(27) نسبة إلى الوزير نظام الملك السلجوقي فرعها الرئيسي في بغداد وكانت لها فروع في مختلف أنحاء السلطنة السلجوقية وبلدانها وقد ارتبطت هذه المدرسة بالدولة. زكار (سهيل). المرجع السابق. ص 181 ـ 182.

(28) نسبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري صاحب مقالات الإسلاميين توفي سنة 330 هـ / 942 م.

(29) نسبة لأبي تميم معد الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله هو الخامس من خلفاء الطور المصري للخلافة الفاطمية. والثامن من الخليفة المهدي. تقلد منصب الخلافة في منتصف شهر شعبان سنة 482 هـ / 1089 م. وتوفي سنة 487 هـ / 1095 م وفي عهده دعي له على منابر بغداد لمدة سنة واحدة (راجع). الفارقي. المصدر السابق. ص 152 ـ 153؛ أبو الفداء. المصدر السابق. م I (ج 2). ص 177 ـ 178؛ ابن تغري بردي. المصدر السابق. ج V. ص 139.

(30) القائلون بإمامة زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب في أيام خروجه وكان ذلك في زمن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك. البغدادي. الفرق بين الفرق. ص 23؛ الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 154 ـ 157.

وفاة البساسيري يدين معظمه إما بإحدى عقائد طرق الشيعة أو يخضع لنفوذ دولة شيعية[31] كما هو حال بلدان المغرب ومصر وبلاد الشام. ولقد كانت الخلافة الفاطمية أعظم القوى العقائدية والسياسية والوطن الأم لكل الشيعة المعارضين للدولة العباسية وكان القضاء على ثورة البساسيري التي دعمتها القاهرة[32] يمثل انحساراً للمد والسيطرة الشيعية الإيديولوجية وحتى السياسية وبداية قوية لنفوذ المذهب السني. وقبل تواجد التركمان على الخريطة الجغراسياسية للعالم الإسلامي كقوة سنية لها مخططات توسعية، عرفت المذاهب الإسلامية الرئيسية (السنة والشيعة) نوعاً من الصراع الذي أنتج كنوزا ثقافية ذات قيمة حضارية كبيرة ما تزال متنفساً بالنسبة إلى جميع المتعطشين لتلك الأيام الغابرة وما خلفته في الذهنيات الإسلامية ولكن التركمان السلاجقة بعد دخولهم بغداد سنة 451 هـ / 1059 م. وسيطرتهم التامة على الخليفة العباسي القائم نشروا منطق القوة لا قوة المنطق والحجة بالحجة لذلك كان السيف هو الفيصل بينهم وبين مخالفيهم السياسيين وغيرهم[33]. وإن كانت أغلب نظم الدول الإسلامية أوتوقراطية يساندها الجيش ولكن ليس بالشكل الذي حصل في القرن V هـ فقد أصبح معظم الشيعة سنة ولكن بقوة السيف لا الحجة والبرهان وهذا الذي حصل جر وراءه نتائج وخيمة على المذهب السني نفسه فقد تحول هذا المذهب إلى طائفة كبيرة أغلق فيها باب الاجتهاد فزال الإبداع واختفى فطاحلة العلم والفكر الكبار، وهذا خطر جسيم بأن يفقد مذهب السلطة حيويته وينقلب إلى مجرد فقه متقع مقيد محنط وتتحول إبداعات الأوائل وما كتبوه إلى شروح وحواش لا غير[34].

وبالرغم من كل ذلك وقبل متابعة رحلة شيخنا الأموي أو المنقذ المجدد لأمجاد بني أمية نود أن نواصل استطرادنا عن الوضع الفكري والحالة الثقافية العامة خلال بدايات القرن VI هـ أي فترة التحصيل المعرفي لشيخ

---

(31) زكار (سهيل)، المرجع السابق، ص 180.

(32) الفارقي، المصدر السابق، ص 152 ـ 160؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج II، ص 177؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج IV، ص 585؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج V، ص 67.

(33) زكار (سهيل)، المرجع نفسه، ص181.

(34) زكار (سهيل)، المرجع نفسه، ص182.

اليزيدية وإمامهم وهناك أمثلة وجب علينا إيرادها للتأكيد والبرهنة على حال العالم الإسلامي بشكل عام والمشرق تحديداً.

ففي سنة 445 هـ / 1053م أي قبل دخول طغرل بيك بعساكره السلاجقة للسيطرة على بغداد حيث وقف على مقالات أبي الحسن الأشعري فأمر بلعنه على المنابر[35] مما سبب ضجة لدى بعض علماء ذلك العصر أمثال أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري الذي ألف رسالة سماها "شكاية أهل السنة لما نالهم من المحنة"[36]. وحاول عدد من العلماء المسلمين إيقاف عملية اللعن هذه فأخفقوا[37]. أما المثل الثاني فيخص فترة هامة وحساسة. فبعد دخول القائد البساسيري بغداد ورفع رايات الدولة الفاطمية لم يتعصب لأي لمذهب بالرغم من أن الشطر الغربي من هذه المدينة شيعي المذهب بل أفرد لوالدة الخليفة العباسي داراً وراتباً[38].

وكخاتمة لهذا الاستطراد نسوق المثال الأخير: كان أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف في معرة النعمان[39] قبل وفاته سنة 451 هـ / 1059م قد

---

(35) ابن كثير. البداية والنهاية. ج XII. ص 64 ؛ ابن تغري بردي. المصدر السابق. ج V. ص 54 ـ 55.

(36) من نيسابور وكبار شيوخ خران في القرن V هـ توفي في ربيع الثاني 465 هـ عن تسعين سنة وقد قيل عنه أنه جمع بين الشريعة والحقيقة. الذهبي. العبر. تحقيق فؤاد السيد. طبعة الكويت. 1984. ج III. ص261.

(37) ابن كثير. المصدر السابق. ج XII. ص64؛ ابن تغري بردي. المصدر السابق. ج V. ص 54 - 55.

(38) الذهبي. المصدر السابق. ج III. ص 223 ـ 224.

(39) تتبع الدولة المرداسية في شمال بلاد الشام وعاصمتها حلب وتحكمها قبيلة كلاب التي كانت مناوئة للفاطميين ثم بعد ذلك أصبحت تتبع القاهرة في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر؛ ابن الأثير. المصدر السابق. ج VIII. ص 635 ـ 636؛ ابن خلدون. المصدر السابق. ج IV. ص 272 ـ 275؛ زيود (محمد أحمد). دول بلاد الشام ومصر في العصر العباسي الثاني. منشورات جامعة دمشق. 1994. ص 88؛ معرة النعمان: والمعرة هي الشدة. أو كوكب في السماء. وتسمى معرة مصرين. وهي بليدة بنواحي حلب. فيها قبر النعمان بن بشير وعمار بن ياسر ومنها أبو العلاء المعري (ولد سنة 363 هـ وتوفي 449 هـ) ياقوت. معجم البلدان. ج III. ص 401.

بشر بفلسفته وأفكاره. وكتب بكل حرية دون خوف ولم يحاول أي كان من معاصريه إرهابه أو الضغط عليه حتى أن هبة الله الشيرازي داعي دعاة الإسماعيلية في القاهرة ورجل الدولة والسياسي الثاني بعد الخليفة الفاطمي والمنظر للفكر الإسماعيلي في عصره. كتب رسائل يرد فيها على آراء وأفكار المعري الفلسفية رغم تعارضها مع طروحات وعقائد الإسماعيلية[40]. وبعد وفاة هبة الله الشيرازي واصل خليفته المؤيد في الدين هذا الحوار الجدلي بالاعتماد على قرع الحجة بالحجة.

ولقد وصلتنا الرسائل المتبادلة بين هؤلاء الأعلام والتي تعتبر من روائع الموروث الفكري والحضاري لذلك العصر الإسلامي.

علما وأن الذين قاموا بتكفير المعري واتهامه بالإلحاد والمروق لم يعاصروه بل كانوا جميعا وبدون استثناء ممن عاش ونهل من ينابيع مدرسة السلاجقة وعصر الكبت الفكري والحتمية[41]. لذلك كان نتاج هذه المدرسة هزيلاً (ثقافة أزمة) وفكراً تميز باللامبالاة إزاء مشاكل الأمة الأساسية وانغماسه في صوفية تقليدية بحتة جمدت العقل وطرق التفكير والاستنباط ومن هذه المدرسة تخرج مئات الفقهاء "علماء الظاهر" وكبار المتصوفة في القرنين السادس والسابع الهجريين وغيرهم ومن هؤلاء أخذ شيخنا عدي في رحلته العلمية لبغداد عاصمة "أهل السنة والجماعة" وصمام الأمان ضد أي فكر مارق عن منهج "السنة الصحيحة والقويمة"[42] فكانت بغداد أول محطة دخلها عدي بن مسافر من بلدته بيت فار في سن مبكرة[43].

---

(40) راجع حلوف (علي محمد). أضواء على الرسائل المتبادلة بين داعي الدعاة الفاطمي هبة الله الشيرازي وأبي العلاء المعري. دار حوران. دمشق. 1996

(41) راجع آراء أبي الفداء. المختصر في أخبار البشر. ج II. ص 176 ـ 177.

(42) GUEST, op. cit., P. 15

(43) ابن كثير. المصدر السابق. ج XII. ص 243؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 31. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 53؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج I. ص 123

GUEST (John S), ; LESCOT (Roger), op. cit., P. 22 ; "Les Yezidis", P57

.The Yezidis, P 15 ; Survival Among the Kurds P 15

وقد قضى فترة التحصيل العلمي في بغداد أين عرف أشهر المتصوفين في تلك الفترة أمثال حماد الدباس[44] وأبي النجيب عبد القادر السهرودي[45]. وارتبط بشكل خاص بالشيخ عبد القادر الجيلاني (الكيلاني)[46] في علاقة حميمة حيث كان تلميذا له. وفي سنة 509 هـ ترافقا في طريقهما للحج[47] وفي بغداد التقى بالأخوين الغزالي (أبي حامد محمد بن محمد الغزالي وأخيه أبي الفتوح أحمد بن محمد الغزالي)[48].

وليس أدل على تقواه من تتويجه بلباس الخرقة العمرية[49] التي تمثل شعار المتصوفة ورمزها على مر العصور ومثالنا على ذلك تمسك اليزيدية بمختلف طبقاتها الدينية والاجتماعية بهذه العادة[50].

---

(44) من علماء الحقيقة. انتهت إليه تربية المريدين في المشرق وله مكاشفاته وقد انتمى إليه معظم مشايخ بغداد ومتصوفتها توفي سنة 525 هـ /1131 م. وقبره بقي لوقت طويل مزارا. الشطنوفي. المصدر السابق. ص 144 ـ 146. الشعراني. المصدر السابق. ج I. ص 135.

(45) يلقب بضياء الدين ونجيب الدين ونسبه ينتهي إلى أبي بكر الصديق. توفي ببغداد في سنة 563 هـ / 1168 م بحضرة عديد رواد التصوفودفن بمدرسته على شاطئ دجلة وقبره بها ظاهر يزار. الشعراني. المصدر السابق. ج I. ص 140.

(46) اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان. وليس في جيلان مدينة كبيرة وإنما هي قرى في مروج بين جبال. ينسب إليها "جيلاني" و"جيلي" والعجم يقولون "كيلان". ونسب إليها كثير من أهل العلم في كل فن وعلى الخصوص في الفقه. الحموي (ياقوت). المصدر السابق. ج II. ص 201.

(47) FRANK (Dr. Rudolf), op. cit., P 88 - 87 ; LESCOT (Roger), Enquête sur les Yezidis, P 22.

(48) وقد كتب إليه أبي الحامد الغزالي رسالة.

FRANK (Dr. Rudolf), op. cit., P 42- 43 ; LESCOT (R), op, cit., P 22 ; GUEST (J. S), Survival Among, P 15

(49) الخرقة العمرية: وهي نسبة إلى عمر بن الخطاب وهي خرقة التصوف وقد لبسها عقيل المنبجي من الشيخ مسلمة السروجي ولبسها هذا الأخير من أبي سعيد الخرازي وهو لبسها من الشيخ محمد القلانسي وهو لبسها من الشيخ عليان الرملي وهو لبسها من الشيخ عمار السعدي وهو لبسها من الشيخ يوسف الفاني وهو لبسها من الشيخ يعقوب وهو لبسها من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وهو لبسها من الرسول. السخاوي. (شمس الدين محمد بن عبد الرحمان). تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات. القاهرة / مصر. 1356 هـ/1937 م. ص 300. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 63 ـ 63.

(50) انظر طبقات اليزيدية في الفصول القادمة.

ولا زالت أسماء أساتذة الشيخ عدي محفوظة إلى الآن، فقد درس على يد حماد الدباس[51] ثم عندما هاجر إلى شمال العراق تتلمذ على يد عقيل المنبجي[52] وأبي الوفاء الحلواني كما كان تلميذا لحميد الأندلسي[53]. وهكذا نجد أن أساتذة شيخنا ينتمون إلى أجناس عدة من عرب وفرس وأكراد فكان تحصيله شاملاً ومتنوعا وبالتالي ستكون أفكاره امتداد لتثاقف ستظهر خصوصيته عند أتباعه وفي الطريقة الصوفية التي أسسها وسميت بالعدوية. وهي من أقرب الطرق الصوفية للقادرية التي أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني. فشيخنا قد تتلمذ على يديه ناهيك عن إعجاب الشيخ عبد القادر بعدي بن مسافر فقد شهد له بالسلطة الروحية على الصلحاء وكان كثير الثناء عليه و"لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر"[54] فقد عرف بتقواه وتزهده لذلك شهد له بأنه "رجل صالح" من صلحاء وأولياء زمانه، وتوج بلبس الخرقة العمرية[55] وهي شعار وتاج لكل المتصوفة على مر العصور ونجد تأثيراتها في طرق لبس طبقات اليزيدية الدينية والاجتماعية[56].

وقد ألبسه هذه الخرقة لأول مرة أستاذه عقيل المنبجي الذي يعد أول من أدخلها إلى بلاد الشام[57] وقد تتلمذ على يديه في منبج شيخنا وآخرون وكتتويج لجميع مراحل التحصيل المعرفي والعرفاني يلبس الشيخ "الخرقة العمرية". وهذا يذكرنا بما عرف عند بعض الطوائف البوذية حين ينتقل

---

[51] الشطنوفي (اللخمي). المصدر السابق. ص 144 ـ 146؛ LESCOT (Roger), op. cit., P 23.

[52] الشطنوفي (اللخمي). المصدر السابق. ص 144 ـ 146؛ الشعراني، المصدر السابق. ج I ص 136 ؛ LESCOT (Roger), op. cit., P 23.

[53] الشطنوفي (اللخمي). المصدر السابق. ص 142 ـ 143 ؛ الشعراني، المصدر السابق. ج I ص 134 ـ 135.

[54] الشعراني. المصدر السابق. ج I ص 137 ؛ LESCOT (Roger), op. cit., P 23.

[55] انظر هامش الخرقة العمرية.

[56] جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 107.

[57] الشطنوفي (اللخمي). المصدر السابق. ص 144 ـ 146؛ الشعراني. المصدر السابق. ج I ص 136؛ النبهاني. المرجع السابق. ج II. ص 308؛ LESCOT (Roger), op. cit., P 23.

الطالب من مرحلة تعليمية إلى أخرى فيتوج بالزي الخاص بكهنة البوذية وهو يختلف من الهند إلى التبت[58].

وقد تميز شيخنا عن معاصريه وكبار أقطاب التصوف آنذاك بشدة مجاهداته مما بوأه مكانة هامة بين صلحاء عصره بشهادة أستاذه وصديقه عبد القادر الجيلاني الذي نسجت حوله العديد من الكرامات فاقت الخيال ومن جملة الكرامات التي تنسب إليه سنة 559 هـ / 1164 م طيران الصلحاء إليه في الفضاء للاعتراف بسيادته عليهم وبسلطنته[59] وكانت تحيتهم له: "السلام عليك يا ملك الزمان ويا إمام المكان يا قائماً بأمر الله ويا وارث كتاب الله ويا نائب رسول الله يا من السماء والأرض مائدته وأهل وقته كلهم عائلته يا من ينزل القطر (المطر) بدعوته ويدر الضرع ببركته"[60]. وكأننا بهذا السلام بظاهره أو بباطنه فيه تأثيرات شيعية عن المنقذ المنتظر والإمام القائم الذي يخلص الخليقة المتعطشة له ولهذا اعتد المتصوفة أنفسهم وبكراماتهم هاديين مهديين على أمل خلق مجتمع جديد، فهم المنزهون حسب وجهة نظرهم عن كل العيوب بحكم أنهم النخبة الوحيدة المؤهلة لهذه القيادة وهذا الدور، وكما رأينا معنا في ترجمة صديق شيخنا المميز (عبد القادر الجيلاني) اتضح أنه من ذوي النسب الشريف والجميع منذ تسرب المهدوي للفرق والمذاهب الإسلامية أصبح ينتظر المخلص من آل محمد ولذلك نجد أن المهدي من آل محمد الصوفي قد أسبغوا عليه ثوباً جديداً حتى يمهدوا له السبيل ليحكم الكون ويصلحه[61]. ومن أصدقائه أيضا نذكر الشيخ أحمد الرفاعي[62] وعلي بن وهب السنجاري[63] وقضيب البان ومن بلاد

---

[58] شويتزر (ألبير)، فكر الهند، ترجمة يوسف شلب الشام. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. دمشق، 1994، ص 115.

[59] الشطنوفي (اللخمي)، المصدر السابق، ص 18.

[60] الشطنوفي (اللخمي)، المصدر السابق، ص 18.

[61] حسن (سعد محمد)، المهدية في الإسلام، ص 174.

[62] من الصلحاء المقدسين عند اليزيدية حيث يحتفظون حسب زعمهم بمسبحته في "خزانة الرحمان" ببعذرا. (سنراه لاحقاً)، نادى بالحلول وغالى أتباعه فيه توفي في سنة 570 هـ /1175 م، الشعراني، المصدر السابق، ج 1 ص 140 ـ 145.

[63] الشطنوفي (اللخمي)، المصدر السابق، ص 230؛ LESCOT (Roger), op. cit., P 24

المغرب أبو مدين شعيب[64] وأبو الوفاء الحلواني "تاج العارفين" وهو أول من سمي بهذا اللقب في العراق[65] وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني يقول عنه: "ليس على باب الحق كردي مثل أبي الوفاء"[66] ورغم شطحات هؤلاء المتصوفة إلا أنهم يعتبرون أفضل من تخرج من المدرسة النظامية وهم الخلاصة أو الصفوة للتصوف الإسلامي. خاصة أن لكل منهم طريقه ومنهجه الإصلاحي.

وهذا العصر هو الذي عاش فيه الشيخ عدي الذي تجول وجاهد حتى تجاوزت شهرته الآفاق وعرف بأنه رجل صالح يحب الاعتزال والتفكر فكان ينقطع في المغارات والجبال والصحاري مجرداً وسائحاً. يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات. وهذا الانقطاع والاعتزال نجده منذ الأزل عند المتصوفة في اختيارهم لمقر الإقامة والاستقرار وعادة ما يكون مكاناً منقطعاً لتأسيس "الزاوية" أو في أرض يقتفي فيها آثار بعض المشايخ من ذوي القربى حيث الأنصار مضمونون والمقلدون والأتباع على ولاء تام له[67].

كان هذا الشيخ متعلقاً بالسياحة يبحث عن الموقع المناسب للدعوة والتبشير بطريقته "العدوية" التي أسسها. ولقد كانت رحلته في طلب العلم زاخرة بالتحصيل المتنوع. وقد أتاح له تجواله ملاقاة أعيان عصره في بغداد وبلاد الشام.

---

[64] قضيب البان: اختلف في تسميته. فقيل إنه الشيخ حسين المعروف "بقضيب البان" وسمي بقضيب البان لجمال صورته وحسن هيئته. توفي سنة 570 هـ/1175 م وقبره غربي الموصل. ابن الفوطي (كمال الدين عبد الرزاق). تلخيص معجم الآداب على معجم الأسماء في معجم الألقاب. تحقيق د. مصطفى جواد. بغداد / لعراق. 1962 ـ 1965. ج ١٧. ص 306. الشطنوفي اللخمي. المصدر السابق. ص 196. أما عن أبي مدين شعيب من أعيان مشايخ المغرب اسمه شعيب ووالده مدين توفي بعد سنة 580 هـ في مصر ودفن في جامع الشيخ عبد القادر الدشطوطي وقبره هناك يزار. الشعراني. المصدر السابق، ج ا ص 154 ـ 156.

[65] الشطنوفي. المصدر السابق. ص 144 ـ 146. الشعراني. المصدر السابق. ج ا. ص 135

[66] الشعراني. المصدر السابق. ج ا. ص 135

[67] ابن خلكان. المصدر السابق. ج ا. ص 366

3. عدي بن مسافر عند المؤرخين وأصحاب المناقب

اهتم المؤرخون المسلمون كثيراً بالشيخ عدي الأموي لعدة أسباب منها أنه شيخ طريقة صوفية سميت باسمه "العدوية" فضلاً عن أنه رجل صالح جاوز اعتقاد أتباعه فيه درجة الغلو ومن هذه المغالاة بدأت تتأسس نواة لديانة غريبة سميت بـ"اليزيدية" / الايزيدية كما يريدها اليزيديون أن تنطق في عصرنا هذا.

هذا الاهتمام نجد صداه عند العديد المؤرخين أمثال:

- ابن الأثير (630 هـ / 1232 م) أرّخ لحادثة وفاة الشيخ عدي سنة 557 هـ بقوله: "... توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الهكارية من أعمال الموصل وهو من الشام من بلد بعلبك انتقل إلى الموصل. وتبعه أهل السواد والجبال بتلك النواحي..."[68]
- شرف الدين أبي البركات المبارك بن أحمد اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي(637 هـ / 1239 م) ذكر: "سار ذكره في الآفاق واتبعه خلق كثير وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد، حتى جعلوه قبلتهم التي إليها يصلون. وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها. فلا يستطيع أحد أن يساويه بالطبقة الأولى من كبار المشايخ الصالحين... وقال عنه حماد الدباس وهو أحد أصحابه: ما رأيت أحسن سيرة ولا أكثر هيبة ولا أكثر خشوعاً ولا أغزر دمعة من عدي. وقال أيضاً: ركب عدي جوادا ما نزل عنه حتى مات، ما أفطر في النهار. ولا نام في الليل، ولا أكل ولا شرب غذاء أحد. ولا أخذ عليه أحد سوء خلق... وقال أيضاً: رأيت بالموصل عدياً ـ وأنا صغير ـ وهو رجل قصير أسمر"[69]
- ابن خلكان (681 هـ / 1282 م) القاضي أبو العباس شمس أحمد بن محمد بن أبي بكر الشهير بابن خلكان: "الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان، كذا أملى نسبه بعض ذوي

---

(68) ابن الأثير. المصدر السابق. ج XI. ص 289.

(69) المصدر السابق. ص 114 ـ 115.

قرابته، الهكاري سكنا، العبد الصالح المشهور الذي تنسب إليه الطائفة العدوية. سار ذكره في الأفاق، وتبعه خلق كثير وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون فيها، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها. وكان قد صحب جماعة كثيرة من أعيان المشايخ والصلحاء والمشاهير (مررنا على ذكرهم)... ثم انقطع إلى جبل الهكارية من أعمال الموصل وبنى له هناك زاوية. ومال إليه أهل تلك النواحي كلها ميلا لم يسمع لأرباب الزوايا مثله. وكان مولده في قرية يقال لها "بيت فار" من أعمال بعلبك. والبيت الذي ولد فيه يزار الآن..."[70].

• عمر بن الوردي ت(749 هـ / 1348 م): "... وعن الشيخ أبي محمد عبد الله البطايحي أنه قال: كان الشيخ عدي إذا سجد سمع لمخّه في رأسه صوت كصوت وقع الحصاة في القرعة اليابسة من شدة المجاهدة وأقام في أول أمره في المغارات والجبال والصحاري مجرداً سائحاً يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات. وكانت الجبال تألفه والهوام والسباع تألفه كذلك فيها. وهو أحد من تصدر لتربية المريدين الصادقين ببلاد المشرق. وانتهى إليه تسليكهم وكشف مشكلات أحوالهم..."[71]

• عماد الدين إسماعيل أبو الفداء (732 هـ / 1332 م) في حوادث 557 هـ "وفيها في المحرم، توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الهكارية من أعمال الموصل وتبعه أهل السواد والجبال بتلك النواحي، وأطاعوه وأحسنوا الظن به"[72].

---

[70] كانت بيت فار من قرى بعلبك في لبنان أما اليوم فهي من قرى البقاع بين مشغرة وقب إلياس وتسمى "خربة قنافار" وبها قبر مشهور للشيخ مسافر، وبها أرض موقوفة لهذا القبر. وأصبح بعد السيطرة العثمانية سكان هذه القرية مسيحيين ولا يدل على الوجود الإسلامي سوى قبر مسافر والد عدي. بل إن الأوقاف أصبحت أملاكا للمسيحيين. الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. هامش ص 22؛ التونجي. المرجع السابق. هامش ص 17؛ ويضيف Guest بأنه يوجد إضافة إلى قبر مسافر قبرين ليزدة (زبيدة) والدة عدي وأخته في هذه القرية. Yezidis, P15 .

[71] المصدر السابق. ج II. ص 63.

[72] المصدر السابق. م II. (ج III). ص40.

• الحافظ شمس الدين الذهبي 748 هـ/1347 م: في حوادث 557 هـ: "وفيها مات شيخ العارفين عدي بن مسافر الهكاري الزاهد وقد قارب السبعين"[73]

• أما في كتابه "العبر في خبر من غبر": "في سنة 557 هـ... والشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل الشامي ثم الهكاري الزاهد، قطب المشايخ، وبركة الوقت، وصاحب الأحوال والكرامات... ولأصحابه فيه عقيدة تتجاوز الحد"[74].

• أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (اليافعي 768 هـ/1367 م): "توفي في هذه السنة (557 هـ) الشيخ الكبير الولي المشهور ذو الفتح الظاهر والحال الباهر والمعارف والأسرار، والكرامات والأنوار، والمقامات والمواهب السنية، والأنفاس الصادقة، والآيات الخارقة عدي بن مسافر الشامي الهكاري الزاهد. ...وإليه تنسب الطائفة العدوية، اشتهر اسمه في المدن، وتعلق به خلق كثير، وقد قصدوه إلى جبل الهكارية لكنه كان يبتعد عنهم. صنع لنفسه هناك زاوية، وقبره فيها وهي المطافات المعروفة. وقد انتفع به الناس"[75].

• ابن الكثير: الحافظ الدمشقي (774هـ / 1372 م): "الشيخ عدي بن مسافر... الهكاري، شيخ الطائفة العدوية أصله من البقاع غربي دمشق من قرية بيت فار ثم دخل بغداد... ثم انفرد عن الناس وتخلى بجبل هكار وبنى له هناك زاوية واعتقده أهل تلك الناحية اعتقاداً بليغاً حتى أن منهم من يغلو غلوا كثيرا منكرا ومنهم من يجعله إلهاً أو شريكاً، وهذا اعتقاد فاحش يؤدي إلى الخروج من الدين جملة. مات... بزاويته... "[76].

• المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي) (ت 845 هـ / 1441 م): يتحدث عن الزاوية العدوية فيقول: "زاوية معروفة في قرافة مصر منسوبة إلى الشيخ عدي بن مسافر القرشي الأموي، صاحب عدد من

---

(73) دول الإسلام، ج II، ص51.
(74) ج IV، تحقيق د صلاح الدين المنجد، ص 169.
(75) المصدر السابق، ج III، ص 313.
(76) المصدر السابق، ج XII، ص 243

المشايخ... ثم قصد جبل الهكارية في منطقة الموصل. واتخذ لنفسه زاوية تعلق بها الناس تعلقا كبيرا لا نظير له. وحين توفي دفن في زاويته فقدم ابن أخيه إلى مصر وهو زين الدين. ..."[77].

• عبد الوهاب الشعراني (ت 973 هـ / 1566 م): فقد ذكر العديد من سجاياه بشكل مطول وأعاد تدوين قصة ميلاده وسياحته ومجاهداته المختلفة وقال: "هو أول من قصد بالزيارات وتربية المريدين الصادقين ببلاد الشرق"[78].

• المؤرخ الفقيه أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089 هـ/1678 م): وفي سنة 557هـ " توفي الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل الشامي ثم الهكاري. الزاهد قطب المشايخ. وبركة الوقت وصاحب الأحوال. والكرامات... ولأصحابه فيه عقيدة تتجاوز الحد... له كرامات عظيمة. ... وإلى ذلك أشار الشيخ الصديق بن محمد المقري. المعروف والده بالمدوخ في وسيلته الجامعة [79]:

بجـاه عـدي ذلك ابـن مسـافر | به تسـكن الأمـواج في لجج البحـر
وإن قلته لليث لم يخط خطوة | ولا الشبر من قاع ولا القاع من شبر[80]

ومن خلال عرض ما دونه المؤرخون وأصحاب المناقب نقف على جملة من الملاحظات والاستنتاجات:

• اتفاق الجماعة على أنه من أصل أموي شامي (تحديداً بعلبك من قرية بيت فار).

• اتصاله بكبار مشايخ عصره في بغداد وغيرها.

• انقطاعه عن الناس في جبل الهكارية من أعمال الموصل.

---

(77) المصدر السابق. ج III. ص 623.

(78) المصدر السابق. ج I. ص 137 ـ 138.

(79) لم نعثر على أي تعريف أو أثر لهما.

(80) المصدر السابق. م II. (ج 4). ص 179.

- إجماع المؤرخين على صلاحه ومجاهدته وعلى اتصافه بجملة من الكرامات والخوارق.
- تأسيسه للطريقة العدوية وكسبه لعديد الأنصار والتابعين من سكان تلك الأقاليم.
- مغالاة أتباعه في طاعته إلى درجة التأليه أو إشراكه في الألوهية.
- امتداد الطريقة العدوية لتصل إلى القاهرة.

4. الفكر الكرامي والخوارق التي نسبت للشيخ عدي وتأثيرها في نشأة اليزيدية

نسبت إلى شيخنا عدي بن مسافر العديد من الكرامات والخوارق وهي لا تعدو أن تكون امتدادا لذلك المنهج الصوفي لتحقيق مآرب "طريقية" وفي أحيان أخرى "سياسية" خاصة أن التصوف ارتبط في القرنين 6 و7 هـ بالسلطة لهذا نرى تحالفات بين الخليفة وكبار المتصوفة بتنظيم الولائم وغيرها[81]. ولشيخنا كرامات لا تعد ولا تحصى بل إن "المخيال" البشري لعب الدور الأكبر في رسم شخصية الملك الإله والقديس بعد ذلك ثم الصلحاء في الإسلام وغيره. لأن هذا "المخيال" سيبقى دوما أسير المعجزة والكرامة الخارقة لما هو متعارف عليه.

وهذه الكرامات أو الخوارق ما هي إلا تدعيم لصلاحهم وجلب الأنصار والمريديين لهذا الداعية لتأكيد صدق طريقته ومنهجه حتى أن أقطاب التصوف الكبار توجد أسماؤهم في أرجوزات الفقه في أبواب العبادة فحسب الآراء التي ترسخت عند الأتباع أن المسلك التصوفي هو امتداد للمذهب الفقهي

---

[81] ابن الوردي. المصدر السابق. ج II. ص 64.

وتدعيم له فلا تصح العبادة إلا باختيار مذهب طرقي إضافة إلى المدرسة الفقهية[82] والخوف هو الذي دفعهم إلى ذلك.

والسؤال الذي يفرض نفسه ما هي أسباب ظهور التصوف الكرامي؟ ولماذا هذا الزخم الهائل من الكرامات الخارقة المنسوبة إليه من قبل المصادر المختلفة؟

من الثابت بشكل عام أن التصوف يتدعم ويترسخ بشكل قوي إبان الأزمات خاصة حين تبدأ بوادر ضعف الدولة وتنتشر الفتن والحروب الأهلية وتضعف هيبة الدولة فتدخلها التجزئة ويصبح الكيان الأكبر إقطاعات لشيوخ قبائل أو لزوايا تخضع لشيوخ متصوفة ولا سلطة لأمير المؤمنين العباسي ولا خير يرجى منه فهو ليس بالمخلص من الفتن ولا الغوث في المجاعات والأوبئة والزلازل وبذلك فقد الخليفة "الدولة" هيبته ليكون تدخل الولي الصالح بديلاً ضرورياً لإعادة التوازن المختل في المناطق والقبائل المتضررة. وما يؤكد كلامنا هذا قولة الشيخ الصديق محمد المقري المعروف بالمدوخ في "وسيلته الجامعة" في استغاثته بالشيخ عدي بن مسافر عند إدلهام الأمور:

بجـاه عـدي ابـن مسـافر　　به تسكن الأمواج في لجج البحر
وإن قلت لليث لم يخط خطوة　　ولا الشبر ولا البعض من شبر[83]

وقد ساق لنا ابن الأثير - وهو من مؤرخي الجزيرة ومن أبناء المنطقة - أحداثاً سبقت قدوم الشيخ عدي للمنطقة وكأنها ساعدته في نجاح دعوته "الطرقية" وبالتالي ضمان استمرار مشروعه كمتصوف أموي ومن الأحداث المفجعة قبيل حلول الشيخ عدي بجبل الهكارية في سنة:

---

(82)

يقول عبد الواحد ابن عاشر　　مبتدئاً باسم الإله القادر
في عقد الأشعري وفقه مالك　　وفي طريقة الجنيد السالك

ابن عاشر (محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري). متن ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين. مطبعة التيجاني محمدي المنار. تونس (د.ت). ص 3؛ غني (قاسم). المرجع نفسه. ص 667.

(83) ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م II. (ج 4)، ص 179.

- 429 هـ / 1032 م مات بالموصل وحدها أربعة آلاف صبي بسبب انتشار الجدري في الناس والوباء بكامل العراق والشام وبلد الجبل[84].

- 439 هـ / 1048 م عم الجفاف بغداد والموصل وسائر بلاد العراق والجزيرة مما نتج عنه غلاء كبير فاضطر الناس لأكل الميتة، وتبع ذلك وباء شديد مات فيه كثير من الناس حتى خلت الأسواق وزادت أثمان ما يحتاج إليه المرضى[85].

- 440 هـ / 1049 م كان الغلاء عاما في البلاد جميعها بمكة والعراق والموصل والجزيرة والشام ومصر وغيرها.

- 448 هـ / 1056 م كان العراق يموج بالفتن والخوف والنهب، من عسكر طغرلبيك ومن الأعراب ومن البساسيري إضافة إلى أشياخ قبائل الغزو وتدميرها للأخضر واليابس[86]. لقد كان لحركة القائد التركي البساسيري الانقلابية وتحركات القبائل الغزية الأثر البالغ في تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في مناطق العراق الشمالية وشمال بلاد الشام إضافة إلى هذا كانت سنة 449 هـ / 1058 م من السنين العجاف حيث تميز موسم الحصاد برداءته، مع تدمير للأرض وما عليها وتوقف حركة التجارة بسبب اضطراب الأوضاع الأمنية بشكل كبير[87].

وفي خضم كل هذه الأحداث كانت بلاد الأناضول مجالا لتوسع القبائل التركمانية على حساب أراضي الإمبراطورية البيزنطية ومن أجل حماية مجالها الجغرافي ومناطق نفوذها شنت بيزنطة حملات ضد القبائل التركمانية لإيقافها ومنعها من غزو أراضيها فكانت ثغور الجزيرة وأعالي بلاد الشام

---

(84) المصدر السابق، ج IX، ص 426.

(85) ابن الأثير، نفس المصدر، ج IX، ص 541 ـ 542؛ الذهبي المصدر السابق، ج III، ص 217.

(86) ابن الأثير، المصدر السابق، ج IX، ص 552.

(87) الفارقي، المصدر السابق، ص 152؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج VIII، ص 72، النجوم الزاهرة، ج V، ص 67.

مجالا لحروب بين بيزنطة والقبائل التركمانية فيما بين سنوات 461 إلى 463 هـ / 1068 ـ 1071 م[88].

وفي سنة 489 هـ / 1096 م شهدت الموصل حصاراً قاده كربوقا (كربوغا) من قادة التركمان في الجزيرة. وقد دام هذا الحصار حوالي تسعة أشهر عانت المنطقة فيه الأمرّين. وكانت المناطق المجاورة للموصل هي القاعدة الخلفية للجيش المحاصر خاصة شرقي الموصل وهذا يعني بدون أدنى شك أن أغلب القرى تعرضت للنهب والسلب، مما تسبب في هجرة سكانها. بل إن المناطق التي تبعد عن الموصل مسيرة يوم كالشيخان، قد وصلها الدور بعد أن نهبت القرى الأكثر قرباً مثال بعشيقة وبحزاني..."[89]. وحسب تتالي هذه الأحداث فإن منطقة أطراف الموصل كانت في حالة دمار وخراب والظاهر أن هذه الأرياف خلت من سكانها في ذلك الحين. وفي خضم هذه الأحداث استقر الشيخ عدي بن مسافر بالمنطقة وهي خالية من أي سكان بما أنه قد اعتاد السياحة في المناطق الخالية حتى استأنس تلك المعيشة[90] "انقطع إلى جبل الهكارية من أعمال الموصل، ليس به أنيس، ثم استأنست تلك المواضع به"[91]. ونقرأ بعد ذلك في المصادر أن الناس التفوا حوله وعم الأمان تلك المناطق القفرة وعمرت تلك النواحي وانتفع الخلق بذلك[92]. وكل هذه الاحتمالات والتخمينات تؤكد لنا أوضاع المناطق الكردية قبل مجيء الشيخ عدي من بغداد إلى لالش وليس شرطاً أن يكون استقراره وتأسيسه لزاويته في

---

[88] الذهبي، دول الاسلام، ج I، ص 208؛ العبر، ج III، ص231، 248 ـ 249؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج XI، ص 99؛ زكار (د. سهيل)، المرجع السابق، ص 201 ـ 203.

[89] أبو الفداء، المصدر السابق، م I، (ج 2)، ص 208.

[90] ابن الوردي، المصدر السابق، ج II، ص 64.

[91] ابن خلكان، المصدر السابق، ج III، ص 254؛ اليافعي، المصدر السابق، ج III، ص 313 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت / لبنان، 1985، ج XX، ص 342 ؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج XII، ص 243.

[92] الذهبي، المصدر السابق، ج XX، ص 242 .

أعقاب كارثة أو بعد حرب مدمرة دامية ولكن هذا الاحتمال يفسر سهولة استيطانه ببلاد الأكراد دون أن يتعرض إلى مكروه[93].

لذلك نعد ظهور التصوف بشكله الكرامي (المعجزات) ليس نتاج فكر صوفي فلسفي عميق. خاصة أن كتابات رواده تعتبر سطحية باستثناء بعض الأوراد والأشعار (سنراها لاحقاً) ولهذا كانت الكرامة والخارقة هي التي جعلت الأولياء بمثابة النخبة التي اختارتها العناية الإلهية لإصلاح المجتمع ودرء المفاسد بعد تفشي الأمراض والأوبئة والكوارث والحروب الطائفية وغيرها... بل عدوا أنفسهم مشعل النور الوهاج في الظلمة الحالكة ومآمن القلوب الخائفة. فقد جاء في إحدى الخوارق المنسوبة للشيخ عدي وصاحبه عبد القادر الجيلاني أنهما كانا في ضيافة الخليفة العباسي القائم وأرادوا في إحدى الليالي المظلمة الذهاب لزيارة قبر الإمام أحمد بن حنبل فجعل الشيخ "كلما مر بحجر أو خشبة أو جدار أو قبر أشار بيده إليه فيضيء كضوء القمر ويمشون في نوره"[94]. فالظلمة هي رمز للشر وللأزمات التي يتخبط فيها المجتمع بالرغم من وجود قيادة سياسية ومرجعية دينية ممثلة في الخليفة العباسي ابن عم الرسول محمد فالكرامة هي التي تفرض على المتصوفة وصلحائهم طرح أنفسهم كبديل للتغيير الأمثل وإنقاذ هيبة الأمة ومن شروط الولاية القيادية بلوغ الولي الصالح سن الأربعين تقليداً للنموذج النبوي[95] لأن لكل منهما رسالة وسن الأربعين يمثل مرحلة بلوغ النضج العقلي واكتمال الشخصية ومرحلة الحسم لأغلب الرجال في الاستقامة، ناهيك أن أولئك الصلحاء وحسب الفكر الكرامي تكون بوادر تميزهم بالصلاح والتقوى منذ صغر سنهم ومن ذلك الكرامة التي تنسب للشيخ عدي بن مسافر وهو طفل

---

[93] الذهبي، المصدر نفسه. ج XX. ص 242، "BOIS (Thomas), "Les Yezidis. مجلة المشرق. ج II. (مارس/ أفريل). من مجلد 55. 1961. ص 208.

[94] ابن الوردي. المصدر السابق. ج II. ص 64.

[95] ابن هشام. السيرة. ج I. ص 251 ـ 252، التادفي. المصدر السابق. ص 89، بوتشيش (د. إبراهيم القادري)، المغرب والأندلس في عصر المرابطين. دار الطليعة. بيروت / لبنان. 1993. ص 142.

يلعب في قريته ببيت فار"فرأى الشيخ مسلمة[96] عديا وهو يلعب الأكرة مع الصبيان. فقال الشيخ مسلمة لعقيل (المنبجي) أعرف هذا الغلام؟ فقال له: من هو؟ قال: هو عدي بن مسافر فسلما عليه فرد عليهما السلام مرتين. فقال له مسلمة: سلمنا عليك مرة فرددت علينا السلام مرتين لأي شيء هذا؟ قال له: المرة الثانية عوضاً عن سلامكما عني وأنا في بطن أمي"[97]. ولأجل ذلك نجدهم حسب معظم هذه الكرامات منزهين عن الأخطاء لا يسهون. فهم كمل عند العامة وكثير من الخاصة فعديد الكرامات تشبههم بالأنبياء كالسيد المسيح عند ولادته... ومما ينسب إلى عدي أنه لما بلغ مبلغ الرجال رأى في ليلة قائلا يقول له: "يا عدي قم إلى لالش فهو مقامك. ويحي الله على يديك قلوبا ميتة" فهذه الخوارق تكشف سبب اختيارهم كقادة ومصلحين دون غيرهم إضافة إلى تخصيص كل ولي منهم بكرامات دون غيره. فالشيخ عقيل المنبجي أستاذ شيخنا عدي الأكبر كان طياراً وغواصاً ناهيك عن الكرامات الأخرى[98]. أما شيخنا عدي بن مسافر. رغم تخصصه بأنه من أصحاب الخطوة ومروض للوحوش الكاسرة، ومسكنا لأمواج البحر. وإطلاعه على ما في الملأ الأعلى. فله كرامات عرفناها عند أصحاب الديانات السماوية كالمشي في البحر (قصة سيدنا موسى وفرعون) أو إحياء الموتى وإبراء المرضى وتحفيظ القرآن للأميين وغيرهم[99].

---

[96] الشيخ مسلمة: شهد بولاية الشيخ عدي بن مسافر وتتلمذ على يديه الشيخ عقيل المنبجي. وحسب الشطنوفي. التقى بالشيخ عدي I وهو طفل صغير لم يتجاوز السبع سنوات. للشيخ مسلمة كرامات إبان الحروب الصليبية لذلك لقب بـ"شيخ المشايخ" و"سيد الأولياء" و"رئيس الأصفياء" توفي في قريته "سروج" بالشام وقبره ظاهر يزار هناك. وتاريخ وفاته غير محدد بالتدقيق فالنبهاني ذكر في كتابه جامع كرامات الأولياء. ج II. ص 470. أنه توفي سنة 466 هـ. والشطنوفي يذكر أنه إلى حدود سنة 470 هـ زار منطقة البقاع والتقى في بيت فار بالشيخ عدي وهو طفل صغير. الشطنوفي. المصدر السابق. ص 88 ـ 89.

[97] التادفي. المصدر السابق. ص 89؛ النبهاني. المرجع السابق. م II. ص 296. العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 30؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 23.

[98] الشطنوفي. المصدر السابق. ص 144 ـ 146 ؛ الشعراني. المصدر السابق. ج I. ص 136 . LESCOT (R), op. cit., P23

[99] ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م II. (ج IV). ص 179 ـ 180؛ النبهاني. المصدر السابق. ج II. ص 296 ـ 299.

من أجل عدم التشكيك في قدرة الشيخ عدي أو غيره نرى الكرامات تذهب إلى خلق إمكانيات تتجاوز العقل البشري، بل نراها تتحدى نواميس الطبيعة كإحياء الموتى وشق عباب البحر دون سفينة... وغيرها. لذلك وبدون أدنى شك فإن هذه الكرامات ما هي إلا من محض أساطير حاكها الأتباع والمريدون وكذلك المقلدون وهنا لا نستغرب من "اليزيدية" أو اليزيديين إن لم نقل أوائل أتباع الطريقة العدوية التي أسسها شيخنا عدي بن مسافر في صفوف هؤلاء القوم من الأكراد أن يضعوا تواريخ وقصص هي أكبر حتى من خوارق أولئك المتصوفة.

ويمكننا القول أن الهدف من حياكة هذه الأساطير الخارقة وغير المألوفة لدى العقل البشري في مختلف مراحل تطوره هو إقناع الآخرين وخاصة قاطني المجال الجغرافي /الطرقي/ المذهبي الذي أمكن لشيخنا الدعوة فيه لبناء مجتمع الكمال والأمة المنشودة بعد ظلام الجهل والمعصية...

أ- دوافع مجيء الشيخ عدي إلى المناطق الكردية

أما اختيار شيخنا عدي بن مسافر لمناطق الجبال والجزيرة فيعود إلى عدة دوافع منها:

- الأوضاع التي مررنا على ذكرها حيث يبقى تأثيرها عميقا ولمدة طويلة في أوضاع الأهالي الاقتصادية والاجتماعية.
- خلق نوعية جديدة من التفكير بسبب تبدل الأحوال.

ولكن لا يعني هذا السبب المباشر لقدوم الشيخ عدي بن مسافر إلى هذه المنطقة لذلك وجب علينا التنقيب والبحث وراء خلفيات اختياره هذه المنطقة النائية بهذا الشكل، ولعل حب الوحدة والعزلة يعد دافعاً قوياً للاستقرار بهذه المناطق خاصة وأن الأقاليم الجبلية غير مسكونة في هذه المنطقة مما يساعد شيخنا في سياحته والتفكير في ملكوت الله إلى أن يؤذن له بالاستقرار. ومما يدعم رأينا ما ذكره التادفي (ت 963 هـ / 1556 م) في قلائد الجواهر: "يا عدي قم إلى لالش فهو مقامك، ويحي الله على يديك قلوباً

ميتة"[100]. ومن خلال هذه الإشارة تدخلت القوى الغيبية تأمره بالدعوة وتحدد مجال دعوته (لالش). وهنا تدخل هذه الرواية في كرامات الشيخ عدي. ولكن ما هي الأسباب الأخرى التي جعلته يختار جبال الهكارية وبلاد الأكراد دون غيرها من المناطق كأن يستقر في إحدى المدن الكبرى مثل أستاذه عقيل المنبجي أو صديقه المميز عبد القادر الجيلاني؟ وقد ذكر Guidi والعزاوي و Lescot وغيرهم أن الشيخ عدي فضل الإقامة في هذا الإقليم لأن أكراده أغلبهم على ولاء للبيت الأموي (بني أمية). وهم لن يترددوا في استقبال أحد أحفادهم[101] خاصة أنه من الصلحاء ويرون فيه أمجاد الأمويين وبطولاتهم التي غابت منذ 132هـ / 750 م. وإذا فتحنا قوساً حول جذور العلاقة الكردية / الأموية منذ تأسيس دولتهم على يد معاوية بن أبي سفيان (ت 60 هـ) ثم انتقال الخلافة إلى الفرع المرواني وتجسد ذلك في شخصي مروان "الأول" بن الحكم (64 ـ 65 هـ / 684 ـ 685 م) وابنه عبد الملك (65 ـ 86 هـ / 685 ـ 705 م) الذي يعد باعث الحياة لهذه الدولة من جديد إثر الفتنة الزبيرية[102]. نجد أن منطقة الجزيرة تحظى باهتمام كبير من قبل خلفاء دمشق حيث أن امتلاك الجزيرة يعني امتلاك العراق وهو ما

---

[100] ص 89.

[101] العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 9 ـ 12. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 20. الجندي (محمود). ما هي اليزيدية. ص 11 ؛

GUIDI (Michel Angelo), "Nuove Micerche Sui Yazidi", P382, 388-389 ; LESCOT (R). op. cit, P24 ; GUEST (John S.), Survival Among the Kurds, P 15-16.

[102] وكذلك تسمى بالفتنة الثانية لأن الفتنة الأولى انتهت بمقتل عثمان وتولي ابن عمه معاوية بن أبي سفيان بعد حروب دامية مع الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب. أما الفتنة الثانية فقد انطلقت شرارتها الأولى بعد فاجعة كربلاء الأليمة وتواصلت حوالي ثماني سنوات من خلافة عبد الملك. فقد بويع عبد الله بن الزبير (64 ـ 73 هـ / 684 ـ 692 م) إثر وفاة يزيد بن معاوية. وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان باستثناء الشام التي بقيت على ولاء للبيت الأموي. واستمر ابن الزبير في مكة إلى أن قتل على يد الحجاج بن يوسف الثقفي في يوم الثلاثاء. 17 جمادى الأولى أو الثانية 73 هـ / 23 ماي 692 م. الطبري. المصدر السابق. ج V. ص 528 ـ 530. ج VI. ص 175. 193؛ السيوطي. المصدر السابق. ص 240 ـ 273.

جعل عبد الملك بعد القضاء على مصعب بن الزبير سنة 72 هـ يعمل على تولية الجزيرة لأخيه محمد بن مروان سنة 73 هـ / 693 م وقد أورث ولاية هذه المنطقة لابنه مروان II [103] حتى أصبحت لهم دراية خاصة بهذه المنطقة وعلاقات وطيدة مع سكانها فمنذ 73 هـ إلى 101 هـ أصبحت لمحمد بن مروان خبرة ودراية بشؤون الجزيرة بالإضافة إلى أنه قد أنجب ابنه البكر مروان II من أم ولد كردية تدعى "ريّا" كانت لإبراهيم بن الأشتر [104] بعد انتصار الأمويين على مصعب بن الزبير في العراق سنة 72 هـ فأخذها محمد بن مروان وأقام بالجزيرة طوال تلك المدة إلى أن توفي. وفي سنة 114 هـ عين واليا على الجزيرة وبدأت مواهبه تظهر وهو بين أخواله الكرد فقد ورث عن أمه زرقة العينين وحمرة الشعر وهذا دليل على صلة الأمويين بالأكراد [105] فضلا على أن عددا من الأمراء الأكراد يدعون نسباً أموياً. فابن عم السلطان صلاح الدين الأيوبي ادعى انتسابه إلى بني أمية كالأمير المعز إسماعيل بن سيف الإسلام [106] وغيرهم بل أن أمراء السليمانية يدعون أن نسبهم يرتقي إلى مروان "الحمار" [107]. فقد انساح أبناء مروان II أو الحمار آخر خليفة أموي

---

[103] ابن الأثير. المصدر السابق. ج IV. ص 361.

[104] اليعقوبي. المصدر السابق. ج II. ص 268؛ الأزدي. المصدر السابق. ج VII. ص 442؛ المقدسي. البدء والتاريخ. ج VI. ص 54؛ ابن الأثير. المصدر السابق. ج V. ص 428؛ الدوري (عبد العزيز). الجذور التاريخية للشعوبية. دار الطليعة بيروت / لبنان 1986. ص 15 ؛ EI², "Kurdes", BOIS (Th), T. V, P 453

[105] MUIR (W), The Caliphate, Londres 1891, P 429 ; E.I², IBID, T. V, P 453.

[106] ابن واصل (جمال الدين بن سالم). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. طبع جامعة فؤاد الأول. القاهرة / مصر. 1953. ج I. ص 3 ـ 4؛ المقريزي. المصدر السابق. ج III. ص 113؛ الدوري (عبد العزيز). المرجع السابق. ص 15؛ التونجي (محمد). نفس المرجع. ص 44.

[107] البدليسي. المصدر السابق. ص 264 ـ 265. ويعود سبب تلقيبه بالحمار: هو الخليفة الرابع عشر من الخلفاء الأمويين. اغتصب الخلافة من ابراهيم بن الوليد ببأسه وقوته وكان عهده عهد فتن واضطراب منذ لويع بالخلافة حتى قتل في 28 ذي الحجة سنة 132 هـ في قرية بوصير من أعمال مصر على يد صالح العباسي. وقد سمي بالحمار لأن العرب تطلق على رأس كل مائة سنة "اسم الحمار" وسمي بالحمار لشدة صبره وبلائه. وقيل لأن والده عنفه مرات عدة وهو صغير ولم يتعظ فقال له: "والله لأنت الحمار". ابن طباطبا. المصدر السابق. ص 135؛ البدليسي. المصدر السابق. ص 264 ؛ أبو النصر (عمر). الأيام الأخيرة للدولة الأموية. منشورات المكتبة الأهلية. بيروت / لبنان. 1962. ص 204.

إلى ولاية "قلب" واستقروا تحديداً في وادي "درة / الخوخ" من أعمال ناحية غزالي، فاستوطنوه واجتمعت عليهم قبائلها وعشائرها وأهمها عشيرة "يانوكي" (يانكي) وتمكنوا بفضل هذه العشيرة من احتلال القلاع الآتية قلب وحسبقة (حبقة) وتاش وحصولي وميارفرقين إلى حدود جورجيا وأرمينيا ثم التحق بهم أشياع المروانيين وأحباؤهم والموالون والمنتظرون عودة الرايات الأموية في بلاد الشام ومصر[108] كما نجد في مناطق الدربند[109] قبائل عربية أموية ومن كندة وغيرها التقى بهم ابن الأزرق الذي عرف أنهم استوطنوا هذه البلاد منذ حوالي خمسمائة سنة هرباً من ثورة المختار الثقفي انتقاما من قتلة الحسين بن علي في كربلاء فالتجأت مجموعة منهم إلى الدربنة ومجموعة أخرى انهزمت إلى الموصل، وجبل الجزيرة (والظاهر أنه يقصد جبل سنجار) وهربوا إلى ميارفارقين وهم من الأمويين ومازالت بقية منهم إلى 549 هـ / 1154 م التقى بهم ابن الأزرق وحاورهم[110].

وإن كنا لا نستغرب انسياح الأمويين وأشياعهم في مناطق جورجيا وداغستان وغيرها فإنه من المرجح أنهم هربوا بعد سقوط الدولة الأموية لا أثناء ثورة المختار بن عبيد الثقفي انتقاماً من قتلة الحسين بن علي والسبب أنه بعد انحسار الدولة الأموية في بعض أجزاء الشام عرفت في خلافة عبد الملك بن مروان دفعاً وقوة جديدة مكنتها من استعادة الأقاليم الثائرة عليها تدريجيا. ومع ذلك تعتبر بلاد الشام القاعدة الخلفية والحصن المنيع للأمويين. لذا بقيت الجزيرة على ولاء تام للبيت الأموي وحافظت على هذا

---

[108] البدليسي، المصدر السابق، ص 265.

[109] ويسميها العرب أيضاً الباب الأبواب أو باب الأبواب. وهي بلدة على الشاطئ الغربي لبحر الخزر (قزوين) وهي الساحل الوحيد لبلاد الداغستان. الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج I، ص 303. على أنه يوجد مسلمين في هذه المنطقة وقد أرسلوا لأبي الحسن الأشعري (ت 324 هـ) يسألونه عن مذهب أهل الحق في أصول الدين وهو سبب تأليفه لكتابه "رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب"، تحقيق عبد الله شاكر ومحمد الجنيدي، طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1413 هـ.

[110] الفارقي، المصدر السابق، ص 42 ـ 46؛ دهمان (محمد أحمد)، "نافذة تطل على تاريخ اليزيدية"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلة 44، ج III، 1969، ص 600 ـ 602.

الولاء فيسجل تاريخ الثورات "التبييض"[111] ضد بني العباس كانت في أغلبها من هذه الأقاليم وكل أموي يثور ضد العباسيين يلتجئ إلى هذه المنطقة نظراً لوجود أنصار ودعاة موالين لهم[112]. وأما بالنسبةإلى السكان المحليين في الجزيرة فقد تمتعوا بامتيازات كالتي كان يتمتع بها "الشوام" في عهد معاوية وغيره، فقد اتخذ مروان II (الحمار) من حرّان عاصمة للدولة ونقل بيت المال إليها مفضلاً الإقامة فيها على الإقامة في دمشق مما سبب له نقمة أهل دمشق "الشوام" لنقله عاصمة الخلافة إلى حرّان[113].

هذا فيما يخص الأسباب السياسية لمقدم الشيخ عدي الأكبر إلى مناطق الموصل، ولكن ومن خلال سيرة هذا الولي الصالح وما تركه لنا من مؤلفات[114] لم نعثر على ما يدل أن للشيخ طموحات سياسية أو مشروعاً لتجديد ملك أجداده فلم يكن له من هم سوى التذكير بمبادئ القرآن لمساكين يتمسكون بمعتقداتهم الخرافية والقديمة وما فيها من هرطقات يرفضها شيخنا مهما كان مصدرها[115]. ومع ذلك كان له اعتقاد خاص بصلاح يزيد بن معاوية وتقواه وهذا مرده النزعة القبلية بشكل أساسي ثم بداية تسرب "إيديولوجية السلطة" بمرجعيياتها "أهل السنة والجماعة"، عدم التكفير. اعتماد الخلفاء الأربعة كمنهج للإسلام الصحيح ومثالاً للاستقامة ومصدر

---

(111) كل من يعلن العصيان ضد العباسيين يرفع شعار البياض معارضة لشعار العباسيين وهو السواد وذلك حسب القصة التي حبكها أشياع العباسيون "أن الرايات السود الناصرة لأهل البيت تخرج من خراسان". ابن طباطبا. المصدر السابق، ص 142 ـ 143

(112) ابن قتيبة الدنيوري، الإمامة والسياسة، ج II، ص 170؛ اليعقوبي. المصدر السابق. جII، ص 189 ؛ الأزدي. المصدر السابق. ج I، ص 145 ؛ ابن الأثير. المصدر السابق. جV، ص 176 ـ 177؛ العوض (هاني حمدي أحمد). "ثورات الموصل في العصر العباسي". مجلة الجامعة، العدد 16، الموصل 1972/5/15، ص 51؛ الديوه جي (سعيد). تاريخ الموصل، طبع المجمع العلمي العراقي ببغداد، 1982/1402، ج I، ص 57 ـ 59.

(113) الأزدي، المصدر السابق، ص 68؛ أبو النصر عمر، المرجع السابق، ص 205.

(114) مازالت مخطوطة في مكتبات وجامعات غربية ؛ الديوه جي (سعيد). اليزيدية، فهارس

(115) ابن تيمية المصدر السابق، ج I، ص 267؛ LESCOT (R), op. cit., P 25 ; FRANK (Dr. R), op. cit., P 16

حججهم الحديث الذي ينسب للرسول "خير القرون قرني..." ورغم ذلك كله لا نلتمس أي تطلع سياسي عند الشيخ عدي نفسه.

ويمكننا القول أن شيخنا سلك مسلك أحد أفراد العائلة الأموية المعروف بتصوفه وعلمه ألا وهو شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن أحمد الأموي الذي يرجع نسبه إلى عتبة بن أبي سفيان (توفي 486 هـ / 1093 م) فقد تفرد بالدعوة وبنى عدة أربطة في بلاد الهكارية ثم خلفه أولاده من بعده واقتدوا بسيرته[116] والظاهر أن الشيخ عدي عمل على اقتفاء أثار بعض المشايخ الأمويين كما لا يجب أن ننسى أن التصوف متفش بشكل كبير في صفوف الأكراد فضلاً عن انتشار الخرافات والجدل والمشاحنات بين أصحاب المذاهب ومن خصائص هذه الحقبة الزمنية المغالاة والمبالغة في المواضيع المذهبية والبحث في مقامات الأولياء وبسبب انعدام الثقة بين الرعية وأرباب الدولة وكبار موظفيها كان الناس يحترمونهم ظاهرا ولكنهم كانوا لا يعتقدون في باطنهم بصلاح هؤلاء الموظفين وتقواهم فكان البديل عند الأهالي والرعية هو مشايخ الصوفية الذين صبغوا التصوف بصبغة الدين والمذهب خوفاً "من اضطهاد أهل الظاهر والفقهاء لهم"[117] وأضفوا على التصوف والعرفان في كتبهم ظاهرة دينية ومذهبية لدعم أرائهم تمثلت في كثرة استعمالهم النص القرآني للاستشهاد وكذلك الأحاديث النبوية بما ينسجم مع "مذاق العامة" لأجل ذلك اختار العديد من أقطاب الصوفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما هو الحال عند شيخنا عدي بن مسافر وعديد أقطاب التصوف الكردي الذين فضلوا الانسياح والعودة إلى مناطقهم للقيام بالعمل الإصلاحي إضافة إلى

---

[116] ابن خلكان. المصدر السابق. ج I، ص 366؛ ابن تيمية. المصدر السابق. ج I. ص 273؛ الذهبي. العبر. ج III. ص 214 ـ 215؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص12؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق، ص 54؛ FRANK (R), op. cit., P 62 ; GUIDI (M), op. cit, P 396-397 ; LESCOT (R), op. cit, P 23-24 ; GUEST (John S), op. cit, P 16

[117] غني (د. قاسم). تاريخ التصوف في الإسلام. ترجمه عن الفارسية صادق نشأت. مكتبة النهضة المصرية. منشورات جامعة الدول العربية. القاهرة. 1972. ص 687.

توفر المجال الأفضل للانعزال والوحدة التي تعتبرها المتصوفة أساساً في تكوينهم العقائدي (الجبال والمغاور) فالرسول محمد يحبذ انزواء المؤمن عن الناس ليجتهد في العبادة ويخلو إلى نفسه شريطة ألا تكون هذه العزلة أبدية[118] فالعزلة من اعتزال الخصال المذمومة والابتعاد عنها إلى جانب الخلوة مع النفس للاجتهاد في العبادة والوصول إلى درجات سامية في طريق البحث عن الحقيقة. من أجل ذلك رجع متصوفة "الكرد" إلى جبالهم ومفترق الطرقات والمدن الثغرية[119] التي تعتبر مجالاً خصباً للدعوة فكانت مناطق الموصل الشمالية مجمعاً لمتصوفة الكرد. وكما أن للفرس مدرستهم في التصوف فإن للأكراد مدرستهم وأقطابهم إذ نجد على رأسهم أبا الوفاء الحلواني من أصدقاء الشيخ عدي. وقد كان لهذا الأخير شرف تغسيله ودفنه حوالي سنة 500 هـ / 1110 م[120]. كما لا يفوتنا أن نشير إلى وجود متصوفة أكراد لهم شأنهم مستقرون في شمال الموصل أمثال أبي بكر بن عبد الحميد الشيباني الخبازي[121] وأبي محمد الشبكي[122] والشيخ سويد السنجاري[123] ومطر البادراني[124] ومجيد الكردي تلميذ أبي

---

[118] المقدسي (ابن القيسراني محمد بن طاهر). صفوة التصوف. تحقيق غادة المقدم عدرة. دار المنتخب العربي بيروت / لبنان. 1995. ص 87.

[119] في المناطق الثغرية نجدهم (المتصوفة) قد أسسوا خالقاه كأديرة الرهبان وهي محلاً لاستراحة المتجولين من الصوفية غالبا وكانوا يستضيفون المسافرين فيها (وهي كالأربطة عندنا في بلاد المغرب غير العسكرية). غني (قاسم). المرجع نفسه. ص 699.

[120] الشطنوفي. المصدر السابق. ص 150 ؛ الشعراني. المصدر السابق. ج I. ص 134 ـ 135؛ LESCOT (R) op. cit, P 23; BOIS (Thomas), op. cit.,P209

[121] الشطنوفي. المصدر السابق. ص 230؛ LESCOT (R), op. cit., P 24 ; BOIS (Thomas), op. cit., P209

[122] الشطنوفي. المصدر السابق. ص 134؛ ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م II. (ج 4). ص 180؛ LESCOT (R), op. cit., P 24

[123] الشطنوفي. المصدر السابق. ص 177 ـ 180؛ LESCOT (R), op. cit., P 24 ; BOIS (Thomas), op.cit., P209.

[124] الشطنوفي. المصدر السابق. ص 163 ـ 165؛ LESCOT (R), op. cit., P 24 ; BOIS (Thomas), op. cit., P209.

الوفاء[125] وآخرون اختاروا الانعزال والسياحة في هذه الجبال للتأمل والمجاهدة على خطى الأنبياء. ومع ذلك، لا نعرف بالضبط تاريخ انقطاع الشيخ عدي عن الحياة العامة ولكن من المرجح أن يكون ذلك في حدود سنة 500 هـ / 1110 م[126] لأن شيخنا كان يلقب قبل هذا التاريخ بالشامي ولكن بعده نجده قد حمل اسم المنطقة التي اختارها لإقامته فأصبح يلقب بالهكاري[127] ويعتبر تاريخ حضوره ودفنه صديقه وأستاذه تاج العارفين أبي الوفاء الكردي (الحلواني) بداية انقطاعه عن الحياة العامة في بغداد واستقراره بلالش حيث أسس زاويته هناك على أنقاض دير مسيحي[128] قديم وآخرون يقولون معبد ميرائي[129] على بعد 36 ميلاً شمال شرقي الموصل وبارتفاع 2000 قدم على سطح البحر.

---

(125) الشطنوفي. المصدر السابق. ص 165 ـ 168؛
LESCOT (R), op. cit., P 24; BOIS (Thomas), op. cit., P209

(126) ابن الوردي. المصدر السابق. ج II، ص 64؛ الشطنوفي. المصدر السابق. ص 150؛
SIOUFFI (Nicolas), « Notice sur le Cheikh Adi et la secte des Yezidis », J.A, série 8, vol V, 1885, P79 ; FRANK (Dr. Rudolf), op. cit., P 52 ; LESCOT (R), op. cit, P 24 ; GUEST (J. S), Survival among, P 16

(127) الذهبي. المصدر السابق. ج IV. ص 163؛ سير أعلام النبلاء. ج XX. ص 342؛ اليافعي. المصدر نفسه. ج II. ص 313. ابن العماد الحنبلي. المصدر نفسه. م II.(ج IV). ص 179.

(128) LYARD (Austen Henry), Nineveh and its remains, New-York, 1851, P 234-237; EMPSON (R.H.W), The cult of the Peacock Angel, London 1928, P 106 ; LESCOT (R), op. cit, P24
الصائغ (القس سليمان الكلداني الموصلي). "رحلة حديثة إلى الشيخ عادي والربان هرمزد". المشرق العدد 10. السنة العشرون. أكتوبر 1922. ص 832 ـ 833.

(129) SEABROOK (W B), Adventures in Arabia, New-York, 1927, P 289
وهبي (توفيق). "اليزيدية بقايا الديانة المثرائية". ص 72 ـ 73؛ حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 67.

ب- كرامات الشيخ عدي وخوارقه

لو عددنا الكرامات والخوارق التي أجمعت الكتب التاريخية والمناقبية على عدها لتجاوزنا حدود العقل والمنطق. ومع ذلك يبقى الفكر الكرامي والإيمان بالأولياء الصالحين مع التعصب الكبير والجمود ومتابعة ظواهر الشرع الإسلامي من قبل هؤلاء الصوفية وأتباعهم شائعاً وهناك ملاحظة ذات أهمية وهي أن مجاهدة النفس والإعراض عن مفاتن الدنيا ومباهجها واجتناب التلوث بالأمور الصورية (الزائفة) وعزة النفس وعدم الاهتمام بأصحاب الجاه والحكم والنفوذ. قد أضفت أهمية خاصة على مشايخ الصوفية وأظهرتهم بمظهر العظمة المحاطة بهالة من الأسرار الغامضة ويضاف إلى هذا مغالاة المريدين في بيان المقامات الروحانية لمشايخهم ونسبة علم الغيب والإشراف ومقدرتهم على إظهار الكرامات وخوارق العادات.

وفي حالة شيخنا عدي الهكاري. الذي أجمعت عديد المصادر على أنه قد أصبح إمام الأكراد وقبلتهم[130] نجد ذكر مغالاة غير عادية في شخصية هذا الرجل منذ أوائل القرن السادس هجري والشيخ عدي حي يرزق حتى وفاته[131] وهذه المغالاة الأولى مصدرها صوفي. ونحن لا نستغرب أن تنسب الصوفية إلى أقطابها ما شاءت من الكرامات والخوارق. ففي حالة شيخنا ابن مسافر نراها قد وضعته في مرتبة الربوبية وغالت فيه إلى درجة تتجاوز الحد والمنطق وبالتالي لا نستغرب فساد عقيدة اليزيدية الحالية على رأي الفقهاء ومن ذلك نسوق أمثلة من الكرامات والخوارق التي لا تخطر على بال والتي تنسبها المصادر إلى الشيخ عدي وهذا لا يعدو أن يكون نوعا من المغالاة التي

---

[130] الحموي (ياقوت). المصدر السابق. ج V. ص 28: ابن المستوفي. المصدر السابق. ق I. ص 114: ابن خلكان. المصدر السابق. ج III. ص 254: اليافعي. المصدر السابق. ج III. ص 313: المقريزي. المصدر السابق. ج III. ص 623 ـ 624.

[131] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق I. ص 115 ; ابن خلكان. المصدر السابق. ج III. ص 254: الذهبي. المصدر السابق. ج IV. ص 163: اليافعي. المصدر السابق. ج III. ص 313. ابن كثير. المصدر السابق. ج XII. ص 243: ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. ج IV (ق II). ص 179 ـ 180.

ستقودنا بدون أدنى شك إلى أصول وجذور اليزيدية التي أصبحنا في قناعة تامة من مراحل تطورها وهنا نصل إلى الإجابة عن السؤال: لماذا هذا الزخم الهائل من الكرامات والخوارق؟

فمن ذلك. كما ذكرنا سابقاً. أنه إذا سجد" سُمع لمخّه في رأسه صوت كصوت وقع الحصاة في القرعة اليابسة من شدة المجاهدة"[132]. ويذكر أيضاً على لسان خادم الشيخ عدي قوله: "خدمته سبع سنين. وشهدت له خارقات إحداها أني صببت على يديه يوماً ماء فقال لي: ما تريد؟ فقلت: أريد تلاوة القرآن. فإني لا أحفظ منه سوى الفاتحة وسورة الإخلاص وحفظه علي عسير جداً. فضرب بيده في صدري فحفظت القرآن في وقتي"[133] وهنا نلاحظ تماثلا بين دور عدي بن مسافر ودور الملاك جبرائيل (جبريل) في تعليم الرسول محمد عندما نزل عليه الوحي: "اقرأ باسم ربك..."[134]. فدور المتصوفة هو امتداد لرسالات السماء ولهذا كان مشروعهم الإصلاحي والتعليمي ممزوجا بالخوارق. فقدرة الشيخ تجاوزت كل حد. فكان بإمكانه أن يريك صورة أشخاص أموات أو بعيدين في المكان: فمن إحدى خوارقه التي مازال يرويها لنا خادمه "طلبت منه أن يريني أستاذه عقيل المنبجي فأعطاني مرآة وأمرني أن أنظر فيها. فنظرت شخصي. ثم توارى عني شخصي. وظهر لي شخص أراه ولا يخفى عني من وجهه شيء. فقال لي الشيخ تأدب فإنه الشيخ عقيل..."[135]. وكأننا بالمرآة تفسر كيف أن الحجب وأسرار الغيب تنكشف أمام الشيخ عدي.

---

[132] ابن الوردي. المصدر السابق. ج II. ص 63 ـ الشعراني. المصدر السابق. ج I. ص 137. العمري (محمد أمين بن خير الله الخطيب). المصدر السابق. ج II. ص 145 ـ 146. SIOUFFI, op. cit, P 80 ; BOIS (Th), op. cit, P 211

[133] ابن الوردي. المصدر السابق. ج II. ص 64. التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 22.

[134] القرآن. سورة العلق. ابن هشام. السيرة. ج I. ص 254 ـ 255.

[135] ابن الوردي. المصدر السابق. ج II. ص 65. العمري. المصدر السابق. ج II. ص 147 ـ 148. التونجي (محمد). المرجع نفسه. ص 22.

وكان الشيخ عدي يمتلك مزرعة صغيرة على سفح جبل لالش وكان يشرف على حرثها وزراعتها بنفسه. يستهلك إنتاجها. كما كان يزرع قطناً يغزل منه ما يكتسي به، ولم يكن يقبل مالاً من أحد، حتى أنه كان يصوم أياما ممتدة ومتصلة وقد ظن بعضهم أن شيخهم لا يأكل أبداً. وحين بلغه اعتقاد القوم هذا أكل بحضور عدد منهم[136]. وهذا دليل على أن الشيخ عدي بطريقته الصوفية يسير بمنهج تعفف مبني على المجاهدة ودوام العبادة...

وكتب المناقب والتصوف حافلة بشتى الخوارق المختلفة ولعبت الخرافة والأسطورة الأساس في نسجها أما اليزيديون وهم أسلاف العدويين وورثاء طريقة ومنهج الشيخ عدي الأكبر وسدنة قبره وحفظة مسلكه التصوفي. فلهم أيضا أساطيرهم الخاصة عن الشيخ عدي ومن ذلك ما يرويه أحد أبناء أخيه المدعو بأبي البركات صخر قال: قدم على عمي الشيخ عدي يوما ثلاثون فقيرا، فقال له عشرة منهم حدثنا يا مولانا عن طرف من الحقيقة. ولم يكد الشيخ يشرع في حديثه حتى تحول هؤلاء العشرة إلى ماء. وقال له عشرة آخرون من البقية: حدثنا يا مولانا عن حقيقة المحبة. وما إن شرع الشيخ في الحديث حتى سقطوا جميعاً هامدين. أما العشرة الأخيرة من الفقراء فقد طلبوا منه أن يشرح لهم شيئاً عن حقيقة الفقر وكانت نهايتهم أن سقطت ثيابهم عنهم وخرجوا من عنده عراة[137]. وهناك العديد من الخوارق التي اعتبرها اليزيديون جزءاً لا يتجزأ من معتقداتهم وسندرسها في باب العقيدة اليزيدية.

---

[136] الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج XX. ص 342 ـ 343؛ التونجي (محمد). المرجع نفسه. ص 23.

[137] التادفي. المصدر السابق. ص 106 ـ 107؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 22 ـ 23.

ج- علاقة العدوية / اليزيدية بالقادرية

كان مذهب الشيخ عدي سنياً متبعاً للمدرسة الفقهية الشافعية التي تنسب للإمام الشافعي (150 هـ / 767 م - 204 هـ / 820 م) ومنذ القرنين 10 و11 م أصبح أغلب الأكراد مسلمين تابعين للمدرسة الشافعية[138] ويعتبر الاعتقاد في المذهب الشافعي شرطاً أساسياً لقبول الطلبة بالمدرسة النظامية في بغداد وفي هذه المدرسة التقى الشيخان عبد القادر الجيلاني ذو الأصل الهاشمي الحسني (470 هـ / 1077 م) والشيخ عدي بن مسافر المرواني الأموي وأصبحت الصداقة بينهما متميزة جداً (علاقة صاحب بتابعه) فسلك الشيخ عدي نفس مسلك صديقه المقرب عبد القادر الجيلاني وأسس زاويته بجبل الهكارية التي حملت اسمه كما رأينا ذلك (الزاوية العدوية) كما أسس صديقه عبد القادر زاويته في بغداد وقد وسمت طريقته بالقادرية ويعتبر هذا الشيخ من أكبر صلحاء الإسلام فقد كان يقول عن نفسه: "قدمي هذه على رقبة كل ولي لله وقد أمرنا بطاعته واحترامه"[139] ولذلك كان الشيخ عدي يقدر تقديراً خاصاً أستاذه وصديقه عبد القادر الجيلاني ومن مظاهر هذا التقدير القصة الأسطورية التي أصبحت بعد ذلك جزءاً من عقائد اليزيدية ومن العوائد المنقولة عنهم حيث يقال إن عدياً كان لا يخرج من زاويته إلا وبيده عكازته الخشبية فيخط بها "دارة" وهي المعروفة عند اليزيدية وجيرانهم من النحل الأخرى "بالخطة" يراقب فيها وكان يجلس فيها من أراد من أكابر أصحابه ليسمع بأدب واحترام كلام الشيخ عبد القادر في بغداد[140] ورغم اختلاف مذهبي الشيخين (عدي شافعي وعبد القادر حنبلي) فإننا نجد تقارباً في بعض الطروحات العقائدية خاصة فيما يتعلق بأخبار

---

(138) البدليسي. المصدر السابق. ص 21، العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص5، BOIS (Thomas), op. cit, P 208; EI^2, op. cit, P 477.

(139) الشطنوفي. المصدر السابق. ص 18، E.I^2, art "Abd Al Kadir Aldjilani", Braune (W), T. I, P 71.

(140) الشطنوفي. المصدر السابق. ص 17، العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 49.

الصحابة وأحوالهم بعد وفاة الرسول فالشيخ عبد القادر من الأصوات المنادية بالإمساك عن ذكر الفتنة الكبرى ومسبباتها وأدوار الصحابة فيها وله رأي معتدل في موقفه الإيديولوجي من معاوية إذ لا يرى مانعا في مطالبة معاوية بدم الخليفة الثالث عثمان (ت 35 هـ) لأن قتلته كانوا عسكرا في جيش علي[141] ونفس هذه الآراء نجدها عند الشيخ عدي بن مسافر في رسالته اعتقاد أهل السنة والجماعة[142] هذا فيما يخص الأمور العقائدية أما في الشعر الصوفي الطرقي فإننا نجد تأثيرات كبيرة للقصيدة الجيلانية القادرية في القصيدة العدوية من حيث الروي والمعنى ولا غرابة في هذا لأن وحدة الغرض عند الشيخين وتمسكهما بالحب الإلهي جعلا التشابه قوياً بين القصيدتين فقد نظم الشيخ عدي قصيدة مطلعها:

شربت بكأس الحب من قبل نشأتي سكرت بها من قبل أن توجد خلقتي

وقد عارض بها قصيدة الشيخ عبد القادر الجيلاني المسماة بـ"الوسيلة" والتي مطلعها:

شـــهدت بأن الله والـــى الولايـــة وقد منّ فى التصريف فى كل حالة[143]

وإن كانت القادرية والعدوية تصبان في نفس المسلك التصوفي إلا أن العدوية / اليزيدية موشحة ببعض التأثيرات الثنائية التي تعود جذورها إلى عقيدة الخير والشر عند قدماء الأكراد والفرس ولها تأثيراتها الواضحة في عديد الطرق الصوفية كالعدوية والحلاجية نسبة إلى أبي منصور الحلاج وغيرها

---

[141] الجيلاني (الشيخ عبد القادر الحسني). الغنية. المكتبة الشعبية. بيروت / لبنان. ج 1. ص 77 ـ 78.

[142] نقلا عن عزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 34، عن الديود جي (سعيد). المرجع السابق. ص57. وتوجد نسخة من هذه الرسالة مخطوطة في مكتبة مدرسة الحجيات بالموصل وله مجموعة رسائل في مكتبة جامعة برستن بالولايات المتحدة تحت رقم 2667.

[143] التادفي. المصدر السابق. ص 89، الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 66.

فالمؤاخاة التي اعتبرت "أخوة إسلامية" بدرجة عالية بين الرجلين[144] طبعت حتى الحياة الاجتماعية فورثاء الطريقة العدوية وهم اليزيديون لا يتزوجون إلا فيما بينهم فهم بيت العلم ومعدن المعرفة والنسب الكبير لخلفاء بني أمية وصولا إلى الرسول محمد صهر بني أمية ولهذا كان معاوية يلقب بـ "خال المؤمنين" إذ لا يتزوج أحفاد عائلة بني مسافر من خارج أسرتهم باستثناء بيت يدّعي أصحابه نسبتهم إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني[145] لوجود الكفاءة الاجتماعية بين الأسرتين فهم أبناء زوايا ويعرف هؤلاء القادريون في الشمال الغربي للموصل بالحياليين[146].

كان هذا الزواج بين الأسرتين دليلاً على أهمية قطبي آل مسافر وآل الجيلاني. ومن ثمة تبقى ملامحه عند الذرية والأحفاد راسخة فالشيخ عدي لم يغادر لالش إلا في سنة 509 هـ / 1116 في المرة الأولى ليصطحب الشيخ عبد القادر في رحلتهما إلى مكة للحج على الأقدام[147]. وحتى في علاقتهما مع الخلفاء وأرباب الدولة كانت الصحبة بين الرجلين متميزة. وقد اعتبرهما الخليفة العباسي كل شيء في مأدبته لمشائخ الصوفية وأصحاب الطرق الذين

---

(144) BOIS (Th), op. cit., P 210 ; DEMEERSMAN (André), Nouveau regard sur la voie spirituelle d'Adbd-Al-Qâdir-Jilâni et sa tradition, Paris, 1988, P 22-23.

(145) العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 91.

(146) نسبة إلى مدينة حيال وتعرف الآن باسم مجنونية أو مجنونة وأهلها يعرفون حتى بدايات هذا القرن بالاسمين وفعلا يوجد قبر لأحد أحفاد عبد القادر الجيلاني قرب جبل سنجار على الحدود السورية يسمى جبل عبد العزيز مدفون فيه شمس الدين محمد بن عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة 739 هـ / 1339 م: ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م III (ج VI). ص 124؛ التادفي. المصدر السابق. ص 45. 48؛ العمري. المصدر السابق. ج II . هامش ص 157؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 102.

(147) الشطنوفي. المصدر السابق. ص 150 ـ 153. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 55 ـ 65؛ MARGOLIOUTH (D.S), "Contributions to the Biography of Abdal-Kadir of Jilan", JRAS, 1907, P 269 ; FRANK, op. cit., P 86-87 ; LESCOT, op. cit., P 22, 24; GUEST (J.S), op. cit, P 16.

استضافهم في قصره ببغداد فرغم حضور المشايخ فإن غياب عدي وعبد القادر جعل الخليفة يعتبر "كأن لم يحضر أحد"[148] لذلك تبقى هذه العلاقة بين الرجلين مثالا لمجتمع صوفي يعيش فيه أعداء صدر الإسلام (أموي. هاشمي. علوي... من أمويين وهاشميين وعلويين...) في محبة ومثالية أرادها أرباب الطرق...

ونورد هنا إحدى الكرامات التي تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني مع حية سقطت عليه من سقف المدرسة النظامية ببغداد وهو يدرس مسألة القضاء والقدر فخاف جميع من عنده وهربوا. فدخلت الحية في ثيابه وخرجت من طوقه والتفت برقبته وكلمها شيخنا بكلام غير مفهوم واعترفت له هذه الحية التي عملت على اختيار "سلطان الأولياء" مراراً بأنها من عالم الجن وقد أقرت بأنه من أولياء الله المصطفين الثابتين وتاب هذا الجن على يدي شيخنا[149]. وقصة هذه الحية مع الشيخ عبد القادر الجيلاني تجعلنا نتساءل هل هي نفس الحية المرسومة على يمين مدخل ضريح الشيخ عدي بن مسافر؟. وهنا نشير إلى أننا سنتطرق إلى هذه المسألة في باب العقائد اليزيدية بعد مواصلة بحثنا في طريقة ودعوة الشيخ عدي بن مسافر وخلفائه.

5. الطريقة العدوية

أ- التبشير بقيم ومفاهيم جديدة

▪ عقيدة "اللالعن"

يمكننا عد الطريقة العدوية من الطرق الصوفية التي انتهجت نوعاً من المجاهدة النفسية والتزهد في زخارف الحياة الدنيا وفي سلوكيات أتباعها

---

(148) ابن الوردي. المصدر السابق. ج II . ص 64؛ العمري. المصدر السابق. ج II . ص 46.

(149) الشعراني. المصدر السابق. ج I. ص 128 ـ 129.

اليومية. وهي امتداد للتصوف "الغزالي"[150] فقد سجل كبار الباحثين في منشأ اليزيدية وحياة إمامها الشيخ عدي / عادي (عند اليزيدية وفي بعض الأحيان يلفظ هادي). رسائل أرسلها حجة الإسلام أبو حامد الغزالي قبل وفاته سنة (505 هـ / 1112 م) للشيخ عدي بن مسافر وهو في بلاد الهكارية[151].

ولا نستطيع معرفة الفكر العدوي إلا بالإطلاع على كتابات مؤسس هذه الطريقة وطروحاته. ومع ذلك نرى أن معظم أفكار "الطائفة العدوية" تميزت بارتكازها على "الكرامة الصوفية" و"البركة" والتشديد على الجانب الأخلاقي أكثر من الجوانب الأخرى والجنوح إلى السلطة والميل إلى السلم معها أيا كانت والإيمان بإجماع فقهاء السلطة وعلمائها = إسلام السلطة أي منطق أهل السنة والجماعة[152]. وهذا الاتجاه الصوفي يعتبر معتدلا لأنه مبني تحديداً على مجاهدة النفس والميل إلى العلوم الباطنية والزهد في كل شيء[153].

فما هي القيم التي بشر بها الشيخ عدي؟

---

[150] التأثيرات الفكرية لأبي حامد الغزالي في الطريقة العدوية يعود إلى أن هذا الأخير من أساتذة المدرسة النظامية وبالتالي نجد في تصوف الغزالي الذي يبتعد نوعاً ما عن الفلسفة واعتمادهم الأساسي على العلوم الدينية لأن الإنسان خلق من أجل العبادة وينبغي أن يبذل جهوده في هذا السبيل ليصل جهد الطاقة بعبوديته إلى حد الكمال. أمين (حسين). "الإمام الغزالي: مدرس المدرسة النظامية ببغداد". مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الرابع. 1961. ص 337 ـ 339؛ غني (د. قاسم). تاريخ التصوف الإسلامي. ص 677.

[151] توجد مخطوطة في برلين لم أتمكن من الحصول عليها اعتمد عليها الباحث الألماني FRANK في رسالة من أبي حامد الغزالي للشيخ عدي ويلقبه فيها بالهكاري أي بعد استقراره النهائي في لالش ببلاد الهكارية.

SIOUFI (N), "Notices sur le Cheikh Adi et la sectes des Yezidis", P 79 ; FRANK, op. cit, P 52 ; LESCOT (R), op. cit, P24.

[152] ابن تيمية. المصدر السابق. ج ا. ص 267.

[153] الغزالي. إحياء علوم الدين. دار الفكر والطباعة والنشر. دمشق. 1415 هـ / 1995م. ج V. ص 127 ـ 147.

في إطار منهجه الإصلاحي المعتمد على الخارقة والكرامة ارتأى الشيخ إيجاد حلول للمجتمع الذي أصبح ينسب إليه (الهكاري مسكنا)[154] وبعثه من جديد بمثالية تامة تخرجه من أزمة حادة أو من "فترة الجاهلية والضلالة" إلى عالم الهداية والإيمان بما أجمع عليه أئمة الأمة وعلماؤها وأقطاب تصوفها.

وقد ذكر كل الذين ترجموا له أنه كان مبلغ الآمال المنشودة و"الغوث المنتظر" لإصلاح ما فسد. لما لا وهو الذي ولد بتدخل قوى الغيب مثل كبار رجالات الإصلاح وأصحاب الأديان والعقائد. فشيخه عقيل المنبجي "الطيار الغواص". والشيخ أبو نعمة مسلمة بن نعمة السروجي توسما فيه الخير منذ صغره. أملا في أن يكون "رجلاً صالحاً" في المستقبل لذلك اقتفى منهج ومسلك "السلف الصالح"[155].

وقد كان الشيخ مسلمة يقول عن "عدي I" وعما له من مكانة مرموقة في الطريقة والورع بما معناه: "لازمه أربعون مريداً ولم يتخرج منهم مثل الشيخ عقيل المنبجي والشيخ عقيل له أربعون مريدا. منهم الشيخ عدي بن مسافر ..."[156].

وبحكم كون شيخنا من المبرزين في علم الشريعة والفقه والكلام والحديث. ويعد من طراز الشيخ ابن تيمية في عصره. فقد كان شديد الوطأة على المخالفين من ذلك قوله: "... من لم يأخذ أدبه من المؤدبين أفسد من اتبعه ومن كانت فيه أدنى بدعة فاحذروا مجالسته لئلا يعود عليكم شؤمها ولو بعد حين"[157] لهذا اعتبره ابن تيمية "الشيخ العارف القدوة"[158]. واعتبر أتباعه

---

[154] السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان). لب اللباب في تحريم الأنساب. طبعة ليدن. 1940. ص 279.

[155] السخاوي. تحفة الأحباب. ص 300 – 301 ؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 62.

[156] الشطنوفي. المصدر السابق. ص 150؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 63.

[157] الشعراني. المصدر السابق. ج 1. ص 138 ؛ GEOFFRAY (Eric), Le soufisme en Egypte et en Syrie, Damas, 1995, P 229

[158] ابن تيمية. المصدر السابق. ج 1. ص 262.

"العدوية" متمسكين ومعتصمين بكتاب الله وسنة رسوله مبتعدين عن البدع المضلة كبعض الفرق. فعمل الشيخ عدي على تكريس بعض مظاهر القيم الإسلامية في صفوف هؤلاء الكرد الذين التفوا حوله وخلق منهم نواة الفئة أو الأقلية المؤمنة المرابطة على الدين القيم. كما قال ابن تيمية وغيره[159].

وعلى المنهج "السياسي السني" الذي عملت مدرسة الخلفاء (السلطة) على مر تاريخها الطويل (منذ العهد الأموي حتى السيطرة العثمانية) على ترسيخه وتكريسه كأساس للإسلام القويم (الأرثوذكسي: أهل السنة والجماعة) بإعطاء مكانة هامة للخلفاء الراشدين وللصحابة ورثاء علم الرسول وأمناء الوحي والدعوة لذلك يعتبر كل من أساء إليهم أو سبهم "ضال مضل وهي بدعة من أكبر البدع"[160].

ولهذا أصبحت مناهج الصوفية "المعتدلة" تكرس أعمالها ودعواتها (دعاويها) لأجل نشر قيم ومفاهيم بعيدة عن آراء الفرق متمسكة بالجماعة التي عملت المدرسة النظامية على تكريسها في بغداد ومن هناك تم نشر هذه المفاهيم المتمثلة في أن "أهل السنة والجماعة" هي الفرقة الأقوم وهي أوسط النحل كما أن ملة الإسلام وسط في الملل[161]. كما أن من آراء هذه المدرسة تأكيد صحة خلافة عثمان بن عفان وحسن سيرته "فكان إماماً حقاً إلى أن مات ولم يوجد فيه أمر يوجب الطعن فيه ولا فسقه ولا قتله. خلاف ما قالت الروافض"[162]. وتنص آراء هذه المدرسة أيضا على الإمساك عن الحديث فيما نشب بين الصحابة من منافرة وخصومة "لأن الله تعالى يزيل ذلك بينهم يوم القيامة"[163].

---

(159) ابن تيمية. المصدر السابق. ج I. ص 272؛ الذهبي. المصدر السابق. ج XX. ص 342؛ اليافعي. المصدر السابق. ج III. ص 313؛ الفيل (د. سهير محمد علي). المرجع السابق. ص 38.

(160) ابن تيمية. المصدر السابق. ج I. ص 273.

(161) ابن تيمية. المصدر السابق. ج I. ص 262.

(162) الجيلاني (عبد القادر). المصدر السابق. ج I. ص 77.

(163) الجيلاني (عبد القادر). المصدر السابق. ج I. ص 77.

ويضيف الشيخ عبد القادر: "اتفق أهل السنة على وجوب الكف عما شجر بينهم. والإمساك عن مساوئهم وإظهار فضائلهم ومحاسنهم"[164].

كذلك عمل الإجماع السني الجديد على تأكيد شرعية وصحة خلافة معاوية بن أبي سفيان بسبب تنازل الحسن له فلهذا تعتبر "إمامته واجبة بعقد الحسن له فسمي عام الجماعة"[165] ومرد كل هذا الإجماع الغريب هو وجود أطراف (سبق وأن أشرنا إليها في الفصل السابق حول الفكر المهدوي والبحث عن منقذ) في العالم الإسلامي آنذاك تتعصب لطرفي الفتنة ويلاحظ هذا بشكل كبير في العراق وبلاد الشام موطن هذه الصراعات والفتن الطائفية حيث عملت السلطة العباسية على ترسيخ ذلك كلما رأت فيه مصلحة: ازدياد شعبية خليفة. التقرب إلى طائفة دون أخرى. فبغداد كانت مقسمة إلى قسمين حي "الكرخ" للشيعة وهو الحي الغربي من المدينة. والجانب الشرقي حيث دار الخلافة والأهالي من أصحاب المذاهب الأربعة[166] ومن جملة ممارسات السلطة العباسية المريبة جذب طرف دون الآخر تحت شعار فرّق تسد من ذلك :

– في سنة (212 هـ / 828 م) أمر الخليفة العباسي المأمون بامتحان القضاة وأرباب دولته ونادى مناديه: "برأت الذمة ممن ذكر معاوية بخير وفضله على أحد من الصحابة" ثم همّ أن يكتب على البلاد بلعنه على المنابر فحذره يحي بن أكثم عاقبة الأمر فكف[167]

– وفي عهد المعتضد العباسي وتحديدا سنة 284 هـ / 897 م عزم هذا الخليفة على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر وأمر بإنشاء كتاب طويل يقرأ على الناس وذكر في الكتاب يزيد وغيره من بني أمية وبالرغم من تحذير وزيره عبيد الله بن سليمان من اضطراب العامة والفتنة لم يهتم إلى قوله ولم ينفذ المعتضد ما أراد بل تقدم إلى السقاة (الذين يسقون الماء في الجامع) ألا

---

[164] الجيلاني (عبد القادر). المصدر السابق. ج I. ص 79.

[165] لجيلاني (عبد القادر). المصدر السابق. ج I. ص 78.

[166] الفارقي. المصدر السابق. ص 152 ـ 155؛ أبو الفداء. المصدر السابق. ج II. ص 177؛ زكار (د. سهيل). المرجع السابق. ص 178 ـ 79.

[167] المسعودي. المصدر السابق. ج IV. ص 41 ـ 42.

يترحموا على معاوية ولا يذكروه[168] ومع ذلك حاول أحد معارضي علي بحيلة سياسية فيها من الدهاء والمكر الكثير بقوله "إنما تصنع بالطالبيين الذين يخرجون من كل ناحية ويميل إليهم الناس لقرابتهم من الرسول فإذا سمع الناس ما في الكتاب كانوا إليهم أميل"[169].

وفي الخط المقابل نجد أناساً من أهل السنة على ولاء للبيت الأموي ويرون الإمامة والقداسة الدينية في أفراد هذا البيت ويعطون مكانة هامة للصحابة تتجاوز كل حد من ذلك ما أقدم عليه أحمد بن طولون (توفي 270 هـ / 884 م)[170] عندما ضم بلاد الشام لدولته وكنكاية في العباسيين ولجذب تعاطف الشوام التواقين إلى الأمويين أمر ببناء "أربعة أروقة على قبر معاوية بن أبي سفيان... وأجلس أقواما معهم المصاحف يقرؤون القرآن"[171]. ومن المفارقات الغريبة وحسب الإدعاء الشائع أنه من يعمر قبر معاوية يموت وفعلا توفي ابن طولون في نفس السنة التي أمر فيها بتعمير قبر معاوية[172].

ومازلنا في الصراع المذهبي الشيعي السني فقد سجل لنا ابن الجوزي في حوادث 389 هـ / 999 م أن العادة جرت عند الشيعة في الاحتفال بذكرى "غدير خم"[173] وخاصة سكان الكرخ وباب الطاق من الأحياء الغربية لبغداد

---

(168) ابن الجوزي (عبد الرحمان). المنتظم. ج V. ص 171؛ ابن الأثير. المصدر السابق. ج VII. ص 485.

(169) ابن الأثير. المصدر السابق. ج VII. ص 485.

(170) أمير تركي ولد سنة 220 هـ توفي 270 هـ نصبه الأتراك المتسلطين على الخلافة العباسية بعد مقتل الخليفة المستعين على ولاية مصر ثم سرعان ما ضم بلاد الشام نتيجة اضطراب أوضاعها وكثرة فتنها ضد الخليفة العباسي المتوكل وقد عرف بسياسته الإصلاحية مما ساعده على الاستقلال بمصر وبلاد الشام عن الخلافة العباسية. زيود (محمد أحمد). المرجع السابق. ص 30 ـ 39.

(171) ابن الجوزي (عبد الرحمان). المصدر السابق. ج V. ص 71.

(172) ابن الجوزي (عبد الرحمان). المصدر السابق. ج V. ص 71.

(173) "غدير خم" واد بين الحرمين الشريفين (مكة والمدينة) عند الجحفة به غدير عنده خطب الرسول راجع ياقوت (الحموي). المصدر السابق. ج II. ص 389. وحسب مصادر الشيعة وغيرهم خطب فيه الرسول وأوصى بأن يكون الإمام علي بن أبي طالب وارثا له في الإمامة والخلافة. الغريفي (عبد الله). المرجع السابق. ص 137 ـ 153؛ الإحقاقي (الحاج ميرزا عبد الرسول الحائري). الولاية. مكتبة الإمام الصادق. الكويت. سنة 1993. ج I. ص 26 ـ 32.

حيث يقوم بـ"نصب القباب وتعليق الثياب وإظهار الزينة في يوم الغدير وإشعال النار في ليلته"[174] فأرادت السنة مجاراتهم في ذلك فعملوا على خلق مناسبة للاحتفال بها "فادعت أن اليوم الثامن من يوم الغدير كان اليوم الذي حصر فيه النبي في الغار صحبة أبي بكر فحاكت كل أعمال الشيعة"[175]. وكانت غاية السلطة من ذلك تأجيج هذه الصراعات المذهبية لصرف الناس عن تجاوزات الخلفاء وتداعيات أمور الدولة وتسلط الأعاجم من بويهيين وأتراك...

وهنا بدأت أحداث أصحاب المذاهب تعلو للحد من هذا الغلو وكل طرف يرى الصلاح والتقوى في معاوية وابنه يزيد فالبعض ينعته ب"خال المؤمنين" لأن أخته أم حبيبة تزوجها الرسول وقد أنقدها مهرها النجاشي ملك الحبشة[176] فكيف نشتم خال المؤمنين أو ابنه يزيد الذي قام بقيادة غزو القسطنطينية والرسول يبشر أول جيش يقوم بغزو القسطنطينية بالمغفرة وكان أول جيش يغزوها هو جيش يزيد بن معاوية[177] في 669 م/ 49 ـ 50 هـ وذلك لإعداده لخلافته وكان تحت إمرته للجيش أبناء كبار الصحابة والصحابي أبو أيوب الأنصاري الذي استشهد تحت أسوارها[178]. وكل هذا لأجل أن يظهر ابنه بمثابة رجل مؤمن مجاهد ولذلك كانت غزوة القسطنطينية بمثابة الترشيح الواضح ليزيد لإمرة المؤمنين بعد والده وفعلاً في سنة 56 هـ / 676 م أعلن معاوية البيعة ليزيد كولي للعهد[179] فأصبحت ليزيد محاسن أهلته ليكون وليا للعهد وله اجتهاداته السياسية وكان حكم جمهور "أهل السنة والجماعة" أن يزيداً لا يلعن مهما ارتكب من أخطاء

---

(174) ابن الجوزي. المصدر السابق. ج VII. ص 206.

(175) ابن الجوزي. المصدر السابق. ج VII. ص 206.

(176) البلخي. البدء والتاريخ. م II (ج 5). ص 13.

(177) ابن تيمية. المصدر السابق. ج I. ص303.

(178) ابن خلدون. المصدر السابق. ج III. ص9 ـ 10؛
LAMMENS (Henri S.J) "Le Calif de Yazid 1er", MFO, Vol. IV, 1910, P 233-312 ; GUEST (John S.), The Yezidis, op. cit., P 11.

(179) أبو الفداء. المصدر السابق. ج I. ص 187؛ ابن خلدون. المصدر السابق. ج III. ص9.

فالحسنات يذهبن السيئات فما بالك بالحسنات العظيمة[180] ولهذا بقي أنصار الأمويين يغالون فيهم بل يدعون فيهم أشياء قد تخالف سيرتهم ومنهم يزيد الذي عرف بالمجون والاستخفاف بأمور الدولة. ففي أواخر القرن VI هـ وتحديداً في سنة 583 هـ / 1187 م. توفي ببغداد عبد المغيث بن زهير الحرّي. وكان من أعيان الحنابلة. وقد وضع كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية أتى فيه بالعجائب. مما جعل أبا الفرج بن الجوزي يرد عليه في ذلك[181]. ويرى أغلب المؤرخين أن يزيداً أشأم الخلفاء فلم يكن مثل أبيه حليماً حكيماً سيساً. بل كان موفر الرغبة في اللهو والقنص. والخمر والنساء وكانت ولايته على أصح القولين ثلاث سنين وستة أشهر. ففي السنة الأولى قتل الحسين في كربلاء. وفي السنة الثانية نهب المدينة في واقعة الحرة وأباحها ثلاثة أيام. وفي السنة الثالثة غزا الكعبة[182].

لأجل ذلك اختلفت آراء فقهاء المسلمين وعلمائهم في يزيد بن معاوية: "... وأما قول السلف ففيه لكل واحد من أبي حنيفة ومالك وأحمد قولان تصريح وتلويح. ولنا قول واحد: التصريح دون التلويح. فكيف لا يكون كذلك وهو المتصيد بالفهد والملاعب بالنرد ومدمن الخمر"[183]. ولابن تيمية رسالة بعنوان: "سؤال في يزيد بن معاوية" وفيها أجوبة ترددت في القرن الثامن الهجري:

أولاً: تكاثر الآراء وتضاربها حول يزيد بن معاوية

ثانياً: ظهور الطائفة اليزيدية / أسلاف العدويين وبدايات "هرطقتهم" حسب علماء الظاهر فوجه إلى ابن تيمية بحكم أنه شيخ الإسلام وأصيل بلاد الجزيرة وتحديداً حرّان[184] أسئلة منها:

---

(180) ابن تيمية. المصدر السابق. ج I. ص302.

(181) ابن الأثير. المصدر السابق. ج XI. ص 562 ـ 563.

(182) ابن طباطبا. المصدر السابق. ص 116.

(183) القرماني. أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ. ج II. ص 13.

(184) ابن خلكان. المصدر السابق. ج IV. ص 387 ; الزركلي. الأعلام. ج II. ص 144 ; عبد الحميد (صائب). ابن تيمية. مركز الغدير للدراسات الإسلامية. قم. 1994. ص 17.

- هل كان يزيد يعد من الصحابة. وما حكم من يعتقد أنه كان صحابياً أو نبيا ؟

- ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم في يزيد بن معاوية: هل كان صحابياً؟ وما حكم من يعتقد أنه كان صحابيا أو أنه كان نبياَ؟ وهل في الصحابة من اسمه يزيد؟[185]

وقبل الإطلاع على آراء الفقهاء في ذلك. نود الإشارة إلى أن الشيخ عدي الأكبر الأموي كان يعتقد الصلاح ليزيد بن معاوية إلا أن ذلك لم يكن ليخرج به إلى حد الغلو والتطرف أو الوقيعة بالعلويين (أحفاد علي بن أبي طالب) وتوجيه المثالب إليهم. بل كان يذب عنهم ويمنع الناس عن الطعن فيهم[186]. وهذا ليس تعصباً في أولئك الأشخاص ولكن سير وراء منهج المدرسة النظامية بالدرجة التي تعمل على تصحيح معين (حسب اجتهاداتها[187]) وظهور التعصب للبيت الأموي في صفوف الطائفة العدوية كان السبب فيه الشيخ عدي نفسه دون قصد بتواجده وسط تلك الجماعات الكردية[188].

ونعود مجدداً إلى آراء الفقهاء محاربي البدع. فالإمام أحمد بن حنبل عندما سئل أن يكتب الحديث عن يزيد رفض مؤكداً أخطائه السياسية إبان

---

(185) ابن تيمية. سؤال في يزيد بن معاوية. تحقيق د. صلاح الدين المنجد مستل من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. ج III و IV من المجلد III. دمشق. 1383 هـ / 1963 م. ص 3 ـ 7.

(186) ابن مسافر (عدي). رسالة في اعتقاد أهل السنة والجماعة. نقلا عن كل من FRANK, op. cit., P10-28 وLESCOT (R), op. cit. P 26 ؛ الفيل (د. سهير محمد علي). المرجع السابق. ص 38 ـ 39.

(187) ترى أن الإفتاء بالخلفاء الأربعة دليلاً على الإيمان إلى جانب هؤلاء الخلفاء يعترف عدي بقدسية معاوية "لقد كان معاوية وعلي إمامين ذوا نوايا طيبة. لقد كانا يتحاربان لأنهما كانا يبحثان عن الحق بكل اندفاع وليس لأنهما كانا يهدفان لبلوغ رغباتهما لا أحد منهما كان يريد أن يقتل الآخر أعداء كل منهما جميعاً في الجنة". الجيلاني (عبد القادر). المصدر السابق. ج I، ص 77 ـ 78 ؛ LESCOT (R), op. cit., P 26.

(188) LESCOT (R), op. cit., P 26.

توليه مقاليد الخلافة... وعندما سئل لماذا لا يلعنه مثل الشيعة قال: "متى كنت ألعن أحدا"[189].

ومن هنا نشأت عقيدة جديدة عند العدوية بعدم "اللعن" وهي ذات جذور صوفية. بلغت بأصحابها حد الغلو فيها وفي الحقيقة تعود هذه الآراء إلى شطحات المتصوفة غير المألوفة وليست مجالاً للمقارنة أو للقياس عند جمهور الفقهاء فنراهم وكأنهم خلقوا لصراع أزلي ضد المتصوفة ومن شاكلها.

ومجمل القول أن طريقة الشيخ عدي امتداد لمنهج "السلف الصالح" ويتحامل على أصحاب البدع وبشكل خاص "القدرية"ويسميهم مجوس هذه الأمة بل يشدد عليهم. وينهى عن مخالطتهم وعيادة مرضاهم. قالوا: للشر خالق. وللخير. وقد أخبر الله والكلام للشيخ عدي "أن الجميع مكتوب مخلوق له بلا شريك في ذلك" ويذهب عباس عزاوي إلى أن اليزيدية قد أخذت بعض العناصر الثنائية من القدرية[190]. ولكن هذا الافتراض ليس صحيحا لأن العناصر الثنائية كما أسلفت القول تأثيراتها في الفرق الكلامية الإسلامية والصوفية تعود إلى مصادر مجوسية قديمة[191] علماً وأن الكرد كانوا يعتنقون الزرداشتية وجميع العقائد والفرق التي انبثقت عنها وتواجدت في مواطنهم التاريخية.

كما أن الشيخ عدي يوصي بطاعة خليفة المسلمين استناداً إلى قول الرسول: "عليكم بالسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً حتى ولو كان آثماً عليهم إثمهم ولكم طاعتكم" ويرى الشيخ عدي أن الجهاد يكون مع كل خليفة ما لم يبتدع وليس مهما صلاحه أو طلاحه.

ويؤكد الشيخ عدي على التمسك بالكتاب والسنة ومنهج الخلفاء الراشدين. وعقيدة أهل السنة والجماعة هي المنزلة من السماء عبر ملاك الوحي جبريل إلى النبي محمد ثم إلى الصحابة والتابعين وتابعي التابعين فهم "أئمة الدين"

---

(189) ابن تيمية. سؤال في يزيد. ص 16.

(190) العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 60. LESCOT (R), op. cit., P 26.

(191) غني (د. قاسم). تاريخ التصوف في الإسلام. ص 89. LESCOT (R), op. cit., P 26.

وأعلام الهدي لأن مذهبهم هو الأقوم والأسلم ومن يخالف هذا المنهج فهو مبتدع "لا يقبل منه الله صرفا"[192].

ومن أقواله التي تبين طريقته ومنهجه: "أول ما يجب على سالك طريقتنا هذه ترك الدعاوي الكاذبة وإخفاء المعاني الصادقة." وقال فيما يجب أن يكون عليه الشيخ: "الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه. وهذبك بأخلاقه وأدبك بأطراقه. وأنار باطنك بإشراقه" وقد حذر أصحابه من أولئك الدجالين الذين يدعون الكرامة والولاية بأقوال كاذبة. يغشون الناس بالتمويه والسفسطة من الكلام أو هم جهلاء سفهاء. بعيدون عن أوامر الله. لا يحجمون عن فعل ما ينهون الناس عنه. قد اتخذوا شباكاً يصطادون بها بسطاء الناس: "إذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات وتنخرق له العادات فانظروا كيف هو عند الأمر والنهي. ومن لم يأخذ الأدب من المؤدبين. أفسد من يتبعه ومن كان فيه أدنى بدعة. فاحذروا مجالسته لئلا يعود عليك شؤمها ـ ولو بعد حين ـ ومن اكتفى بالكلام في العلم دون الاتصاف بحقيقته انقطع. ومن اكتفى بالتعبد دون الفقه خرج. ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغتر. ومن قام بما يجب عليه من الأحكام نجا" وقد شدد أن يكون المريد "من أنار نوره الفقراء بالأنس والانبساط. ومع الصوفية بالأدب والارتباط. ومع المشايخ بالخدمة والاغتباط. ومع العارفين بالتواضع والانحطاط"[193].

ومن هنا نستنتج أن طريقة الشيخ عدي هي امتداد للمدارس الفقهية السنية ترسخت أكثر في بغداد حيث نرى في كتابات أقطاب التصوف كالجيلاني والحلواني وغيرهم دعوات لنبذ التلاعن والأحقاد ومحاربة البدع سنها ابن تيمية من النواصب والروافض[194]. لذلك سار الشيخ عدي بن مسافر في منهج الكثير من المكابدة والأخذ بكل جرأة على المخالفة مما كان له الأثر العميق في أتباعه

---

(192) ابن مسافر (عدي). رسالة في اعتقاد أهل السنة والجماعة. نقلاً عن الديوه جي (سعيد). ص 57 ـ 62.

(193) الشطنوفي. المصدر السابق. ص 150 ـ 151؛ الشعراني. المصدر السابق. ج 1. ص 137 ـ 138؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 34.

(194) ابن تيمية. سؤال في يزيد. ص 18.

ومريديه من بعده وبحكم رأي الشيخ عدي في يزيد بصلاحه الذي قاد أول جيش مسلم يغزو القسطنطينية بدأت لأتباعه البسطاء أنه إمامٍ ومن كبار الصالحين ووضعه البعض في مراتب الأنبياء وعد كل من يلعنه مخالفاً لهم.

ب- آثار الشيخ عدي

من خلال مقالات الشيخ عدي ومؤلفاته تمكنّا من التعرف إلى معتقده فنحن لا نشك في أن عدي مسلم متصوف من أصل أموي. كان من صلحاء زمانه نسبت إليه خوارق مختلفة.

ومن مؤلفاته التي تمكنّا من الاطلاع عليها بواسطة (Frank) و(Lescot) والمحامي عباس العزاوي وصديق الدملوجي وسعيد الديوه جي وكذلك (Guest) وكوركيس عواد في مؤلفه المستل من مجلة المشرق البيروتية والمطبوع في سنة 1970 بعنوان "المراجع عن اليزيدية" قائمة بمؤلفات شيخنا عدي:

- رسالة في العقائد[195]، (رسالة صغيرة الحجم).
- قصيدة للشيخ عدي توجد في خزانة سعيد الديوه جي بالموصل[196].
- وصايا[197] (وهي مؤلفات في السلوك غير الرسالة المذكورة).
- رسالة في آداب النفس وأخرى في وصاياه للخليفة ووصاياه لمريده "قائد"[198].

---

[195] منها نسخة خطية ناقصة الآخر. ضمن مجموعة في مدرسات الحجيات بالموصل. الرقم 117 (2). ذكرها داود الجلبي في "مخطوطات الموصل"، ص 108 وفي خزانة الديوه دجي سعيد بالموصل (مجلة معهد المحطوطات العربية). 9 (1963) من 220 الرقم 175 (5) وعنوانها "رسالة في اعتقاد أهل السنة والجماعة". والظاهر أنها هي المذكورة في معجم المؤلفين لكحالة (VI، 275) بعنوان "اعتقاد أهل السنة والجماعة".

[196] مجلة معهد المخطوطات العربية. 9 [1963]. ص 220 الرقم 175 (3). ومنها نسخة في مكتبة برلين تحت عدد 3405.

[197] منها نسخة في مكتبة برلين 3982 وقد ذكرها الأستاذ عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين VI: 275.

[198] توجد في مكتبة جامعة بوستن بالولايات المتحدة تحت رقم 2667، العزاوي (عباس) المرجع السابق. ص 34، BOIS (Th), op. cit, P 210 ; FRANK, op. cit, P 10 – 28.

وقد قام Frank بتحقيق كتاب مناقب الشيخ عدي ذكره المسمى عمر القبيسي[199].

وأول مصنفات شيخنا يبين لنا اعتقاده الديني الذي تعرضنا إليه وأكد تصانيف الشيخ لهذه العقيدة وبين لنا ابن تيمية في رسالته "إلى الطائفة العدوية" أنها امتداد للسلف الصالح ولم يخرج عن عقيدة من تقدمه من المشايخ[200] فالشيخ عدي ينفي كل صلة له بالتجديد معلنا أنه اكتفى بإعادة ذكر رأي سابقيه قائلا في أول مصنفاته[201] عن توحيد الله وكل الوسائل التي بواسطتها نعرف هذه الحقيقة "ليس له والد ولا ولد. لا تجري ماهيته في مقال ولا تخطر كيفيته ببال. جل عن الأنداد والأضداد والأمثال والأشكال" ولمعرفة الله بالعلم. إما عن طريق العقل والبرهان والبحث في عناصر الكون والمخلوقات والاعتبار بذلك "والتدبر في الأخبار والآيات. وتفهم الحكم والأحاديث المسندات" أو بواسطة (السمع)[202] وهذه الطريقة التي ركز فيها على العقل والنقل الصحيح وقارن بينهما فخرج بنتيجة ذات أهمية وهي أن الله هو الذي خلق الشيطان والشر مستدلاً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتأكيد نظريته مبينا ذلك عن طريق الاستدلال العقلي "الدليل على أن الشر لو كان بغير إرادة الله تعالى لكان عاجزاً والعاجز لا يكون إلاها. لا يجوز أن يكون في داره ما لا يريد كما لا يجوز أن يكون فيها ما لا يعلم"[203]. والجزء الثاني من رسالته (مقالته) مخصص لدراسة الإيمان والفضيلة التي يصفها

---

(199) Op. cit, P 62.

(200) المصدر السابق. ج ا. ص 273.

(201) FRANK(R), op. cit, P 16 ؛ LESCOT (R), op. cit, P25 .

(202) أو للسماع. مرتبط يالكتاب والسنة فعن طريق السمع يعرف الإنسان ربه وما جب عليه من عبادات وطاعات. من خلال سماعه للقرآن ومجالس العلم والذكر والوعظ وكل ما من شأنه يحث على الطاعة. فؤاد (فاطمة). السماع عند صوفية الإسلام. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1997. ص 20 ـ 21.

(203) ابن مسافر عدي. رسالة اعتقاد أهل السنة والجماعة. عن LESCOT (R), op. cit, P 26 ؛ FRANK(R), op. cit, P 12 ؛ الأحمد (سامي سعيد). اليزيدية. ج ا. ص 123. وقد بينا في فصل سابق موقف الشيخ عدي من القدرية وأن الثنائية عند اليزيدية خلفاء العدويين مرده الجذور والمعتقدات الفارسية القديمة.

بالعبارات التالية "الإيمان هو في ذات الوقت كلام. فعل وقصد. وهو يفيض عن طريق العبادة أو الطاعة ويضعف بالعصيان"[204].

ويرى الشيخ عدي أن على المسلمين أن يلتزموا بكتاب الله وسنة رسوله ويرى أن منهج الخلفاء الراشدين سليم والاقتداء بهم ضروري[205].

ويندد في رسالته بما اعتبره ببدع الشيعة ويتبع الحديث فيحمل على المعتزلة ويعارض كل بدعة. ويتعصب لأجداده (الأمويين) ويعترف بقدسية معاوية ولا يقدح في الإمام علي وجميعهم في الجنة وما تلك الحروب بينهما إلا نتيجة "اجتهاد". فقد كان يقول عن معاوية "خال المؤمنين ورفيق رسول الله وكاتب وحي الله وأمين الله على وجيه شهد النبي له بالجنة ومات وهو عنه راض" كما اعتقد بصلاح يزيد (I) بن معاوية فهو لا يقبل التعرض له بأي ذم أو سب[206] ويشدد شيخنا من خلال مؤلفه المذكور على أصحاب البدع الذين سينالون عقابهم يوم الحساب بينما ينظر الله إلى الأوفياء على منهج "السلف الصالح" بعين الرضا والقبول[207] ويبين كذلك انقسام المسلمين إلى 73 فرقة والفرقة الناجية هم أهل السنة المقلدين "للسلف الصالح" والظاهر أن كتابات الشيخ عدي وصلت إلى شيخ الإسلام ابن تيمية في دمشق لذلك "اعتبره شيخاً عارفاً وقدوة ومعتصماً بحبل الله المتين"[208].

أما في رسالته عن "آداب النفس" الذي شكل تواصلاً منطقياً لمؤلفه السابق فيقول "إن الدعوى تطفئ سراج المعرفة" ويبتدئ بتحديد الخاصيات العشر التي على المحقق أن يمتلكها أو يحفظها كتلاوة القرآن للصلحاء ولزوم ترك

---

[204] ابن مسافر (عدي). نفس المصدر. عن LESCOT (R), op. cit, P 26 .

[205] أورد الشيخ عدي في حاشية رسالته الحديث المنسوب للرسول "خير الناس بعدي أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي". الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 60.

[206] ابن مسافر (عدي). المصدر السابق عن FRANK(R), op. cit, P 12 - 26. الشطنوفي. المصدر السابق. ص 151؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 33؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ص 124.

[207] ابن مسافر (عدي). المصدر السابق عن العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 33؛ LESCOT (R), op. cit, P 26.

[208] ابن تيمية. مجموعة الرسائل الكبرى. ج I. ص 262.

المعاصي... كما نجده يرغب في المجاهدات وبيان الفضائل المبذولة للإنسانية عن طريق الملائكة والأنبياء[209]. ثم ندخل في جوهر رسالة (أو كتاب) الشيخ عدي إلى تلاميذه والتي لا يبدو فيها أي تجديد. جاء فيها "ألا فلتعلم إن الأولياء الصالحين لم يصيروا كذلك باتباع شهوات الأكل والشرب والنوم وبالضرب والخصام ولكنهم ارتقوا إلى ما هم عليه بفضل حماسهم الديني وممارستهم القادمة. وفي الحقيقة لا يعيش إلا من يموت ومن يهلك من أجل حب الله" ويصور الكاتب الزهد (مفتاحه الجوع) مثل حرب ضد الذات والنشوة (الانتشاء) كأنها سفر ذو مراحل نحو الألوهية.

كما تجدر الإشارة إلى أن الشيخ عدي يستنكر الذكر (والظاهر المجاهرة به) "ألا فلتعلم أن الأدعية والابتهالات مهما كانت صادقة فإنها تطفئ مشعل المعرفة" كما يبين الشيخ عدي بغض أو كراهية بعض المتصوفة للغلاة[210].

أمّا في رسالته "نصائح للخليفة". فلا تتضمن أي عنصر مثير للشك قد يكشف لنا شخصية "الشيخ عدي". وأما رسالته "وصايا لمريده (قائد)" فتحتوي على نصائح أعتقد أنها لا تشمل شخص "المريد قائد" بل تهم كل سالكي "الطريقة العدوية" وتندرج هذه النصائح في إطار الأخلاق. إذ يستعجل تلاميذه ومريديه في الأخذ بمراعاة أحكام الشريعة "فلا تتجاوزها والتزم الشرع. وراع التقوى وجانب من يركض وراء الدنيا"[211]. وبعد تذكيرهم بالاحترام الذي يلقاه الزاهدون. ينهي الكتاب بتعديد فضائل الصمت...

وإضافة إلى هذه المؤلفات (المخطوطة) النثرية. تنسب إلى الشيخ عدي قصائد قريبة جداً من القصائد القادرية. وقد نشرها Frank في مؤلفه عن اليزيدية وهي لا تخرج عن الإطار المعروف للتصوف الإسلامي آنذاك (قرن 6 و7 هـ) وكتأكيد على جذور أسلاف اليزيديين من العدويين الإسلامية نرى ذلك من خلال شخصية شيخهم وإمامهم عدي الأكبر خاصة أن مقالاته لا

---

(209) ابن مسافر (عدي). رسالة في أدب النفس. نقلا عن العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 34. LESCOT (R), op. cit, P 27.

(210) ابن مسافر (عدي). رسالة في أدب النفس. نقلاً LESCOT (R), op. cit, P 27.

(211) ابن مسافر (عدي). وصايا لمريده قائد. نقلا عن العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 35.

تختلف عن مبادئ الإسلام في شيء وبالتالي فإن أي افتراض في تأثير الطريقة العدوية على نشأة وتكون "العقيدة اليزيدية" وكذلك شهرة الشيخ عدي ونفوذه الكبير على تلاميذه ومريديه بسبب شدته وحزمه ومواهبه الخارقة وغير الطبيعية. قبل أن تكون هذه الشهرة مجلبة للغلو والافتتان مما سبب هرطقات دينية عند "علماء الظاهر"

▪ أشعاره

للشيخ عدي قصائد أوردها Frank في ملاحقه كما نشر Guest[212] بعض الأبيات المنسوبة إليه وكما بينا سابقا أن شعره امتداد للشعر الصوفي المعاصر له كأستاذه وصديقه عبد القادر الجيلاني (491 ـ 541 هـ) والشيخ قضيب البان الموصلي (471 ـ 573 هـ) وقد تأثرت مدرسة التصوف في القرن 7 هـ بهؤلاء المشايخ فنجد من زعماء التصوف البارزين في ذلك القرن الشيخ محي الدين بن عربي المغربي الأندلسي (560 ـ 638 هـ) والشيخ أحمد البدوي (596 ـ 675 هـ) وغيرهم كثيرون .

ومن أقواله في الحب الإلهي الممتد إلى مدرسة أبي منصور الحلاج (ت 309 هـ / 922 م)[213].

ذو اللوم والتعنيف فى الحب لا تلحا   ودعنى فإنى فيك لا أقبل النصحا
لأنى أرى شــرب الصبوح فريضـة   فعش والها نشوان سكران لا تصحا
سـقانى بكاسات الهوى خمرة الصفا   فأصبحت فردا ليس يثبت ما أمحا[214]

---

(212) Survival Among The Kurds, op. cit, P 17 - 18

(213) الحلاج له أبيات:

لئن ذقت فيك كؤوس الحمام   لما قال قلبي لساقيه لا
وما كنت ممن تشاكى الهوى   ولو قدني مفصلا مفصلا

الديوان، منشورات الجمل، كولونيا / ألمانيا، 1977، ص 102 ـ 103.

(214) ابن مسافر (عدي)، قصائد، نقلا عن الورقة ب 27 (مكتبة برلين) نقلا عن FRANK(R), op. cit, P 108 - 115

كما كان الشيخ عدي ينشد هذه الأبيات:

شربنا على ذكر الحبيب المهفهف   وجـاد لنـا السـاقي بغيـر تكلـف
فلمـا شـربناهـا ودب دبيبهـا   إلى موضع الأسـرار قلت لها قفي
مخـافـة أن يبـدو علي شـعاعهـا   وتظهر جلاسي على سري الخفي[215]

وله وصايا شعرية لمريديه:

إذا مـا أردت جـوار الصمـد   وملكـا يـدوم وعـز الأبـد
فـلا تفطـرن علـى شـهيـة   ولا ترقد الليل مع من رقـد[216]

والقصائد المروية عن اليزيديين تختلف كل الاختلاف عما يرويه جمهور المؤرخين السنيين. فمن القصائد التي ينسبها غلاة الطريقة العدوية للشيخ عدي:

علمـي أحـاط حقيقـة الأشـياء   وحقيقتـي قـد مازجـت آبائـي

كذلك نجد له هذه الأبيات:

وأنا الذي أنـزلت حقـاً صـادقـاً   منـي كتـابـاً أهـدي الثقـلاء
وأنا الذي أشرعت شرعاً حاكمـاً   كما شرعت فكان من إعطائي[217]

فالأبيات التي ذكرناها كلها تبين أن الشيخ عدي بن مسافر كان قد اعتقد في مذهب الحلول مثله في ذلك مثل الحلاج[218]. فالشيخ عدي حسب ما يظهر من الأبيات فيها تأثيرات مذهب الحلول وبالتالي يمكننا القول أن

---

[215] التادفي، المصدر السابق، ص 88.

[216] التادفي، المصدر السابق، ص 89.

[217] الدملوجي (صديق)، اليزيدية، ص 96 ـ 99. نقلها نسخة في مدرسة اسنبدار التابعة لقضاء العمادية في خزانة المدرس الشيخ حسين، الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 66 ـ 67.

[218] SAMNE (D. George), La Syrie, Paris, 1920, P 363، الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج I، ص 121.

قصائده الأولى التي لا تختلف في شيء عن نهج متصوفة الإسلام من أهل السنة (التقليديون) كعبد القادر الجيلاني وغيره، كان قد أنشدها قبل هجرته إلى "لالش" وبالتالي كتبت قبل 509 هـ تاريخ رحلته إلى الحج. ثم إن انقطاعه المتواصل عن زملائه في بغداد والمدن القريبة جعله ينشئ قصائده "الحلولية" والمروية من قبل اليزيدية فتبين أن الشيخ عدي قد اعتقد بالحلول ووحدة الوجود. وهنا يمكننا القول أن شيخنا أخذ يفصح عن أرائه "الحلولية" بعد انقطاعه التام في لالش أي بعد عودته من الحج سنة 509 هـ / 1116 م[219]. ومع ذلك تشير بعض الكتب الطرقية إلى أن الشيخ عدي غادر "لالش" مرة ثانية سنة 555 هـ وحج صحبة مجموعة من شيوخ الصوفية عن طريق "الحج الشامي" ومعه الشيخ عقيل المنبجي العمري والشيخ عبد القادر الجيلاني وغيرهم[220] لذلك نجد الديوه جي سعيد ينفي بشكل قاطع نسبة هذه الأشعار للشيخ عدي الذي شهد له بالصلاح والكمال واعتبرها من نسج وتنظيم أتباعه الذين غالوا فيه غلوا كبيرا[221]. وقد ذكر ابن كثير أنه بعد انفراد الشيخ عدي بجبال الهكارية اعتقد فيه الأهالي هناك "اعتقادا بليغا، حتى أن منهم من يغلو غلوا كثيرا منكرا ومنهم من يجعله إلها أو شريكا"[222].

هنا نرى أن تأثيرات فكر الحلاج في اليزيدية / العدوية (سابقا) واضحة خاصة وأنهم يعتقدون فيه اعتقادا كبيرا إذ جعلوا أحد سناجقهم باسم الحسين بن منصور الحلاج وعدوه من أوليائهم الزمانيين[223].

---

[219] FRANK(R), op. cit, P 12 ; LESCOT (R), op. cit, P 24. الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 55 ـ 56.

[220] الوتري (محمد)، روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، القاهرة 1306 هـ، ص 54. 131 ـ 132، الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 56، BOIS (Th), op. cit., P 210.

[221] الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 67.

[222] المصدر السابق، ج XII، ص 243.

[223] MASSIGNON (Louis), op. cit., P 38. (مزيد من الإيضاحات سنراها لاحقا).

وإن ما نستشفه من كتابات الشيخ عدي هو أن مسلكه التصوفي كان مسلك "السلف الصالح" وأن أي تحول حدث في سيرة شيخنا وفيما ينسب إليه من "أفكار حلولية" قد حدثت بعد إنعزاله المتواصل من 509 إلى 555 هـ، وكذلك لا نستغرب تسرب أي أشعار قيلت على لسان "الشيخ" فما كتبته المصادر الإسلامية عن مغالاة الجماعات التي شدت الرحال صوب "لالش لنيل بركة جوار شيخنا قبل ظهور أفكار غريبة وطقوس اليزيدية التي لازالت تعيش حتى الآن في نفس مناطق العدوية في شمال العراق وبلاد الشام ومناطق القوقاز".

الفصل الثاني

خلفاء الشيخ عدي الأكبر

امتداد للمنهج الطرقي الأرثوذكسي أم انحراف مذهبي

اضطربت "الطائفة العدوية" بعد موت مؤسسها (557 هـ / 1162 م) الذي آثر العزوبية أو "التجرد" (بالمصطلح الرّهينيّ) حتى تاريخ وفاته. لذلك عرف "بالأعزب" وبالتالي لم يكن له عقب. ففي إحدى الروايات المتواترة التي ذكرها المقريزي في حوادث 817 هـ في كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك[1] نجد قصة انتقال نسل ووراثة الشيخ عدي إلى خادمه "حسن البواب": "فزعموا أن الشيخ (عدي) لما حضرته الوفاة أمر (حسن) هذا أن يلصق ظهره لظهره فلما فعل ذلك قال له الشيخ: انتقل نسلي إلى صلبك" فلما مات الشيخ عدي لم يعقب ولذا وصارت العدوية تعتقد في ذرية "الشيخ حسن البواب" بأنها من ذرية الشيخ عدي وتبالغ في إكرامهم[2] وإن نقل لنا المحامي عباس العزاوي في كتابه "تاريخ العراق" هذه القصة عن المقريزي في القسم المخطوط، إلا أنه في مقالاته أو في كتابه عن تاريخ اليزيدية لم

---

[1] ذكره كوركيس عواد في بحثه عن "مراجع اليزيدية" والذي نشر في كتاب مستقل عن مجلة "المشرق المسيحية" بتاريخ 1970. ص 29، وهو موجود بدار الكتب الأهلية تحت رقم م 1727. من ظهر الورقة 287 إلى وجه الورقة 288. وقد صحح الأستاذ مصطفى جواد بعض الكلمات من النسخة رقم م 1728؛ نقلاً عن العزاوي (عباس). تاريخ العراق بين احتلالين. منشورات الشريف الرضي. قم إيران. مصور عن النسخة الأصلية لمطبعة التنصيص ببغداد 1939/1357. ج III. ص 38؛ EI[2], art : "ADI.B.Musafir", IBID, A.S, T1, P201.

[2] المقريزي. السلوك في معرفة دول الملوك. نقلاً عن العزاوي. تاريخ العراق بين احتلالين. ج III. ص 38؛ EI[2], Op.cit, T1, P201

يذكرها[3]. كما أن أهم الدراسات المتعمقة حول جذور هذه النحلة أكدت انتقال وراثة "المشيخة العدوية" إلى ابن أخ الشيخ عدي "أبو البركات" صخر بن صخر بن مسافر الأموي. حيث قال عدي "أبو البركات يخلفني (أو) خليفتي"[4] ويعدّ أبو البركات صخر II ابن أخ الشيخ عدي صخر الأول من الجيل الأول الذي قدم من بيت فار بعد الهجرة النهائية لعمه عدي الأكبر.

1. الجيل الأول

يمثل أبو البركات صخر هذا الجيل الأول "للطائفة العدوية" بعد الشيخ عدي المؤسس الفعلي لهذه الجماعة. وقد ولد الشيخ أبو البركات صخر الثاني في بيت فار. قبل رحلة الشيخ عدي في طلب العلم ولما فارق الشيخ عدي بيت فار نهائياً كان أبو البركات صغير السن. وهو ينتسب إلى أسرة علم وصلاحٍ. فجده مسافر كان "صاحب كرامات وآيات" ووالده صخر الأول كان "رجلاً صالحاً" لذلك نرى إجماع المصادر على أن أبا البركات "صخر الثاني" عرف بتقواه وصلاحه. لكنه غادر بيت فار مسقط رأسه خصيصا للانتقال إلى لالش والالتحاق بزاوية عمه عدي الأكبر[5] ولا نعرف بالتدقيق تاريخ مولد أبي البركات ولا تاريخ التحاقه بعمه عدي الأكبر. وما نعرفه عن سيرته هو ما تناقلته كتابات المؤرخين اللخمي الشطنوفي. والتادفي الحنبلي حيث ذكراه باسمه صخر (الثاني)[6] الذي أكمل تحصيله العلمي والطرقي في لالش.

---

(3) العزاوي (عباس). "أصل اليزيدية وتاريخهم". مجلة لغة العرب. الجزء VII من السنة الـ IX. 1931. ص 529.

(4) الشطنوفي. المصدر السابق. ص 215؛ التادفي. المصدر السابق. ص 106؛ الأحمد (سامي سعيد). اليزيدية. ج I. ص 152. الفيل (د. سهير محمد علي). المرجع السابق. ص 39؛ GUEST (J. S), The Yezidis, P 18 ; DEMEERSEMAN (André), op. cit., P 23.

(5) الشطنوفي. المصدر السابق. ص 215. 217. العزاوي (عباس). "أصل اليزيدية وتاريخهم". ص 529. تاريخ اليزيدية. ص 41؛ BOIS (Th), op. cit., P 211.

(6) الشطنوفي. المصدر السابق. ص 11؛ التادفي. المصدر السابق. ص 106؛ العزاوي (عباس). المرجع نفسه. ص 522.

وبدأت علامات النجابة والتميز تظهر على "صخر II" لذلك عمل الشيخ الأكبر و"رأس آل مسافر" على تدعيم "زاويته" وضمان الاستمرارية للطريقة العدوية وبالتالي تواصل سلطة آل مسافر الأمويين بين هؤلاء الأكراد فزوج ابن أخيه من إحدى بنات القبائل الكردية في قرية "زوق البورية"[7] وكان للشيخ عدي "الأعزب" شرف اصطحاب العروس الكردية وزفها لابن أخيه صخر بلالش ومعهم جماعة من أصحابه على رأسهم الشيخ "محمد بن رشاد"[8] وهذا الزواج الطرقي السياسي يذكر بزواج معاوية من ميسون بنت بحدل الكلبية لضمان ولاء اليمانية له وبالتالي وجود أنصار لابنه يزيد[9].

وعلى نفس المنوال نسج الشيخ عدي لتبقى طريقته متواصلة برئاسة أفراد من آل بيته "دعا الله أن تكون ذريته في ابن أخيه صخر" كما كان يؤكد في أحاديثه في وسط أتباعه بأن خليفته "صخر".

فزواج صخر الثاني من فتاة كردية كان لضمان ولاء الكرد لطريقتهم ولتدعيم انتشارها وبالتالي استمرارية "تربية المريديين" ومشيخة الزاوية "بلالش" في أفراد أسرته. ونظام الوراثة هذا ليس بالغريب عن طبيعة الحياة القبلية الكردية[10]. إن وجود نظام وراثي من الأب إلى الابن وحتى من العم

---

[7] النبهاني. جامع كرامات الأولياء. ج II. ص 299، الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص69. لم أعثر على معلومات عن هذه القرية ولا الأصول القبلية لهذه الفتاة الكردية. ولكن حسب الظاهر. سيكون زواج صخر II ابن أخ الشيخ عدي من فتاة تليق بأسرته مجدا ونسبا وكذلك تاريخاً.

[8] لعل الشيخ محمد بن رشاد المدفون في قرية "مام رشان" الكردية الواقعة قرب قناطر "جروانة" قرية صغيرة تقع شمال شرقي الموصل وتبعد عنها 30 ميلا. تابعة لقضاء الشيخان. فيها زهاء 20 بيتا لليزيدية وإلى جانب هذه القرية أثار القناة التي شقها الملك الآشوري سنحاريب (ت 681 ق م) ليجري فيها الماء من نهير "الكومل" (الجومل) إلى أرض نينوى، فؤاد (سفر). "قناطر جزوانة". مجلة اللطائف المصورة. عدد 28 أغسطس 1933. ص 17، عواد (كوركيس). "تحقيقات بلدانية تاريخية. أثرية في شرق الموصل". مجلة سومر. الجزء اوII . 1961/1381. المجلد XVII. ص 71

[9] ابن الأثير. المصدر السابق. ج III. ص 506 وما بعدها.

[10] خصباك (د. شاكر). "مميزات الحياة القبلية الكردية". مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، العدد II. (شباط 1952). ص 126.

إلى أحد أفراد أسرته كما هو حال شيخنا (عدي الأموي) يمثل تعاملا مع ما هو قائم بين هؤلاء الأكراد وقد رسخ عدي هذه الوراثة وما يتوفر فيها من شروط من أهمها المقدرة الشخصية التي لابد للرئيس (الشيخ) أن يتحلى بها وتتمثل في توفر صفات متعددة أهمها الشجاعة والتدين والذكاء. ولمن يشرف على منصب كهذا "مشيخة الزاوية" يعتبر التدين أهم شرط أساسي ينبغي أن يتوفر فيه ولذلك نجد عديد الألقاب الدينية من قبيل "الشيخ" أو "المُلا"[11]. وقد اقترن "نظام المشيخة" في المجتمع الكردي بالطرق الصوفية. حيث نجد أسرا كبيرة تدين بهذه الطرق[12]. ومن هنا عمل شيخنا عدي الأكبر على بناء نظام وراثي لطريقته فكانت "مشيخة الزاوية" تمثل الحكم الديني بشكل أساسي وكرزمائي فيه كذلك جانب من الإقطاع "حرم الزاوية وأوقافها". ولذلك تصبح لمن يتولى "المشيخة" سلطة مطلقة ولا حد لسلطانه[13] حتى أن العزاوي يشير في كتابه "العراق بين احتلالين" إلى أن أفراد أسرة "حسن البواب" الوارث لمشيخة الزاوية العدوية حسب ما يشاع لهم الحرية التامة في نيل رغباتهم الجنسية من أي فتاة كانت[14].

وبالتالي كان خليفة عدي الأكبر "أبو البركات" الذي تولى الإمامة والإمارة معا وبقيت وراثية في أبنائه وأحفاده من بعده. حيث توسم فيه عمه الكثير فقال عنه "أبو البركات ممن دعي في الأزل وكان من السابقين إلى الحضرة"[15]. إذن فقد خلف صخر عمه في زعامة الطريقة وفي "مشيخة الزاوية" العدوية وصار

---

[11] خصباك (د. شاكر). المرجع نفسه. ص 127.

[12] أسرة البرزاني التي يشرف كبارها على زعامة الطريقة النقشبندية أما الأسرة البرزنجية فتدين بالطريقة القادرية في كردستان. ويشاع عن هذه الأسرة أن لها نسب بالرسول محمد لذلك يقال للبرزنجية "السادة البرزنجية". موصلي (منذر). المرجع السابق. ص 456 ـ 457.

[13] MILLENGENE (F), <u>Wild life among the Kurds</u>, London, 1870, P 210 ; NIKITINE (B), <u>Les Kurdes</u>, Paris 1950, P 133.

[14] ج IV. ص 37. وإن هذه الرواية إشاعة واتهام لليزيدية حتى تجد السلطة حجة في قمعهم. فقد اتصلت بهم وقابلهم كثيرون ووجدوا فيهم من القيم والاحتشام ما يؤكد تأثيرات صوفية وتدينا عميقا

[15] الشطنوفي. المصدر السابق. ص 215. الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج I. ص 152.

المرجع الأعلى لأهل الجبال في أمورهم الدينية والدنيوية وبالتالي لا يوجد أي فصل في الرياسة الدينية والإمارة كما ذهب إلى ذلك القس سليمان صائغ[16].

سار أبو البركات على مسلك عمه في تربية المريدين السالكين، فكان يرشدهم، ويعقد مجالس الذكر، وقد تخرج على يديه جماعة من المشايخ والعلماء[17]. وقيل عنه: "كان من أجل مشايخ العراق ببلاد المشرق، ونبلاء العارفين صاحب الكرامات"[18].

وللشيخ أبو البركات "شطحاته" كمتصوف ويظهر ذلك في كلامه على لسان "أهل الحقائق":

"المحبة لذة في نغصة، ومواضع التحقيق منها الدهش والحيرة، ويلزمها الشوق، وهو توق النفس إلى رؤية المحبوب، وذلك يتولد من امتلاء القلب بذكر الحبيب، وامتزاج الكرب باللهيب، إلى مشاهدة القريب..."[19]. ومن أقواله أيضاً:

"من سكر بكأس المحبة، لا يصحو إلا بمشاهدة محبوبه، فإن السكر ليلة صباحها المشاهدة، كما أن الصدق شجرة، ثمرتها المجاهدة، وينشد باكياً:

إذا جاز ركب الشوق فى ربع لوعتى — جعلت له بادي الاثنين دليلا
وقد عاد ليل العتب أقمر بالرضى — وعوضنى منه الكثير قليلا
فما بال خيل الحب فى حلبة الوفى — تطرق للبلوى إلى سبيلا"[20]

---

[16] المرجع السابق، ج ا، ص 296 ـ 297 (سنبين ذلك في أعرافهم).

[17] الشطنوفي، المصدر السابق، ص 215؛ التادفي، المصدر السابق، ص 109؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 69؛ الفيل (د. سهير محمد علي)، المرجع السابق، ص 40؛
BOIS (Th), op. cit., P 211 ;
DEMEERSEMAN (A), op. cit., P 23

[18] التادفي، المصدر السابق، ص 107؛ العزاوي (عباس)، "أصل اليزيدية وتاريخهم"، ص 523؛ تاريخ اليزيدية، ص 42 ـ 43؛ الجندي (محمود)، المرجع السابق، ص 44 ـ 55؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج ا، ص 153 ـ 154.

[19] الشطنوفي، المصدر السابق، ص 213 ـ 214؛ التادفي، المصدر السابق، ص 109، العزاوي (عباس)، المرجع السابق، ص 524؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 70 ـ 71.

[20] الشطنوفي، المصدر السابق، ص214 ـ 215، التادفي، المصدر السابق، ص 108 ـ 109، الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 71.

وبتحليل موجز نجد أن المحبة التي تتكرر على ألسنة المتصوفة وخاصة في القرن 6 و7هـ، ما هي إلا اجترار لأعمال وإن تخللتها في بعض الأحيان شطحات. ومع ذلك نجد تأثيرات لمنهج الغزالي (ت 505 هـ / 1111 م) ومسلكي الشيخين عبد القادر الجيلاني وعمه عدي بن مسافر حيث نشاهد من خلال ما قاله شيخنا أبو البركات في الحب الصوفي الذي يتوصل إليه المتصوفة بعد تصفية النفس البشرية وتكون إلهاماً ومعرفة منفوثة في الروع مستلهمة من دعوة الحب دون الركون إلى بواعث أخرى لأن الحب عملية لا تحتاج إلى براهين فهي هواجس من القلب وتتحكم بالقلب[21].

وأما الخمر التي يذكرها أبو البركات صخر II فهي تواصل لعقيدة "الاتحاد الصوفية" ووحدة الوجود مع الحلاج وابن عربي وغيرهم لأن معظم شعراء الصوفية من أتباع هذا المذهب. أما في عصر شيخنا فنجد التقليد متداولا بشكل كبير ولأجل ذلك قالوا فيها المقطوعات والقصائد دون أن يجعلوها وسيلة لبث عقائدهم الصوفية[22] لذلك يمكننا القول أن منهج أبي البركات يمثل تواصلاً لطريقة الشيخ عدي حيث سار مساره بل إنه كان سندا في رواية عديد الكرامات والأحاديث التي تنسب إلى عمه وفي نقل علمه للناس[23].

ومن جملة المتخرجين على يديه والآخذين عنه نجد ابنه ووريثه أبو المفاخر عدي الثاني أو الأصغر وأبو الفضل معالي بن نبهان بن فضلان التميمي الموصلي والشيخ أبو العشائر وأبو البركات بن معدان العراقي وأبو

---

[21] حسن (أحمد علي). التصوف جدلية وانتماء. منشورات اتحاد الكتاب العرب 1990. ص 325.

[22] حيدر (د. علي). مدخل الى دراسة التصوف. ص 136.

[23] النبهاني. جامع كرامات الأولياء. ج II. ص 299؛ DEMEERSEMAN (A), op. cit., P 23.

الفتح نصر بن رضوان بن مروان الباراني[24] وغيرهم وكالعادة نجد عددهم يقارب الأربعين تقليداً لإذكاء نوع من الكرامة والإعجاز وتعظيماً من قبل الأتباع لشيخهم.

ولم نقف على السنة التي توفي فيها الشيخ "أبو البركات"[25] كما نجهل تماماً المدة التي أقام فيها الشيخ ليخدم رعاياه في لالش ولكن من المرجح حسب توقع الدملوجي حوالي الستين سنة أي في حدود 617 هـ / 1220 م أي التاريخ التقريبي لوفاة صخر II (أبو البركات)[26] في فترة الغزو الصليبي وتشكل إمارتهم في السواحل الشرقية لبلاد الشام وفي الأناضول وبروز صلاح الدين "كغازي" للجهاد الديني. وبشكل آخر وحسب إجماع المؤرخين ومشيخة أبو البركات تعتبر الفترة الفاصلة بين تاريخ وفاة عدي الأول 557 هـ وتولي ابنه عدي الأصغر (II) تكون مجمل رئاستهما حوالي الـ 60 سنة. خاصة وأن المصادر تشير إلى وفاة صخر II مسنا في لالش بالزاوية العدوية وقبره ظاهر هناك يزار وقد دفن عند قبر عمه[27] على يمين الباب المؤدي إلى ضريح عدي الأكبر[28].

---

(24) الشطنوفي. المصدر السابق. ص 213 ـ 214؛ التادفي. المصدر السابق. ص 109 ـ 110؛ العزاوي (عباس). "أصل اليزيدية وتاريخهم". ص 525؛ الديوه جي سعيد. المرجع السابق. ص 70؛ التونجي (د. محمد). المرجع السابق. ص 25؛ GUIDI,op. cit., P 414 ـ 415.

(25) التادفي. المصدر السابق. ص 108؛ العزاوي (عباس). "أصل اليزيدية وتاريخهم". ص 525؛ تاريخ اليزيدية. ص 45؛ الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 82 ـ 83؛ BOIS (Th), Op. cit., P 211.

(26) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 83؛ BOIS (Th), op. cit., P 211.

(27) الشطنوفي. المصدر السابق. ص 215؛ التادفي. المصدر السابق. ص 107 ـ 108؛ العزاوي (عباس). "أصل اليزيدية وتاريخهم". ص 525 ؛ تاريخ اليزيدية. ص 45؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 29؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 73؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج I. ص 152.

(28) GUIDI, op. cit., P 414 – 415 ; GUEST (J. S), The Yezidis, P 39 – 39 ؛
راجع مخطط الزاوية العدوية بلالش صورة رقم II .

2. الجيل الثاني:

الأمويون المنسوبون إلى مناطق ولادتهم واستقرارهم

بعد وفاة "أبي البركات صخر II" خلفه ابنه عدي الأصغر أو الثاني المعروف بالكردي[29] لأنه ولد في بلد الهكارية. وشب في هذه الديار وتعلم لغتهم إضافة إلى أن أمه كانت من ذلك البلد. ولذا أطلقت عليه المصادر "الشيخ عدي الكردي". وحافظت الطريقة العدوية في زمنه على نفس مسارها ومنهجها التصوفي في "تربية المريدين السالكين"[30]. لقب بـ"أبي المفاخر" كما نجد ابن المستوفي يلقبه بـ"أبي الفضائل" وعدّ ممن ورد "إربل" في أكثر من مرة[31]. "وكان يجتمع إليه الناس على طبقاتهم... إلا أن الأغلب منهم الرعاع والسفلة..."[32].

وبالرغم من انتساب عدي الثاني لعائلة الشيخ عدي الأكبر الأول والمكانة التي حظي بها العم الأكبر لدى الخاصة والعامة في إربل ومرد ذلك فقدان الخلف لإشعاع أسلافهم واكتفائهم بالتقليد بل إن عدي الثاني كان أكثر وقته مشغولا بالسماع والرقص على طريقة "فقراء الصوفية"[33] بينما لم تصلنا أخبار عن أبيه ولا عن عم أبيه الشيخ عدي يقوم بمثل هذا العمل. الذي يسعى المشايخ إلى تجنبه حفاظا على مكانتهم بين مريديهم وقد سأله الشيخ أبو الفرج عبد الرحمان بن نجم بن عبد الوهاب وهو من الحنابلة عن تاريخ مولده فقال: "ولدت بعد موت الشيخ عمي بعشرة أيام"[34]. وابن المستوفي

---

[29] التادفي. المصدر السابق. ص 110. الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 27 ـ 28. التونجي (محمد). المرجع السابق ص 25. GUIDI, op. cit., P 414 – 415. GUEST (J. S), op. cit., P 18 ; BOIS (Th), op. cit., P 212.

[30] ابن خلكان. المصدر السابق. ج III. ص 254. العزاوي (عباس). "أصل اليزيدية وتاريخهم". ص 523، تاريخ اليزيدية. ص 45 ، BOIS (Th), Op. cit., P 212.

[31] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق I. ص 116.

[32] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق I. ص 116.

[33] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق I. ص 116.

[34] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق I. ص 116.

يحدد تاريخ وفاة الشيخ عدي الأكبر في سنة 557 هـ[35] وبالتالي وحسب هذا المؤرخ تكون ولادة عدي الثاني سنة 557 هـ. ولكن في القسم الخاص بترجمة عدي بن أبي البركات يذكر رواية لابنه حسن بن عدي II يذكر فيها ميلاد أبيه بتاريخ 555 هـ ووفاة عمهم الشيخ عدي الأكبر في نفس التاريخ[36]. ولكن المجمع عليه هو أن الشيخ عدي بن مسافر توفي بلالش في سنة 557 هـ عن عمر يناهز الـ 90 سنة وبالتالي تكون ولادة عدي II بن أبي البركات "صخر II" سنة (557 هـ / 1162 م)[37].

ولم يحظ الشيخ عدي II بنفس درجة الاهتمام التي كانت لعدي الأول حيث بدأت الحضارة العربية الإسلامية تفقد بريقها وبدأت حملات المغول من الشرق تدك أمامها كل معالم الحضارة في الولايات الإيرانية. من قتل وتدمير ودمرت ثمرات أجيال من آثار العمران والعلم والحضارة خلال عدة قرون على أيدي هؤلاء البداة. ودمروا مئات المدن وقضوا على المدارس والمكتبات ومراكز العلم. كما أن المشتغلين بالعلوم قتلوا أو فروا حتى قيل:

"ينبغي الآن أن نطلب الفضل من تحت التراب
لأن أصحاب الفضائل اختفوا تحت التراب"[38]

ونتيجة هذا الانحطاط الحضاري فإن القرن السابع هجري يعد قرن خمول وركود. وراجت أصول التقليد والتعبد والمتابعة لأقوال المتقدمين[39]. ومن

---

[35] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 114.

[36] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 116.

[37] راجع ابن الأثير. الكامل. ج XI. ص 289، ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 114، ابن خلكان. المصدر السابق. ج III. ص 254، الذهبي. المصدر السابق. ج XX. ص 244.

[38] غني (د. قاسم). المرجع السابق. ص 697.

[39] علما أن القرن السابع هجري عرف مشاهير العارفين الكبار أمثال: الشيخ شهاب الدين السهرودي (ت 632 هـ) وهو من أعظم المتصوفة في إيران وأشهرهم. كذلك ابن الفارض (أبو حفص عمر) (ت 632 هـ) صاحب القصيدة المعروفة بالتائية. وأهمهم الشيخ محي الدين بن عربي الأندلسي المعروف بـ "الشيخ الأكبر" أو سلطان العارفين توفي بدمشق 638 هـ. شمس الدين التبريزي قضى معظم أوقاته في الرحلات وزار المناطق الكردية (سنراه في علاقة اليزيدية بالتصوف) قتل سنة 645 هـ. مولانا جلال الدين الرومي. توفي في قونية سنة 672 هـ. راجع غني (د. قاسم). المرجع السابق. ص 701 ـ 703.

خصائص القرن السابع هجري انتشار كبير للأربطة و"الخانقاهات" وقد بلغت أوج أهميتها في هذا القرن حيث عدت من المراكز الاجتماعية الهامة إضافة إلى دورها المركزي في تربية وتكميل وتهذيب المريد وإعداد المرشدين للنجدة وإرشاد الطلاب وتدريب المبتدئين[40]. ويذكر نفس المصدر أن الشيخ عدي II قدم إلى حلب (سنة 613 هـ / 1216 م) في عهد السلطان الملك غياث الدين (ت 634 هـ / 1237 م) حيث نزل حاكمها لزيارته في خانكاه الشهاب طغريل. كما زاره جماعة من فقراء حلب[41]. وهذه الزيارة من حاكم حلب لشيخ الطريقة العدوية ما هي إلا تدعيم لنفوذه السياسي والديني بين المتصوفة. ويبقى مع ذلك إشعاعه العلمي أقل حيث اكتفى بتقليد أسلافه ويعتبر سندا في رواياته لكرامات الشيخ عدي الأكبر وأبيه أبي البركات[42]. وحسب ابن المستوفي الذي عده من زوار إربل غير مرة وحضر مجالسه مع فقراء المتصوفة "الحضرة" (رقص المتصوفة) ولم يشاهدهم يستعملون الآلات الموسيقية والشبابة[43] وربما يعود ذلك إلى تحريم بعض الآلات الموسيقية من قبل المتصوفة[44]. بالرغم من أن بعض الآلات كالدف والمزمار هي من الآلات التي استخدمت في الإنشاد الديني في عهد الرسول والصحابة والتابعين وقد أباحها بعض المتصوفة[45] بمرجعية دينية طبعا.

ومن خلال هذه الرواية نجد تغيرات وتحولات في الحالة العامة لمشيخة الزاوية العدوية فقد تقلص الإشعاع الذي كان للأسلاف وبهتت الهالة

---

(40) غني (د. قاسم). المرجع السابق. ص 700.

(41) ابن المستوفي. المصدر السابق. ق I. ص 116.

(42) الشطنوفي. المصدر السابق. ص 10. 75.

(43) ابن المستوفي. المصدر السابق. ق I. ص 116.

الشبابة آلة موسيقية وهي من جملة المزامير وأشدها طربا وتسمى "اليراع". انظر الزبيدي. تاج العروس. ج II. ص 197.

(44) النابلسي (عبد الغني). إيضاح الدلالات في سماع الآلات. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 860 (تصوف) ميكروفيلم 34959. نقلا عن فؤاد (فاطمة). السماع. ص 83.

(45) السهروردي (أبو حفص شهاب الدين). عوارف المعارف. دار الكتاب اللبناني. 1974. على هامش كتاب الأحياء. ج II. ص 232.

المحيطة بهم. فكما يشير مصدرنا الوحيد الذي ترجم لعدي II فإن أغلب زواره من "الرعاع والسفلة" إضافة إلى انشغاله بالسمع والرقص على طريقة الفقراء فلم تكن له كتابات أو أشعار مثل والده أبي البركات أو عدي الأكبر وكذلك ذكر ابن المستوفي أن عدي II. ممن يقول "أن النقطة والشكلة في القرآن"[46]. وحسب الظاهر فإن هذه محدثة قديمة أثارت مشاكل فقهية آنذاك مما جعل مفتي المذاهب "عماد الدين محمد بن يونس" يفتي ببطلانها وتحريمها[47]. وقد قام عدي II برحلة لحج البقاع المقدسة بتاريخ 611 هـ / 1214 م. وفي عودته مارا على الطريق الشامي كان قد نزل بحلب وكنا تعرضنا إلى ذلك سلفا[48].

ومع ذلك نرى أن منزلة عدي الصغير (II) في قومه وبين مريديه لا تقل قيمة عن منزلة والده أبي البركات وأنه كان أيضا متواضعا مع قومه إلى أبعد الحدود[49] (مجالسة بسطاء الناس في إربل وفقراء المتصوفة في حلب...).

وفي سنة 618 هـ / 1221م سجلت له لقاءات مع بعض مشايخ الطريقة العدوية ببلاد الهكارية أمثال أبي البركات يونس الذي روى بعض أخباره ومشاهداته[50] وفي 620 هـ / 1223 م. زار شيخنا الموصل. ربما لوجود مريدين للطريقة العدوية أو إحدى فروع تكاياها هناك. فالموصل تلك المدينة المتميزة في شمال العراق تعتبر من أهم مدن الجزيرة العامرة وهي الرابطة بينها وبين بلاد الشام ذات الموقع التجاري وتعتبر عاصمة العراق الشمالية. وكانت تتواجد بها فروع لتكايا طرق مختلفة. ومن هنا نتبين أن "العدوية" حافظت تقريبا على نفس منهجها التصوف السلفي. ولم تحدث بها أية هرطقات أو مروق. فمن خلال دراستنا لثلاثة من مشايخها الكبار نجد أن مسارها

---

[46] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 116.

[47] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 116.

[48] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 119 ـ 121.

[49] التادفي. المصدر السابق. ص 110؛ العزاوي (عباس). "أصل اليزيدية وتاريخهم". ص 526؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 30؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 74.

[50] الشطنوفي. المصدر السابق. ص 17.

أرثوذكسي بل نلاحظ أن الشيخ عدي II كان يتجنب إحداث أية "بدعة"[51] تحتسب عليه (تجنبه استعمال الدف والشبابة في حلقات "الحضرة" العدوية) كما أن ابن تيمية الشديد الوطأة على المخالفين لم يذكر الشيخ عدي II أو أسلافه بأية ملاحظة تتهمهم بالابتداع أو المخالفة[52].

رغم أن أغلب الأبحاث والدراسات لم تقف عند تاريخ وفاته[53]. لكننا عثرنا في تاريخ إربل على هذا التاريخ: "عدي II توفي في طريق مكة المعظمة في ذي الحجة سنة 625 هـ/ 1228 م محرما"[54]. بينما توقع الدملوجي والسيد توماس بوا (Thomas Bois). بأن الشيخين أبا البركات صخر II وأبا المفاخر عدي II قد كانت مجموع المدة التي أدارا فيها "مشيخة الزاوية" تقارب الستين سنة وبالتالي فإن الشيخ عدي II عاش إلى حدود 1220 م[55]. وقد رثاه ابنه ووريث "المشيخة" أبو محمد الحسن شمس الدين أمام ابن المستوفي قائلاً:

"عيل اصطباري ونأى تجلدي ... وبان عني بعدهم ارتحل
وقد بقيت حائرا مرتهنا ... اندب ربعا بعد عز قد عطل ..."[56]

---

[51] التادفي. المصدر السابق. ص 110، العزاوي (عباس). "أصل اليزيدية وتاريخهم". ص 526، تاريخ اليزيدية. ص 46. الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 82 ـ 83. الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 30، التونجي (محمد). المرجع السابق. ص25، GUIDI, op. cit., P 415 ; BOIS (Th), op. cit., P 211 ; GEOFFROY (Eric), op. cit., P 229 - 230 ; DEXAVIER (De Planhol), op. cit., P 180

[52] ابن تيمية. المصدر السابق. ج ا. ص 262 ـ 267، الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 74، PAREJA (F. M), La Yazidia, "Islamologie", Beyrouth, 1957 - 1963, P 855 ; GEOFFROY (Eric), op. cit., P 229 - 230.

[53] العزاوي (عباس). "أصل اليزيدية وتاريخهم". ص 526، تاريخ اليزيدية. ص 46. الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 83، الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 30.

[54] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 116.

[55] صديق الدملوجي. المرجع السابق. ص 83 ، BOIS (Thomas), op. cit., P 211.

[56] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 119.

الفصل الثالث

العدوية بين الهرطقة والطموح السياسي

في مشيخة الحسن بن عدي II

لم تقف العصور الإسلامية في تحجّرها وانحطاطها على أخلاف الشيخ عدي بن مسافر (حفدة أخيه صخر I) بل نراها قد اكتسبت أوضاعاً خاصة وأشكالا من الجمود والتحجر والرفض للآخر مهما كان. فقد اشتغلوا بالعجائب ونسبوا الخوارق لمقلديهم لذلك لم نعد نستغرب من الحالة التي آلت إليها اليزيدية / العدوية فيما بعد. فمغالاتهم مردها الجهل والعزلة الداخلية عن الأجوار. ناهيك عن المغالاة التي كان مردها واقع الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي بكل اثنياته المختلفة. فبعد حوالي قرن من تأسيس الشيخ "لطريقته" وغرسها بين هؤلاء الكرد "هداهم الله به" نرى أن التقوى التي عمل أولئك المؤسسون على فرضها بصفة التشدد المبالغ فيه في بعض الأحيان "سجود متواصل. صوم حتى يقولون لا يفطر". ومع ذلك لم نسجل أي مروق أو هرطقة عن أصول الإسلام. إلا أن ابتعاداً عن مسلك الطريقة بدأ يحدث تدريجيا مقارنة بما كانت عليه أيام الشيخ عدي الأكبر. وبدأ ينشأ غلو زاده جمود التصوف الذي كان حبل النجاة للعامة ومسكناً وقتياً لمشاكل دار الخلافة وسنرى نتائج كل ذلك فيما بعد.

1. نسبه ومكانته الاجتماعية

يجمع كل من كتب عن "العدوية" أنها امتداد للطرق الإسلامية خاصة القادرية وعلى منهج الإمام أبي الحامد الغزالي وأنها كانت على غاية من الصفاء في جوهرها بعيدة عن أي محدثة محمودة من قبل علماء الظاهر -

وفقهم الله لسلوك سبيله وأعانهم على طاعته[1] - إلى أن ظهر الشيخ حسن "وهناك دب فيها الفساد. وغير صفاءها"[2].

فمن هو الحسن الذي أحدث البدعة والتي من خلالها انحرفت الطائفة العدوية؟

هو الابن البكر للشيخ أبي المفاخر عدي II ونسبه عند المؤرخين كما يلي "هو الحسن عدي بن أبي البركات صخر بن صخر بن مسافر الملقب بتاج العارفين. شمس الدين أبو محمد. شيخ الأكراد ووارث مشيخة الزاوية العدوية بعد أبيه عدي (الأصغر / II)"[3] ويتصل نسبه بما في نسب عدي الأكبر بانتمائه لبني أمية ولد بلالش ويعد ثاني أفراد عائلة آل مسافر يولد بين ظهراني الأكراد في بلاد الهكارية من أعمال الموصل بين سنتي 592 هـ / 1196 م[4].

وقد عده ابن المستوفي من وردي إربل في شهر رمضان سنة 627 هـ ونزل في القبة التي بناها أبو الفتح أحمد بن المبارك قرب المسجد العتيق في إربل وقد أرسل إليه أبو سعيد كوكبوري بن علي نفقة لما كان يكنه من تقدير وتعاطف مع الشيخ عدي I[5] وأمره ألا يقيم ليلته في إربل فغادرها ليلة السبت 11 رمضان 627هـ[6] تخوفاً من تحرشات بدر الدين لؤلؤ والي الموصل على إربل خاصة أن هذا الأخير يظهر في سره وعلانيته تعاطفاً مع

[1] ابن تيمية. المصدر السابق. ج ا. ص 262.

[2] ابن تيمية. المصدر السابق. ج ا. ص 300؛ تيمور (أحمد باشا). "اليزيدية". ص 59؛ الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 84؛ الفيل. المرجع السابق. ص 41؛ GUIDI, op. cit., P 417.

[3] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 116؛ ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. ج ا. ص334. تيمور (أحمد باشا). اليزيدية. ص 36.

[4] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 117؛ الحسني (عبد الرزاق). المصدر السابق. ص 30؛ الفيل. المرجع السابق. ص 42؛ BOIS (Thomas), op. cit., P 212.

[5] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 113. تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 31؛ GUEST (J. S), op. cit., P 19.

[6] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 117.

الشيعة[7] وكان الأكراد العدويون قد قاموا بعديد التجاوزات منها إخراجهم لعظام الشيخ الصالح "أبي أحمد الله بن الحسن المثنى" - ذي الأصول العلوية - من قبره وأحرقوها... وهو يعرف بابن الحداد[8].

وإذا أردنا مزيد من البحث في شخصية الخليفة الثالث للشيخ عدي نجد أن المصادر أجمعت على ذكائه وفطنته. فعلى حد قول ابن شاكر الكتبي كان "من رجال العلم رأيا ودهاء. وله فضل وأدب"[9]. وتمكن من أن يصبح بين أتباعه كقطب فهو رئيسهم الديني والدنيوي وهو مرجعهم الأعلى. لذلك لم يعترفوا بأي سلطة دونه[10] بل بلغت بهم الجرأة في حبه. أن قتلوا أحد الوعاظ الذي وعظه. "فرقّ قلبه وبكى وخشي عليه فوثب الأكراد العدوية على الواعظ فذبحوه. فلما أفاق الشيخ حسن. رآه يتخبط في دمه. فقال: ما هذا؟ فقالوا: والا أيش هو هذا الكلب حتى يبكي سيدنا الشيخ"[11]. فسكت الشيخ حسن حفظا لحرمة نفسه بينهم. وهذا الغلو في تعلق الأتباع بالمشايخ تعود جذوره إلى الكرامات الخارقة وطموحات هؤلاء المشايخ في البحث عن أمجاد سياسية وهذا ما سيتبين من خلال دراستنا لشخصية الحسن شمس الدين. الذي جعلته اليزيدية في مصاف آلهتها السبعة فقد ذكر في مصحف رش على أنه ثاني الآلهة السبعة حسب معتقداتهم المحدثة ويسمى أيضاً "دردائيل"[12] وورد خلط في بعض الكتب بين اسمه واسم الحسن

---

[7] ابن كثير. المصدر السابق. ج XIII. ص 214؛ الرويشدي (سوادي عبد المجيد). المرجع السابق. ص 38 - 39؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 82؛

BOIS (Thomas), op. cit., P 213; PATTON (Douglas), <u>Badral-Din Lu'Lu (Atabeg of Mosoul 1211-1259)</u>, University of Washington, 1991, P 67-68

[8] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق I. ص 117.

[9] المصدر السابق. ج I. ص334؛ ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م III. ج (5). ص229؛ الديوه جي (سعيد). المصدر السابق. ص 77؛ BOIS (Thomas), op. cit., P 212.

[10] ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. م I. ص 334؛ الذهبي. <u>العبر</u>. ج V. ص 13؛ LESCOT, (R),op. cit., P 34 ; BOIS (Thomas), op. cit., P 212.

[11] ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. ج I. ص 335. ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م III. ج (5). ص 229؛ تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 36.

[12] الآية: II ؛ تيمور (أحمد باشا). "اليزيدية". ص 59؛ <u>اليزيدية</u>. ص 35.

البصري[13]. وقد بحث لنا العلامة أحمد تيمور باشا عن أصل الحسن البصري الذي تعتقد فيه اليزيدية وهو غير التابعي المشهور[14]. فلم يعثر إلا على واحد وليست لهم صلة به فقد أورد ابن تغري بردي في المنهل الصافي فقال " جعفر بن علي بن الرشيد الشيخ المسند المعمر شرف الدين الموصلي المقري المعروف بالحسن البصري. مولده بالموصل في سنة 604 هـ. وكان شيخاً فاضلاً عارفاً وحافظاً للأخبار والشعر والأدب... توفي بدمشق سنة 698 هـ" وقد وضع صاحب الترجمة تاريخ وفاته ليرفع اللبس على من لا يعرف التاريخ بالحسن البصري التابعي المشهور[15] المتوفى في سنة 110 هـ / 729 م. أما السيد عبد الرزاق الحسني فقد ذكر أن اليزيديين نعتوا الحسن شمس الدين بن عدي II جهلاً بـ "البصري"[16] بينما أكد Guest على أن الاسمين لشخص واحد وهو الحسن بن عدي الأصغر بن أبي البركات[17]. لذلك يمكننا القول أن هذا التشابه مرده الجهل بأسماء الأعلام والخلط في تواريخها كما نلاحظ ذلك في كتبهم المقدسة أو في علم "الصدر اليزيدي" وبحكم المنشأ الصوفي لليزيديين (أسلاف العدويين) فإننا نجد تأثيرات لها وقعها في الذاكرة اليزيدية كالحلاج والجنيد وعبد القادر الجيلاني وحتى الحسن البصري التابعي. لذلك اعتبروا الاسمين لشخص واحد خاصة وأن الحسن شمس الدين له تصانيفه في التصوف وقد أجمعت المصادر التي أرخت له على تعظيم العدوية له إلى درجة الغلو[18].

---

[13] انظر أهم خصاله وأعماله: الشعراني. المصدر السابق. ج I. ص 29 ـ 30.

[14] تيمور (أحمد باشا). اليزيدية. ص 36؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 30 ـ 37.

[15] مؤلف مجهول. "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية". ص 579؛ نقلاً عن أحمد تيمور باشا. المرجع السابق. ص 35.

[16] المرجع السابق. ص 30.

[17] The Yezidis, P 145.

[18] ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. م I. ص 335؛ ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م III. ج (5). ص 229.

وكما سبق أن قلنا فإن بداية الانحراف والهرطقة في هذه الطريقة الصوفية كانت في عهد الشيخ "تاج العارفين" الحسن بن عدي II. فقد ذكر الذهبي أن بينه وبين الشيخ عدي من الفرق كالذي بين القدم والفرق[19]، ويعده ابن تيمية ممن أدخل "البدع" والمحدثات لمنهج الشيخ عدي I القويم. فقال "وفي زمن الشيخ حسن زادوا أشياء باطلة نظما وشعرا وغلوا في الشيخ عدي وفي يزيد بأشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عدي الكبير قدس الله روحه"[20]. لذلك ينسب البعض إلى الشيخ عدي الكبير تأسيس الجماعة الصوفية المعروفة بالعدوية وللشيخ حسن شمس الدين تأسيس اليزيدية[21] أو بالأحرى إعادة إحياء المعتقد اليزيدي لهؤلاء الكرد. لهذا رجح البعض اتصاله بالشيخ محي الدين بن عربي (قتل 638 هـ / 1241 م) عندما زار مناطق الموصل (في سنة 611 هـ / 1214 م)[22] وأرض الروم فقد درس هناك وترك مؤلفات على حد قول عبد الوهاب الشعراني[23]. ونتج عن ذلك وجود تأثيرات من فكر ابن عربي عن وحدة الوجود والتي أودت بالبعض إلى الرجعة والحلول فأنكروها عليه[24]. وأما أقوال وتصرفات الحسن شمس الدين الذي أقام هو الآخر

---

(19) ابن شاكر الكتبي، المصدر السابق، م I، ص 335؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، م III، ج (5)، ص 229؛ تيمور (أحمد باشا)، "اليزيدية"، ص 60؛ اليزيدية، ص 36؛ BOIS (Thomas), op. cit., P 212.

(20) ابن تيمية، المصدر السابق، ج I، ص 300؛ العزاوي (عباس)، تاريخ اليزيدية، ص 17؛ GUIDI, op. cit., P 213 ; BOIS (Thomas), op. cit., P 213 ; GUEST (J. S), The Yezidis., P 25.

(21) مؤلف مجهول، "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية"، ص 579.

(22) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، حيدر آباد 1952، ج XIII، ص 736، ابن كثير، المصدر السابق، ج XIII، ص 156؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج V، ص 329 ـ 300؛ كوركس (عواد)، تحقيق: "فهرست مؤلفات محي الدين بن عربي": مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الـ 29، 1373 هـ / 1954 م، ص 348 ـ 349.

(23) المصدر السابق، ج I، ص 188؛ الدملوجي (صديق)، المرجع السابق، ص 84، BOIS (Thomas), op. cit., P 212.

(24) الشعراني، المصدر السابق، ج I، ص 188

بالموصل فترة هامة[25]. فقد أنكرت عديد هذه التصرفات والأقوال والأفعال لهذا الشيخ بل إن حاكم الموصل بدر الدين لؤلؤ تدخل عديد المرات لتغيير مشيخة "الزاوية العدوية" بمساندة الفقهاء. لما بدأ الغلو في الزاوية العدوية بلالش[26]. وربما قد لاحظت السلطات بالموصل فساد معتقداتهم. لذلك تدخل أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ الأتابكي (1211 ـ 1259 م) بمنعهم من الاقتراب من زاوية الشيخ عدي التي جعلوها قبلتهم[27] وأن يكون كل قريب منها يسمى "بتل التوبة" هو مكان عبادتهم وعيّن عمه أحمد بن أبي البركات على رأس الزاوية العدوية[28]. والظاهر أن بدر الدين لؤلؤ بوصفه حاكم قضاء الموصل قد لاحظ نوعاً من الطموح عندما استدعى أفراد الطائفة العدوية إلى الموصل.

وقد يستوقفنا الإجراء الذي قام به حاكم الموصل بتدخله في منصب "مشيخة الزاوية" لدى العدويين حيث نلاحظ انتقال منصب المشيخة من الأب إلى الابن البكر (باستثناء المؤسس الذي لا عقب له) فنرى تأثيرات شيعية في الوصاية على منصب "الإمامة" فهي تنتقل من الأب إلى الابن فالإمام هو الوصي ولهذا السبب نجد عند الشيعة "الوصاية والوراثة"[29] وذلك مرده الجوار حيث كانت تتواجد في تلك المناطق عديد الفرق الشيعية.

---

[25] إقامة شمس الدين الحسن بالموصل. ابن الفوطي. الحوادث الجامعة. ص 271.

[26] إحراقهم لرفاة الشيخ الصالح أبي حمد عبد الله بن الحسن المثنى وتخريبهم لكامل المقبرة. كذلك زيغ عقائدهم. فتوى الإمام أبي حامد محمد بن يونس. راجع فتواه في تاريخ إربل. ق I. ض 119 ـ 121.

[27] ابن خلكان. المصدر السابق. ج III. ص 254.

[28] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق I. ص 117.

[29] الموسوي (الإمام عبد الحسين شرف الدين). المراجعات. مؤسسة الأعلى. بيروت / لبنان. (د. ت). ص 142. نوح (علي). الخطاب الاسماعيلي في التجديد الفكري الاسلامي المعاصر. دار الينابيع. دمشق 1994. ص 126.

2. طموحه الديني والسياسي

من خلال تلقبه بـ"تاج العارفين" نلاحظ نزعة من التعالي ومن البحث عن مكانة عظيمة كالتي كانت لعمه الأكبر عدي أو للمشايخ المشهورين آنذاك ولذلك نلاحظ اقتراناً كبيراً بين اسمي عدي I والحسن شمس الدين "تاج العارفين" لدورهما في خلق هذه النحلة[30] التي ابتدأت صوفية ثم عرفت تطورات أدت بها إلى الغلو والهرطقة.

ورغم كل ذلك فعلينا أن نبحث في منشأ "تاج العارفين شمس الدين" الديني. وحسب ابن المستوفي الذي التقى به في إربل خلال شهر رمضان من 627 هـ وجده "شاب جميل الصورة. كيس الأخلاق حميد العشرة..."[31]. والشيخ حسن من دهاة عصره. طلق اللسان. قوي الحجة. يستميل القلوب وبستهويها وله تصانيفه في التصوف والشعر على لسان القوم في وحدة الوجود والحب الإلهي والحنين إلى لالش وإلى مريديه الذين تعلقوا به أيما تعلق. وتذكر المصادر أنه اختلى ست سنوات صنف فيها كتاب "الجلوة لأرباب الخلوة"[32]. وقد عين أخاه فخر الدين نائباً عنه بينهم في أمورهم الدينية وغيرها. وهذا الكتاب ليس كتاب الجلوة الذي بين أيدي اليزيدية المعاصرين ومن الممكن أن تكون فيه بعض أقوال الشيخ "حسن شمس الدين" ومصادرنا تشير إلى مؤلفات الحسن شمس الدين ومن بينها كتاب "الجلوة لأرباب الخلوة"[33]. والظاهر أنه قد اقتبس أو استفاد من كتب للشيخ محي الدين وربما قد يكون اطلع عليها أثناء إقامته بالموصل سنة 611 هـ حيث مكث سنة واحدة فألف كتاباً بعنوان "التنزلات الموصلية" في أسرار الطهارات

---

(30) مؤلف مجهول. "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية". ص 579.

(31) المصدر السابق. ص 117.

(32) ابن طولون الخنقي الصالحي. ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر. نقلاً عن أحمد تيمور باشا. اليزيدية. ص 37، LESCOT, (R), op. cit., P 34 ; BOIS (Th), op. cit., P212.

(33) ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. م I. ص 335.

والصلوات الخمس والأيام المقدرة الأصلية[34] وله كذلك كتاب "الخلوة"[35] فمن المحتمل أن يكون الشيخ حسن قد استفاد من هذا الكتاب ومن غيره من مؤلفات ابن عربي في التصوف والعرفان وجعل هذا الشيخ عنوان أحد مؤلفاته "الجلوة لأرباب الخلوة"[36] وهو كتاب في التصوف وفيه تطبيقات لأفكار وتعاليم الشيخ عدي. يبين فيه طبيعة العلاقة بين الشيخ والمريد حسب وجهة نظر الشيخ حسن، كما بين في مصنفه هذا بعض أخطاء المتصوفة الذين يجهلون المبادئ الأساسية في الإسلام ويرتدون "الخرقة" التي تعتبر رمزاً أساسياً للمتصوفة (الفقراء) ويوصي أتباعه بتجنب إحداث البدع. فرسالة الشيخ حسن لطائفته هي تصوفية ينص آخرها على الالتزام بمبادئ الإسلام وخاصة فريضة الصلاة ودوام الذكر و"الخلوة"[37]. ومن مؤلفاته الأخرى التي ذكرتها المصادر ولم تصلنا نجد كتاب "محك الإيمان" و"هداية الأصحاب" كما أن له ديوان شعر فيه شيء من الاتحاد والحلول[38]. ولا شك أن لهذه الكتب صبغة صوفية عن أحوال القوم ومشاربهم ولا تخلو من غلو في الشيخ عدي ويزيد وكذلك في شخصية صاحبها كما أشار إلى ذلك ابن تيمية[39] وعلى هذا فإن الشيخ حسن ظهر لأصحابه بتعاليم جديدة وغريبة ولهذا غالى فيه أتباعه البسطاء[40] الذين وجدوا في عمه الأكبر مخلصاً وهادياً ومهدياً لهم وفيه أمل كبير للخلاص، فلا نستغرب بعد ذلك أن يلجؤوا إلى ذبح الواعظ لأنه أبكى شيخهم...

---

(34) كوركس (عواد). "تحقيق فهرست مؤلفات محي الدين بن عربي". ص 531.

(35) كوركس (عواد)، المرجع السابق. المجلد 30. ج I. 1955 م / 1374 هـ. ص 275.

(36) الباباني (إسماعيل باشا البغدادي)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. ج I، ص 364 ـ 365 نقلاً عن عواد (كوركيس). مراجع اليزيدية. ص 12 ـ 13.

(37) FRANK (R), op. cit., P 46 -50 ; LESCOT, (R), op. cit., P 34 -35 ؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق. ص 80 ـ 81.

(38) ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. م I. ص 335؛ الباباني (إسماعيل باشا البغدادي). هداية العارفين في أسماء المؤلفين. اسطنبول 1955. ص 281.

(39) المصدر السابق، ج I. ص 300.

(40) الذهبي. المصدر السابق. ج V. ص 183؛ ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق، م I. ص 335. ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م III. (ج 5). ص 229.

وتؤيد رواية ابن العماد الحنبلي (1089 هـ / 1678 م). عن الذهبي. استنكاره التام لمثل هذه التجاوزات والأمور "المحدثة" التي لم تعرف على هؤلاء القوم زمن الشيخ عدي وخليفتيه "أبو البركات" و"عدي II". فختم ترجمته للشيخ حسن تاج العارفين بأن قال:

أمـــــرد ومحبـــــة وقهـــــوة   طريـــق أربـــاب الهـــوى
هـــــذي طريـــــق الجنـــــة   فـأين طريـق الـنـــار[41]

وقد أوردنا فيما سلف رأيا آخر للذهبي يقارن فيه بين عدي الأكبر والحسن شمس الدين يقول فيه: "بينه وبين الشيخ عدي من الفرق كما بين القدم والفرق". وللشيخ حسن أشعار في الاتحاد قالها عند احتجابه عن أصحابه ينوه فيها بمنزلته عندهم أنه "فرد بلا ثان" وليس في عصره من يدانيه في النسب والعلم لذلك لقب نفسه بـ "تاج العرفين". حتى صارت "الأفلاك تفخر به" فإن احتجب عن أصحابه. وغاب عنهم. فإنه غير محتجب عنهم بل هو معهم يطلع على سرائرهم. وقد جاء في ديوانه الذي فيه شيء من الاتحاد والاعتقاد بوحدة الوجود التي أملت عليه الاعتقاد بالرجعة والحلول ما يلي:

وقد عصيت اللواحي في محبتهـا   وقلت. كفوا فهتك الأسـرار التـوبي
في عشـق غانيـة في طرفهـا حـور   في ثغرها شنب وجدي مـن الشـنب
فبيت عني بها يا صاح إذ بـرزت   وغبت إذ حضرت حقا ولم تـغـب
وصرت فردا بلا ثـان أقـوم بـه   وأصبح الكل والأكوان تفخـر بـي
وكـل معانـاتي معناهـا وصـورتها   كصورتي وهي تدعى ابنتي وأبـي[42]

---

[41] المصدر السابق. م III. (ج 5). ص 230.

[42] الحسن بن عدي II. الديوان. نقلاً عن ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. م I. ص 335؛ تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 37؛ الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 90؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 79؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج I. ص 157. علماً أنه توجد نسخة من ديوانه في خزانة أحمد ملالي قرية همدان في سنجار. الديوه جي (سعيد). المصدر نفسه. ص 78.

ومن خلال هذه الأبيات يتبين تطور في عقيدة القوم حيث نجد مزجاً بين العقيدة الإسلامية والفكر الصوفي المتوارث في كامل المنطقة. خاصة أنه توجد أرضية لذلك بسبب معتقدات الأسلاف القديمة من زرادشتية ومانوية ومسيحية وآثارها باقية إلى الآن[43] كما تبدو الأبيات واضحة المعاني حيث تتضمن بعض أفكاره الغالية (المتطرفة) في وحدة الوجود كالحلاج وابن العربي. فنرى من خلال أحد أبياتها كلمة الكون / الأكوان وهي مربوطة بعبادة الكواكب ونجدها عند اليزيدية التي أعادت إحيائها من جديد عن معتقدات الزرادشتية علماً أن نظام الكواكب مربوط برؤساء اليزيدية الروحانيين[44] حسب عقيدة التناسخ والتقمص[45] التي يؤمن بها هؤلاء القوم منذ عهد بعيد ففي "مصحف رش" المقدس نجد نظام الكواكب السيارة وعلاقتها بأيام الأسبوع وارتباطها بخلق الآلهة اليزيدية[46] وتقمصها في أشخاص من "آل الشيخ عدي".

ومن أشعاره التي وردت في وحدة الوجود والحلول :

لا تمـزج الـراح بالمـاء الـزلال فمـا   يجـوز أن تمـزج الصـهباء بالمـاء
لأنهـا ولـدت في الأصـل منـه ومـا   يجــوز تــزوج أبنــاء بآبــاء
واسمع حـديث كلامـي إنـي رجـل   ما كان يعرف شرب الراح لولائي
منهـا خلقـت ومـني كـان منشـؤها   وقـد تمـازج أباهـا بآبـائي[47]

ومع كل ذلك تبقى سيرة الشيخ "تاج العارفين" غامضة قليلة المراجع التاريخية ولم نر من الآراء إلا رأي أعدائه والمخالفين له في العقيدة، ولكن هذا لا ينفي طموح الشيخ حسن شيخ العدوية للحصول على مكاسب دينية تأهله

(43) راجع الفصل الأول من البحث في أديان المنطقة.

(44) مصحف رش (II -III-IV-V-VI-VII-VIII-IX).

(45) كتاب "الجلوة". الفصل I : 4، الفصل II : 12.

(46) راجع مصحف رش (II -III-IV-V-VI-VII-VIII-IX)؛ جورج (حبيب). المرجع السابق. ص 21 ـ 23.

(47) ابن عدي II (حسن). الديوان. نقلاً عن صديق الدملوجي. المرجع السابق. ص 91 ـ 92.

"للتريس" والتوسع على حساب الأجوار سواء في إربل التي يحظى فيها العدويون بدعم كبير من حاكمها المعجب بالشيخ عدي الأكبر والذي يخشى في نفس الوقت أن يثير حساسيات مذهبية قد تسبب له خسارة إمارته وهو ما جعله يقدم المال للشيخ حسن مقابل مغادرته لإربل في سنة 627 هـ[48] إضافة إلى تلك الاتهامات التي اتهمه بها البعض كادعائه الألوهية وبأنه متأله[49]. والظاهر أن معنى كلمة "متأله" تحتاج إلى شرح حتى لا نكيل التهم جزافاً على كل صاحب مذهب أو ملة. ومعنى كلمة "متأله" في العربية شديد التنسك والتعبد[50]. وقد قال الزمخشري في أساس البلاغة "فلان متأله: يتعبد وهو عابد متأله"[51]. وحتى في المصادر التاريخية نجد قول المسعودي عن أبن الزبير: "وذلك عند تنسك ابن الزبير وتألهه وإظهاره الدعوة لنفسه"[52]. والمصادر التي ذكرت مثالبه تذكر علمه وحسن أخلاقه وذكائه الحاد وتأثره بالموعظة الحسنة[53] ولذا فإن تشدد خصومه في ذكر مخالفته، مرده الموقف التاريخي للفقهاء الذين اشتغلوا بالتاريخ وبتدوين إحداثاته كالذهبي وابن القاضي شهبة أو بعض الفقهاء المؤرخين الذين تذكرهم المصادر الناقلة عنهم بدون أن نعرف أي ذكر لهم كابن الساعي الشافعي[54].

---

(48) ابن المستوفي، المصدر السابق. ق ا، ص 117.

(49) الدملوجي (صديق)، المرجع السابق، ص 48؛ جواد (مصطفى). "نقد كتاب اليزيدية لصديق الدملوجي". مجلة المجمع العلمي العراقي. الجزء ا من السنة الأولى 1950. ص 359.

(50) المعجم الوسيط، إنجاز معجم اللغة العربية بالقاهرة. طبع دار الدعوة استنابول / تركيا. ج ا، ص 25.

(51) نقلاً عن مصطفى (جواد). المرجع السابق. ص 359.

(52) مروج الذهب، المطبعة البهية، القاهرة، 1912، ج اا. ص 95؛ أما في الطبعة المعتمدة في بحثنا فنجد: "وأظهر ابن الزبير الزهد في الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة"، ج ااا، ص 79.

(53) ابن المستوفي. المصدر السابق، ق ا، ص 117؛ الذهبي، المصدر السابق. ج V، ص 183؛ ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق،_م ا. ص 335؛ ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م ااا، (ج 5). ص 229 ؛ مصطفى (جواد)، المرجع السابق. ص 360.

(54) راجع جواد (مصطفى)، المرجع السابق، ص 361.

ولهذا يمكننا القول أن اشتغال الحسن بن عدي II بالمجادلات الدينية وغيبته عن أتباعه الأكراد ثم اشتغاله بالمصنفات الصوفية واحتكاكه بكبار مشايخ عصره وأهمهم الشيخ محي الدين بن عربي. دفع في نفسه الاجتهاد خاصة وأن كتابه: "الجلوة لأرباب الخلوة" وما يتضمنه من مسائل صوفية متعمقة ومن تشديد صارم على إتباع مسلك عمه الأكبر عدي I [55] هو الذي دفع أتباعه ومريديه إلى الغلو لا إلى الهرطقة[56] الدينية خاصة بعد احتجابه عنهم وهذه الغيبة مهما طالت أو قصرت فلها وقع وتأثير خاص وبالتالي لا يمكننا القول أن الحسن بن عدي II وضع انقلاباً طرقياً لتحقيق مصالح ومآرب ذاتية ولكن لا يخلو الأمر من وجود طموح لدى الحسن لما يتوفر فيه من دهاء وشخصية قوية. وجميع الأسباب البعيدة والقريبة قد تؤهله لتحقيق ذلك.

أما مواقف "علماء الظاهر" ونعني بهم الفقهاء و"ممثلي السلطة" في تنفيذ أحكامها الشرعية وغيرها والتي وجب علينا التحفظ منها في بعض الأحيان فقد تعددت فتاوي هذه الطائفة:

أولها: حين وصول الشيخ حسن إلى "مشيخة الزاوية العدوية" حيث عالج فيها الشيخ الإمام أبو حامد محمد بن يونس أموراً رفعت إليه حول بدايات المروق والشذوذ عن أصول الإسلام[57].

أما ثانيها: الفتوى المنسوبة إلى الشيخ ابن جميل (أبو فراس عبيد الله بن شبل بن أبي فراس) (ت 725 هـ / 1325 م) الذي ألف كتاباً عام 725 هـ / 1324 م سماه "في الرد على الرافضة واليزيدية المخالفين للملة الإسلامية المحمدية"[58] وفيه ذكر لغالاتهم في مشايخهم وخاصة في شخص يزيد أي بداية ابتعادهم عن جادة المنهج السني القويم.

---

(55) FRANK (R), op. cit., P 69 ; GUEST (J. S), Survival among the Kurds, P 19.

(56) جواد (مصطفى). المرجع السابق. ص 362.

(57) أوردها ابن المستوفي. المصدر السابق. ج I. ص 117 ـ 121.

(58) العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 81 ـ 84. جواد (مصطفى). المرجع السابق. ص 363. عواد (كوركيس). المرجع السابق. ص 6. ; LESCOT (R), op. cit., p 37 ; BOIS (Thomas), op. cit., P 213.

وأما ثالثهما: فلابن تيمية الذي اتهم الشيخ عدي I وانتقده لمبالغته في تعظيم الشيخ عدي I ويزيد واعتبر أن كل حادثة في الطائفة اليزيدية مصدرها الشيخ حسن فكتب رسالته السابعة إلى الطائفة العدوية[59]

فهل أن ما أقدم عليه "تاج العارفين" الحسن بن عدي II يعد تعميقا لفكر الغلاة وتنظيرا جديدا لتحقيق طموحات معينة فيصبح هو بمثابة الشخصية التي تكسب جميع المشجعة على ذلك: أنصار. إيديولوجيا. نسب. مذهب (طرقي). مجال جغرافي للدعوة والتحرك ولذلك عمل على المغالاة في أشياخ عائلته وخاصة عدي I المؤسس ويزيد الذي هيأته الظروف (التطاحن المذهبي والطائفي) ليكون رمزاً لهذه الطائفة وأن تحمل اسمه ولو باطلاً...

أم أن الذي أقدم عليه الشيخ حسن وهو الذي آمن بالحلول وبفكرة وحدة الوجود الصوفية جعله ينفتح على التراث القديم إذا علمنا أن المناهل "الطرقية" لا تخجل من الأخذ من أي مدرسة قديمة وبدون تحفظ. فبذور الزهد الأولى موجودة في جميع الأديان وفي كل العقائد من (إسلامية. مسيحية. يهودية. هندسية. بوذية. ومزدكية...) والتصوف المتطور عن الزهد بنظرياته الفلسفية الخارجة حادث كل الحدوث في الطرق والمذاهب الإسلامية وهو طبعاً خارج عن المنهج الإسلامي لأنه نابع من الغنوصية الشرقية والغربية[60] التي تشتمل على نزعات مختلفة ومتباينة فنرى فيها تعدد الآلهة والوسطاء ونشتم فيها نزعة التوحيد ونزعة الحلول والتناسخ ووحدة الوجود وهذا نلحظه بشكل خاص في اللاهوت الهندي[61]. وهذا النظام الديني الاجتماعي يسمح بالعقائد المختلفة. ولا شك أن لهذا مدخله في وحدة الأديان عند الحلاج الذي ذهب مذهبه الشيخ محي الدين بن عربي. فتعدد الآلهة عند القدماء يقابله تعدد الأقطاب والصلحاء عند المتصوفة وانفراد أحدهم بالسيادة "التي انفرد بها الشيخ عبد القادر

---

(59) مجموعة الرسائل الكبرى. ج I. ص 262 ـ 317. ; LESCOT (R), op. cit., p 37 ; BOIS (Thomas), op. cit., P 213 ; GUEST (J. S), op. cit., p 25 - 26

(60) محمود (عبد القادر). الفلسفة الصوفية مصادرها ونظريتها ومكانها من الدين والحياة. دار الفكر العربي. القاهرة / مصر. 1966 ـ 1967. ص 2.

(61) محمود (عبد القادر). المرجع السابق. ص 10.

الجيلاني عن أولياء زمانه وأقرها الجميع له بمن فيهم الشيخ عدي الأكبر" قدمي هذه على رقبة كل ولي لله"[62].

وأما تناسخ الأرواح (الحلول والانتقال) التي اعتمدتها الصوفية فنراها واضحة عند الشيخ حسن "تاج العارفين" بشكل أساسي، ومصدرها هندي حيث يرى الهنود أن الأرواح لا تموت ولا تفنى "ولكنها تنتقل من بدن إلى بدن من الأرذل إلى الأفضل دون عكسه لتترقى النفس في الكمال حتى يتحقق شوقها"[63]. ولا ننسى هنا التأثيرات الفارسية التي تعتبر المؤثر الأساسي في الكرد (العدويين / اليزيديين)، خاصة أن كلتا الأمتين اعتنقت نفس الديانة (المجوسية). ولها تأثيرها الخاص في مجمل حركة التصوف الإسلامي، ولذا لا نشك في أن الفلسفة الدينية عند المتصوفة جميعا هي مزيج من العقائد الفارسية القديمة. فكل ما ذكره الحلاج في الحقيقة المحمدية، وابن العربي في الإنسان الكامل. وابن الفارض في قدم الروح المحمدي وما ذكره غلاة الشيعة في الفيض عن النور المقدس، تشكل جميعها صور كل زمان معين وما ذكرته المتصوفة عن الأقطاب وأنهم امتداد أسمى لتلك الصور، كل هذا مصدره زاردشتي[64].

ومن خلال كتابي "الجلوة" و"مصحف رش" نجد جميع هذه التأثيرات من تبدل مراكز القبطانية (القطبية) بين أفراد "دار الزاوية العدوية" إلى تناسخ الأرواح وتبدلها من شخص إلى آخر[65]. ولهذا تبقى التأثيرات القديمة أيا كان مصدرها سواء في العدوية كطريقة صوفية أو في اليزيدية ذات الجذور المتثاقفة المختلفة من أحد الروافد الهامة في الفكر الذي آمن به الشيخ حسن بسبب تكوينه الصوفي الجيد وكذلك رواسب المعتقدات القديمة لأتباعه لتي ساهم الانعزال والعلاقات بالقوى المجاورة (الإقليمية) في الحفاظ عليها بل

---

[62] الشطنوفي، المصدر السابق، ص 17؛ جواد (مصطفى)، المرجع السابق، ص 359؛ DEMEERSMAN (A), Op. cit., P 109 – 110.

[63] البيروني (أبو الريحان)، كتاب: ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، كلكتا / الهند، 1958، ص 32.

[64] ترانيم زرادشت، 48 : 12.

[65] راجع كتاب الجلوة، الفصل I : 4؛ مصحف رش : 22 .

وانبعاثها من جديد إضافة إلى تبدل أسماء القدماء بأسماء تلك الفترة درادئيل ==> شمس الدين، ... نورائيل هو فخر الدين كما لعبت عقيدة التناسخ القديمة والإيمان بالحلول ووحدة الوجود الصوفي دوراً في استمرارها.

3. صراع العدوية مع أمير الموصل "بدر الدين لؤلؤ"

في عهد الشيخ حسن "شمس الدين" عرفت العدوية انتشاراً أكبر مقارنة بالأدوار السابقة وكان للطموح الشخصي لكل قائد من العدويين دور بارز في ظهور "الطائفة العدوية" كقوة يحسب لها حساب في قضاء الموصل[66] خاصة بعد تسلم بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي تدبير شؤون إمارة نور الدين أرسلان شاه في سنة 607 هـ / 1211م[67] وكان لانتشار هؤلاء الأكراد العدويين في الأقاليم الجبلية القريبة من الموصل سبب في خلق عديد المشاكل لأجوارهم ناهيك عن تفشي بعض طقوسهم "إحداثاتهم" وموقف الجمهور الإسلامي القريب منهم وإثارته لبعض الثغرات الطائفية ضد مقامات الشيعة[68] وتهديدهم للأمن العام في قضاء الموصل[69].

---

(66) ابن شاكر الكتبي، المصدر السابق، م I، ص 335؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، م III، (ج 5)، ص 229- 230؛ تيمور (أحمد باشا)، المرجع السابق، ص 36؛ GUIDI, op. cit., P 417 ; LESCOT (R), op. cit., P 102.

(67) ابن الأثير، المصدر السابق، ج XII، ص 122؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج IV، قسم 1، ص 358؛ الرويشدي، المرجع السابق، ص 4 - 5.

(68) حادثة إخراج رفات الشيخ ابن الحداد والتمثيل بالمقبرة. ابن المستوفي، المصدر السابق، ق I، ص 117.

(69) ابن شاكر الكتبي، المصدر السابق، م I، ص 335؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، م III، (ج 5)، ص 230؛ العزاوي (عباس)، المرجع السابق، ص 47؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 47؛
LESCOT (R), op. cit., P 36-102 ; BOIS (Thomas), op. cit., P 213 ; PATTON (D), op. cit., P 64.

فما هي أسباب تحرشات الأتابك بدر الدين لؤلؤ؟ هل هي حول المجال؟ أم هي مذهبية؟ أم سياسية مبطنة بالصراعات المذهبية؟

أ- نفوذ الزاوية العدوية يقلق أتابكية الموصل

كانت العدوية في فترة زعامة الشيخ حسن "للزاوية العدوية بلالش" في ملاذ من أي تدخل من دار الخلافة ببغداد وكانت تعيش أسوأ أحوالها. فالخلفاء حبيسو غرفهم. قد استبد بهم المماليك. وتكاثرت إمارات الأطراف ولهذا عاشت "الجماعات النابية" من العدويين في المناطق النائية نوعاً من الحكم الذاتي وربما استبد برؤسائها نوع من الطموح والغرور للحصول على مكاسب سياسية أو لإعادة أمجاد غابرة للأمويين بحكم النسب ولما لا يرى الحسن شمس الدين في نفسه "السفياني".

كل ذلك لا يسعنا معرفته إلا من خلال البحث والتنقيب في المصادر الشحيحة عن تلك الأوضاع. وللأسف فهي تميل لطرق دور آخر ولهذا لم نغنم منها بما يفيد موضوع بحثنا هذا. فقد كان الشيخ حسن يتمتع بنفوذ واسع بين طوائف الأكراد وكان بدر الدين لؤلؤ حذراً منه حتى قبل أن يسيطر على مقاليد الحكم في الموصل بشكل نهائي[70] لأنه يعلم مسبقاً أن أتباع الشيخ حسن من العدويين الأكراد يبالغون ولا يعصون له أمراً[71] خاصة

---

[70] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 117 ; ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. م ا. ص 335. الجلبي (داوود). "الملك بدر الدين لؤلؤ". مجلة سومر. ج ا/ المجلد الثاني. كانون الثاني 1946. ص 26.

GUEST (J.S), op. cit., P 21 ; LESCOT (R), op. cit., P102 ; Patton (D), op. cit., P 64.

[71] ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. م ا. ص 334; الجلبي (داود). المرجع نفسه. ص 27. الرويشدي. المرجع نفسه ص 32 ; GUEST (J.S), op. cit., P 21.

بعد أن أصبحت الجماعات في عهد الشيخ من الغلاة[72] وسجل البعض عنها نوعا من الانحراف عن ظاهر الدين الإسلامي[73]. لذا كان بدر الدين لؤلؤ ذلك العبد الأرمني غير مرتاح لهذه الطائفة ولا من انتشارها في الوسط الكردي. ومن هنا وجب علينا التعرف على شخص بدر الدين لؤلؤ قبل الخوض في صراعه مع الطائفة العدوية.

■ بدر الدين لؤلؤ، نشأته

هو مولى واسفسلار[74] الكبير العادل الكامل الأسعد المقبل بدر الدين لؤلؤ عضد الإسلام وسيد الأمراء حسام أمير المؤمنين[75]. أو السلطان الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأرمني والأتابكي[76] أصبح مملوكاً لدى الملك نور الدين أرسلان شاه الأتابكي صاحب الموصل (589 ـ 607 هـ / 1193 ـ 1211 م)[77] وتربى هذا المملوك تربية إسلامية لذلك سمي ببدر الدين لأنه من أصل أرمني مسيحي وقربه الأتابكة إليهم ومنحوه تلك الألقاب والامتيازات والرتب. بل إن نور الدين أرسلان شاه ولاه إمارة الجيوش والعساكر وسياسة قبائل المنطقة[78] وبذل هذا المملوك جهودا كبيرة لكسب ثقة الرعية والحكام منذ أن كان مدبرا لدولة نور الدين ابتداء من 27 رجب 607 هـ / 16 جانفي

---

(72) ابن تيمية. المصدر السابق. ج I. ص 300؛ الجلبي (داوود). المرجع نفسه. ص 27؛ الرويشدي. المرجع نفسه ص 32؛ LESCOT (R), op. cit., p 34-35 ; BOIS (Thomas), op. cit., P 212.

(73) الخزرجي (أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس). العسجد المسبوك في تاريخ دولة الإسلام وطبقات الخلفاء والملوك. نسخة مصورة موجودة في مكتبة المجمع العلمي العراقي. ج II. الورقة 170. نقلاً عن الرويشدي. المرجع السابق. ص 32.

(74) أي مقدم العسكر. وهو لفظ مركب من مقطعين. الأول فارسي بمعنى المقدم. والثاني تركي بمعنى العسكر. انظر القلقشندي. المصدر السابق. ج VI، ص 7 ـ 8.

(75) ابن الأثير. التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل. ص 203.

(76) ابن الفوطي. المصدر السابق. ص 52.

(77) ابن كثير. المصدر السابق. ج XIII. ص 214.

(78) ابن الأثير. التاريخ الباهر. ص 204.

1211 م[79] نظراً لصغر ولي العهد الملك القاهر عز الدين (607 ـ 615 هـ / 1211 ـ 1218 م) وبعد وفاة الملك القاهر المفاجئة أوصى بالملك لابنه الأكبر نور الدين أرسلان شاه II (615 ـ 616 هـ / 1218 ـ 1219 م) وجعل الوصي عليه بدر الدين لؤلؤ[80]. واستطاع بدر الدين لؤلؤ التخلص من آخر ملك أتابكي ناصر الدين محمود بن القاهر (616 ـ 631 هـ / 1218 ـ 1233 م) ونصب نفسه ملكاً مستقلاً واعترف به الخليفة العباسي المستنصر (623 ـ 640 هـ / 1226 ـ 1242 م) وأرسل له خلعة السلطنة ولقبه بالملك الرحيم[81].

وأصبح بذلك بدر الدين لؤلؤ مستقلاً بشؤون الموصل وما يخشاه هو القوى الإقليمية التي قد تهدد استقرار الأمن في الموصل ومن ثم تهدد مملكته لذلك عمل على إتباع سياسة داخلية متميزة أهم قواعدها المحافظة على الأمن الداخلي وذلك بالقضاء على الفتن والثورات الداخلية والدسائس والمؤامرات وكذلك أن يظهر بمظهر القوي وتوجيه الأنظار نحوه والقضاء على نفوذ الأتابكة. ودعم خزينة إمارته بالأموال المتأتية من الضرائب على حساب العناصر والفئات والطوائف الدينية المختلفة والتي تؤلف في مجموعها سكان قضاء الموصل.

ب- طبيعة علاقة بدر الدين لؤلؤ بالعدويين

اتسمت علاقة العدوية بالأتابك بدر الدين لؤلؤ بالتوتر والاضطراب. ولكن لا نجد في المصادر المتوفرة أسباباً لصراع العدوية مع حاكم الموصل غير أن انتشار الغلو في هذه الجماعة الصوفية خاصة في عهد الشيخ حسن شمس الدين واتخاذهم المناطق الجبلية القريبة والمحيطة بالموصل ساحة لأنشطتهم

---

(79) ابن الأثير. المصدر السابق. ص 197 ـ 198؛ PATTON (D), op. cit., P 11.

(80) ابن واصل. المصدر السابق. ج III. ص 262.

(81) ابن العبري. المصدر السابق. ص 249؛ GUEST (J.S), The Yezidis, P19 ; Patton (D), op. cit., P 33.

الدينية الغالية جعل بدر الدين لؤلؤ يأمرهم في 627 هـ بأن لا يقربوا الزاوية ويعين أحمد بن أبي البركات عم حسن شمس الدين في مشيخة الزاوية[82].

وكما أسلفنا القول في كيفية انتهاكهم لحرمة مقبرة الشيخ الصالح أبي أحمد المعروف "بابن الحداد" الذي كان بينه وبينهم في حياته شحناء عظيمة قد يكون لها أسباب مذهبية متعلقة بمغالاة العدوية في يزيد وأن للشيخ ابن الحداد أصولاً علوية، وسبق أن اعتدى عليه بعض أتباع الزاوية وأدموه بشكل بليغ. فقام أبو المنصور قايماز بن عبد الله بحبس بعض العدويين وتأديبهم[83]. وعندما تفشت للعلن بدع هذه الطائفة استدعاهم بدر الدين لؤلؤ إلى الموصل. فقدموا إليه في جمع عظيم وخيل كثيرة، فأخذها منهم[84]. ومن ثمة بدأ يبحث عن كيفية كسر شوكتهم والقضاء على زعامتهم. وكما كان لقيام بعض فرسان العدوية بالغزو ونهب المدن والقرى ما يبرر لصاحب الموصل التصدي لهم، كما يظهر أن هؤلاء كانت لهم أطماع مادية من جراء تحرشاتهم بالأقوام والجماعات المجاورة، أضف إلى ذلك قوة شخصية بدر الدين لؤلؤ التي جعلته يقف بالمرصاد أمام كل قوة صاعدة قد تهدده ولهذا كان يخشى من الشيخ "حسن شمس الدين" ونجاعته بسبب قوة نفوذه بين مريديه وأتباعه من الأكراد[85] الذين يتزايدون بشكل ملفت للانتباه، ربما لانفتاح الشيخ حسن شمس الدين "تاج العارفين" على المعتقدات القديمة[86] وبالتالي تحريكها لمشاعر عديد الأكراد الذين عدوا من أتباع "الزاوية العدوية" نضيف إلى ذلك دعم صاحب إربل "مظفر الدين كوكبري" للشيخ حسن

---

(82) ابن المستوفي، المصدر السابق، ق ا، ص 117.

(83) ابن المستوفي، المصدر السابق، ق ا، ص 117.

(84) ابن المستوفي، المصدر السابق، ق ا، ص 117.

(85) ابن شاكر الكتبي، المصدر السابق، م ا، ص 335؛ الذهبي، المصدر السابق، ج ٧، ص 183؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 30؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 82؛ الجندي (محمود)، المرجع السابق، ص 48؛ GUIDI, op. cit., P 417 ; LESCOT (R), op. cit., P 102 ; GUEST (J.S), op. cit., P 21.

(86) إجراءات الحاكم بأمر الله الفاطمي في بناء عقيدة التوحيد متمثلة في توحيد عقيدة رعايا الخلافة الفاطميين مع الانفتاح على المعتقدات القديمة وهذا ما نجده عند جماعات الدروز.

وأتباعه نظرا لإعجابه الشديد بالشيخ عدي الأكبر ولأنه كان يرى في هذه المجموعات الكردية أنها تنفذ بعض مخططاته في القضاء على مملكة بدر الدين لؤلؤ أو إضعافها خاصة بعد أن أرسل إليه الخليفة العباسي المستنصر في سنة 631 هـ خلعة السلطنة وتقليده ولاية الموصل[87].

لذا عمل بدر الدين لؤلؤ على تحين الفرص للقضاء على حسن شمس الدين وأتباعه وقد تسنى له تحقيق ذلك سنة 644 هـ / 1246 م حيث "قبض عليه وحبسه ثم خنقه بوتر بقلعة الموصل"[88]. وحسب إشارة الخزرجي لم يستطع بدر الدين لؤلؤ القبض على الشيخ الحسن إلا بعد استنجاده بفرسان من الأكراد ألحقوا الهزيمة بأتباعه[89].

وتواصلت عمليات الأكراد العدوية ضد الموصل خاصة بعد قتل إمامهم الذي أصبح يمثل المنقذ المنتظر لهم وكانوا يعتقدون برجعته. وقد تجمعت عندهم "نذور وزكوات"[90] وهم ينتظرون خروجه وما يعتقدون بمقتله[91] ومع ذلك نجد ضريحاً ثالثاً في الزاوية العدوية بلالش[92] تحت إحدى القباب المخروطية. يقولون أنه "للشيخ حسن".

---

[87] ابن خلكان. المصدر السابق. ج II. ص 418 ؛ الرويشدي. المرجع السابق. ص 39 ؛ PATTON (D), op. cit., P 31.

[88] ابن تيمية. المصدر السابق. ج I. ص 300؛ ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م III. (ج 5). ص 229؛ تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 36؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 47؛ داود الجلبي. المرجع السابق. ص 26؛ الحسني (السيد عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 30؛ السحمراني (د. أسعد). المرجع السابق. ص 66؛ GUIDI, op.cit., 1932, P 417 ; LESCOT (R), op. cit., P 20 - 21 ; E.I^2. ADI B. MUSAFIR, op. cit., T I, P 201.

[89] العسجد المسبوك. ج II. ص 184. نقلاً عن الرويشدي. المرجع السابق. ص 34.

[90] راجع فصل المهدوية.

[91] ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. م I. ص 335؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 38. 85؛ الجندي (محمود). ما هي اليزيدية. ص 48؛ BOIS (Thomas), op. cit., P 213.

[92] GUEST (J.S), op. cit., P 38 - 40 ؛ انظر مخطط الزاوية العدوية صورة رقم II ؛ الحسني (السيد عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 37.

لأجل ذلك وحفاظا على قوة وهيبة الدولة في الموصل، فرض عليهم بدر الدين لؤلؤ ضرائب مثقلة وألزمهم بدفع الأموال مما دفعهم إلى رصّ الصفوف وإعلان العصيان والتمرد عليه وإعلان الدعوة حيث أطلقوا ألسنتهم عليه فأرسل لهم جيشا في سنة 652 هـ / 1254 م استطاع إلحاق الهزيمة بهم. فأسر منهم "جماعة وصلب بدر الدين لؤلؤ منهم مائة وذبح مائة وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم (المقصود به الشيخ حسن الذي خنقه حيلة) وتعليقها وأرسل من نبش قبر الشيخ عدي وأخرجه من ضريحه وأحرق عظامه"[93].

ج- أسباب الصراع ودوافعه

ذهب الأستاذ سعيد الديوه جي إلى أن الشيخ حسن بن عدي II كانت له نوايا لبعث أمجاد أجداده الأمويين وتكون مناطق الموصل نواتها الأولى. لكن المصادر المعاصرة لتلك الأحداث لم تذكر أدنى إشارة إلى تلك المحاولة. إذ ليس من المنطقي الاعتراف بسعيهم لتأسيس دولة أموية في شمال العراق على غرار تلك التي أسسها عبد الرحمان الداخل بالأندلس[94]. بمجرد أن نسب "دار الزاوية العدوية" ينحدر من الفرع المرواني للأسرة الأموية.

---

[93] ابن تيمية. المصدر السابق. ج I. ص 300؛ ابن الفوطي. المصدر السابق. ص 271؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 46 ـ 47؛ الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 68؛ جواد (مصطفى). المرجع السابق. ص 363؛ الجلبي (داود). المرجع السابق. ص 27؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 85؛
GUIDI, op. cit., P 417 ; LESCOT (R), op. cit., P 102 ; GUEST (J. S), op. cit. P 21 ; PATTON (D), op. cit., P 65 ; E.I^2, op. cit., vol I, P 102.

[94] ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله). التكملة لكتاب الصلة. تحقيق كوديرا. مدريد 1967. ج I. ص 315؛ ابن عذارى (المراكشي). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وإليفي بروفنسال. الدار العربية للكتاب 1983. ج II. ص 42 ـ 46؛ بدر (د. أحمد). تاريخ المغرب والأندلس. مطبعة الأماني بدمشق. 1411 هـ / 1991 م. ص 101 ـ 103.

ويبدو أن لدى بدر الدين لؤلؤ وجهات نظر خاصة في تبرير قمعه الشديد والمتواصل لأتباع "الطريقة العدوية". وهناك احتمالات بإمكاننا طرحها لتبيان دوافع وأسباب هذا الصراع منها:

▪ الصراع حول المجال

كان بدر الدين لؤلؤ ذلك المملوك الأرمني يطمح في استرداد ما ذهب من ملك الأتابكيين (الأتابكة) فعمل على الاستبداد بالسلطة منذ 631 هـ بالحفاظ على ما بين يديه والتوسع على حساب جيرانه. فنصبين "ودارا" و"قرقيسيا" أصبحت تابعة للملك الناصر يوسف (634 ـ 658 هـ / 1237 ـ 1260 م) صاحب حلب ففي سنة 647 هـ / 1247 م أرسل بدر الدين لؤلؤ حملة عسكرية إلى إمارة حلب لإخضاعها ومنها الاستيلاء على الأراضي التابعة لها في الجزيرة وإقليم الجبال[95].

وبما أن مملكة بدر الدين لؤلؤ انحصرت في الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر وجبال الهكارية التي وزعت على خلفائه من بعده[96]. فإن إربل التي كانت بقيادة مظفر الدين الكوكبري قد استعصت عليه. وفي الحقيقة فإن ما أقدم عليه بدر الدين لؤلؤ ضد أتباع الطائفة العدوية لم يتم إلا بعد وفاة صاحب إربل في 14 رمضان 630 هـ / 24 جوان 1233 م. الذي حافظ على استقلالية إربل أيام أطماع أتابكة الموصل[97].

وكانت بلاد الهكارية وجبالها تابعة لنفوذ وسيطرة الموصل مع تمتع هذه المناطق باستقلالية ذاتية في تعيين "شيخ الزاوية" وفي التصرف في مواردها

---

(95) أبو الفداء، المصدر السابق، ج III، ص 181.

(96) أبو الفداء، المصدر السابق، ج III، ص 198؛ الجلبي (د. داوود)، المرجع السابق، ص 27؛ PATTON (D), op. cit., P 70 -71.

(97) ابن خلكان، المصدر السابق، م IV، ص 113 ـ 121؛ ابن العبري، المصدر السابق، ص 249؛ ابن الفوطي، المصدر السابق، ص 44 —50؛ ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 36؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج XIII، ص 135؛ PATTON (D), op. cit., P 32 – 33.

وكان مذهبها الديني الشافعي مواليا للخليفة العباسي في بغداد[98] ويعتبر أول تدخل في الشؤون الداخلية لهذه الزاوية في سنة 627 هـ بعدما بدأت تظهر عديد البدع في عهد الحسن شمس الدين، فعين عمه "أحمد بن أبي البركات" على مشيخة الزاوية[99].

لم يكن من مصلحة أتابكية الموصل محاربة العدويين بحكم أنهم من الراجعين إليها بالنظر وكانت كذلك تحتاج إلى الآتاوات المفروضة عليهم في السابق (أي قبل 644 هـ) لمداخيل خزانة الدولة. وهنا فإن المنطقة والمجال الذي وقعت عليه هذه الفتن كانت تابعة لقضاء الموصل ولم نجد في مصادرنا أي نية عند العدويين منذ تأسيس زاويتهم وإلى مقتل الشيخ حسن شمس الدين لإعلان دولة أو الاستقلال بمنطقة خاصة بهم.

▪ الصراع المذهبي

إن أساس تكوين ونشأة الزاوية العدوية في "لالش" هو الاستقرار في مناطق بعض الأنصار وفي طريق تجارية هامة، وكذلك هو هروب من السيطرة الفاطمية في بلاد الشام[100] قبل أن يخضع للحكم الأيوبي.

وبما أن هؤلاء الكرد كانوا على أتباع مذهب الإمام الشافعي وقد درس شيخهم وإمامهم الأكبر بالنظامية فهم من أهل السنة والجماعة وحتى قبل مجيء عدي بن مسافر كان مسلكهم الديني يرضي جميع الأطراف لذلك امتدحهم ابن تيمية[101] قائلاً "... وفيكم من أولياء الله المتقين من له لسان صدق في العالمين فإن قدماء المشايخ الذين كانوا فيكم مثل الملقب بشيخ الإسلام الهكاري...". ولهذا لم نسمع عن مغالاة في الشيخ عدي I حسب ما

---

(98) اا. ماط الذي أقامه الخليفة العباسي على شرف أرباب الزوايا الصوفية ومن بينهم الشيخ عدي بن مسافر؛ ابن الوردي، المصدر السابق، ج اا، ص 63 ـ 64.

(99) (راجع ما سبق) رواية ابن المستوفي، المصدر السابق، ق ا، ص 117.

(100) GUEST (J.S), The Yezidis, P 15؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 17؛ (راجع ما سبق).

(101) المصدر السابق، ج ا، ص 273.

أوردته المصادر التي اطلعنا عليها في ترجمته فيما أن عقيدة الشيخ عدي مؤسس الطريقة لا تنحرف عن "الإسلام الرسمي للدولة" وفيها من عقائد المتصوفة الكثير. وبما أن خلفاء الشيخ عدي بدأوا في عهد مشيخة تاج العارفين "حسن" فقد أعلنوا مغالاتهم بشكل أكبر في الشيخ عدي باعث هذه الطريقة وفي يزيد الذي اعتبروه من القدسيين بل وضعوه في مصاف الأنبياء[102]. وبمرور الزمن تطورت الطائفة العدوية التي كان أساسها صوفياً لتصبح حركة دينية مغالية ترى الإمامة والصلاح في يزيد بن معاوية. كما أن الخزرجي قد ذكر أن في عقيدة اليزيدية زمن الشيخ حسن شمس الدين "انحراف ظاهر عن الدين الإسلامي وله كتاب آخر فيه تصانيف لا يمكن النطق بها"[103].

ويرى البعض أن الخطوة التي أقدم عليها بدر الدين لؤلؤ اتخذت مظهراً دينياً وذلك تحقيقاً لسياسته التي رسمها في قمع الانتفاضات الداخلية لحفظ النظام العام ولاستتباب الأمن[104] غير أنه يمكن القول أن حركتهم الدينية المتطرفة ومغالاتهم في عقائدهم انحرفت عما هو مألوف فيهم زمن الشيخ عدي الأكبر[105] ولكن الملفت للنظر هو الانقلاب والتحول الكبير الذي طرأ في عقيدة المملوك الأرمني بدر الدين فتنشئته الأولى عندما جلب كرقيق لديار الإسلام وهو صغير السن ربي تربية إسلامية ولذلك سمي بـ "بدر الدين" ثم أصبح مملوكاً لنور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل (589 ـ 607 هـ / 1193 ـ 1211 م) وكانت العامة تلقبه بـ"قضيب البان" لجماله وتدينه على المذهب الشافعي كسيده[106] وبعدما أصبح مدبراً للأتابكة الصغار وسيطر

---

(102) ابن تيمية. المصدر السابق. ج I. ص 300. 302. الجلبي (داود). المرجع السابق. ص 27.

(103) العسجد المسبوك. ج II. الورقة 170. نقلاً عن الروشيدي. المرجع السابق. ص 32.

(104) الروشيدي. المرجع السابق. ص 33.

(105) ابن تيمية. المصدر السابق. ج I. ص 273. 300؛ مؤلف مجهول. "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية". ص 572 ـ 573.

(106) ابن كثير. المصدر السابق. ج XIII. ص 214؛ الجلبي (داود). المرجع السابق. ص 23؛ الروشيدي. المرجع السابق. ص 25 ؛ PATTON (D), op. cit., P 8 .

عليهم وجدنا تحولا كبيرا في عقيدته إذ أصبح يهتم بشكل كبير بشيعة الموصل ويقربهم إليه. بل عمل على رعاية شعائرهم وصيانة مؤسساتهم. وقد أشارت المصادر إلى إرساله كل سنة إلى مشهد الإمام علي بالنجف "منديلا ذهبا قيمته ألف دينار"[107] وشجع المؤلفين والكتاب بوضع مؤلفات عن مناقب علي بن أبي طالب وذريته وأمر الدعاة من الشيعة الاثني عشرية بعقد مجالس "العزاء" أيام عاشوراء والتحدث في مناقب آل البيت[108]. بل أقدم على تحويل مدارس الأتابكة المتعصبين للمذهب السني (شافعي أو حنبلي حسب نشأة الملك وهو صغير)[109] إلى مراقد ومشاهد وأضرحة لأبناء الإمام علي بن أبي طالب[110] وقام ببناء وتشييد مراقد جديدة فشيد في سنة 637 هـ / 1240 م مرقد "يحي بن القاسم"[111]. إضافة إلى طمسه معالم العهد الأتابكي. وكان هدفه من كل ذلك مجاراة الخليفة العباسي الناصر لدين الله (575 هـ ـ 622 هـ / 1180 م ـ 1225 م) الذي كان له ميل للشيعة الإمامية[112] وصاحب الموصل الجديد كان في أمس الحاجة للحصول على تأييد وموافقة دار الخلافة ببغداد ضد أطماع بقية الأتابكة الطامعين في الوصاية والسيادة على قضاء الموصل. بل إن بدر الدين لؤلؤ كان أكثر ميلاً ـ إن لم نقل تطرفاً ـ في موالاته للشيعة الاثني عشرية للحفاظ على توازن سياسته الداخلية فجذب شيعة الموصل إلى صفه وطمس أي أثر للأتابكة. وبسبب توجهه المذهبي الجديد. وتفشي مخالفات وهرطقات العدوية (طبعاً حسب أراء الفقهاء آنذاك) ولما تمثله من خطر على أمن الموصل وما جاورها

---

(107) ابن كثير. المصدر السابق. ج XIII. ص 214.

(108) البغدادي. كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب. ج II. ص 274؛ ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م III (ج V). ص 100.

(109) ابن الأثير. التاريخ الباهر. ص 191؛ الذهبي. دول الإسلام. ج II. ص 84. بل ذهب ابن الأثير إلى أن عماد الدين زنكي كان حنفيا شديد التعصب لمذهبه ويكثر من ذم فقهاء الشافعي بنى مدرسة بسنجار وشرط أن يكون البواب والفراش على المذهب الحنفي؛ الكامل. ج XII. ص 55.

(110) العمري (ياسين بن خير الله الخطيب). منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء. تحقيق سعيد الديوه جي. مطبعة الهدف. الموصل 1965. ص 100 ـ 103.

(111) العمري. المصدر نفسه. ص 106 ؛ PATTON (D), op. cit., P 64 – 68.

(112) ابن طباطبا. المصدر السابق. ص 308؛ السيوطي. تاريخ الخلفاء. ص 516 ـ 517.

شن بدر الدين لؤلؤ حملاته لقمعهم ودرءاً لأي خطر مستقبلي يحدث منهم وكذلك نجد بوناً شاسعاً بين الإيديولوجية السياسية والمسلك المذهبي لبدر الدين لؤلؤ الأرمني وشيخ العدوية الحسن شمس الدين الأموي.

فالأول يسعى إلى دعم الوجود الشيعي في الموصل بإجراءاته التي ذكرناها آنفا وكذلك تدعيم موالاة الأهالي لآل البيت النبوي في منطقة عدت تاريخيا إقطاعاً موالياً للأمويين وحلفاء لهم لذلك شجع على كتابة التاريخ وفيه فضائل ومناقب آل البيت وتذكير بفظائع مقتل الحسين بن علي في كربلاء. فقد ذكر الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف الشيعي (المتوفى 658 هـ / 1260 م). أن بدر الدين لؤلؤ قد كلفه بوضع مؤلف في مناقب الإمام علي وهو الكتاب الموسوم "كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب"[113] وأيضاً في تبيان أحقية آل البيت في الخلافة بعد الرسول. وعن مقتل الحسين. وأما الثاني وهو ذو الأصل الأموي ووارث طريقة صوفية فقد دخل بها في نوع من الشذوذ لا يعتبر غريباً عن المتصوفة لكن غرابته تبدو في تعظيم وتقديس أناس أمثال معاوية وابنه يزيد وقد تكون أكثر غرابة في مجتمعات ذاكرتها حية ومتواصلة خاصة لدى الشيعة وبالتالي فإن الخلاف المذهبي العقائدي هو الذي أفاض الكأس عند "الملك الرحيم" ومن هنا نجد إشارة ابن تيمية القائلة "وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسنا وجرت فتن لا يحبها الله ولا رسوله"[114] ومن هذا المنطلق لا يمكننا القول أن الشيخ حسن الدين يدعو إلى تجديد "الدعوة الأموية" بمجرد إعلانه حبه ليزيد بن معاوية وتبرئته مما نسب إليه من فظائع الأعمال التي يعتبرها الجميع نقطة سوداء في التاريخ الإسلامي قاطبة لا في حكم يزيد فقط. بل أن هناك كثيرين عملوا على تبرئة يزيد وأهمهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي اعتبر فضائله في المحاولة الفاشلة لفتح القسطنطينية - وهي في الحقيقة عمل دعائي لأغراض سياسية أكثر منه تجميلاً لصورة يزيد "العربيد" أمام الرأي العام المسلم

---

[113] ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م III (ج V). ص 100؛ الروشيدي. المرجع السابق. ص 25.

[114] المصدر السابق. ج I. ص 300. الجلبي (د. داود). المرجع السابق. ص 23.

وخاصة خصومه على منصب الخلافة ـ [115] تمحو سيئاته[116] وهنا فقد تتعارض مخططات الشيخ حسن شمس الدين في الزاوية العدوية بلالش والملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ ولكن هذا الأخير لم يعمل على نشر التشيع وحب آل البيت النبوي بهدف محاربة الدعوة الأموية لأنه قد سبق في سياسته المذهبية التقرب من الشيعة في بنائه المشاهد ومجالس العزاء ـ وقراءة مناقب آل البيت النبوي ـ الفترة التي تولى فيها تاج العارفين "مشيخة الزاوية العدوية".

وكتب ضياء الدين بن الأثير (توفى 637 هـ / 1240 م) في إحدى رسائله على لسان بدر الدين لؤلؤ للخليفة العباسي الناصر متقرباً منه يخبره فيها بموقف مظفر الدين كوكبري صاحب إربل من الخلافة فقال: "وهو في هذا المقام ردف للحكم الأموي[117] (والد الخليفة الأموي مروان I) في مجاهرة رسول الله بتخلجه وتفلجه وهجوه على حرماته وكلاهما غير مراقب ما يراقب مثله من المخافة، فذاك في الاستهزاء بالنبوة وهذا في الاستهزاء بالخلافة"[118].

نجد في هذه الرسالة مجاراة للخليفة العباسي الناصر المعروف بميولاته الشيعية لإظهاره كراهيته للحكم بن العاص الأموي جد الخلفاء المروانيين وتعتبر كذلك دليلاً واضحاً على الميولات الشيعية لمدبر أتابكية الموصل بدر الدين لؤلؤ وتاريخ الرسالة هو قبل وفاة الخليفة الناصر العباسي (622 هـ)، بينما توفي عدي II والد الحسن شمس الدين في سنة 625 هـ[119] وهكذا يكون بدر الدين لؤلؤ قد سبق الشيخ الحسن بن عدي II في نشر فضائل آل

---

[115] وقد أعلن الكثيرون أنهم لا يوافقون على ترشيح يزيد بن معاوية لخلافة والده وكان أكبر المعارضين حماسة الحسين بن علي وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمان بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن الزبير، ابن الأثير، المصدر السابق، ج III، ص 506 وما بعدها؛ العاقل (نبيه)، دراسات في تاريخ العصر الأموي، ص 46 ـ 47.

[116] المصدر السابق، ج I، ص 303 ؛ سؤال في يزيد بن معاوية، ص 14.

[117] المقريزي، النزاع والتخاصم، ص 25.

[118] ابن الأثير (ضياء الدين)، رسائل ابن الأثير، تحقيق أنيس المقديسي، دار العلم للملايين، بيروت / لبنان، 1959، ص 72.

[119] ابن المستوفي، المصدر السابق، ق I، ص 116.

البيت وذكر مساوئ الأمويين وبالتالي لم تكن ميولاته الشيعية بغرض محاربة شيخ الزاوية العدوية ذي الأصل الأموي.

نصل بذلك إلى أن هذه الصراعات السياسية والمذهبية ليست لها عدة أوشحة وكلها تصب في خانة واحدة ألا وهي تحقيق المصالح الشخصية لكل طرف. فشيخ الزاوية الأموي له طموحاته وإن كانت محدودة وغير واضحة بالشكل الذي يجعلنا نحكم عليه بإحياء الدعوة الأموية. في الوقت الذي نجد فيه المد الشيعي في الموصل يزداد قوة وانتشاراً مما ساهم في تأجيج نار الصراعات المذهبية والتي كانت لها خلفيات تعود إلى صدر الإسلام والدولة الأموية وقد عمل كل طرف على استغلالها لمصالحه الآنية لا غير.

4. خلفاء الشيخ حسن

أ- الشيخ فخر الدين بن عدي II

اعتمد عليه أخوه الشيخ "حسن شمس الدين" في تصريف شؤون الزاوية خاصة في تلك الفترة التي انقطع فيها عن القوم. فكان مرجعهم الروحي ونائبا للشيخ الأكبر فيهم. ولذلك عدوه من الآلهة المقدسة عندهم وقد ورد اسمه في كتاباتهم المقدسة واعتبروا يوم السبت هو يوم خلق الملك نورائيل (فحر الدين)[120] ورتبته السابعة في نظام الآلهة اليزيدية (آلهة الأجداد) ومصدر هذا الإله هو النور لأنه كان ينورهم ويشرح لهم تعاليم الشيخ حسن في طور "الغيبة والاحتجاب"[121] التي دامت ست سنوات[122] كما عدوه من آلهة النور والخير (الأهورمازدا) وهذا يدخل في الثنائية المجوسية "النور

---

(120) مصحف رش: VIII. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 92.

(121) الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 80.

(122) ابن طولون. ذخائر القصر. نقلا عن أحمد تيمور باشا. المرجع السابق. ص 37.

والظلمة أصلان متضادان"[123] أو ثنائية أهورمازدا إله الخير أو يزدان وأهريمان إله الشر. وهما مبدآ موجودات العالم على حد قول الشهرستاني[124] وإله المعرفة اليزيدي / العدوي نورائيل هو الذي خلق الإنسان والحيوان والطير والوحش وتنسب إليه كرامات تتجاوز حد العقل والمنطق فعلى يديه وببركته أصبح للكون نظاما[125] مع أن الذاكرة اليزيدية (علم الصدر) أعطت للشيخ فخر الدين العدوي أهمية ومكانة الإله السابع إلا أن المصادر التاريخية لم تبحث ولم تهتم به بمثل اهتمامها بأخيه وبقية آل مسافر الآخرين. وقد انحصرت الرئاسة الدينية في ذرية الشيخ فخر الدين بحكم دوره الكبير إبان غيبة الشيخ الأكبر حسن شمس الدين في شرح تعاليم وقواعد الطريقة فهو الناطق بلسان أخيه ومكمن أسرار الدعوة ولذلك حظي أولاده وذريته من بعده بمكانة عظيمة فحصروا منصب "بابا الشيخ" فيهم فكانوا أصحاب المرجعية الفقهية فيما أشكل من أمور الدين عندهم (سنراه في طبقات اليزيدية). وبعد وفاة الشيخ حسن الأليمة انقسمت أمور المشيخة. فالرئاسة الدنيوية بقيت في ذرية الشيخ حسن إلى منتصف القرن 11 هـ / 17 م[126]. ومن ثم آلت إلى أولاد الشيخ أبي بكر وهو في الحقيقة أبو البركات بن صخر لأن المصادر لم تعرف قرابته بهذه الأسرة ولا كيف أصبح له ضريح في مقر الزاوية بجوار الشيخ الأكبر عدي I[127] ومن هنا تبين لنا أولاً خطأ في النطق عندهم بحكم

---

(123) الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 237.

(124) الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 237.

(125) مصحف رش: XI، GUEST (J. S), The Yezidis, P 32.

(126) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 100؛ والقبيلة التي يرجع أصلها اليوم إلى الشيخ حسن تعنى بتنظيم المجتمع اليزيدي والحفاظ على نقاء ديانته. وتدريب العوالين. وبعض هذه الأسر يعيش في قرية "ابحزاني" قرب بعشيقا شرقي الموصل في شمال العراق. وفيها مزارات ومنازل لرؤساء وشيوخ. التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 27؛ وأصل كلمة باحزاني أراه مؤلف من لفظتين "بيت ـ حزياني" أي محل الرؤية والمشهد؛ فرنسيس (بشير) وعواد (كوركيس) "نبذة تاريخية في أسماء الأمكنة العراقية". ص 253.

(127) راجع في الملاحق مخطط الزاوية العدوية. صورة II؛ GUEST (J. S),op. cit., P 38 - 39، وقد تكون حجة ذرية الشيخ أبو بكر / أبو البركات في توليتهم إمارة اليزيدية. تنصيب جدهم أحمد بن أبي البركات على يد بدر الدين لؤلؤ في سنة 627 هـ عندما بدأت بعض بدع الشيخ حسن تظهر للفقهاء آنذاك (راجع ما سبق).

أنهم غير عرب وثانيا أننا وجدنا سابقة في خلطهم للأسماء فالحسن بن عدي II هو نفسه "الحسن البصري" عندهم[128]. وأما الرئاسة الدينية فقد بقيت في ذرية الشيخ فخر الدين بن عدي II[129].

وقبل أن يستولي الجمود على هذه الطريقة الصوفية ودخولها في هرطقاتها المعروفة. لم تكن هناك مشاكل في تقسيم المهام الدينية والدنيوية، ولكن بعد حملات القمع التي تعرضت لها العدوية من أتابكية الموصل في فترات متتالية وبعد أن كانت مشيخة الزاوية وراثية منذ وفاة الشيخ عدي واعتقاد اليزيدية الرئاسة العامة في أمرائهم التي كانت أشبه بالخلافة (الإمامة) عند أغلب الفرق الإسلامية، تغير الوضع واكتسبت الإمارة شكلاً دنيوياً فأصبحت منحصرة في ذرية الشيخ حسن بينما كانت الإمامة/الرئاسة الدينية منحصرة في ذرية الشيخ "فخر الدين" (نورائيل) ففي العدد رقم 964 بتاريخ 2 أفريل / نيسان 1931 من مجلة الوقائع العراقية وهي الجريدة الرسمية للحكومة تؤكد هذا التقسيم وتعيين "الأمير سعيد بيك بن علي بيك أوقاف الشيخ عدي" لأجل ذلك نذهب إلى التقسيم اليزيدي الرسمي لهذه المهام المنحصرة في أبناء الأعمام من ذريتي الشيخ حسن والشيخ فخر الدين: فالرئيس للأمة اليزيدية (تحول كبير من طائفة أو جماعة صوفية إلى مجموعة تحمل مقومات الأمة) هو أمير من شيعتهم يسمونه أمير الشيخان[130]. ولهذا الأمير سلطة مطلقة على اليزيدية. ويساعده أمراء ثانويون يخضعون له ويبلغون أوامره إلى جميع النواحي. وكان رئيسهم الديني الأعلى الشيخ الأكبر ويدعونه "بابا الشيخ"[131] وتوجد تحت يديه جملة من الشيوخ يتلقون أوامره في متعلقات

---

[128] مؤلف مجهول. "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية". ص 579؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص37 ؛ GUEST (J. S), op. cit., P 32.

[129] الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 92.

[130] الشيخان : تقع في شمال شرق الموصل على مسافة 45 كم وأهم قراها ببيت عذري. الصائغ (سليمان)، تاريخ الموصل، ج ا. ص 296.

[131] العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 40.

الدين، وللشيخ الأكبر فقط حق التشريع في الأمور الدينية كتحديد الصوم والصلوات والتحريم وأوامره كلها مطاعة[132].

ب- الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ شمس الدين

لم يذكره اليزيديون في كتاباتهم المقدسة. ولم يترجم له أحد عدى ابن العبري الذي تحدث عن دوره مع السلطان عز الدين كيكاوس من سلاجقة الروم. وكنا علمنا جميعا أن الشيخ عدي لا عقب له ولهذا لا يمكن أن يكون الشيخ شرف الدين إلا الابن البكر للشيخ حسن شمس الدين "أبو محمد"[133] وحسب النقيشة الموجودة على باب الزاوية العدوية بالقرافة في مصر فإننا نجد نسب زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد بن الحسن بن عدي بن أبي البركات[134] والظاهر أنه ولي الزعامة بعد مقتل أبيه سنة 644 هـ وقد عرف بشجاعته لذلك عينه السلطان عز الدين كيكاوس بن غياث الدين من سلاجقة الروم[135] على "خرتبرت"[136] في سنة 655 هـ / 1257 م كما عين هذا السلطان على "ملطية" أحمد بن بلاس الذي قتل في نفس السنة أما شرف الدين العدوي فقد رحل من "خرتبرت" إلى "قونية" لملاقاة السلطان عز

---

(132) الصائغ (سليمان). المصدر السابق. ج ١. ص 296 ـ 297؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 40.

(133) ابن المستوفي، المصدر السابق، ق ١، ص 116؛ ابن شاكر الكتبي، المصدر السابق، م ١، ص 334.

(134) السخاوي. تحفة الأحباب. ص 190 ـ 192؛ تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 39، 48 ـ 49؛ BOIS (Thomas), op. cit., P 213.

(135) كان مقر دولتهم في قونية (بتركيا حالياً).

(136) معروفة باسم خربوت وأصل اسمها أرمني وهي في المنطقة المعروفة بحصن زياد في أقصى ديار بكر واسمها بالتركي (Elâzig)؛ تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 38؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 27؛ GUEST (J. S), op. cit., P 22

الدين فأدركه القائد المغولي "أنكورك نوين" (Angourk Nowin) فقتله هو ومن معه[137] وقد اشتهر شرف الدين عند اليزيدية بأنه قديس ويعتقد به أهل سنجار كثيرا وله مزار عند قمة جبل "شليحران" وله مزار آخر أكبر في أسفل الجبل[138].

في تلك الأثناء تعرض المشرق الإسلامي إلى موجات بشرية متدفقة أتت على كل شيء أمامها وعرفت "بالغزو المغولي" وكان ذلك في القرن السابع الهجري أي في سنة 616 هـ / 1219 م حيث أخذت جيوش "جنكيز خان" تعبر نهر سيحون لتهدد الدولة الخوارزمية[139] وقد كانت الأرضية مهيأة بحكم الانحلال والتفكك الذي كان يسود العالم الإسلامي مما مهد لانتشار الجيوش المغولية في الأقاليم الإسلامية الشرقية واستباحتها وإبادة سكانها[140]. وقد استطاعت هذه الجيوش التقدم بفتوحاتها صوب إيران وبعد وفاة جنكيز خان سنة 1227 م بدأ المغول الكرة من جديد في غزو مملكة "جلال الدين الخوارزمي" فاكتسحوا ديار بكر وملطية ومدن العراق الشمالية كإربل وسنجار. وفي سنة 633 هـ / 1235 م[141] كان صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ يتوجس مخافة الخطر المغولي ومع ذلك فقد كان همه وشغله الشاغل الأكراد العدوية فقد سجن في 644 هـ / 1246 م شيخهم "الحسن شمس الدين" بقلعة الموصل كما أنه تحالف مع المغول وزوّج ابنه من أميرة مغولية لإدراكه القوي لتعاظم الخطر المغولي واستفحاله. وكان يرى أيضاً

---

(137) ابن العبري. المصدر السابق. ص 466؛ تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 38 ـ 39؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 93؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 27؛
E.I.², ; GUEST (J. S), op. cit., P 22 ; BOIS (Thomas), op. cit., P 213
OP. CIT.,T I, P201

(138) التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 27.

(139) ابن الأثير. الكامل. ج XIII. ص 161؛ الحموي (ياقوت). المصدر السابق. ج III. ص 858.

(140) النسوي (محمد بن أحمد). المصدر السابق. ص 113.

(141) ابن كثير. المصدر السابق. ج XIII. ص 144. ابن تغري بردي. المصدر السابق. ج VI. ص 393.

أوضاع المسلمين الضعيفة وانشغالهم بمشاكلهم الشخصية ومنازعاتهم الداخلية. وفي سنة 652 هـ / 1244 م قام الملك الرحيم "بدر الدين لؤلؤ" بخطوته الجريئة في استرضاء المغول بأن يكون قيما لهم في مملكته وفي عديد الأقاليم الأخرى كالشام وغيرها لجلب الأموال فعمل بهذا الإجراء لحماية إمارته من أي خطر وتقديم العون لهم[142].

كما أن الجيوش المغولية التي انساحت بين سنتي 639 ـ 640 هـ / 1241 ـ 1242 م في الأناضول وبلاد الروم[143] وهزمت الأتراك السلاجقة فصالحهم السلطان غياث الدين على دفع الجزية ولم يستطع عز الدين السلجوقي الصمود أمام القائد المغولي "بايجو" (Baju) بسبب صراعه مع أخيه "ركن الدين" مما اضطره إلى الانهزام وفراره لاجئاً إلى القسطنطينية وقد نصّب المغول "ركن الدين" سلطانا في سنة 1257 م موالياً لهم وعبر عز الدين بن غياث الدين الحدود وأرسل في سنة 655 هـ رسولا إلى "هولاكو" شاكيا له تصرفات قائده "بايجونوين" (Baju) فأمر "هولاكو" أن يتقاسما المالك وآنذاك ظهر عز الدين واستحوذ على "قونية" بينما مضى الأخ الثاني "ركن الدين" إلى معسكر "بايجونين" وأراد عزالدين السلجوقي الاستعانة بالقائد شرف الدين وابن يلاس فأقطعهما ملطية وخرتبرت وذلك للاستعانة بعساكر من الأكراد والتركمان والعرب[144].

وقد أرسل بدر الدين لؤلؤ لإظهار إخلاصه "لهولاكو" ابنه ركن الدين إسماعيل على رأس ألف فارس لنجدة "هولاكو" في حصار بغداد[145] وسقطت حاضرة العالم الإسلامي ودمرت أبشع تدمير في 10 فيفري ـ شباط 1258 م فاحتل المغول دار الخلافة وأسروا الخليفة المستعصم الذي قتل خنقاً بين الزرابي وذلك لأن المغول كان لديهم خوف موروث مصدره خرافي في إراقة

---

(142) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج VIII، ص 48.

(143) ابن العبري، المصدر السابق، ص 251.

(144) ابن العبري، المصدر السابق، ص 468؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج V، ص 562؛ تيمور (أحمد باشا)، المرجع السابق، ص 38؛ GUEST (J. S), The Yezidis, P 223 – 224.

(145) ابن العبري، المصدر السابق، ص 135؛ الرويشدي، المرجع السابق، ص 251؛ GUEST (J. S), op. cit., P 22.

الدماء الملكية[146] وفي هذه الأثناء توفي الملك الرحيم بدرالدين لؤلؤ في 3 شعبان 657 هـ / 26 جويلية 1259م وخلفه ابنه ركن الدين إسماعيل[147].

إن سقوط بغداد وما صحبه من زوال الخلافة العباسية التي كانت لا تزال لها بعض الهيبة والنفوذ الروحي، أنتج كثيراً من الهيجان والثورات في بلاد ما بين النهرين. فقد ثارت ثائرة المسيحيين النساطرة منهم واليعاقبة، الذين كانوا كثيري العدد خصوصاً في المناطق الشمالية من البلاد وفي بغداد وكذلك الشيعة الذين كانوا يعيشون بصورة رئيسية في الجنوب. وقد أطلق "هولاكو" لجنوده وسواهم حرية التصرف ضد جميع أهل السنة من المسلمين كما كان هو نفسه متأثرا بالمسيحية ومتعاطفا مع المسيحيين ضد المسلمين بفضل زوجته المسيحية "دوقوز خاتون"[148] والقائد "غونويان المغولي" الذي كان محبا للنصارى[149].

ولم يضع حدا للغزو المغولي سوى المماليك في مصر الذين أوقفوا الاجتياح المدمر وأنقذوا هيبة الأمة الإسلامي في "عين جالوت" بتاريخ 13 سبتمبر 1260 م، وانتهت بانهزام جموع المغول الغزاة وقد حارب المماليك تحت قيادة "قطز" و"بيبرس"[150]، وكانت هزيمة المغول نقطة تحول في التاريخ، إذ أنها أوقفت المد المغولي وأكدت استمرار استقلال مصر. وبعد معركة "عين جالوت" قتل "بيبرس" "قطز" فأصبح في محله سلطاناً ودخل القاهرة بأكاليل النصر، وبذلك أصبحت دولة المماليك قوة موازية للمغول وحصناً واقياً للمسلمين ولكي يدعم "بيبرس" سلطته عمل على إحياء الخلافة العباسية باستقباله أحد أفراد الأسرة العباسية[151] وقد شغل هذا العباسي دور المتسلط

---

(146) زكار (سهيل)، المرجع السابق، ص 269 ـ 270، GUEST (J. S), op. cit., P 22 - 23

(147) ابن العبري، المصدر السابق، ص 279

(148) ابن الفوطي، المصدر السابق، ص 337، ابن كثير، المصدر السابق، ج XIII، ص 214، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج VII، ص 70، PATTON (D), op. cit., P 64

(149) FIEY (J.M.O.P), op. cit, P 46 - 47 ; BOIS (Thomas), op. cit., P 214

(150) ابن العبري، المصدر السابق، ص 284، ابن الفوطي، المصدر السابق، ص 345 ـ 347، GUEST (J. S), op. cit., P 23 -24

(151) أبو الفداء، المصدر السابق، ج III، ص 212 ـ 213، ابن خلدون، المصدر السابق، ج V، ص 382، السيوطي، المصدر السابق، ص 545.

الديني إذ كان يبارك جميع مخططات "بيبرس"[152] ومع هذا الإدعاء العباسي للخلافة في القاهرة فقد حصل هذا الخليفة على الموافقة الفورية من قبل بعض الأمراء في شمال الهند وغيرها[153]. ومع ذلك فإن سلطة خليفة المسلمين الجديد لم تكن تمثل الدعم الدائم والمتواصل لسلطة المماليك في فترة السيطرة العثمانية على مصر في سنة 1517 م[154].

وبمجرد انصهار المغول في الحضارة العربية الإسلامية وإعلانهم الإسلام كدينهم الرسمي فقد أعلن "قازان" (Ghazan) ابن "هولاكو" إسلامه وعمل على نشره بين صفوف "القبيلة الذهبية" وقام بتهديم كنائس النصارى وبدأت النصرانية تنهار في العراق خلال القرن 13م[155]. وبدأ المغول ينصهرون مع الشعوب الإسلامية فبعد الحروب الدامية بدأت مشاريع الترابط الاجتماعي بين الغزاة والمعتدى عليهم وكان أحد أفراد عائلة الشيخ عدي الكبير قد تزوج من امرأة مغولية وهرب معها إلى مصر في سنة 675 هـ / 1276 م مما سبب انشقاقاً بينه وبين أخيه الأكبر الذي رحل إلى سورية[156]. وفي سنة 680 هـ / 1281 م وفي طريق عودته إلى العراق قتل هذا الأخ المتنفض والرافض لهذا الزواج من قبل المغول في تلك المعارك الجارية بينهم وبين المماليك[157] وقد سجل قسماً من أحداث هذه المجموعة العدوية بلالش المؤرخ أبو الفرج بن العبري المعاصر للأحداث الجارية هناك.

---

(152) أبو الفداء، المصدر السابق، ج III، ص 213؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج V، ص 383؛ زيتون (د. عادل)، المرجع السابق، ص 30 ـ 31.

(153) زكار (سهيل)، المرجع السابق، ص 371 ؛ GUEST (J. S), The Yezidis, P 23

(154) زكار (سهيل)، المرجع السابق، ص 372 .

(155) BOIS (Thomas), op. cit., P 214; FIEY (J.M.O.P), Chrétiens Syriaques sous les Mongoles, Louvain, 1975, P 66 - 68; GUEST (J. S), op. cit., P 22

(156) HEBRAEUS (Bar), Chronograph, ed. Bedjann trans. Budge, Oxford 1932, vol I, P 453-454, 456; BOIS (Thomas), op. cit., P 214 ; E.I.^{2}, op. cit., vol I, P 201 .

(157) HEBRAEUS (Bar), op. cit., P 464 ; BOIS (Thomas), op. cit., P 214 ; E.I^2. OP. CIT., vol I, P 201

ج- زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد العدوي وزين الدين حفيد عيسى بن أبي البركات

لم يذكر العدويون في كتبهم المقدسة حفيد الشيخ حسن شمس الدين كما ذكروا جده شمس الدين وقد عرف باستقامته وابتعاده عن هرطقات جده الطرقية وقال عنه السخاوي: "كان له بداية ونهاية وسياحة وتجريد وتحقيق وتدقيق ومعرفة في طريق القوم. وكان رجلاً صالحاً"[158] وعلى نفس طريقة عمه الأكبر الشيخ عدي بن مسافر وكان بعيداً عما كان عليه جده الحسن شمس الدين ويعتبر امتداداً لمنهج الطريقة الأرثوذكسية[159]. وحسب ما هو مسجل في نقيشة الزاوية يالقرافة توفي زين الدين يوسف في سنة 697 هـ والغريب في الأمر أنه يوجد شخص من عائلة عدي بن مسافر يحمل نفس الاسم. فالذي ذكره السخاوي في "تحفة الأحباب" نعته بنعوت جليلة أما الذي ذكره المقريزي في الخطط أنه "وفد من الموصل إلى الشام فأكرم وأنعم عليه بإمارة كبيرة ثم تركها وانقطع في قرية بيت فار"[160] وهي القرية التي ولد فيها الشيخ عدي الأكبر وابن أخيه "أبو البركات صخر II" قبل انتقالهم إلى لالش بجبل الهكارية. وقد عاش زين الدين حياة ملوك ويستبعد أن يكون قد دفن بالقرافة في مصر. ولم تذكر سيرته بخير فقد انغمس في اللهو والملذات. بل إن إحدى نساء الطائفة القيمرية[161] أو من القيامرة ـ وهم من

---

[158] تحفة الأحباب. ص 190. المقريزي. المصدر السابق. ج III. ص 623.

[159] ابن حجر العسقلاني. الدرر الكامنة من أعيان المائة الثامنة. حيد آباد الدكن. 1348 هـ. ج I. ص 414. تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 39. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 94.

GUIDI, op. cit., P 419 ; LESCOT, op. cit., P 106 ; GUEST (J. S), op. cit., P 26 ; GEOFFORY (Eric), op. cit., P 230 ; E.I². op. cit., vol I, P 201

[160] المقريزي. المصدر السابق. ج III. ص623. تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 40. E.I². op. cit., vol I, P 201.

[161] القيمرية أو القيامرة: جماعة من أعيان وأمراء الأكراد منسوبون إلى قيمر وهي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط. ولأحدهم المدرسة القيمرية بدمشق وهي معروفة بهذه التسمية وتسمى هذه المدرسة اليوم بمدرسة القطط وتلفظ عند الشوام (القطاط). تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 40.

أعيان الأكراد ـ قد ساعدته بأموال طائلة على تحقيق بعض طموحاته في طلب الملك والجاه[162]. ولذلك نجد الباحث العراقي سعيد الديوه جي يرى أنه يوجد شخصان يحملان نفس الاسم: الأول حفيد الشيخ حسن شمس الدين كما هو معروف لدينا والثاني هو من ذرية عيسى بن أبي البركات. فقد جاء في حوادث سنة 681 هـ / 1282 م في يوم عرفة قبض بدمشق على زين الدين من ذرية الشيخ عيس بن أبي البركات[163] حسب مرسوم ورد من الديار المصرية من عند السلطان سيف الدين قلاوون[164]. فزين الدين الأول هو حفيد الشيخ حسن بينما زين الدين الثاني هو من أبناء عم الشيخ حسن شمس الدين وله مطامح سياسية. وقد التبس أمرهما على المؤرخين فجعلوهما شخصاً واحداً ونقلت أخبار الشيخين بتداخل.

وقد حظي زين الدين الثاني بمكانة هامة عند أهل الشام إلى درجة أصبحت فيها الدولة الأشرفية في أول عهدها تشك في نواياه تجاهها فأرسل إليه الأمير "علم الدين سنجر الداودر" ليحلفه وليعرف مدى ولائه للقيمين على هذه الدولة فتجاهلهم بالهالة التي وجد عليها وقد وصفها المقريزي بدقة[165].

وحسب الظاهر فزين الدين هذا يعتبر من المخططين للانقلاب على المماليك خاصة بعد تواجده في قرية أجداده واتخاذه من بيت العائلة في "بيت فار" "دار الزاوية" مزاراً لأصحابه فأخذ يستعد للمطالبة بالملك وعديد الأكراد العدوية عاكفون عليه يقدمون له الدعم وكما هو معلوم فإن بلاد الشام تواقة لأي أموي ينقذها من التدهور الذي تمر به. ودخلت دعوته طوراً آخر حيث انتقل إلى

---

(162) المقريزي. المصدر السابق. ج III. ص 623؛ تيمور (أحمد باشا)، المرجع السابق. ص 40.

(163) أبو البركات هو ابن صخر | أخو الشيخ عدي وهو الذي قدم من بيت فار بالبقاع إلى عمه الشيخ عدي الأكبر بلالش (لأنه يوجد خلط في الأسماء فبعضهم يعتبر أبو البركات وعدي إخوة).

(164) من المماليك البحرية حكم ما بين (678 ـ 689 هـ / 1280 ـ 1290 م). يلقب بـ"المنصور" وكذلك "الألفي" فيقال "المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي". وقد جلس على كرسي السلطنة بعد خلعه للصبي "سلامش" ابن الملك "الظاهر". أبو الفداء. المصدر السابق. ج IV. ص 12 ـ 13؛ يوزورث (كليفورد أ.). الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي. ترجمة حسين علي اللبودي. مؤسسة الشراع العربي. القاهرة. 1995. ص 99.

(165) المقريزي. المصدر السابق. ج III. ص 623 ـ 624؛ تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 41؛ الديوه جي. المرجع السابق. ص 96 ـ 97؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق. ص 28. E.I^2. OP. CIT., vol I, P 201 ; BOIS (Thomas), op. cit., P 214.

دمشق مهد الخلافة الأموية واتصل بأرباب الحكم فيها فمال إليه بعض الأمراء الذين مناهم بإقطاعات وأموال ومنهم الأمير عز الدين أبيك كرجي "أمير علم". والأمير ناصر الدين محمد بن عز الدين ايدمر النائب. وبسرعة علم الملك سيف الدولة قلاوون بأمرهم فأرسل إلى نائبه في الشام يأمره باعتقالهم جميعا وإرسالهم إلى مصر حيث سجن هناك وله أشعار سوف نذكرها ربما قد تساعدنا على معرفة أصول معتقداتهم. ولزين الدين الثاني ابن اسمه عز الدين[166].

ومن أشعاره في الحنين إلى موطن الصبا بلالش حيث الأحبة والأهل والأنصار:

قـف علـى لالـش وحـي الطلـولا | وأخـــبراهم عـــني وســـم وقـــولا
أنـــتم ســـادتي ومـــالي ســـواكم | حـــاش لله أن أحيـــد عـــنكم بـــديلا
هـــل تـــرى مخـــبرا لأولاد عمـــي | عن غريب في السجن أضحى ذليلا[167]

وله قصيدة يتوسل فيها بالشيخ عدي يقول:

يـا إلهـي بالمصـطفى سـيد الرسـل | وبعـــدي صـــاحب البرهـــان
هل عسى؟ هل عساك تجمع شملي | في حمى لالش وعيشي هاني[168]

وهذه القصيدة فيها روح إسلامية صوفية ولذا يمكننا القول أن زين الدين الثاني لم يتأثر بشطحات ابن عم أبيه الشيخ حسن كما يتضح لنا من بعض الأبيات، وبعد النكبات المتكررة بين سنوات 644 هـ و652 هـ على يدي بدر الدين لؤلؤ أتابك الموصل نجده ينصح الجماعة العدوية بضم الشمل وتوحيد الكلمة واتباع تعاليم الشيخ حسن طالباً الخلاص لقومه على يدي ولي

---

(166) اليونيني (قطب الدين أبو الفتح موسى محمد بن أخمد). ذيل مرآة الزمان. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد / الهند. 1954. ج IV. ص 148؛ المقريزي. المصدر السابق. ج III. ص624؛ تيمور (أحمد باشا). اليزيدية. ص 40 ـ 41؛ الديوه جي. المرجع السابق. ص 98

(167) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 98؛ الديوه جي. المرجع السابق. ص 98 ـ 99

(168) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 98؛ الديوه جي. المرجع السابق. ص 98 ـ 99.

صالح / المهدي العدوي أو "المنتظر" لتحقيق آمالهم وتحويل معاناتهم والظلم الذي عاشوه إلى عدل:

فاسأل ربي أن يحل بأرضكم   وليا يسليكم عن الأهل والشجن
ويوضح ما قد غاب عن كل عارف   تحفظه ميراث من جده حسن
ويكشف عن أسرار قوم تقدموا   رمتهم يد الأقدار في أعظم المحن
ويشرح منها كل ما هو ظاهر   ويوضح من أسرارهم كل ما بطن[169]

د- عز الدين بن الشيخ زين الدين الثاني العدوي

خلف الشيخ عز الدين أباه في الشام بعدما قبض عليه من قبل نائب السلطان سيف الدولة قلاوون. وكان من عظماء الأمراء ولقب "أميران عز الدين"[170] أي أمير الأمراء.

أخذ عز الدين يجمع أصحابه ويتصل بأفراد الزاوية العدوية ومريديها ويحثهم على جمع الكلمة فصار أرباب الدولة الأشرفية يتحذرون منه ولذلك عينوه على دمشق. ثم صفد، ثم أعيد إلى دمشق مرة أخرى. ولما رأى هذا من الدولة. اعتزل الحكم وأقام بالمزة[171] متفرغا للدعوة السرية في الانقلاب على المماليك. فأقبل عليه الأكراد من كل بلد وباعوا كل ما يملكون واشتروا الخيل والسلاح. وبدأ "تنكر" نائب السلطان بالشام في التحقق من أمرهم وتتبع أخبارهم خاصة بعد اجتماعهم بأرض "اللجون" وقد بادر السلطان الأشرف خليل بتتبع "فقراء الزاوية العدوية" بالقرافة في مصر[172]. ومن هنا نستشف الدور السياسي الذي لعبته "الزاوية العدوية" في مصر حيث كانت مركز

---

(169) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 98 ـ 99، الديوه جي. المرجع السابق. ص 100.
(170) المقريزي. المصدر السابق. ج III. ص 624.
(171) من ضواحي دمشق .
(172) المقريزي. المصدر السابق. ج I. ص 624 ؛ تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 41، الديوه جي (سعيد). المصدر السابق. ص 101 ؛ E.I². op. cit., vol I, P 201.

تجمع فقراء ومريدي العدوية ولهذا أغلقها السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة 733 هـ / 1333 م ، بعد سجن عز الدين وتفريق الأكراد[173].

وكان هدف أنصار عز الدين العدوي ملك مصر وملك اليمن، فأقلق ذلك السلطان الذي قمع حركتهم[174]. أما صاحب "الدرر الكامنة" فقد أورد حوارا بين "تنكر" نائب السلطنة بدمشق و"عز الدين العدوي":

"وكتب تنكز بكشف أحوالهم. فأرسل إلى عز الدين المذكور فسأله عنهم فقال: يريدون أن ينفردوا بالملكة. فقال ما السبب؟ فقال هذا شيء تخيلوه في نفوسهم فقال: لما لا تمنعهم؟ قال: هم يعتقدون فيّ وفي جميع أهل بيتي"[175].

ولذا يمكنا القول أن هدف العدويين بعد نجاح الشيخ المؤسس في استقطاب الأنصار هو البحث عن نفوذ سياسي، لم ينجح مع أجيال لالش بسبب قمع السلطة بالموصل لهم، ولكن عمل أنصارهم ومريدوهم من الأكراد في بلاد الشام ومصر زمن المماليك على تحقيق ذلك.

ومن هنا نستنتج أن "الطائفة العدوية" تحولت من طريقة صوفية سنية إلى حركة سياسية تطالب بالملك خاصة في عهدي الشيخين شرف الدين II وعز الدين ابنه ولولا سرعة قمع السلطة لمخططاتهما لكان لهما شأن آخر. والغريب في الأمر هو سرعة استمالتهما للأمراء وكبار رجالات الدولة لتحقيق مآربهما وأهدافهما وحماية مريديهما تحت ظل ونفوذ هؤلاء القادة ونجد من بينهم الأمير بدر الدين بكتوت الأقرعي المتوفى بدمشق سنة 694 هـ / 1295 م وهو ممن ينتمون إلى الطريقة العدوية حيث تولى "شد الشام" زمن الملك الظاهر بيبرس، وعزل زمن ولده السعيد وعاد إلى منصبه زمن الدولة المنصورية. وقدم الأمير بكتوت أيضا خدمات جليلة لأتباع العدوية في الشام[176].

---

[173] السخاوي، تحفة الأحباب، ص 192. أما ابن حجر العسقلاني فقد ذكر في المصدر السابق، ج I، ص 414 في سنة 731 هـ / 1331 م.

[174] المقريزي، المصدر السابق، ج III، ص 624، تيمور (أحمد باشا)، المرجع السابق، ص 41، الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 102.

[175] ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج I، ص 414.

[176] ابن الجزري (شمس الدين أبي عبد الله محمد القرشي)، تاريخ ابن الجزري، تحقيق د. عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية، صيدا / بيروت، 1419 هـ / 1998 م، ج I، ص 270، تيمور (أحمد باشا)، المرجع السابق، ص 43

5. التموقع الجغرافي للعدوية

كانت نتيجة زهد شيخنا "الصالح" والكرامات والخوارق التي نسبت إليه أن أصبح يمثل الزعيم الروحي لمنطقة هكاري[177] قاطبة. حيث قدسه الأمراء وعامة الناس بل أصبحت للشيخ معرفة شخصية بأمير أربيل مظفر الدين[178].

وكان نتيجة ما بينته النصوص من إجلال وإكبار للشيخ عدي (I) وما كتبه المناقبيون عنه، أن تجاوزت شهرته الآفاق فلم تبق في إطار محلي ضيق في جبال الهكارية أو في شمال العراق فحسب بل امتدت كي تصل إلى العراق وسوريا ومصر[179].

وقد كان لأولئك البسطاء السذج الذين توافدوا على "لالش" للاستقرار قرب "المعلم" و"الشيخ الأعظم"، وكان أغلبهم من الأكراد وهم جماعات من المتحمسين للشيخ عدي، أن مثلوا النواة الأولى للطريقة التي حملت اسم "العدوية" أو جماعة "الشيخ عدي"[180] وأغلب مريدي الشيخ هم أصيلو بقاع ومناطق نائية لعبت الكوارث الطبيعية والأزمات والحروب دورا كبيرا في تشريدهم وفي تأزم أوضاعهم وبالتالي كان لحلول الشيخ عدي بلالش بمنطقة هكاري دور في تجميعهم. فقد عمل على تكوينهم وتربيتهم "تربية المريديين"[181]. وكما هو موجود في ملاحق (Frank) الذي أفرد قائمة اسمية لتلاميذ الشيخ عدي الموجودة مخطوطة "كتاب المناقب. نجد أن عدد مريدي الشيخ وتلاميذه قد بلغ "الأربعين مريدا". وقد كان لبقية مشايخ شيخنا وأصحابه نفس هذا العدد من المريديين فنرى الشيخ مسلمة يذكر أهم مريدي

---

(177) ابن خلكان، المصدر السابق، ج III، ص 254، LESCOT (R),op. cit., P 29

(178) ابن المستوفي، المصدر السابق، ق I، ص 115، أحمد تيمور باشا، المرجع السابق، ص 31، LESCOT (R),op. cit., P 29

(179) LESCOT (R),op. cit., P 29 ; GEOFFROY (Eric), op. cit., P 230

(180) ابن تيمية، المصدر السابق، ج I، ص 262، اليافعي، المصدر السابق، ج III، ص 29، LESCOT (R),op. cit., P 29

(181) ابن الأثير، المصدر السابق، ج XI، ص 289 ، ابن خلكان، المصدر السابق، ج III، ص 254، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج XX، ص 342.

الشيخ عدي ويسجل أن عدد الأتباع والمريدين كان يتكرر بين هؤلاء المشايخ الكبار "لازمه أربعون مريداً ولم يتخرج منهم مثل الشيخ عقيل المنبجي والشيخ عقيل له أربعون مريداً منهم الشيخ عدي بن مسافر والشيخ موسى الزولي والشيخ رسلان الدمشقي..."[182] كذلك نجد هذا الرقم مع أبي الوفاء الحلواني وعلي بن وهب السنجاري[183] ومرد هذا:

أولاً: التقليد بين المشايخ

ثانياً: يلعب الرقم أربعون دوراً هاماً في نظام اليزيدية فـ "القفيران" بجبال الهكارية هم أقرب طوائف اليزيدية للجماعة العدوية الأولى. يصومون أربعين يوماً (سنرى ذلك في شعائر اليزيدية وأسباب ذلك) وحسب كتبهم المقدسة فإن الله قد قضى أربعين ألف سنة في صنع الجوهرة البيضاء[184]. وأن عيسى عليه السلام سيحكم أربعين سنة قبل نهاية العالم[185].

وهؤلاء الأتباع هم البذرة التي عملت على نشر الطريقة العدوية خارج زاوية لالش في المناطق الكردية وغيرها في العراق[186].

أما في بلاد الشام ومصر فإن العدويين قد هجروا مناطقهم مع الهجرات الكردية في إطار الحملات العسكرية الأيوبية ضد الفرنجة[187] وللجماعة العدوية دور باسل ضمن الجيوش الإسلامية الكردية بقيادة صلاح الدين الأيوبي في تحرير سواحل بلاد الشام ولذلك فإن العدوية تمركزت في مجال التواجد الكردي في مناطق جوار حلب وكذلك في دمشق وفي مناطق بعلبك التي ترعرع فيها صلاح الدين الأيوبي في حجر والده أيوب بن شاذي[188] وكان

---

(182) الشطنوفي. المصدر السابق. ص 150 ـ 151؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق. ص 63.

(183) الشعراني. المصدر السابق. ج I، ص 134 ؛ LESCOT (R),op. cit., P 29.

(184) مصحف رش الآية: I؛ LESCOT (R),op. cit., P 29

(185) الثعلبي. المصدر السابق. ص 407؛ LESCOT (R),op. cit., P 29

(186) النبهاني. المصدر السابق. ج II، ص 295 ـ 299؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 68 ـ 69.

(187) ابن تيمية. المصدر السابق. ج III، ص 272 ـ 273؛ BOIS (Th), op. cit., P 212 ; GUEST (J. S), The Yezidis, P 19.

(188) ابن شداد (القاضي بهاء الدين)، كتاب سيرة صلاح الدين الأيوبي. دار الفكر دمشق. (د. ت)، ص 4 ـ 5؛ BOIS (Th), op. cit., P 212; GUEST (J. S), op. cit., P 19.

يتواجد آنذاك أفراد من عائلة عدي بن مسافر بقرية بيت فار. أبناء صخر بن مسافر وقد غادر أبو البركات صخر بن صخر بن مسافر الذي خلف عمه في الزاوية العدوية الأم بلالش[189]. وبالتالي فمن المحتمل أن يكون القائد الكردي صلاح الدين الأيوبي تأثر ببعض مبادئ "العدوية" خاصة وأن منهج الشيخ عدي السني لقي ترحيبا وإقبالا من قبل الأكراد[190] الذين بدؤوا عمليات انتشارهم الواسعة في مدن بلاد الشام الكبرى ثم انساحوا إلى مصر، حيث تم إسقاط الخلافة الفاطمية ورفع الدعاء للعباسيين على أيديهم[191].

ونجد تأثيرات العدوية وتغلغلها تتجاوز الأيوبيين إلى المماليك فشيخ الظاهر بيبرس خضر بن أبي بكر المهراني (ت 676 هـ) هو من أتباع الطريقة العدوية[192] وقيل أنه كان يتنبأ بأحداث وقع بعضها فيما بعد فنال ثقة السلطان الظاهر بيبرس وصار صديقه المخلص ومستشاره وعرف بتشدده وعدائه لأهل الخمة فلقد قاد حملة ضد أماكن عبادتهم. فحول بعضها إلى مساجد وزوايا واستغل نفوذه لدى السلطان، فبنى عدة زوايا في دمشق وبعلبك وحمص وحماة... إضافة إلى تلك التي بناها في ضواحي القاهرة، حيث كان يقيم ويستقبل السلطان، ولكن أعماله التي كانت تناقض سمعته كزاهد متصوف أجبرت السلطان على التخلي عنه، وسجنه في قلعة الجبل في القاهرة حتى وفاته[193].

---

(189) النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج II، ص 299؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 68.

(190) أصبح شيخ الأكراد وإمامهم. راجع الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج V، ص 28.

(191) سيرة صلاح الدين، ابن شداد (القاضي بهاء الدين)، المصدر السابق، ص 35؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج III، ص 50 ـ 51.

(192) المقريزي، المصدر السابق، ج III، ص 609؛ LAOUST (H), "Essai sur Les doctrines sociales et politiques de Taqi-al-Din Ibn Taymia", I.F.A.O, Le Caire 1939, P 23 a ; POUZET (L,)"Hadir Ibn Abi Bakr Al-Mihrani, Sayh du sultan mamelouk Al-Malik Azzahir Baïbars", in B.E.O, XXX, 1978, P 173 – 183.

(193) ابن شاكر الكتبي ؛ المصدر السابق، ج I، ص 298 ـ 300؛ المقريزي، المصدر السابق، ج III، ص 609 ـ 611؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج V، ص 351 ـ 352؛ حيدر (د. علي)، المرجع السابق، ص 23 ـ 24.

ومن هنا نتبين مناطق انتشار الطريقة العدوية التي شملت المجال الجغراسياسي للأيوبيين في الشام ومصر بل إن هناك أثاراً لأتباع العدوية حتى في بلاد فارس[194].

ومن آثار العدوية الخالدة في مصر باسم "الزاوية العدوية" بالقرافة الصغرى وهي التي تعرف باسم عدي بن مسافر وقد سميت هذه الزاوية باسمه لنزول قريبه زين الدين وطائفة من أتباعه بها وقد صرح بذلك السخاوي في كلامه عن تربة زين الدين المذكور في "تحفة الأحباب" فقال "إن الشيخ عدي بن مسافر لم يكن بمصر ولا بالقرافة. بل هذه الذرية من أولاد اخيه صخر والشيخ عدي يعرف بالأعزب"[195]. كما عرفت الزاوية بالزاوية "القادرية" لسكن جماعة من ذرية سيدي عبد القادر" بها وإشرافهم على شؤونها وقد ذكرها المقريزي في خططه باسم "الزاوية العدوية"[196] التي يثبت حينها في ربيع الأول (725 هـ / 1325 م)[197]. بينما كان تاريخ وفاة الشيخ زين الدين يوسف ربيع في 13 ربيع الأول سنة 697 هـ / 1298 م الذي عرف بأنه "رجل صالح" تواصلا لمنهج أعمامه في لالش وعرف عند المصريين "بصاحب الحورية"[198] وعلى

---

[194] FRANK (R), op. cit., P 78.

[195] السخاوي. المصدر السابق. ص 190 ـ 192. تيمور باشا (أحمد). المرجع السابق. ص 44. GUEST (J. S), The Yezidis, P25 - 26 ; Survival Among the Kurds, P 25.

[196] ج III. ص 623. وقد كتب أتباع العدوية على باب القبة بالقاهرة "هذا مقام القدوة شيخ شيوخ الإسلام شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة.... شرفت بقدومه أرض مصر ـ أوحد شيوخ المسلمين زين الدين يوسف بن الشيخ محمد بن الحسن بن الشيخ عدي (II) بن أبو البركات بن صخر بن مسافر الأموي" تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 44 ـ 45؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 94.

[197] حيث كتب على ضريحه نسبه وتاريخ وفاته؛ تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 45. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 95.

[198] السخاوي. المصدر السابق. ص 190 ـ 192؛ GUIDI (M), op. cit.,, P 418 - 419 ; GUEST (J. S), The Yezidis., P 25

هذا فإن المدفون بالقاهرة في "القرافة الصغرى" بالزاوية العدوية. هو الشيخ زين الدين حفيد الشيخ شمس الدين حسن. الذي كان من أركان الدعوة والإرشاد للطريقة العدوية في مصر ودفن بزاويته التي أصبحت تعد من آثار القاهرة الإسلامية الرئيسية[199].

ومن هنا نتبين أن الجماعات العدوية في سوريا ومصر تواصلت كجماعات صوفية[200] ذائعة الصيت فحتى حدود القرن 18 م وجد (Frank) مخطوطات بدمشق يذكر فيها الناسخ اسم "عدي" بـ "سيدي" مما يدل على انتماء هذا الناسخ للطريقة العدوية[201]. إضافة إلى استقرار بعض أفراد عائلة الشيخ عدي بدمشق[202]. ولم يتغير أي شيء يخص معتقداتهم بالرغم من وجود "الغلو" في شخص "عدي الأكبر" الذي ذكرته المصادر وبيناه في سياق البحث[203].

---

(199) BERCHEM (Maxvan), Matriaux pour un corpus Inscuptiossum Arabicum, part I, Egypte, Cairo, 1894, P 147 - 152 ; DEVONSHIRE, (Mrs R. L), Some Cairo Mosques and their Founders, London, 1921, P 40 - 48 ; RESWELL (K.A.C), The Muslim Architecture of Egypte, Oxford, 1952 - 1959, Vol II, P 229 - 233؛ انظر الصور الخارجية للزاوية العدوية ونقائش مدخل الزاوية صورة عدد II وIII.

(200) تيمور باشا (أحمد). المرجع السابق. ص 39 ـ 40؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 38؛ GEOFFROY (Eric), op. cit. , P 230 ؛ GUEST (J. S), op. cit., P 26 ؛ LESCOT (R),op.cit., P 44

(201) FRANK (R), op. cit., P 32

(202) تيمور باشا (أحمد). اليزيدية. ص 39 ـ 40؛ LESCOT (R),op. cit., P 31, 44, 225 – 237.

(203) الذهبي. العبر. ج IV. ص 163؛ ابن كثير. المصدر السابق. ج XII. ص 243؛ GEOFFROY (Eric), op. cit. , P 230

6. الزاوية العدوية بين التطلع السياسي والنشاط الطرقي

في خضم تلك الأحداث البارزة في التاريخ الإسلامي وبتتالي الحملات الصليبية من أوروبا على السواحل الإسلامية في بلاد الشام ومصر واحتواء أجزاء من آسيا الصغرى أسس الصليبيون مملكة صليبية في الفرات وعاصمتها اورقة (الرّها) وطبقوا الأحكام المسيحية في أجزاء من فلسطين وأسسوا مملكة القدس الصليبية. وفي تلك الأثناء كانت المجموعة العدوية الغارقة في الذكر والتأمل والرقص الصوفي بعيدة عن الأحداث التي كانت قريبة أو بعيدة عنها. ففي منتصف القرن 12 م استرجع المسلمون بقيادة الأتابكة إمارة الرها[204]. وبدأ الأتابك نور الدين زنكي يمارس ضغطاً على الصليبيين في بلاد الشام، فعمل جاهدا على أن يجعل نهر العاصي حاجزاً طبيعياً بينه وبينهم وعمل أيضاً على توحيد بلاد الشام والجزيرة وترتيب أوضاع البيت الزنكي بالحفاظ على تضامنه ووحدته فتم الاعتراف به في سنة 544 هـ / 1149 م كرأس للأسرة الزنكية[205] وبرز من بين ضباطه الأكراد صلاح الدين الأيوبي 1137 ـ 1193م. الذي كان مثالاً للفارس الكردي فقد مر معنا أنه نشأ في شوف الأكراد ببعلبك ومن المحتمل أن يكون قد التقى بعضاً من أفراد عائلة عدي بن مسافر. خاصة وأن أخاه صخراً وابنه "أبو البركات" (صخر II) مازالا هناك بعد مغادرة الشيخ عدي البقاع صوب العراق وتفضيله الاستقرار بها على العودة بسبب وقوع المنطقة تحت السيطرة الفاطمية الإسماعيلية وهذا

---

(204) ابن الأثير. التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية. ص 102 ـ 104؛ الكامل. ج XI، ص 154 ـ 155؛ أرنست باركر. الحروب الصليبية. ترجمة الباز العريني، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة. (د.ت). ص 96؛
GUEST (J. S), Survival Among, P 19

(205) ابن الأثير. الكامل. ج XI. ص 154 ـ 155؛ زكار (سهيل) وبيطار (أمينة)، تاريخ الدولة العربية في المشرق. ص 184 ـ 185.

يعد سببا من جملة أسباب هجرته إلى العراق[206] إضافة إلى رحلته في طلب العلم والتقائه بكبار مشايخ التصوف السني في بغداد. وقد وضع صلاح الدين الأيوبي حدا للخلافة الفاطمية بالقاهرة ورفع الدعاء في المنابر لبني العباس[207] في سنة 564 هـ / 1169 م. وبعد وفاة الأتابك نور الدين واصل صلاح الدين "المشروع الجهادي" لتحرير القدس بعد توحيده لكل من مصر وسوريا والعراق[208].

ومن الكرامات المسجلة للشيخ عدي الأول في هذه الحروب أنه "خلص بإعجاز أحد تلاميذه (مريديه) الذي سجنه الفرنجة في طرابلس وحمله في أقل من ليلة إلى نصيبين"[209]، وهنا تبين لنا هذه الكرامة الباهرة دور الشيخ عدي I في الجهاد ضد الصليبيين، ترسيخاً لدوره الطرقي الإنقاذي في حقبة عصفت بها القوى الفرنجية (Francs) بديار الإسلام.

فكانت كرامة الشيخ عدي بمثابة المشاركة الناجعة في هذه الحروب التي كان على شيخ العدوية وإمامهم أن يشارك فيها كداعية صوفي وصاحب مشروع إصلاحي[210]، ولم تكن له مطامح سياسية واضحة بالرغم من إعجاب أرباب الحكم به وعلاقته طيبة مع الخليفة ببغداد الذي استضافه صحبة مجموعة من كبار المشايخ لتناول العشاء[211] على سماط أعده لهم. كما كانت لصاحب قلعة إربل علاقة طيبة به وإعجاب مبعثه شخصيته المحوطة بهالة شبه مقدسة. ولم يبدأ التطلع والطموح السياسيان يبرزان بشكل واضح إلا بعد الجيل الثاني من أرباب الزاوية العدوية، فورثة عدي الأكبر تعمقت علاقاتهم

---

(206) التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 17؛ GUEST (J. S), The Yezidis, P 15

(207) ابن الأثير، المصدر السابق، ج XI، ص 353؛ زكار (سهيل)، المرجع السابق، ص 202.

(208) ابن الأثير، المصدر السابق، ج XI، ص 516 ـ 518؛ زكار (سهيل)، المرجع السابق، ص 236.

(209) كتاب المناقب، (Berlin MS W1743)، ورقة ب 17 ـ ب 21 ,FRANK (R) : cited by op. cit, P 69 ؛ GUEST (J. S), Survival Among, P 19

(210) ابن خلكان، المصدر السابق، ج III، ص 254؛ ابن الوردي، المصدر السابق، ج II، ص 63.

(211) ابن الوردي، المصدر السابق، ج II، ص 63 ـ 64.

بمحيطهم الكردي وذلك بزواج أبي البركات "صخر الثاني" من كردية مما ساهم في تدعيم نفوذ الزاوية وسيطرتها على مناطق الهكارية والقبائل الكردية التابعة روحياً للزاوية وتوج كل ذلك بميلاد عدي الثاني / عدي الكردي[212] الذي عرف بمسلكه التقليدي وتوخيه لأعمال القدامى وأقوالهم[213]. ولكن بظهور الحسن بن عدي الثاني المعروف بالحسن شمس الدين والملقب بـ"تاج العارفين" بدأ نشاط العدوية السياسي ومن مظاهر ذلك أن أتابكية الموصل بدأت تراقب خطواته عن كثب بل وتعمل على التضييق عليه من ذلك تدخل بدر الدين لؤلؤ في تهديدهم لأجوارهم وتحزبهم ضد مخالفيهم مما سبب لهم نقمة الفقهاء[214] وكذلك تغيير مشيخة الزاوية فقد عين أحمد بن أبي البركات على رأس الزاوية العدوية بلالش بدلاً منه[215] وتخوف صاحب إربل أبو سعيد كوكبوري بن علي من استقرار الشيخ حسن بإربل[216].

وفي عهد الشيخ حسن عرفت العدوية قمة انتشارها بين الأكراد وأصبحت قوة ذات جانب معتبر[217] وأصبح أتباعه يعتقدون في شخصه أيما اعتقاد إلى درجة المغالاة مما أصبح يشكل خطراً أمنياً على إمارة بدر الدين لؤلؤ الذي اعتقله وأمر بقتله[218] ولم تغمض جفن لأمير الموصل وذلك لشعوره بخطر هؤلاء الأكراد العدوية ففرض عليهم ضرائب مجحفة لكسر شوكتهم وشن عليهم مرة أخرى حملة تأديبية قتل فيها عدد من رجالاتهم[219] وليس من المتأكد لدينا نية الشيخ حسن شمس الدين بالاستقلال بالمناطق العدوية في لالش لإعلان دولة أموية ولكن هذا المشروع بدأ به بعض أفراد الأسرة العدوية من ذرية عيسى بن أبي البركات. ومع ذلك وفي موجة الاجتياح المغولي عين

---

[212] التادفي. المصدر السابق. ص 110 ؛ GUEST (J.S), op. cit., P 18
[213] غني (د. قاسم). المرجع السابق. ص 701 ـ 703.
[214] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 117.
[215] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 117.
[216] ابن المستوفي. المصدر السابق. ق ا. ص 117.
[217] راجع العنصر الثالث "صراع العدوية مع أمير الموصل".
[218] ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. م ا. ص 355.
[219] ابن الفوطي. المصدر السابق. ص 271 ؛ PATTON (D), op. cit., P 65

السلطان عز الدين كيكاوس الابن البكر للشيخ حسن شمس الدين الشيخ شرف الدين محمد على "خرتبرت" الذي قتل في طريقه إلى قونية لملاقاة السلطان عز الدين[220]. أما ذرية عيس بن أبي البركات فقد سجلت لنا المصادر تطلعاته لبعث دولة في بلاد الشام رأوا فيها أملا للخلاص من الأوضاع التي هم عليها[221]. فتم إلقاء القبض على زين الدين II من ذرية عيسى بن أبي البركات وفي سنة 681 هـ / 1282 م وبأمر من السلطان سيف الدين قلاوون الذي بلغته معلومات أكيدة عن مخطط للانقلاب عليه في بلاد الشام يتزعمه زين الدين II، وفي عهد الدولة الأشرفية عين ابنه البكر المسمى عز الدين العدوي على ولاية دمشق ثم صفد ثم تمت إعادته إلى دمشق مرة أخرى واعتزل بعد ذلك أي عمل سياسي مع المماليك وأقام بالمزة[222] متفرغاً للنشاط السياسي السري والتخطيط للانقلاب ضد الدولة الأشرفية فأقبل عليه الأكراد من كل حدب وصوب مجهزين بالخيل والأسلحة للشروع في انقلابهم لولا تفطن "تنكز" نائب السلطان بالشام فتحقق من أمرهم وتتبع أخبارهم فصدرت الأوامر من السلطان الناصر محمد بن قلاوون بغلق الزاوية العدوية بالقرافة في مصر وتتبع مريديها وروادها بعد سجن عز الدين العدوي وتفريق أتباعه من الأكراد[223] وكان هدف أنصاره ومريديه ملك مصر واليمن[224] ومن هنا يتبن لنا الأطوار التي مرت بها العدوية من حركة صوفية ببعدها الديني الإصلاحي التوفيقي إلى حركة سياسية ذات أهداف وتطلعات لافتكاك السلطة ولو بالقوة كما حدث في عهد الشيخ زين الدين II وابنه عز الدين. كذلك نجد أن أتباع العدوية لهم القدرة على استقطاب وإدماج الشخصيات ذات الثقل السياسي كالأمير بدر الدين بكتوت الأقرعي الذي تولى حكم الشام للسلطان الظاهر

---

[220] ابن العبري، المصدر السابق ص 466، تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 38 ـ 39.

[221] المقريزي. المصدر السابق. ج III. ص 623، تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 40.

[222] المقريزي. المصدر السابق، ج III. ص 624.

[223] السخاوي. المصدر السابق. ص 192.

[224] المقريزي. المصدر السابق. ج III. ص 624، تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 41، الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 102.

بيبرس، ومن منصبه هذا قدم خدمات للعدويين ببلاد الشام[225] كما أن لبعض أتباعها مكانة عند أصحاب الحكم أمثال الشيخ خضر المهراني الذي كان مقربا من السلطان الظاهر بيبرس حتى أصبح مستشاره فاستغل هذه الحظوة عند السلطان لتدعيم نفوذ الزاوية العدوية ببناء فروع لها في بلاد الشام. ولكن السلطان كشف بعض أعماله المخالفة والمناقضة لسمعته كزاهد مما دفعه للتخلي عنه وسجنه حتى وفاته[226]. وتكتسي تلك الفترة أهمية خاصة في تاريخ تشكل الطرق الصوفية الإسلامية كالعدوية التي تحولت إلى حركة سياسية وكذلك نجد عديد الطرق الأخرى كالقادرية التي توازى تأسيسها مع العدوية وتشابهت في منهاج الدعوى ومناطق الانتشار وما يربط بين الشيخين عدي I وعبد القادر الجيلاني.

كما نجد الطريقة الرفاعية نسبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي (تـ 578 هـ / 1182 م)[227] والطريقة المولوية (الجلالية) نسبة لمولانا جلال الدين الرومي (المتوفى بقونية سنة 672 هـ / 1278 م)[228] ومن أهم طقوسهم القريبة بعض الشيء من العدوية الرقص والموسيقى. وكذلك نجد الطريقة السهروردية نسبة إلى الشيخ عبد القادر بن عبد الله السهروردي (تـ 563 هـ / 1168 م)[229]. هذا عن المشرق الإسلامي. أما في الغرب فقد ظهرت طرق ومذاهب عملت

---

(225) ابن الجزري. المصدر السابق. ج I. ص 270.

(226) المقريزي. المصدر السابق. ج III. ص 609 ـ 611؛ ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. ج V. ص 351 ـ 352؛ حيدر (د. علي). المرجع السابق. ص 23 ـ 24. راجع كذلك العنصر الخامس حول التموقع الجغرافي للعدوية.

(227) ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. ج V. ص 351 ـ 352.

(228) ابن بطوطة. المصدر السابق. ص 601 ـ 602؛ السامرائي (يونس الشيخ ابراهيم). تاريخ الطرق الصوفية. مكتبة الشرق الجديد. بغداد / العراق. 1988/1408. ص 70؛ حيدر (د. علي). المرجع السابق. ص 26.

(229) الشعراني. المصدر السابق. ج I. ص 140؛ السامرائي (يونس الشيخ ابراهيم)، المرجع السابق. ص 71؛ ARBERY (A. J), Le Soufisme, Cahiers du Sud, Paris, 1952, P 103.

على الأخذ بأسباب البساطة والتقشف معتمدة على تعاليم الإنجيل كمنهج فرنسوا داسيس (François D assis) (تـ 1226 م)[230].

فالفترة المتدة بين القرنين السادس والسابع للهجرة (الثاني عشر والثالث عشر للميلاد) تعتبر من أهم فترات نشأة وتكون الطرق والجماعات الصوفية والتي كان للبعض منها صدامات مع أرباب الحكم وللبعض الأخر تحول من منهجها الطرقي الصوفي البحت إلى حركة سياسية يخطط قادتها للانقلاب والثورة بغية الوصول إلى الحكم.

---

(230) BOIS (Thomas), op. cit., P 212

الباب الثالث

في منشأ نحلتهم وطقوسهم العقائدية

الفصل الأول

في منشأ نحلتهم وعقائدهم

في أقل من قرن تقريباً من وفاة الشيخ الحسن "شمس الدين" (644 هـ / 1246 م) ظهرت أفكار ذات شبهة وتجاوزت شطحات الشيخ حسن الدين نفسه ورفعت أصوات "علماء الظاهر" عالياً ونجد على رأسها "ابن تيمية" (1263 ـ 1328 م) وأبو فراس عبيد الله بن شبل (ت 1325) اللذين ذكرا هذه الطائفة بأصول ومبادئ الإسلام الأساسية. فالرسالة السابعة كان قد كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية إلى "الطائفة العدوية"[1] أما ابن جميل فله كتاب "رد على الرافضة واليزيدية المخالفين للملة الإسلامية المحمدية"[2] ومن خلال هذه الفتاوي وتاريخ كتابتها تبين لنا أن هذه النحلة لم يكن لها وجود ولا ذكر في التاريخ قبل القرن السادس هجري سواء عند المسيحيين أو المسلمين وأن ظهورها بشكلها الحالي قد أثار رهبة وتساؤلات كثيرة[3]. بينما نرى اليزيديين يقرون بقدم ديانتهم وامتدادها إلى أعماق تاريخ البشرية[4]. وقد اختلف الباحثون في أسباب تسمية اليزيدية باسمها الحالي.

---

(1) ابن تيمية. المصدر السابق. ج ا. ص 362 ـ 317؛ LESCOT (R), op. cit., P 37

(2) أشرنا في الفصل السابق إلى هذا الكتاب ومؤلفه. طبعاً الكتاب ما زال محفوظاً وقد لخص هذه الفتاوي عباس العزاوي في كتابه ص 81 ـ 83؛ عواد (كوركيس). المرجع السابق. ص 6؛ LESCOT (R), op. cit., P 37

(3) ابن جميل. كتاب: رد على الرافضة واليزيدية. نقلاً عن عباس العزاوي. المرجع السابق. ص 82 ـ 83؛ ابن تيمية. المصدر السابق. ج ا. ص 300؛ تيمور (أحمد باشا). "اليزيدية". ص 57؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 14؛ GUEST (J.S), Survival Among the Kurds, P29

(4) مصحف رش. XXII؛ GUEST (J.S), op. cit., P 29

1. أصل التسمية والنسبة

لا يخفى على الدارسين في النحل والمذاهب ما يطرأ عليها من تبدل أو تغير بعد ذهاب كبار دعاتها أو الأجيال المؤسسة لها فتتحور بذلك النصوص إما بالتغيير أو بالتأويل. ويكون ذلك بالطبع حسب توجهات وأهواء "المجددين". أو يكون لدخول عناصر أو مجموعات في هذه النحلة وهي متمسكة ببعض معتقدات الأجداد التي تبقى مترسخة لديها.

وكانت اليزيدية في جبال العراق الشمالية وكان يدين أتباعها "بالمجوسية" ذات الأصول الفارسية[5] ولئن اضمحلت واختفت من الساحة تدريجياً فهي لم تزل تماماً، بل ظلت منتشرة بشكل خفي ومتستر. ولم تجرؤ على إظهار تواجدها الديني أمام قوة الدين الجديد (الإسلام). فكان اعتمادها على التقية فانزوت في المناطق البعيدة والنائية، وقد ساهم هذا الانعزال والتقوقع في ضعف معتقد الأجداد. فكان الجيل المنحدر من هؤلاء وفيه الأبناء والأحفاد لا يعرف إلا خليطاً من المعتقد البائد. وبعض مظاهر "المعتقد الجديد المقتبس" وبالتالي فإننا نلحظ تشرذما وضعفا في كلا المعتقدين[6].

ولم تر هذه الأقوام والجماعات النور إلا عن طريق موجات المتصوفة الذين أحدثوا الطرائق وانتشروا في أصقاع الأرض بين أقوام ذات معتقدات ومذاهب مختلفة وكانت على حد قول العلامة عبد الرزاق الحسني خاضعة "للمعتقد الجديد". فكان لكل شيخ طريقة ومريدون. وبين هذه الأقوام وجد الشيخ /المخلص/ الهادي/ المرتع الخصب لآرائه ومعتقداته وهو ما اطلعنا عليه مع الشيخ عدي بن مسافر الهكاري[7] الذي أطلق عليه أكراد المنطقة وعوامها تسمية "شيخ عادي / آدي".

---

[5] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 10 ـ 11.

[6] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 11.

[7] ينسب عدد لا يحصى من العرب إلى مختلف المدن الأعجمية التي استقروا فيها. فشيخ الإسلام الهكاري وعدي بن مسافر الهكاري من أصول أموية قريشية نسب إلى موطن استقرارهم. ناجي معروف. "علماء ينسبون إلى مدن أعجمية وهم من أروقة عربية". مجلة كلية الآداب ببغداد. العدد الثامن. نيسان 1385/1965. ص 5. 16.

فاليزيدية أتباع الشيخ عدي كانوا يرجعون إلى معتقدات الأجداد القديمة من خلال إحيائها وقد زاد التصوف بسكوته عن هذا الدخيل في تطورها. كما أنهم غالوا أكثر في الشيخ عدي I ويزيد بن معاوية وعدّوهما في مصاف الآلهة المعبودة [8] وعملت الذاكرة اليزيدية بتأثيراتها الصوفية وأصولها الثانوية ذات المبدأين (خير≠ شر؛ نور≠ ظلام) على خلق أوهام وخيالات فتطورت ديانتهم طورا بعد طور[9].

إذن متى أطلق على العدوية اسم اليزيدية ؟

يصعب على الباحث أن يتحرى في أصل الفرق أو الأديان أو المذاهب من ألفاظ وأسماء اشتهرت بها أو نسبت إليها ومرد ذلك أسباب عدة منها:

- إحداثات الأتباع وما اعتراها من تحوير أو تحريف.

- أن هذه المعتقدات المختلفة قد تكاملت مع مرور الزمن وفي بعض الفترات ومع ذلك لا يجب أن نركن إلى اشتقاق الكلمات في معرفة أصل المعتقد، ولا بأس هنا من عرض آراء ومحاولات جادة قد تساعدنا في الوصول إلى حقيقة موضوعية وأكثر دقة.

يرى بعضهم ـ وبمن فيهم بعض اليزيديين ـ أن أصل اليزيدية من جذور فارسية زاردشتية وذلك لوجود تشابه بين بعض معتقدات الديانتين. والبعض الآخر يرى أن أصل التسمية مشتق من مدينة "بزد"[10] أو "بزدان" أو كذلك "دابزد" وهي باللغة الفارسية ومعناها الله أو الروح الصالحة والجديرة بالعبادة[11] وتطلق كذلك في الديانة المجوسية على الملائكة الكبار التي تعتبر

---

(8) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 163 ، الحسني. المرجع السابق. ص 13.

(9) يعقوب (سركيس). مباحث عراقية. بغداد 1948، ص 227.

(10) الحموي (ياقوت). المصدر السابق. ج V. ص 435.

(11) ملاحق الشهرستاني. ج II، ص 35؛ الجراد (خلف). المرجع السابق. ص 15؛ التونجي (محمد). المرجع السابق، ص 41؛ WAFIELD (Wiliam), The Gate of Asia, New York and London 1916, P 182 ; FORBES (Rosita), Conflict, P 290 ; BOIS (Th), op. cit., P 122.

كالوزراء "لأهورامزدا" وتتوسط بين الله والبشر وتنقل مشيئته إليهم[12] ويطلق عليها "اليازات" ولفظها القديم: إيزيديون / يزديون وهي تجسيد للعناصر النقية الطاهرة[13].

وقد تعود جذور التسمية ضمن المجال الجغرافي الفارسي إلى اسم مدينة "يزد" الواقعة بين إصفهان وشيراز وكرمان وهي مدينة مقدسة عند الزرادشتية ومازالت فيها بقايا آثار هذه الديانة وأهمها "معبد النيران السبع"[14] وكانت هذه المدينة مركزاً للمجوس "الداسانية"[15] ونجد من الأسماء التي كانت تطلق على اليزيدية اسم "الداسانية" لاستيطانهم بجبل "داسن"[16] وهم يلقبون أنفسهم "بالداسانية"[17]. ربما تحاشياً من أن يطلق عليهم اليزيدية وكانت بجوارهم عديد الفرق الشيعية التي عملت على اضطهادهم تاريخياً.

---

[12] ملاحق الشهرستاني. ج II. ص 35. كردي (ملا غ.). كردستان والأكراد. ص 76.
BUCKINGHAM (J. S.), Travels in Mesopotamia, London, 1827,vol II, P 109

[13] برنارد (جفري). المرجع السابق. ص 119. معو (د. بير). المرجع السابق. ص 156. آغري (نزار) وفتاح (أوميد) المرجع السابق. ص 1. السحمراني. المرجع السابق. ص 68. سيرغي (أ توكاريف). المرجع السابق. ص 358.
Islamologie, P 853

[14] والذي ينسب لهذه المدينة يلقب بـ"اليزدي". الحموي (ياقوت). المصدر السابق. ج V. ص 435. الموسوعة العربية الميسرة. المجلد II. دار الشعب. القاهرة / مصر 1987/1407. ص 1980. التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 41.

[15] أصحاب ديصان. أثبتوا أصلين. نوراً وظلاماً. فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً. بينما الظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً. الشهرستاني. المصدر السابق. ج I. ص 250. البغدادي (الأب انستاس الكرملي). "اليزيدية". مجلة الشرق. م II. 1899. ص 36.

[16] جبل عظيم في شمال الموصل من جانب دجلة الشرقي فيه خلق كثير من طوائف الأكراد يقال لهم الداسنية. الحموي (ياقوت). المصدر السابق. ج II. ص 432. نيبور (كارستن). المرجع السابق. ص 91.

[17] JACKSON (A.V.W), Persia Past and Present, New York, 1906, P 10 - 11 ; FORBES (Rosita), op. cit., P 290 الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج I. ص 29. عزتي (مهردان). "الايزيدية Yezidi". من كتاب الكورد ترجمة المقال عن الكردية معصوم مذيي. لالش. العدد V. 1995. ص 65.

ويقول المؤرخ اليوناني "يوفانيس" (الذي عاش في القرن السابع الميلادي) أن الإمبراطور هرقل "هراقليوس" أقام بعسكره بجوار مدينة "يزدم" وعلى حد رأي أحد الضباط الإنقليز فإن المدينة كانت تقع على مقربة من مدينة "حدياب - الموصل" والظاهر - وحسب هذه الشهادة - أن جماعات اليزيدية القديمة قد نشأت في هذه المدينة[18] الكردية لا "يزد" الفارسية ومن هناك بدأ انتشارها.

وهناك طرح حول أصل تسميتهم باليزيدية ظهر في القرن الماضي ويرى أن كلمة "يزيدية" ترتبط بخازن بيت مال الملك "خسرو الثاني" (كسرى أبروين) (591 - 628)[19] الذي يدعى "يزدان" (Yazdin) وهو من أمراء النساطرة وله قصر في بلدة قريبة من "كركوك" وفي ذلك المكان أو بالقرب منه احتفل "هرقل" بانتصاره التاريخي على الفرس في معركة نينوى 627 م / 5 هـ وهناك أيضا احتفل بعيد الميلاد وتلك المناطق تعتبر من المواطن التاريخية لليزيدية والأكراد[20].

كما يؤكد الباحث العراقي صديق الدملوجي أن تسمية اليزيدية لا تستلزم الانتماء إلى يزيد بن معاوية مطلقا لأنه ظهر في الفترة الممتدة بين القرنين الثاني والثالث من الهجرة وعرف أفراده باليزيديين وكان فيهم عدد كبير من الشعراء[21] لهم أشعار قام بجمعها وتحقيقها الدكتور محسن عياض تحت عنوان "شعر اليزيديين" وهم من نواحي البصرة ومن عرب الشمال.

---

(18) زكي (محمد أمين). المرجع السابق. ص 294؛ الجراد (خلف). المرجع السابق. ص 15.

(19) المسعودي. مروج الذهب. ج I. ص 257 - 258؛ ابن خلدون. المصدر السابق. ج II. ص 178 - 180؛ فرزات (محمد حرب). المرجع السابق. ص 144

(20) BUCKINGHAM (J.S), op. cit., vol II, P 107 - 110 ; RAWLINSON (Major H.C), "Not on a journez from Tabriz through Persian Kurdistan to the Ruins of Takhti-Soleïman, and from thence by Zenjan and Taron to Gilan, In October and November 1838", JRGS, Vol X, 1841, P 92 ; LAYARD (Henry A.), op. cit., vol I, P 300 ; GUEST (J.S), The Yezidis, P 31؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 42.

(21) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 163

أما عن كنية "اليزيدي" وبعد تمحيص دقيق وجدنا أنها نسبة إلى يزيد بن منصور الحميري" خال الخليفة المهدي العباسي[22] ولقب بهذه الكنية كذلك المعلم "عبد الرحمان". وإذا عدنا إلى أصحاب كتابات الملل والنحل، نجدها تطلق على الخوارج من الأباضية[23] الذين يرون الإمامة في "يزيد بن أنيسة" الذي قال: يتولى المحكمة الأولى قبل الأزارقة، وتبرأ من بعدهم الإباضية فإنه يتولاهم وزعم أن الله سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً قد كتب في السماء، وينزل عليه جملة واحدة. ويترك شريعة الرسول محمد ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن وليست هي الصابئة الموجودة بحران وواسط[24]. وقد انتقل هذا الخارجي من البصرة إلى فارس. وقد اندثرت هذه الفرقة الغريبة تماما أي لم تعد من الفرق البائدة كما أن عقيدة الخوارج وبالرغم من غرابتها وخروجها عن بقية الفرق الخارجية فهي تعد من الفرق الإسلامية وأساس معتقداتها من الإسلام. وكانت هناك فرقة من الكيسانية[25]

---

[22] ابن قتيبة، المعارف. ص 544؛ وينسب إليه أبو محمد يحي بن المبارك بن المغيرة اليزيدي العدوي مولى عدي بن عبد مناة وإنما نسب إلى زيد لأنه كان يؤدب ولده، كان عالما باللغة والنحو وله تصانيف حسنة وكان صدوقا وهو الذي أدب المأمون وتوفي سنة (202 هـ / 818 م) وأعقابه يعرفون باليزيدية، اشتغلوا بالشعر والأدب، السمعاني، المصدر السابق. ج V. ص 691 ـ 693؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج III. ص 308 ـ 309.

[23] نسبة إلى عبد الله بن إباض المرى التميمي. وذلك خلال العقد السابع من القرن الأول الهجري/القرن السابع الميلادي وقد نجح التنظيم السري الذي كانت البصرة مقراً له في جعل القيادة السرية بيد (جماعة المسلمين). وقد مات عبد الله بن إباض في العهد الأموي في تاريخ غير معروف وقد كاتب عبد الملك بن مروان. السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان (مخطوط). قامت بتحقيقه أ. د. سيدة إسماعيل كاشف، طبع وزارة التراث والثقافة العمانية. 1986/1406. ج II. ص 325 ـ 326؛ أحمد (علي)، تاريخ المغرب العربي الإسلامي، منشورات جامعة دمشق. 1992/1412، ص 97 ـ 98.

[24] الأشعري، المصدر السابق. ج I. ص 170 ـ 171؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 279 ـ 280؛ الشهرستاني، المصدر السابق. ج I. ص 136؛ السمعاني، المصدر السابق. ج V. ص 693 ـ 694؛ ابن الأثير، اللباب، ج III. ص 309؛ الجرجاني (الشريف علي بن محمد)، المرجع السابق. ص 179.

[25] وهم من فرق الشيعة أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي قام بثأر الحسين بن علي بن أبي طالب وقيل إنه أخذ مقالته عن مولى لعلي بن آبي طالب يدعى "كيسان"، البغدادي، الفرق بين الفرق. ص 38؛ بينما نجد عند الأشعري أنه من ألقاب محمد بن الحنفية، المصدر السابق. ج . ص 89 ـ 90.

من أتباع محمد بن الحنفية (توفي في محرم 81 هـ / 701 م) تدعى "اليزيدية" نسبة إلى إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفزع الحميري الشاعر وكان جوهر عقيدتهم يتلخص في أن المهدوية قد آخذها محمد بن الحنفية عن أبيه وأنه الوارث للإمامة بعد الحسن والحسين[26].

وإن كنا في عمليات البحث عن أصول وجذور اليزيدية من الأكراد فمن غير المعقول ولا المنطقي أن يكون غلاة الشيعة (ضحايا السياسة الأموية على مدى تاريخها) (40 ـ 132 هـ / 661 ـ 750 م) أوفياء لهم ويرون أن يزيدا إمام بن إمام بل يرفعونه إلى درجة الألوهية ويبدو هذا مناقضا للحقيقة التاريخية (عداوة بين الشيعة والأمويين). وقد نشر نص بعنوان "نافذة تطل على تاريخ اليزيدية" كنا أشرنا إليه في البحث عن صلة الأمويين بمناطق الأكراد. وهذا النص يتحدث عن هرب جماعة من المحاربين الأمويين أمام جيش المختار الثقفي وذهابها إلى جهات الموصل وجبل الجزيرة بسنجار وانهزامهم بعد ذلك إلى ولاية "ميافارقين" فانهزموا إلى جبل "السناسنة"[27] فوق ميافارقين وأقاموا عند الملك "سنحابيب" ملك الأرمن بالسناسنة ويستمر النص إلى أن يصل إلى أن هذه الطائفة من الأمويين ولا تزال باقية إلى زمن الفارقي[28] ويستنتج ناشر النص أن هؤلاء هم أجداد اليزيديين الحاليين[29] وسبب تسميتهم هو حبهم المفرط ليزيد ووفاؤهم له[30].

أما الباحثة الفرنسية "مريام هاري Myriam Harry" فقد رأت في كتابها عن عبدة الشيطان آن هؤلاء اليزيدية قد أطلقوا على أنفسهم اسم "يزيد" عرفانا منهم بالجميل لما قام به نحوهم حيث أنه حماهم وأيدهم ولذلك نجدهم يستعملون بكثرة الخمر في مناسباتهم الدينية وحفلاتهم

---

(26) النوبختي. كتاب فرق الشيعة. ص 25.

(27) جبل السناسنة: قبيلة من الأرمن لها حصون منيعة بجوار خلاط. راجع الفارقي. المصدر السابق. ص 46.

(28) الفارقي. المصدر السابق. ص 43 ـ 46.

(29) دهمان (محمد أحمد). المرجع السابق. ص 601 ـ 602.

(30) دهمان (محمد أحمد). المرجع السابق. ص 602.

وممارساتهم للكثير من الرقصات الدينية المقدسة (الصوفية) وهذا الاعتقاد راسخ بين الكثير من اليزيديين[31].

وأما السمعاني فيخبرنا في كتابه الأنساب "بأن جماعة كثيرة لقيتهم بالعراق في جبال حلوان[32] ونواحيها من اليزيدية وهم يتزهدون في القرى التي في تلك الجبال ويأكلون الحلال (أو الحال)[33]. وقلما يخالطون الناس، ويعتقدون في يزيد بن معاوية الإمامة وكونه على الحق. ورأيت جماعة منهم في جامع المرج[34] منصرفين من العراق يوم الجمعة وكانوا قد حضروا الصلاة"[35].

ومن خلال هذه الرواية التاريخية يتبين لنا أن هؤلاء القوم من اليزيدية المسلمين يرون رأياً مغالياً في يزيد بن معاوية كغيرهم من المسلمين. إذن فمن الممكن أن يكون هؤلاء اليزيدية أتباع الشيخ عدي بن مسافر الهكاري ذو الأصل الأموي وله آراء مشابهة لآراء اليزيديين في حلوان في "يزيد بن

---

(31) HARRY (Myriam), Les Adorateurs de Satan, Paris, 1937, P 34 - 35

(32) حلوان العراق وهي آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. الحموي (ياقوت)، المصدر السابق. ج II. ص 209، وأضاف اليعقوبي في البلدان بأنها مدينة جليلة كبيرة وأهلها أخلاط من العرب والفرس والأكراد افتتحت في عهد عمر بن الخطاب. اليعقوبي، البلدان. ص 270.

(33) الحال لغة الطين والحما. وقد اعتاد اليزيديون أن يأكلوا التراب الناعم من تربة مرقد الشيخ عدي بن مسافر تبركا ويسمونه "براتا". كما يأكل بعض الشيعة أحياناً الطين المجبول من تربة الحسين بن علي ويسمونه تربة الشفاء للتبرك. والحال عند الصوفية رقية وهي أن يرقى الشيخ شيئا يؤكل ويطعمه من أراد أن لا تؤثر فيه لدغة الحية أو لسعة العقرب. وهذا معروف في مناطق الموصل بالعراق، الجلبي (داود). "الحال ومعناها". لغة العرب. الجزء V. السنة الـ 9. 1931. ص 374. الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق. هامش. ص 15، الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج I. ص 31، ويضيف الدكتور داود الجلبي أنهم يقولون عن الشيخ والمريد إذا هاج في الذكر وأرعد وأزبد ثم سقط مغشيا عليه "وقع في الحال" إي في حالة غيبوبة ولا علاقة لها بأي مخدر كالقات أو غيره. المرجع السابق. ص 374.

(34) المرج: مرج القلعة بينه وبين حلوان منزل ويسمى مرج الموصل: موضع بين الجبال في منخفض من الأرض شبيه بالغور فيه مروج وقرى وعلى جباله قلاع. ياقوت. معجم البلدان. ج V. ص 101.

(35) السمعاني. المصدر السابق. ج V. ص 693، ابن الأثير. اللباب. ج III. ص 309.

معاوية" والظاهر أن النسابة السمعاني لا علم له بالشيخ عدي بن مسافر بالرغم من أن تاريخي وفاتهما ليسا بالبعيد فالشيخ عدي توفي في 557 هـ / 1161 م بينما توفي السمعاني في 562 هـ / 1166 م. وتسمية السمعاني "لليزيدية" صريحة وهي نفس تسميتها الحالية وبالتالي نجد تطابقا في عقيدتي الطائفة "العدوية" في يزيد بن معاوية و"اليزيدية" وهي نفسها الموطن التاريخي الذي لا تزال تقطنه اليزيدية في العراق.

ويضيف السمعاني: "أن الأديب الحسن بن بندار اليروجردي. كان فاضلاً مسفاراً، نزل عليهم بسنجار ودخل مسجداً لهم فسأله واحد من اليزيدية ما قولك في يزيد؟ فقال: ايش أقول فيمن ذكره الله في كتابه في عدة مواضع حيث قال (يزيد في الخلق ما يشاء[36]. ويزيد الله الذين اهتدوا هدى[37]) قال: فأكرموني وقدموا لي الطعام الكثير"[38].

وكان اليزيديون (أتباع يزيد بن معاوية). كثيري السؤال عن آراء الآخرين في "إمامهم يزيد" لأنهم بجوار من يعاديهم وخاصة من "الروافض" على حد قول الشيخ ابن تيمية[39] وهم من أطلق عليهم تسمية "اليزيدية"[40] كراهية في يزيد والأقوام التي اعتقدت فيه الإمامة وفتوى الشيخ أبي الفراس تؤكد ذلك وهي أكثر دقة من رواية السمعاني في كتابه عن الأنساب حيث أطلق عليهم اسم اليزيدية بشكل صريح وتحدث عن علاقتهم بالعدوية أو ربطهم بالعدوية حيث تجد أسماء كبار مشايخ العدوية كالشيخ حسن شمس الدين الذي ابتدع في طريقة عمه الأكبر مما ألب عليه جمهور الفقهاء[41].

ومن هنا نستنتج أن الفئة الأكثر شهرة هي التي تعود نسبتهم إلى "يزيد بن معاوية" ومع ذلك يبقى البحث جارياً لتأكيد ذلك لأن المعتقدات شيء والنسبة والتسمية شيء آخر.

---

[36] سورة فاطر. 35 : 1.

[37] سورة مريم، 19 : 77.

[38] السمعاني. المصدر السابق. ج ٧. ص 693.

[39] المصدر السابق. ج ا، ص 300.

[40] نيبور (كارستن). المرجع السابق. ص 92؛ FORBES (Rosita), op. cit., P 290.

[41] العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 81 ـ 83.

وأما الرحالة المغربي ابن بطوطة فقد زار في حوالي سنة 1330 م طائفة تقطن في حوض الأناضول الغربي يقال لها "الجرميان". يذكر أنها من ذرية "يزيد بن معاوية" ولها مدينة يقال لها "كوتاهية" وكانوا قطاعاً للطريق الصحراوي[42] وطائفة الجرميان هذه هي خليط إثني من الأكراد والأتراك الذين نزحوا من مناطق الجزيرة حوالي 1275 م لأسباب اقتضتها السياسة السلجوقية / المغولية في مواجهة تركمان المناطق الغربية في آسيا الصغرى "الجرميان" وهؤلاء الأكراد تكونوا اثنيا في نفس تلك الفترة التي عمل فيها الشيخ عدي I على تأسيس الزاوية العدوية علما وأن شرف الدين محمد بن الشيخ حسن (اشتهروا جميعا بذرية الشيخ عدي الأكبر) قد أقطعه عز الدين السلجوقي "خرتبرت" كما أقطع ابن يلاس ملطية[43] ومن هنا فمن الممكن أن يكون "الجرميان" ذوي صلة أو رابطة باليزيدية وعلى الأقل قد تكون بينهما عادات مشتركة ويظل هذا الاحتمال قائما. لأنه ـ وكما أسلفنا في بحثنا عن أصول تسمية اليزيدية ـ يوجد في مناطق "الدريند" أمويون وبعض مواليهم منذ مدة بعيدة.

ويخبرنا "البدليسي" في كتابه "الشرفنامة" بأن "القبيلة الدنبلية من جملة المتمذهبين بالمذهب اليزيدي"، ثم أخبرنا "أن اليزيدية من حياة مريدي الشيخ عدي بن مسافر، الذي كان أحد أتباع سلالة الخلفاء المروانيين، وأنهم يعتقدون بأن الشيخ عدي الذي دفن في جبل ليلش (لالش) من أعمال الموصل. قد تعهد بصومهم وصلاتهم وأنه سيقودهم في آخر الزمان إلى الجنة يوم القيامة"[44].

إذن فتسمية "اليزيدية الحالية" أي خلفاء العدوية لا ذكر لها في التاريخ قبل القرن السادس هجري (12 م) وإن قيل هذا التاريخ من قبل فهو لغير

---

(42) ابن بطوطة. المصدر السابق. ص 191 ، CAHEN (Claude), op. cit., P 30.

(43) ابن العبري. المصدر السابق. ص 466؛ HEBRAUES (Bac Abu'Lfaradj), Chronography, Vol. I, P 425, 453, 456, 464 ; CAHEN (Claude), op. cit., P 30.

(44) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 19؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج I. ص 33.

اليزيدية الكردية التي نحن بصدد دراستها والتي تنتمي أساساً إلى الطريقة العدوية وإلى الشيخ عدي بن مسافر. ومن الخطأ الاعتقاد بأن الشيخ عدي هو الذي أطلق اسم اليزيدية على أصحابه[45]. إذن ما جاء عن اليزيدية في الشرفنامة لا لبس فيه ولليزيدية وجهة نظرها الخاصة في تسميتها بهذا الاسم منها ما ينقله علم "الصدر اليزيدي" ومنها ما هو مدون في كتبهم المقدسة.

وحول أصل "اليزيدية" يقول الكاتب اليزيدي المعاصر "درويش حسو" إن زردشت ولد وعاش في الدولة الميدية وانتقل في القرن السابع قبل الميلاد من منطقة كردستان الحالية إلى شرقي إيران الحالية وهي منطقة اليزد. وقبل هذا التاريخ كان اعتقاد الشعوب الآرية في المنطقة بالإله الواحد (بدايات التوحيد) وهم يسمون أنفسهم بالازداهيين أي شعوب الله وأتباعه المباشرين ومنذ ذلك الوقت أصبحوا يسمون بعقيدة البزداتية (الازداهية) ومن خلال التطورات الدينية الناتجة عن ظهور الديانات السماوية، انقسم الزرداشتيون في المنطقة إلى قسمين "الإيرانيين والكرد" وبالتالي انقسمت الزرداشتية إلى شطرين: شرقي حافظ على نفس التسمية القديمة نسبة إلى زرادشت وغربي في كردستان حمل اسم "اليزدانيين" أو "الإزداهيين" وبذلك تطورت "الإزداهية" في كردستان إلى ديانة مستقلة وأصبحت لها معتقداتها الخاصة. وفي عصر الفتوحات والانتشار الإسلامي، اضطر الازداهيون للبحث عن حلفاء في الدولة الإسلامية التي تطورت وتوسعت وازدهرت، وبعد ظهور الخليفة الأموي "يزيد بن معاوية" في دمشق حاول الأمراء الازداهيون الاتصال به لكونه رجلاً ذا أفكار حرة ولم يكن خليفة من الخلفاء المؤمنين. وقد طلب يزيد بن معاوية العون من الازداهيين، مقابل الحرية الدينية لهم، فقدم "الازداهيون" له المساعدة العسكرية ضد جيش "الحسين بن علي بن أبي طالب" وبهذه المساعدة "الازداهية" استطاع يزيد أن يحقق الانتصار العسكري على أبناء علي بن أبي طالب، ومنذ ذلك الوقت يسمى الازداهيون باللغة العربية

---

[45] الدملوجي (صديق)، المرجع السابق، ص 173، الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 16.

"باليزيديين" وبأتباع "يزيد بن معاوية"[46] وهذه الرواية رويت لنا أكثر من مرة من قبل شباب اليزيدية خاصة وهي من "علم الصدر اليزيدي". ونجدها قريبة مما روته الباحثة الفرنسية السيدة « Harry » أنهم انتحلوا اسم يزيد عرفانا بالجميل للشخص الذي دعمهم وساندهم[47].

أما ما يروى في مصحف "رش" = "الأسود" وهي قصة خرافية: يحكون أن "للنبي محمد" خادما يدعى معاوية وبينما كان يقص للنبي شعر رأسه جرحه فخاف معاوية أن يسيل دم محمد على الأرض فأكب يلعقه بلسانه فسأله النبي متعجباً: ماذا تفعل؟ فأجابه: لعقت دمك الطاهر خشية أن يسيل على الأرض، فعاتبه الرسول وقال له: أخطأت في فعلتك هذه وستكون ذريتك عدوة لأمتي. فعاهده معاوية على ألا يتزوج أبداً ولم يكن له بنون من قبل. لكن الله سلط على معاوية عقارب لدغته، وجزم الأطباء بضرورة زواجه وإن لم يفعل لقي حتفه. فاشترط معاوية أن يزوجوه من امرأة عجوز في سن الثمانين ليأمن منها الحمل. فلما حل الصباح بعد ليلة الزفاف إذاً هي في الخامسة والعشرين بقدرة الله الكبير! فحملت وولدت يزيد، أحد آلهتهم السبعة[48]. وهذه القصة المدونة في مصحف رش يرفضها عقلاء اليزيدية لذلك حذفت من النصوص المعربة من الكردية فلم نجدها عند الدكتور محمد التونجي في ملاحقه عن كتبهم المقدسة ولا عند الدكتور خلف الجراد في نشره كتابيهما "الجلوة ومصحف رش"[49]. ومن هنا نستنتج أن الأكراد الذين عاش بين ظهرانيهم الشيخ عدي بن مسافر قد انطلق ـ ولو بواسطة هذا الشيخ ـ

---

[46] المصدر السابق. ص 15 ـ 18.

[47] Les adorateurs de Satan, P 35. الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق. ص 30

[48] مؤلف مجهول. "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية". ص 543، كذلك أورد هذه القصة الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق. ص 20 ـ 21، وفي مصحف رش ص 67، الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق. مصحف رش: الفصل الرابع. ص 152، واستشهد بها التونجي في مؤلفه ص 43 ـ 44 وقد رفضها بحجة رفض عقلاء اليزيدية لها.

[49] راجع: التونجي، المرجع السابق. ص 149 ـ 153، الجراد (د. خلف)، المرجع السابق. ص 51 ـ 54.

حبهم ليزيد بن معاوية ثم غالوا فيه في زمن الشيخ حسن وتمادى هذا الحب على مر السنين. حتى اتحذوه إلاها من الآلهة السبعة[50] وهو بمثابة ملك طاووس عندهم. (سنطلع على تفاصيل أكثر في عقائدهم)

وفي الحقيقة فقد لعبت الصراعات المذهبية السنية والشيعية دوراً كبيراً في عقائد غلاة الطرفين وقد أشرنا إليها. ويتأكد معنا حسب سياق البحث أن تسمية هؤلاء العدويين الكرد قد أطلقها عليهم جيرانهم الشيعة الذين كانوا يطلقون في منابرهم الألسنة في لعن يزيد بأن اليزيدية ستكون ملعونة بتقديسها ليزيد.

وسواء كان هذا الاسم دينياً أم لقباً فرضته عليهم العزلة والطائفية في شمال العراق. فإننا نجد اعتقادا كبيراً في يزيد فخلال تجوالنا في قراهم "بعفرين" كنا لاحظنا ذلك بالرغم من أنهم يقولون نحن أقدم تاريخياً من جميع الأديان السماوية وتعود نسبتهم للنبي "شيث" بن الجرة. وقد أكدت بعض الدراسات هذا بل بينت أن يزيدية حلب وسنجار جيران السنة يحتفلون بذكرى فضائل هذا الخليفة: فقد ألقى شيخ يزيدي في إحدى قرى حلب عام 1936 م / 1355 هـ قصيدة تروي معجزات وخوارق يزيد في حصاره للقسطنطينية، بينما نادراً ما نجد اليزيدية المجاورة للشيعة يذكرون اسم "يزيد" في مناسباتهم[51] ومع ذلك نجدهم يحتفلون بعيد ميلاده ويعتبر من أعيادهم الرسمية وقد أباح لهم شرب بعض الخمور (طبعاً للبعض وليس للكل، انظر المحرمات).

ويطلق على اليزيدية أيضاً فقراء، وهو الاسم الصوفي الذي عرفوا به منذ استقرار الشيخ عدي بينهم وترجع تسميتهم "باليزيدية" إلى ذلك كله. ويبقى البحث في أصول اليزيدية التاريخية والعقائدية متواصلاً . علماً أن اسمهم لم يذكر صراحة في كتبهم المقدسة إلا مرة واحدة في "مصحف رش" "ثم ملة عزرائيل أعنى طاووس ملك وهي ملة اليزيدية"[52].

---

(50) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق. ص 21، التونجي (محمد)، المرجع السابق. ص 44.

(51) LESCOT (R), op. cit., P 61 - 64, 236 - 238 ; GUEST (J.S), op. cit., P 30، التونجي (محمد)، المرجع السابق. ص 45.

(52) الآية: 14، انظر ملاحق النصوص الدينية.

2. عقائدهم

تنتمي أغلب جماعات اليزيدية إلى العنصر الكردي الآري وأما عقيدتهم فهي عبارة عن مجموعة مركبة من العناصر والأفكار والمعتقدات المختلطة، ذات الجذور والتصورات التاريخية العميقة في بلاد ما بين النهرين وفارس والجوار السوري وحضارات آسيا الصغرى. ويمكننا القول أن عقيدة اليزيدية هي مجمع لأساطير البشرية القديمة كالتي ينعتها علماؤنا بالإسرائيليات أو بالدخيل، الذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من المعتقد أو حتى التاريخ ولذلك سيكون للخرافة دور أساسي في معتقدات اليزيدية، زادها التحريم الديني في عدم القراءة والكتابة إلا في عائلة الشيخ "حسن شمس الدين" انتشاراً بل إننا نجد في الكتب الدينية حثاً على طاعة أوامر الرؤساء الدينيين والإصغاء لهم[53].

وجاء في كتاب الجلوة أيضاً: أن علومهم الدينية هي غير مدونة بل هي في صدور الرؤساء[54] "علم الصدر اليزيدي" وهي مطابقة للزمان والحال الذي هم فيه.

ونجد كذلك توصيات لأتباع هذه "الملة" بالتعاضد والتكاتف وأن يكتموا معتقداتهم عن كل الطوائف غير اليزيدية لأنهم خوارج[55] عنها وعليهم تجنب كل ما يخالف تعاليم الشيخ ووصاياه وأن الخوارج قد قاوم جميعهم الديانة اليزيدية[56]. كما نجد تحذيراً من الكتب السماوية "كتاب الأخبيين مقبولة نوعاً بالذي يطابق ويوافق سنتي وما يخالفها هم غيروه"[57].

إضافة إلى أنهم خصوا طاووس ملك دون غيره بهالة من التقديس فهو على رأس جميع الآلهة السبعة[58].

---

[53] كتاب الجلوة : الفصلV. الآية 2.

[54] كتاب الجلوة : الفصل III. الآية 1. 2.

[55] الخوارج : المقصود بهم المخالفين لملة اليزيدية من أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى.

[56] كتاب الجلوة : الفصل IV : 7.

[57] كتاب الجلوة : الفصل IV 3.

[58] مصحف "رش" " الآية II.

وبحكم التقية الشديدة التي تعيشها اليزيدية بسبب موجات الاضطهاد التي سلطت عليهم من قبل أتابكة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ ثم الحكومات الموالية وبشكل خاص في ظل السيطرة العثمانية فإنها قد لعبت دورا كبيرا في ابتعاد اليزيدية عن أجوارهم الذين تألبوا ضدهم والغاية من كل هذا هي محاربة الهرطقات التي تراها السلطة الحاكمة مخالفة لإجماعها. وللأسف فالدين في هذه الحالات كان يستغل لقمع المخالف للزاوية التي ترى بها السلطة و"علماء الظاهر" ولذلك تعد اليزيدية من الفرق ذات التنظيم السري[59]. وتعود طبيعة هذا النظام السري إلى الباطنية الصوفية التي ربطت بالمشايخ الذين مثلوا أصحاب البركة والمرجع الأول للعقيدة. ونجد جميع هذه الأشياء في الفقر الروحي وفي الإخلاص الذي لا يمكن أن يوجد بلا زهد حقيقي[60] فقد اقترن تاريخ التصوف الإسلامي في مجمله بالمحن والقمع وأحيانا بالمآسي الدامية ويعود ذلك إلى الحقائق الخطيرة والمرعبة التي كان يحملها أولئك المشايخ. التي قد يؤثر رواجها في هيمنة المذاهب الرسمية أو يساهم في ضعفها ومن ثمة تدهورها[61] فلذلك كتم أسلاف العدوية عقائدهم خاصة بعد النكبات التي حلت بهم على درجة أنهم حرموا على أنفسهم الإعلان عن احتفالاتهم في مناطق "العيش المشترك" مع الشيعة[62] وللإطلاع على عقائد اليزيدية لم نجد سوى كتابي الجلوة ومصحف رش بالإضافة إلى ما دونه الرحالة الأجانب الذين زاروها وكتبوا عنها. ولكن أغلب المعلومات العقائدية هي تلك التي بدأ مركز "لالش" بـ "دهوك" في شمال العراق بنشرها مع بعض التحفظات المقصودة أو غير المقصودة مع ذلك تبقى الدراسات حول هذا المعتقد النابي محتاجة إلى تدعيم أكبر وإلى مزيد من البحث عن الجديد.

---

(59) دا.ٍ.ل (أركون). المرجع السابق. ص 138 ـ 139.

(60) بنوا (لوك). المذهب الباطني في ديانات العالم. ترجمة نهاد خياطة. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت / لبنان. 1998/1418. ص 16.

(61) حميش (بنسالم). التشكلات الإيديولوجية في الإسلام الاجتهادات والتاريخ. دار المنتخب العربي. بيروت / لبنان. 1993/1413. ص 108.

(62) LESCOT (R), op. cit., P 236 - 238 ; GUEST (J.S), The Yezidis, P 30

وينقسم المعتقد اليزيدي في بدء الخليقة إلى قسمين قسم يبحث في القوى الأولى الموجودة لهذا الكون وفي صفاتها. وقسم يبحث في البشر وسلالاته وهذه المعتقدات لا تختلف ظاهرياً عن معتقدات الأمم الأخرى. التي بحثت في التكوين وحبكت قصصها في نشأة الكون ومع ذلك تبقى الفكرة الأساسية واحدة عند شعوب الأرض قاطبة وعند جميع الملل والنحل مع استثناء خصوصية كل أمة ودورها في ذلك.

أ- في الكون والتكوين

تعتقد اليزيدية بأن الله هو الخالق للدرة البيضاء من سره العزيز وخلق طيراً اسمه "الغر" وجعل الدرة فوق ظهره وسكن فيها أربعين ألف عام[63] وقد غضب الرب على هذه الدرة[64]. فانفلقت وتفتت وخرجت منها هذه الأرض ثم تفجرت منها الأنهار والبحار والجبال ومن دخان هذه الدرة كانت السماء[65].

ونفس هذا التفسير في نشأة الكون نجده عند المسلمين فقد ذهب البعض إلى أن الكون خلق من زمردة خضراء[66]. وأما نظريات القدامى في مسألة تكون الأرض وخلقها وما يحيط بها فإن أكثرهم يزعم أن الأرض تحيط بها السماء الدنيا ثم الثانية وصولاً إلى السابعة[67].

وتبدو كل هذه النظريات متطابقة وهي نفسها التي ذكرها وهب بن المنبه. وكعب الأحبار اليمني الأصل وسلمان الفارسي[68].

---

[63] مصحف رش : I.

[64] جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 73.

[65] الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 1.

[66] المقدسي. البدء والتاريخ. ج III. ص 46، ابن كثير. تفسير القرآن الكريم. دار الخير. بيروت / لبنان. 1994/1414. ج IV. تفسير سورة "ق" : 50 : I. ص 198.

[67] المقدسي. المصدر السابق. ج II. ص 47.

[68] المقدسي. المصدر السابق. ج II. ص 6.

ومن هنا نستنتج أن اليزيديين لا يمتلكون ديانة موحدة، وإنما ديانتهم مبنية على الاتفاق حول مبادئ دينية خاصة بهم فهي تراث إنساني.

فأما المرحلة الثانية من الخلق التي يعتقد فيها اليزيديون فهي "الملائكة". فهم يرون أن الله خلق سبعة ملائكة تعينه في كل يوم واحدة وأول يوم خلقه الله هو يوم الأحد[69] فهو أول أيام الدنيا. بدأ الله فيه بخلق الأشياء ويستحب أن يكون ابتداء الأمور في هذا اليوم الذي اختاره السيد المسيح للنصارى[70]. وفي هذا اليوم أيضاً خلق الملك "عزرائيل" وهو "طاووس ملك" رئيس الملائكة وكبيرها[71]. في حين كان خلق بقية الأيام كالآتي: يوم الاثنين خلق فيه ملك "دردائيل" وهو الشيخ حسن. يوم الثلاثاء خلق فيه ملك "إسرافيل" وهو الشيخ شمس الدين. يوم الأربعاء خلق فيه ملك "ميكائيل" وهو الشيخ أبو بكر (بكر / وأعتقد أن المقصود به هو أبو البركات "صخر II"). ويوم الخميس خلق فيه ملك "عزرائيل" وهو سجادين. ويوم الجمعة خلق فيه ملك "شمنائيل" وهو ناصر الدين وفي يوم السبت خلق الملك "نورائيل" وهو صخر الدين. وقد عين الله "ملك طاووس" رئيساً عليهم[72] لتميزه وتفرده بعبادته عن سائر المخلوقات فلا توجد بقعة في الأرض ولا في السماء إلا وله فيها ركعة أو سجدة[73].

إن قصة تفجر الدرة / الزمردة الخضراء تلفت الانتباه لأن في تطور الكون ونشوئه نظريات علمية حديثة من أهمها نظرية تقول بأن الكون كان في الأصل ذرة بدائية، ولسبب ما تفجرت هذه الذرة فتكونت منها السماوات والمجرات وبقية الأجرام السماوية وعنها تكونت الأرض والشمس والقمر

---

[69] مصحف رش: II؛ القزويني، عجائب المخلوقات، ص 67؛ ابن إياس (الحنفي)، بدائع الزهور، ص 12؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 40؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 77.

[70] القزويني، عجائب المخلوقات، ص 67.

[71] مصحف رش: II؛ ابن إياس (الحنفي)، المصدر السابق، ص 37.

[72] مصحف رش: III– IX ؛ المقتطف "اليزيدية أو عبدة إبليس"، ج VI من السنة XIII، مارس 1889 / جمادي II 1306، ص 394 ـ 395؛ البغدادي (الأب انستاس الكرملي)، المرجع السابق، م II، ص 149.

[73] ابن إياس (الحنفي)، المصدر السابق، ص 40.

وغيرها[74]. ونفس هذا التفسير "الخلقي" للكون نجده عند اليزيدية حيث تمت لديهم عملية خلق السماوات السبع والأرضين والشمس والقمر[75] وعين لكل ملك من الملائكة السبعة[76] عملاً مختصاً به. وتذهب بعض تفسيرات القدامى إلى آراء قريبة من تفسيرات اليزيدية في نشأة الكون فترى أن قصة الآلهة السبعة أو الملائكة أساسها الأجرام السماوية البابلية التي كان كل منها يسيطر على يوم من أيام الأسبوع[77].

"فالأحد للشمس، الاثنين للقمر، الثلاثاء للمريخ، الأربعاء لعطارد، الخميس للمشتري، الجمعة للزهرة والسبت لزحل"[78]. وقد ضاعت معظم تفاصيل علاقة الأيام بالكواكب السيارة حيث نجد ارتباطها بالتنجيم وهذه الأخيرة ذات أصول رافدية كما ذهب إلى ذلك الباحث "جورج حبيب"[79].

إننا نعثر في هذه المعتقدات على آثار كثيرة من أخبار التوراة والإنجيل[80] وكلها تعود لأصول رافدية[81] وسورية قديمة تعممت على مختلف شعوب وحضارات الهلال الخصيب إلى أن أصبحنا نعدها من التراث الإنساني.

وبناء على هذا فالعقائد اليزيدية ربما تعود إلى واحدة من ديانات بابل وغرب إيران، التي قامت على عبادة النجوم وعدت الأنوار السماوية "الشمس

---

(74) حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 14.

(75) مصحف رش: X، الموصلي (الراهب بهنام)، "مقالة في اليزيدية"، مجلة الشرق. السنة 45. ج I. جانفي - مارس. 1951. ص 535.

(76) الأصفهاني. الاعتقادات. ص 148، وقال بعض المتوسمين بالحكمة الملائكة السبعة "إسرافيل، ميكائيل، جبرائيل، الرضوان، مالك، روح القدس، ومالك الموت".

(77) البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد). كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، نشر في أكسفورد بواسطة Ramay Wright لندن، 1934. ص 43.

(78) حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 14ـ 15 .

(79) حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 14.

(80) البغدادي (الأب انساس). المرجع السابق. م II، ص 154.

(81) عرنوق (مفيد). المرجع السابق. ص 45 ـ 46.

والقمر والكواكب"[82] آلهة. ونعثر أيضاً في اليزيدية على آثار واضحة وجلية لمظاهر التوحيد "في البداية خلق الله الدرة البيضاء" فمبدأ الخلق قام به إله واحد بدون شراكة لأن الدرة خلقت "من سره العزيز" ومثل هذه الأساطير لا نجدها عند اليزيديين فحسب بل هي تعود إلى تقاليد وأفكار شرقية قديمة كانت شائعة قبيل ميلاد المسيح ونجدها كذلك في أشكال مختلفة من "الغنطوسية" (أهل المعرفة) ومنها انتقلت إلى الباطنيين المسيحيين والصوفيين المسلمين وصارت عناصر رئيسية لأرائها. وكأمثلة على ذلك نذكر باطنية اليسار الشيعي المتمثل في بعض عقائد "الموحدين الدروز"[83] في بلاد الشام وبالتالي فنحن نرى أن قسماً هاماً من عقيدة اليزيدية في نشأة الكون قريب من بعض المعتقدات السماوية[84].

ومن العقائد الأخرى لدى اليزيدية نجد تلك التي يرون فيها أن جبرائيل هو الذي أرسله الله في صورة طير[85] لتنظيم الكون ووضع جهاته الأربعة، وتحسين تنسيقه[86] ولذلك خص كل يوم بخلق معين إذ خلق الأرض يوم السبت والجبال يوم الأحد والأشجار يوم الاثنين وخلق الكروم يوم الثلاثاء والظلمة والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة[87]. وبسبب ذلك وجدت فكرة "فضائل الأيام"، فاليزيدية تعطي قدسية خاصة

---

(82) فيسنر (جرنوت)، تاريخ الشعب اليزيدي وديانته. ترجمة دفرهاد إبراهيم. نشر في "لالش"، العدد II ـ III ، 1994، ص 123؛ البروفيسور جرنوت فيسنر هو أستاذ تاريخ الأديان العام في جامعة كوتنكن بألمانيا الاتحادية، وقد نشر هذه الدراسة ضمن كتاب نشره د. شنايدر، بعنوان اليزيديون الكرد شعب على طريق الأفول. صدر عن جمعية الشعوب المهددة في كوتنكن عام 1984.

(83) مكارم (سامي نسيب)، أضواء على مسلك التوحيد: "الدرزية". دار صادر. بيروت/لبنان، 1966 ؛ انظر مقدمة الأستاذ كمال جنبلاط، ص 7 ـ 27؛ فيسنر (جرنوت)، المرجع السابق، ص 123 ـ 124.

(84) الكتاب المقدس، سفر التكوين؛ المقدسي، المصدر السابق، ج II، ص 46 ـ 47؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 78.

(85) مصحف رش: XII؛ القزويني، عجائب المخلوقات، ص 59.

(86) الدملوجي (صديق)، المرجع السابق، ص 1؛ الفيل (سهير علي)، المرجع السابق، ص 67.

(87) ابن إياس (الحنفي)، بدائع الزهور، ص 11.

ليوم الأربعاء فهو عندها يوم "طاووس ملك" ففيه خلق الله النور والظلمة[88] ليميز بين الليل والنهار. وإن كان يوم عطلة الأسبوع عند اليزيدية هو يوم الجمعة[89] فمرد ذلك الاضطهادات التي تعرضت لها إبان السيطرة العثمانية وخوفها من جيرانها الأكراد المسلمين وفي ذلك اليوم "المفضل" يقيم اليزيديون الولائم داخل أضرحة صلحائهم على شرف "بي أرملاك أو الشيخ عادي أو ملك ميران ..." وكان الجميع ينظر إلى هذه الوليمة وكان كل واحد منهم يقبل الأرض والحجر الذي يستند عليه وصباحاً كانوا يطبخون الأطعمة ثم يعودون إلى بيوتهم وكانت هذه الدعوة تتم قديما يوم الأربعاء[90] وكما أسلفنا القول فقد أصبحت هذه "الزردة" الأسبوعية تتم يوم الجمعة مداراة لأمر جيرانهم المسلمين. ويقولون "أن كتبنا هي قلوبنا"[91] أي أنه ليس من الضروري تطبيق تعاليم كتبهم علنا تحاشياً للاضطهاد فكل شيء في القلب... وفي هذا الكلام نوع من الباطنية. ويقابل يوم الأربعاء الكوكب "عطارد" عند قدماء البابليين وهو يوم "طاووس ملك" عند اليزيدية وتصور المصادر القديمة هيئات الكواكب. ففي كتاب "التفهيم لأوائل صناعة التنجيم" نجد تعريفاً للكواكب السيارة التي كان يظن أنها تشمل الشمس وبقية الكواكب الأخرى وفيها وصف لعطارد فهو شاب يركب طاووساً بيمينه جبة وبيساره لوح يقرأه. وأما صورته الأخرى فهو رجل جالس على كرسي وبيده مصحف (كتاب) يقرأه. وعلى رأسه تاج وعليه ثياب خضر وصفر[92].

فيمكن القول هنا أن تقديس اليزيدية لرمز "الطاووس" لم يكن مبتدعاً نتيجة لهرطقة وإنما هو امتداد وتواصل لمعتقدات ورموز الأجداد التي بقيت كامنة في "المخيال الشعبي" أو لما سكتت الطريقة العدوية عنه لعدم تعارضه مع أسس ومبادئ الصوفية.

---

(88) ابن قتيبة. المعارف. ص 10. القزويني. عجائب المخلوقات. ص 67. ابن إياس (الحنفي). بدائع الزهور. ص 11.

(89) LAYARD (Henry), op. cit., P226. جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 82 . حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 24 ـ 25 .

(90) جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 82. حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 24.

(91) جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 82.

(92) البيروني. ص 46 ـ 50. سنتوسع في عقيدتهم في طاووس ملك والحية.

فتنظيم الكون هو من عمل الإله الواحد "خوادي / Khuda" بالكردية[93] الذي خلق "الملائكة السبعة" "اليازات" وعلى رأسها رئيسها "طاووس ملك" « Melek Taus » الذي سيكون له دور في قيادة آدم للجنة.

ب- عقيدتهم في نشأة الجنس البشري

لليزيدية نظريتها الخاصة وعقيدتها المتميزة في خلق الله للإنسان وفي نشأة السلالات البشرية ونظراً لعقيدتها المتعلقة بالكواكب وبالأجرام السماوية فإن "طاووس ملك" (عطارد) قد ساهم ولو جزئيا في خلق الإنسان. وكانت روايات القدامى عن ذلك كالآتي "... يزعم أن الكواكب السبعة لما اجتمعت كلها... وأنها لما استقامت ودار الفلك على غاية العدل ظهر الإنسان"[94].

وجاء في "مصحف رش" أن الرب العظيم قال يا ملائكة: "أنا أخلق آدم وحواء والبشر منهما، وسيحي نسل آدم على وجه الأرض وستنتظرون بعد ذلك ملة طاووس ملك وهي ملة اليزيدية"[95] ثم تجلى الرب في أرض القدس، وأمر جبرائيل بأن يجمع له ذرات من أطراف الدنيا الأربعة. فخلق من تلك الذرات العناصر الأربعة وهي "الماء والهواء والتراب والنار"[96]. ونفح فيها الروح من قدرته، وأمره كذلك بأن يدخل آدم الجنة. وفي رواية أخرى من "علم الصدر اليزيدي" أن الله سلم آدم لـ "ملك طاووس" فقام هذا الأخير بقيادة آدم إلى الجنة[97].

---

(93) الموصلي (بهنام). مقالة في اليزيدية. ص 535، GUEST (J.S), Survival Among the Kurds, P 30 – 31.

(94) المقدسي (البلخي). البدء والتاريخ. ج II. ص 76.

(95) مصحف "رش" : XIV.

(96) راجع إنجيل بوذا. ترجمة سامي سليمان شيا. دار الحداثة. بيروت / لبنان. 1991، مصحف "رش" : XIV، بارندر (جفري). المرجع السابق. ص 118 ـ 123.

(97) فيسنر (جرنوت). تاريخ الشعب اليزيدي وديانته. ص 123 ـ 124.

وهنا نطرح السؤال التالي أيهما قام بقيادة آدم إلى الجنة، جبرائيل أم "طاووس ملك"؟ أم أنهما يمثلان نفس الشخص؟ فالقزويني في كتابه "عجائب المخلوقات" يعدد أسماء جبرائيل وهي عنده: "أمين الوحي وخازن القدس. ويقال له الروح الأمين، وروح القدس والناموس الأكبر وطاووس الملائكة"[98]. وفي هذه الحالة يكون "الطائر السماوي" من الشخصيات التي تحمل الرسائل الإلهية[99] إلى البشر أو تقوم بمهام إلهية، وبالتالي فإننا لا نشك في أن تسمية "طاووس ملك" وكذلك تسمية "جبرائيل" كان يقصد بهما نفس الشخصية التي كان يبعثها "الله" إلى البشر غير أن أصل الاختلاف في التسمية مرده التداخل في الأسماء لدى اليزيدية (خاصة إذا عدنا إلى ذلك التداخل في أسماء الشخصيات: الحسن البصري...).

ويكمل اليزيديون عقيدتهم في نشأة الجنس البشري فيذهبون إلى أن آدم قد أبيح له أن يأكل ما يشاء من أشجار الجنة وثمارها ما عدى الحنطة التي نهي عنها. وبعد مرور مائة سنة سأل "طاووس ملك" الله: "كيف يزداد نسل آدم؟ وأين نسله؟" فقال له الله: "إني أوكلت أمر البشر ونسل آدم إليك" فجاء طاووس ملك إلى آدم وسأله: "هل أكلت الحنطة؟" قال آدم "لا، إن الله نهاني عنها" فقال له: "كل وسيكون لك ما هو أحسن من ذلك" فتناول آدم منها. فانتفخت بطنه، فتركه "طاووس ملك" وحيداً، وعرج هو إلى السماء وأصبح آدم حانقاً، إذ لم يكن له "مخرج" وأخذ بالبكاء والعويل. فأرسل الله طائراً ذا منقار، فنقر له مخرجاً في ظهره. فاستراح آدم[100]، عندئذ أمر الله جبرائيل أن يهبط بهما إلى "الأرض" بعد أن خلق "حواء" من تحت إبطه الأيسر. فالله لم يطرد آدم وحواء من الجنة لعصيانهما له، بل لأنهما دنّسا جنة النعيم "ببرازهما" بعد أن أكلا من سنابلها[101].

---

(98) القزويني. عجائب المخلوقات، ص 58.

(99) حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 38.

(100) المقدسي (البلخي). البدء والتاريخ. ج II، ص 44؛ مصحف "رش": XIV، XVII، XX.

(101) المقدسي (البلخي). المصدر السابق. ج II. ص 81 ـ 84؛ العزاوي (عباس)، المرجع السابق. ص 134 ـ 135؛ جول (الأمير إسماعيل بيك)، اليزيدية قديماً وحديثاً. ص 73 ـ 75. الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 42 ـ 43؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق. ص 78 ـ 79؛ GUEST (J. S), op. cit., P 31

وتعتقد اليزيدية كذلك أن آدم قد اختلف بعد خروجه من الجنة مع حواء أم البشر لأن كلا منهما أراد الاستئثار لنفسه بإنجاب البشر. فأشار عليهما "طاووس ملك" رئيس الملائكة الذي نزل من السماء بأن يضع كل منهما شهوته في جرة وأن يغلقها بإحكام. وبعد تسعة أشهر، ذهب كل من آدم وحواء و"طاووس ملك" لرؤية ما في داخل هاتين الجرتين، وعندما فتحوا جرة حواء إذا بها قد امتلأت حشرات وديدانا... وعندما فتحوا جرة آدم، إذ بداخلها ذكر وأنثى فسماهما "شيت وهورية (حورية)" ومن الصبيين تناسلت "الذرية اليزيدية" وغذى آدم طفليه حولين كاملين بثديين خلقهما الله له. ومن ذلك الحين صار للرجل ثديان، ثم تصالح آدم وحواء وتعارفا فوق جبل "عرفات"[102] فأولدا البشر من جديد. فاليزيدية من آدم وحده والناس من آدم وحواء[103].

إن فكرة اليزيدية عن خلق الإنسان الأول، في إطارها العام ـ سواء في كتابهم المقدس، أو فيما يتعارفون عليه فيما بينهم ـ تكاد تكون قريبة الشبه بما هو عليه في الإسلام[104]. إلا أننا نجد دور "عزازيل" (إبليس) عند اليزيدية يختلف عنه لدى شعوب الديانات السماوية، فاليزيدية تعتقد أنه ساعد أبو البشر آدم بينما هو عند أصحاب الرسالات السماوية السبب في معصية البشر ونزوله إلى الأرض. وهناك عديد النصوص القرآنية التي تتحدث عن ذلك وبالتالي تبقى قصة الخليقة ميراثاً إنسانياً من حق كل بشر أن يصل نفسه به. بل إن إحدى الفرضيات التي يتبناها اليزيديون تقول بأن "الدين

---

(102) وحسب قصص الأنبياء الموجودة في الكتاب المقدس والقرآن وعنها أخذ كبار مؤرخي الإسلام أن آدم قدم من الهند إلى مكان الكعبة الحالية حاجا، فالتقى بحواء فوق جبل فسمي بعرفات فتعارفا من جديد، ثم ازدلف إليها بالمزدلفة، ثم رجع إلى الهند مع حواء. المسعودي، مروج الذهب، ج I، ص 34.

(103) مؤلف مجهول. "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية". ص 572، المقتطف، ص 395؛ اليوسف (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 27 ـ 28.

(104) "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة..." البقرة (2) : 30؛ ومن الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان: الحج (22) : 22؛ آل عمران (3) : 59؛ السجدة (32) : 12؛ المقدسي (البلخي)، البدء والتاريخ، ج II، ص 40 ـ 44.

اليزيدي قديم جداً وأن التفاصيل التاريخية للتأسيس ضاعت بسبب القدم"[105].

وهنا كانت العقائد البشرية المتوارثة من مصادرهم الاعتقائدية التي بقيت راسخة عند كل يزيدي ولو اعتنق المسيحية أو الإسلام أو آمن ببعض معتقداتها ولكن يبقى التشبث بالمعتقد القديم[106] هو الأساس لدى اليزيدية. وقد انتشرت معتقدات اليزيدية بشكل أساسي في الأوساط الإسلامية النائية في المناطق الكردية وبدرجة أقل في صفوف المسيحيين[107]. ومرد ذلك من وجهة نظرنا هو الدور الهام الذي تضطلع به الكنائس مع رعاياها على عكس الدور الإسلامي الذي أوكل إلى السلطة التي تعيش أزمة حادة ولا سلطة لها على شيء إلا في المدن.

وهذه المعتقدات درسها لأول مرة مبشر كاثوليكي فرنسي كان قد زار مناطق اليزيدية في حلب منذ حوالي ثلاثة قرون[108]. كما أن الباحثين في جامعة برلين أوردوا قصة الخلق اليزيدية واعتبروها امتداداً (وإن كان منقوصاً) لما هو موجود في الإسلام[109].

وإذا سئل أي يزيدي مطلع على تفاصيل ديانته عن أصول "اليزيدية"، نجده يقدم لنا تبريراً دينياً أو شرعياً للملة اليزيدية أو "ملة طاووس ملك". فهم أبناء آدم وامتداد للنبي شيث / وحورية[110] وبالتالي فهم يصنفون فئتهم

---

(105) GUEST (J. S), Survival Among The Kurds, P 29 - 30

(106) SIOUFFI (N), "Notices sur la secte des Yezidis", J. A, séries 7, vol. XX 1882, P 252 – 268.

(107) GUEST (J. S), op. cit., P 30

(108) GUEST (J. S), op. cit., P 30

(109) NEANDER (August), Über die Elemente, aus denen die Lehren der Yeziden hervorgegangen zu sein scheinen, incl. In Wissenschaftliche Abhandlungen, ed. Jacobi, Berlin, 1851, P 112 - 139. البغدادي (الأب انستاس)، المرجع السابق، م II، ص 33.

(110) مؤلف مجهول. "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية"، ص 572؛ بينما نجد في رواية أخرى مأخوذة عن "علم الصدر اليزيدي" أن حورية دعا "طاووس ملك" ربه لإرسالها فأرسل طفلة صغيرة "حورية" من الجنة وطلب من آدم وحواء الإشراف على تربية الطفلين؛ اليوسف (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 27 ـ 28.

تصنيفاً خاصاً. فأسطورة "الخلق اليزيدية" جعلت من ملة "طاووس ملك" "صفوة خلق الله" وعباده الأبرار ولأجلهم أطفأت النار بدموع "طاووس ملك"[(111)] وأنهم سيحملون على طبق فوق راس الشيخ عدي إلى الفردوس[(112)] ولسائل أن يتساءل لماذا كل هذا التكريم والتفضيل؟ والحال أن الأسطورة التي سبق لنا روايتها تقول: بأن اليزيديين خلقوا من بذرة "آدم الخنثى" (التي تتضمن في ذاتها عناصر ذكرية وأنثوية معاً). بينما خلقت جميع شعوب الأرض الأخرى من بذرتين مختلفتين، من الاتصال الجنسي بين آدم وحواء. وهكذا فإن اليزيديين ليسوا أقدم شعوب الأرض فحسب. بل هم يتميزون أيضا بأن خلقهم غير مرتبط بالشهوة الجنسية[(113)] فهم أبناء "شيث ابن الجرة"[(114)] ومنه انحدرت هذه الفئة. فاليزيدية كمعتقد يؤمن أتباعها برب واحد منشئ لهذا الكون والخلق وباعث للحياة في جميع الكائنات بفضل سبع ملائكة (كواكب حسب المعتقدات البابلية) وأعظمهم عزازيل[(115)] الذي ساهم في عملية الخلق حسب ظنهم وضلل آدم وأخرجه من الجنة بمساعدة الحية[(116)] وخلافاً لكل الأديان السماوية فاليزيدية ترى أن الله قد سامح عزازيل. وجعله رئيساً للملائكة وسماه "ملك طاووس" وقرنه بذاته كما تتحد ناران فتصيران واحدة[(117)].

---

(111) البغدادي (الأب انستاس). المرجع السابق. م II. ص 154؛ فيسنر (جرنوت). تاريخ الشعب اليزيدي وديانته. ص 123؛ أسرة تحرير المقتطف. "اليزيدية أو عبدة إبليس". ص 394.

(112) مؤلف مجهول. "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية". ص 581؛ EMPSON (R.H.W), The Cult of the Peacock Angel, P 108 - 109

(113) فيسنر (جرنوت). تاريخ الشعب اليزيدي وديانته. ص 118.

(114) وكان شيث بن آدم أجمل ولد آدم وأفضلهم وأشبههم به وأحبهم إليه وكان وحي أبيه وولي عهده وهو الذي ولد البشر كلهم. وإليه انتهت أنساب الناس. وقد عاش حوالي 912 سنة؛ ابن قتيبة. المعارف. ص 20؛ و"شيث" تعني هبة الله لأنه ولد بعد مقتل "قابيل". ابن كثير. قصص الأنبياء. ص 59.

(115) ابن قتيبة. المعارف. ص 14؛ المقدسي (البلخي). البدء والتاريخ. ج II. ص 66.

(116) ابن قتيبة. المعارف. ص 15، المقدسي (البلخي). البدء والتاريخ. ج II. ص 42.

(117) المقتطف. ص 395.

وجعل الكردية لغة الملائكة السبعة وهي لغة أهل الجنة[118] وهنا نجد اعتداد الأكراد اليزيدية بأصولهم فهم أقدم البشروأفضلهم على الإطلاق وأن لغتهم هي "لغة الفردوس" وهذا نوع من الشعوبية عند هذه الملة. بل يمضون في تبرير كراهية البشرية الوراثية (للشيطان إبليس) فيرون أن الذين يعتقدون أنه أخرج آدم وحواء من الجنة وأبناء حواء هم الكارهون له. بينما ترفض "ملة اليزيدية" إطلاقاً كلمة "الشيطان" وتعتبرها نذير شؤم قد توجب حسب الشرع اليزيدي حد القتل لمن يسيء إليه أو يشتمه[119].

فاليزيدية بالرغم من تجذر عقائدها إلا أن تراثها الأسطوري لا يتفق عليه جميعهم. إذ نجد اختلافاً بين ما يسمى بـ "علم الصدر" وبين الكتب المقدسة ("مصحف رش" وكتاب الجلوة) وبين الذاكرة اليزيدية الحية التي تعرض لنا أساطير مختلفة حول الله وخلق الكون والملائكة والإنسان والخطيئة ونادراً ما تتفق مضامين تلك الأساطير مع بعضها.

ولعل هذا التنوع والاختلاف الزائد في التقاليد الدينية يعود بدرجة أولى إلى تشتت القيادات الدينية فالأمير اليزيدي هو الرئيس المدني لطائفته بينما توجد أمور العقائد والفقه عند "بابا الشيخ" وكل منهما يستقر في مكان بعيد عن الآخر ما عدا موسم الحج اليزيدي إلى "لالش" ثم أن عزلة فئة "رجال الدين اليزيدي" هي راعية لتلك التقاليد[120] إضافة إلى تدني مستواهم الثقافي وأمية أغلبهم باستثناء عائلة الشيخ حسن "تاج العارفين" التي كان يحق لها التعلم والقراءة وهي حكر عليهم دون بقية اليزيدية. فابناء دار "الزاوية" هم ورثة العلم الشريف الذي كتبه آباؤهم وأجدادهم وأطلعوا "ملة طاووس ملك" عليه وقد أنزلته الملائكة على الشيخ حسن في غيبته.

---

[118] المقتطف. ص 394.

[119] مصحف "رش" XXIV، عريضة اليزيدية للسلطات العثمانية. البند V. (راجع ملاحق سعيد الديوه جي. ص 221 ـ 224)، FURLANI (Giuseppe), "Sui Yezidi", RSO, vol. XIII, 1932, P 96 ; "Gli interdetti dei Yezidi", der Islam, vol. XXIV, 1937, P 155 ; GUEST (J. S),op. cit., P 31

[120] فيسنر (جرنوت). تاريخ الشعب اليزيدي وديانته. ص 124.

ومجمل القول هو أن المعتقدات اليزيدية ليست كتابية بل هي تعتمد على التقاليد الشفاهية (الشفوية) والموروث المحلي مع مزيج من تأثيرات الجوار الإسلامي والمسيحي والأكثر من ذلك البروز الواضح لعقائد المتصوفة فيما بينها. وتدور أغلب هذه المعتقدات حول محور واحد وهو أفضلية الطائفة اليزيدية وقدسية رؤساءها على غيرها من الطوائف أو الشعوب الأخرى.

ج- عقيدة اليزيدية في الطوفان

آمن اليزيديون كبقية شعوب وأمم الشرق الأدنى القديم بقصة الطوفان الذي مرت به البشرية وقد سجلت لنا الرّقم الطينية الرافدية جميع أحداث قصة الطوفان وهي التي نجدها في الديانات السماوية مع النبي نوح أبو البشر الثاني بعد آدم[121]. وأما في المرويات اليزيدية فيحكى عن طوفانين[122] أولهما حدث من عين "سفني"[123] موضع مشايخ اليزيدية ثم صنع السفينة التي كانت تسير حتى صارت فوق "جبل سنجار" فاصطدمت بحجر ناتئ وانشقت، وخرجت من الحجر "حية" وسدت ثقب السفينة حتى استوت

---

(121) العهد القديم : سفر التكوين (VII ـ IX)؛ القرآن الكريم هود (11): 36 ـ 41. المؤمنون (23): (23 ـ 28).

(122) موصلي (بهنام)، "مقالة في اليزيدية"، ص 537.

(123) "عين سفني": قرية في شمال شرقي الموصل، تبعد عنها 50 كم، وهي مركز قضاء الشيخان. ولفظة "سفني" في الأرامية تعني الأوتاد الخشبية (أو السفين). وقد عرفت بهذا الاسم في بعض المصادر الأرامية (الكلدانية). ولم يشر إلى هذه القرية أحد من البلدانيين والمؤرخين العرب. وحسب ما ظهر لنا من المصادر، وجدنا ابن الفوطي يذكر ترجمة أحد النحاة ناسبا إياه إلى موطنه "الموصلي العنسفي" وقال إنه ينسب إلى عين سفينة من بلاد الهكار، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تصحيح وتعليق الحافظ محمد عبد القدوس القدسي، أصدرته مجلة Oriental Collège Magasin، لاهور، 1940، ج IV، ص 199 ـ 200؛ بشير (فرنسيس) وكوركيس (عواد)، "نبذة تاريخية في أصول أسماء الأمكنة العراقية"، ص 270.

على جبل "الجودي"[124] ويقولون أنه لما كثر نسل الحية[125] بعد الطوفان. أخذها نوح وأحرقها بالنار وذر رمادها في الهواء ولهذا السبب يقدس اليزيديون جبل سنجار ويحفلون به كما اعتادوا الاحتفال سنويا فوق هضبة الجودي بذكرى رسو سفينة نوح بها فكانوا ينحرون الأضاحي قربانا ويحلفون باسم هذا الجبل[126].

وأما الطوفان الثاني فقد كان بعد ذلك ليغرق الله المعتدين على الأمة اليزيدية من الناس أجمعين. فأب اليزيدية في الطوفان الأول هو نوح وحده والناس من أولاد حام بن نوح. وأبوهم في الطوفان الثاني الملك الكريم "ميوان". وفي تلك الأثناء قدم نبيهم "عدي" من أرض الشام إلى جبل "لالش النوراني" ليبشر باليزيدية ويهدي الناس إلى اعتناقها[127].

ويعتقد اليزيديون أنه قد مضى على الطوفان سبعة آلاف عام ينزل في كل الف عام واحد من الآلهة السبعة ليأتي ببعض المعجزات. ثم يعود. وانه في الألف سنة الأخيرة نزل عندهم طاووس ملك مراراً عديدة ثبت خلالها الأولياء، ونظم الشرائع والقوانين. وعين الأماكن المقدسة وكان يكلمهم باللغة الكردية[128].

---

[124] الجودي: جبل بأرض الجزيرة استقرت عليه سفينة نوح في عشر خلون من شهر محرم (يوم عاشوراء). ابن قتيبة. المعارف. ص 22 ـ 23؛ المقدسي (البلخي). البدء والتاريخ. ج II. ص 63. ابن إياس (الحنفي). بدائع الزهور. ص 24؛ حتى أنه يقال أن حجارة الكعبة بمكة نقلت من جبل الجودي. ابن إياس. المصدر نفسه. ص 24.

[125] وهم يروون كذلك أن السفينة حين ثقبت سأل نوح: "من لنا بسد هذا الفتق؟" فقالت الحية: "أنا أقوم بذلك بشرط أن تسلمني ابن آدم لأمتص دمه" قال نوح: "قد رضيت بذلك". ونجا من كان فيها قالت الحية لنوح "انجز ما وعدت به" فخاف نوح على من كان من جنسه. فأحرق الحية وذر رمادها في الهواء فجاءت منها البراغيث التي تمتص دم "ابن آدم" برفق. المقتطف. "اليزيدية". ص 395 ؛ البغدادي (الأب انستاس). المرجع السابق. م II، ص 153 ـ 154 ؛ موصلي (الراهب بهنام). مقالة في اليزيدية". ص 537.

[126] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 43 ـ 44؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 81.

[127] مصحف "رش" : XV ؛ المقتطف. "اليزيدية أو عبدة إبليس". ص 396 ـ 397.

[128] مصحف "رش" النسخة التي اعتمدها السيد عبد الرزاق الحسني. المرجع السابق. ص 66 ـ 67. جميل (شموئيل). كتاب القس إسحاق. في (ملاحق) كتاب جورج حبيب. المرجع السابق. ص 106.

ومن خلال هذا نستشف مجدداً روحاً "شعوبية" لدى اليزيدية. فلغتهم هي لغة أهل الجنة. ولغة الملائكة المقربين مصرفي شؤون الكون. بل "إن الله كلم آدم بالكردية وهي لغة الحق لكن المسيحيين قالوا بأن الله خاطب آدم بالسريانية وقال اليهود أنه خاطبه بالعبرية"[129]. وحسب الظاهر يعود هذا الاختلاف إلى روح التميز التي عمل اليزيديون على تعميم نشرها بين الناس لإبراز أهمية معتقدهم أو ربما لبقاء تأثيرات الشعوبية التي طبعت مرحلة هامة من العصر العباسي الأول. في هؤلاء الكرد. فالصراع الثقافي بين الفرس والعرب جعل كل طرف يبحث في مفاخره. ولذلك نرى العرب يعتبرون لغتهم لغة أهل الجنة ولغة القرآن فلا يتعجب فرد من أي أمة إذا حشر يوم القيامة ووجد نفسه في الفردوس يتكلم العربية. التي تكلم بها إسماعيل وهو ابن لعجميين. فكل من يدخل الجنة يتكلم ساعة دخوله بلسان أهلها[130]. ولذلك أيضاً عمل "الأكراد اليزيدية" على إعلاء شأن ملتهم وتمييز لغتهم فهم عبدة "يزدان" الكائن الخارق وأبناء آدم وملة "طاووس ملك" وعباد الله الذين اصطفاهم من دون خلقه من الطوفانيين المدمرين.

ومن هنا يتأكد لدينا تداخل مفاهيم دينية شتى كانت منطقة الهلال الخصيب وبلاد الرافدين المنشأ الأساسي لها. فاليزيدية ليست بالديانة الموحدة ومع ذلك نجد فيها عناصر آرية قديمة ورافدية عميقة تاريخياً بالإضافة إلى مزيج مختلط من فكر الديانات التوحيدية وآثار صوفية ذات منبع شرقي فيها نوع من "الثنائية" الإيرانية المبنية على وجود صراع أبدي بين الخير والشر / النور والظلمة والتي عملت وحدة الوجود الصوفية التي نشرتها العدوية في أحقاب مختلفة على ترسيخها.

---

[129] كتاب القس إسحاق. ص 106 (راجع ملاحق جورج حبيب).

[130] الجاحظ. رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الجيل. بيروت / لبنان. 1991/1411. ج 1. ص 31 ـ 33.

3. عقيدة اليزيدية في الشيطان أو "طاووس ملك"

اشتهر اليزيديون بأنهم من "عبدة إبليس" أو الشيطان، مع أنهم يرفضون التسمية المتأخرة وهم لا يعتقدون في وجوده أساساً.

إلا أن "الملك طاووس" قد اقترن حسب زعمهم بمعصية، فهو الذي ضلل آدم وحواء بإخراجهما من الجنة[131] فتحول على إثرها إلى "شيطان"، وقد كفر عن معصيته هذه بتوبته التي استمرت حوالي سبعة آلاف سنة وبحياة كلها دموع. وبعدها حصل على عفو الله[132]، كما اعتقدوا أن دموعه تلك قد أطفأت نار جهنم.

ولذلك نجدهم يكرمون هذا "الشيطان" ويأملون في أن يكرمه غيرهم. ولفظة "شيطان" عندهم تعني الاحتقار والإهانة، ولهذا السبب كانوا لا يلفظونها البتة ويطمسونها بشمع النحل إذا مرت أمام "مشرعيهم" في "القرآن الكريم"[133]. وقد يكون منشأ اعتقادهم في "الشيطان" ممثل الشر "أهريمان" ومصدره المعتقدات الإيرانية القديمة[134] التي تعرفنا إليها سابقاً.

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المجال هو: ما هي الصلة بين اليزيدية والشيطان؟ ولماذا التصقت بهم تاريخياً هذه المسبة / التهمة؟

ألصقت "باليزيدية" "عبادة إبليس" وفي الحقيقة لم تكن عبادة بأتم معنى الكلمة وإنما هي إحدى نتائج مرحلة "اللالعن"، فانجر عنها احترام "الشيطان"

---

(131) المقدسي (البلخي)، البدء والتاريخ، ج II، ص 40 ـ 43.

(132) BUCKINGHAM (J. S), op. cit., vol. II, P 208 ; SEABROOK (W. B), Adventures in Arabia, New York, 1927, P 328 - 330

(133) البغدادي (الأب اتستاس الكرملي)، المرجع السابق، م II، ص 155؛ الحسني (عبد الرزاق)، عبدة الشيطان في العراق، مطبعة العرفان، صيدا / لبنان، 1931، ص 42؛ العزاوي (عباس)، تاريخ اليزيدية، ص 192 ـ 193.

(134) BOIS (Thomas), loc. cit., P 122 - 123؛ الدرة (محمود)، المرجع السابق، ص 182.

ورفعه إلى درجة "طاووس الملائكة"[135] ومنع حتى مجرد النطق باسمه خيراً أو شراً، وبهذا فقد شذ اليزيديون عن عقائد الجوار، لكن هذا لا يعني عدم وجود من كان يعظم الشيطان ويحترمه، خاصة أنه كان هناك بالجوار خليط من الملل والنحل الغريبة، وأما عن تاريخ الشيطان / إبليس الذي كان اسمه "عزازيل"[136] فنتيجة لمعصيته لأوامر الله بالسجود لآدم أصبح اسمه إبليس / شيطان رجيم[137]، وإبليس بمعنى يئس من رحمة الله[138]، ويذهب بعض المستشرقين إلى أنه معرب "ذيابلس" « Diabolos » ونحن لا نوافقهم على رأيهم لأن الفرق بين ذيابلس ظاهر، والظاهر أنه معرب « Epialès » وهو من أسماء الشيطان عندهم ومعناه الكابس والهاجم الذي يسبب الكابوس في النوم على حد زعم قدماء الإغريق[139]، وقد كان يعد قبل معصيته من الملائكة المقربين وأكثرهم اجتهاداً وعلما فقد كان رئيس ملائكة السماء[140]. إذن من نقل إلى اليزيدية عبادة الشيطان؟ أو من أين دخلت فيهم عبادة "الشيطان" ؟

---

(135) ROYSTON (E. Pike), Encyclopedia of Religion and Religions, London, P 399

(136) الطبري، المصدر السابق، ج I، ص 81 ؛ المقدسي (البلخي)، البدء والتاريخ، ج II، ص 40؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج I، ص 25.

(137) سورة ص : 80؛ المقدسي (البلخي)، البدء والتاريخ، ج II، ص 40.

(138) المقدسي (البلخي)، البدء والتاريخ، ج II، ص 40؛ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت / لبنان، (د. ت)، ج VI، ص 29.

(139) أسرة مجلة لغة العرب، "أصل كلمة إبليس"، مجلة لغة العرب، المجلد السابع، ج XI، 1929، ص 447.

(140) الطبري، المصدر السابق، ج I، ص 82؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج I، ص 23؛ القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج I، ص 18؛ وقد ذهب المستشرق الفرنسي (François Nou) في كتابه Recueil de textes et de documents sur les Yezidis, Paris, 1918, P 17 ، بأن كلمة طاووس محرفة من "تيئوس" التي تعني الإله باليونانية، زيدت عليها كلمة ملك، فصارت الملك الإله.

أ- عقائد النصرانية القديمة في الشيطان

إذا نظرنا إلى جوار اليزيدية لم نجد سوى أصحاب الكتب السماوية من يهود ونصارى وبقية المذاهب الإسلامية. ومع ذلك فقد أورد المحامي عباس العزاوي وثيقة نادرة من كتاب "الفرق"[141] المجهول المؤلف. تقول بوجود "فرقة نصرانية" تعتقد بأن الله لما رأى الشيطان قد علا شأنه وعجل أمره. وعجزت الأنبياء عن مناوأته وجه ابناً له أزلياً قديماً منفرداً. يخلق الخلائق كلها فدخل في بطن امرأة، ثم ولد منها ونشأ وناهض الشيطان فأخذه الشيطان فقتله ثم صلبه بين يدي شرذمة من إخوانه[142].

وفي خضم البحث عن المذاهب النصرانية التي تميل إلى هذا الرأي لم نجد أي فرقة سواء من المندثرين أو الموجودين تعتقد في ذلك. وبالرغم من وجود تأثيرات مسيحية في عادات وعقائد اليزيدية[143]. فإننا لا ننكر وجود اعتقادات خاصة بالنصارى في الشيطان مرتبطة بقصص "العهد القديم" و"العهد الجديد". فالشيطان كان مهرطقاً وكان "إلهاً غريباً تتم عبادته ضمن طقوس بدائية ومغرقة في القدم. ومع تزايد سعي الكنيسة لأخذ وضع أكثر سيطرة على الفكر الغربي. صار الشيطان معروفاً بأنه الخصم التقليدي الوحيد لله[144]. وقد ساهمت المسيحية دون قصد أو إرادة واعية في تضخيم صورة "الشيطان" الذي يظهر لنا بأنه "محرض" على التجربة التي تأتي من الله بحيث أن نزوله من "الملأ الأعلى" إلى الأرض للعمل على حسابه الخاص ووفقا لمشيئة الله وإرادته فالله هو الذي يسمح بما يفعله الشيطان.

---

[141] ذكر الأستاذ عباس العزاوي في كتابه تاريخ اليزيدية أن زمن كتابة هذا المخطوط يعود إلى الخليفة المقتفي لأمر الله العباسي (530 ـ 555 هـ / 1136 ـ 1160 م) وهذا الكتاب مخطوط بحوزة المؤلف. راجع الهامش. ص 54.

[142] مؤلف مجهول. كتاب الفرق. نقلا عن عباس العزاوي. المرجع السابق. ص 54

[143] البغدادي (الأب انستاس الكرملي). المرجع السابق. م II. ص 36 ـ 37. 154 ـ 155؛ موصلي (بهنام). "مقالة في اليزيدية". ص 539.

[144] وودز (ويليام). تاريخ الشيطان. ترجمة ممدوح عدوان. دار الجندي للطباعة والنشر. دمشق. 1996. ص 10.

ومعروف أن فكرة الملاك "عزازيل" المتمرد على مشيئة الرب تحول إلى "شيطان"، لم تقبل بسرعة. بل احتاجت إلى فترة زمنية كبيرة لتبديل بعض العقائد التي كانت في حاجة إلى نوع من الإيضاح. وكلمة شيطان في اللغة تعني كذلك "حية" وكان قدامى بلاد الرافدين والهلال الخصيب يجسدون بها آلهتهم بشكل عادي(145) والظاهر أن قصة تحول الشيطان إلى حية حسب العهد القديم لإغواء آدم وحواء "بالثمرة المحرمة"(146) وعلاقتها بالخطيئة الأصلية (أول كبيرة للإنسان...) جعلت البعض يعتقد بأنه يجترح المعجزات مثله مثل الإله(147). أما الآخرون فيذهبون إلى عملية رفض إبليس الامتثال لأوامره في السجود لآدم بعد أن كان "أعظم الملائكة وسيد الكروبيين" فهو كثير العلم والعبادة ولذلك لقب "بطاووس الملائكة"(148) وحسب وصف المصادر القديمة لما كان عليه "إبليس / عزازيل" سابقا من مكانة هو ما جعل "اليزيدية" تعتقد بأنه شريك الله في خلق الإنسان وتسيير الأمور على وجه الأرض(149) وبالتالي فهم يرفضون أي طرف يتهمهم بعبادة الشيطان ومن يصفهم بتلك التهمة يعتبرونه عدواً لهم. وهم يحبذون تسمية "طاووس ملك"(150) ولا يحنثون باسمه ولا يشهدون زورا به ومن يفعل ذلك فجزاؤه الهلاك والعذاب المبين(151). وليست هذه العقائد جديدة أو مخفية فبعض المعتقدات الآرية القديمة بحكم إيمانها بالثنائية في الخير والشر. تذهب إلى

---

(145) سنراها لاحقاً في علاقة اليزيدية "بالحية".

(146) العهد القديم. سفر التكوين: الإصحاح III.

(147) الخوري (د. روجيه شكيب). عبدة الشيطان. دراسات المركز اللبناني الباراسيكولوجي. بيروت / لبنان. 1998. ص 12 ـ 14 .

(148) الغزالي (أبي حامد). مكاشف القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف. مكتبة الأزهر للتراث. القاهرة / مصر. 1991/1412. ص 42.

(149) مصحف رش: XVIII؛ BUCKINGHAM (J. S), op. cit., vol. II, P 208 ;

(150) WARFIELD (William), The Gate of Asia, London, 1916, P182

(151) WARFIELD (William), op. cit., P189

تفضيل إبليس على آدم[152] وهكذا نرى أن اليزيدية جعلت من الشيطان / "طاووس ملك" إمبراطورا للشر في العالم، وتعمقت في اذهان أولئك البسطاء والسذج من اليزيديين فكرة أن لهذا الشيطان "سلطاناً يمتد بلا حدود وأنه يجلس متربعاً متمكناً على عرش الشر يحتل كل شبر من الأرض. وكل لحظة من الزمان. وكل فكرة أو خاطرة من خواطر البشر"[153].

ب- عقائد المتصوفة في الشيطان

كان من نتائج عقائد المتصوفة "الغالية" وحتى غير الغالية أن منهج الشيخ عدي بن مسافر عمل على مقاطعة "اللعن" وعلى تجاوز ذلك الماضي المعتم القاتم. فسعى إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية في ظل "أهل السنة والجماعة" وكانت أوامره صارمة في "تهذيب النفس وتقويم الطبائع" ومشددة على ترك الشتم واللعن واعتباره "معصية وإثما" فشمل بهذا القرار "إبليس" وقد نجح الشيخ في إبطال عديد "البدع المضلة" في صفوف أتباعه ومريديه[154] وتطورت مقاطعة "اللعن" هذه فشملت "إبليس" بإضفاء نوع من الاحترام والتقدير الخاص له. كما أن معتقدات اليزيدية القديمة بدأت تظهر مجددا والتراث الصوفي الإسلامي مدين لتلك الفلسفات الشرقية والمذاهب النصرانية

---

[152] راجع آراء مذاهب المجوس في ذلك، الشهرستاني، المصدر السابق، ج I، ص 230 - 244؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 81؛ وجاء في شعر بشار بن برد الفارسي الأصل:

إبليس خيــر من أبيكم آدم فتنبهـوا يـا معشــر الفجـار
إبليس من نار وآدم من طين والأرض لا تسموسمو الطينار

ديوان بشار بن برد، شرح حسين حموي، دار الجيل، بيروت/لبنان، 1996/1416، م II، ص 412.

[153] أدلبي (محمد منير)، أبناء آدم من الجن والشياطين، دمشق، 1993، ص 101.

[154] FRANK (G), op. cit., P 82 - 83 ; LESCOT (R), op. cit., P 39 ; GEOFFROY (Eric), op. cit., P 229

التي اقتبس عنها ونهل منها[155]. وفي هذه المرحلة أصبحت الأرضية مهيأة لأي تغيير أو تبديل وقد تكون للبدعة "المحدثة" صلة بذلك. لكن حسب الظاهر فإن الدور الأكبر كان لأهواء القائمين على المذاهب والأديان كما هو حال الشيخ حسن "شمس الدين" مع عزله لأتباعه عن الجوار. كل هذا مهد للغلو ومن ثمة إحياء عقائد اليزيدية القديمة.

فما هي علاقة المتصوفة بالشيطان؟ وما مدى تأثر اليزيدية بتلك العلاقة؟

ليس في عقيدة الشيخ عدي الأكبر ما يخالف الأصول المعروفة في عقائد "أهل السنة والجماعة" وكما أجمع الدارسون للعدوية من القدامى أو حتى المعاصرين أنه لا يوجد أي غلو في يزيد أو أي صلة لهم بالشيطان[156].

وقد تقدم معنا أن هذه النحلة لم تظهر بين الفرق والمذاهب إلا بعد القرن السادس هجري وأن نواتها الأولى "طائفة صوفية" ثم صارت من غلاتها حتى اتهمها "علماء الظاهر" بالمروق والكفر بعد تفشي البعض من عقائدها[157] أمام الرأي العام الإسلامي والمسيحي المجاور لها ولا يخفى على أحد أن لغلاة الصوفية من الآراء الشاذة والأفعال الغريبة الكثير. وهذا ما نسميه بالغلو أو شطح المتصوفة[158] ومن جملة الذين تميزوا بشطحاتهم

---

[155] فقد جاء في أشعار شيخ متصوفي القرن السابع هجري محي الدين بن عربي:

لقد صار قلبي قابلا كل صورة   فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف   وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت   ركائبه فالحب ديني وإيماني

ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق، طبعة بيروت، 1894/1312. ص 39 ـ 40.

[156] ابن تيمية، المصدر السابق. ج I. ص 262 ـ 263؛ تيمور (أحمد باشا)، "اليزيدية". ص 59؛

FRANK (R), op. cit., P 82 - 83 ; LESCOT (R), op. cit., P 32 - 33

[157] ابن جميل (أبو فراس). رد على الرافضة واليزيدية المخالفين للملة الإسلامية المحمدية. نقلاً عن عباس العزاوي، ص 81 ـ 84؛ الربتكي (الشيخ عبد الله)، فتوى في اليزيدية، نقلا عن عباس العزاوي، المرجع السابق، ص 84 ـ 89 وصديق الدملوجي. المرجع السابق، ص 433 ـ 439.

[158] من جملة الأمثلة ما يروى عن أبي يزيد البسطامي قوله "طلبت الله ستين سنة فإذا أنا هو". المقدسي (البلخي)، البدء والتاريخ، ج II، ص 91

نجد الحلاج[159]. وابن عربي[160] وابن سبعين[161] ويونس القوني[162] ومن آراء الصوفية النابية تعصب البعض منهم لإبليس وتبرير ذلك بقصة عدم سجود إبليس لآدم وهي تلك المثيولوجيا التي طبعت تاريخ البشرية بموجات متعددة من الأفكار قسمت أبناء آدم بين متعاطف مع آدم ومعارض له واعتباره هو وزوجه السبب المباشر في شقاء الجنس البشري.

فإبليس إمام الملائكة وطاووسها أراد الله أن يبتليه حسب رأي الحلاج. فأمره بالسجود لآدم ليرى مدى تمسكه بحقيقة التوحيد وتشبه بدعواه في التقديس والتسبيح وقد برهن إبليس عن استعداده فقال عن إبليس: "هو الذي كان أعلمهم بالسجود وأقربهم من الوجود. وأبذلهم للمجهود وأوفاهم بالعهود. وأدناهم من المعبود سجدوا لآدم على المساعدة وإبليس جحد السجود لمدته الطويلة على المشاهدة"[163].

ورأي الحلاج الذي وقفنا عنده هو أيضاً رأي عدد هام من المتصوفة المسلمين الذين ذهبوا هذا المذهب فحرموا - شتم إبليس - كما أن الحلاج اعتبرها قضاء وقدراً بأن يعصي "إبليس" أوامر ربه فما أطاع المشيئة الإلهية وثبت على مبدئه التوحيدي فهو أفضل مخلوق دافع عن التنزيه الإلهي فقال في "طاسين الأزل والالتباس": "وما كان في أهل السماء موحد مثل إبليس،

---

[159] شهيد التصوف الإسلامي له شطحات غالية أودت إلى قتله على يد رموز الدولة العباسية في سنة (309 هـ / 914 م) ومن شطحات الحلاج أنه ادعى بأنه إله وأنه يقول بحلول اللاهوت في الأشراف من الناس. ابن النديم. الفهرست. ص 269 - 272. مسكويه. المصدر السابق، ج I، ص 32، 76 - 82؛ ابن الأثير. المصدر السابق. ج VIII. ص 126 - 128.

[160] راجع ترجمته.

[161] الشيخ عبد الحق بن سبعين. كان من المشايخ الكبار مات بمكة سنة 667 هـ عن عمر يناهز الخمس وخمسين سنة. الشعراني. المصدر السابق. ج I. ص 203.

[162] يونس القوني ولد في القونية قرب ماردين. أسس الطريقة اليونسية. وصل حتى دمشق. توفي بمسقط رأسه القونية سنة (619 هـ / 1222 م) وعمره تسعين سنة. وكان صاحب حال وكشف. يحكى عنه كرامات. الذهبي. المصدر السابق. ج V، ص 77 - 78.

[163] راجع ماسينيون لويس في تحقيق كتاب الطواسين. باريس. 1913. "طاسين الأزل والالتباس" ص 46 وما بعدها؛ الحلاج (الحسين ابن منصور)، الطواسين. أعد النصوص وقدمها رضوان الشح، دار الينابيع. دمشق. 1997. "طاسين الأزل والالتباس". ص 641 - 644.

حيث ألبس عليه العين. وهجر اللحوظ والألحاظ في السر. وعبد المعبود على التجريد. ولعن حين وصل إلى التفريد وطرد حين طلب المزيد..."[164].

وقد ذكر العدويون / (اليزيديون) بأن الحلاج يعتبر من رجالاتهم "وأوليائهم" فقد أقاموا له ضريحا "مقاما" في لالش يعد من أهم مزارتهم المقدسة. كما صنعوا له تمثالا مصنوعا من النحاس للطائر الإلهي دعي بـ "سنجق الحلاج" وهو السابع من بين سبعة سناجق[165].

فقد يكون هناك علاقة أو صلة بين أتباع ومريدي "الحلاج" والشيخ عدي الأكبر ففي القرن 5 هـ / 11 م انصهر آخر ممثلي الحلاجية في الطريقة القادرية. إضافة إلى وجود علاقة مميزة جدا بين "سلطان الأولياء" و"مجاهد الصوفية عدي" وعلى كل فاليزيدية تعرف جيدا الحلاج الذي بنت له مقاماً قرب ضريح الشيخ عدي ويعدون من شهداء الصوفية الكبار[166].

فالحلاج الذي كانت تعتقد به اليزيدية أيما اعتقاد ومن الأكيد أنها قد أخذت عن أتباعه الكثير، الأمر الذي جعلها تعتبره من أوليائها.

أما ما يقوم به القصاص الوعاظ ففيه الكثير من الغرابة إذ نجد بعضهم يتعصب لإبليس ويبرر عمله في عدم السجود لآدم ومنه ما رواه ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة حيث قال: "كان أبو الفتح أحمد بن محمد الغزالي الواعظ أخو أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي[167] قد اشتغل بالوعظ، إلا أن طريقته منكرة لأنه كان يتعصب لإبليس ويقول عنه: سيد الموحدين. وإبليس سيد العبدة. ويروى أنه صعد المنبر يوما وقال: من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق. أمره ربه أن

---

(164) الحلاج. الطواسين. تحقيق ماسينيون لويس. ص 46. النسخة التي حققها رضوان الشح من الطواسين. ص 59.

(165) MASSIGNON (Louis), op. cit., P 82

(166) MASSIGNON (Louis), op. cit., P 398 ; LESCOT (R), op. cit., P 40 ؛ جول (إسماعيل بيك). اليزيدية قديما وحديثا، ص 77. الفيل (د. سهير). المرجع السابق، ص 91.

(167) كان واعظا متفوها جلس في بغداد في النظامية وغيرها أصله من خراسان وعرف بتعصبه لإبليس. توفي سنة 520 هـ / 1126 م. ابن الجوزي. المنتظم. ج IX. ص 260 ـ 262.

يسجد لغير ربه فأبى"[168] كما اشتط البعض من المتكلمين، فزعموا أن الله لا يقدر على شيء من الشر، وأن إبليس يقدر على الخير والشر[169]، ومن هذه المقولات وغيرها ومما تراكم في ديانة الأجداد نشأ اعتقاد اليزيدية في الشيطان "طاووس ملك" فعدوه من آلهتهم المتميزين ورفعوا مقامه إلى حد الألوهية. وصاروا إذا لعن أحد الشيطان عن قصد أو غير قصد أمامهم إلا وغضبوا عليه أشد غضب وكان لا يهدأ لهم بال ولا خاطر إلا بقتله، ويعد قتله تقربا[170] إلى "طاووس ملك". فما هي مكانة طاووس ملك عند اليزيدية؟ وكيف يرمز إليه ؟

ج- مكانة "طاووس ملك" عند اليزيدية

يرتبط اعتقاد اليزيدية بالشيطان / "طاووس ملك" بتأثيرين أحدهما يتعلق بديانة الأجداد لاعتقادهم في فكرة الخير والشر التي تعد من الأفكار الأصيلة والعريقة لدى البشر وهي منحوتة في العقل البشري منذ وطأت قدم الإنسان الأرض وهذه الأفكار العريقة تأثرت بها عديد الأديان والفرق في الشرق[171] وعدت من أصول عقائدهم، وعلى رأسها اليزيدية التي ترى رأياً مخالفاً للآخرين. فقد جعلت من إله الشر "أهريمان" وهو "طاووس ملك" قديساً وإن لم يصل إلى مكانة الإله (الخالق) فقد كان يعبد خوفاً من قوته وبطشه فهو الذي عصى أوامر ربه وغرر بآباء البشر الأولين فما بالك بأبنائهم الضعاف.

---

(168) شرح نهج البلاغة. طبعة القاهرة. 1329 هـ. ج ا. ص 35؛ تيمور (أحمد باشا)، "اليزيدية"، ص 60 ـ 61؛ العزاوي (عباس)، المرجع السابق. ص 56 ـ 57، الحسني (عبد الرزاق)، اليزيديون. ص 25.

(169) ابن الجوزي. تلبيس ابليس، ص 31؛ تيمور (أحمد باشا)، "اليزيدية". ص 61؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 82.

(170) WARRFIELD (William), The Gate of Asia, P 182

(171) الشهرستاني. المصدر السابق. ج ا. ص 233 ـ 255 (توجد عديد الفرق التي تؤمن بهذه العقيدة).

وكانت عبادته تختلف عن عبادة الرب فقد كان اليزيديون يتقربون من "طاووس ملك" ويتعبدون إليه خشية غضبه وكانوا يخافونه. وقد بلغ بهم هذا الخوف إلى حد تركهم عبادة الله لاعتقادهم أن الله لا يفعل الشر بعباده لصلاحه، بينما الشيطان "المنقاد إلى عمل الشر لأنه مصدره" وتقتضي الحكمة لديهم إهمال عبادة الله والتقرب والولاء للشيطان "طاووس ملك"[172] وليس لغاية عبادته كما يظن البعض بل هم "يقدرونه" وكما يقولون عن أنفسهم: "إننا لا نعبده بل نترضاه ونسترشده"[173].

ولذلك السبب يكرمون "طاووس ملك" ويريدون أن يكرمه غيرهم. وكما بينا سلفاً أن كلمة "شيطان" تعني الكفر والاحتقار وهو ما جعلهم يتجنبون ذكر اسمه ولا يريدون أن يلفظها أحد أمامهم[174] فكانوا يتجنبون كل ما يشبهها "اشتقاقاً أو لفظاً أو روياً أو أحرفاً بالعربية أو الكردية"[175] وقد يضطر أحدهم أحيانا إلى استخدام مثل هذه الألفاظ أو المصطلحات إما بالتلميح وإما باستخدام رموز تخص تلك الألفاظ: فلفظة "شيطان" يعبرون عنها بـ «هو أو ذلك الرجل "ميريك" أو السيد "جلبي"[176]» وإذا أرادوا لفظة "الشط" قالوا" الماء الكبير، وأما المشط واسمه بالكردية "شه" لكنهم لا يلفظونها بل يصفونه بقولهم "داركي شري" أي خشبة الرأس[177].

---

[172] الحسني (عبد الرزاق)، عبدة الشيطان في العراق، ص 41 ـ 42.

[173] التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 83.

[174] كتاب الجلوة : الفصل IV : 8؛ المقتطف، "اليزيدية أو عبدة إبليس"، ص 396.

[175] مصحف رش: 24؛ موصلي (بهنام)، "مقالة في اليزيدية"، نفس المرجع، ص 32 ـ 33؛ FURLANI (G), "Gli interdetti dei Yezidi", op. cit., P 155 ؛ (راجع محرمات اليزيدية).

[176] E.I2, "YAZIDI", Menzel (Th), vol. VIII, P 1164

[177] الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 46 ـ 47؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 83 ـ 84.

د- هيآت طاووس ملك

امتداد لمعتقدات الأجداد أم تصور يزيدي لديانتهم الجديدة ؟

كان للطف شكل "طاووس ملك" وجمال صورته قبل طرده من الجنة أن جعل اليزيدية يقومون بنحته في شكل يشبه "الديك"[178] أو "البطة" أكثر من شبهه بالطاووس وكان ذلك على قائمة نحاسية متوسطة الحجم يمكن لأي شخص أن يحملها[179].

ويعتبر طاووس ملك "Melek Taus" (The Peacock King) رمزاً للخلود والديمومة إلى فترات ممتدة من تاريخ المسيحية المبكر "فتموز" (Tammy)[180] قد استمد الإرادة والقوة من "الطاووس" وهو اسم حسناء "أونيس". وفي بلاد فارس كان يوضع على جميع النصب القديمة ابتداء من قبور العظماء وحتى المذبح الناري المقدس. ووصولاً إلى الشيخ عدي أين حفظ هذا التمثال المكفن في صندوق[181] ويذهب البعض إلى أن طاووس ملك هو الإله الرافدي تموز وحور إلى طاووس بالكردية[182] وأن عيد "طاووس ملك" في شهر جويلية (تموز) هو شهر الاحتفال البابلي[183] ولذلك اعتبره الإغريق طبر الربة "هيرا" (Hera) زوجة الإله "زيوس" (Zeus) رب الأرباب[184]. وكان القدامى يعتقدون أن ذيل الطاووس يمثل فكرة الكلية والتكامل[185] والطاووس طائر هندي وصل

---

(178) CLAUDIUS (James Rich, Esqure), op. cit, P 70 ; SEABROOK (W. B), op. cit., P 292

(179) SEABROOK (W. B), op. cit., P 292 - 293

(180) راجع أديان ما بين النهرين. كذلك كتاب أنطون موركات. تموز عقيدة الخلود والتقمص في فن الشرق القديم. تعريب د. توفيق سليمان. دار المجد. دمشق. 1985.

(181) FORBES (Rosita), op. cit., P 289 - 290

(182) NIKTINE, Les Kurdes, études sociologiques et historiques, Paris, 1959, P 236 ; BOIS (Thomas), op. cit., P120

(183) FURLANI (G), "Sui Yezidi", P 116 - 119

(184) اليوسف (إبراهيم). المرجع السابق. ص 28.

(185) اليوسف (إبراهيم). المرجع السابق. ص 28.

عن طريق التجارة إلى بلاد فارس ووادي الرافدين. وهو عند اليزيدية ملك الأرض الأقوى وهو موجود في كل مكان[186] ويرمز إلى الخلود.

لكن لماذا صور "طاووس ملك" بهيئة طاووس نحاسي ؟

ذكرنا سلفاً أن صورة "ملك طاووس" وتقديسه كان في صورة طائر لا يمت بأي شبه إلى صورة الطاووس[187] فحسب روايات اليزيدية المقدسة[188] عن الخليقة ونشأة الكون فإن الطيور تلعب دوراً مركزياً في كل الأحداث. وما تبجيلها في تظاهراتها المقدسة لما شاكل الطير وتقديسهم للديكة إلا مثلان جيدان لما أوردناه. وقد أخرجت الحفريات الأثرية في المناطق المحيطة بلالش (قرابة 30 كم في "شاندروجم زتوي") (Cham Zawi) التي قام بها عالم الآثار سولكي (Solecki) أثاراً لبقايا ما في أضرحة هناك كأجنحة كبيرة خصوصا لطائر "الحبارى" والدجاج البري الضخمة ويعود تاريخها إلى ما قبل 10300 ـ 10800 سنة. إن تلك البقايا تشير إلى طقوس دينية تتضمنها "الطيور"واستخدام أجنحتها في أعمال كهونتية[189]. إضافة إلى أن الفن الرافدي كان كثير الاستعمال لأجنحة الطيور عند تصوير الآلهة خصوصاً في منحوتات المملكة الآشورية في نينوي قرب الموصل. فوجود مثل هذه الرسوم والصور أصبح مألوفا في تلك المنطقة، إلا أن تصوير الطيور التامة الريش (المريشة) في عبادة الإله الأسمى قد اتخذتها اليزيدية[190]. ولذلك نجد "ايقونة"[191] الطير في لالش تحمل اسم "الطاووس" علماً وأن الطاووس لا

---

(186) EMPSON (R.W.H), The cult of the peacocl Angel, P 134 - 135

(187) فيسنر (جرنوت)، تاريخ الشعب اليزيدي وديانته. ص 117.

(188) راجع مصحف "رش" : ا. قصة الطائر "أنغر".

(189) عزتي (مهردار). "الايزيدية من كتاب الكورد". ترجمة معصوم مايي. مجلة لالش. العدد V. 1995، ص 69.

(190) راجع SOLECKI (Ralph), "Predatory bird rituals at Zawi Chenir Shanidar", Sumer, XXXIII.1, 1977,

(191) الصور والتمثال. نجد هذا المصطلح متداول أكثر عند النصارى حيث يرتبط برموز الكنيسة المسيحية. راجع المطران يوحنا إبراهيم. السريان وحرب الايقوتات، مطرانية السريان الأرثوذكس، حلب / سورية، 1981، ص 40.

يستوطن المناطق الجبلية بالعراق الشمالي. وعلى ضوء المكتشافات في (جه مي زاوي) فإن طير الحبارى الضخم يشبه كثيراً "الايقونة اليزيدية"، ويألف هذا النوع من الحبارى مناطق استيطان الأكراد الوعرة حيث يسمى بالكردية "شواط الكوردي". وله ألوان جميلة جداً تشبه إلى حد ما ريش الطاووس (الموجود في الإيقونة ون كان أصفر اللون) وطاووس اليزيدية أو سنجقهم الرئيسي بعيد جداً عن ذلك الذي يعيش في الهند[192].

ومع ذلك يبقى موضوع "طاووس ملك" الذي صورته اليزيدية في سناجقها أقرب إلى "الديك" كما تقدم وله أصل أسطوري يحكى عن عدي بن مسافر، فقد كان "القوال" أو "الحادي" العدوي ينشد قصائد دينية على الطريقة الصوفية العدوية. وقد أخذ القوم "الحال" فنسوا أنفسهم على ما يشاهد لديهم في أكثر الأحيان إلى اليوم، إذ نادى المنادي بالآذان، فلما سمع الشيخ عدي الأكبر ذلك تألم وعاتب المؤذن قائلاً "أنزلتنا من العرش إلى الفرش"[193].

وهذه الفكرة صوفية لا خلاف فيها فبعض المتصوفة يرون أن في "السماء ديكا براثنه تحت الأرض السابعة وعرفه منطو تحت العرش قد أحاط جناحاه بالأفقين فإذا بقي ثلث الليل الأخير ضرب بجناحيه، ثم قال سبحان رنا الملك القدوس فيسمعها من بين الخافقين فترون الديكة إذا سمعت ذلك"[194].

وتمضي المتصوفة في شرح أسباب وجود "الديكة" بأن آدم شكا إلى الله تعالى عدم معرفته بأوقات العبادة، فأنزل الله ديكاً من الجنة على قدر النور العظيم وهو أبيض اللون، فكان إذا سمع الديك تسبيح الملائكة في السماء يسبح هو في الأرض فيعلم آدم من ذلك أوقات العبادة[195] وبذلك

---

[192] عزتي (مهردار)، المرجع نفسه، ص 70

[193] الشطنوفي، المصدر السابق، ص 152 ـ 153؛ النبهاني، المصدر السابق، ج II، ص 295؛ العزاوي (عباس)، المرجع السابق، ص 61.

[194] المقدسي (البلخي)، البدء والتاريخ، ج II، ص 11.

[195] المقدسي (البلخي)، البدء والتاريخ، ج II، ص

نستشف الكرامة التي نسبت للشيخ عدي الأكبر حيث يقال إن بعض مريديه طلب منه أن يسمع ديك العرش (طاووس اليزيدية حسب مقاربة Solecki وعزاوي ومهردار)، فلما بلغ ذلك أذنه كاد يموت وبقي مشدوها لا يشعر بما أصابه وحينئذ حصل لهم منه صورة[196] واعتبروه رمزا دينيا لهم[197].

وما دمنا في أسباب اتخاذ اليزيدية سنجق / (إيقونة) "الطاووس". نذكر تلك القصص المروية عن وهب بن منبه من إسرائليات وغيرها جاء في إحداها أن سيد طيور الجنة يقال له طاووس. عمل على مساعدة إبليس / (عزازيل) بعد تحريم دخول الجنة عليه حيث أشار عليه أن يتعاون مع الحية لتدخله في فمها ومن ثم تضعه في الجنان التي فيها آدم وحواء وتم له بذلك ما خطط له[198].

يبقى بذلك "طاووس ملك" مدبر الكون عند اليزيدية محل خلاف حول أصل دخوله كمعتقد عندها وحول تاريخ نشوئه، ومع ذلك يبقى سجل معتقدات الأجداد غنياً بعديد الرموز التي مثلت بتماثيل مختلفة علماً وأن معتقدات المتصوفة قد تكون أقرب إلى معتقدات اليزيدية لأن ظهورها بشكلها الظاهر لنا أساسه صوفي.

---

[196] النبهاني، المصدر السابق، ج II، ص 295، وما هذا المعتقد إلا قصة خرافية لبست شكلا ماديا وهذه القصة لا تزال آثارها عندنا إلى اليوم وذلك أن الأهالي في الأرياف أو بعض سكان المدن يقتنون أنواعاً خاصة من الديكة الملونة والبيضاء ويزعمون أنه يصيح كلما صاح "ديك العرش"، وانه بركة في البيت، كما أن الديك الذي "يقيق" (يصيح) كالدجاجة مشؤوم ولذا يبادرون إلى ذبحه ولا يبقونه لاعتقادهم أن الأول يطرد الروح الخبيث، وهذا الثاني يأتي بما يكره، وهذه القصص الخرافية نحتت في المخيال البشري وهي موجودة عندنا ويعتقد بها الأهالي كثيرا، العزاوي عباس، "أصل اليزيدية وتاريخهم"، مجلة لغة العرب.ج X من السنة التاسعة، 1931، ص 748 ـ 749.

[197] BADGER (Rev. George Percy), The Nestorians and their Rituals, London, 1852, vol. I, P 105 - 134

[198] الحنفي (ابن إياس)، بدائع الزهور، ص 42.

4. عقيدتهم في الحية

اتخذ اليزيديون "الحية" رمزاً مقدساً في مرقد الشيخ عدي بلالش[199] وحسب المؤلفات القديمة فقد كانت للحية علاقة بإبليس / عزازيل[200]. وقبل الخوض في مسائل لاهوتية غمرتها الأسطورة الدينية عند أصحاب الأديان و المذاهب. لا يفوتنا هنا التذكير بصورة الكوكب "عطارد" التي أوردها البيروني في كتابه "التفهيم لأوائل صناعة التنجيم" هو "شاب يركب طاووسا بيمناه حية"[201]. وقبل التوغل في البحث عن صلة "طاووس ملك" بالحية، وجب علينا أن نذكر باعتقادات القدامى في "الحية". ففي بلاد الرافدين تكثر الأعمال التي تشكل صراع الإله مع تنانين افعموانية[202]. وقد اعتقد الإنسان منذ القديم بأن الحية رمز للخلود لا تموت وأن تبديلها لجلدها القديم بجلد آخر، هو استمرار لتجدد الحياة كلما نال منها الهرم، وقد ارتبطت الحية بالقمر الذي تجدد في كل دورة من دوراته جلدها القديم، فكانت بذلك رمزا للآلهة القمرية. ومن هنا ارتبطت بنظام الكواكب وعبادتها[203] ولذلك كان الكثير من آلهة العالم السفلي مرتبطا بالأفاعي، حيث كانت تمسك بها في النقوش القديمة[204] وبعد ذلك أصبحت العادة تحتم أن يحتوي كل معبد نموذجاً حياً من الثعابين[205] واعتقد القدامى في

---

[199] كاليبو (جاك ونيكول). المرجع السابق. ص 69، انظر رسم الحية في الصور 8 ـ 9 ـ 10 الملاحق.

[200] العهد القديم. "سفر التكوين": الإصحاح III. الآية 1، ابن قتيبة. المعارف. ص 12 ـ 13، وودز (ويليام). تاريخ الشيطان. ص 9.

[201] ص 76.

[202] سواح (فرس). لغز عشتار. دار علاء الدين. دمشق. 1993. ص 144.

[203] سواح (فرس). المرجع نفسه. ص 135 ـ 136، أبو يحي (د. أحمد). الحية في التراث العربي. المكتبة العصرية. صيدا / بيروت. 1997. ص 186 ـ 187.

[204] بوتيرو (جان). الديانة عند البابليين. ترجمة د. وليد الجادر. جامعة بغداد. 1970. ص 82.

[205] إبراهيم (د. نبيلة). أشكال التعبير في الأدب الشعبي. دار النهضة. القاهرة / مصر. ص 102.

الحية كذلك بوصفها حارسة لمنابع المياه وللأماكن المقدسة. ففي التراث العربي نجد قصة الحية الضخمة التي كانت تحرس "بئر زمزم" وتلك التي كانت تشرف على جدران الكعبة لتبعد عنها الأذى[206]. ونفس الأسطورة عن الحية الحارسة نجدها عند الإغريق. فقد اعتقدوا بأنها تقوم بحراسة الإنسان وممتلكاته وتدافع عن القيم الإيجابية للجماعة[207].

ولكن القصة الخالدة عند أصحاب الديانات السماوية والتي برع التراث العبراني في نشرها هي قصة خروج آدم وحواء من الجنة و كيف عملت الحية على غواية "حواء" وأكلها من الشجرة المحرمة. وأورد الثعلبي تفاصيل القصة العبرية وكذلك القرطبي في تفسيره للآية "وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو"[208]. إذ تقول الأسطورة "إن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فظل واقفا عند باب الجنة نحو ثلاثمائة سنة وهي ساعة من ساعات الآخرة فكان إبليس ينتظر إلى من يأتي إلي جهة باب الجنة قال: فجاء طائر مليح الملبوس يقال له الطاووس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه إبليس تقدم إليه وقال: أيها الطائر المبارك من أين جئت. فقال: من بساتين آدم. فقال إبليس: إن لك عندي نصيحة وأريد أن تدخلني الجنة معك. فقال الطاووس: لا سبيل إلى ذلك لكني آتيك بمن يدخلك سرا فذهب الطاووس إلى الحية ولم تكن الحية أحسن منها خلقا ولها أربعة قوائم كقوائم البعير. وكانت من خزان الجنة. وكانت لإبليس صديقة. فسألها أن تدخله الجنة من فيها. فأدخلته في فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون. فأدخلته الجنة. وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل ورأى ذلك منه فأتاه من قبل الخلد... ثم إن إبليس أتى آدم وحواء فقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى. قال: نعم. قال: كل من هذه الشجرة. شجرة

---

(206) الثعلبي. قصص الأنبياء. ص 91. أنس الوجود (سناء). رمز الأفعى في التراث العربي. مكتبة الشباب بالمنيرة. القاهرة / مصر. (د.ت). ص 62

(207) طومسون (جورج). اسخيلوس وأثينا. ترجمة صالح الكاظم. وزارة الإعلام العراقية، 1975. ص 28.

(208) القرآن الكريم. سورة البقرة (II : 36).

الحنطة... فأقسم أنه لمن الناصحين، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة المنهي عنها، ثم زينت لآدم حتى أكلها، فلما فعلا ذلك ابتلاهما الله بأنواع متعددة من العقاب. وابتلى الحية بخمسة أشياء قطع قوائمها وأمشاها على بطنها ومسخ صورتها بعد أن كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها التراب وجعلها عدوة لبني آدم وهم أعداؤها حيث يرونها يقتلونها"[209]

ولهذا السبب نجد عديد الأحاديث المنسوبة إلى الرسول محمد توصي بقتل الحية ولو في حالة الصلاة أو في الإحرام[210]. وبقي علينا بعد سرد "الأسطورة العبرانية" التي أصبحت من التراث الإنساني وتسربت حتى في تفاسير القرآن الكريم عند علماء المسلمين[211] أن نعرف طبيعة العلاقة بين "طاووس ملك" والحية التي نحتت على يمين مرقد الشيخ عدي الأكبر في لالش[212]. وبمجرد إلقاء نظرة على الأدب الشفاهي اليزيدي (علم الصدر) وتقاليدهم و نقوشهم نسلم بوجود علاقة، إلا أن أسبابها وتفسير ماهيتها يحتاج إلى عدة اجتهادات: ففي إحدى الأساطير المتداولة شفوياً بين اليزيدية أن هناك "أفعى ذات سبعة رؤوس قد أغلقت ينبوع مياه المدينة وأصبح أهاليها على وشك الموت عطشاً ومزروعاتهم على وشك الجفاف فيأتي المنقذ أو المخلص "ميرز مهمد"[213] ويضرب بسهامه رأس الثعبان ويقضي على جميع رؤوس هذه الحية أو التنين"[214]. وتذكر أساطير أخرى أن أهالي المدينة يقدمون فتاة

---

[209] العهد القديم، سفر التكوين: الاصحاح III؛ ابن قتيبة، المعارف، ص 12 ـ 13؛ الثعلبي، قصص الأنبياء، ص 32 ـ 33؛ القرطبي (الإمام أحمد بن أحمد بن أبي بكر)، تفسير القرآن الكريم، القاهرة، المكتبة العربية المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصورة عن طبعة دار الكتب العربية للطباعة والنشر، 1967/1387؛ ج I، ص 312 ـ 313؛ ابن إياس الحنفي، بدائع الزهور، ص 42 ـ 44؛ أنس الوجود (سناء)، المرجع السابق، ص 88 ـ 89؛ أبو يحي (د. أحمد إسماعيل)، المرجع السابق، ص 62 ـ 63.

[210] الثعلبي، قصص الأنبياء، ص 35؛ القرطبي، تفسير القرآن الكريم، 1967، ج I، ص 313.

[211] راجع تفسير القرطبي.

[212] انظر صور رقم 8 ـ 9 ـ 10 .

[213] كلمة "ميرزا" الفارسية أو ميروز حسب لهجة اليزيدية، تعني العارف والكاتب أو المتعلم، جندي (د. خليل)، "نحو معرفة حقيقة الديانة الايزيدية". هامش ص 33.

[214] جندي (د. خليل)، المرجع السابق، ص 26.

كقربان للثعبان أسبوعيا كي يحرك نفسه قليلاً ويدع المياه تجري لأهالي المدينة، وهذه الأسطورة اليزيدية عن الحية أو التنين و دور المخلص "الميرزا" في القضاء عليها ما هي إلا تواصل للقصة الأسطورية المسيحية ذات المنشأ السومري عن الفارس الشهيد "مارجرجس"[215] (أو كوركيس / جورج وفقا للفظة في اللغات المختلفة) وهو ذلك البطل الشاب الذي أنقذ ابنة الملك من أنياب التنين، ويخلص الصبية والأهالي جميعاً من بطشه[216] وقد طارت شهرة "مارجرجس" في الآفاق، فشيدت المعابد، وتسابق الناس في حمل اسمه وحبكت حوله القصص والحكايات وصوره الفنانون بأشكال شتى، فلا يكاد بلد من بلدان الشرق الأدنى القديم أو حتى أوروبا الغربية. يخلو من معبد أو مزار مشيد باسمه[217]. ويمثل هذا التواصل في ميثولوجيا الأمم والشعوب وقد ترسخ في عقائد اليزيدية، مع شيء من الاختلاف.

فما الذي تمثله الحية اليزيدية ؟

ينظر البعض إلى الحية اليزيدية كرمز لقوة الخير مثلما رأيناها ـ وحسب علم "الصدر اليزيدي" ـ تنقذ سفينة نوح من الغرق عندما وضعت نفسها في ثقب السفينة[218]، لذلك ينظر إليها اليزيديون بتقدير إن لم نقل بتقديس، فنرى الحية منقوشة في مراقدهم المقدسة وخاصة على الباب الرئيسي لمرقد (الشيخ آدي في جبل لالش / الشيخ عدي) كما تقول اليزيدية بوجود صورتين على باب الجنة إحداهما لطير الطاووس والثانية للحية[219].

---

(215) مارجرجس: القديس جرجس، راجع قصته في قصص الأنبياء للثعلبي، ص 432 ـ 438.

(216) حبي (د. يوسف)، "أسطورة التنين السومرية وامتدادها عبر العصور"، ص 42.

(217) حبي (د. يوسف)، المرجع السابق، كما لاحظت اعتقادات لدى طوائف الدروز في بلاد الشام في مارجرجس، فقد بنوا له مزارات وعلقوا صور وإيقونات مسيحية ونعتوه بالقديس الخضر، قانصو (د. أكرم)، "التصوير الشعبي العربي"، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، العدد 203، 1995، ص 89.

(218) كتاب القس إسحاق، ملاحق كتاب اليزيدية لجورج حبيب، ص 106 ـ 107، العزاوي (عباس)، تاريخ اليزيدية، ص 70 ـ 71

(219) جندي (د. خليل)، المرجع السابق، ص 26؛ ونفس الصورة الموجودة حسب علم الصدر اليزيدي على باب الجنة، هي نفسها الصورة التي رسمها القدامى للكوكب عطارد وذكرها البيروني في مؤلفه التفهيم لأوائل صناعة التنجيم.

وذهب البعض إلى أن الحية المنحوتة في المدخل الرئيسي لضريح الشيخ عدي ما هي إلا إشارات سحرية. مرتبطة بطقوس عبادة الشيطان[220]. ولكن عالم الآثار "ليارد" (Layard) الذي قام بزيارة لضريح الشيخ عدي في أواسط القرن 19م ذكر العديد من الرسومات المحفورة على عتبة الباب العليا لأسد وفأس ورجل ومشط وكانت الحية واضحة جلية وكأنها تمثل رمزا ولكن الشيخ "نصر" أكد له بأن المعماري النصراني الذي قام بترميم الضريح منذ سنوات حفر هذه الزخارف من وحي خياله[221] ولعله لم يفصح لضيفه الأجنبي عن سر هذه الرموز والطلاسم تقية وخوفا من أن يؤكد عليهم تهمة عبدة الشيطان التي يرفضونها قطعاً...

ومن هنا سيكون حفرنا في أعماق التاريخ الإنساني بعيداً عن جبال لالش إلى الكعبة التي بناها أبو الأنبياء إبراهيم والتي أخذت طابعاً قدسياً للحرم المكي ككل. وكتعريف بهذا المجال المقدس نقول إنه "مجال أرضي معزول عن العالم المدنس يحظر على الإنسان دخوله عموماً لأن روحاً خفية تجلت فيه واتخذته مسكنا لها"[222] ولهذا وجدت الحية لحراسة المكان من أي أذى. وقد تكون الحية السوداء هي حارسة ضريح الشيخ عدي بلالش خاصة أن عديد الطقوس التي يمارسها اليزيديون وجدت عند الإغريق وتمثلت في أساطير تتعلق "بالحية الحارسة" التي كانت تصنع في شكل قلائد لحماية الصغار من أي أذى[223].

ووجود هذه الحية السوداء المنحوتة على يمين مدخل الضريح يعطيها امتيازات تتعلق باعتقادات حول أفضلية اليمين على الشمال. وذلك يعود إلى معتقدات صوفية وعمق تأثيرها في هذه الجماعة[224]. وتؤمن اليزيدية بأن من الصالحاء من أعطيت له "كرامة" مسك الحيات والعقارب دون أن تلدغه

---

(220) كاليبو (جاك ونيكول). المرجع السابق. ص 69.

(221) LAYARD (Henry A.), op. cit., P 235.

(222) شلحد (يوسف). المرجع السابق. 152

(223) طومسون (جورج). اسخيلوس وأثينا. ص 28، أنس الوجود (سناء). المرجع السابق. ص 64.

(224) شلحد (يوسف). المرجع السابق. ص 152 ـ 153.

ولديه القدرة على شفاء لدغات الأفاعي[225] وأصل هذا الرجل الموهوب يعود إلى آل عدي ويدعى "الشيخ مند بن فخر الدين بن عدي الثاني"[226]. وقد تكون الحية التي اتخذها اليزيديون رمزاً مقدساً لمحاكاة "الحية الجني "التي كلمت الشيخ عبد القادر الجيلاني" صديق الشيخ "عدي الأكبر" واعتبرت كرامة عظمى له. فقد أعلن الجني الذي عاد إلى صورته الطبيعية توبته واعتناقه الإسلام[227]. فكل هذا يدعونا إلى تأكيد اعتقادنا بتأثيرات عقائد الأجداد على اليزيديين وأن القصة "التوراتية" في علاقة طاووس ملك (إبليس) بالحية الموجودة وإذا كان شكلاً الطاووس والحية يمثلان رموز الكوكب "عطارد" فإن لهما عند اليزيدية تمثيلاً خاصاً فـ "طاووس ملك" يمثل رمز الكون وجمال المعبود و"الحية" تمثل الحكمة والحيلة والدهاء ورمز الخير والأمان في نفس الوقت.

---

[225] الكوقان (ب. ش)، "الإيزيدية والصابئة"، لالش. العدد IV. 1994. ص 131؛ جندي (د. خليل)، المرجع السابق. ص 26.

[226] الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق. ص 85 ـ 112؛ الكوقان (ب. ش)، المرجع السابق. هامش ص 139.

[227] الشعراني، المصدر السابق. ج I. ص 128 ـ 129.

الفصل الثاني

الطقوس الدينية والموروث الشعبي

1. مناسك العبادة

على الرغم من أن لليزيدية جذورا زرادشتية أخذت من الفكر الفارسي وتطبعت بمفاهيمهم وأصولا ذات منبع سماوي، فإنها عملت على تأسيس شعائر وطقوس عبادية خاصة بها، فقد خلق اليزيديون من أنفسهم نسيجا مستقلا بذاته، فكانوا يدعون التمكن من حقائق لم يعرفها أحد غيرهم وبالعودة إلى هذا الحديث المقتطف من كتاب "الجلوة": "حقوقي ما أعطيتها لغيري من الآلهة... كتب الأجانب (من اليهود والنصارى والإسلام)، اقبلوا منها ما يوافق ويطابق سنني، وما يخالف منها فلا تقبلوه لأنهم غيروه"[1]. نفهم أن لكل "ملّة" عادات وشرائع تؤديها في مواقيتها تقربا من ربها، فعادات اليزيدية وسننها الدينية والاجتماعية كانت ممزوجة بالتقاليد الموروثة، وقد ظهر بعضها في الديانات المختلفة المعاصرة لها مثل السجود للشمس والقمر ويظهر في الديانة المجوسية والهندوسية[2]. أو كتحريم أكل بعض الأطعمة عند اليهود[3] (رغم أن المحرمات في الأكل موجودة في كل الأديان)، أو الضرب على الطبل والنفخ بالمزمار في الديانة المسيحية والوثنية

---

(1) كتاب الجلوة، فصل IV : (1 ـ 3).

(2) البغدادي (الأب انستاس الكرملي)، المرجع السابق، م II، ص 313 ،
LESCOT (Roger), "Les Yezidis", P 61 ; PAREJA (F. M), "La Yazidiyya", P 853

FURLANI (Frenze G), "Gli interdetti die Yezidi", P 154 (1)

في مراسمهم الدينية[4] وكثير من العبادات الإسلامية كالصوم والصلاة والحج والزكاة والأضحية وغيرها[5].

ورغم تشابه كثير من هذه المراسم، إلا أنها تختلف في طرق أدائها وعند اليزيدية بشكل خاص. ولا يرد ذلك إلى اقتباس الأديان من بعضها البعض لأن التشابه لا يعني دوماً الاقتباس. فحج المسلمين إلى الكعبة لا يشبه حج الهندوس إلى نهر الغانج أو حج النصارى إلى كنيسة القيامة وقبر السيد المسيح في القدس، ولا حج اليزيدية إلى مرقد الشيخ عدي[6].

وتختلف مراسم اليزيدية من منطقة إلى أخرى وحتى في أدائها بسبب الباطنية والتقية التي كان يمارسها اليزيديون[7]، لأنهم كانوا يعيشون جواراً مشتركاً مع أديان ومذاهب أخرى. فيزيدية الشيخان مثلاً، كانوا أكثر ليونة وتساهلاً من يزيدية سنجار، وكان اليزيدي "الشيخاني" مهاناً ومحتقراً[8] بعكس اليزيدي "السنجاري" الذي كان قوياً ومهاباً وكانت لهم اعتقادات كبيرة بالإسلام ولا سيما بالأشراف من سلالة الإمام علي بن أبي طالب، بل ويقدسون أسمائهم. ولا يدخرون وسعاً في تقديم المساعدة والدفاع عنهم إذا لزم الأمر[9]. والظاهر أن القبائل اليزيدية في جبل سنجار كانت متأثرة بالمتصوفة من أصل علوي كأحفاد الشيخ عبد القادر الجيلاني الذين استقروا بجوارهم وكانت لهم مقامات هناك[10].

---

(4) البغدادي (الأب انستاس الكرملي)، المرجع السابق، م II، ص 313؛ PAREJA (F. M), "La Yazidiyya", P 853

(5) البغدادي (الأب انستاس الكرملي)، المرجع السابق، م II، ص 313؛ الحسني (عبد الرزاق)، اليزيديون، ص 85؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 90؛ اليوسف (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 29؛ E.I², art, "Yazidiya", MENZEL (Th), T. VIII, P 1164.

(6) التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 90؛ السحمراني (د. أسعد)، المرجع السابق، ص 82.

(7) كتاب الجلوة، فصل IV : 8؛ المقتطف (13)، 1889، ص 393.

(8) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 86؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص90.

(9) كحالة (عمر رضا)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، طبعة دار العلم للملايين، بيروت 1968، ج II، ص 558؛ الجراد (د. خلف)، المصدر السابق، ص 8.

(10) العزاوي (عباس)، المرجع السابق، ص 102

وفيما يلي بعض تفاصيل طقوسهم الدينية على النحو الذي سمح لبعض الباحثين والمعاشرين لهم مشاهدته بالإضافة إلى ما كتب عنهم.

أ- الصلاة

تعد الصلاة من أقدم الطقوس التعبدية التي مورست منذ القديم. فقد صلى الإنسان الأول أمام مظاهر وقوى الطبيعة المختلفة وحتى أيامنا هذه ما زال الإنسان ينحني تعظيماً لكل القوى الكونية المسيطرة...

ويؤكد بعض اليزيديين أنه ليس لديهم أية صلاة بالمعنى الموجود عند أصحاب الديانات السماوية. ولكن يمكننا اعتبار توجه اليزيدي[11] نحو الشمس في مواقيت معينة وتقبيله الأرض وأدائه لأدعية. نوعاً من الصلاة[12]. فاليزيدية لا تسميها صلاة بل هي محرمة عندها. ويظهر أن ذلك حدث بعد التحول المفاجئ من طريقة صوفية أرثوذكسية إلى مذهب يغالي في مشايخه إلى فرقة مهرطقة. لأن السمعاني ذكر أن هناك جماعات منهم تصلي يوم الجمعة بجامع المرج[13] صلاة إسلامية بل إن أحد أمرائهم الحاليين[14] يؤكد أن اليزيدية تصلي كأداء المسلمين لصلاتهم[15] وهو ما لم يلحظه أحد سوى الأستاذ محمود الجندي.

إذن فصلاة اليزيدية تختلف على ما هو مألوف عند المسلمين واليهود والنصارى[16] إذ يتوجه الايزيدي إلى الشمس معفراً وجهه بالتراب. ويدعو

---

(11) اليزيديون يفضلون اليوم استعمال كلمة "الايزيدية" أو "الايزيدي". راجع أعداد مجلة لالش الناطقة باسم مركز "دهوك" الديني.

(12) البغدادي (الأب انستاس الكرملي)، المرجع السابق. م II، ص 313. الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 88.

(13) السمعاني، المصدر السابق. ج V. ص 693. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 157.

(14) الأمير بايزيد الأموي.

(15) الجندي (محمود)، المرجع السابق. ص 153.

(16) الأحمد (سامي سعيد)، اليزيدية، ج II، ص 121.

دعاء خاصاً بلغة خاصة هي مزيج بين العربية والكردية والفارسية[17]. ويتجه اليزيدي بأدعيته نحو الشمس ثلاث مرات في اليوم على الأقل، لأنه يعتقد بأن الشمس رمز لقوة "أهورامازدا" إله الخير عند الزرادشتية ورمز الإله الواحد، الذي لا يمكن أن يراه أحد وتمثل كذلك روح " أهورامازدا" في صورة تستطيع جميع الخلائق إدراكها لما امتازت به من صفات أهمها أنها عنصر مشرق يفيض خيراً وحياة على جميع الكائنات فالطريق الوحيد إلى الله حسب آراء مشرعيهم يكون عبر الشمس أو "الشيخ شمس" فهي الاتجاه الأساسي للعبادة[18].

ولا تصح هذه الصلوات أو الأدعية إذا شاهدهم من هو على غير ملتهم[19]. فإن شاءت الظروف بتواجد أحد الغرباء عندهم "أمسكوا بجهة الموضع الذي أشرقت الشمس عليه، أو غربت منه، ثم قبلوا أيديهم ليسقط عنهم هذا الواجب"[20]. ولمزيد من الاطلاع على نصوص هذه الأدعية ومحتوياتها سنوردها في الفصل الرابع من هذا الباب مع نماذج مختارة من صلوات اليزيدية. وغالباً ما يكون اليزيدي غير قادر على التخلي عن طقوسه التعبدية، فحتى أثناء الأوقات الأكثر حرجاً لا يستطيع التخلي عن وفائه للملك طاووس فهو يقوم يومياً بصلاته الأقرب للمناجاة حيث يتوجه إليه قائلا "أيها الملك طاووس، رغم أن العجلة قد دفعت إلى خلقي يزيدياً، فإنني لا أطلب غير أن تعينني على أن أكون وفياً لديني"[21] وهذا الدعاء هو تأويل بديهي للفكرة المتعمقة لدى الشرقيين حول الدين، فهو امتداد للقبيلة أو هو الوعي الجماعي لأطراف الجنس الواحد.

---

(17) LUKE (Harry Charles), Mosul and its Minorities, P 125؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 88 ـ 89؛ اليوسف (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 30 ـ 31.

(18) حسو (درويش)، المرجع السابق، ص 85 ـ 86؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 112 ـ 113.

(19) كتاب الجلوة، فصل IV : 5 ؛ عريضة اليزيدية للسلطات العثمانية، البند III، راجع الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 222.

(20) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 89؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 113.

(21) WARFIELD (William), The Gate of Asia, P 185

ب- الصوم

عرف عن الصوم أنه عبادة وتطهير للنفس البشرية وأن لكل ديانة من الأديان صومها الخاص بها. وكذلك شأن اليزيدية. لكن الملفت للانتباه في صوم اليزيدية انقسامه إلى قسمين[22]:

- **صوم العامة (صوم يزيد أو صوم اليزيد)**

وهو فرض على كل يزيدي حالم تجاوز الثلاثة عشرة من عمره. ويصادف هذا الصوم أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس من الأسبوع الأول من شهر ديسمبر / كانون الأول الشرقي من كل سنة (أي أقصر أيام السنة) ينقطع اليزيدي خلال هذه الأيام الثلاثة المتتالية عن الأكل والشرب والدخان. من الصباح إلى المساء. ويكون يوم الجمعة الذي يعقب أيام الصوم الثلاثة[23] "صوم اليزيد" عيداً ويعادل صوم هذه الأيام الثلاثة عندهم صوم ثلاثين يوماً من رمضان. ويرون أن "صوم اليزيد" ثلاثة أيام فقط لأن الحكم الذي ورد في "الكتاب المقدس" بخصوص الصيام كان مجملاً لم يفسره أحد من الناس. وقد نزل فرض الصيام باللغة الكردية المحمودة (لغة الفردوس وأهل الجنة) وكذلك عدد الأيام المطلوبة للصوم فهي بالكردية "سي روز" لا "سه روز"[24]. ويفسرها فقهاء اليزيدية تفسيراً إسلامياً واعتماداً على النص القرآني: "من

---

[22] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 86؛ الأحمد (سامي سعيد). اليزيدية واليزيديون. ج II. ص 128؛ اليوسف (إبراهيم). المرجع السابق. ص 29؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 117.

[23] كتاب القس اسحاق. ص 12 ملاحق جورج حبيب؛ البغدادي (الأب انستاس الكرملي). المرجع السابق. م II. ص 313؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 87.

[24] البغدادي (الأب انستاس الكرملي). المرجع السابق. م II. ص 313؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 87؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 91؛ GORDON (Cyrus H), "Satan Worshipers in Kurdistan", Asia, vol. XXXV, Oct. 1935, P 627 ; E. I^2, IBID, T VIII, P 1166 ؛ بينما نجد في اللغة الفارسية "سه" تعني ثلاثة و"سي" تعني ثلاثون.

جاء بالحسنة فله عشر أمثالها"[25] وترى اليزيدية أن شهر رمضان أصم. لأنه لما فرض الله الصوم على المسلمين - وقد أمر اليزيدية به كذلك - كان باللسان الكردي كما رأينا. ولما كان هذا الشهر "أطرش" فقد فهموا "سه روز" بدلا من "سي روز" الثانية مكان الأولى. ولهذا كان صوم اليزيدية ثلاثة أيام فقط وهو الصحيح. بينما يصوم المسلمون ثلاثين يوماً خطأ[26] ومن هنا نستشف اعتقادات اليزيدية في القرآن الكريم. ووضوح التأثيرات الإسلامية في معتقداتها.

▪ صوم الخاصة

وهو صوم ثمانين يوماً يصومها صفوة رجال الدين اليزيديين "الاختيارية" أو يعبرون عنه بصوم المشايخ "الكواجك" ويكون على دفعتين "مربعانية الشتاء" و"مربعانية الصيف". يصام القسم الأول منها في الصيف ابتداء من العشرين من شهر (تموز / طاووس ملك) / جويلية وهي التي تسمى بـ "مربعانية الصيف". وأما "مربعانية الشتاء" فتبدأ في 20 كانون الأول الشرقي / ديسمبر إذ يرابط رجال الدين والمشايخ و"الكواجك" في مرقد الشيخ عدي بلالش فيبدأون صيامهم ويبقون هناك مدة ثلاثة أيام ثم يغادرونها بعد ذلك إلى قراهم لتكملة صيامهم[27]. ويعتقدون أن نزول سورة قريش "لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف..."[28] يقصد بها صوم هاتين "المربعانيتين" كما كانوا يعطون لهذا الصوم أكثر شرعية فقهية وإلزامية دينية فيقولون أنه مرتبط بقصة الطوفان وهذا حسب "علم الصدر اليزيدي"[29]. ولكن الصائم من رجال الدين وخاصة من طبقة "الكواجك" ملزم بالإفطار حالما يقدم إليه أثناء النهار طعام وقيل له

---

(25) القرآن . سورة الأنعام (6 : 160).

(26) جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 96 ، الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 128.

(27) مؤلف مجهول. "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية". ص 575 ، الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 12.

(28) القرآن سورة قريش : (106 : 1- 2).

(29) الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 129.

"هذا للسنجق الفلاني أو للشيخ شمس أو لغيرهما"[30]. وتعتقد اليزيدية أن إفطاره في تلك الحالة هو أكثر ثواباً عند الله فيقال: "هذه الفضيلة خير من الصوم"[31] وتلزم شرائع اليزيدية أتباعها بالقيام بفريضة الصيام ككل في ديارهم[32] لأن الفرد اليزيدي حسب الفقه اليزيدي ملزم بأن يذهب إلى شيخه أو "بيره" أثناء بدء الصوم ووقت الإفطار مساء فيتناول ما يقدمه له (قطعة من الخبز مغموسة بالملح أو أن يسف قليلاً من تربة الشيخ عدي [شيخادي]) وتناول الخبز المغموس بالملح عادة يهودية كان يقوم بها اليهود أيام "السبوت" عند الإفطار[33]. وهذا ما يؤكد تأثر اليزيدية بالأديان المجاورة.

ج- الحج : حج لالش (مرقد الشيخ عدي الأكبر)

رغم تقديس اليزيدية لمكة والقدس، إلا أن لالش تبدو في نظرها أكثر قدسية من أي حرم آخر، وحسب الباحث العراقي سامي سعيد الأحمد فإن اليزيدية في الماضي كانوا يحجون إلى مكة حتى منعوا منها[34] وذلك لولائهم الأموي[35]، ونعد هذا من الخلط اليزيدي في تحديد الأحداث لتفشي الأمية

---

[30] مؤلف مجهول. "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية". ص 575؛ كتاب القس إسحاق. ملاحق جورج حبيب. ص 120؛ J. A., séries 9, vol VII, (1896), P 124 – 125.

[31] كتاب القس إسحاق. ملاحق جورج حبيب. ص 120.

[32] عريضة اليزيدية للسلطات العثمانية. البند الثامن؛ جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 97 ؛ FURLANI (G), op. cit., P 99 ; "Gli interdetti dei Yezidi", op. cit., P 170

[33] الجراد (د. خلف)، المرجع السابق. ص 118.

[34] الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق. ج II، ص 129 ـ 130.

[35] ربما يقصد هذا اليزيدي الذي اعتمد عليه الدكتور سامي سعيد الأحمد بعملية طرد الأمويين من الحجاز الذين كانوا تحت الحصار قبيل موقعة "الحرة" سنة 63 هـ / 683 ، حيث توجهوا نحو الشام. الطبري. المصدر السابق. ج V. ص 485. حتى أنه في الفتنة الزبيرية التي امتدت حتى القضاء على صاحبها سنة 73 هـ / 693 م حج بالمسلمين الحجاج بن يوسف الثقفي. الطبري. المصدر السابق. ج VI. ص 175.

بين صفوفهم واعتمادهم على التاريخ الشفوي المحفوظ في الصدور. ولكن ذلك لا ينفي حج أفراد "دار الزاوية العدوية" فالشيخ عدي الأكبر قد حج سنة 509 هـ صحبة رفيق دربه وأستاذه عبد القادر الجيلاني[36]. وأما عدي الأصغر ـ وحسب ابن المستوفي ـ فقد توفي وهو في طريقه إلى مكة[37].

والحج في الحقيقة ليس بمفهوم "الحج الإسلامي" فقط بل أن هناك "حجاً هندوسياً" و"حجاً يهودياً" و"حجاً مسيحياً". والحج بصفة مجملة هو ذلك التجديد لقوى الروح ومرحلة تطورية في حياة الناسك أو المتزهد نحو الكمال وهو في نفس الوقت خوض تجربة "المثال الأمثل للكمال" والابتعاد عن عالم الدنو بذنوبه. فهو رحيل إلى الله إلى التطهر وسعي جاد في حياة جديدة[38]. ومع ذلك نجد أن للصوفية معاني رمزية في الحج قد تجاوزها بعضهم وعدها شكلية. فاعتبرته السيدة رابعة العدوية: "ذلك الصنم المعبود في الأرض"[39]. أما البسطامي[40] فيروى أنه سأل رجلاً: إلى أين؟ فقال: إلى مكة. فقال له: الذي تطلبه تركته ببسطام وأنت لا تدري[41]. وهذه المعاني الرمزية التي يؤكد عليها "جولد تسهير"[42] إنما هي شيء واقعي عند متصوفة الإسلام الذين تطرقوا بآرائهم وغالوا فيها في أغلب الأوقات. كما نرى ذلك عند أتباع الشيخ عدي فقد جعلوه "قبلتهم" وذخيرتهم في الآخرة[43]. وبما أن الشيخ عدي الأكبر قد استقر نهائياً وسط هؤلاء الكرد. فبعد وفاته غالوا فيه حتى أصبح قبره من "المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة"[44]. وعد كذلك مركز

---

(36) راجع فصل العائلة العدوية وشجرة النسب العدوية في الملاحق.

(37) راجع فصل خلفاء الشيخ عدي. "الجيل الثاني".

(38) زيعور (علي). الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم. بيروت. 1978. ص 221.

(39) البسيوني (إبراهيم). التصوف الإسلامي. القاهرة/مصر. 1969. ص 247.

(40) أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي: من متصوفة القرن الثالث الهجري. توفي سنة 261 هـ / 875 م. الشعراني. المصدر السابق. ج I. ص 76 ـ 77.

(41) المقدسي (ابن القيسراني). صفوة التصوف. ص 113.

(42) جولدزهير. المرجع السابق. ص 30.

(43) ابن خلكان. المصدر السابق. ج III. ص 254؛ ابن كثير. البداية والنهاية. ج XII. ص 243.

(44) اليافعي. المصدر السابق. ج III. ص 313.

حج اليزيدية وكعبتهم التي يحجون إليها ويحفون بها في فصل الخريف فيبتدئ موسم الحج عندهم بتاريخ 6 أكتوبر وينتهي في 13 من نفس الشهر[45]. بينما تبدأ الاستعدادات ويبدأ توافد أفواج الحجاج لحضور عيد دعوة الشيخ عدي الأكبر من 23 سبتمبر إلى 30 من نفس الشهر. ثم يبدأ بعد ذلك موسم "الحج اليبزيدي" للعتبات المقدسة "بلالش النورانية" ويعتبر الحج فريضة على كل يزيدي تجاوز الثالثة عشر من عمره وهذه المناسبة تمثل التعبير الحقيقي عن العزلة التي تعيشها "ملة اليزيدية" فعزلتهم بلالش لا تعني الانعزال عن العالم الخارجي وإنما تعني التفرغ التام لأداء مناسك الحج حسب الأعراف والتقاليد اليزيدية. وهم يعتقدون بأنهم على أقدس أرض وأطهرها فهي جنة الله على أرضه و"لالش النوراني" في السماء واقعة مباشرة على لالش الأرض[46]. ونفس هذه الرواية اليزيدية نجدها عند المسلمين في تاريخ بناء الكعبة فقد أورد الأخباريون قصصاً عن أصل تأسيس الكعبة حيث يعود تاريخ بنائها إلى أزمنة غابرة فقد أمر الله عباده المؤمنين أن يبنوا بيتا على مثال "البيت المعمور" وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور. فبنته الملائكة قبل خلق آدم بألفي عام. وكانوا يحجون إليه فلما حج آدم إلى هذا البيت قالت الملائكة: "بر حجك يا آدم، حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام"[47]. فوجود هذه التأثيرات الإسلامية على المكان القدسي لليزيدية هو لتأكيد شرعية المكان ولإبراز "قداسته" بل وتأكيدها بإضفاء مزيد من الشرعية التاريخية لوجوده. وقد اعتبرت اليزيدية مكان لالش مهبط "طاووس ملك" على سطح الأرض لذلك قدسية هذا المكان عندهم مرتبطة بتاريخ أول يوم أربعاء في شهر نيسان / أفريل وهو مرتبط

---

(45) المقتطف. (1889). ص 396. صادر (قيصر). "اليزيدية عقائدهم وتقاليدهم". ص 364؛ PAREJA (F. M), "La Yazidiyya", Islamologie, P 854 ; E.I². IBID, T VIII, P 1166

(46) حسو (درويش). المرجع السابق. ص 88.

(47) ابن قتيبة. المعارف. ص 559 ـ 561. الثعلبي. قصص الأنبياء. ص 87 ـ 93 ؛ ابن كثير. قصص الأنبياء. ص 155 ـ 159 ؛ الخربوطلي (د. علي حسين). تاريخ الكعبة. دار الجيل. بيروت / لبنان. 1411/1991. ص 11 ـ 14

بانتشار الخضرة في الحقول وبداية موسم الحصاد الجديد[48]. ولهذا أصبح مكان لالش مركز حج اليزيدية وكعبتهم. وقد شملت القداسة في المكان كل ما هو موجود بجوار "ضريح الشيخ" فهو حرم مقدس يحجر القتل فيه مهما كان نوعه ويحجر الاحتطاب من حدائق وادي لالش أو استغلال نباتات التبغ المسقية بـ"مياه زمزم" فكان من يفعل ذلك يعاقب بالحرمان وعدم القبول والردود[49]. فماء زمزم الذي كانت اليزيدية تتطهر به و"تتعمد فيه" وترمي فيه نذورها قد حظي ببركة الآلهة اليزيدية وكانت المحارم تحمي النباتات والحيوانات لانتمائها إلى الحرم المقدس ذاك الذي يتجلى فيه "طاووس ملك" لأجل ذلك نلاحظ أن "الموضع المقدس لا يبدو أبداً معزولاً عن الروح. فهو جزء من مجمع تندرج فيه الأنواع النباتية أو الحيوانية"[50] وفي ساحة "المرج" بلالش كانت تتواجد أضرحة مشايخ وصلحاء اليزيدية و"الحجرة السوداء الموقوفة" بالحرم (Berêresêmieleq) والعين البيضاء وكذلك نبع زمزم الذي فجره الشيخ عدي بعصاه - امتداد وتواصل مع معجزة موسى بصحراء سيناء عندما ضرب الحجر بعصاه[51] - وفي رواية يزيدية أخرى أن الله نقل للشيخ عدي منبع عين زمزم (Zimzim) من مكة إلى لالش[52].

وإن هذه القوى الأسطورية من خوارق وغيرها والتي ينسبها اليزيديون للشيخ عدي الأكبر (النبي اليزيدي / وارث زرادشت) ما هي إلا رموز وميولات العامة لخلق مناخ ذي سرية تامة تحيط بأي شيء له علاقة

---

(48) البكر (محمود مفلح). الدوح الأخضر. ص 172.

(49) كتاب القس إسحاق. المصدر السابق. ملاحق جورج حبيب. ص 148؛
FURLANI (G), "Gli interdetti dei Yezidi", P 173 - 174

(50) LEVY (Bruhl. L.), L'expérience mystique et les symboles chez les primitifs, Alcan, Paris, 1938, P183؛ شلحد (يوسف). المرجع السابق. ص 154.

(51) القرآن الكريم (البقرة II : 60 - 61)؛ ابن كثير. قصص الأنبياء. ص 326.

(52) كتاب القس إسحاق. ملاحق جورج حبيب. ص 148 ؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 151 - 152؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 207؛
DROWER (E. S), Peacock Angel, P 108 ; OSMAN (Sabri) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 115

بمعتقداتهم، مثل "الحجرة السوداء" التي كان يجلس عليها الشيخ عدي للوعظ والتبشير بقيم "التسامح / اللالعن" والظاهر أنهم قد جعلوا منها امتداداً للحجر الأسود "الأسعد" الذي يعتبر من أحجار الكعبة المقدسة[53].

ولا يصح "الحج اليزيدي" إلا بعد زيارة نبع زمزم والعين البيضاء[54] التي شدت إلى نافذة تطل على نبع زمزم وكل حاج يزيدي وجب عليه مس "الحجر الأسود" بيده[55].

أما "العين البيضاء" التي كانت تعلو "نبع زمزم" فتنبع من جبل يصب في ثلاثة أحواض واحد للرجال والثاني للأطفال والثالث للنساء ولا يجوز لأي فئة عمرية أو جنسية أن تستحم في خوض الآخر حسب تعليمات "مير الحج اليزيدي"[56]. وكما تروي اليزيدية تفاصيل حجها: "يذهب "مير الحج"[57] إلى مقر الشيخ الكبير "ختياري مركة" (أي شيخ المرج) وسادن ضريح الشيخ عدي الأكبر ثم يرسل في طلب معاونيه من الرؤساء للتشاور في تنظيم موسم الحج في شهر سبتمبر / أيلول فيبعثون الشيير لإعلام الأقاليم التي تعيش فيها اليزيدية وتسمى فترة الإعلام "بعيد الدعوة" أو دعوة الشيخ عدي"[58].

وفي فترة قدوم "المؤمنين" للحج كان يشترط عليهم أن يأتوا ومعهم المؤونة (الخبز والبصل والشعير والبرغل الناعم وما شابه ذلك وكلها محلاة بالدبس والعسل) وكانوا يسمونها "حلتاوزفيون وميكيوس" فيقتاتون بهذه الأطعمة فترة بقائهم هناك إذ لا يجوز لهم الطبخ أثناء مكوثهم في ذلك الموقع المقدس لأنه

---

(53) اليعقوبي، التاريخ، ج 1، ص 52؛ الطبري، المصدر السابق، ج 1، ص 156؛ شلحد (يوسف)، المرجع السابق، ص 138 ـ 139؛ الخربوطلي (د. علي حسني)، تاريخ الكعبة، ص 21 ـ 22؛ GAUDEFROY (Demombynes M), Le Pèlerinage à la Mekke, Annales du musée Guinet, Bibliothèque d'étude, T. 33, Paris, 1923, P 46

(54) OSMAN (Sabri) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 114 - 115

(55) OSMAN (Sabri) &WIKANDER (Stig), op. cit., P 115

(56) OSMAN (Sabri) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 115

(57) المطوف عند المسلمين.

(58) GUEST (J. S), The Yezidis, P 37

حرم ومن يفعل ذلك يعتبر مارقا[59]. ولا يجوز الزواج في الحرم العدوي المقدس لأي فئة من المجتمع اليزيدي. وكان حجيج اليزيدية يقصد جبل لالش "عرفات" ويطوف رؤساؤهم الروحانيون في فناء رباط الشيخ عدي. ثم تصعد اليزيدية ليلة "العيد" فوق جبل "عرفات" ويصعد في أعلى الجبل "جاويش" حاملاً طبقاً فيه خبز رقيق (عادة مسيحية آثارها واضحة عند اليزيدية) وكان كل من يأخذ قطعة أسرع إلى عين "زمزم" ليشرب من مائها مع قطعة خبز الرقاق وأول من يصل إلى العين. يخطف علامة تكون على رأس "البيير" الذي يكون واقفا قرب العين علامة على فوزه بقصب السبق[60].

وفي الحقيقة فإن "الحج اليزيدي" قد تداخلت فيه التقاليد الإسلامية ومناسك المتصوفة[61]، فعديد الطقوس في الحج الإسلامي كالهرولة وغيرها نجدها تمارس ولو بشكل شبه بدائي. عن دين الإنسان وميثولوجيا اليزيدية في الحج. لها تفسيراتها الخاصة لديهم كأن يدعون أن سبب اتخاذهم "ضريح الشيخ عدي" محجاً لهم وتفضيلهم له على مكة هو أن علماءهم وأشرافهم كانوا يقولون دوماً: "كلما زرنا الشيخ عدي ليهدينا ويرشدنا أفدنا من وعظه وأصغينا إلى نصائحه"[62]. وكما هو الغرض من الحج الإسلامي حسب إشارة الآية القرآنية: "ليشهدوا منافع لهم..."[63] فإن اليزيدية ترى في حجها إلى لالش أنها قد شهدت هذه المنافع ومنها ينتفي الغرض من زيارة الكعبة في مكة[64].

---

(59) مؤلف مجهول. "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية". ص 577؛ كتاب القس إسحاق؛ ملاحق جورج حبيب. ص 131.

(60) مؤلف مجهول. "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية". ص 577 ـ 578؛ كتاب القس إسحاق. ملاحق جورج حبيب. ص 146 . صادر (قيصر). "اليزيدية: عقائدهم وتقاليدهم". ص 365؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 167؛ BELL (Gertrude Lowthian), Amurath to Amurath, London, 1911, P 277 - 278

(61) GUEST (J. S), The Yezidis, P 40

(62) الحسني (عبد الرزاق). اليزيديون. ص 90؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 93؛ السحمراني (د. أسعد). المرجع السابق. ص 88 ـ 89.

(63) سورة الحج (18 : 22).

(64) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 90.

وكان "القوالون" ينتهزون فرصة الحج ليشتروا من "الفقير" بعض الأتربة المحيطة بمرقد الشيخ عدي. فيجعلون منها أقراصا أو كرات بحجم البندق يسمونها "براتا Baratta"[65] وقد تكون هذه العادة مقتبسة عن الشيعة المجاورين لهم. ففي مواسم زياراتهم للعتبات المقدسة في النجق وكربلاء وأضرحة الأئمة من "آل بيت علي" كانوا يأخذون أقراصاً من التراب يسمونها "التربة الحسينية" أو غيرها[66].

وأما براءة اليزيدية أو "البراتا" فكانت تمنح كهدية للزوار ليقبلها اليزيدي صباحاً ومساء بكل احترام وكانوا يعتقدون أن هذا القرص يحفظ صاحبه من كل أذى وتعتبر الأموال التي يجنيها القوالون من هذه الأقراص وسيلة عيشهم الوحيدة. وكانوا يبيعونها للمرضى. فيعتقدون أن كل من يأكل القرص ينجو من المرض طوال العام روحاً وجسداً ببركة "ملك طاووس".

فالحج اليزيدي واجب على كل واحد منهم ولو مرة واحدة في حياته فيزور مرقد الشيخ عدي ويقصد المزارات والبقاع المقدسة ويتطهر طهارة دينية من منابع الحياة الطاهرة. فالحج إذن يمثل تلك النقلة في حياة اليزيدي نحو عالم الكمال والغفران والتطهر بالماء "المقدس" وهو رمز لإزالة جميع الذنوب وإعداد لحياة كلها نقاوة من نبع جاري كان فيه لكرامة الشيخ عدي الأكبر دور في وجوده. وبذلك يمثل الماء الجاري رمزا للنجاة من المخاطر والذنوب واستمرار فرص التوبة ولو أن الماء في حد ذاته رمز للحياة المتجددة[67] على مستوى الفرد أو الجماعة.

---

[65] المقتطف (13). 1889. ص 396، الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 92، التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 93.

[66] لمزيد معرفة تشريعات الشيعة الاثني عشرية للسجود على التربة راجع الغريفي (عبد الله). التشيع. ص 668 ـ 677.

[67] زيعور (علي). الكرامة الصوفية. ص 183، بوتشيش (د. إبراهيم القادري). المغرب والأندلس في عصر المرابطين. ص 144.

▪ مرقد الشيخ عدي

ظهرت عدة تحولات على لالش منذ تقاعد الطريقة "العدوية" وسيطرة "الدين اليزيدي" بدلاً عنها فقد جلبت هذه التحولات معها تطورات مختلفة على المعمار وغيره أثارت عديد الاستفهامات حول أصل المعبد القديم "كعبة اليزيدية" لأن هذه الزاوية (المعبد) كانت في الماضي ديرا للنصارى تسمى "دير مار (قديس) يوحنا"[68]، داخل جبل لالش الذي كان امتداداً لجبال الهكارية. وقد اتخذها الشيخ عدي زاوية لطريقته ومنطلقاً لدعوته الإصلاحية. فاستبدل اسم واد الدير المسيحي بـ"مرجة" تخليداً لساحة "مرجة" التي تتوسط دمشق "الشام" منذ العهد الأموي واستبدل كذلك اسم جبل هكار بجبل الشيخ عدي ويعرف الجانب الشرقي منه بجبل عرفات تبركا بجبل عرفات في مكة[69].

وقبل وصف مرقد الشيخ عدي الذي سيساعدنا في البحث عن أصول نشأة اليزيدية وجب علينا التعريف بلالش. فقد ذكر ياقوت الحموي مايلي "ليلش قرية في اللحف من أعمال شرقي الموصل ومنها الشيخ عدي بن مسافر شيخ الأكراد وإمامهم"[70]. وكلمة "لالش" كردية مركبة من "لا" بمعنى عند أو مكان و"له ش" الجسد أي مكان الجسد حيث ووري فيها جثمان الشيخ عدي (آدي) وجملة من الأولياء[71] ولها أيضاً معنى الصمت والسكون والقائلون بهذا الرأي يعزون ذلك إلى كون المكان مقدس ويلزم أن يركن الزوار والحجاج إلى الصمت والسكون[72]، وهناك رأي يزيدي آخر استشف معنى مخالفاً لما سبق. فذكر أن كلمة "لالش" تعني "هيفين" (الخميرة) وتعني سر

---

(68) الصائغ (القس سليمان). "رحلة حديثة إلى الشيخ عادي والربان هرمزد". ص 833، الأموي (الأمير بايزيد). "مرحة كعبة الأمويين اليزيدية". التراث الشعبي. السنة IV. العدد 11. 1973. ص 57، سليمان (خدربين). "لالش". مجلة لالش. العدد I. 1993. ص 56.

(69) الأموي (الأمير بايزيد). المرجع نفسه. ص 59.

(70) ياقوت الحموي. المصدر السابق. ج V. ص 28، سليمان (خدربين). المرجع نفسه. ص52.

(71) سليمان (خدربين). المرجع نفسه. ص 52.

(72) سليمان (خدربين). المرجع نفسه. ص 52.

الحياة فمنابع المياه المتدفقة من عيون هذا الجبل تبعث الحياة والخصوبة للأرض المنتجة "للخميرة والخبز واللبن" وهي أساس حياة الإنسان(73).

وأما عن أصل "الزاوية" أو المعبد فهناك أصوات مسيحية تردد أن أصل هذه الزاوية كان ديراً نصرانيا اغتصبه الشيخ عدي بن مسافر(74) وقد صدق الكثيرون ذلك(75). ومن هذه الروايات المسيحية نجد تضاربا في تحديد الأسماء وحتى في التواريخ لأن عملية الافتكاك والاغتصاب مرفوضة بسبب السيرة الحسنة للشيخ عدي الأكبر (نحن لا نستبعد كون الدير نصراني كان يرتاده قساوسة ورهبان المنطقة. ولكن الشيء الذي يساعدنا على التشكيك في عملية انتزاع الدير من أهله هو أوضاع المنطقة التي تناولناها من قبل وهي سياحة الشيخ عدي في هذه المناطق التي كانت خالية بسبب الفواجع والكوارث التي لحقتها(76). فبالتالي فإن استغلال الشيخ عدي الأكبر لهذا المكان كمنطلق لدعوته مرده وجود الدين النصراني مهجورا. وقد خرج الأستاذ جورج حبيب باستنتاج فيه شيء من القبول، فقد أرجع أصل هذا المعبد إلى جذور "ميثرائية" وقبل ذلك كان قلعة من قلوع الآشوريين واستند إلى شهادة "القس بطرس نصري" الذي ينفي بشكل قطعي وجود دير نصراني فوق قرية لالش(77) ويؤكد هذا أيضاً طراز بنائه الذي نلحظ فيه تأثيرات مختلفة

---

(73) سليمان (خدربين)، المرجع نفسه. ص 52.

(74) الصائغ (القس سليمان)، المرجع السابق. ص 834؛ تاريخ الموصل. ج ا. ص 298؛ سركيس (يعقوب نعوم). "اليزيدية". لغة العرب. السنة التاسعة. الجزء السادس. جوان / حزيران 1929. ص 433 ـ 434؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 31؛ EMPSON (R. H. W), The cult of the Peacock Angel, P 127 - 128 ; DROWER (E. S), Peacock Angel, P 112– 113

(75) NAU (A. François), "Recueil des textes et de documents sur les Yezidis", R.O.C, séries 2, vol. X, 1915-1917, P 4؛ كلدة. "القول الفصل في أصل اليزيدية". المقتطف. جويلية / يوليو 1922. ص 119؛ الصائغ (القس سليمان). تاريخ الموصل. ج ا. ص 299.

(76) راجع تفاصيل الحوادث التي سبقت مقدم الشيخ عدي إلى بلاد الهكارية (في الباب الثاني).

(77) جورج (حبيب)، المرجع السابق. ص 67.

كالمحاريب السبعة أو بناء المعبد داخل كهف ذي ينبوع مائي[78] فالكهوف ذات الأصول الميثرائية كانت منتشرة في تلك المناطق بشكل كبير[79] كما أن الإقليم المتواجد فيه المعبد اليزيدي كان يتبع إقليم "الشيخان" وإن لم يذكر ياقوت في معجمه ما يؤكد تسمية هذا الإقليم بـ"الشيخان" لأنها حدثت بعد القرن السابع هجري. ولأن هذه التسمية لم تكن مألوفة. بل إن كلمة شيخ دخلت كمصطلح ديني تحت تأثيرات الحركات الصوفية بعد زمن الشيخ عدي (آدي)[80] ومع ذلك يبقى أصل البناء محل جدال ونقاش حتى تثبت الدراسات الأثرية أصل هذا المعبد الذي يشبه نسق الأديرة المسيحية[81]. وقد تكون الأديرة المسيحية اقتبست من المعابد الميثرائية.

ويؤكد اليزيديون في وقتنا الحاضر أن المعبد ملك لأجدادهم وقد اغتصبه "مار (القديس) يوحنا" الذي حوله إلى دير نصراني إلى أن جاء الشيخ عدي من الشام ليعيد المزار لليزيدية[82]. ويستدلون على ذلك بالراية الموجودة بالمدخل الرئيسي للحرم اليزيدي حيث مرقد الشيخ عدي[83] وأيضاً وجود قدور الزيت العديدة في "هسن دمنا" داخل المزار لحفظ الزيت وإيقاد النار مساء[84]. ومهما يكن من أمر فالمعبد اليزيدي / الزاوية العدوية كان في الأصل معبدا قديما لسكان تلك المناطق من زرادشتيين وميثرائيين ونصارى وأصبح فيما بعد المقر النيسي للطريقة العدوية إثر وفاة الشيخ عدي سنة 557 هـ أين محج أتباعه من المغالين فيه الذين حملوا اسم "اليزيديين" ومرقده. كما هو

---

(78) جورج (حبيب). المرجع نفسه. ص 67؛ سليمان (خدربين). المرجع السابق. ص 56.

(79) DROWER (E. S), op. cit, P 55؛ وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 72 ـ 73.

(80) سليمان (خدربين). المرجع السابق. ص 56.

(81) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 34؛ BOIS (Thomas), "Monastères chrétiens et temples Yezidis dans le Kurdistan irakien", Al Machriq, vol. 61, 1967, P 84 - 100 ; GUEST (J. S), The Yezidis, P 37 - 41

(82) وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 72؛ سليمان (خدربين). المرجع السابق. ص 56.

(83) انظر الصور رقم XII-XI .

(84) راجع مخطط الزاوية / الضريح؛ سليمان (خدربين). المرجع السابق. ص 56.

ظاهر لنا. وتبين المصادر بأنه دفن بزاويته في لالش[85] إلا أن علم "الصدر اليزيدي" يقول عكس ذلك. أن الشيخ عدي عرج إلى السماء بصورة قدسية خاصة بعد ترك وصاياه لهم على الأرض وظهر لهم "ملاك" أعلمهم بأن قبر إمامهم / ونبيهم في مقر زاويته. فاتخذها الناس قبلتهم. إلى أن تحولت إلى كعبتهم حيث محجهم ومقدساتهم كما بينا.

إن خلق اليزيدية لقصة عروج إمامهم ما هي إلا وسيلة لإقناع الآخرين بأهمية معتقداتهم وإضفاء مزيد من القدسية لذلك يلتجئ البعض لاصطناع أحاديث وروايات لفرض قدسيتهم[86]. على أن خبر "العروج" الذي تقول به اليزيدية هو موضوع أو مصنوع ليخفوا رفات شيخهم الأكبر لكثرة المصائب التي حلت بهم ففي حوادث 652 هـ بينا كيف أرسل بدر الدين لؤلؤ "من نبش رفات الشيخ عدي من ضريحه وأحرق عظامه"[87] وفي سنة 817 هـ ذكر المقريزي أنهم "هدموا القبة المبنية عليه ونبشوا قبره وأخرجوا عظامه فأحرقوها"[88].

▪ أهم أجنحة "الحرم اليزيدي/ ضريح الشيخ عدي"

توجد في مدخل ضريح الشيخ عدي "حرم اليزيدية" وتحديداً في أعلى تاج الباب زخرفة من المرمر تعلوها صورتان لطاووسين متقابلين يتوسطهما أسدان متقابلان مرسومان على رخامة ثلاثية الشكل حديثة الصنع بالقياس إلى التاريخ الذي كتب عليها. وقد كتبت فوق باب "العتبة المقدسة" عبارات عربية واضحة هذا نصها:

---

(85) الذهبي، الأعلام. ج XX. ص 344. اليافعي. المصدر السابق. ج III. ص 313، ابن كثير. البداية والنهاية. ج XI. ص 243.

(86) شلحد (يوسف). المرجع السابق. ص 126 ـ 129.

(87) ابن الفوطي. الحوادث الجامعة. ص 271.

(88) المقريزي. مخطوط السلوك لمعرفة دول الملوك. "رقم 1727". ص287 ب. ص 288 أ. نقلاً عن العزاوي (عباس). تاريخ العراق بين احتلالين. ج III. ص 36 ـ 38.

"بسم الله الرحمان الرحيم

خالق السماء والأرض

اخفض هذا المنزل

محل الشيخ عادي الهكاري

شيخ اليزيدية 695 هـ"[89]

والتاريخ المدون على رخامة الزاوية (695 هـ / 1296 م) لا يحمل حسب الظاهر أي حدث مهم في تاريخ اليزيدية فوفاة شيخهم الأكبر عدي يوافق سنة 557 هـ، وحادثة وفاة الشيخ أبي البركات حوالي 617 هـ وعدي الثاني حوالي 625 هـ وابنه الحسن شمس الدين 644 هـ، إذن فما علاقة تاريخ 695 هـ بالزاوية العدوية في لالش؟

إننا لا نذهب بعيدا في البحث عن أصل هذا التاريخ ولكن المرجّح هو تضارب اليزيديين في وضع التواريخ وتبويب الأحداث. ولكن ينبغي أن نشير إلى أنه قبيل هذا التاريخ بسنة أي في سنة 694 هـ / 1295 م تولى عرش المغول في تبريز "الخاقان قازان"[90] (Ghazan) في سن الرابعة والعشرين بتاريخ 9 نوفمبر / تشرين II 1295 م، فكان لاعتلاء قازان للعرش نقطة تحول في تاريخ دولة المغول في إيران (أشرنا إلى ذلك في دراسة أحوال العدوية بعد مقتل "الشيخ حسن") فقد اعتنق الإسلام وبدأ يشن حملات اضطهاد وتدمير لكنائس النساطرة في العراق[91] ومن هنا نستنتج أن هذا التاريخ قد

---

(89) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 36؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 57؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 30؛ GUEST (J. S), The Yezidis, P 41. انظر الصور XI-XII.

بالرغم من زيارتي لقرى اليزيدية في جوار حلب إلا أنني لم أتمكن من زيارة شمال العراق في صائفة 1997 لأسباب تتعلق بأوضاع المنطقة الحالية. ومع ذلك تمكنت عن طريق بعض العلاقات الشخصية جدا من الحصول على أعداد من مجلة لالش الناطقة باسم مركز "دهوك" اليزيدي.

(90) أبو الفداء، المصدر السابق، ج IV، ص 32؛ شابولر (برتولد)، المرجع السابق، ص 72؛ GUEST (J. S), op. cit., P 41

(91) شابولر (برتولد)، المرجع السابق، ص 72 ـ 73؛ GUEST (J. S), op. cit., P 22, 41؛ (راجع فصل خلفاء الشيخ حسن من دراستنا وشجرة النسب العدوي).

يكون تاريخ عودة المعبد القديم على يد عائلة الشيخ عدي للأكراد العدويين وقد ساعدتهم النكبات التي تعرض لها نساطرة العراق على يد المغول الايلخانيين وجيرانهم المسلمين[92] في إعادة المعبد إليهم وليس شرط أن يكون على يد الشيخ عدي بن مسافر كما يعتقد اليزيديون أو غيرهم. ربما على يد عدي الثاني لأنه أول المواليد في بلاد الهكارية من عائلة الشيخ عدي الأكبر[93].

ويعتبر الباحث Guest آخر الباحثين في الغرب ممن كتب عن اليزيدية وزار لالش وقرى اليزيدية في شمال العراق فقد وصف لنا زاوية الشيخ عدي / آدي بلالش فركز على الرموز والرسومات الطلسمية المصورة على جدار الساحة الشرقي المزين بالنقوش مثل المعول والمشط والعكازات والطيور والكلاب، وأبرزها رمز "الحية" البارز بشكل واضح[94] ويبلغ طولها ستة أقدام. وأما القاعة الأولى فطولها ثمانون قدما وعرضها ستة وثلاثون قدماً، ولها خمسة أعمدة حجرية، ويوجد على يمين الساحة حوض ماء عمقه ثلاثة أقدام يجري فيه نبع "العين البيضاء"، ويعتقد أن القبر الموجود على الجدار الأيسر للمدخل هو للشيخ أبي البركات الخليفة الأول للشيخ عدي، وعند نهاية القاعة الأولى باب يؤدي إلى قاعة أخرى، هي قاعة الشيخ شرف الدين، متصلة بالمكان الذي يشغله الأمير اليزيدي (الزمني) عند الاحتفالات وفي مواسم الحج، وعلى يمين الباب طريق أخرى تؤدي إلى قاعة صغيرة فيها ضريح الشيخ حسن شمس الدين (قتله بدر الدين لؤلؤ خنقاً سنة 644 هـ) وترتفع فوق المبنى قبة مخروطية ارتفاعها خمسة وثلاثون قدماً وقد تكون أصول هذه القباب من تأثيرات الفن المعماري السلجوقي فقد أدخلوا هذا النوع من القباب في عمارة المدافن[95] وفي غربي قاعة الشيخ "شرف الدين" قاعة

---

(92) شابولر (برتولد)، المرجع السابق. ص 73.

(93) سركيس (يعقوب نعوم)، "اليزيدية". ص 441 ـ 442.

(94) انظر الصور رقم : VIII – IX - X.

(95) انظر صور القباب الثلاث للزاوية العدوية صورة رقم: XIII - XIV؛ خماش (د. نجدة)، دراسات في الآثار الإسلامية، مطبعة الرياض، دمشق، 1402/ 1982، ص 97 ـ 98.

أكبر يفصل بينهما جدار عن القاعة الرئيسية وهي قاعة كبيرة مربعة الشكل. كل ضلع منها بطول خمسة وعشرين قدما[96] إذ نجد ثابوتاً كثوابيت الصلحاء عندنا مغطى بالحرير الملون والجدار معلق عليه ستارة خضراء مزينة بآية الكرسي[97] وتعلو هذه القاعة قبة مخروطية ارتفاعها أربعون قدماً فوق سطح المبنى.

وهناك قاعة كبيرة غربي مرقد الشيخ عدي تستخدم كمخزن لجرار الزيت المستعمل في الإضاءة وغرفتان أخريان نحو الغرب كما يوجد درج لولبي يؤدي من قبر الشيخ حسن إلى قبور المزار وتوجد في الأسفل أحواض مغلقة يمارس فيها الحجاج طقوس الاستحمام. ويعتقدون أن النبع الأساسي لهذه المياه صخرة نبع زمزم تقع تحت مرقد الشيخ عدي. ولديهم غرفة سرية جداً لا يراها أحد من الزوار أو الحجاج وهي غرفة "كنز الركن" تودع فيها تماثيل الطواويس وسناجق اليزيدية في وقت العيد وفي موسم الحج حيث يقفل عليها بعد العودة من الطواف والتجوال[98].

د- الطواف بالسناجق

امتداد للمجال اليزيدي أم تواصل مع النهج الطرقي القديم ؟

السنجق كلمة تركية[99] تعني "الراية أو العلم أو البيرق" ويطلقها اليزيديون على تمثال "طاووس ملك" وقد يريدون بها المكان الذي يطوفون به

---

[96] انظر الصورة رقم: XV – XVI.

[97] انظر الصورة رقم: XVII – XVIII.

[98] GUEST (J. S), The Yezidis, P 38 - 41 ; Survival Among the Kurds, P 40 ـ 43 ؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 35 ـ 36.

[99] القلقشندي. المصدر السابق. ج IV. ص 8؛ جواد (مصطفى). "الراية واللواء وأمثالها". مجلة لغة العرب. ج VIII. السنة التاسعة. 1931. هامش ص 583؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 8؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 117؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 134.

حول التمثال. وقد استعملتها جميع الشعوب التي خضعت تحت سيطرتهم والظاهر أنها وردت عليهم بتأثيرات الجوار التركماني[100] وبحكم عقيدة اليزيدية المتضمنة ـ "اشتراك سبعة ملائكة في تكوين هذا العالم" ـ فقد خصص سنجق لكل ملك وأودعت هذه السناجق سليمان الحكيم "النبي سليمان" فلما حضرته الوفاة سلمها إلى واحد من ملوك اليزيدية ـ بحثاً عن شرعية تاريخية لتأكيد تجذر عقيدتهم ـ وفي البحث عن التأثيرات العبرانية في التاريخ الإسلامي نعثر على روايات لوهب بن منبه تذكر أن للملك سليمان الحكيم أدوات كخاتمه...[101].

ولتأكيد قدم موروثها الديني نسبته اليزيدية إلى سليمان الحكيم فأصبحت وديعته تنتقل بين ملوك اليزيدة. ولما ولد "بربرايا" (يزيد البربري) تسلم هذه السناجق ونظم لها أناشيد ومنشدين باللسان الكردي مع قرع الطبول والصنوج والعزف بالشبابات.

وكانت لليزيدية سبعة سناجق لم يبق منها إلا سنجق واحد وهو يتكون مما يشبه الشمعدان يقف فوقه طائر وبجانبه ما يشبه الكأس[102]. ويعود سبب اختفاء بقية السناجق إلى الإجراءات التي اتخذتها حكومة الآستانة ضد اليزيدية فقد أوفدت في سنة 1309 هـ /1889م الفريق عمر وهبي باشا لإدارة شؤون العراق وضبط أوضاعها. فشاءت السياسة أن ينكل باليزيديين ويصادر ستة من سناجقهم بحكم أنهم مسلمون مهرطقين فاضطروا إلى أن يصطنعوا أخرى بدلاً منها[103]. بينما يرى الباحث العراقي صديق الدملوجي أن الجيش العثماني عثر على أربعة سناجق فقط أرسلها إلى بغداد أين حفظت في خزانة الجيش السادس عام 1892 م ثم أعيدت إليهم إثر إعلان

---

(100) أبو الفداء. المصدر السابق. ج III. ص 21: جاء فيه "أول (غازي بن عماد الدين أتابك زنكي صاحب الموصل) من حمل على رأسه "السنجق" في ركوبه...".

(101) المقدسي. البدء والتاريخ. ج II. ص 148.

(102) انظر الصور من XIX إلى XXIII.

(103) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 105؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 119؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 134.

الدستور عام 1908[104]، وتحفظ هذه السناجق في العادة "بخزينة الرحمان" ويسمونها "خائني طاووس" في بيت الإمارة في قرية "بعذرى"[105]. ويدعي اليزيديون أن هذه الخزينة تحوي كذلك "عصا موسى" و"حية إسرائيل" وغيرها وهم لا يسمحون لأحد بمشاهدتها خشية أن يدنو أجله كما يدعون. وهذه الأشياء المحفوظة يشرف على صيانتها امرأة كبيرة السن تكون عادة من عائلة أمير اليزيدية ودورها تتوارثه الإناث من أقاربها[106]. أما الإشراف الرسمي فلا يجوز إلا للأمير وتعطى هذه السناجق إلى "القوالين" بالالتزام بمقابل مالي وأما إذا كانت السنة جدباء فهي تسلم إليهم "بالأمانة" أي بدون تحديد مسبق مقطوع لبدل الطواف بها ولكن مقابل نسبة معينة على أن يذهب وكيل للأمير مع القوالين لجباية الصدقات والهبات والتبرعات ويطوف بها القوالون في ثلاث مناسبات: في شهر نيسان / أفريل وأيلول / سبتمبر وتشرين الأول / أكتوبر. والظاهر أن هذه المواقيت مرتبطة بمواسم زراعية فشهر نيسان[107] مثلاً يمثل بداية الربيع وعودة الحياة والاخضرار للطبيعة أما شهر أيلول فهو مرتبط بنهاية موسم الحصاد وبداية موسم الحرث والاستسقاء[108]. وأما شهر تشرين الأول / أكتوبر فهو بداية موسم الزرع[109] وجني الزيتون في مناطق حلب، وهي امتداد لاحتفالات الخصب القديمة، ونلاحظ ارتباطها بحياتنا العادية وتسربها إلى المعتقد ولهذا أخذت صبغة "الحضرة" أو "عيد الجماعية" أو الحج اليزيدي، فاحتفالات النيروز عند الأكراد والفرس هي الامتداد الطبيعي للعقائد الاحتفالية للأجداد إذ تقام في هذه المواسم موائد وأسمطة فتتوفر الخيرات التي تفي الجميع، وهو تعبير عن

---

[104] اليزيدية، ص 113؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 105 .

[105] من قرى شمال شرقي الموصل وهي من أجل مواطن اليزيدية في قضاء "الشيخان" واسمها "أرامي" معناه بيت العماد والعون والمساعدة. فرنسيس (بشير). عواد (كوركيس). "نبذة تاريخية في أصول أسماء الأمكنة العراقية"، المرجع السابق، ص 254.

[106] الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، هامش ص 105.

[107] البكر (محمود مفلح)، المرجع السابق، ص 180 ـ 181.

[108] البكر (محمود مفلح)، المرجع السابق، ص 10 ـ 16.

[109] البكر (محمود مفلح)، المرجع السابق، ص 30 ـ 33.

التفاؤل بالاستمطار وحلول مواسم زراعية جيدة[110]. وتكون هذه الاحتفالات تحت "إشراف" الصلحاء / رجال الله أو القدسيين من أمثال الشيخ عدي اعتقادا منهم بأن أرواحهم مازالت حاضرة معهم وقادرة على تلبية مطالب الداعين واسترضائهم ولذلك تجمع النذور والصدقات للقيام بهذه الأعياد والمناسبات[111].

وتقصد السناجق اليزيدية مناطق تجمعاتها الكبرى والهدف من طوافها جمع الصدقات للإمارة اليزيدية في بعذرى، وهي امتداد للزكاة الإسلامية المرتبطة بمواسم الزراعة وخراج الأرض.

ولكل سنجق بلاد وضعت في كنفه. ففي جناح السنجق الأول بلاد الشيخان ومناطق شمال العراق (الموصل، دهوك، أربيل، كركوك والسليمانية...) ويطلق عليه "طاووس الشيخان"[112]. ويرسل الطاووس الثاني إلى منطقة جبل سنجار العراقية المنعزلة الوعرة وهي من أكبر تجمعات اليزيدية على الحدود السورية العراقية، ويسمى هذا الطاووس المكلف بسنجار بـ"الطاووس شنغال"[113]، والطاووس الثالث "طاووس الزوزانا"[114] يتجول في قرى "الخالته" (التابعة لقضاء ديار بكر) وماردين وسيواس وسعرد وإنطاكية وعينتاب وبقية المدن والقرى اليزيدية في جنوب وشرق تركيا[115] والسنجق الرابع "الهورية"[116] ويسمونه نقص الكواجر

---

[110] ونلاحظ هذا في إفريقية في مناسبات "الزردة" التي تبدأ في أواخر شهر أوت وتنتهي قبيل أواسط سبتمبر وتقام على شرف الصلحاء.

[111] البكر (محمود مفلح)، المرجع السابق، ص 33 ـ 34.

[112] اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي)، "مقالة في اليزيدية"، المشرق، السنة 45، ج ا، كانون الأول / جانفي ـ آذار / مارس 1951، ص 547.

[113] الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 135.

[114] الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 135.

[115] اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي)، المرجع نفسه، ص 547؛ الفرحاني (أحمد)، المرجع السابق، ص 35؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 119.

[116] اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي)، المرجع السابق، ص 547؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 119.

أي الرحل من اليزيدية الأكراد[117]. وأما السنجق الخامس فيتجول في أطراف حلب ونواحيها ويدعى بـ"المليّة". في حين يدعى السنجق السادس بـ"السرحدار" أو "طاووس عجمستان" ويرسل إلى مناطق القفقاس (أرمينيا وجورجيا وأذريبجان. وروستوف) والمناطق اليزيدية في إيران وخاصة تيريز ومهاباد وكرمنشاه وبقية مناطق إيران الغربية وخراسان[118]. أما "طاووس عنزل" فهو الطاووس الذي يبقى في "خزانة الرحمان" تحت إشراف الأمير المباشر في "باعذرى"[119].

وتبدأ مواسم الطواف في فصل الربيع وتتم الطقوس الخاصة بها حيث تبارك السناجق في مرقد الشيخ عدي (الشيخادي) وتعمد بالمياه المقدسة من نبعي "زمزم" و"العين البيضاء" مع الأوراد والتراتيل المترافقة برقصات دينية قوية ويغلب عليها طابع الانفعال. ثم يأخذ "القوالون حبات صغيرة من تراب الشيخ عدي "البراتا" وتحمل مع السناجق لتقديمها لليزيديين حتى يتبركوا بها. وعندما يقترب موكب "حمل السنجق" من إحدى القرى يرسلون أمامهم فارساً يبشر أهالي القرى بقدوم "السنجق" وهو ينادي بالكردية "سنجق هات" أي "جاء السنجق". فيخرج الجميع لاستقباله بما يليق من الإكرام والتبجيل بالثياب الفاخرة. مع البخور والعطور. وتقابله النساء بالزغاريد. وتنفخ المزامير رمزاً للفرح والسعادة[120]. ثم تبدأ "مزايدة العشر" فينادي البير "السنجق ضيفي بكذا" إلى أن تنقطع المزايدة لأكبر قدر ممكن من الهبات. فيتقدم "البير" بعد ذلك فينزل "الخرج" أو "الهكيبة / الحقيبة" من على ظهر الجواد ثم تعلق برقبة الذي آلت إليه "المزايدة" فيستضيف "السنجق المعظم" إلى داره. فينصبه في أبرز موضع متكئاً على

---

[117] اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي). المرجع نفسه. ص 547.

[118] الفرحاني (أحمد). المرجع السابق. ص 35؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 105.

[119] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 105؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 119؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 135.

[120] البغدادي (الأب انستاس الكرملي). المرجع السابق. م II. ص 398؛ صادر (قيصر). المرجع السابق. ص 365؛ الفرحاني (أحمد). المرجع نفسه. ص 35.

مساند / وسائد خاصة[121]. وتسرج حوله الشموع ويجلس القوالون على يمينه وشماله ومعهم "البيورة" (مفردها بير) والشيوخ، فيرتلون الأناشيد الدينية. ويباركون الزائرين بحسب درجاتهم، ولا ينقطع قرع الطبول والعزف بالشبابات في هذه المناسبة[122]. ويشترط أن يكون الناس المتدفقون حفاة، إذ يحرم عليهم انتعال أي شيء في أرجلهم حين قدوم سنجق "طاووس ملك" وكانوا يطوفون حوله سبع دورات كطواف المسلمين بالكعبة.

وما تقوم به اليزيدية يمثل امتداداً لتلك التأثيرات العربية المصبوغة بصبغة إسلامية[123]. وأثناء عملية الطواف يقدم "المؤمنون" هدايا وتبرعات ونذوراً حسب إمكانياتهم وكان كل من يتبرع بشيء يسقى ماء من "طاس السنجق"[124]، ويكون له حق الجلوس على سماط صاحب البيت وتناول طعامه، وبعد إتمام مراسيم الاستقبال والزيارة يوضع "السنجق" في الخرج المخصص له. وينتقل "المحمل" إلى قرية أخرى. ويستغل القوالون المناسبة لبيع مجموعات "البراتا" المقدسة للزائرين على أمل الشفاء والبركة...

وبعد عمليات التجوال تعاد السناجق إلى "خزينة الرحمان" / "خاني طاووس"[125] بعد غسلها بماء السماق ودهنها بزيت الزيتون قبل أن تحفظ في مواضعها الخاصة بها في "خاني طاووس"[126]. وهذه العادة مسيحية، فقد

---

[121] انظر الصورة الخاصة بالسنجق الذي رسمه أحد اليزيدية للباحث العراقي عبد الرزاق الحسني. صورة رقم: XIX. انظر غلاف كتابه. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. الطبعة الخامسة. صيدا / لبنان. 1968 م وكذلك ص 47.

[122] البغدادي (الأب انستاس الكرملي). المرجع السابق. م II. ص 398؛ صادر (قيصر). المرجع السابق. ص 365.

[123] وعندنا في بعض المناطق تقاليد في استعمال رقم سبعة: النداء سبعة أصوات عالية. طواف العروس ببيت الزوجية سبع مرات. وفي القصص الأسطورية عبور سبعة بحار واجتياز سبعة جبال. كل ذلك امتداد لعملية طواف هاجر المصرية زوج النبي إبراهيم بحثا عن الماء.

[124] انظر الصورة رقم: XX.

[125] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 105؛ الجراد (د. خلف)؛ المرجع السابق، ص 134.

[126] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 107.

كان الأشخاص يعمدون ويغمسون بزيت الشمع أو زيت الزيتون[127]. وقد يضطر أمراء اليزيدية أحيانا إلى رهن السنجق إذا ضاقت بهم الأحوال المادية[128].

وفي كل الأحوال فإن الطواف بالسناجق كان لجمع الصدقات والتبرعات، ويصحب عمليات التجوال رجال الدين اليزيديين في مناطق الانتشار المكثف، ولا نعرف أصل نظام الصدقات هذا وإن كان قد وجد في فترة سيادة الطريقة العدوية فليس بالشكل الذي ورد علينا حالياً.

وفيما يخص أشكال ورموز السناجق، فالبعض يرى أنها تمثل "أشكالاً ورموزاً" داخلة في جوهر معتقداتهم، فرقم واحد يرمز إلى القمر والهلال، وتمثل الإله البابلي "سين". ورقم اثنان يرمز إلى نجم الصباح. ورقم ثلاثة يرمز إلى طائر شبيه بالطاووس. ورقم أربعة يمثل الأرض ورقم خمسة يمثل الشمس "الإله شمس"، والرقم ستة يمثل نهرين (وهما رافدي العراق: دجلة والفرات) ورقم سبعة يمثل القناع أو الشيطان والصورة الثامنة زنبقة بثلاث شعلات وهو رمز للنار واللهب[129]...

وفي الحقيقة فإن الرموز التي ذكرها الأب انستاس ماري تعود إلى جذور الديانات القديمة المرتبطة بعبادات الأسلاف. بينما يذهب البعض إلى أن شكل الطاووس الواقف فوق الشمعدان يرمز إلى الطائر السماوي "نابو"، وأما الشمعدان الواقف عليه فهو صولجان الدنيا، يربض فوقه "طاووس ملك" وفيه إشارة إلى سيطرته على مقاليد العالم. وهو تقريباً شبيه بما عند الرومان: رمز جوبيتر - بالقبض على صولجان - يربض فوقه نسر[130]. أما في الرمز اليزيدي فالصولجان قائم على قاعدة يربض فوقها الطائر السماوي (طاووس ملك). وأما الكأس فتفسيره يعود إلى الزرادشتية وحتى المثرائية، فحسب

---

(127) البغدادي (الأب انستاس الكرملي)، المرجع السابق. م II، ص 309.

(128) GUEST (J. S.), The Yezidis, P 121

(129) ANASTASE (Marie), "La découverte récentes des deux livres sacrés des Yezidis", Anthropos, vol. VI, Vienne, 1911, P 4 - 5؛ صورة: XXIV.

(130) حبيب (جورج)، المرجع السابق، ص 91

الصور المتواجدة بالمعابد القديمة نجد في المآدب القديمة المؤمنين يتناولون شرابا منعشا يستخرج من نبات مقدس (الهاوما). وتكون طريقة استخراجه بواسطة دقه في "هاون"[131] مقدس وشراب "الهاوما" هو رمز للإله واهب الخلود للمؤمنين وهنا نرى أن الكأس الذي يصاحب السنجق يحمل نفس شكل الهاون[132].

وبعد تحليل وعرض طقوس الطواف بالسناجق اليزيدية وتشابهها بما هو عند الديانات القديمة الأخرى وإن طرأت عليها بعض التغيرات والتحولات، فإننا نلاحظ أن عمليات الطواف بالسناجق لا تتم في المجال الخاضع لأغلبية يزيدية، إذ تجمع التبرعات للموطن الأم، وهي في الحقيقة امتداد لتلك التظاهرات القديمة ولما يسمى "بالحضرة" أو "الزردة"[133]، والتي تأتي مباشرة عقب موسم الحصاد أو في بدايات موسم الحرث والزرع. وتكون عمليات الطواف بالسناجق اليزيدية امتداد كذلك للعادة والعرف القديم وذات أبعاد صوفية ولا علاقة لها بإحياء "الخلافة الأموية" كما ذهب إلى ذلك البعض[134]، للأسباب التالية:

– أنها تمثل تكريساً لسلطة الأمير بلالش وتأكيداً لتواجد النفوذ اليزيدي، فتجميع الأموال وخراج الأرض هي لتأكيد السلطة السياسية الروحية للأمير.

– تواصلاً مع المنهج الطرقي القديم عند الأسلاف من العدويين في جلب التبرعات للزاوية بالرقص الصوفي والذكر الديني الذي يردده القوالون أو الدراويش عند "الولوية".

---

(131) ـق البن الخشبي يسمى "هاون".

(132) وهبي (توفيق)، المرجع السابق، ص 80 ـ 81؛ حبيب (جورج)، المرجع السابق، ص 91.

(133) مصطلح شعبي يستعمل للمهرجانات الدينية في إفريقية

(134) الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 80 ؛ وأن السناجق اليزيدية هي للثورة التي خطط لها الشيخ حسن شمس الدين.

والظاهر أن رقصات "القوالين" اليزيدية تسمى "سما" أو "سمايى" إشارة على توسلاتهم الكثيرة بالسماء وللإلهام الذي يأتيهم من السماء. ويطلق اليزيديون أيضاً لفظة "سما" على الطقس الخاص الرمزي والخفي التي تجرى بالدبكات والموسيقى والغناء. لذلك تنسب الباطنية وفرقها المختلفة أن منشأ الديكة "سما" إلى "رجال الغيب الأربعون" وهم الكهنة الروحانيون الأربعون الذين تجسدت فيهم شخصيات القديسيين ولا بد أن يكون أصل العدد المقدس هو الأيام الأربعون في أواسط فصلي الصيف والشتاء "المربعانية" والتي بنيت عليها الأساطير الفصلية الزراعية وسبغت صفة الإنسان على الإله[135].

وهذه التقاليد التي ذكرناها لدى اليزيدية أخذتها من سابقتها "العدوية" لأن هذه الطقوس تمارسها المتصوفة. وهي تواصل مع الاجتماع الأول للنبي محمد بعد معراجه إلى بيت المقدس[136] وتصدره هذا الاجتماع بالأنبياء[137]. وهنا تبقى التأثيرات الصوفية متجانسة مع المعتقد القديم الذي يبقى حياً في الذاكرة وفي بعض السلوكيات العفوية للفرد.

2. الطقوس والأعراف الاجتماعية عند اليزيدية

يمكن تصنيف هذه الطقوس في إطار ما يعرف بـ "العادات" أو ما يسمى بـ"الذاكرة الجماعية" أو ما يسميه البعض بـ "الفلكلور الشعبي". وتمثل هذه الطقوس سننا لمجتمع أو فئة ما وقع الإجماع حولها. وكان هذا شأن اليزيدية التي وضعت أعرافها الاجتماعية الخاصة.

---

(135) وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 80 ـ 84.

(136) ابن هشام. السيرة النبوية. ج II. ص 2 ـ 4.

(137) ابن هشام. المصدر السابق. ج II. ص 4. وهبي (توفيق). المرجع السابق. ص 84.

أ- الزواج

ينقسم الزواج اليزيدي إلى زواج طبيعي وزواج بواسطة الخطف. أما الزواج الطبيعي فيراعي كثيرا السنن الاجتماعية اليزيدية. فهذا المجتمع طبقي وتواجد هذه الطبقات حدث بعد الشيخ عدي[138]. ولذلك لا يتم هذا الزواج إلا ضمن أفراد الطبقة الواحدة وهو لزام على اليزيدي بل لا يجوز له التهرب من هذا المانع بأن يعتنق ديانة أخرى[139].

ويحصل الزواج عادة بالتفاهم إذ أن تعاليم اليزيدية لا تمنع على الفتيات الاختلاط بالشباب خاصة في المناسبات الدينية وطبعا ضمن أفراد الطائفة اليزيدية، ويزعم البعض أنه في الأعياد والمناسبات الكبرى خاصة "عيد الجماعية" يباح لليزيديين "المغازلات الغرامية"[140] فإذا وجد الشاب أو الشابة مقاومة أو معارضة للزواج يجوز له أن يخطف الفتاة فيهرب بها إلى إحدى القرى المجاورة فيتزوجها زواجا شرعيا بحسب السنن والآداب اليزيدية "دون مهر ولا صداق"[141].

وعادة خطف الفتاة هذه لا تعد عاراً عند اليزيدية والظاهر أنها تدخل في عادات وطقوس الزواج اليزيدي "حيث أنه في جبل سنجار تعد عادة خطف الفتيات كعادة مألوفة لا يرون فيها عاراً ولا منقصة"[142].

---

(138) باعدّري (شيخ زيدو)، "نتف من المراسيم الاجتماعية لدى الايزيدية". مجلة لالش. العدد 1، 1993، ص 60.

(139) باعدّري (شيخ زيدو)، المرجع نفسه، ص 60.

(140) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 96؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 124.

(141) الدملوجي (صديق)، المرجع السابق، ص 299؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 124.

(142) الدملوجي (صديق)، المرجع السابق، ص 281؛ ويضيف الدكتور خلف الجراد في هامش ص 148: أن عادات خطف الفتيات قصد الزواج موجود في مناطق القوقاز وآسيا الصغرى وخصوصاً بين الشركس والشيشان والأكراد مع وجود بعض الفروقات.

وأما طقوس الزواج، فإنه يؤتى بخبز من دار أحد المشايخ، فيعطى نصفه للعريس والنصف الآخر للعروس ثم يأكلانه بمحضر أحد رجال الدين (الكهنة) وإن لم يكن هناك رجال دين وجب عليهم أخذ قطع من "البراتا" (تراب الشيخ عدي) المحفوظة في بيت الشيخ المذكور لمثل هذه المناسبة وذلك للبركة والغفران، فيأخذ العريس والعروس ويأكلان منه بدل الخبز وهكذا يتم عقد الزواج[143]، وفي يوم الزواج يحضر أقارب العريس كميات كبيرة من "العرق" و"النبيذ" ثم يدعى عدد من الشباب على اختلاف أجناسهم إلى العرس. والظاهر أن هذه المظاهر الاحتفالية التي تتكرر في الزواج وفي بعض الأعياد "كعيد الجماعية"[144] هي التي نجدها عند قدماء الإغريق على شرف "الربة أثينا"[145]. كما يشترط في حفل الزواج أن تقرع الطبول ويدوي المزمار شهادة على حدوث الزواج ويعتبرون هذا شرطاً دينياً[146] وهذه العادة معروفة جدا عند المسلمين، ومن فضائل الأعمال التشهير بالزواج في الإسلام وهو عرف جار منذ القديم.

ومن الآداب التي تبين طبيعة علاقة اليزيديين بجيرانهم من أصحاب الملل الأخرى، أنه إذا مرت العروس في طريقها بمسجد أو مقام (مزار) لأحد الشيوخ أو كنيسة نصرانية وجب عليها صحبة الموكب زيارة ذلك المكان المقدس تبركا[147]، وعادة زيارة "العروس" لأضرحة الصلحاء موجودة في الأناضول بشكل كبير[148]. ولكن يختلف اليزيديون في الزواج عن غيرهم إذ أنه يجب

---

(143) كتاب القس اسحاق، ملاحق حبيب جورج، ص 126.

(144) البغدادي (الأب انستاس الكرملي)، المرجع السابق، م II، ص 652؛ اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي)، "مقالة في اليزيدية"، ص 35.

(145) العابد (مفيد رائف)، دراسات في تاريخ الإغريق، مطبعة دار الكتاب، دمشق، 1990، ص 105 ـ 106.

(146) البغدادي (الأب انستاس الكرملي)، المرجع السابق، م II، ص 652؛ صادر (قيصر)، "اليزيدية"، ص 366؛ اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي)، المرجع نفسه، ص 35.

(147) كتاب القس اسحاق، ملاحق حبيب جورج، ص 130؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 98؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 125.

(148) مشاهدات شخصية لبعض الأعراس التركية.

على اليزيدي أن يختار أخاً في الآخرة ويسمى بـ "برايي ئاخره تي" أي الأخ في الآخرة وتختار العروس كذلك أختاً لها وكلاهما يجب أن يكون من غير طبقته أو فرعه ويجب أن يوده طيلة حياته بالهدايا كرمز للأخوة والمحبة[149]. وعند دخول المرأة إلى بيت الزوجية وهي مغطاة بغطاء أحمر (البشماغ) من رأسها حتى أخمص قدميها ترش بالماء على يمينها ويسارها وتحمل على كتفها "صفيحة ماء نظيف" لأن اليزيديين يقولون "مرى وزيندي بـ ئاقي حه لال دبن"[150] بمعنى أن الأموات والأحياء يحللون بالماء، وهو رمز للحياة عند القدامى وحسب المتصوفة هو رمز للطهارة وعملية الزواج هذه إنقاذ للشاب وامتداد وتواصل للنسل البشري لبعث المجتمع المنشود[151].

وبعد دخول العروس لبيت الزوجية يقذفها عريسها الذي ينتظرها على عتبة الدار بحفنة من التراب المتجمع كامتداد لسلطة الرجل الشرقي وإشعاراً لها بسلطته عليها[152] وبهذا يفسرون القوامة[153]. وكانت هذه الآداب والسنن الاجتماعية للزواج اليزيدي لا تتم إلا بمباركة "البيرا" أو "القير" أما من ناحية الأحكام فاليزيدي بإمكانه الزواج مما طاب له من النساء "مثنى وثلاث ورباع..." - تأثيرات المحيط الإسلامي في تعدد الزوجات - ولكن يحرم عليه أن يجمع بين اثنتين بغير رضى الأولى، وإذا رزق بأولاد من الأولى فلا يسمح له بأن يتزوج مع وجودها من امرأة أخرى، كما يحرم عليه الزواج من أخت زوجته بعد طلاقها أو موتها[154]، وتحرم على اليزيدي زوجته إذا قال لها "أنت شيخي" أو "أنت بير"[155].

---

[149] باعدّري (شيخ زيدو)، "نتف من المراسيم الاجتماعية لدى الايزيدية"، ص 61.

[150] باعدّري (شيخ زيدو)، المرجع نفسه، ص 61.

[151] زيعور (علي)، المرجع السابق، ص 221؛ بوتشيش (د. إبراهيم القادري)، المرجع السابق، ص 143 - 144.

[152] كتاب القس اسحاق، ملاحق حبيب جورج، ص 130؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 98.

[153] "الرجال قوامون على النساء" سورة النساء (4 : 33).

[154] صادر (قيص)، "اليزيدية"، ص 367؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 99.

[155] الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 99.

ويحرم الزواج لدى اليزيدية في شهر نيسان / أفريل إكراما لهذا الشهر لأنه أبو الورود، ولأن الأنبياء قد تزوجوا في هذا الشهر[156] وتحرم كذلك عمليات الزواج والاتصال الجنسي بين الزوجين اليزيديين في أيام الأربعاء والجمعة ما عدى طبقة "الكواجك" إذ يباح لهم الزواج في أي وقت يشاءون[157]. وهذا التحريم هو تأكيد لقدسية يومي الأربعاء والجمعة حيث تقام "الأسمطة" المقدسة على شرف الصلحاء[158].

ولليزيدية في الزواج طبقات يتميزون بها فلا يجوز لأبناء الشيوخ منهم أن يتزوجوا غير بنات الشيوخ - وكان هذا عند قدماء الرومان وما زال إلى حد الآن في الهند حيث نجد طبقة - على أن الشريعة اليزيدية قد تشددت في زواج أبناء الشيوخ من بنات الشيوخ[159]. لذلك حرمت هذه الشريعة الزواج بين فرقة وأخرى "ماخلا الأمراء فإنهم يتزوجون من تعجبهم من النساء من أي طبقة كانت"[160]. وقد حرمت اليزيدية على أتباعها النظر إلى وجه المرأة غير اليزيدية بريب أو شهوة ولهذا عاشت نساء الطوائف الأخرى بأمان فضلا على أن كل من هي غير يزيدية تعتبر نجسة[161]. وأما الطلاق فليس بالمحظور كما هو عند بعض الطوائف النهرانية، ويكون بإعطاء المراد طلاقها ثلاث حجرات رمزاً للتطليق بالثلاث هذا إذا كان المطلق شيخاً، أما إذا كان من العامة، فيكفي منه الطلاق الواحد، ويجوز أن يسترجعها بلا عدة ولا فتوى من رجال الدين اليزيدي[162].

---

[156] جول (إسماعيل بيك)، المرجع السابق، ص 81؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 100.

[157] كتاب القس اسحاق، ملاحق حبيب جورج، ص 127؛ اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي)، "مقالة في اليزيدية"، ص 34.

[158] LAYARD (Henry), op. cit., P 225 - 226؛ جول (إسماعيل بيك)، المرجع السابق، ص 83؛ حبيب (جورج)، المرجع السابق، ص 23 - 25.

[159] سوف تمر معنا طبقات اليزيدية الدينية والاجتماعية.

[160] بدران (عبد الرحمان)، "اليزيدية في كردستان"، مجلة الجنان، الجزء السابع لسنة 1876 م، ص 529؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 101.

[161] الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 102.

[162] الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 102 - 103.

ب- التعميد والختان والبسك

▪ التعميد

من السنن اليزيدية المقتبسة عن الملل المجاورة التعميد (baptême) وقد أخذ عن النصارى والختان وأخذ عن المسلمين. ويقول اليزيديون عن "العماد" و"الختان" إننا نجري هاتين السنتين[163] ولا يجوز التعميد إلا إذا مضى أسبوع أو أكثر على ولادة الطفل. وربما طالت المدة إلى شهر أو شهرين بل قد تصل إلى سنة أو أكثر دون القيام بالواجبات الدينية إذ يؤتى بالولد ليعمد من دنس الولادة وهذه العادة مسيحية اقتبستها اليزيدية بتأثير الجوار[164] وتشعبات معتقدات هذه النحلة. ولا يتم التعميد إلا في عين ماء تقع بالقرب من مرقد "الشيخادي" ويقال لها "العين البيضاء" "كآني آسى" وتسمى بـ "بئر زمزم" لأن الشيخ عدي / عادي (حسب الأسطورة اليزيدية) عندما جاء إلى هذا المكان بلالش ولم يرضه ماء طلب منه مريدوه أن يجترح لهم آية فأخذ الشيخ عكازته وضرب الصخرة وقال للماء بالعربية "زم زم" فزم[165]. وفي رواية أخرى أنه قال "أريد ماء زمزماً" أي كثيراً فكان له ذلك. ثم قال لتلاميذه : "وكل من يؤمن بي ويعتقد بأقوالي ويعتمد بهذا الماء المبارك يكون من الخالصين في يوم الدين"[166].

وتتم عملية التعميد بدخول "الشيخ" وحده لقبة العين البيضاء وبيده الطفل مجرداً من ثيابه فيغطسه في الماء "ثلاث طرقات" ثم يضع الشيخ يده على رأس المتعمد بعد المرة الثالثة ويدمدم عليه بصلوات (أدعية) قد يسمعها من

---

(163) اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي). "مقالة في اليزيدية". ص 510.

(164) DROWER (E.S), op. cit., P 160 ; BOIS (Thomas), op. cit., P 128

(165) يذكر الحموي (ياقوت). المصدر السابق. ج I. ص 149 : "إن بئر زمزم سميت بهذا الاسم لأن الفرس كانت تحج إليها في الزمن الأول فزمزمت عليها والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشمها عند شرب الماء وكان ساسان إذا أتى هذا البيت طاف به وزمزم على هذه البئر".

(166) البغدادي (الأب انستاس الكرملي). المرجع السابق. م II. ص 310. اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي). "مقالة في اليزيدية". ص 540.

هم خارج القبة حيث يقول "لقد صرت خروفا ليزيد فعساك تكون شهيداً لطريقة يزيد"[167]. ويمكن أن تكون عملية التعميد بالمياه المجلوبة من المنابع المقدسة في لالش، أو بمياه عادية فيها حبيبات من "البراتا" التي أصبحت مقدسة. كما لو أنها أخذت من نبع "زمزم" في لالش[168].

وعادة التعميد هذه طقس مسيحي الأصل والظاهر أنه كان نتيجة الجوار المشترك واقتباس الملل من بعضها البعض وهي عادة التطهير. نجدها عند الصابئة في العراق وإيران. ولذا نرى في عادات وطقوس اليزيدية أن هناك تأثيراً بقي مرتبطاً بمعتقدات الأجداد وبالاحتكاك بهذا الخليط المتنوع من المذاهب.

■ الختان

وأما فيما يخص الختان (circoncision) فهو يجري بعد التعميد بعشرين يوما أو أقل أو أكثر[169] وفي بعض الأحيان بين السنة الثالثة والسابعة من عمر الطفل[170]. فلختان الطفل يلزم شيخان واحد يمسكه في حضنه والثاني يختنه. ويمسكه عادة الشيخ الأكبر سناً من الآخر. وأما الشيخ الخاتن للولد فيطلب منه قول « Asberkhé Ezide sorum » أي "أنا خروف يزيد المنير"[171] وإذا كان المختون لا يحسن الكلام أو تكرير تلك الألفاظ فيكررها عوضاً عنه الشيخ الماسك للطفل[172].

---

(167) البغدادي (الأب انستاس الكرملي)، المرجع السابق، م II، ص 310؛ اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي)، "مقالة في اليزيدية"، ص 540؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 129، DROWER (E.S), op. cit., P 160 ; BOIS (Thomas), op. cit., P 128

(168) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 112؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 129 ـ 130.

(169) البغدادي (الأب انستاس الكرملي)، المرجع السابق، م II، ص 311؛ اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي)، "مقالة في اليزيدية"، ص 541.

(170) الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 130.

(171) البغدادي (الأب انستاس الكرملي)، المرجع السابق، م II، ص 311؛ اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي)، "مقالة في اليزيدية"، ص 541؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 130.

(172) وفي عهد السيطرة العثمانية أصبح اليزيدية يكرهون سنة الختان وذلك للتهرب من الجندية، حتى لا تعتبرهم كبقية الفرق الإسلامية. FLETCHER (Rev. J. P), Notes from Nineveh, and Travels in Mesopotania, Assyria and Syria, London, 1850 vol. I, P 773، راجع كذلك من مقالة الأب انستاس بالمشرق، 1899، م II، هامش ص 311.

ويرتبط الختان بطقس يزيدي بحت يسمى "الكرافة"، وهي أنبل عادات اليزيدية وتتمثل في أن يتخذ اليزيدي من معارفه أو أصدقائه كريفا (أي قريبا) بأن يضع طفله في حجره أثناء ختانه، فإذا سقطت قطرة دم من الطفل في حجره أثناء ختنه على ثوب ماسكه أصبح "كريفا" ومؤاخياً فلا يناله ضيم ولا يخشى غدر أحد، لأن الكريف يجب أن يكون له ولعائلته بمثابة الفدائي، ويجوز أن يكون "الكريف" "يزيدياً" أو "مسلماً"، لا فرق بين الاثنين على ألا يكون "مسيحياً أو يهودياً ولا من أي ملة أخرى"[173]. بينما أشار الباحث اليزيدي المعاصر درويش حسو أنه "يجوز أن يكون الكريف من الأديان الأخرى" ولا يجوز أن يكون من نفس الطائفة وذلك بسبب الاختلاط، ولأنه لا يجوز الزواج بين عائلة الكريفين[174]. ومن هنا يتضح أنه إذا كانت "الكرافة" بين يزيديين فعندئذ يدخل الواحد في المحرمات بالنسبة إلى الآخر كأخ الرضاعة إلى الدرجة الخامسة وربما أكثر من ذلك ولهذا كانوا يتحاشون قدر الإمكان إقامة الكرافة بينهم أو بين أفراد نفس الطبقة الاجتماعية والدينية نفسها[175]. ووجود هذه "الكرافة" أو نقطة الدم المقدسة من الممكن أن تكون لها تأثيراتها بعد موجات الغزو المغولي للمشرق الإسلامي، لأن المغول كانوا يقدسون الدم ويعدونه أكبر أداة لعقد العهود والمواثيق بينهم، وذلك بأن يشرب الواحد من دم الآخر بضع قطرات يستخرجها من جسده وأكبر يمين لديهم أن يذبحوا قرباناً ويشربوا من دمها وأخوة الدم معروفة عند الشعوب "التركومغولية" « Turco-Mangol »، ويطلقون عليها بالتركية "قان قارداشلغي"[176].

---

(173) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 144؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 130.

(174) الازداهيون اليزيديون، ص 96.

(175) حسو (درويش)، المرجع السابق، ص 96 ـ 97؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 131.

(176) الدملوجي (صديق)، المرجع السابق، ص 64. وتأكيداً على ذلك فالمغول لديهم خوف موروث مصدره خرافي عن إراقة "الدماء الملكية" لذلك بقي مجهول كيفية قتلهم للخليفة العباسي المستعصم (646 ـ 656 هـ / 1243 ـ 1258 م) ويقال أنه قتل مخنوقا ـ خوفاً من إراقة دمه ـ بين الزرابي، أبو الفداء، المصدر السابق، ج III، ص 194؛ زكار (د. سهيل)، المرجع السابق، ص 369 ـ 370.

■ البسك

نجد لدى اليزيدية كذلك تقليداً خاصاً بالذكور لا غير وهو "البسك". ويكون بعد التعميد حيث أن كل مولود صبي ذكر وجب على والده أن يدعو إلى حفلة "البسك" عند بلوغ الطفل سبعة أشهر أو أحد عشر شهراً أو في السنة السابعة من عمره. فلا يجوز قص شعر هذا الطفل قبل إقامة حفل "البسك". ومن ترتيباته ذبح شاة ذكر ثم يقوم "شيخ" تلك العائلة بقص خصلة من ناحية شعر الطفل بمقص لم يستعمل من قبل أو أن يكون نظيف المظهر. وعند عملية قص الشعر يردد الشيخ دعاء "البسك". وأفضل الأوقات للقيام بهذا الطقس هو وقت غروب الشمس وتقام بهذه المناسبة حفلة خاصة[177].

3. الموت أو عقيدة "الحياة الأخرى" عند اليزيدية

أ- الموت والتقاليد الجنائزية

كبقية الأديان والمذاهب فإن لليزيدية طقوسها الخاصة بالموت وبعالم ما بعد الموت. وهي طقوس متأثرة إلى حد بعيد بعقيدة تناسخ الأرواح والتقمص. فإذا احتضر يزيدي جاء إليه شيخه وكذلك "أخوه" و"أخته" الأبديان. ذلك أن على كل يزيدي أو يزيدية بلغ سن الرشد أن يتآخى مع أحد مشايخه وكان يسمى "الأخ الأبدي" أو "أخ الآخرة"[178] أو "الأخ بالدين". ويتوجب

---

(177) حسو (درويش). المرجع السابق. ص 94. الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 130.

(178) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 115. باعه درى (شيخ زيدو). "نتف من المراسيم الاجتماعية لدى الايزيدية". لالش. العدد (II - III). 1994. ص 181.

عليهما كل ما هو بين الأخوة رغم الفوارق الدينية والاجتماعية. فهذا "الأخ الأخروي" هو السند والمحامي الذي "يترافع" عنه وقت الحساب الأخروي[179]. وتتم هذه "المؤاخاة" بعقد ديني بين "المريد" و"الشيخ" وبشهادة عدد من الحضور وضمن حفلة خاصة يقيمها المريد لشيخه[180]. فيقام حفل بهذه المناسبة الروحية وعلى المريد أن يدفع كل سنة زكاة لأخيه الشيخ وفي المقابل يتوجب على الشيخ أن يزور مريده مرة واحدة على الأقل في السنة[181]. وأما "أخت الآخرة" فتتولى فتح جيب (زيق) ثوب اليزيدي عند خياطته وتجعله مستديرا فيسمونه "طوق يزيد"[182] (طوق إيزيد). أي أن محبة "يزيد" أو "إيزيد" (التسمية التي يفضلها اليزيديون اليوم) التي تعني الخالق الأعظم. تكون طوقا وأمانة في عنق كل يزيدي وهي بمثابة الرمز أو الإشارة التي يعرف بها اليزيديون أنفسهم[183].

ولذا يكون دور "الشيخ" مساعدة مريديه لنيل درجة الشفاعة في يوم الآخرة. فوجب عليه أن يذيب بعض قطع "البراتا" التي يؤتى بها من مرقد الشيخ عدي والمجبولة بماء عين زمزم في كمية قليلة من الماء. ويصب قطرات من هذا الماء في فم المحتضر ويرش قطرات أخرى على وجهه على نحو ما يفعله المسلمون[184]. وتعتبر عملية غسل الميت من الواجبات الدينية التي تحتوي على عادات إسلامية ومسيحية - تأثر كبير بعادات وطقوس الأجوار - فمن العادات المسيحية نراهم يلبسون الميت أفخر ثيابه

---

(179) عريضة اليزيدية. البند VI. راجع الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 119. هامش ص 115؛ العزاوي (عباس). تاريخ اليزيدية. ص 222.

(180) سنرى أكثر تفاصيل عن ذلك في طبقات اليزيدية.

(181) عريضة اليزيدية. البند IV و VI.

(182) عريضة اليزيدية. البند X-XI؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 120؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 44. 223 - 224.

(183) الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 44.

(184) اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي). "مقالة في اليزيدية". ص 37.

البيضاء اللون[185]. وأما عن التأثيرات الإسلامية فتتمثل في عملية الغسل في حد ذاتها حيث تذر "البراتا" في منافذ جسد الميت كما يذر المسلمون الكافور. وتتم عملية الدفن بتلاوة "الطرقينة" تلقين الميت من قبل قوالين وهي مثل صلاة الجنازة عندنا في الإسلام. وهي تحمل المعنى الآتي: "أن الإنسان لا بد أن يموت إن عاجلاً أم آجلاً ولكن طوبى لمن أرضى الله والناس ودخل القبر بوجه أبيض"[186]. ويدفن الميت بعد حلّ عقدة الكفن - تأثيرات إسلامية - ويوجه الجسد نحو المشرق. حيث يوارى التراب. أما عادة يزيدي "سنجار" فتتمثل في قص ذوائب المتوفى رجلاً كان أو امرأة ويعلقونها على قبره إلى أن تبلى[187].

وتقع قبور اليزيدية بالقرب من مزاراتهم وقراهم وتجمعاتهم السكنية[188] ولا يجوز حسب الشريعة اليزيدية أن يدفن يزيدي في مقبرة غير مقابرهم الخاصة. وهذه المقابر لا تختلف كثيراً عن قبور المسلمين. فقد وجدنا في عديد الشواهد القبورية "آيات قرآنية" وترجمات لروح الميت حسب الأعراف الإسلامية. إلا أن اليزيدية تلتزم بتجصيصها ووضع بعر الغنم عليها اتقاء لها من الحيوانات. وهم يسرجون عنها ليلاً شعلات من النار ظاهرها "ابتهاج بذلك القادم"[189] وحقيقتها إرهاب الوحوش آكلة اللحوم من نبشها.

---

[185] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 115؛ باعه دري (شيخ زيدو). "نتف من المراسيم الاجتماعية لدى الايزيدية". ص 180.

[186] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 116؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق. ص 132.

[187] الدملوجي (صديق)، المرجع السابق. ص 71؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 116؛ وقد ذكر أحد الباحثين الأكراد (مسلم سني). بأنهم يدفنون مع الميت عصاه وقطعة خبز وجبنة. فإذا جاءه منكر ونكير ضربهما بها. أما إذا جاءه مبشر وبشير أعطهما الخبز والجبنة.

[188] ويمكن أن يلاحظ هذا من يزورقرى اليزيدية في عفرين. وقد أتيح لي هذا الأمر حين ذهبت إلى عفرين.

[189] الشرقي (الشيخ علي). "اليزيديون / البازيدية". مجلة العرفان العدد 11 لسنة 1926. ص 819.

ب- عقيدة التناسخ

أجمع المؤرخون العرب والمستشرقون ومن بحث في جذور اليزيدية على أنها تقوم على مبدأ التناسخ الذي يعد أحد أهم أركان[190] معتقداتها.

والتناسخ نظرية دينية لها جذورها الضاربة في غياهب التاريخ. تقوم على عودة الروح بعد الموت إلى الحياة في جسد جديد. والسائد أن جذور التناسخ نبتت في بلاد ما بين النهرين حيث نجد في "الرقيمات الطينية" التي دونت للفكر الرافدي القديم. أفكاراً عن التقمص والحلول[191]. ونجد كذلك في أديان الهند عقائد أخرى في التناسخ والتقمص[192]. وهناك فرق آمنت بالتناسخ وجعلته جوهر عقيدتها. كـ "التناسخية" التي قالت "بتناسخ الأرواح في الأجساد والانتقال من شخص إلى شخص"[193] وذهب هؤلاء إلى أن التناسخ إنما هو على سبيل العقاب والثواب[194].

إذن فالتقمص هو الفكرة الفلسفية التي تعني أن نفس الإنسان تستطيع أن تتقمص في أبدان كثيرة سواء كانت الأبدان حيوانية أو إنسانية أو من الجماد. وبهذا الأسلوب يستطيع الفرد أن يصبح إلهاً. وتتقمص شخصيته القوى الكونية الكبرى التي تحيط به. وهكذا يستطيع التأثير عليها بالفعل والحركة لا بمجرد الرجاء والضراعة[195]. وبالتالي يكون اعتقاد اليزيدية بالتناسخ والتقمص ناتجاً عن ذلك الإيمان الباطني. خاصة أنهم يرفعون رجالاتهم إلى

---

(190) مصحف "رش". الآية XII ؛ البدليسي. المصدر السابق. ص 21 ـ 22؛ كتاب القس اسحاق، ملاحق حبيب جورج، ص 134 ـ 135؛ المقتطف. (1889). ص 397؛ PAREJA (F. M), "Islamologie", P 854

(191) كرومي (كيورك مرزينا). المرجع السابق. ص 111.

(192) البيروني. ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. ص 32.

(193) الشهرستاني. المصدر السابق. ج ا. ص 253.

(194) ابن حزم (الإمام أبي محمد علي بن أحمد الظاهري). كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل. المطبعة الأدبية. القاهرة / مصر. 1317 هـ. ج ا. ص 90.

(195) فرانكفورت (هـ). ما قبل الفلسفة، الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى. ترجمة جبرا إبراهيم جبرا. بغداد 1960. ص 237.

مصاف الملائكة والآلهة[196]. فهي تطلق مصطلح "كراس كهورين" على الموت بمعنى أن الروح تطرح رداء الجسد ولا تفنى وأبدية الخلود ولكنها تبدل الثوب "الجسد" فتخرج من هذا الجسد لكي تدخل إلى جسد آخر وليس شرطاً أن يكون هذا الجسد لإنسان أو حيوان وتبقى تلك العملية رهينة أعماله في الحياة الدنيا[197].

ويقول اليزيديون أن فكرة التناسخ موجودة عندهم قبل مجيء "الشيخ عادي الشامي" إلى ديارهم لأنها من فلسفات الديانة اليزيدية (الايزيدية). بل إن الشيخ "عادي" نفسه (حسب قولهم) يؤمن بالتناسخ وأدخل على اليزيدية فكرة الثواب والعقاب (الجنة والنار)[198].

فاليزيدية إذن تعتقد بالحلول. أي انتقال الروح من مكان إلى غيره ومن وضيع إلى رفيع حسب استحقاقها والإنعام عليها[199].

ويجري التناسخ على أربع درجات

i- الرسخ: ضده النسخ، لأنه يرسخ ويبقى طيلة الأيام ويدوم كالجبال حيث تنتقل النفس الناطقة من بدن الإنسان إلى أجسام حيوانية[200].

ii- الفسخ: انتقال النفس الناطقة من بدن الإنسان إلى النبات المقطوف والمذبوحات لأنها تتلاشى ولاتعقب[201].

---

[196] ابن كثير. المصدر السابق. ج XII. ص 243.

[197] سليمان (بير حذر). كوندياتي. بغداد 1985. ص 108

[198] سليمان (بير حذر). "التقمص - تناسخ الأرواح". مجلة لالش. العدد V. 1995. ص 35; الخالتي (حسو هرمي). "الموت وما بعده عند الايزيدية". مجلة لالش. العدد V. 1995. ص 63.

[199] جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 96.

[200] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 94; عوش (قيس). التقمص أهو حقيقة أم خيال. منشورات جروس برس. طرابلس / لبنان. 1991. ص 19.

[201] أبو ريان (محمد علي). أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي. منشورات دار الطلبة العرب. بيروت 1969. ص 356.

iii– المسخ : انتقال النفس الناطقة من بدن الإنسان إلى أجسام حيوانية. حيث يمسخوا قردة وخنازير وفيلة[202].

iv– النسخ : هو الانتقال من بدن إنساني إلى آخر[203].

لذا ترى اليزيدية وكل من آمن بالتناسخ من القدامى وغيرهم أن الأرواح قسمان :

● **أرواح شريرة**: تحل في أجسام الحيوانات الخبيثة والسيئة كالكلب والحمار والخنزير. وحلول الأرواح الشريرة في هذه الأجسام نوع من العقاب[204] المؤقت لشخص غير مستقيم وكثير الذنوب يتحول إلى حيوان لتذوّق العلقم والعذاب إلى أن يسلك جادة الصواب. هذا عن الجسد. أما الروح فهي الأخرى تسلم إلى الزبانية حاملة "الهراوات والزبر لتنهال عليها بالضرب المبرح"[205]. ومن الأمثلة التي يذكرونها عن تحول الإنسان إلى حيوان أن شيخا مسخ في منطقة المرج اليزيدي إلى كلب مصاب بالجرب لأنه أساء السيرة مع شيخ أكبر منه درجة فخاصمه ووبخه لذلك أخرجت روحه وأرسلها الشيخ الكبير إلى المنطقة التي نزل بها الشيخ ضيفاً لأنه غير معروف فيها حتى لا يصلى لأجل روحه. وعندما مسخ كلباً ذاق ألوانا من العذاب. وما بكاء هذا الشيخ الذي حبست روحه في جسم الكلب إلا لطلب العودة ثانية إلى جسم إنسان. وقد سمح له بالعودة إلى طائفته وتركه يولد في جسم إنسان آخر من اليزيدية[206]. ومن هنا نستنتج أن لشيوخ اليزيدية سلطة على الأحياء وحتى الإماتة والأذى وفي عمل الخير حسب ما يرونه.

---

(202) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 94؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 88 ؛ غوش (قيس)؛ المرجع السابق. ص 19.

(203) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص94؛ غوش (قيس). المرجع السابق. ص 18.

(204) البيروني. ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. ص 32؛ ابن حزم. الفصل في الملل والأهواء والنحل. ج 1. ص 90.

(205) سليمان (بير حذر)؛ "التقمص ـ تناسخ الأرواح". ص 35 ـ 36؛ الخالتي (حسوهرمي). "الموت وما بعده عند الايزيدية". ص 61 ـ 62.

(206) كتاب القس اسحاق. ملاحق حبيب جورج. ص 136.

● **أرواح طيبة**: لاتفنى الروح بل تنتقل إلى بدن أفضل دون عكسه لتترقى النفس في الكمال حتى يتحقق شوقها[207]، فهي تحوم في الفضاء لتكشف للأحياء عن أسرار الكائنات والمغيبات. لأنها دائما في تماس مع عالم الغيب ولذلك نجد اليزيديين يصلون ليلة وفاة الميت ويتضرعون كثيرا ليظفروا في تلك الليلة بالأحلام التي تكشف لهم منقلب الميت ومصيره. وتريهم عودته الثانية، وتقمصه الجديد. خيراً كان أم شراً[208]. ومن الطرائف التي تروى عن اليزيدية أن كثيراً من الأغنياء إذا كان لهم أولاد مسرفون ومتمردون فإنهم يخشون أن يبدد أولادهم تلك الأموال ولهذا كانوا يطمرونها في الأرض واضعين علامات معينة معتقدين برجوع أرواحهم ثانية ليستفيدوا من تلك الأموال[209].

ويقص اليزيديون قصة ينسبونها تارة إلى أبي المنصور الحلاج شهيد الصوفية وتارة أخرى إلى الشيخ حسن البصري. والظاهر لإيمانهم بالتناسخ - مفادها أن روح الحسن البصري التابعي المعروف انتقلت إلى بدن الحسن "تاج العارفين" بن عدي II. وملخص القصتين أنه لما قتل الخليفة العباسي المقتدر بالله (296 - 320 هـ / 908 - 932 م) أبا منصور الحلاج ورمى برأسه في نهر دجلة، طافت روحه على وجه الماء، وبينما كانت أخت الحلاج تملأ جرتها من النهر، دخلت روح أخيها في جسمها فحملت في ساعتها ووضعت بعد تسعة أشهر طفلا يشبه أخاها الحلاج، ولذلك لا تشرب بنات اليزيدية الماء من جرة ذات فوهة ضيقة وذات صوت إكراما للشيخ الحلاج، إذ سمع لرأسه صوت عند قذفه في الماء[210].

---

(207) البيروني، المصدر السابق، ص 32.

(208) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 94 ؛ سليمان (بير حذر)، "التقمص - تناسخ الأرواح"، ص 36.

(209) كتاب القس اسحاق، ملاحق حبيب جورج، ص 133؛ جول (إسماعيل بيك)، اليزيدية قديما وحديثا، ص 88 - 89، الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 94؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 89.

(210) جول (إسماعيل بيك)، المرجع السابق، ص 89؛ نوري (مصطفى باشا الكردي والي الموصل ما بين 1902 و1906 م)، عبدة ابليس، أعاد طبعه جلال نوري، مطبعة جهاد استانبول، سنة 1905/1323، ص 19؛ الأحمد (سامي سعيد)، اليزيدية، ج II، ص 110، FURLANI (G. Firenze), "Gli interdetti dei Yezidi", P 174

وكتبت "مريم هاري" بأن سبب امتناع اليزيدية عن الشرب من جرة ذات فوهة ضيقة، له علاقة بتناسخ الأرواح، فعندما رقصت (سالوم / Salom) أمام "هيرود الكبير" وتمكنت من الحصول على رأس "يوحنا المعمدان" وأهدته إلى أمها وبعد تقبيلها له رمته في النهر، وطاف رأس (يوحنا الذي يحي) على سطح الماء فالتقطه بعض أتباعه ومريديه، وبقيت روحه في الماء، ولما أتت "سالوم" بعد ذلك لتملأ جرتها بالماء، وكانت الجرة برقبة طويلة فصار الماء يتأوه في فمها "آه آه إني أحبك إنك قتلتني ولكن قتلتك كانت لطيفة وحلوة"، ولما شربت من ذلك الماء حملت "بيوحنا المعمدان" وبعد مضي مدة الحمل وضعت ولداً هو بالنسبة لليزيديين جد الصابئة[211].

وبناء عليه فإن هذه العقيدة أصلية في اليزيدية، وإن كانت غير مفهومة كالتي نجدها عند "البراهمة" أو الهندوس في الهند، بينما هي عند اليزيدية تردد على ألسنة رجال الدين أو بعض عامتهم الذين يعتقدون بأن رؤساءهم الروحانيين وشيوخهم قد عاشوا في جميع العهود والأزمنة بأسماء متعددة ومن الروايات المسجلة عند أحد بيورة اليزيدية ويدعى "بابا جاويش" أنه كان يناقش ويحاور إمام جامع المرج وكل من له معرفة بالعلوم الإسلامية، وكان أيضا يحفظ القرآن (معتمدا على ذاكرته من الماضي) والأحاديث النبوية الشريفة ويروي أحداثا وقعت في زمن الرسول (محمد) ويصف مكة القديمة بكل أحداثها التاريخية في غاية الدقة وكأنه يعرض فيلماً تاريخياً، وقبل رحيله اعترف أنه قد عاشر الخلفاء الراشدين[212].

ومن هنا نستنتج آن أغلب الديانات الشرقية القديمة وغيرها تعتقد بالتناسخ ولهذا نقول:

– أن اليزيدية (كديانة حسب اليزيديين) كفرقة دينية ذات منشأ صوفي، تعتقد بحياة ما بعد الموت وترى أن هناك جزاء للإنسان عن كل خير أو شر

---

(211) MYRIAM (Harry), op. cit., P 80 - 81

(212) رواية "بدل فقير حجي" نقلاً عن الخالتي (حسوهرمي)، "الموت وما بعده عند الايزيدية"، ص 66.

اقترفه بالعودة إلى النصوص الدينينة المحفوظة أغلبها في صدور رجال الدين اليزيديين.

- يعتقد عوام "اليزيدية" بمبدأ التناسخ دون نقاش أو جدال. فهم يؤمنون بذلك حسب العادة والتقليد فقط.

- أن اليزيدية أخذت الكثير من طقوس الجنائز المسيحية وبشكل أكبر الإسلامية، فنرى أن الأدعية الدينية والشواهد القبورية على أرواح الموتى عندهم مشابهة لتلك التي نجدها عند جيرانهم مثل "تفضلوا وانطقوا اقرؤا على ياسين وترقينا"[213].

- أن فكرة الثواب والعقاب قد وضعها الشيخ عدي الأكبر لكنه لم يستطع طمس أو إزالة فكرة التناسخ أو حذفها من القاموس العقائدي اليزيدي. وهي تمثل عند أصحابها فكرة إيمانية وفي ذلك أيضاً حل لكثير من المشكلات الدينية والوجودية الجوهرية، التي كانت ومازالت تعد من مشاغل البشرية.

وتمكننا دراسة بعض الجوانب من عقائد اليزيدية، من الخروج بنتائج موضوعية حول مقدسات وطقوس هذه الفئة، دون الإساءة إليها وذلك بالاعتماد على ما يقوله أصحابها عن أنفسهم أو من خلال ما نجمعه من اطلاعنا على أراء الآخرين عنها.

ج- مدى تجذر عقائد التقمص والتناسخ

لقد وجد الإنسان القديم في عودة الروح إلى الدورات الطبيعية حجة تجعله يميل إلى الاعتقاد بالتقمص وانتظار عودة الروح التي فارقت جسدها، وظهورها في جسد جديد. وقد اختبرت الشعوب التي استوطنت الشرق ظاهرات طبيعية كثيرة، فعاينت موت النبات في فصل الخريف ثم عودة الحياة إليه واكتسابه الاخضرار في بداية الربيع، فرسخ عند هؤلاء أن الحياة لابد أن تعود إلى الطبيعة الذابلة.

---

[213] سليمان (بير حذر)، "التقمص - تناسخ الأرواح"، ص 51.

فالتقمص قانون روحاني. يحتل مكانة مرموقة في الأدب الروحي القديم. فقد عرفته عديد الشعوب القديمة كالفراعنة والفرس والإغريق والهنود...

وتعني كلمة "التقمص" حياة جديدة على الأرض لابد منها[214]. ويعبر الهندوس عن التقمص بكلمتين من السنسكريتية الأولى "بونارجنما" (Pounarjamna)[215]. والثانية "سمسارا - فادا" (Samsara-Vada)[216]. ولذلك يمكن تعريف التقمص بأنه عودة المبدأ الروحي في الإنسان إلى غلاف لحمي جديد. وهذا الغلاف يتخذ بالنسبة إلى الإنسان دائماً جسدا بشرياً. ولا يخفى أن معظم العقائد والمذاهب الدينية تؤمن بحياة أخرى ما وراء الموت الفيزيقي[217]. أما التناسخ تلك العقيدة الشائعة أكثر في صفوف الهنود وغيرهم من الأمم القديمة فتعني أن روح الميت تنتقل إلى موجود أعلى أو أدنى لتنعم أو تعذّب جزاء على سلوك صاحبها الذي مات أي أن نفساً واحدة تتناسخها أبدان مختلفة إنسانية كانت أو حيوانية أو نباتية[218].

ومن مذاهب التناسخ في الهند مذهب يسمى "السمنية"[219] نسبة إلى صنم "سومنات" الذي أحرقه السلطان محمود بن سبكتكين سنة 416 هـ / 1025 م[220]. وقد ساد هذا المذهب في العراق والموصل إلى أن ظهر زرادشت من

---

(214) الخوري (روجيه). الباراسيكولوجيا في خدمة العلم (طاقة الإنسان وقدرته الحاسة السادسة عنده). ج II. تقديم وهيب كيروز. مكتبة صادر. بيروت. 1984. ص 730.

(215) AUROBINDO (Shir), Reconnaissance et Karma, ed. du Rocher, Monaco, 1983, P 12

(216) SARASVATI (Shir Mahacharya Hamsananda), Yoga et sagesse : (Le travail spirituel de l'homme moderne), ed. Albin Michel, Paris, 1978, P 156.

(217) غوش (قيس). المرجع السابق. ص 15.

(218) غوش (قيس). المرجع السابق. ص 17 - 18 .

(219) البغدادي. الفرق بين الفرق. ص270.

(220) ابن الأثير. المصدر السابق. ج VIII. ص 22 - 23؛ لسترنج (كي). بلدان الخلافة الشرقية. نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد. مطبعة الرابطة. بغداد. 1954/1373 ؛ BOSWORTH (Califford), At the Ghaznavid, Edinburgh, 1963, P 148 – 151.

أذربيجان وتواصل في عهد ماني[221]. وعرف نفس المعتقد بين المسلمين في العصر العباسي[222]. كما ظهرت بوادر النزعة التناسخية عند عدد من المذاهب الإسلامية ومنها البيانية[223] والجناحيية[224] والخطابية[225] والراوندية[226]. وآمنت بعض جماعات القدرية كذلك بالتناسخ. فقد رأى أحمد بن خابط (مذهبه الخابطية) أن عيسى بن مريم شبيه بربه. وزعم أنه الإله الثاني[227]. وعرف التناسخ أيضاً عند المتصوفة فهم من عمل على ترسيخه كمبدأ عقائدي عند اليزيدية[228] إضافة إلى معتقدات الأجداد

---

(221) البغدادي. الفرق بين الفرق. ص 271؛ غوش (قيس). المرجع السابق. ص 98.

(222) البغدادي. الفرق بين الفرق. ص 273؛ أمين (أحمد). ضحى الإسلام. منشورات مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. 1964. ج I. ص 241.

(223) البيانية: أتباع بيان بن سمعان التميمي. ظهر بالعراق في أوائل القرن الثاني هجري. ادعى أول الأمر أن جزءا إلهيا حل في علي بن أبي طالب ثم في ابنه محمد بن الحنفية ثم في ابنه هاشم ثم في شخص بيان نفسه قتل على يد والي العراق خالد القسري. الأشعري. المصدر السابق. ج I. ص 152؛ ابن الأثير. المصدر السابق. ج V. ص 82.

(224) الجناحية: أتباع عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب (الملقب بالطيار). فقد خرج عبد الله على الأمويين بالكوفة في عهد مروان II آخر خليفة أموي. واجتمع حوله الناس. فبرز إليهم آنذاك أمير الكوفة. فقاتلهم ثم طلبوا الأمان لأنفسهم ولعبد الله فأعطاهموه. فتوجه عبد الله إلى حلوان ثم بلاد العجم فغلب على همذان والر وأصبهان وقتله أبو مسلم الخراساني الداعية العباسي في خراسان. ابن قتيبة. المعارف. ص 418؛ الأشعري. المصدر السابق. ج I. ص 67.

(225) الخطابية: أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي ولاء. قتله عيسى بن موسى والي الكوفة سنة 143 هـ؛ الأشعري. المصدر السابق. ج I. ص 75؛ البغدادي. الفرق بين الفرق. هامش ص 247.

(226) الراوندية: قوم خراسانيون على رأي أبي مسلم الخراساني الذي قتله المنصور العباسي سنة 137 هـ / 755 م. حاربهم معن بن زائدة الشيباني سنة 141 هـ / 759 م ولهم نفس آراء المذاهب في الحلول والتناسخ. ابن قتيبة. المعارف. ص 375 ـ 376. 420؛ المقدسي (البلخي). البدء والتاريخ. ج V. ص 129.

(227) البغدادي. الفرق بين الفرق. ص 228.

(228) المقدسي (البلخي). المصدر السابق. ج V. ص 129؛ صادر (قيصر). "اليزيدية". ص 367. الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 93 ـ 94؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 88.

وتأثرها الكبير بالمانوية[229]. وفيما يخص الصوفية. نجد أن في الحلاجية[230] من يقول بالتناسخ والرجعة. فقد زعم بعض المنتسبين إلى الحلاج أنه حي ولم يقتل. وإنما قتل من ألقى عليه الشبهة[231]. فهذه المذاهب والفرق الإسلامية لم تؤمن بالتناسخ كما آمن به الهندوس. بل أنه طرأ عندهم نوع من التغيير طبقاً لمقتضيات البيئة الإسلامية.

---

(229) البغدادي. الفرق بين الفرق. ص 271.

(230) نسبة لأبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج.

(231) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 254 ـ 255. 260 ـ 264. المقدسي (البلخي). المصدر السابق، ج V، ص 129.

الفصل الثالث

الطبقات الاجتماعية والدينية والأعياد والمحرمات

1. الطبقات الاجتماعية والدينية

يعد مجتمع اليزيدية مجتمعا طبقيا لمكانته السياسية ولاختلاف المهام الدينية فيه، ولذلك ينقسم المجتمع عندها إلى عدة فئات، لكل واحدة منها مسؤولياتها وتراتيبها وخصائصها، ففي هذا النظام الطبقي المميز حددت العقيدة الدينية وظائف كل فئة أو طبقة دينية، وبينت ما عليها من واجبات وما لكل زمرة أو أسرة من هذه الطبقات - وبالأخص العليا منها - من مسؤوليات تجاه غيرها من الطبقات، وهذا النظام المنظم بشكل بثوقراطي يعتبر غريباً عن منطقة الشرق الأدنى القديم. فلقد كان لكل طبقة من الطبقات اليزيدية امتيازاتها الخاصة وأوضاعها الاجتماعية الخاصة، إذ لا يمكن لأي "يزيدي" ينتمي إلى طبقة معينة أن يتحرك في أي اتجاه (صعودا أو نزولاً) فمكان الفرد في هذا "البحر" من الطبقية هو الذي يحدد ميلاده وكذلك الشأن مع الزواج فهو مقصور على الطبقة. فلا يحق لأي فرد أن يتزوج من غير طبقته، وفي وجود بعض التشابه بين النظام الطبقي اليزيدي ونظيره الذي عند الهندوس، ما يجعلنا نظن في إمكانية وجود تأثير هندوسي في هذا النظام[1] اليزيدي ولهذا اعتقد بعض الباحثين بوجود هذا التأثير خاصة وأن هناك من يتحدث عن وجود بعض المريدين الهنود ضمن تلامذة

---

(1) Al JADA'AN (Khalouf Ahmad), Caste among the Yezidis : An ethnic group in Iraq, (M.S Thesis in Rural sociology, presented at Pennsy Lvania State University, in August 1960), P 73

الشيخ عدي بن مسافر[2] وكان هؤلاء من طبقة زاهدة عاشت في منطقة قريبة من لالش حيث انقطع الشيخ عدي الأكبر عن العالم الخارجي. وهذه القرية التي استقر فيها المتصوفة الهنود هي قرية "اشكفت هندوان"[3]. بينما يشير البعض الآخر إلى أن مرد هذا التنظيم هو أصولهم العدوية وبقايا عدة مصطلحات صوفية كـ "القوال" (المنشد) و"الفقير" (المريد)[4]. وقد ذهب أحد الباحثين إلى اعتبار اليزيدية طبقة واحدة على أساس أنها تمنع زواج أفرادها من جميع الطبقات من غير اليزيدية[5].

إذن يقسم اليزيديون إلى طبقات دنيوية ودينية. وهو ما نجده في جلّ المذاهب والطرق الصوفية ذات الصبغة الدينية. ونتيجة لذلك كان لليزيدية رئيسان كبيران: أحدهما زمني يعتقدون بحلول جزء إلهي فيه فلا يخالفون له أمرا ولا ينكرون عليه حقا. فهو وارث جميع اليزيديين ويوجد مقامه أو قصره في أعلى ربوة بجانب "الزاوية العدوية" في باعذرى « Baidir »[6] وهذا التموقع الجغرافي للبيت (مقارنة مع بيوت القرية أو المنطقة) لا يعكس بصفة واضحة العلاقة القائمة بين الأمير (المير / Mir) ورعيته. أما الآخر فهو روحي يمثل السلطة الدينية، يحدد أصولها وفروعها وشرائعها، وهناك عادة تنسيق بين القيادة الزمنية والدينية، ويعتقد أن تقسيم القيادة قد تم بعد كسر شوكة العدويين بين 644 و 652 هـ. ومن رموز الطبقات اليزيدية نجد:

---

(2) وقد كتب أحد شيوخ الأزهر في الخمسينيات بوجود جماعة في الهند يطلقون على أنفسهم "اليزيدية" وهي تعمل على تعظيم شأن "يزيد بن معاوية" باعتباره "إمام عدل وحق" و"ابن إمام" وهم يعلنون حقدهم على الحسين بن علي بن أبي طالب.... ربيع (الشيخ محمود حسن). <u>حل مشكلات عن مسائل مهمات</u>. مطبعة الزاوية التيجانية. القاهرة / مصر. 1 أغسطس 1956. ص 93 ـ 96.

(3) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 64 ـ 65.

(4) الملاح (محمود). "الطائفة اليزيدية في شمال العراق". المرجع نفسه. ص 335؛ FUCCARO (Nelida), op. cit., P 250 - 251

(5) E.I^2, art "YAZIDIYA", IBID, T. VIII, P 1166

(6) LUKE (Harry Charles), <u>Mosul and its minorities</u>, P 130 - 131

أ- الأمير (المير، ميري شيخان):

وهو ممثل الشيخ عدي بن مسافر على الأرض. ويتصل نسبه بالشيخ عدي نفسه ومنه على يزيد بن معاوية. وهو الذي تجتمع فيه جميع السلط ويرأس الطائفة بأجمعها. ولا يمكن لأحد أن يعارض كلمته وتعتقد اليزيدية في عصمته لأنه قد حل فيه عنصر رباني[7]. والأمير لدى اليزيدية مصون وغير مسؤول. فهم يعتقدون بحلول جزء إلهي فيه لذلك يولونه القضاء المطلق في رعيته لأنه وكيل الشيخ عدي (الشيخادي) في أرضه. فمن يعصي أوامره. أو ينال من كرامته، أو يخالط من غضب هو عليه. يعرض نفسه للقصاص الصارم مهما كان مقامه. ويكون القصاص باستباحة بيته وماله إضافة على حرمانه من جميع حقوقه (كيزيدي). فقد كان خضوع اليزيديين للأمير (المير) ضرباً من العبادة لأنهم لا ينكرون عليه شيئاً يطلب منهم[8]. وكان حكمه الثيوقراطي المطلق يجعله يحظى بالأرض الخصبة والمرأة الجميلة التي تصبح من حقه دون نقاش، وزيادة على ذلك فهو مدعم بالضرائب السنوية ويتقاضى أموالاً كثيرة عن طواف السناجق (عبادة الطواويس) والأوقاف التي حول ضريح الشيخ عدي[9].

أما فيما يخص قواعد تنصيب الأمير (شيخ الزاوية) أيام الطريقة العدوية فإنه - قبل ظهور اليزيدية - كان منصب مشيخة الزاوية متأثراً جداً بجيرانهم من الشيعة وخاصة الإسماعيلية التي تعتبر الإمامة نوراً من الأب

---

(7) العزاوي (عباس)، المرجع السابق. ص 177؛ اليسوعي (الأب إغناطيوس عبده خليفة). "اليزيدية". ص 579؛ الفرحاني (محمد)، المرجع السابق. ص 39؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 153؛ SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 118 ; GUEST (J. S), The Yezidis, P 33

(8) الدملوجي (صديق)، المرجع السابق. ص 295؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق، ص 154 – 155 ؛ SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 118

(9) LUKE (Harry Charles), op. cit.,, P 130 - 131 ; FORBES (Rosita), Conflict, P 294

إلى ابنه البكر وهو ما حدث في عهد العدويين أسلاف الشيخ عدي الأكبر، فمن أبي البركات صخر II، إلى ابنه عدي الكردي (الهكاري)، ثم إلى ابنه الأكبر الشيخ شمس الدين ما عدى فترة بداية "الزيغ" حين تدخل أتابك الموصل "بدر الدين لؤلؤ" في سنة 627 هـ / 1230 م لتعيين عم الشيخ حسن أحمد بن أبي البركات[10]، وبعد مقارعة الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ لهم في أكثر من مناسبة، تغيرت عديد الأوضاع، فلم تعد هناك قواعد معينة لاختيار الأمير (المير)، وتبقى دوماً رغبة السلط القوية المجاورة لهم تلعب دوراً في اختيار قيادة اليزيدية. ولا يمكن أن يقصى الأمير من منصبه مهما كان فعله، ولذلك يثير هذا المنصب الحسد والمنافسة، ونرى أنه من النادر أن يموت الأمير ميتة طبيعية[11]. ويعيش أفراد الأسرة الأميرية (دار الزاوية سابقاً) على ما يحصلون عليه من النذور والصدقات التي يقدمها لهم عموم اليزيديين.

ولا يحق لزوجة الأمير (أم اليزيديين) أن تتزوج من أي شخص بعد وفاة زوجها، وذلك تعظيما لمنزلته الراقية ولقواه الروحية، ولحلول العنصر الإلهي فيه، إذ ينتقل إليها شيء منه بعد زواجهما[12]، والظاهر أن لهذه العادة تأثيرات إسلامية، فبحكم حرمة النبي محمد عند المسلمين، حرمت على المسلمين نساء النبي "أمهات المؤمنين"[13].

ويمكن لأسرة "المير" أن تتزوج من بعضها، أو من الحياليين الذين ينحدرون من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني، صديق الشيخ عدي I، ولا يسمح ليزيدي آخر أن يتزوج من أسرة "المير" (بنات دار الزاوية) المقدسة

---

(10) ابن المستوفي، المصدر السابق، ق ا، ص 117.

(11) FORBES (Rosita), op. cit., P 294؛ العزاوي (عباس)، المرجع السابق، ص 177؛ الفرحاني (محمد)، المرجع السابق، ص 39.

(12) HARRY (Myriam), op. cit., P 70؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج II، ص 148.

(13) القرآن: سورة الأحزاب (33) الآية (53) "... وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما".

التي تنظر إليها اليزيدية بقداسة[14]، بل قد ينذر أبوان يزيديان ابنهما للشيخ عدي إذا ما شفي من مرض عنده، فيصبح الابن ملكاً للأمير. ويمكن أن تنطبق نفس الحالة على المرأة التي لم تحمل لمدة من الزمن. فتنذر ما في بطنها للشيخ عدي[15].

وبعد عرضنا لامتيازات المير اليزيدي (خادم المهدي) الزمنية والروحية ولسلطته الثيوقراطية على أتباعه نرى أن كل ذلك يعيد إلى الأذهان طبقة "البراهمة" في تركيبة ومنظومة المجتمع الهندوسي فـ "البرهمي" يتمتع بالامتيازات التالية:

- هو محل احترام جميع الآلهة بسبب نسبه. وتعد أحكامه حجة في العالم، والكتاب المقدس هو الذي يمنحه هذا الامتياز.
- كل ما في العالم هو ملك للبرهمي، إذ له الحق في كل ما هو موجود.
- لا يدنس بذنب ولو قتل العوالم الثلاثة[16]...

كما تقابل طبقة "الهندوسية" طبقة "بيشوايان" في الديانة الزرادشتية[17]. وتقابل كذلك طبقة "الأمراء" في اليزيدية[18].

ومن مظاهر الإمارة لدى اليزيدية، أن يضع "الأمير" سليل العدويين على رأسه طاقية خاصة به، هي بمثابة التاج يضعها أثناء الليل وأطراف النهار. معتقداً أن الدين فيها، إذ يقال أنها من مخلفات الشيخ، فلا يجرؤ أحد على

---

(14) جول (إسماعيل بيك)، المرجع السابق، ص 87؛ اليسوعي (الأب إغناطيوس)، "اليزيدية"، ص 579؛ الفرحاني (محمد)، المرجع السابق، ص 38 - 39؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 74 - 75؛
SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 118 ; GUEST (J. S), The Yezidis, P 33 ; E.I^2, art "YAZIDIYA", IBID, T VIII., P 1166 – 1167

(15) العزاوي (عباس)، المرجع السابق، ص 77؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج II، ص 148؛ الفيل (سهير محمد علي)، المرجع السابق، ص 47.

(16) شلبي (د. أحمد)، مقارنة الأديان، ج IV، (أديان الهند الكبرى)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1986، ص 62؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 155.

(17) إسماعيل (نوري)، المرجع السابق، ص 69.

(18) الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 155.

الإساءة إليه وهي على رأسه[19]. كما يعتقد الأمير أنه يمتلك كبش إبراهيم - كبش القربان - وعصا موسى وسبحة أحمد البدوي ومشط لحية الجنيد البغدادي وقضيب الشيخ عبد القادر الجيلاني وكأس سليمان الحكيم (وهو من النحاس) وحزام الشيخ أحمد الرفاعي، وكلها محفوظة في "خزانة الرحمان"[20]. بالإضافة إلى سناجق اليزيدية المقدسة. وهنا يتبين لنا كيف عمل الأمير على تأكيد وراثته للشيخ عدي بن مسافر وحتى للنبي سليمان وبقية صلحاء الإسلام من رفقاء إمام اليزيدية الأكبر عدي وغيرهم وهذا كله لإيجاد شرعية لسلطته على أتباعه. فهو الأجدر من الجميع بهذه المناصب لأنه حافظ على ذخائر الأنبياء والصلحاء. فـ"طاقية الشيخ عدي" التي تعتبر من رموز الحكم هي امتداد لصولجان "الزاوية" وقوة الإمارة وهيبة الحكم.

وبعد وفاة الأمير الطبيعية أو غير الطبيعية، تنتقل مخلفاته المنقولة وغير المنقولة إلى خليفته، بدون مشاركة أحد، إلا ما يتعلق بألبسة الأمير "المير" المتوفى فإنها تكون من نصيب "بابا شيخ"[21]. وأما المير الجديد فيجب أن يكون من خيرة "دار الزاوية العدوية" أو أن يكون الابن البكر للمير الراحل، لأنه سيكون الأحق بالجلوس على كرسي يزيد والحكم باسم الشيخ عدي الكبير، ولتمثيل طاووس ملك على الأرض فيرعى بذلك أمة "شيخ الحقيقة".

أما عن الرئاسة الدينية فهي تكون تحت سلطة وإشراف رجال الدين المقسمين إلى سبع طبقات[22]، لا يجوز لأي طبقة أن تتخطى مقامها. ولرجل الدين اليزيدي أهمية بالغة بين رعاياه فهو مثل "شيخ العقل" عند الدروز...

---

(19) FORBES (Rosita), op. cit., P 294 ؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 75؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 192؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 155. السحمراني (د. أسعد)، المرجع السابق، ص 94؛ مراد (د. سعيد)، المرجع السابق، ص 184.

(20) الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 192.

(21) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 76 - 77؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج II، ص 143؛ حسو (درويش)، المرجع السابق، ص 35 - 37؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 156.

(22) FORBES (Rosita), op. cit., P 295 ; GUEST (J. S), The Yezidis, P 33 - 34 ; E.I^2, art "YAZIDIYA", IBID, T. VIII, P 1167؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 110.

ولابد من الإشارة إلى أن لكل يزيدي أو يزيدية شيخاً وبيراً على الأقل. وأن لكل فئة من رجال الدين مقامها ومهامها الخاصة. ومنها:

ب- بابا الشيخ / الشيخ الأكبر

يكون على رأس المجموعة الدينية اليزيدية. فهو أساس الشرع والقدوة والحكم الفيصل في الفقه اليزيدي. يرتقي نسبه إلى الشيخ فخر الدين / (إله قمر) عدي الثاني الذي ناب عن أخيه الشيخ حسن في غيبته الصغرى لمدة ستة سنوات. فقد حصرت الأمور الدينية في ذريته من بعده. فهو "مرجع اليزيدية" ولهذا كان هذا المنصب وراثياً[23].

ويستمد "بابا الشيخ" سلطته من الأنبياء[24]. فهو لا يشرب الخمر لأنها محرمة عليه - خلافاً لبقية طبقات اليزيدية - وبحكم دوره الروحي والعقائدي فهو يحتفظ بسجادة الشيخ عدي الأكبر كوديعة ورمز لشرعيته في منصبه الذي يباشره. والظاهر أن تركة الشيخ عدي قد قسمت بين أصحاب السلطة الزمنية وكبار المشايخ اليزيديين، وتعرض هذه السجادة في أعياد اليزيدية[25] للتبرك بها ولتقديم النذور إليها.

و"بابا الشيخ" هو المشرف على زاوية الشيخ عدي، والقائم على كل عمليات الصيانة والترميم، وهو الذي يشرف على "الكواجك"، إذ يوجههم

---

(23) البغدادي (الأب أنستاس الكرملي). المرجع السابق. م II، ص 579؛ الفرحاني (محمد). المرجع السابق. ص 39 - 40؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 77؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 156 ؛ SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 116 ; DEPLANHOL (Xavier), Les minorités en Islam, P 182.

(24) البغدادي (الأب أنستاس الكرملي). المرجع السابق. م II-ص 548 ؛ GUEST (J. S), op. cit., P 33.

(25) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 77 ؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق، ص 195 ؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 156.

إلى أعمالهم التي يقومون بها[26]. وبحكم مرجعيته الدينية فهو الذي يبين لهم مواقيت الصوم والصلاة وإليه تشد الرحال للتزود بـ"العلم الرباني"[27].

أما ثيابه فهي بيضاء اللون يتمنطق بحزام (زنار) من قماش صوفي اسود اللون، طوله ما يقارب تسعة أمتار، يلفه حول خصريه، وفيه بعض الحلقات البرونزية المقدسة.

وتحتم الشريعة اليزيدية ألا يحلق "بابا الشيخ" لحيته وألا يستعمل "ملعقة أحد" أو "فنجان" أي شخص آخر أو أن يجلس على غير وسادته الخاصة أو سجادته[28]، وتراه أيام الزيارات يسير حافي القدمين سواء في فصل الصيف أو فصل الشتاء، صحواً أو ممطراً. وهذه الموانع والقيود التي فرضت على "بابا الشيخ" نتيجة لمكانته فهو وارث "علم آل مسافر" وتعد السجادة المقدسة رمزاً لتدينه ولقربه من الحياة الدينية والقداسة الاجتماعية / الدينية التي يقولون أنها معطاة له من الله ببركة "طاووس ملك"[29]. ولذلك لا يصلح لهذا المنصب إلا أحد أفراد أسرته "بيت العلم". من آل فخر الدين ذوي الأصول العربية لاختيار خليفته بعد وفاته[30]. وكان "بابا الشيخ يزور قرى اليزيدية مرتين في السنة وكان بيده إعلان الجهاد ولأجل ذلك فهو يمثل "حبر" اليزيدية الأعظم ومرجعها الأعلى[31]. وتحت إمرة وإشراف

---

[26] الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 40؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 153.

[27] البغدادي (الأب أنستاس الكرملي). المرجع السابق. م II. ص 548؛ اليسوعي (الأب إغناطيوس عبده خليفة). "اليزيدية". ص 579.

[28] عريضة اليزيدية: البند XII، FURLANI (G. F), "Gli interdetti dei Yezidi", P 168.

[29] اليسوعي (الأب إغناطيوس عبده خليفة). "اليزيدية". ص 579؛ الفرحاني (محمد). المرجع السابق. ص 39؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 77 ـ 78.

[30] جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 91؛ الفرحاني (محمد). المرجع السابق. ص 39 ـ 40؛ SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 116 - 117 ; DEPLANHOL (Xavier), Les minorités en Islam, P 182

[31] البغدادي (الأب أنستاس الكرملي). المرجع السابق. م II. ص 548؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 195؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 15؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 157.

"الشيخ الأكبر" هناك مجموعة من الشيوخ ـ أو المشايخ ـ تتلقى أوامره وتعمل على تنفيذها.

ج- الشيوخ (شيخ)

وهم سدنة مرقد الشيخ عدي يمثلون "الشيوخ الثانويون" بعد "بابا الشيخ"[32]. وتعتقد اليزيدية بأن أجداد الشيوخ الموجودين قد نزلوا من السماء شيوخاً وأئمة تميزهم فضائلهم عن بعضهم البعض. ويتمتع هؤلاء المشايخ كذلك بقدسية خاصة. فملابسهم ذات الشارة المميزة "شبكة كرشمة الجمل" تميزهم عن غيرهم. فعندما يشاهدهم اليزيديون يخرون سجداً لهم[33]. وتعتبر هذه المجموعة من التنظيم الديني لليزيدية المتواصل في بعض نظمه مع الطريقة العدوية. فهؤلاء الشيوخ هم تلاميذ الشيخ عدي الأكبر. وهم من أخذ عن ذرية "أبي البركات" (صخر II).

أما في التنظيم الاجتماعي / الطبقي اليزيدي، فمرتبة الشيوخ هي الدرجة الثانية بعد الحبر الأكبر (بابا الشيخ)، وتكون مسؤولة على تنظيم الحفلات الدينية في لالش[34]، ويكون لكل شيخ من الشيوخ (الأئمة) اختصاص في معالجة بعض الأوبئة ورد النكبات، فقد منحه الله هذا الاختصاص من السماء: "هبة ربانية" "فهم العارفون بالله عز وجل. فهذه العطية أو الهبة الفردية يختص بها كل واحد منهم عن الآخر. ويعود هذا إلى التقسيمات الأسرية لطبقة الشيوخ"[35]. فجميعهم يدّعون نسبهم بالشيخ حسن شمس

(32) FORBES (Rosita), op. cit., P 295

(33) "بغدادي (الأب أنستاس الكرملي). المرجع السابق. م II. ص 548. الحسني (عبد الرزاق). عبدة الشيطان. ص 51 ـ 52؛ الفيل (سهير محمد علي). المرجع السابق. ص 49.

(34) GUEST (J. S), The Yezidis, P 33

(35) MASSIGNON (Louis), Essai sur les origines du Lexique technique de la mystique musulmane, Paris, 1954, P 274 ; DEMEERSEMAN (André), op. cit., P 41

الدين، وفي نفس الوقت يدعون أنهم من نسل يزيد بن معاوية. أي أن جميعهم يعود إلى النسب الأموي، ومع ذلك فهم يقولون بأن اليزيدية ليست من جنس البشر، بل هي من جنس خاص. ويرجع الشيوخ أصول أسرهم إلى ثلاثة فروع: الأدانية (العدنانية)، والشمسانية (أبناء عبد شمس)، والقاتانية (القحطانية)[36]. ويعتقد الشيوخ اليزيديون بأنهم من جنس يختلف عن ذلك الذي تنتمي إليه عامة اليزيدية، حيث أن بشرتهم داكنة وأنهم ذوو مظهر "سام" عند مقارنتهم بعامة اليزيدية[37]. وإذا عدنا إلى بطون طبقة المشايخ لمعرفة أصل هذه التسميات (عدناني، قحطاني، شمساني) وجدنا أن اليزيدية كانت تعتمد التقسيم القبلي في شبه الجزيرة العربية بين عرب الشمال وعرب الجنوب، فقد أكد الباحث اليزيدي درويش حسو أن هذه الأسماء أصلها عربي وبدأ اليزيديون في استعمالها في أيام الشيخ عدي I [38]، وإذا عدنا أيضا إلى أصل أسرة الشيخ عدي بن مسافر، رأينا جميع المؤرخين يجمعون على أصله الأموي، فهو من فرع "عبد شمس"[39]، وعبد شمس هذا بن عبد مناف، ويرجع نسب بني عبد شمس وعبد مناف إلى عدنان لذلك نقول عن الرسول (محمد) "النبي العدناني"[40]. فالشمساني والعدناني كلاهما يعود إلى عبد مناف ومن ثم إلى إسماعيل بن إبراهيم[41].

وقد ذهب البعض إلى أن مرد الشمساني هو كهنة الشمسيين المجاورين لمناطق اليزيدية[42]. وقد يكون لأجل ذلك أن تطلق اليزيدية على بطن من

---

(36) الدملوجي (صديق)، المرجع السابق، ص 14 ـ 24؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 196؛ الأحمد (سامي سعيد)، اليزيدية، ج II، ص 154 ـ 155؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 111؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 158

(37) DROWER (E.S), Peacock Angel, P 15

(38) المرجع السابق، ص 43.

(39) المقريزي، كتاب النزاع والتخاصم، ص 18.

(40) ابن هشام، المصدر السابق، ج I، ص 1 ـ 6.

(41) ابن قتيبة، المصدر السابق، ص 191.

(42) البيروني، الآثار الباقية، ص 318.

بطون مشايخها "الشمساني"[43]. أما عن انحدار نسل شيوخ اليزيدية من البطن القحطاني (قاتاني) فهو أمر مثير للغرابة. فكيف وضع نسابة اليزيدية هذا النسب؟ وكيف ربطوا القحطاني بالعدناني والشمساني والحال أنهم جميعا من أصل إلههم "يزيد"؟ فمن هنا يكون استنتاج الباحث درويش حسو. بأنها أسماء عربية تعود إلى أيام استقرار الشيخ عدي الأكبر ببلاد الهكارية. أقرب إلى الصواب. وإذا بحثنا في قبائل عرب الجنوب "القحطانيين" والمناطق التي استقرت فيها من أرض الجزيرة وأعالي الفرات. نرى أن هناك جماعات عربية استوطنت المنطقة السهلية من الجزيرة الفراتية. التي يسميها السريان "بيت عربايا" وحدودها هي مواطن اليزيدية. وأما عن الجماعات المهاجرة إلى هذه المناطق فاغلبها من "ربيعة" وقد حدثت هذه الهجرات قبل الإسلام[44]. ومن خلال روايات اليزيدية التي اختلطت فيها الحقائق التاريخية وتضاربت معلوماتها. لم نجد أي صلة بين قحطانية عرب الجنوب واليزيديين الذين يعود نسب أمرائهم وكبار مشايخهم إلى عرب الشمال، وبذلك تتأكد لدينا رواية الباحث درويش حسو السابقة.

ولقد اختصت كل أسرة من المشايخ باختصاص معين. فسلالة الشيخ "مند / منت" كلفت بالعجائب والخوارق في رصد الحيات والعقارب. أي رقيها. وبعض هؤلاء الشيوخ يلقب بـ"الشيخ المهدي"، ويدّعي أفراد هذه الأسرة أن المهدي / اليزيدي منهم[45]، ولسلالة الشيخ "مند" قوة خارقة. فإذا حدث وباء أو طاعون أو مرض وبائي جاء "الشيخ" إلى القرية ورسم دائرة حولها بـ"القدان" كحرز منيع لها، وبهذا فهو قد افتداهم من هذه الأوبئة والكوارث المدمرة، وواضح أن هذه الخوارق هي من تأثيرات الصوفية، كما بقيت أعمال أسلافهم من العدويين حية في الأذهان وحاضرة في إبانها، ومن ذلك ما يروى

---

(43) الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج II، ص 58 ـ 59.

(44) الطبري، المصدر السابق، ج III، ص 376؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 347؛ العايب (د. سلوى بالحاج صالح). تغلب بين المسيحية والإسلام. بحث مرقون شهادة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1988، ص 48، 56.

(45) التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 112.

عن الشيخ عدي الأكبر أنه كان لا يخرج من زاويته إلا وبيده عكازته. وهي من خشب اليسر، فيخط بها "دارة" وهي المعروفة بـ"الخطة" يراقب فيها، وكان يجلس فيها من أراد من أكابر أصحابه ليسمع كلام صديقه وزميله الشيخ عبد القادر في بغداد[46]، وبهذه الخطة أو الدائرة السحرية التي سجلت ككرامة من كرامات الشيخ عدي الأكبر، تولد بذلك لليزيدية خطة كما لعدي، وأصبح لهم قَسَما بالخطة "... أخرج من خطة يزيد وأدخل في خطة العجم، إن كنت فعلت كذا وكذا" ومن صيغة اليمين نفهم مدى ارتباط اليزيديين بالخطة، فكل يزيدي ترسم أمامه خطة لا يجرأ على خرقها بيده. ولو أدت إلى هلاكه[47].

وكان لكل شيخ مريدون محسنون إليه، فكان وضعه المادي يتحسن كلما كان وضع مريديه حسنا، لذلك يعيش جميع هؤلاء الشيوخ على عطايا ونذور المريدين[48]. وأما أسرة الشيخ حسن بن عدي II الذي أصبح هو الشيخ الصوفي الحسن البصري (ت 110 هـ) في المعتقد اليزيدي ذاتا واحدة بالتناسخ، فمنها ينحدر رئيس الأئمة "بيش إمام" وهي الأسرة الوحيدة التي يحق لها تعلم القراءة والكتابة، وتقول أن يزيد بن معاوية (إلههم يزيد) لما هبط إلى الأرض وحارب أعداء ملة اليزيدية (الحسين بن علي)، وانتصر عليهم واستقر ثلاثمائة سنة في الشام، قد جمع كل الكتب والمدونات وأحرقها وحصر العلم والتعليم في ذرية الشيخ حسن "شمس الدين" من آل مسافر "دار الزاوية"، وقد اختصت أسرة الشيخ حسن إضافة إلى "العلم الشريف" بحفظ كتب العقيدة والإمامة في ليلة القدر وبإجراء مراسيم النكاح[49].

---

(46) الشطنوفي، المصدر السابق. ص 17؛ العزاوي (عباس)، المرجع السابق. ص 49؛ DEMEERSEMAN (André), op. cit., P 110 - 111

(47) أوليا (جلبي)، أوليا جلبي سياحتنا مه سي، استانبول، 1317 هـ. ج IV، ص 69؛ البغدادي (الأب أنستاس الكرملي). المرجع السابق. م II، ص 549؛ العزاوي (عباس)، المرجع السابق. ص 50 .

(48) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 43 ـ 44.

(49) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص38 ـ 39؛ SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 116، DEPLANHOL (Xavier), Les minorités en Islam, P 182

وبحكم النظام التراتبي. فإن عوائل الشيخ فخر الدين وشمس الدين وسجادين (سراج الدين) وناصر الدين تكون في رتبة أقل من أسرة حسن بن عدي II وتعد قوة واحدة وهامة في التاريخ اليزيدي. فحسب أقوال اليزيدية فإنها هاجرت من "تبريز" إلى شمال العراق، ولأن أفرادها قدموا من الشرق فقد أطلق عليهم "روج هلات" وتعني حرفياً "الشمانيين". ويذكر تاريخ اليزيدية الخاص بالملائكة أن أساس الشمسانية تمثل في عوائل هؤلاء الإخوة المشار إليهم آنفاً. والتي بيدها منصبيا"الأمير" (القيادة الزمنية) و"بابا الشيخ" أو "اختيارى مركاهى" (القيادة الدينية). ويمثل "الاختيارى مركاهى" المنظر الروحي للفكر اليزيدي. فهو تقريباً ممثل منصب داعي الدعاة عند الإسماعيلية (الذي كان يرأس الحزب الفاطمي ويسير جيشاً هائلاً من الدعاة الموزعين في جميع أنحاء العالم الإسلامي)[50].

وأما الأدانية / العدنانية عائلة الشيخ حسن (شيخسن). فهي من العوائل المختصة بالمشايخ وتنتشر في القسم السوري من الجزيرة الفراتية. وتتولى مسائل الإرشاد الديني، وفي يدها منصب "البيش إمام" وهو يعادل مقام "مفتي الديار" عند الطوائف الإسلامية السنية أو بمثابة "البطريارك" عند الطوائف المسيحية. وتخضع سلطته الروحية لإشراف أمير الشيخان الذي يعينه في منصبه[51].

أما القاتانية / القحطانية وحسب نسابة اليزيدية فهي عائلة الشيخ بكري (الشيخ بكر) وضع لها نسب يربطها بالنبي زرادشت وهي من أصل خراساني[52].

وهذه السلالات الثلاث بحكم أنها المختصة في المسائل الدينية، وبحكم قرابتها من الشيخ عدي الأكبر، فقد تآخت دينياً فيما بينها، ومن هنا حرم

---

[50] لويس (برنارد)، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، ترجمة د. خليل أحمد خليل. دار الحداثة، بيروت / لبنان، 1993، ص 93 ـ 95؛ زكار (سهيل) وبيطار (أمينة)، تاريخ الدولة العربية في المشرق، ص 85 ـ 86.

[51] حسو (درويش)، المرجع السابق، ص 45 ـ 46؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 159.

[52] حسو (درويش)، المرجع السابق، ص 43 ـ 44؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 158.

التزاوج بين أفراد هذه الأسر الثلاث. وكذلك لا يسمح لهم بالزواج من بقية طبقات اليزيدية أو غيرها. وكل بطن منها بإمكانها الزواج فيما بينها (أي في نطاق الأسرة الواحدة وتفرعاتها لا غير)[53]. وتعتمد اليزيدية هذه الدغمائية للحفاظ على نقاء أصنافها "ملة طاووس ملك". فكل شيخ يزيدي أو حتى يزيدي (مريد) يعيش ويموت في الصنف الاجتماعي الذي ولد فيه. وقيل أن النساء اليزيديات يرثن المناصب الدينية[54]. وقد دحض أحد الباحثين ذلك[55].

إذن فجماعات الشيوخ المنحدرة من العائلة العدوية "دار الزاوية" فيها من يدعي أن نسبه لزرادشت لا الشيخ عدي كما بينا. ومع ذلك أبقوا على التقاليد "الطرقية" التي كانت معتمدة عند العدويين - قبل أن يفسحوا المجال لليزيديين - وهي نفسها التي تسير بها عوائل هؤلاء الشيوخ. وما يثير الغرابة حقا هو كثرة العائلات التي تدعي نسبها لزاوية العدوية. فهي تتجاوز الثلاثمائة أسرة أغلب أفرادها من "الشيوخ"[56].

د- البيير / البير : « Pirs »

وتعني في الفارسية والكردية شيخ الطريقة[57]. وجمعها "بيرة" أو "بيورة". وهم رجال دين بمرتبة أقل من مرتبة الشيوخ. ويقع على عاتقهم

(53) SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 116 ; E.I², art "YAZIDIYA", IBID, T VIII., P 1167 ؛ الفرحاني (محمد). المرجع السابق. ص 39، الحسني (عبد الرزاق). اليزيديون. ص 78 ؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 196، الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 156، الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 159.

(54) E.I², art "YAZIDIYA", IBID, T VIII., P 1167

(55) SPRINGETT (Bernard H), Secret sects of Syria and Lebanon, London, 1922, P 263 . الأحمد (سامي سعيد). اليزيدية. ج II. ص 156.

(56) GUEST (J. S), The Yezidis, P 33

(57) العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 178. الفرحاني (محمد). المرجع السابق. ص 40. الأحمد (سامي سعيد). اليزيدية. ج II. ص 157، اليوسف (إبراهيم). المرجع السابق. ص 31. التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 113. الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 159 ، GUEST (J. S), op. cit., P 34

إرشاد عموم اليزيديين إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويقومون أيضا بواجبات دينية كتنظيم الاحتفالات الدينية بلالش وغيرها. ولا يحق لهم الزواج من أي طبقة غير تلك التي ينتمون إليها. ولهم انقساماتهم الخاصة بهم أيضا[58]. ولو أنهم يصلون نسبهم ببعض الرجال من ذوي القيمة الدينية أو العلمية في الإسلام. وبمناصرة أفراد الأسرة العدوية الذين عاصروهم. إلا أنهم يقومون بوظائف أقل أهمية من تلك التي يقوم بها الشيوخ[59]. ويرجع نسب أحد أسرهم الحالية إلى الشيخ قضيب البان (وهو أبو عبد الله الحسين بن عيسى الذي يصل نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب. ت 570 هـ / 1174 م) وكان من معاصري الشيخ عدي بن مسافر. وله صلة به وبالشيخ عبد القادر الكيلاني (الجيلاني) في بغداد[60]. وعلى عكس طبقة الشيوخ ذات الأصل العربي[61] فإن طبقة "البيرة" أغلبها من الأصل الكردي. لأنهم تسلسلوا عن أقارب الشيخ عدي بن مسافر. وينحدر البير من تلامذة الشيخ عدي الأكراد. خاصة وأن أغلب عائلات البيرة كانت تحمل أسماء كردية. بينما يحمل الشيوخ أسماء عربية[62]. وهذا لا يعني عدم وجود أسر من أصل عربي تحمل رتب "البير". فنرى أسرة الشيخ قضيب البان كما أسلفنا.

أما عن أقسام "البيرة" فنجد منهم من يصل نسبه بالشيخ "محمد رشان" الذي كان من معاصري الشيخ عدي I. ويقع مزاره في السفح الشرقي من جبل "مقلوب". والأسرة التي يرجع نسبها إليه تقوم برعايته. ولا يحق لأحد - بما فيهم "المير" - التدخل في شؤونها. ونجد كذلك أسرة "بير هاجالي" (قد يكون حاج علي) في "باعذرى". و"بير جروانة" في "عين

---

(58) SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 116 ; AL-JADA'AN (Khalouf Ahmad), op. cit., P 86

(59) SIOUFFI (N), "Notices sur le Cheikh Adi et la secte des Yezidis", J. A, séries 8, Vol. V, 1885, P 90

(60) ويذكر ابن الفوطي في كتابه تلخيص مجمع الآداب على معجم الأسماء في معجم الألقاب. ج IV. ص 306. "أن قضيب البان هو أبو علي عمر بن محمد الكردي الموصلي الزاهد". جواد (د. مصطفى). "نقد كتاب اليزيدية لصديق الدملوجي". ص 358.

(61) DEPLANHOL (Xavier), Les minorités en Islam, P 182

(62) الفرحاني (محمد). المرجع السابق. ص 40

سفني". و"بير حاج محمد" الذي يقال أنه أخ لجروانة مات دون أن يترك عقبا لذلك أصبح مريدوه من أفراد أسرة الشيخ حسن[63]. ولكل "بير" شيخ يقدم له نذوره، ولكل مريد يزيدي شيخ و"بير" في نفس الوقت[64]. وللبيرة عموما سلطة واسعة وتأثير كبير في الحياة اليزيدية العامة، فبالإضافة إلى معالجة المرضى بطرقهم الخاصة، فإنهم يقومون أحيانا بتغسيل الموتى[65]. كما يقوم "البيرة" بإطعام ضيوف "الشيخ عدي" في موسم الحج والأعياد على حسابهم الخاص[66].

أما ملابسهم فهي سوداء اللون وأما العمامة فهي بيضاء مع علامة سوداء ملفوف عليها في بعض الأحيان قطعة حمراء[67]. مع العلم أن منصب "البير" يورث من الأب إلى ابنه البكر، ويتحصل على ثلث الامتيازات المالية التي يتمتع بها "الشيخ"[68]. وأما عن أبرز شخصية في طبقة البيرة فهو شخص حارس المزار بلالش، ويطلقون عليه "بابا جاويش"[69]، حيث يبقى طوال حياته عازباً ناسكاً، يشارك بقية البيرة في العبادة والتأمل لا غير.

---

(63) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 79؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 197؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج II، ص 157 ـ 158.

(64) البغدادي (الأب أنستاس الكرملي)، المرجع السابق، م II، ص 549؛ SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 117

(65) MENANI (Joachim), Les Yezidis : Episodes de l'histoire des adorateurs du diable, (Annales du Musée Guimet, Bibliothèque de vulgarisation), Vol. V, Paris, 1892, P 61 ؛ الدملوجي (صديق)، المرجع السابق، ص 44 ـ 46؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج II، ص 158.

(66) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 79؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 113؛ GUEST (J. S), op. cit., P 34

(67) E.I[2], art "YAZIDIYA", IBID, T. VIII, P 1167 ; DEPLANHOL (Xavier), Les minorités en Islam, P 182

(68) SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 117

(69) GUEST (J. S), op. cit, P 34؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 113 ـ 114.

٥- الفقراء

ويطلق عليهم اسم "القره باش" (أي الرأس الأسود). وذلك لأنهم يضعون عمامة سوداء على رؤوسهم. وهم يأتون في الدرجة الثالثة من الطبقة الروحانية (بعد الشيوخ والبيرة). وتطلق لفظة "فقير" على الزاهد المتعبد الذي يترك الدنيا ومباهجها في سبيل كسب الدار الآخرة ونعيمها[70]. والفقير في الهند هو ذلك الزاهد المتقشف (مسلم أو هندوسي) الذي يحترمه الناس جميعا ويكون كلامه مسموعا لدى كل الفئات عادة.

وطبقة الفقراء في اليزيدية هي بمثل طبقة فقراء الهند أو كرهبان النصارى. إذ يذهب البعض إلى أن عديد العادات التي يمارسها فقراء اليزيدية مردها هندوسي، وان اللباس الخشن (الخرقة) قد استعمل من قبل متصوفة الإسلام وكذلك فقراء اليزيدية. نجده لدى الهندوس في الهند[71]. ويذهب البعض الآخر إلى أن "الخرقة" قد أخذت عن "الاسكيم" (رداء بعض الرهبان وعلى الأخص المقتدين منهم بالزاهد المسيحي "أنطونيوس" 251 ـ 356 م)[72]. وقد تأثر المسلمون في بلاد الشام والعراق وحتى في مصر بالرهبان النصارى[73]. كما ذكر الدملوجي أن "فقراء" سنجار كانوا يبرزون التأثيرات المسيحية في الكثير من معالم حياتهم، ولذا فقد تكون أصول فقراء اليزيدية في سنجار من الرهبان والنصارى الذين اعتنقوا المذهب اليزيدي، ويعود ذلك إلى توافق عديد المناسبات بين فقراء اليزيدية ورهبان النصارى النساطرة ـ وحتى اليعاقبة في فترة لاحقة ـ فقد كانوا يحرقون البخور في الطقوس الكنيسية إبان اجتماعاتهم، وفي نفس الوقت يحرق "فقراء اليزيدية" البخور عند زياراتهم لمرقد الشيخ عدي، كما أن "فقراء سنجار" كانوا يعرفون إلى وقت قريب

---

(70) التادفي. المصدر السابق. ص 86 ـ 88.

(71) غني (قاسم). تاريخ التصوف في الإسلام. ص 221. الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق، ج II، ص 161.

(72) الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق، ج II. ص 161 ـ 162.

(73) غني (د. قاسم). المرجع السابق، ص 95.

بـ"رهبان ديري" وكان فقراء اليزيدية لا يختتنون في سن مبكرة حتى أن أحد الفقراء اختتن وله من العمر عشرون سنة[74].

وأما شعارهم في اليزيدية فخرقة سوداء. وهي خرقة التصوف التي كان الشيخ عدي يقرها لباساً لمن يراه أهلا لها. ولذلك بقيت "الخرقة" تتوارث كشعار للفقراء. وتنسج عادة من غزل الصوف وتصبغ باللون الأسود[75]. وتكم بحلقات من النحاس الأصفر تكون على صدر الفقير. ويشد فوقها حزام أحمر من صوف يسمونه "محك" فيه حلقة صفراء يسمونها "خادم"[76]. وهذه الخرقة مقدسة لا تمس بسوء. فهي من ثوابت اعتقادهم. ومن يقسم بها حانثا يناله إثم عظيم. وإذا وجد فيها قمل فحرام قتله. وإذا بليت تبقى معلقة إلى أن تدفن مع صاحبها[77]. ولهذا يعتبر مقام "الفقير" امتدادا للمفهوم الصوفي للفقر بمعناه الروحي. لأن "الغنى" هو المجاهدة والتزهد للقرب أكثر من الله. فكل مريد أخذ علوم الدين وحذق الطريقة من شيخه أو بيره يصبح فقيرا[78]. ويجب على "الفقير" أن تكون شفقته على فقره كشفقة الغني على غناه. فكما أن الغني يفعل كل شيء ويجتهد حتى لا يزول غناه. فعلى الفقير أن يفعل مثل ذلك حتى لا يزول فقره[79]. ومن خلال هذه المبادئ عن الفقر والتزام الفقير بالنظام القاسي: صوم "الأربعانيتين" (في الصيف والشتاء). عدم الإسراف في الأكل والشرب أو في اتخاذ الفراش

---

(74) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 47 ـ 51.

(75) FORBES (Rosita), op. cit., P 295؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 198.

(76) SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 118 ; E.I^2, art "YAZIDIYA", IBID, T. VIII, P 1167 ; DEPLANHOL (Xavier), Les minorités en Islam, P 182؛ الفرحاني (محمد). المرجع السابق. ص 41؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 198؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 160.

(77) SIOUFFI, op. cit., P 90 ; AL-JADAAN, op. cit., P 89. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 1698.

(78) SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 117

(79) الجيلاني (عبد القادر). المصدر السابق. ج II. ص 172؛ فؤاد (د. فاطمة). المرجع السابق. ص 135

الوثير[80]. ونرى أن الفقير عليه أن يكون ملتزما بآداب تهذيبه للروح بدوام السماع إلى "الحق" والاستغناء به عن كل شيء سواه[81]. وعلى الفقير اليزيدي ـ بعد التزامه بهذه الشروط الأخلاقية "الطرقية" ـ أن يضع حبلا من الصوف الأسود حول رقبته يسمى "المهاك" وهو بمثابة الرادع الذي يذكره بالكف عن أي ذنوب يرتكبها[82].

ويقوم الفقراء بأعمال متعددة منها الاعتناء بالمراقد والأضرحة اليزيدية المقدسة. ففي مرقد الشيخ "عادي" يحملون أنوار "زيت الشيرج". ويقطعون الخشب للمطبخ. ويقومون بأعمال الخدمة. وعليهم كذلك تعليم أبنائهم وبناتهم دق الدفوف والرقص[83]. وليس شرطاً أن يكون ابن "الفقير" مثل أبيه[84].

وإضافة إلى "طبقة الفقراء" (من الرجال) نجد طبقة "الفقرايا". وهي طبقة خاصة من النساء اليزيديات انعزلن عن العالم مثلهن في ذلك مثل الفقراء من رجال اليزيديين. ويأتين عذارى وأرامل ـ ويتولين الاعتناء بمرقد الشيخ عدي والقيام بالأعمال اليدوية مع "الفقراء" من طبخ وغسل وتنظيف وجمع الحطب ونقل الماء وحرق البخور في المرقد والمزارات الأخرى القريبة[85]. وكن يلبسن الحبل المقدس في أعناقهن. وتسمى القائمة عليهن بـ "الكابانا / Kabana". ويذكر أن "الكابانا" هي التي تصنع "البراتا" للقوالين قصد بيعها لعموم اليزيديين في مناسبات الحج أو في الطواف بالسناجق[86].

---

(80) الفرحاني (محمد). المرجع السابق. ص 41؛ DEMEERSMAN (André), op. cit., P 31 ـ 35.

(81) فؤاد (د. فاطمة). المرجع السابق. ص 135 ـ 136.

(82) SIOUFFI, op. cit., P 91

(83) جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 94. اليسوعي (الأب اغناطيوس عبده خليفة). المرجع السابق. م II. ص 579.

(84) DROWER (E. S), op. cit., P 179

(85) MENANT, op. cit., P 63

(86) SIOUFFI, op.cit., P 96 - 97؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 163.

ومن هنا تتضح لنا التأثيرات المختلفة على "طبقة الفقراء"، فمنها ماهو هندوسي وما هو مجوسي. أضف إلى ذلك تأثيرات الجوار المسيحي. كما نجد للتأثيرات الإسلامية صدى كبيراً وذلك يعود إلى الأصول الإسلامية لهذه النحلة الصوفية.

و- القوالون

تطلق صفة "القوال" عند اليزيدية على "الحادي" وهو مرتل الأناشيد الدينية عندهم، ويمثل مجموع الأناشيد التراث الشعبي اليزيدي. كما يتلو القوال المدائح الروحية "الذكر" عند دفن الأموات وفي أوقات زيارة القبور. وتعود نشأته إلى التكوين الأساسي للطرق الصوفية[87] حيث كان يتلو التواشيح الدينية والمدائح في جلسات السماع والذكر بدل سماع النغمات، لأن الصوفية يجمعون على ضرورة تخلي العبد عن الصفات المذمومة والتحلي بالأوصاف والصفات الحميدة التي تقربه من الله[88]، فالقوالون هم أولئك المنشدون للقصائد والتواشيح الصوفية أي رجال الدين ذوي شأن صغير "شاويش" (بالكردية جاويش)[89] (أي الذين يقومون بالرقص الصوفي والشعوذة). وقد كان للشيخ عدي عدة قوالين يرتلون المدائح في زاويتـه[90].

---

(87) FORBES (Rosita), op. cit., P 295

(88) فؤاد (د. فاطمة)، المرجع السابق، ص 157 ; E.I², art "YAZIDIYA", IBID, T. VIII, P 1167

(89) SPRINGETT (Bernard H.), op. cit., P 263 ; E.I², art "YAZIDIYA", IBID, T. VIII, P 1167 ; DEPLANHOL (Xavier), Les minorités en Islam, P 182 و"الجاويش" أو الشاويش مرتبة من مراتب الطرق الصوفية عند العدويين وغيرهم، التادفي، المصدر السابق، ص 16 ; الشطنوفي، المصدر السابق، ص 146.

(90) التادفي، المصدر السابق، ص 88؛ انظر الصور XXVIII – XXIX - XX.

ويذهب القوالون إلى أنهم من أصل عربي جاؤوا من بلاد الشام إلى بلاد الهكارية مع الشيخ عدي ولازموه. فمنحهم حق إنشاء القصائد والمدائح الدينية باللغتين العربية والكردية، وخصهم بحفظ أسرار الشريعة والحوادث التاريخية. وشرّفهم بمصاحبة سناجق "طاووس ملك" في التجوال والطواف بين القرى اليزيدية لجمع الصدقات والنذور وهم أيضاً القائمون على عمليات تنظيف "الحرم اليزيدي" بلالش خاصة بعد المواسم والأعياد الكبرى[91].

ويعلم القوالون أولادهم الرقص الديني (الصوفي). ويدربونهم على ضرب الدفوف والعزف بالشبابات. ويلقنونهم القصائد والأناشيد لينشؤوا على نفس تنشئة آبائهم ولذلك هم يمرنونهم عليها منذ الصغر. وهم ما عدا ذلك يقومون بخدمة الدفوف والشبابات وتحضير المدائح والقصائد[92].

ويطلق بعض اليزيدية على القوالين كلمة "طازية" أو "تازي" (السلوقية). فهم يحبون هذه التسمية ويقولون أن الشيخ عدي قد أسماهم بها[93]. بينما نجد أن الكلمة الكردية أو الفارسية "تازي / طازي" (ومعناها عربي) هي من أصل "طائي" كما قالوا طرازي" نسبة إلى "الري" فكذلك أصل كلمة "طازي / تازي"[94].

---

(91) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق. ص 81؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 198.

(92) FORBES (Rosita), op. cit., P 295 ; GUEST (J. S), op. cit., P 34 ; E.I², art "YAZIDIYA", IBID, T. VIII, P 1167 ; DEPLANHOL (Xavier), Les minorités en Islam, P 182؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 180؛ اليسوعي (الأب إغناطيوس). المرجع السابق، م II. ص 579؛ الفرحاني (محمد). المرجع السابق. ص 41؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق، ص 81؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 199؛ الأحمد (سامي سعيد)؛ المرجع السابق. ج II. ص 164 ـ 165.

(93) الدملوجي (صديق)، المرجع السابق، ص 52 ـ 53؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق، ج II، ص 164.

(94) الدملوجي (صديق)، المرجع السابق. ص 52؛ الديوه جي (سعيد)؛ المرجع السابق. ص 199.

أما عن مواطن استقرار "قوالة" اليزيدية، فإنهم يسكنون غالباً في قريتي[95] بعشيقة[96] وبحزاني[97]. وأما عن الخصال التي يتميز بها القوال فهي: أن يكون حسن التعبير، يحث اليزيدية على تقديم المال في مواسم الطواف بسناجق "طاووس ملك". ولو أدى الأمر أن يبذل اليزيدي قوت يومه، حتى ينال بركة ورضا "طاووس ملك". وليس للقوالين - كغيرهم من طبقات اليزيدية - حق الزواج من غير طبقتهم. ومما يعظ به القوال اليزيديين عن ماثورات للشيخ عدي و"طاووس ملك" أنهما قالا:

"المال مالي، والبشر عيالي، أنا أفقر، أنا أغنى، أنا ما أحب الذين يدعونني باطنا والذي ينكرني قدام الناس، أنا أنكره في السماء، وأنا أحب الذي يحبني من كل قلبه، يقطع من لحمه ويكرمني، وأنا أرضى عليه، وأتجاوز عن سيئاته، وأقبل منه عوض الصوم والصلوات، ولا يشك فيّ، ويدعوني دائماً، فأنا حاضر عنده وعند الضيقة، وأن لا يخطئ ولا يزني ولا يكفر، ولا يعمل مثل باقي الطوائف الخارجة، ولا يحسد وفي يوم القيامة أسامحه، وأرجو من الرب الحق أن يغفر له ويدخله الجنة"[98]. نستشف في هذه المأثورة اليزيدية عديد التأثيرات الإسلامية نراها ممزوجة بشكل واضح بشطحات يزيدية "عوض الصوم والصلوات" أو "باقي الطوائف الخارجة...". وبالإضافة إلى الأعمال السابقة

---

(95) SPRINGETI (Bernard H.), op. cit., P 263 ; GUEST (J. S), op.cit., P 34

(96) بعشيقة: بليدة تقع على بعد 16 مير شرقي الموصل وهي مركز ناحية "باعشيقا" التابعة لقضاء الموصل في لواء الموصل، سكانها خليط من المسلمين والنصارى واليزيدية، ولغتهم جميعاً العربية. وباعشيقا، واسمها الحالي "بعشيقة" أو "بحشيقة" لفظة سريانية "بيت عشيقا" بمعنى بيت الظالم أو الفاسد أو المتشامخ، أو لعلها من "بيت شحيقي" أي بيت المنكوبين؛ غنيمة (يوسف)، "الألفاظ الأرامية في اللغة العامية العراقية"، مجلة لغة العرب، العدد IV، سنة 1926، ص 587 - 588، عواد (كوركيس)، "تحقيقات بلدانية"، سومر، ج I وII من المجلد XVII، 1961، ص 52.

(97) بحزاني: قرية تقوم على السفح الجنوبي لجبل باعشيقا واسمها أرامي مؤلف من لفظتين "بيت - حزياني" أي محل الرؤية والمشهد. فرنسيس (بشير) وعواد (كوركيس)، المرجع السابق، ص 253.

(98) الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 199؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 163.

فقوالة اليزيدية يقومون بالسفارة والنيابة عن المير. فتجوالهم وطوافهم بالسناجق لا يكون إلا باسمه وتحت إشرافه هو ولا أحد غيره.

ز- الكواجك « Les Kotchaks »

ينتشر الكواجك في قضاء شيخان وقضاء سنجار انتشاراً كبيرا[99]. والكواجك كلمة تعني المسكين أو الحقير[100]. وقد تكون قداسة هذه الطبقة مقابلة أو موازية لقداسة طبقات الشيوخ والبيرة والفقراء. إذ لهم طاقات غير طبيعية في الإتيان بالخوارق و(الكرامات)[101] في حالات الرقص الصوفي. فهم يقومون بأعمال سحرية باهرة تدخل في طقوس "الحضرة" اليزيدية[102]. وطبقة الكواجك هذه تحتل مكانة هامة عند اليزيدية لأنهم يعتبرونهم بمنزلة الأنبياء بسبب وظائفهم الدينية. ولأن لهم القدرة على معرفة الغيب. فإذا أراد كواجك أن يتنبأ، التحف بعباءة واضطجع على الأرض ثم دمدم وترنم. وبعد برهة يروي للحضور ما تراءى له من "مكاشفات" في رؤياه النبوية. كما يقوم الكواجك بتجهيز الاموات ودفنهم. ويكشف لأهل الميت مآله خيراً كان أو شرا (في أي مرتبة تناسخية كان وضع ومصير الميت) ويقوم بالاتصال بعالم "الغيب والشهادة" لمعرفة واقع الناس ومستقبلهم[103]، وكان البعض من

---

(99) البناء (هاشم). اليزيديون. طبع في بغداد. 1964. ص 93.

(100) العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 178

(101) SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 118

(102) FORBES (Rosita), op. cit., P 295 ; DEPLANHOL (Xavier), Les minorités en Islam, P 182

(103) البغدادي (الأب أنستاس الكرملي). المرجع السابق، م II. ص 547؛ العزاوي (عباس)، المرجع السابق. ص 179؛ اليسوعي (الأب أغناطيوس عبده خليفة). "اليزيدية". ص 579؛ الفرحاني (محمد). المرجع السابق. ص 41 ـ 42؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 83؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 116؛ الفيل (د. سهير محمد علي). المرجع السابق. ص 52؛ SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 118

الكواجك يقوم بتطبيب المرضى عن طريق الأدعية الدينية أو بتربة الشيخ عدي "البراتا"[104].

كما كان يقع على عاتقهم الاهتمام بتنظيف مرقد الشيخ عدي مع الفقراء بعد موسم الحج اليزيدي والأعياد، وبصحبة أولئك الفقراء كانوا كذلك يحملون الحطب إلى الزاوية لخدمة ضيوف "طاووس ملك" ولاستعمالها في الطبخ. ومن وظائفهم أيضاً الاهتمام بالزراعة في بعض الأحيان[105]. ولذلك لا نستغرب إذا علمنا أن اليزيدية تضعهم في مرتبة الأنبياء، ولهذا السبب شبه الكواجك بـ "المهدي" « Messie » في إرشاد اليزيدية وشد أزرهم أيام الشدائد. وبفضلهم يطلب الغيث من السماء وهم يعتقدون برجعة الشيخ عدي الأكبر[106].

وقد أخبر المشرع اليزيدي بضرورة احترام الكواجك وتصديقهم[107]. لذلك يرى اليزيديون "أن الذي يقوله الكواجك في أكثر الأحوال حقيقة وواقع"[108]. وكان لطبقة الكواجك ملابس تميزهم عن بقية اليزيديين. فهم يلبسون لباساً أبيض ونطاقاً أسود أو احمر. وبالحلقات ذات القيمة الدينية المعلقة بهذه الأحزمة كانوا يرمزون إلى كشوفاتهم عن المغيبات[109].

وعلى كل من تصبو نفسه إلى أن يكون "كواجك" القيام بتمارين روحية شاقة. فقد وجب عليه أن يدخل "منبر الأربعين شيخاً" وأن يصوم تكراراً أربعين مرة مدة أربعين يوماً. ثم يوقد أربعين سراجاً مقدساً. وبعد إنهاء هذه التمارين الشاقة وجب عليه أن يقصد "البابا شيخ" ليباركه وليمنحه التأهيل الذي يخول له أن يصبح "كواجك"[110].

---

(104) العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 179، الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 83 . SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 118

(105) SIOUFFI, op. cit., P 95 - 96

(106) E.I^2, art "YAZIDIYA", IBID, T. VIII, P 1167

(107) كتاب الجلوة. الفصل : V.

(108) حسو (درويش). المرجع السابق. ص 53

(109) البناء (هاشم). المرجع السابق. ص 93، الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 200، الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 162.

(110) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 83، الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 166، التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 116 ـ 117، حسو (درويش). المرجع السابق. ص 52 ـ 53، الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 163.

وما نستنتجه هو قدسية الرقم أربعين عند اليزيدية. والظاهر أنه رمز للقوة والصبر والجلد.

ح- المريدون

وهم عوام اليزيدية. المطيعون لأوامر قياداتهم الروحية طاعة كلية. والمريد عند الصوفية هو الذي يدخل الطريقة ليتلقى مبادئها عن شيخ الطريقة أو من يعهد إليه الشيخ بتدريبه. وهو من أفراد اليزيدية ما عدى الطبقات التي ذكرناها آنفا. وينطبق على المريد اليزيدي ما ينطبق على المريد في الطرق الصوفية القريبة في نظمها من اليزيدية. فهو "الطالب" أو "المتولي لسياسة العلم" أو "السائر على منهج شيخه" وهو كذلك الذي "ينظر بنور الله" والمحفوظ بعنايته[111]. ولهذا وجب على "المريد" الاعتقاد في مشايخه والطاعة لهم. فهو بذلك يصل إلى "علم الحقيقة" بترك مخالفة شيخه في الظاهر وترك الاعتراض عليه في الباطن. بل يجب أن يكون خصماً على نفسه لشيخه أبداً[112].

ما يتبين لنا من مكانة المريد عند الصوفية أنه ثمة تشابه كبير بين النظامين الصوفي واليزيدي. فـ"المريد اليزيدي" هو الإنسان الذي سلم أمره لإرادة شيخه و"بيره". لأنه حسب النظام الطرقي / اليزيدي لكل مريد شيخ وبير وأخ وأخت للآخرة من طبقة الشيوخ - شفعاء لهم يوم الحساب -[113] وإذا تعرض أحد اليزيدية "للحرمان" من قبل شيخه أو بيره. فعليه أن يدفع "دية / مغرم" لذلك بتوسط "المير". فكل مريد يزيدي ليس له شيخ أو بير عدّ كافرا حسب وجهة نظر "المعتقد اليزيدي". وهذا النظام "التراتبي" هو أشبه

---

[111] الجيلاني (الشيخ عبد القادر). المرجع السابق. ج II. ص 159.

[112] الجيلاني (الشيخ عبد القادر). المرجع السابق. ج II. ص 164. DEMERSEMAN (André), op. cit., P 27 – 31.

[113] الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 70.

بالنظام الهندوسي[114]. وطبقة المريدين أشبه عند الهنود بالمنبوذين "السودرا" ولذلك لا يحق للمريدين الزواج من أي طبقة أخرى. فهم أقل الطبقات قيمة وأدناها مركزاً. فقد ورثهم شيوخهم وبيرهم عن آبائهم وأجدادهم. ويورثون هم بدورهم إلى أبنائهم وأحفادهم. ولهذا وصفها "تيودور منزل" (Menzel Theodor) بـ"الطبقة السفلى"[115] وشبهها عبد الرزاق الحسني بـ "البقرة الحلوب". كأحسن وصف "للمريد" من اليزيدية[116]. ولا يحق للمريد أن يغير أو يستبدل شيخه أو بيره مطلقاً. ولكن بإمكان الشيخ أن يتنازل عن حقوقه في مريديه إلى شيخ آخر مقابل مبلغ معلوم من المال. ولا يحق للمريد أيضاً تغيير طريقته إذا ما اختلف مع شيخه[117].

وتصل بنا "طرق المعاملات" داخل طبقة المريدين إلى التنبيه لوجود تأثيرات صوفية واضحة في اليزيدية. وتحديداً تأثيرات للطريقة العدوية / سلفة اليزيدية في خلق التراتبية الدينية. التي أخذتها الصوفية نفسها عن ديانات ومذاهب الأجداد[118]. وتعاملت معها بدون تحفظات امتداداً للكلمة الطيبة وإيماناً بوحدة الوجود الصوفي ولذلك حافظت تشريعات اليزيدية ذات الأصل العدوي على النظام الصوفي القديم ورسخته كعقيدة لا تناقش[119].

كما نجد أوجه شبه كثيرة بين النظام الطبقي اليزيدي والنظام الهندوسي رغم عدم تعرض الكتب المقدسة "للملتين" بالتنصيص على وجود طبقية أو تراتبية. لكن الشيء الملفت للنظر هو اختصاص طائفتين بالقراءة والتعلم. عند

---

(114) AL-JADA'AN (Khalouf Ahmed), op. cit., P 60 ؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 84؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 169.

(115) E.I², art "YAZIDIYA", IBID, T. VIII, P 1167 B

(116) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 83؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 163.

(117) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 70 ـ 71؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 84 ؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 169.

(118) الطبقية عند الزرادشتية. ثم تجديدات ماني الإصلاحية للقضاء على هذا النظام الطبقي القديم. اليوسف (إبراهيم). المرجع السابق. ص 31 ـ 32.

(119) الملاح (محمود). "الطائفة اليزيدية في شمالي العراق". المرجع السابق. ص 335 ـ 336؛ GUEST (J. S), op. cit., P 35

الهندوس نجد "البراهمة"[120] وعند اليزيدية نجد "الملائية" ذرية الشيخ حسن شمس الدين[121].

2. الأعياد

لليزيدية أعياد دينية واجتماعية وقومية، غلب عليها تأثير الحياة القبلية الكردية ذات الطابع الجبلي. وبعض هذه الأعياد يزيدية بحتة، منها ما هو خاص برجال الدين اليزيدي. وأما بعضها الآخر فمزيج من الأعياد التي تعود إلى الأصل المجوسي أو المسيحي أو الإسلامي مع نفحات خاصة باليزيدية، حتى أنها أخذت الطابع اليزيدي الخالص[122]. ومن أهم أعياد اليزيدية نجد:

أ- عيد "السري صالي" / رأس السنة

"السري هالي" كلمة كردية مركبة من "سري" بمعنى رأس، و"صال" بمعنى السنة، أي رأس السنة. وتمجد اليزيدية هذا العيد في أول يوم أربعاء من شهر نيسان الشرقي، إذ أن السنة اليزيدية تبدأ في أول هذا الشهر الموافق لـ 14 أفريل[123]، وهو حسب اليزيدية موعد نزول "طاووس ملك" إلى الأرض

(120) AL-JADA'AN (Khalouf Ahmed), op. cit., P 60؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج II، ص 170.

(121) OLIVER (C. Coxcaste), Class and Race, New York, 1948, P 112؛ اليسوعي (الأب أغناطيوس عبده خليفة)، "اليزيدية"، ص 579؛ الحسني (عبد الرزاق)، عبدة الشيطان في العراق، ص 52.

(122) الدملوجي (صديق)، المرجع السابق، ص 191 ـ 197؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 169.

(123) كتاب القس اسحاق، ملاحق جورج حبيب، ص 118؛ صادر (قيص)، "اليزيدية"، ص 364؛ الفرحاني (محمد)، المرجع السابق، ص 33؛ الحسني (عبد الرزاق)، اليزيديون، ص 122؛

E.I^2, art "YAZIDIYA", IBID, T. VIII, P 1166

من أجلهم[124]، ولتخليص عديد الأمم المضطهدة، مثل تخليصه لبني إسرائيل من بطش واضطهاد فرعون[125]. وفي ليلة "السري صالي" ترتدي بنات اليزيدية أفخر الثياب، ويبكرن إلى الحقول والجبال لجمع الزهور ذات اللون الأحمر. وبشكل خاص زهور شقائق النعمان. والظاهر أن عيد رأس السنة اليزيدية مرتبط بعادات الخصب ممثلة بالنبات الذي يعتبر محوراً أساسياً في العقائد القديمة. وهي عادات تعبر عن روح الخضرة المتجددة التي يمثلها "تموز"، الذي تداخلت معتقداته وطقوسه بطقوس آلهة الأمومة المتماهية بالأرض[126]. وتوضع هذه الزهور في ثلاث محلات متساوية في كل ركن من البيت. ويلون اليزيديون في هذا العيد البيض بألوان شتى. وعادة صبغ البيض هذه ليست حكرا على اليزيديين فقط بل تقوم بها الكثير من العوائل المسلمة في عيد "النوروز" والمسيحية في عيد "الفصح"[127]. ويزعم اليزيديون أن تلوين قشرة البيض هي عملية تسهل للملائكة تمييز دورهم عن أصحاب الديانات الأخرى[128]، ويناسب توقيت هذا العيد عيد "الأكيتو" Zag Mug البابلي، وإن لم يبعد كثيراً عن موعد عيد "النوروز" الزرادشتي.

ولابد لكل بيت يزيدي من أن يشتري لحماً أو أن يذبح ثوراً أو خروفاً أو دجاجة في ليلة عيد رأس السنة، ويطبخ أفخر أنواع الطعام الذي يوزع كله في اليوم الثاني على الفقراء والمساكين. وتشتمل أطعمة رأس السنة على:

- سلق البيض وتلوينه
- توزيع حبز "الصوك"
- توزيع اللبن الخاثر

---

(124) مصحف رش. الآية: XXII.

(125) جول (إسماعيل بيك)، المرجع السابق. ص 82؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق. ص 122.

(126) موسكاني (سباتينو)، الحضارة الفينيقية. ترجمة نهاد خياطة. دمشق. 1988. ص 80 ـ 81. البكر (محمود مفلح)، الروح الأخضر. ص 184 ـ 185.

(127) لاحظت هذا عند عديد الطوائف المسيحية من أرثوذكس أو كاثوليك في "حارة الزيتون" بمدينة دمشق القديمة.

(128) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق. ص 122 ـ 123؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق. ص 164.

فإعداد البيض وتلوينه لا يكون لغرض الأكل بقدر ماهي تمثيل لعادة تمارسها العائلة اليزيدية. وهي ترمز للتكاثر والخلق (لأن البيض خلق من ذات الأرواح). حيث تعتقد اليزيدية بنزول "الملك الزين" (مه له ك زين) في 18 آذار / مارس ويعني ذلك بداية اخضرار اعلى الأشجار وأسفلها[129]. وآنذاك يبارك "الملك زين" الكائنات بالتكاثر. فتزدان الأرض اخضرارا ونموا. وتخرج الكائنات من جحورها للتكاثر والازدياد. وتعود جذور هذه العادات إلى زمن البابليين كما هو معروف بتماثل وتطابق لا لبس فيه[130]. وفي يوم العيد ينثر الفلاح اليزيدي على أرضه قشور البيض. اعتقاداً منه بأن الأرض قد تنزعج من صاحبها إن لم يزرها في عيد رأس السنة[131].

وأما توزيع خبز "الصوك" الذي يخبز بالفرن المنزلي. فيكون على الجيران الفقراء. وتأخذ النساء أعداداً منه مع اللحم إلى المقابر لتقديمه كصدقة على أرواح الموتى. في حين تكون الكمية الموزعة من اللبن الخاثر (Mas-Gêran) مخصصة للفقراء ومن لا يملك ماشية دون غيرهم.

ويعتبر اليزيديون شهر نيسان الشرقي بكامله عيداً مقدساً. فهم لا يتزوجون في النصف الأول منه، ولا يحفرون أرضاً، ولا يقيمون بناء... ولا يكتبون عقد بيع أو شراء[132]. كما يعتقدون بنزول ملائكة السماء في منتصف ليلة رأس السنة. فهي تجلس مع العباد في تلك الليلة وتسجد مع الساجدين من رجال الدين اليزيديين، وتبارك المنازل اليزيدية المحتفلة. أما اعتقادهم الآخر فهو أن الكون كله يسجد للخالق الأعظم في ليلة نزول طاووس ملك. وأن أرواح الموتى تخرج من قبورها، وتشارك في هذه الاحتفالات، ومن عقائدهم أيضاً أن الله يجلس على عرشه ويأمر باجتماع كل الرؤساء أمام

---

(129) هكاري (م. س)، "الزاد في أعياد ومناسبات الأيزيدية". لالش. العدد VI. 1996. هامش ص 37.

(130) حبيب (جورج). المرجع السابق، ص 19 ـ 21. لذلك نجد عادة سلق البيض في "عاشوراء" في بعض المناطق وهي امتداد لتلك الطقوس القديمة. المرتبطة بالإخصاب وغيرها.

(131) هكاري (م. س)، المرجع نفسه. ص 28.

(132) كتاب القس اسحاق. ملاحق جورج حبيب. ص 127 ـ 128 ؛
FURLANI (G. Firenze), "Gli interdetti Yezidi", P 168 - 170

حضرته. فيخاطب الجمع المجتمع قائلاً: "... إني أريد أن أغني الأرض بالخير والبركات". ثم تقع عملية عقد مضاربة الأرض (تعشير الأرض). لطاووس ملك لمدة سنة. ليصنع فيها ما يشاء[133]. وهذه الأسطورة اليزيدية المحفورة في الذاكرة التي اعتبرت من علم الصدر اليزيدي تمثل امتداداً لنفس القصة التي نجدها عند قدماء البابليين. ومفادها أن سيد الآلهة البابلية "بيل مردوح" كان يجلس لتقرير مصير العالم: الأحياء والأموات. كما أن الزواج عند البابليين محرم لأن هناك احتفالات رافدية قديمة في مثل تلك المناسبة يحتفلون فيها بزواج الإله "نجرسو" بالإلهة "باو". وذلك في مدينة جرسو السومرية[134]. وبات واضحاً لنا الآن أن "السري صالي" عيد رأس السنة اليزيدية. هو تواصل لرأس السنة البابلية وهي بدورها امتداد لأعياد السومريين ولذلك يبقى توارث معتقد الأجداد قائماً ومنحوتاً في الذاكرة والمخيال الشعبيين وإن تغيرت الطريقة أو حتى الاسم.

ب- عيد مربعانية الصيف

تطلق عليه اليزيدية مجموعة من الأسماء منها: عيد الشيخ عدي. العيد الكبير. عيد مربعانية الصيف. وتكون مدته خمسة أيام تبتدئ من اليوم الحادي عشر من شهر تموز الشرقي (جويلية). وتنتهي في اليوم السادس عشر منه. وفي هذا العيد يذهب "الكواجك" وبعض مشايخ وقيادات اليزيدية الروحية إلى مرقد "الشيخ عادي" (الشيخادي) ليصوموا ثلاثة أيام. ثم يعودون إلى آلهم وذويهم ليتموا صيام أربعين يوماً. لأنهم يعتقدون أن الشيخ

---

(133) كتاب القبر اسحاق. ملاحق جورج حبيب. ص 119 ـ 120؛ جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 82؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 124؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 170 ـ 171.

(134) حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 20 ـ 21.

عدي كان يصوم أربعين يوما في الصيف وأربعين يوماً في الشتاء[135]. ولكنهم قلّما يتمون هذه المدة. لأن الصائم إذا بات بنية الصوم وقدم إليه أحد من عامة اليزيدية طعاما ليأكله على "بركة أحد مشايخهم" فإنه يحل صومه ويشرع بالإفطار قائلاً "هذه الفضيلة خير من الصوم"[136] وإذا قاربت هذه المدة (أي الأربعين) من الانتهاء. عاد الصائمون إلى مرقد الشيخ عدي فيصومون الأيام الثلاثة الأخيرة من الأربعين يوماً ثم يعودون إلى قراهم[137].

والرقم أربعون هو من الأعداد التي لها طلاسمها الخاصة لدى رجال الدين في جل الديانات. وقد لعب هذا العدد دوراً هاماً في وقائع وأحداث خطيرة في تاريخ البشرية، ومنها هطول مياه الطوفان الذي غطى سطح الأرض أربعين يوماً[138]، كما كانت المدة التي تاه فيها بنو إسرائيل في صحراء سيناء تعد أربعين سنة[139]. وصام النبي موسى وإيلياء أربعين يوماً. وكانت مدة كتابة موسى للتوراة أربعين يوماً[140]. كما نجد عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية "زيارة الأربعين" والظاهر أنها من هذا القبيل. حيث تذكر القصة الشيعية انه تم إرجاع رأس الحسين بن علي قتيل كربلاء بعد أربعين يوماً من مدينة دمشق إلى العراق حيث يوجد ضريحه[141]. ويصل بنا الاعتقاد هنا إلى أن مجموع الطقوس الممارسة من قبل مشايخ الصوفية ومغالاة المريدين في طرق

---

(135) كتاب القس اسحاق. ملاحق جورج حبيب. ص 120.

(136) كتاب القس اسحاق. ملاحق جورج حبيب. ص 120، الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 124 ـ 125.

(137) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 125 ، الأحمد (سامي سعيد). اليزيدية. ج II. ص 177، الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 171.

(138) اليعقوبي. المصدر السابق. ج I. ص 38. الثعلبي. قصص الأنبياء. ص 58

(139) القرآن: "إنها محرمة عليهم أربعين سنة" (سورة المائدة (5): 21)، اليعقوبي. المصدر السابق. ج I. ص 62.

(140) اليعقوبي. المصدر السابق. ج I. ص 62 ـ 63، الثعلبي. قصص الأنبياء. ص 202 ـ 203.

(141) العاملي (السيد محسن الأمين الحسيني). في رحاب أئمة أهل البيت. دار الثقافة للمطبوعات. بيروت / لبنان. 1980/1400. ج III. ص 181، الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. هامش ص 125.

تطبيقها عائد بالدرجة الأولى إلى إيمانهم بقدسية الأرقام (الرقم أربعون) حتى أنهم جعلوا قدسيتها ملزمة أكثر من الفرائض الدينية كالصوم والصلاة وغيرها. ونعتقد أيضاً أن مجاراة الصوفية لأعمال الأنبياء والرسل وكبار الصلحاء هي نوع من الاعتقاد بالقيمة الروحية لذلك العمل الديني أو الطقس.

ج- عيد القربان

وهو العيد المقتبس عن المسلمين، حيث يجاري فيه اليزيديون جيرانهم من المسلمين، تقليداً لا تدينا كما ذكر الباحث الحسني[142]. فقد أطلقوا عليه اسم "عيد الحج" ويكون هذا العيد في أول يوم من حلول عيد الأضحى عند المسلمين[143]. ولهذا سموه بـ "عيد الحج"، فهم يقولون بأن الله تعالى أمر نبيه إبراهيم في مثل ذلك اليوم بأن يذبح ابنه إسماعيل أو إسحاق[144]. وعندما هم بذبح ابنه أنزل له الله كبش فداء[145]. وأن صورة ذلك الكبش ما تزال محفوظة في "خزينة الرحمان" في باعذرى" مقر المير اليزيدي[146]. ويحتفل اليزيديون بهذه المناسبة الشهيرة لأن إبراهيم الخليل "واحد منهم، وينسبونه إلى درويش آدم وسلالته. وهو من أصل كردي يزيدي... وأن إبراهيم الخليل هاجر من بلاد الإزداهيين إلى فلسطين"[147]. وفي الحقيقة فإننا لم نجد في المصادر القديمة التي ذكرت تاريخ اليزيدية وخاصة

---

(142) اليزيديون. ص 125.

(143) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 192؛ انظر صورة XXVII.

(144) القرآن. الصافات (37 : 103 ـ 107)؛ اليعقوبي. المصدر السابق. ج ا. ص 52 ـ 53؛ العظم (د. صادق جلال). نقد الفكر الديني. دار الطليعة. بيروت / لبنان. 1997. هامش ص 66.

(145) حسو (درويش). المرجع السابق. ص 114 ـ 115؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 179.

(146) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 125.

(147) حسو (درويش). المرجع السابق. ص 114.

الجمعيات التبشيرية والكنائس والبيعات المجاورة لها أن النبي إبراهيم من أصل كردي يزيدي[148]، ولكن الدراسات اليزيدية الحديثة التي تؤكد أن كلمة اليزيدية تعني "التوحيد"، وأنها من ديانات التوحيد[149]. هي التي سوغت لليزيدية بتأكيد تجذر معتقداتها عبر التاريخ. بيد أنه ينبغي الإقرار بأن إبراهيم الخليل هو أبو الأنبياء جميعاً، وأن ديانته حسب القرآن هي "الحنفية"[150] وأنه أصيل مدينة "أور" الكلدانية في جنوب العراق. وحسب الإنجيل (العهد الجديد) فإبراهيم هو أب لبني إسرائيل[151]. وأب للمسيح[152]. عاش القسم الأول من حياته في "أور". ولما بلغ الخامسة والسبعين من عمره رحل من حرّان إلى أرض كنعام (بلاد الشام) بناء على أمر سماوي[153]، ولما امتحن الرب نبيه إبراهيم بابنه "إسماعيل" (وفق الرواية العربية)[154]، وبابنه "إسحاق" (وفق القصة اليهودية)[155] فدي بذبح عظيم. وقد ناقش الطبري جميع الروايات التي رآها كلا الفريقين. وأورد حججهم. وانتهى إلى تبني رأي القائلين بأنه "إسحاق"[156]، وحسب القصة "التوراتية" فقد رفع إبراهيم عينه ونظر وإذا بكبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه. فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده "محرقة" عوضاً عن ابنه[157].

وأما طقوس اليزيديين في هذا العيد فتتجلى في ذهاب رجال الدين قبيل حلول العيد إلى مرقد الشيخ عدي (عادي) أين يضرعون بالدعاء لكي يقبل

---

[148] راجع مقالات الأب إنستاس الكرملي البغدادي. المرجع السابق. م II (1899)، الراهب بهنام الموصلي السرياني اليزيدي أصلاً الكاثوليكي مذهباً مقالة بعنوان "ديانة اليزيدية"، مجلة الشرق. السنة 45. ج I. 1951.

[149] اليوسف (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 23 ـ 25.

[150] القرآن، البقرة (2 : 128)؛ آل عمران (3 : 95).

[151] العهد الجديد (الإنجيل)، (أعمال الرسل XIII : 26).

[152] العهد الجديد (الإنجيل)، (متى I : 1).

[153] العهد القديم (التوراة). سفر التكوين XII : 1.

[154] اليعقوبي، المصدر السابق، ج I، ص 52، ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 201.

[155] اليعقوبي، المصدر السابق، ج I، ص 53، ابن كثير. المصدر نفسه، ص 201.

[156] العظم (د. صادق جلال). نقد الفكر الديني، هامش ص 66.

[157] العهد القديم، سفر التكوين XIIX : 1 ـ 19.

حجتهم ويغفر لهم ذنوبهم. ثم ينصرفون إلى قواليهم للإنشاد الديني. ويقومون بجميع مناسك الحج اليزيدي التي ذكرناها في فصل معتقدات هذه النحلة.

د- عيد الجماعية

وهو من أهم أعياد اليزيدية ومن أعظمها شأنا. وفيه تغفر الخطايا والذنوب. وبه يعرف اليزيديون طالع العام القادم "خيراً كان أم شراً". وهو عبارة عن سلسلة احتفالات تبتدئ من يوم 23 من شهر أيلول الشرقي الموافق لـ 6 أكتوبر. وتدوم مدة العيد سبعة أيام. إذ تنتهي احتفالات هذا العيد في 13 أكتوبر بالتوازي مع الحج اليزيدي. حيث تشد اليزيدية الرحال إلى مرقد الشيخ عدي. ولذلك يسمى بـ "عيد الجماعية" أو "جماعية الشيخ عدي". فتزور الوفود جميع مزاراتها في لالش حفاة حاملين الخبز والبصل والجريش[158] و"عيد الجماعية" هذا يطابق تقريباً "عيد المهرجان" الزرادشتي فقد كان موعد الاحتفال به في مثل هذا الموعد من السنة. وبهذا يكون هذا العيد زرادشتيا بحتا[159].

وتتوزع القبائل في المجال المخصص لها في مرقد الشيخ عدي[160]. ويحرم على اليزيديين مضاجعة النساء أو شرب الخمر أثناء العيد. كما أن المشرع اليزيدي يحرم على أتباعه الصيد أو قطع شجرة أو نبتة من وادي لالش المقدس في كامل أيام السنة. وليس بمناسبة عيد الجماعية / أيام مواسم الحج اليزيدي[161] ومع ذلك تبيح التقاليد اليزيدية الضاربة في القدم لأفرادها تهريب النساء والفتيات ما دمن في جوار وحماية الشيخ عدي[162] ومن المراسيم التي تجري في هذا العيد نرى ما يلي:

---

(158) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 126.
(159) الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص
(160) جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص83.
(161) FURLANI (G. Firenze), "Gli interdetti Yezidi", P 166, 173؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 127.
(162) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 127.

▪ "القاباع"

وهي كلمة ذات أصل تركي يراد بها لدى اليزيدية إطلاق النار (الرصاص). ولكن معناها الأصلي هو "لقاء مقابل"[163]. ولا نعلم السبب الذي جعلهم يستعملون هذه الكلمة. فربما يكون المقصود بها عمليات اللعب بالثور الأبيض المعد للأضحية بمناسبة هذا العيد. وهي عند اليزيدية علم لأحد الأعياد. فإذا انتهى اليوم الخامس من "عيد الجماعية" وحل اليوم التالي تسلق اليزيديون الجبال المحيطة بمرقد الشيخ عدي. وشرعوا في إطلاق النار (في الماضي إشعال النيران تقليداً للنصارى في بعض أعيادهم). ثم ينحدرون إلى فناء المرقد فيرقصون رقصهم القبلي المعروف بـ "الدبكة الشيخانية". مختلطين رجالاً ونساء على شكل حلقات مستديرة على ألحان "القوالين" وهم يضربون الدفوف ويعزفون بالشبابات.

وهنا يتقدم "سادن" المرقد بثور يتسلمه منه شبان مدججون بالسلاح - وهم في العادة من رجال عشيرتي "الماسوسية". والقائدية" - ويسرعون به إلى مرقد "الشيخ شمس"، وهم قابضون عليه بكل قوة خوف أن يفلت منهم. مرددين أوراداً وأذكاراً لا يفهمها غيرهم. ويتعهدون بإعادة الثور إلى مرقد الشيخ عدي سالماً من أي أذى. ويندس بينهم في تلك الآونة شخصان من اليزيدية. فيحتال أحدهما على الثور فيسرقه. فتحصل ولولة بين القوم ويسترجعون الثور فوراً دون أن يدلوا أحداً على السارق. متجاهلين اسمه. متغافلين عن وجوده بنهم. ثم يقتادون الثور إلى مرقد الشيخ عدي بين التهليل والتكبير. وعندها تقف القبائل في الموضع المسمى "ميدان الجهاد" أو "السوق الكبير" ويتقدم عشرة من البواسل للمحافظة على الثور. فيعلن الأمير هروبه. ويطلب من الحاضرين الانصراف إلى شؤونهم الخاصة. ولكن الشخص الذي سبق له أن سرق الثور يتقدم مجددا مع زميل له. فيأخذان الثور مع أتباعهما إلى الجبل ثانية وهم يشبعانه ضربا بالعصي. ثم ينحدرون به ويقدمونه إلى الأمير كهدية. فيخلع عليهم خلعة "عباءة" والزوار يهاجمونهم من كل جانب وهم يدافعون عن

---

[163] التونجي (محمد)، المرجع السابق. ص 129.

أنفسهم بالعصي. حتى يصلوا إلى باب المعبد وبعدها يتسلم سادن "لالش" الثور ويذبحه سراً. ويقدم لحمه إلى سادن "الشيخ شمس" ليطبخه ويقدمه للزوار والحجاج[164]. فهذا المشهد المسرحي الذي يتكرر في مناسبات الحج (عيد جماعية الشيخ عدي / الزردة اليزيدية) هو طقس من أصل مثرائي موشح بتقاليد بابلية. إذ أن لذبح الإله "ميثرا" للثور بعد مسكه وحبسه وهروبه منه. أهمية كبيرة في الدين المثرائي. نتج عنه الإنبات والخصب ـ خاصة أن هذه المناسبة تقام في فصل الخريف ـ وعملية تقديم "سادن لالش" لحم الثور المذبوح لـ "سادن الشيخ شمس" هي هامة. لأن إحضار "الثور الأبيض" يلعب دوراً هاما في أعياد "الأكيتوبابلية". وبالتالي يمكن أن يكون هذا المشهد الممثل طقساً بابلياً. إضافة إلى صحة إطلاق التفسير المثرائي عليه[165]. ولا يقدم الثور بمثل هذا الطقس والمشهد المسرحي إلا في مناسبة عيد الجماعية. فلكل مناسبة يزيدية طقسها العقائدي الخاص[166].

وواضح هنا أن الوصف الذي قدمناه لطقس "ذبح الثور المقدس" بشكل احتفالي جماعي وفي قالب مسرحي. إنما يرتبط بشكل أو بآخر بديانات الأجداد التي تقوم على التضحية بالطوطم المقدس على يد أفراد القبيلة ثم أكله من قبل الجميع. وبهذه العملية يضمن اليزيديون اتحادهم بالطوطم الأكبر[167] (وفي حالتنا الشيخ عدي الأكبر والشيخ حسن شمس الدين) وحمايتهما لهم وترابط هؤلاء اليزيدية برباط مقدس. كما يؤكد بعض الباحثين

---

(164) LYARD (Henry), Nineveh and its remains, P 243 - 245 ; E.I², art "YAZIDIYA", IBID, T. VIII, P 1166؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 127 ـ 128؛ الأموي (الأمير بايزيد). "أعياد الطائفة اليزيدية". التراث الشعبي. العدد 9 للسنة الرابعة. ص 82 وهامش ص 83؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 129 ـ 130؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 172 ـ 173؛ هكاري (م. س). "الزاد في أعياد ومناسبات الأيزيدية". ص 29؛ كاليبو (جالا ونيكول). المرجع السابق. ص 68 ـ 69

(165) AHMED (Sami Saïd), "Characteristic of ancient Mesopotamian Religions", A.M.E. Zion Quarterly Review, Vol. 79, 1967, N° 3, P 125؛ الأحمد (سامي سعيد). اليزيدية. ج II. ص 185.

(166) EMPSON (R.H.W), The Cult of the Peacock Angel, P 53

(167) فرويد (سيغموند). الطوطم والتابوت. ترجمة بوعلي ياسين. دار الحوار اللاذقية. 1983. ص 164 ـ 165.

في الديانات السامية أن الأضحية الحيوانية التي يتناول لحمها كل أفراد القبيلة كانت الشيء الأساسي في شعائر الدين القديم[168].

▪ نصب تخت الشيخ عدي ("تخت شيخادي" أو "البار شبكي")

وهو عبارة عن حلقات قديمة مجوفة من البرونز الأصفر. يبلغ عددها ستين حلقة مع عودين طويلين وسجادة رثة قديمة. تعتقد اليزيدية أنها النصب الخاص بالشيخ عدي الذي كان يجلس عليه. ويطلقون عليه أيضاً اسم "البار شبكي". وهو ما يزال في حوزة رجل من قرية "بحزاني" يدعى "الشيخ بريم". فإذا حل اليوم الأخير من "عيد الجماعية" أحضر هذا التخت، ووضعه أمير اليزيدية في المزاد العلني. ثم يبدأ أعيان القبائل اليزيدية في المضاربة عليه فيما بينهم. وبعد ذلك يبدأ القوالون بتلاوة الأناشيد والتراتيل الدينية المرفقة بعزف الشبابات وضرب الدفوف وهم يدورون حول التخت، وتسرع القبيلة الفائزة بشرف نصبه في رصف الحلقات المجوفة مع بعضها فوق السجادة الرثة. ويربطون الكل بخيوط عتيقة بالية عمّدوها بـ "ماء زمزم". ويربطونها بالعودين وسط صياح اليزيديين. ومن ثم يحمل رؤساء القبائل اليزيدية التخت ويدخلونه إلى مرقد الشيخ عدي لتعميده في حوض "الكاوكي"، وتقف جموع اليزيدية في الساحة المقابلة للمرقد وهي تنتظر بلهفة متزايدة خروج "التخت"، وما أن يخرج حتى يتهافت الكل بحماس متزايد على لثمه وتقبيله[169] - ويرى اليزيديون أن تقبيل التخت واجب مقدس - ويقدم المير خلعة[170] إلى القبيلة التي نصبت التخت.

---

(168) الجراد (د. خلف)، المرجع السابق. ص 173 - 174.

(169) لقد رأيت مثل هذا الطقس في إحدى كنائس السريان الأرثوذكس بمناسبة "أحد شيعانية" السابق لعيد الفصح بأسبوع يجلس البطريرك "سرير" مرفوعاً بأيدي "شمامسة" أقوياء ورجال الدين المسيحي خلفه حاملين الشموع والمباخر والجميع يتهافت على الانحناء تحت السرير الحامل للبطريك (البطرك).

(170) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 128 - 129؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق، ص 179 - 180؛ الأحمد (سامي سعيد). اليزيدية. ج II. ص 185 - 186؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 127 - 129؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 174 - 175.

وقد ربط الباحث العراقي سعيد الديوه جي بين "كرسي المختار" الثقفي "وتخت الشيخ عدي"[171]. وقصة "كرسي المختار" هي من إدعاء المختار بن عبيد الثقفي (ت 67 هـ / 687 م) الذي قال أنه من ذخائر "علي بن أبي طالب" وقد شبه آنذاك بتابوت بني إسرائيل، فقد غشاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة. وكان يحمله في حروبه مشجعاً به أتباعه على القتال[172]. ومن معتقدات اليزيدية أنه إذا تمت طقوس التعميد وشعائره بنجاح. فهي نذير جيد لتكون السنة الجديدة خصبة ومباركة، وأما إذا حالت شدة الازدحام دون ذلك فإنهم يعودون بقلوب كسيرة. فالماء بالنسبة إليهم هو كل شيء[173].

▪ سماط "جلميرة" (الأربعون)

تقول يزيدية "عين سفني"[174] أنه كان للشيخ عدي (شيخادي) أربعون تلميذا بارا يخدمونه بإخلاص. يفدونه بأنفسهم، وأن "فخرة جلميزة" (كبير التلاميذ) كان من قرية "عين سفني". ولهذا شيدوا له مقاما هناك. فإذا انتهت أيام "عيد الجماعية". قدم رجال "عين سفني" ثوراً كتعبير على محبة "فخرة جلميزة"، يسمونه "سماط جلميزة". حتى يهترئ لحمه. فيجتمع اليزيديون كافة للمطالبة بنصيب كل منهم من هذا اللحم، فلا ينالون منالهم إلا بشق الأنفس، والنصيب الذي يحصل عليه الفرد منهم يعني أنه أصابه شيء من الإيمان من "بركات جلميزة"[175]. ونحن نرى أن هذا الطقس

---

[171] "منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها". مجلة الرسالة. مجلد XII. 1944. الجزء 588. ص 231؛ اليزيدية. ص 41 ـ 43.

[172] الطبري. المصدر السابق. ج IV. ص 82 ـ 85؛ الديوه جي (سعيد)، "منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها". ص 231 ـ 232 ؛ اليزيدية. ص 42.

[173] الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 175.

[174] مر تعريفها فيما سبق.

[175] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 130؛ الأحمد (سامي سعيد)، اليزيدية. ج II. ص 184؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق. ص 130؛ كاليبو (جالا ونيكول). المرجع السابق. ص 89.

من أصل "طوطمي" لأن عمليات نحر الثور والاشتراك الجماعي في تناوله يحقق "الرباط المقدس" الذي يوحد المشاركين فيما بينهم وكذلك مع القديس الذي اجتمعوا بسببه والذي نحروا الثور على شرفه[176].

■ الاغتسال في زمزم

بعد كل تلك المراسم يأتي دخول الزوار في بئر زمزم، وهي لا تتسع لغير شخصين اثنين يدخلانها في نفس الوقت. ولا يحق لغير اليزيدية دخول هذه البئر، إذ يحرم على اليزيدي إدخال أي شخص من غير ملته إليها[177].

تجرى خلال ليالي العيد مراسم يزيدية في غاية التقية وأتم السرية والتكتم "السما أو سمايي" حيث يجتمعون في الصحن المقابل لمرقد الشيخ عدي، ويضعون "جقاتو" (النور) وعليه وعاء مملوء بالزيت. وعلى جوانبه الفتائل الكثيرة يشعلونها جميعاً، ويقف الكل حولها مشكلين دائرة يكون في أولها القائم بأعمال المرقد وهو في ملابسه الرسمية (تاج الشيخ عدي وخرقة أبي بكر)، وعلى يمينه "البيش إمام" وعلى يساره أمير الحج (مير حاجي) ووارئهما "البابا شيخ"، ثم يأتي "الكواجك" وهم مصطفون اثنان اثنان مع "كبير الكواجك" فيدور الكل حول الشمعدان ببطئ وخشوع ثلاث مرات، ويدوم الدوران وقتاً طويلاً، ويرتل فيه "القوالون" الذكر اليزيدي والصوفي، وهذا الطقس يزيدي بحت[178] وهو من تأثيرات "المولوية" في قونية والأناضول، فقد استنبط هذا الرقص جلال الدين الرومي، والرقص من أقدم التعابير المقدسة الموجودة في كل المجتمعات البدائية: فداود كان يرقص حول التابوت، والمسيحيون الأوائل كانوا أيضاً يرقصون، وكذلك جلال الدين

---

[176] فرويد (سيغموند)، الطوطم والتابوت، ص 164؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 176.

[177] EMPSON (R.H.W), The Cult of the Peacock Angel, P 127 ؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 131.

[178] الدملوجي (صديق)، المرجع السابق، ص 195 - 196؛ الأحمد (سامي سعيد)، اليزيدية، ج II، ص 187.

الرومي القادم من خراسان والمتأثر بالفكر الهندوسي، لا يزال يحمل تأثيرات عقائد أجداده الشامانية[179] (عبدة الطبيعة)، الذين كان للرقص - حتى الغيبوبة - عندهم مغزى كبير جداً. فلفظة "سما" تعني حرفياً السماء. ولكن هل تتشابه مع لفظة "سراماناً" السنسكريتية أو "سمانا" التي تعني الرجل الموحى إليه من الملائكة[180].

إن إيمان المتصوفة بوحدة الوجود. وتأثر اليزيديين بشكل كبير بالإرث العدوي بوصفهم الورثاء الشرعيين له. جعل اليزيدية تقتبس عديد الطقوس الصوفية من الأجوار وخاصة من المولوية فتشابه طقوس "السما اليزيدية" والسماء الملوية وإن اختلفت غايات كل جماعة من الطقس الواحد[181].

٥- عيد يزيد (عيد الأزدي)

يعتقد اليزيديون بأن المسلمين لم يفهموا حكم الصيام الذي جاء به القرآن على حقيقته، فقد نزل باللغة الكردية "سه روز" أي ثلاثة أيام وليس "سي روز" ثلاثون يوما[182]. لهذا السبب فهم يصومون أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس التي تسبق أول جمعة من شهر كانون الأول الشرقي (ديسمبر) - أقصر أيام السنة وأبردها - ويجعلون اليوم الرابع (الجمعة) عيداً للإفطار يسمونه "عيد صوم يزيد" معتقدين وفق مصادرهم الخاصة (علم الصدر اليزيدي)[183] "أن يزيد الذي يسمونه باسمه وينتسبون إليه قد ولد في اليوم

---

[179] الشامانية (Chamans): نظام ديني تأسس على مفهوم الأرواح سيدة الطبيعة. وعلى شخصية الكائنات المتفوقة القادرة على إقامة العلاقات بين البشر وعالم الأرواح. كاليبو (جالا ونيكول). المرجع السابق. ص 232

[180] كاليبو (جالا ونيكول). المرجع السابق. ص 140 ـ 142.

[181] كاليبو (جالا ونيكول). المرجع السابق. ص 140 ـ 142.

[182] راجع فصل عقائد اليزيدية (الصوم)

[183] راجع قصة ولادة "يزيد" الأسطورية عند اليزيدية. راجع تفاصيل ذلك: الأموي (الأمير بايزيد). "أعياد الطائفة اليزيدية". ص 81 وهامش ص 83؛ الأسود (العميد عبد الرزاق). المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب. الدار العربية للموسوعات، بيروت / لبنان. 1981 / 1401. ج III . ص 275.

المذكور"[184]. ويتطابق الاحتفال بعيد ميلاد يزيد مع عيد ميلاد مثرا. ويشعل كلا الفريقين النيران ليلة العيد احتفاء بذلك[185]. وكما نعلم أنه في مثل هذا التاريخ يكون ميعاد صوم "مارت مريم"[186]. فهل لعبت الصدفة دورها في ذلك التوافق؟ أم أن تأثيرات ديانات الأجداد ظلت هي الأقوى رغم انتشار الأديان السماوية؟

كما يطلق اليزيديون على "عيد يزيد" "عيد الأزداه" وتعني "ولدت" ويقصد بذلك حسب التفسيرات اليزيدية المعاصرة[187] "نزول الازداه ورسالته على الأرض.

وفي هذا العيد يقيم اليزيديون الولائم والأفراح. ويشتركون في الرقص والمغازلات. أما في البيوت فتحضر أكلة "الكبة" المعروفة في العراق (وحتى في بلاد الشام) بكبة الحامض المصنوعة من حبية ناعمة (برغل ناعم) ومحشية باللحم وبالبصل والتوابل. وتقوم جميع العوائل اليزيدية بصنع "الكبة"لذلك لا تدخل بيتا إلا وقد هيأ هذا الطبق لتقديمه صباح العيد. ومن الممكن أن نقول أن هذا العيد هو مهرجان الكبة[188]. كما يعد مساء ليلة العيد (أي عصر الخميس)، "خبز الصوك" لتوزيعه على الفقراء وعلى الجيران.

و- عيد "بلندة / بيلند" أو "بيراندة" (ويسمى كذلك "عيد الميلاد")

ويحتفل بهذا العيد في الخامس والعشرين من شهر كانون الأول الشرقي (ديسمبر)، وهو يعرفهم عيد ميلاد "نبيهم" الشيخ عدي بن مسافر

---

(184) جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق، ص 77؛ صادر (قيص). "اليزيدية". ص 364؛ حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 55.

(185) حبيب (جورج)، المرجع السابق، ص 55.

(186) GUEST (J. S), op. cit., P 38 ؛ حبيب (جورج)، المرجع السابق. ص 63.

(187) حسو (درويش)، المرجع السابق. ص 112؛ صادر (قيص). "اليزيدية". ص 364.

(188) هكاري (م. س)، المرجع السابق، ص 24؛ علماً أن الطوائف النصرانية الشرقية تقوم ليلة عيد الميلاد (25 ديسمبر) بصنع الكبة..

(شيخادي)[189]. وكلمة "بيلندا" أو "بلندة" من أصل أرامي تحورت عن "بييلدة" أو "بي يلدة" بمعنى أعياد الميلاد. وهي تطلق أيضاً على عيد ميلاد "السيد المسيح" في القرى المسيحية المجاورة "للشيخان"[190]. وأما اليزيديون - أصحاب العيد والمعنيين به أكثر من غيرهم - فيذهبون إلى أن أصل كلمة "بيلندا" هو "بيهن - هلدا" أي "فاحت الرائحة" ويقصد بذلك رائحة الكرامات والمعجزات. فيقال بأنه عيد مجيء الكرامات للشيخ عدي بن أبي البركات (الثاني) وليس عيد ميلاد عدي الأكبر. حيث يحتفل بمجيء الكرامة والمعجزة في هذا العيد. (عودة الشيخ أبو البركات صخر II من حراثة حقله ومعه سنابل القمح التي زرعها صباحاً فاستقبل بإشعال النار أمام ثوره (الدواب الزراعية) ونثرت الحلويات (زبيب، بخور...)). وتمضي القصة اليزيدية في القول بأن الكرامات الصوفية قد حلت في أربعة من أبناء أبي البركات، ومنهم عدي الثاني وعندما علم الأب بإحلال الكرامات في أبنائه صنع من نفس الحنطة التي زرعها صباحاً ومن أعواد التبن التي تحمل سنابل القمح "شعلة كوركاكاي"[191]. فإذا عدنا إلى الحفريات الأثرية الرافدية القديمة، وجدنا بأن عشتار (سيدة الشعلة) قد صورتها الأعمال التشكيلية وهي تحمل بيدها مشعلاً[192]. ومن هنا يتبين لنا أن "عشتار" كشفت للقدامى سر الزراعة والنار تلك القوة القمرية المخصبة التي استخرجتها من أغصان الأشجار وحافظت على اتقادها[193]. فالأنثى الكونية هي التي وهبت الأشجار، وهي التي تهب النار الكامنة فيها قدرة نماء وطاقة

---

(189) جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 82؛ صادر (قيصر). "اليزيدية". ص 364؛ الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 191؛ الفرحاني (محمد). المرجع السابق. ص 33؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 133؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 188؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 178.

(190) حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 63.

(191) هكاري (م. س). "الزاد في أعياد ومناسبات الايزيدية". ص 25 - 26.

(192) السواح (فراس). لغز عشتار. ص 129 - 130.

(193) HARDING (M. Esther), Women mysteries Harper and Row, New York, 1976, P 129

تشد الأحياء إلى بعضهم بعضا لاستمرار الفصائل والأجناس. و"عشتار" ربة الخصوبة (روح الغاب وروح القمر) هي سيدة الشعلة الدائمة. رمز القدرة الأبدية والنفس الحية المتوقدة للكون. أصبحت عنصرا أساسيا في طقوس الخصب. حيث كان المزارعون يطوفون الحقول ليلا بمشاعلهم لبث روح سيدة الشعلة "عشتار" في الأرض ولتفجير الحياة في البذور المدفونة تحت التراب[194]. وتواصلت هذه الطقوس لدى اليزيدية. فقد أسند علماء الصدر اليزيدي للشيخ "أبي البركات" دور عشتار، فأصبحت شعلة أبي البركات "كوركاكاي" رمزاً لروح الخصب والإنبات على الأرض لذلك يشعل اليزيدية النار على نبات "الفرن اليابس" (رشك) وهو نبات سريع الاشتعال والخمود أمام الفلاح وحيواناته. وهو عائد من الحراثة وينثرون الزبيب والمكسرات على الفلاح بعد موسم الحرث حين عودته إلى بيته وتجمع ربة البيت قليلا من الرماد المتبقي من الشعلة في قطعة قماش نظيفة وتضعه مع الحنطة المخزونة لإحلال البركة فيه وليكون الموسم خصباً والمحصول جيداً[195]. فكرامة الشيخ أبي البركات التي حلت في الحنطة المزروعة صباحاً لتحصد عصراً ويصنع منها حبز "الخولير" (Xeulêr) وهذا العرف المحفور في "علم الصدر اليزيدي" الذي روي عن مشايخهم وصلحائهم. يذكرنا بقدسية النار في الديانة "الزرادشتية"، ولذلك يقوم اليزيديون بإشعال النار في منازلهم وحتى في اصطبلاتهم، عند المساء يأتي اليزيديون بحطب سهل الالتهاب (القرن اليابس والتبن) فيعلقونه ويرمونه بين النار الزبيب والتمر اليابس ثم يأكلونه[196] ويقفزون على النار من الشرق إلى الغرب ثلاث مرات (وهذا شبيه بعيد إيراني قديم يدعى "جهار شنبه سوري")[197]، ويخبزون في هذا العيد نوعا من الخبز على شكل آلات الحراثة في تنانيرهم، ويوزعونه على الفقراء.

---

(194) السواح (فراس). لغز عشتار. ص 129.

(195) هكاري (م. س)، المرجع السابق. ص 25 ـ 26.

(196) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 133؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج II، ص 189؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 132؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 178؛ هكاري (م. س)، المرجع السابق، ص 26.

(197) التونجي (محمد)، المرجع السابق، هامش ص 132.

ويعطونه حتى إلى دوابهم التي يستخدمونها في الفلاحة بشكل خاص. مما يؤكد لنا وجود تأثيرات زرادشتية واضحة لا جدال فيها[198].

وإذا عدنا إلى تاريخ "عيد الميلاد". 25 كانون الأول نرى أنه يوافق عيد "مثرا" وعيد ميلاد المسيح. وعند كلتا الملتين تشعل النيران احتفاء بالعيد. كما هو الحال لدى اليزيدية وجميعهم يشعلون النيران ليلة العيد[199] بل أن هناك تشابها حتى في نوع "الزاد" الخاص بهذه المناسبة. فالنصارى اليعاقبة في المنطقة يخبزون خبزا مشابها لخبز اليزيدية[200]. ولو أردنا مزيدا من التعمق في منشأ "عيد الميلاد" (عيد الخامس والعشرين من كانون I / ديسمبر) يجب ان نتبين حقيقة هذا التاريخ. فهو يوم ميلاد جميع "آلهة الشمس" من بلاد الغال غرباً إلى الهند شرقاً. وبحكم أن التأثيرات الزرادشتية غير واضحة وجلية في المعتقد اليزيدي. فإنه من المعروف أن الشمس تلعب دوراً مركزياً في الديانة الزرادشتية. ولذلك لا نفاجأ بتحديد يوم عيد "بلندة / بيلندا". وإذا اطلعنا على الكنائس النصرانية نجد أنه وقع اختيارها على تاريخ 25 كانون I / ديسمبر ليكون عيداً لميلاد السيد المسيح[201]، وقد ربط بعض الجغرافيين القدامى رسم الشمس وهي "الإله الابن" بأنها ولدت يوم 25 ديسمبر. وبزغت فوق دائرة الأفق من جهة الشرق خارجة من مريم[202]. أي من البحر[203]. وبذلك تتأكد جذور هذا "العيد" الضاربة في

---

[198] الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 189؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 132

[199] الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 191؛ حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 53 ـ 55.

[200] الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 191.

[201] الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج II. ص 189؛ جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 82؛ الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 191؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 178.

[202] يسمى البحر في اللاتينية واللغات المشتقة منها: Mary و Maria وMare ... ويسمى في الألمانية Meer وفي الروسية Mope. راجع الجراد (د. خلف). المرجع السابق. هامش ص 185.

[203] ناصف (عصام الدين حفني). المسيح في مفهوم معاصر. دار الطليعة. بيروت. 1979. ص 130 ـ 131 ؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 178.

أعماق التاريخ. وبالتالي تبقى اليزيدية من أبرز المحافظين على إرث الأجداد بتمسكها بعاداتها وتقاليدها بالرغم من جميع المؤثرات الإسلامية وغيرها. فقد لعبت الطريقة العدوية دورا هاما في ذلك بسبب إيمان المتصوفة بوحدة الوجود والأديان ووحدة الأقطاب والأولياء. فعشتار "سيدة الشعلة" حل محلها أبو البركات صخر الثاني وأبناؤه وخاصة عدي الثاني الذي أخذ الطريقة والعلم عن والده فأورثه كذلك الكرامات الباهرة التي "فاحت رائحتها" عند مريديه وأتباعه.

ز- عيد العجوة

يطلق عليه البعض "بيراز نوكى" (عيد الأموات)[204] ويكون هذا العيد في اليوم السابع من شهر كانون الثاني الشرقي (20 جانفي)، أي بعد مرور 12 يوما على عيد الميلاد. ويسمونها أيام "العجوز المجنونة"[205]. ويصنعون فيه رغيفا كبيرا من الخبز يضعون فيه نواة تمر "معجونة / عجوة" أو زبيبة وتخبز هذه الخبزة يوم الأربعاء، وتكسر يوم الخميس مساء على ظهر طفل، وتقسم إلى قطع متساوية بعدد أفراد الأسرة. ويكافأ من تكون الزبيبة من حصته، ويكون على حظه ما يصيب العائلة خيراً أو شراً إلى حين حلول العام القادم[206]، كما أنهم يصنعون "كليجة" أخرى (نوع من الخبز) مكورة تكون باسم السيدة مريم العذراء ويضعونها داخل المؤونة وداخل الطحين من أجل التبرك بها[207].

---

(204) الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج II، ص 189.

(205) الدملوجي (صديق)، المرجع السابق، ص 278.

(206) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 133؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج II، ص 189؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 132؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 179؛ هكاري (م. س)، المرجع السابق، ص 26.

(207) التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 132.

ح- عيد مربعانية الشتاء

يقع الاحتفال بهذا العيد في العشرين من شهر كانون الثاني الشرقي من كل سنة (3 فيفري). أي بعد حلول "عيد العجوزة" بخمسة عشر يوما[208]. ويجري فيه ما يجري في عيد مربعانية الصيف من صوم وإفطار وزيارة. ويروى على لسان اليزيديين أنه في هذا العيد بالذات اتخذ الشيخ عدي الأكبر (بن مسافر) أربعين مريدا[209] من أتباعه الذين يعتمد عليهم فاختصهم به. ولقنهم أصول المعتقد اليزيدي وأسراره. ووثق بهم في حفظها. ولذلك يصوم بعض فقراء اليزيدية (الروحانيين) مربعانية الشتاء إكراما لهذه المناسبة[210]. وقد تكون مناسبة هذا العيد مرتبطة في الأصل بموسم الحصاد والإنبات[211].

ط- عيد خضر إلياس

يكون هذا العيد في أول خميس من شهر شباط الشرقي الموافق لـ 15/14 فيفري. وقد يصوم بعض اليزيديين الأيام الثلاثة التي تتقدمه (الاثنين، الثلاثاء والأربعاء) احتراماً للنبي خضر إلياس المقدس لديهم[212]. وإذا بحثنا في أصل تسمية خضر إلياس لوجدنا أن الاسم لشخصين أحدهما يدعى

---

[208] الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق. ص 133؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق. ج II. ص 190؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق. ص 179.

[209] الشطنوفي (اللخمي)، المصدر السابق. ص 150 ـ 151؛ الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق. ص 179.

[210] الأموي (الأمير بايزيد). "أعياد الطائفة اليزيدية". ص 82.

[211] حبيب (جورج)، المرجع السابق. ص 65.

[212] حسو (درويش)، المرجع السابق. ص 114؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق. ص 181.

"الخضر"[213] الذي ذكر في سورة الكهف وقصته مع النبي موسى[214]. وقد ذكر ابن قتيبة أن "الخضر" اسمه "بليا (إيليا) بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرمخشد بن سام بن نوح. وكان أبوه ملكا عظيما"[215]. وسمي بالخضر لأنه أينما صلى اخضر حوله[216]. أما إلياس فقد ذكر في القرآن بأنه من الأنبياء[217]. ويرجع نسبه إلى ذرية هارون بن عمران. أي أن موسى عمه[218]. وحسب مصادر التراث الإسلامي فإن الخضر وإلياس هما من الأنبياء الأحياء على وجه الأرض. يجتمعان كل عام في شهر رمضان ببيت المقدس، وأنهما يحجان كل سنة. ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل[219]. بينما تذهب مصادر الكنيسة الشرقية إلى أنه اسم واحد لقديس مسيحي "مار بهنام" (القديس بهنام) وهو معروف "بقاهر الأبالسة"[220]. وأما اليزيدية فتنظر إلى "مار بهنام" باحترام. فهم يقدسون ديره، ولا يقصدون بخضر إلياس النبي بل "مار بهنام"[221]. ويرى الباحث العراقي كوركيس عواد في تقديس اليزيدية لـ "دير مار بهنام" في جنوب شرقي الموصل، بأنهم لا يقصدون هذا القديس المسيحي، وإنما أحد أوليائهم المعاصر للشيخ عدي الأكبر والساكن في هذه الربوع التي قبر فيها[222]. ولذلك يعتقد البعض أن قبر "مار بهنام" الحالي قد يكون قبر "الولي اليزيدي" الذي

---

(213) ابن كثير. قصص الأنبياء. ص 391.

(214) سورة الكهف (18 : 60 ـ 97).

(215) ابن قتيبة، المعارف، ص 42، الثعلبي، قصص الأنبياء. ص 222، ابن كثير، المصدر السابق، ص 391.

(216) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص 222.

(217) الصافات (37 : 123 ـ 132).

(218) ابن كثير، المصدر السابق، ص 407.

(219) ابن كثير، المصدر السابق، ص 407.

(220) عبدال (الخوري أفرام). حياة الأميرين المعظمين بهنام وأخته سارة الشهيدين، الموصل، 1949، ص 17 ـ 18.

(221) DROWER (E.S), op. cit., P 31

(222) عواد (كوركيس). "كتاب في اليزيدية". مجلة المقتطف، المجلد 102. 1943. ص 425 ـ 427.

تسميه اليزيدية "خضر إلياس". ويرى البعض الآخر أن اليزيدية تقصد بـ "مار بهنام" الشهيد الشيخ عدي نفسه الذي تقمص بشخص سمي خضر إلياس ودفن بعد موته في "مار بهنام"[223]. ومن الواضح أن هذا العيد من أصول مسيحية. فنحن نجد النساطرة يحتفلون بعيد "بهنام"[224].

أما جورج حبيب. فقد ذهب إلى أن هذا العيد (خضر إلياس) لا يخص اليزيدية وحدهم بل إن له ما يماثله في أديان أخرى، فكلمتا "خضر" و"إلياس" تشيران إلى إلهين أحدهما "أدد" أو "هدد" من بلاد الشام ويوازي الإله "مردوخ" عند البابليين، لذلك كان يومه الأسبوعي الخميس يوم المشتري (بينما هو عند اليزيدية يطابق يوم جبرائيل وهو سجاد الدين)[225] وهو إله الصواعق والزوابع والأعاصير حاله حال جميع الآلهة التي يرمز إليها كوكب المشتري[226]. أما "إلياس" فاسمه "إيل" وهو اسم عرف لدى العديد من الشعوب السامية القديمة من كنعانيين وعبرانيين وآكاديين كإله عظيم. ولكن صفاته المناخية لا تشمل الكثير من الأمطار والصواعق[227]. واسم "إيل" هذا يذكرنا بالنبي اليهودي "إيليا" الذي كانت له خوارق منها: على يده يستسقى الغمام وتثار العواصف وتنزل الصواعق، وعرج به إلى السماء جسدا وإنما وقاه في عربة من نار، وقد ذكرت قصته في العهد القديم (التوراة)[228].

فمواسم خضر وإلياس هي من الأعياد المحلية في مناطق الجوار الإسلامي المسيحي اليزيدي، وتكون كلها في يوم الخميس أو أمسياته وأما النذور التي تقدم

---

(223) عبدال (الخوري أفرام)، اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير بهنام الشهيد. الموصل. 1951. ص 87.

(224) HASLUCK (F. W), Christianity and Islam under the Sultans, Oxford, 1929, Vol. I, P 319 - 336 ; Assyrie chrétienne, Beirut, 1965 - 1968, Vol. II, P 575 - 578 ; FINCH (J.P.G), "St George and El Khidr", J.R.A.S, Vol. XXXIII, 1946, P 236 - 238 ; GUEST (J. S), op. cit., P 38

(225) مصحف رش، الآية VI.

(226) المرجع السابق، ص 63.

(227) حبيب (جورج)، المرجع السابق، ص 63 ـ 64.

(228) العهد القديم (سفر الملوك II: الإصحاح الثاني).

"لخضر إلياس". فتشمل النار والماء والشموع التي تطفو فوق المياه[229]. وهذا العيد ليس خاصا بطائفة دون أخرى سواء في قضاء الموصل (تلعفر وسنجار...) أو في قضاء "عين سفني" ففي مدينة الموصل وسنجار يترقبون عيد جمعة الخضر (بنيت له مقامات من طرف جميع الطوائف المتعايشة. فعند المسلمين مثلا نجد جامع الخضر. وهو نفسه جامع مجاهدي الدين، كما يعتبر محراب الجامع النوري وغيرهما من المواقع التي مر بها الخضر حسب منامات أو مكاشفات البعض)[230] ويحتفل بهذا العيد على أن الشتاء قد انتهى وأن الربيع قد أقبل. وفي ذلك يقول أهل الموصل: "إذا جاءت جمعة الخضر إلياس تصير الناس بياس"[231]، وهم يعدون لها حلاوة خاصة تسمى "حلاوة الخضر" ويبيتون "الحلاوة" عند رأس الابن المدلل مع عدة شموع. مدعين أن "الخضر" سيمر ليلا على هذه الحلاوة ويباركها ويعدون نوعا من "السويق" المكون من قلي حبوب الحنطة والشعير والذرة واللوبيا والحمص والباقلاء، ويوزع هذا السويق على "الجيران" بينما يصنع "سويق اليزيدية" من قلي الحبوب لا غير وذلك بسبب التحريم الديني للمواد الأخرى[232]. وتشارك جميع الطوائف في أرياف العراق الشمالية من مسلمين ونصارى ويزيديين في احتفالات عيد "خضر إلياس". وهنا ـ ومن خلال طقوس هذه الاحتفالات ـ يتضح لنا بأن هذا العيد محلي[233]. ولا علاقة له بأي دين من الأديان، فالنصارى لهم صومهم الخاص الذي يسبق العيد، ويدعى "الباعوثة"[234]، كما نرى عجائز المسلمين (كبار السن) يصومون الأيام التي تسبق عيد "خضر إلياس" وليس لذلك الصوم علاقة بصوم الإسلام المفروض[235]، فطقوس اليزيدية في هذا العيد هي نفسها تقريبا لدى النصارى

---

(229) حبيب (جورج)، المرجع السابق، ص 64.

(230) العمري، منهل الأولياء ومشرب، ج II، ص 33.

(231) الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 180.

(232) مصحف "رش": XXIV (24)؛ FURLANI (G. Firenze), "Gli interdetti dei Yezidi", P 164؛ انظر كذلك المحرمات الغذائية عند اليزيدية..

(233) الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 181.

(234) الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 134؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج II، ص 191؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 181.

(235) الديوه جي (سعيد)، المرجع السابق، ص 181.

والمسلمين. فهذه الأعياد ذات اتصال بالعرف والعادة وقد استمرت عبر الأجيال المختلفة وليس مهما اسم "القديس" أو "الولي" الذي تحمله تلك العادة.

ي- عيد المحي (المحيا)

وهو من الأعياد الإسلامية المعروفة. وقد عد ليلة من الليالي المباركة. ففي ليلة "النصف من شعبان" يقيم المسلمون ليلهم، ويصومون نهار ذلك اليوم. فتسمى تلك الليلة عند اليزيدية ليلة المحيا أو ليلة القدر[236] ويقوم بإحيائها اليزيديون المجاورون للمسلمين[237]. إذ يذهب رجال الدين وكبار رؤساء اليزيدية وهم يهرعون إلى مرقد الشيخ عدي. يصلون ويتعبدون ويتلون آيات من القرآن لم يذكر فيها اسم الشيطان[238]. وهم متجهون نحو قبلة المسلمين. منذ مساء تلك الليلة حتى مطلع الشمس. فهم يعتقدون أنه يوجد جدول ماء قرب "وادي لالش" بجانبه شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء التي فتحت أبوابها في تلك الليلة. وينزل فيها "طاووس ملك" على هيئة عصفور قرب جدول الماء ويخفق بجناحيه على الماء، فتصيب تلك الجموع "المنتظرة للرحمة والغفران" قطرات ذلك الماء. ومن أصابته فلن تصيبه "نار جهنم"[239]. وفي صباح اليوم الموالي تقام حفلات "عيد الشيخ شمس". والشيخ شمس حسب أسلاف اليزيديين هو الحسن شمس الدين الذي تنتظره اليزيدية لينقذها وليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جورا[240]. وربما يكون هذا العيد على شرف الشيخ حسن بن عدي الثاني "المهدي المنتظر" لدى اليزيدية. وعلى ما يبدو فإن

---

[236] SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit. , P 116؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 134.

[237] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 134؛ التونجي (محمد). المرجع السابق، ص 133؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 181.

[238] التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 133.

[239] SEBRI (Osman) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 116

[240] ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. م I. ص 335.

اليزيدية تأثرت في الاحتفال بليلة "المحيا". بجيرانها "الشيعة الاثني عشرية" الذين يحتفلون في ليلة النصف من شعبان بمولد "الإمام محمد بن الحسن" وهو الثاني عشر لديهم. وهم ينتظرون انه سيكون "المهدي" الذي سيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جورا[241]. ومع ذلك تبقى بعض الطقوس غامضة. ولكن لدينا يقين بوجود تأثيرات في مناسبات وأعياد اليزيدية أخذت عن الأجوار أو من تراكمات إرث الأجداد والظاهر أن العدوية / اليزيدية تأثرت بليلة "المحيا" عند أتباع الطريقة الحريرية[242].

▪ الطوافات

لليزيدية طوافات عديدة هي بمنزلة الأعياد عند سائر أهل المذاهب والأديان[243]. ففي ليلة يوم الجمعة الذي يلي عيد رأس السنة "السري صالي" يجتمع اليزيديون في "بعشيقا" للتعبد والطواف حول مرقد الشيخ "محمد"[244]. مختلطين رجالاً ونساء. شيوخاً وأطفالاً، من أول الليل وحتى مطلع الشمس وهم يرقصون "رقصة الفلاحة" (المعروفة بالدبكة)[245]. وفي ليلة

---

[241] البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 64 ـ 65؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج I، ص 169 ـ 173؛ دونلدسن، عقيدة الشيعة، ص 222؛ حسن (سعد محمد)، المهدية في الإسلام، ص 129 ـ 130؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، هامش ص 134.

[242] المنسوبة للشيخ علي بن الحسن بن المنصور أبو الحسن الحريري (ت 645 هـ / 1247م) وهو من حوران جنوب دمشق، تعرض لانتقادات الفقهاء وأمام ضغطهم على السلطان الصالح أيوب الذي أمر بالقبض على الحريري وبعد وفاة هذا الأخير سن أتباعه ليلة "المحيا" في السابع والعشرين من رمضان فكانوا يحيون تلك الليلة بالدفوف والشبابات. ابن كثير، البداية والنهاية، ج XIII، ص 173؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج V، ص 231؛ حيدر (د. علي)، المرجع السابق، ص 25.

[243] اللبناني (الأب أنطونيوس شبلي)، "مقالة في اليزيدية"، ص 544؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 134.

[244] والظاهر أنه من مريدي الشيخ عدي ويدعى "أبي محمد الراذاني الزاهد". الحموي (ياقوت)، المصدر السابق، ج II، ص 41؛ ولكن اليزيديون ينسبون هذا القبر إلى محمد بن الحنفية أنه صاحب كرامات لا تعد ولا تحصى. الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 135.

[245] الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 135؛ التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 134.

الجمعة الثانية يجتمعون في قرية "دراويش"[246] للطواف حول مرقد "حسن فردوش"[247]. وفي يوم الأحد الذي يلي الجمعة الثانية يطوفون حول "سعيد ومسعود"[248]. وفي يوم الأربعاء يطوفون حول مرقد "ملك ميران"[249]. وفي ليلة الجمعة الثالثة يجتمعون في قرية "بحزاني" للطواف حول مرقد الشيخ أبي بكر[250]. وفي يوم الأحد الذي يليه يطوفون حول مرقد "ناسردين". وكل هذه المراقد موجودة في "بعشيقا" و"بحزاني". أما في ليلة الجمعة الرابعة فيكون الاستعداد للطواف في قرية باعذرى مركز الإمارة اليزيدية[251]. وفي جميع هذه الطوافات يشرب اليزيديون المشروبات الروحية. ويذبحون الذبائح. ومن طريف ما يجري في الطوافات أنهم يجمعون رؤوس الذبائح ويضيفون إليها قطعة من اللحم تؤخذ من موضع معين من الذبيحة، يسمونها "شيخ مند شيخ فخر"[252]. وتقام عليها المزايدة التي تصل إلى أثمان باهظة. وبعد أن يقع السعر الأقصى على أحدهم أو على أسرة معينة يأخذونها

---

[246] قرية في شرقي الموصل قبيل باعشيقا. الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. هامش ص 135.

[247] من صلحاء اليزيدية. الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 135.

[248] ومن خلال الأسماء يتضح لنا أن الطواف حول "سعيد ومسعود" لنيل البركة ودوام السعادة. الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 135.

[249] يعد من سلسلة الأمراء الراجعين للعائلة الأميرية في باعذرى، GUEST (J. S), op. cit., P 36.

[250] أوجدت أسرة "أبي بكر أو أبي البركات" المغتصب لحق ذرية "الشيخ حسن" في الإمارة الشرعية الدينية فقد ذكر في مصحف "رش". وشيد له مزاراً في قرية بحزاني. مصحف "رش": الآية V؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 135. والقبر الموجود بالزاوية العدوية في لالش ليس لأبي بكر الذي اغتصب الإمارة في القرن الـ 17 م حوالي 1688/9 حيث قام بثورة انقلابية ضد فرع آل حسن "شمس الدين" ومنذ ذلك التاريخ وهم على رأس الإمارة اليزيدية. الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 241؛ GUEST (J. S), op. cit., P.

[251] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 135؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 182.

[252] الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 136؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 182؛ راجع ما سبق حول الشيخين "فخر الدين" و"مند".

فرحين سعداء ليطعموا منها أهلهم وذويهم حتى يضمنوا الرفاه والسعادة لتلك الأسرة[253]

■ أعياد الجمعة

من الأيام التي تجلها اليزيدية وتقدسها نجد يوم الجمعة. وفيه يعطلون جميع أشغالهم. وفي ليلة كل جمعة يعتلي أحد السدنة "المقامات اليزيدية المقدسة" أو سطح منزله ليدعو الناس إلى زيارة "المقام" الفلاني. وفي صباح يوم الجمعة تجري احتفالات دينية من أذكار وتلاوة يزيدية لها تأثيرات عدوية - وفي مساء كل خميس يعين "المير" مكان إقامة "القعدة الدينية" - على شرف "الملك طاووس" أين يقربون له حملاً أو أزيد من الصدقات. ويصيح سادن المقام (الذي ستقام فيه الوليمة "الزردة اليزيدية") ثلاث مرات بصوت عال ويقول "الله يرحم والدي الذي يسمع صوتي. إن نهار غد دعوة بني وليمة فلان ملك. والجميع بنظرون لإيجاب هذه الوليمة"[254]. وحسب العرف الجاري به العمل يقبل كل يزيدي سمع النداء الأرض أو الحجر الذي يستند إليه. وفي صباح يوم الجمعة يذهبون على قبة ذلك "الولي / القديس" أين تقام الأذكار والصلوات. ويأكلون الأطعمة هناك[255]. وقد كانت هذه الدعوة في الماضي تقام يوم الأربعاء[256] وبسبب الاضطهادات الدينية التي عاشها اليزيديون. فقد جاروا جيرانهم من (المحمديين) المسلمين، خاصة في فترة الحكم العثماني. فأصبح عيدهم يقام يوم الجمعة. ويقولون "بأن كتبنا

---

[253] الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق. ص 136؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق. ص 182.

[254] كتاب القس اسحاق، ملاحق جورج حبيب، ص121؛ جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 82.

[255] جول (إسماعيل بيك). اليزيدية قديما وحديثا. ص 84 ؛ حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 24 .

[256] LYARD (Henry), Nineveh and its remains, P 226 - 227 ؛ كتاب القس اسحاق. ملاحق جورج حبيب. ص 130 ؛ جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 84

هي قلوبنا"[257]. فيتضح لنا في كلام الأمير إسماعيل اليزيدي تفسير لتغييرهم لموعد عيدهم الأسبوعي. كما نلاحظ في جميع أعيادهم ومناسباتهم "الزاد" و"الأسمطة"[258]. وكذلك وجود الرقص القبلي (رقصة الفلاحين) والمقصود بها "الدبكة".

3. الأعراف والمحرمات "ذهنية الحلال والحرام"

إن غرابة معتقدات هذه النحلة (اليزيدية) وتشابك جذورها "المعتقدية" بين ما هو مجوسي / إيراني وما هو وثني / رافدي أو صابئي / مندائي ترجع أساسا إلى الإطار الجغرافي المشترك والمتعايش. وإن كانت كل نحلة تتمتع بنوع من الاستقلالية الذاتية" إضافة إلى الاحتكاك الحضاري وفي إطار سيادة "دولة الخلافة". فكثير من الأقوام والجماعات كان لها دورها الثقافي والحضاري في الحضارة العربية الإسلامية والتثاقف الذي يعود الفضل فيه إلى النساك النصارى ومتصوفة الإسلام والحركة التجارية بين أقاليم الجبال والأناضول وبلاد الشام ومناطق الموصل.

وبحكم دراستنا لعديد الجوانب الحياتية والدينية التي تعد غريبة عن اليزيدية أو أحفاد العدويين فإننا نتطرق إلى المحرمات اليزيدية ودور الفقه اليزيدي فيها.

- فما هي جذور هذه المحرمات؟
- هل أن أساسها ديني بحت أم غلب عليها العرف والعادة؟

---

[257] جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 84.

[258] جمع سماط Simat (وهي تعني عند اليزيدية "الأكلة المقدسة" والسماط هي طبيخ حبية الحنطة غير المجروشة أي المدقوقة وتعرف في جنوب العراق وحتى في البادية السورية بالهريسة. هكاري (م. س). "الزاد في أعياد ومناسبات الايزيدية". ص 28.

وإذا أردنا التطرق إلى المحرمات والموانع عند هؤلاء القوم لا بد لنا قبل كل شيء من التطرق إلى موانع أجوارهم ومحرماتهم من الفرق الإسلامية والمسيحية والجاليات اليهودية المتركزة في تلك القرى النائية. وبما أننا نعرف أن هناك نوعا من القطيعة الدينية وبالتحديد بعد انتشار عقائدهم "النابية" ومحاربة "علماء الظاهر لهم". دخلت هذه النحلة طور السرية والعمل "الوقائي إن لم نقل تقية الشيعة" بعد حملات الاضطهاد المسلطة عليهم بفتوى "كفار / مارقين" أو مهرطقين في الإسلام.

وهنا وجب علينا القول أن اليزيدية بجذورها المجوسية والإسلامية وغيرها تتسم بخصوصية دينية. وخاصة فكرتهم الأساسية عن الشيخ عدي وهو بمثابة النبي أو القديس الأكبر لديهم والشيخ حسن شمس الدين "مخلصهم المنتظر" كذلك نجد رمزهم الديني والشخصية الأكثر أهمية في معتقداتهم "طاووس الملك" الذي هو يمثل الشيطان عند المسلمين والمسيحيين. ولما كنا قد بحثنا في ماهيته وعرفنا أنه ليس كذلك، ظهرت لنا جوانب غير التي عرفناها من حياتهم الدينية.

إن الناظر في هذه المحرمات يدرك بيسر أنها مقسمة إلى قسمين:

- القسم الأول قديم وجذوره معتقد راسخ عند الأجداد الأوائل وهو يهم بشكل أساسي "الملك طاووس" رمزهم الديني والتاريخي وقد أحيط بموانع متشددة. وهذه المحرمات بقيت متوارثة عند هؤلاء الأكراد وقد عمل الإسلام على تهذيبها أو حتى طمسها لكن قسما منها بقي كعرف يتعامل به الناس.
- أما القسم الثاني فهو حديث مليء بالروايات الخرافية والأساطير التي تبحث عن سبب إدخال هذه الموانع الدينية، وهنا وجبت علينا الإشارة إلى أن اليزيديين ابتدعوا خرافات وأساطير تبحث في الأسباب الأولى لمحرماتهم وكان خيالهم الديني هو الذي ساهم في خلق المزيد من الأساطير[259].

---

(259) FURLANI (G), "Gli interdetti dei Yezidi", P 151

وبالتالي يمكننا القول إن مردّ محرمات اليزيدية ليس فقهيا دينيا صرفا. بل إن الأسطورة التي ساهم "علم الصدر" اليزيدي في نشأتها لعبت دورا هاما في ذلك التحريم.

ويبقى "مصحف رش" هو مرجعنا الأساسي لهذه المحرمات التي يحظر على اليزيدي إتيانها أو فعلها أو ذكرها أو حتى سماع التلفظ بها. وهذا ينطبق على معظم العقائد والديانات والمذاهب المنتشرة بين الشعوب والجماعات العرقية المختلفة.

لقد تناول اليزيديون الحديث عن محرماتهم في كتابين: "العريضة أوالمذكرة Mémorial" و"الجلوة Révélation". وتبين المذكرة للسلطات العسكرية العثمانية أن اليزيديين لا يستطيعون خدمة الجيش لأسباب مختلفة منها بعض الأسباب المحرمة[260] كما نجد في آخر "الجلوة" وصايا أو تعليمات "... وشرائعي أطيعوا أصغوا لخدامي ما يلقنونكم من علم الغيب..."[261] ولعل بعض التعاليم (الفقهية) حسب هذا النص تعود إلى طاعة اليزيديين لرجال دينهم واتباع تعاليمهم وتحكم اليزيدية على كل مخالف من أتباعها "للشرائع الدينية" بالحرمان ويتم إعلانه خارجا عن الفرقة اليزيدية ولا يتمتع بحق الغفران لذنوبه[262]. وهنا نجد تقليدا يزيديا لمعتقدات جيرانهم من النصارى فيما يخص مقترفي الذنوب وحق الحرمان[263]. واليزيديون يرون حسب معتقداتهم في التقمص أن الذي يقترف ذنبا تسكن روحه كلباً أو حيواناً بعد موته كعقوبة له[264]. ونبتدئ بذكر محرماتهم.

---

(260) FURLANI, op. cit., P 93

(261) كتاب الجلوة: V : 2.

(262) FURLANI (Guiseppe), "der feste der Yezidi", Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes, Vol. 45, 1937, P 58

(263) FURLANI (G), "Gli interdetti dei Yezidi" op. cit, P 153

(264) كتاب الجلوة الفصل II 11 – 12.

أ- المحرمات الغذائية

حرام عند اليزيدية أكل لحوم: الخنزير، تأثرا بالمسلمين، ولحم كل أنواع السمك، وذلك لأن الحوت حمت النبي يونس (يونان) ولم تبتلعه، كذلك أن الأسماك حسب الأسطورة اليزيدية كانت أوتادا لخيمة يزيد[265] وحرم أكل الغزال لأن عيني الغزال تشبه عيني الشيخ عدي وكانت من قطعانه التي ألفته في عزلته بالجبال[266].

وقد ذهب البعض إلى أن أصل التحريم في المأكولات قد أخذته اليزيدية من اليهود حسب شهادات البعض[267]. ولكن حسب المذكرة أو العريضة البند الرابع عشر نجد عندهم محرمات غذائية يعلنونها[268] وأهم من كل ذلك كتابهم المقدس "مصحف رش" يشير صراحة إلى وجود "أكل حرام على اليزيديين أن يتناولوه" ولا بد من الإشارة هنا أن ظاهرة التحريم الغذائي موجودة في كل الديانات حتى قبل ظهور اليهودية.

كما يحرم على الشيوخ وسائر رجال الدين اليزيديين أكل لحم الديكة لأن "طاووس ملك" جاء على هيئة الديك[269] ولهم سنجق يرمز" لطاووس ملك" له شكل ديك[270].

---

(265) مصحف رش: 24: XXIV ، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص 410 ـ 414، الأسود (العميد عبد الرزاق)، المرجع السابق، ج III، ص 177، التونجي (محمد)، المرجع السابق، ص 103، FURLANI (G), op. cit, P 163

(266) مصحف رش: XXIV، الجندي (محمود)، ما هي اليزيدية، ص 133، FURLANI (G), op. cit, P 163

(267) FURLANI (G), op. cit, P 154

(268) فقد استقينا معلوماتنا من عريضتهم للسلطات العثمانية في 28 فيفري 1873 م وهي تعتبر متأخرة عن الفترة التاريخية التي ندرسها لكن بالنسبة لنا مصدر لمعرفة طبيعة معتقداتهم كنحلة غير مألوفة.

(269) انظر صورة "طاووس ملك"، مصحف رش : XXIV.

(270) FURLANI (G), op. cit, P 164

هذا فيما يخص اللحوم أما فيما يخص الخضراوات. فنجد على رأسها "القرع"[271]. ونلاحظ هنا تقليدا للشيوخ في الأكل والتصرف[272]. فإذا امتنع أحد الشيوخ عن أكل أي شيء امتنع تلامذته عنه. كذلك نجد أن الخس محرم وسبب ذلك كما يشير مصحف رش يعود إلى التشابه بينه وبين اسم نبيهم "الخسية: Alhassyah"[273]. وهناك الملفوف والقنبيط. وكافة أنواع القرنبيط (الخضراوات الملفوفة) والملوخية واللوبياء وجميع الخضراوات التي تسمد بالمخلفات الحيوانية والبشرية وخاصة "الخس" لأنه عندهم من أخس ما خلقه الله على وجه الأرض. ومجرد رؤيته حرام. حتى إذا أرادوا أن يلعنوه قالوا ذلك الوحش[274]. حتى إذا أراد أحدهم أن يهين يزيدياً من العراق قال له "حس الموصل في فمك"[275]. بل ذهب بهم التحريم إلى حد منع أي يزيدي من عبور حقل به الخس[276].

وهناك آراء مختلفة أوردتها المراجع الغربية الحديثة أو حتى العربية وأغلبها تلعب فيها الأسطورة الدينية دورها فقد أورد " Furlani " خرافة يزيدية مفادها أن الشيخ عدي مر بقرب بستان وطلب خسا لكن لم يجبه أحد فقال "هس" " huss " (أي بمعنى اسكت باللغة الكردية). ولذلك منع الخس. كذلك نجد رواية خرافية أخرى أن إلههم "يزيد" لما عاد من سفر طويل وكان متعبا من الحر. اتجه إلى الخس طالباً الراحة والاحتماء بأوراقه من الحر. فرفض الخس. ولذلك لعن[277].

---

(271) مصحف رش: XXIV ، FURLANI (G), "der feste dei Yezidi", P 87-88

(272) مصحف رش: XXIV.

(273) FURLANI (G), "Gli interdetti dei Yezidi", P 164؛ الجراد (خلف). المرجع السابق. ص 142.

(274) البغدادي (الأب انستاس ماري). المرجع السابق. م II. ص 551؛ الجراد (خلف). المرجع نفسه. ص 142.

(275) الحسني (السيد عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 99.

(276) جول (إسماعيل بيك). المرجع السابق. ص 96.

(277) FURLANI (G), op. cit, P 163-164

أما الدكتور خلف الجراد الباحث في علم الاجتماع. فقد أكد على جذور "طوطمية" لليزيدية. وبالتالي كلمة "خس" هي طوطهم" لليزيديين الأوائل [278].

بينما يرى الباحث الكردي اليزيدي درويش حسو أن مرد تحريم "حس" يعود إلى "الخاس" ومعناها باللغة الكردية رجال الدين المقدسين[279]. ونفس التفسير تقريباً نصادفه عند عدد كبير من المسلمين كنوع من الحكايات الشعبية الموروثة لها صلة بمسألة "المسخ" الجسدي والروحي[280].

ولكن السبب الحقيقي حسب الظاهر هو مبالغات بعض المتصوفة في البحث عن مصادر "طاهرة" لأصل الغذاء والابتعاد عن النجاسة حسب وجهة نظري طبعا. كذلك نرى أن جذر كلمة "حس" شبيه بفعل "Hasa'a" والذي معناه في العربية "سحق": بعدا، دعاء على الشخص، "رمي الحجارة". وهما عمليتان يخضع لهما الشيطان "إبليس" إذا تصورنا حضوره معنا[281] (غير المرئي).

ويبقى الخس حراماً على كل يزيدي مهما بلغت طبقته الدينية والاجتماعية ولكن اليزيديين ينسون السبب الحقيقي لذلك.

وذهب البعض إلى تحريم "التمر" لأن من يأكله يرمي بالنواة خلف ظهره وبالتالي نجد الإشارة واضحة: رمز لرجم الشيطان[282]. كان مقام التأويل "النصوص" (ليس المكتوب) المركزية المشكلة في الثقافة فأصبح مقامه النصوص الهامشية التي لا تحتاج في بساطتها إلى التأويل، فأسقط عليها التأويل خدمة للمعتقد.

بعض اليزيديين لا يرون مانعاً من احتساء الخمر، عكس المسلمين. لكن حصر شربه على الخاصة منهم خشية الفوضى والاضطراب التي يدخلها على العامة ويحرم شرب الخمور قرب ضريح الشيخ عدي. ويسمح لطبقة

---

(278) مصحف رش: XXIV.

(279) المرجع السابق. ص 121.

(280) الجراد (خلف). المرجع السابق. ص 150.

(281) FURLANI (G), op. cit, P165

(282) FURLANI (G), op. cit, P165

القوجاق فقط بتناول الخمور مع بعض المشايخ كما يسمح في حفلات الزواج بأن يقدم أقارب العروسين الخمور لطبقتي الشيوخ والقوجاق فقط[283].

ب- المحرمات في الملابس والألوان

ككل الأقليات يكون التشدد بالقوانين صارماً مقارنة بالأغلبية. ففيما يخص الملابس يلبس اليزيديون الملابس ذات الطوق "طوق يزيد"[284]. ومع ذلك في المجمل نجدهم لا يتقيدون كثيراً بأنواع من الملابس إلا اقتداء بمشايخهم الزمنيين ويفضلون الملابس الصوفية[285] وما فيها من تزهد.

أما طريقة التحريم "المنع" في طريقة اللباس فيحرم عليهم أن يلبسوا السراويل بعد الغسل وهم وقوف ولكن يجوز ذلك بعد قضاء الحاجة[286].

كما نجد أن اليزيدي يفضل في لباسه اللون الأبيض الذي يعتقد أنه اللون المفضل عند أهل الجنة. وهذا نجده عند الأنبياء والصلحاء ولذلك نجدهم قد اقتدوا بصلحائهم في اختيار اللون المناسب لملابسهم[287].

وذكر بعض الدارسين أن الثياب الممنوعة هي الزرقاء وذات الطوق المفتوح (أي رقبتها مفتوحة) وهي محرمة على عامتهم[288].

ويعتقد البعض أن الألوان المقدسة وألوان التحريم الديني هي ألوان الطاووس البارزة[289].

---

(283) FURLANI (G), op. cit, P165

(284) صادر (قيصر). "اليزيدية". ص 366، الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 148.

(285) انظر ملاحق الصور XXV ـ XXVI .

(286) مصحف رش: XXIV، FURLANI (G), op. cit, P 174

(287) الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 148، الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 44 ـ 45.

(288) الجندي (محمود). المرجع السابق. ص 135.

(289) الجندي (محمود). المرجع السابق. ص 136، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. طبع الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الرياض / السعودية. (د.ت). ص 553، الأسود (العميد عبد الرزاق) المرجع نفسه. م III. ص 277.

ويفسر " Furlani " أن اللون الأزرق من أهم الألوان المحرمة عند اليزيديين وقد يحسبونه لون الحداد، بينما يرمز اللون الأحمر للسعادة. وفي حفل رأس السنة يقطف الأطفال زهوراً حمراء يزينون بها بيوتهم من الخارج [290]. وفي الكتاب الأسود نجد نص التحريم الواضح والصريح [291] وفي المذكرة التي كتبها أعيان اليزيدية في القرن الماضي للتهرب من خدمة الجيش العثماني نجد أن البند XII: "لا يجب علينا ارتداء ألبسة ملونة بالأزرق" [292]، والملابس المصنوعة من مادة الحرير ممنوعة ومنعها يعود إلى عدم الإفراط في مباهج الدنيا وزخارفها وهذا ما نجده عند أغلب الفرق والطرق الصوفية [293] في العالم الإسلامي إيماناً منهم بالخشونة وتجنباً للترف بل إن الفقهاء "علماء الظاهر" يتشددون في لبس الحرير وحتى الذهب [294].

إذن اليزيديون يحرمون اللون الأزرق في كل شيء في البيت في الملبس، فما هي أسباب هذا التحريم لهذا اللون بالذات؟

وعندما يسأل أي يزيدي (حتى اليزيديين الذين قابلتهم في عفرين بسورية) يكون جوابه: اللون الأزرق ممنوع لأنه رمز للظلمة وبالتالي يكون هذا اللون من ألوان ملك الظلام والشر "أهريمان" وبالتالي يكون التحريم من تأثيرات الزرداشتية علما وأن ماني (الزنديق) عند المؤرخين يحبذ اللون الأزرق بينما الصابئة المندائيون يحرمونه ويتشاءمون منه بل إن العرب تتشاءم من اللون الأزرق وتعتبره من أسوأ الألوان لأن الروم أعداءهم زرق العيون [295].

---

(290) FURLANI (G), op. cit, P 166

(291) الآية: XXIV.

(292) المذكرة، البند XII: ملاحق عباس العزاوي وعبد الرزاق الحسني والديوه جي سعيد؛ FURLANI (G),"Sui Yezidi", RSO, Vol. XIII, 1932, P 100-101

(293) المقدسي، صفوة التصوف، ص 93 ـ 96.

(294) المقدسي، المصدر السابق، ص 87 ـ 88.

(295) الزمخشري (محمود بن عمر)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، المطبعة الأميرية، القاهرة / مصر، 1307 هـ، ج II، ص 31؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 110.

وتروي أسطورة يتعلل بها اليزيديون في تحريم اللون الأسود حوارا بين أحد شيوخ اليزيدية وأحد القديسين النصارى: "قال الشيخ يزيد إلى مار يوحنا: بأي شيء تطلون هذا اللباس الأسود؟ فأجابه بصبغ النيل وبلون آخر. وكانت هناك شجرة تين مازالت جذوعها إلى اليوم... وقال أعطوني ثوبا أبيضا ثم رماه على تلك الشجرة فأصبح الثوب أسود اللون" ولذلك لا يلبس اليزيديون شيئاً مصبوغاً بالأسود[296]. ومن هذه القصة المتداولة التي رواها " Furlani " عن اليزيديين شمال العراق نجدهم يحرمون اللون الأسود المصبوغ وربما لأنه رمز للظلمة وللظلام.

ولكن إلى حد الآن لا ندري سبب تحريمهم للأزرق أو سبب عدم التفريق في الألوان عند بعض طبقات اليزيدية المختلفة إذا أدمج اللون الأسود[297] في التحريم مع الأزرق ويلتزم عموم طبقات اليزيدية بلبس الثياب الأبيض ما عدى رجال الدين وسدنة ضريح الشيخ عدا الذين يلبسون اللون الأسود. بينما الثياب ذات اللون الأحمر قلما يلبسونها ولا يوجد مانع ديني عنها[298].

لذا يمكننا القول أن اليزيديين يفضلون لباس اللون الأبيض باعتباره المفضل عند أهل الجنة أو بالأحرى عند أهورمازدا ملك النور والخير.

وقيل أن "المجوس" كانوا يهاجمون "اليزيديين" ويرتدون اللون الأزرق فجرى التحريم بسبب ذلك[299].

ومع ذلك يبقى التحريم اليزيدي للون الأزرق مجهولا لدينا. وربما قد تظهر الأبحاث القادمة الجديد حول عديد الأقاويل والأفعال غير العادية لهذه الأقليات عندما نتعمق أكثر في علم الأنثروبولوجيا (علم الإناسة). فقد جاء عند الباحث الأمريكي Guest في سبب تحريم اللون الأزرق: أنه في

---

(296) FURLANI (G), op. cit, P 167

(297) السحمراني (د. أسعد). المرجع السابق. ص 91.

(298) التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 103.

(299) مجلة ألف باء. العدد 313، ص 33، الجندي (محمود). ما هي اليزيدية. ص 136، الأسود (العميد عبد الرزاق) المرجع نفسه. م III. ص 277، الجراد (خلف). المرجع السابق. ص 144.

منتصف القرن 18 م قال أحد الكواجك للبابا الشيخ. أنه رأى في منامه أن لون الملابس الزرقاء التي كانوا يرتدونها تضايق الملك طاووس فصدرت الأوامر فورا بترك الأزرق[300].

ج- الأماكن المحرم زيارتها

من أبرز الأماكن المحرم على اليزيديين ارتيادها مساجد المسلمين وكل أماكن العبادة الإسلامية. كما حرم على كل يزيدي الاستماع إلى الصلوات والأدعية وقراءة القرآن والحضور في المواكب الدينية الإسلامية. وهذا التحريم المشط غايته أن يتجنب اليزيدي الاختلاط بالمسلمين حتى لا يسمع لعن "الشيطان" المتكرر كثيراً في عبادات المسلمين وبالتالي نجد الحكم الفقهي عند اليزيدية أن كل شخص يلعن الشيطان وجب قتله وإذا لم يقم اليزيدي بقتل هذا الشخص الذي سمعه يلعن الشيطان وجب عليه أن يقتل نفسه في هذه الحالة[301].

وحسب نفس الفصل من "مصحف رش". حرم على اليزيدية الذهاب إلى البالوعة: "المرحاض": "أدبخانة"[302]. والاستحمام في الحمامات العامة وحسب عريضتهم للسلطات العسكرية العثمانية "حرم الجلوس في الحمام والاغتسال فيه"[303].

وحرم الدخول إلى الحمامات والسباحة في العيون الساخنة لأنهم لا يغتسلون إلا في المياه المباركة النابعة من زاوية الشيخ عدي[304].

---

(300) The Yezidis, P 35

(301) FURLANI (G), op. cit, P 154

(302) المراحيض وقد بدأت تنتشر في عهد المماليك وخاصة في العهد العثماني واليزيديون يعيشون في ترحال بين الجبال والمناطق الريفية وبالتالي تناول هذه المسائل ربما يشكك أصلاً في تاريخ كتابة "مصحف رش"! مصحف رش: XXIV.

(303) العريضة. البند XIII: عن الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 224.

(304) راجع العريضة البند XIII: الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 224. السحمراني (أسعد). المرجع السابق. ص 92.

ولا يجوز لليزيدي أن يتغرب أكثر من سنة عن وطنه. لأنه حسب شريعتهم تعتبر زوجته بعد ذلك في عداد المتروكة[305]. وبالتالي لا يستطيع أن يتزوج من زوجته الأولى ولا من غيرها.

كما أن شعيرة الصيام اليزيدي فرضت على كل يزيدي ولكن في بيته ويجب عليه أثناء يوم الصيام أن يذهب إلى بيت شيخه أو بيره (والشيخ والبير من طبقات اليزيدية) ويفطر على خمرة يباركها له شيخه أو بيره[306].

وحسب الظاهر تنحدر معظم هذه التحريمات في معظمها من شعائر سحرية. تتعلق بالأماكن المغلقة والمظلمة والتطير من بعض الحركات وكذلك جاءت لتمنع أفراد التدين اليزيدي من الاختلاط[307] بغيرهم من الأقوام والأمم آنذاك.

ومع ذلك لا نستطيع التعقيب على هذه الجملة من الموانع الفقهية إلا بالتساؤل التالي: كيف يمكن أن يكون مصير اليزيدي في أيامنا هذه لو تشبث بكل هذه المحرمات؟

د- المحرمات من الأقوال والأفعال والأدوات والحركات

إضافة إلى المحرمات السابقة. نجد أخرى كالتي تخص جوار حرم الشيخ عدي بلالش فهي من الأوقاف المحرمة كحرمة ضريح الشيخ عدي بن مسافر: فنباتات التبغ التي تسقى بماء زمزم (العين التي تنبع في ضريح الشيخ عدي) محرم تدخينها فهي تسقى من ذلك الماء المقدس ويحجر تدخينها ومن دخنها عد كافرا[308]. وكذا الأمر بالنسبة إلى القصب الذي

---

(305) العريضة البند . FURLANI (G), op. cit, P 170

(306) العريضة البند VIII: عن الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 223 .
FURLANI (G),"Sui Yezidi", P 99 ; "Gli interdetti dei Yezidi" P 170

(307) الجراد (خلف). المرجع السابق. ص 143.

(308) FURLANI (G), op. cit, P 173

يمنع قطعه أو الاحتطاب به لأنه ملجأ "الملك طاووس" عندما لم يجد ملجأ. لذلك ملك طاووس ملك القصب. ودعا ملة اليزيدية إلى عدم الإضرار به[309]. وخاصة قصب حرم لالش. وهنا يستوقفنا هذا التحريم حيث نتبين تأثيرات إسلامية وكأني بلالش هي مكة البلد الحرام[310]. وما فيها من تحريمات تعود إلى قدسية ضاربة في أعماق التاريخ والمخيال العربي[311].

وحرمت اليزيدية على أتباعها الشرب في الأواني التي ينحبس فيها الهواء حيث تصدر أصواتاً تكرهها الآلهة اليزيدية[312] فالقلال والمشارب التي تصدر أصواتاً "محرمة" (تبقبق) وقد سرت معنا في عقائد شعوب ما بين النهرين القديمة بأن لهم عقائد في الأواني الضيقة التي تحمل مياه. وتواصلت مع اليزيدية في معتقداتهم حذر التناسخ والتقمص. حيث مر معنا كيف أن روح أبي منصور الحلاج سرت فوق مياه دجلة ثم تسربت إلى داخل الجرة التي شربت منها أخته وحملت بعد ذلك دون معرفة سبب لحملها ووضعت وليدا شبيها بأخيها الذي صلبه الخليفة العباسي "المقتدر بالله" لذلك عدت الجرار والأواني الضيقة ذات العنق أو المقبض محرمة[313].

ونجد كذلك أن الأصوات التي تصدرها هذه الأواني شبيهة بالبصاق وبالتالي تؤذي "طاووس ملك" لذلك عدت من الأواني المحرمة الاستعمال[314] لأن ملة "طاووس ملك" مؤمنة وملتزمة بتعاليمه ويعد كل مخالف لشريعة اليزيدية وأعرافها هذه أعلن إسلامه[315].

---

[309] FURLANI (G), op. cit, P 173

[310] سورة المائدة: 95 ـ 97 ؛ الحج (22): 29، 33.

[311] شلحد (جوزيف). المرجع السابق، ص 140 ـ 159.

[312] FURLANI (G), op. cit, P 174

[313] FURLANI (G), op. cit, P 174، MASSIGNO (Louis), La passion de Husayan Ibn Mansour Hallaj, T. II, P 38؛ الأمين (د. محمود). المرجع السابق. ص 228؛ التونجي (د. محمد). المرجع السابق. ص 89، 104.

[314] FURLANI (G), op. cit, P 174

[315] التونجي (د. محمد)، المرجع السابق، ص 104.

كذلك حرم على اليزيدية استعمال أدوات غيرهم كالملعقة وأشياء أخرى فقد جاء في مذكرتهم للسلطات العسكرية العثمانية: "على اليزيدي ألا يأكل بملعقة مسلم" وإن أكل أو شرب بملعقة مسلم أو غيره عد كافراً. كذلك موسى الحلاقة، المشط وكأس النصارى والمسلمين واليهود إلا إذا طهرت بمياه زمزم في لالش[316].

كما أن البصاق وبعض حركات اليد الدالة على التحقير أو المؤذية لطاووس ملك محجرة على اليزيدية[317] ولا يمكن لليزيدي أن يضع أثقالاً على الحصان لأنه حيوان نبيل وشبه مقدس[318] ومرد ذلك ربما لأن الأحصنة كانت تحت رعاية النبي الحكيم زرادشت[319] أو لأن البراق الذي عرج بالنبي محمد إلى السماء شبيه بالحصان لذلك وجب إكرام الحصان[320] وعملوا على الحفاظ على نسل هذا الحيوان بعدم تهجينه ومنع أي عملية جماع بين الحمار وأنثى الحصان وتعتبر هذه العملية "إثما"[321].

وقد تم تحريم حلق الشارب أو قصها بالمقص إلا أن تخفيفها لا مانع فيه بخلاف اللحية التي يفضل حلقها أما الشيوخ ورجال الدين فلا يجوز لهم حلق أي شيء (انظر صور رجال الدين اليزيديين). لذلك لا يجوز لهم حلق لحيهم عند غير اليزيدي ولا أن يحلق بموسى حلق بها غيره[322].

---

(316) المذكرة (العريضة) البند XII: عن الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ملاحق. ص 223، FURLANI (G), op. cit,P 101، السحمراني (د. أسعد). المرجع السابق. ص 91 - 92.

(317) FURLANI (G), op. cit, P 168

(318) التونجي (محمد). المرجع نفسه. ص 104، FURLANI (G), op. cit, P 163

(319) OLMSTEAD (A.T), op. cit., P 94

(320) فالعرب عملوا على إكرام الحصان لأنه أحسن الحيوانات شكلا بعد الإنسان وأرشد الدواب عدوا وذكاء وله خصال حميدة وأخلاق مرضية. ومن الخيل ما لا يبول وما يروث ما دام الراكب عليها، القزويني. عجائب المخلوقات. ص 322.

(321) FURLANI (G), op. cit, P 162

(322) العريضة. البند XII. XIII ، الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 143. التونجي (د. محمد). المرجع نفسه. ص 104. FURLANI (G) op. cit, P 162

وإذا تتبعنا أشكال سلوكاتهم نراها جد غريبة حيث ما جاء في البندين XII و XIII نراه ضرباً من التشدد والتقوقع على النفس في عدم التعاطي مع الأدوات الشخصية لغيرهم وهذه عنصرية مفرطة بسبب أنهم يرون أنفسهم أبناء آدم من شيت ابن الجرة. بينما بقية النحل أبناء حواء وآدم فقط.

وسبب ذلك ربما يعود لفكرتهم العنصرية بالمحافظة على انغلاقهم كما جاء في كتاب الجلوة "يا أيها الذين اتبعتم وصاياي انكروا أقوال وكل تعاليم التي ليست من عدي ولا تذكروا اسمي وصفاتي لئلا لا تذنبون لأنكم لستم تدرون ما يفعلون الأجانب"[323]. وهم من ملة طاووس ملك وهي ملة اليزيدية المفضلة عند الله[324].

وحسب ما جاء في عقائدهم أن أعظم تدنيس لطاووس ملك مماثلته بالشيطان إبليس. وذلك أن الملك طاووس حسب اعتقادهم ليس بشيطان وأي إشارة، حتى وإن كانت غير مباشرة إلى الشيطان يرونها إهانة لإلههم وبذلك لهم الحق الديني في قتل كل من ينطق باسم الشيطان إبليس "أهريمان"[325]. لذلك نجدهم يطمسون أي كلمة لها علاقة بالشيطان أو إبليس أهريمان فعديد الكلمات محرمة دينيا بنص مصحف رش "ما يجوز أن نلفظ كلمة شيطان لأنه اسم إلهنا، وكل اسم شبيه بذلك. مثل قبطان وشط، وشر. ولا لفظة ملعون. لعنة، نعل وما أشبه..."[326] وقد ذكر "Furlani " أن ورود "بما أنه اسم آلهتنا"[327] يعود إلى فهم خاطئ نسخه أحد النصارى "محرري الكتب اليزيدية المقدسة" أو تم إدماجه في النص الديني عن طريق ناسخ نصراني. قد تذكر بعض الوصايا العشر[328].

---

[323] الفصل الرابع: الآية 8.

[324] مصحف رش: XIV.

[325] FURLANI (G), op. cit, P 155

[326] مصحف رش: XXIV، العريضة. "المذكرة" البند X؛ عن الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 223.

[327] FURLANI (G), op. cit, P 155

[328] FURLANI (G), op. cit, P 155

كما أورد ليارد "Lyard" عندما حضر حفل ميلاد ولد لأحد رؤساء اليزيدية الروحانيين في منطقة... أنه رأى صبياً يصعد فوق الشجرة فقال ما لهذا الشيطان فاستحيى من ذلك في حضور عموم اليزيديين[329].

وقد تحدث إسحاق برطلي طويلاً عن هذه المحرمات فقال إنها ليست كلها صحيحة ومع ذلك حرمت كلمة (الشيطان) احتراماً لإلهنا، وكذلك حرمت الكلمات التي تشابه اسمه "قبطان، شط، بط...نعل"[330]، ويتحجج اليزيديون بأن أصحاب الديانات السماوية الثلاث يذكرون جهاراً اللعن لذلك عدواً من الملعونين بسبب غضب "طاووس ملك" عليهم[331]. لذلك حرمت قراءة كتب هذه الملل "اليهود، النصارى، الإسماعليين" (المسلمين: أبناء إسماعيل بن إبراهيم). بل ويتهمهم اليزيديون بالتحريف والزيادة في كتبهم المقدسة وأن الإسماعليين (أي المسلمين) هم الذين أدخلوا الكلمات "المخجلة" (لعن، رجيم، لعين، شيطان، إبليس وكلمات أخرى" وأن الأنبياء أبرياء مما نادى به أتباعهم من بعدهم[332]. لذلك نجد بعض الباحثين يذكرون أن مصحف رش الكتاب الأسود اليزيدي هو نفسه القرآن ولكن محيت منه الكلمات المخجلة ووقع المحو بشمع النحل[333] وهذا الذي أورده الباحثون خطأ (سنراه في باب كتبهم المقدسة) لأن اليزيدية لا تعترف بالقرآن وإن وجدت آيات قرآنية أو غيرها فإنها تأثيرات الطريقة العدوية وهي طريقة صوفية مسلمة وكذلك تأثيرات الجوار حيث نجد في بعض القرى التي فيها تعايش مشترك إسلامي مسيحي أن المسيحي يورد ألفاظ "صل على النبي" أو "يا حاج" أو حتى طريقة التسليم.

ومن هنا نستطيع القول أن سبب تحريم ذكر الشيطان وكل الألفاظ التي تعتبر إهانة أو سباً له أو ما يماثل حروفه ولفظه تدل بشكل شبه قاطع على

---

(329) LAYARD (Henry), op. cit., P 226 - 229

(330) FURLANI (G), op. cit, P 155

(331) FURLANI (G), op. cit, P 156

(332) FURLANI (G), op. cit, P 156

(333) FURLANI (G), op. cit, P 156

بقايا معتقدات قديمة ذات صلة "بالطوطمية" في هذه الديانة. لأن طوطمهم الأعظم وإلههم الأكبر ممثل في شخص "طاووس ملك" المطابق في أغلب التفسيرات للشيطان إبليس عند أصحاب الديانات السماوية. لذلك يعد اليزيديون أنفسهم ملته المفضلة على العالمين[334] "ملة عزازيل... طاووس ملك ملة اليزيدية"، لذلك نفهم سبب الغضب الذي ينتاب عند شتم معبوده أو إهانة الآخرين له وهو انفعال وجداني يفرض على صاحبه تحريم مس رمزه المقدس بأي وسيلة كانت...

---

(334) الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 141.

الفصل الرابع

أدعية اليزيدية وكتبهم المقدسة

1. أدعية اليزيدية

لئن كان الدعاء في ظاهره نشاطاً لغوياً ألسنياً موسيقياً تتأرجح فيه الأوتار الصوتية بين التوتر والانخفاض، ويعمل الصوت على مجانسة الجانب الوجودي الحسي في الإنسان، فهو في باطنه تنفيس عن الذات ومحاولة إيجاد التوازن النفسي بتحقيق رضا الفرد عن ذاته بتخيله أو بتوهمه أنه حقق رضا الرب عنه أو هو في طريقه إلى ذلك، وهو إلى جانب ذلك يكون حجة على خوف الإنسان، خوفه من المجهول، من القدرات الخارقة التي تتجاوز مستوى تصوره وقدرته، لذلك فهو يميل إلى الخضوع لهذه القوى الميتافيزيقية ابتداء استسلامه وضعفه تجاه هذه القوى .

فلا عجب أن يضع الإنسان إلها لكل ظاهرة من هذه الظواهر بغية التضرع إليه : للمطر، وللنهر... وطلباً للرحمة واتقاء لشرّها[1] وبالتالي الإيمان بالفكر الغيبي والخرافات واللجوء إلى ابتكار أبسط الطرق في مواجهة تلك الظواهر. فكان الدعاء أحد أهم الأسلحة التي أوجدها الإنسان في التعبير عن قناعاته والدعاء يعتبر شكلاً من أشكال الفكر الإيماني / الديني ومدى معرفة جوهر وأساس هذا الفكر الديني ومن أين منبعه، وبالرغم من جمعنا لعدد هام من أدعيتهم باللغة العربية والكردية وما ترجم إلى الإنقليزية من قبل البحاثة الأجانب، ولكن وجد عدد هام من الأدعية ذات تأثير زراعي رعوي حيث أن للمجتمعات الرعوية الزراعية تقاليداً وطقوساً دينية ما زالت سائدة إلى أيامنا

---

[1] ابن هشام، السيرة، ج ا، ص 82، جندي (د.خليل)، "أدعية الأيزيدية" (القسم الأول)، مجلة لالش، العدد ا، 1993، ص 64.

هذه حيث نجد ذبح المواشي والقيام بالموالد والاحتـفالات الدينية عند مواسم الحصاد وكذلك مواسم الحرث والزرع[2] كما هو الحال عند الفرس والأكراد في احتفالاتهم بالنيروز كما مر معنا في أعياد اليزيدية حيث موسم قدوم الربيع، فنجد بداية تكاثر الحيوانات واخضرار الأرض وعودة الروح إلى الطبيعة مجددا[3]. هذا فيما يتعلق بالأرض وخدمتها وما دعاء شد الحزام والفجر ودعاء ترحيل النمل وإغلاق فم الذئب إلا ولها علاقة بالرعي وخدمة الأرض وبذرها وحصادها.

وكما أوضحنا فإن للشمس مكانة عظيمة عند اليزيدية فهي المادة الكونية التي تعطي نورا ودفئاً وحياة بل إن شروقها يبعث الطمأنينة في الإنسان لذلك نجد أن اليزيدية قد كرسوا لها أدعية (الفجر، الصبح، الظهر والمساء والغروب)[4] تتعلق بأوقات الصلوات ومناسبات العبادة. وبحكم متانة العلاقات الاجتماعية بين أفراد القبيلة الواحدة أو مجموعة العشائر الرعوية المتعايشة مع بعضها، فأننا نجد أدعية خاصة بالإصابة بالعين ودعاء النكاح والظاهر أن بعض الأدعية قد استلهموها من أديان وحضارات أخرى خاصة وأن اليزيدية لم تدون تراثها الديني الشفوي إلا مؤخرا، وخاصة بعد إقامة المنطقة الكردية المستقلة في شمال العراق، فقد صدرت مجلة "لالش" باسم مركزهم الديني في "دهوك". ومع ذلك تبقى عديد البصمات الإسلامية في أدعيتهم وأورادتهم الدينية ذات الطابع الصوفي البحت دعاء الفجر فيه مدح صوفي للشيخ عدي بن مسافر: "الشيخ عدي (أدي)، شيخ الحقيقة، صاحب المعرفة يأتي من عندك الضرب والانفعالات والكرامات..."[5].

---

(2) البستاني (كميل أفرام). النصوص الفينيقية في قرية تبية، الجامعة اللبنانية. 1985. ص 124؛ البكر (محمود مفلح). الروح الأخضر. ص 99.

(3) بيضون (وجيه). "نوروز في التاريخ"، مجلة الإخاء. العدد 49. السنة الرابعة. 16 شوال 1383 / آذار 1964. ص 8.

(4) "أدعية الأيزيدية". القسم الأول. ص 65.

(5) "أدعية الأيزيدية". مقتطف من دعاء الفجر. القسم الأول. ص 69.

ومجمل أدعية اليزيدية كما رتبها د. خليل جندي بمجلة لالش كالتالي[6]:

	الاسم الكردي	الاسم العربي
1	دوعـــايا بـــشت كريداتي	دعاء شد الحزام
2	دوعـــايا فـه جرى	دعاء الفجر
3	دوعـــايا سبه يكى	دعاء الصبح
4	دوعـــايا نيقور	دعاء الظهيرة
5	دوعـــايا هيـقـارى	دعاء المساء
6	دوعـــايا شه هداد ينى	شهادة الدين
7	دوعـــايا طاووس مه له ك	دعاء طاووس ملك أدعية تتلى في مناسبات خاصة
8	دوعـــايا بسكى	دعاء اليسك (وضع رمز على الأتباع)
9	دوعـــايا سفرى	دعاء المائدة
10	دوعـــايا ئيسكامه مكى زنكى	دعاء ألام ثدى المرأة
11	دوعـــايا نيشادانى	دعاء ألام السن
12	دوعـــايا كيماهه يقى	دعاء ضربة القمر
13	دوعـــايا زه زنكى	دعاء أمراض الكبد
14	دوعـــايا نه زه رى	دعاء الإصابة بالعين
15	دوعـــايا زك ئيشى	دعاء آلام البطن
16	دوعـــايا ستيراده مبلقابى	دعاء نجمة الصبح عشتار
17	دوعـــايا دوبشكى	دعاء العقرب
18	دوعـــايا كريدانا ده قى كوركى	دعاء إغلاق فم الذئب
19	دوعـــايا برنا كيركيراتكى	دعاء ترحيل النمل
20	دوعـــايا ته مامتيا شيخادى	دعاء إكمال الشيخ أدى
21	دوعـــايا مه هرى	دعاء عقد النكاح
22	دوعـــايا ئوغرى	دعاء نية السفر

(6) "أدعية الأيزيدية". القسم الأول. ص 64 ـ 65

ومن يطلع على الكتب المأثورات الإسلامية، ككتاب دلائل الخيرات أو السعي إلى الآخرة لأحمد بن الحاج صالح باباى، سوف يجد أدعية مأثورة عن الرسول في عديد الأبواب التي تطرقت إليها أدعية اليزيدية فنجد أدعية خاصة بالنوم والصباح[7] كما نجد أوراداً خاصة باليوم والليلة وهي تتبع شيخ الطريقة ومريديه وتتصل كذلك بنظم القطب الأكبر كما هو الحال عند القادرية مثلما تأثرت بعد ذلك العدوية، ومن ذلك، بعض الأدعية.

فقد نقل ابن العماد الحنبلي، عن أبي المقرئ المعروف بالمدوّخ في وسياته الجامعة

بجاه عدي ذلك ابن المسافر — به تسكن الأمواج في لجج البحر
وإن قلته لليث لم يخط خطوة — ولا الشبر من قاع ولا بعض من شبر[8]

بينما نجد في بعض أدعية اليزيدية، خلفاء الطريقة العدوية فيما يتعلق بميراثهم الطرقي وفي سدنة ضريح الشيخ عدي ومقامات الصلحاء في منطقتهم. ونجد تأثير ذلك في بعض أدعيتهم: "نظر الشيخ أدي (عدي) إلى العظيم تنور وانبهر العظم من الكرامة عمل إلهي بشفقته ورحمته... الشيخ أدي شيخ مقبول، زين العظم الغليظ، يشيع الشفاعة والمحبة والنور من مجلس الشيخ أدي ..."[9].

ومن هنا تبين لنا جلياً أن هذه النِحلة لها صلة قوية بالحركات الصوفية خاصة في الأوراد والصفات التي يطلقونها على شيخهم والشيء نفسه نجده عند القادرية[10]. وفي أدعية اليزيدية تبتدئ بعضها بكلمة "آميـن" السامية ونجدها في جميع الديانات السماوية، ولكن أصولها ذات منشأ رافدي قديم

---

[7] باباي (أحمد)، السعي إلى الآخرة، الشركة التونسية للتوزيع 1982.

[8] المصدر نفسه، الجزء الرابع، ص 179.

[9] "أدعية اليزيدية"، القسم الأول، ص 69 ـ 70.

[10] الجيلاني (الشيخ عبد القادر)، الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، جمع وترتيب الحاج إسماعيل بن السيد محمد سعيد القادري، المكتبة الثقافية، بيروت / لبنان، 1408 هـ / 1988م، ص 32.

تمتد إلى الفترة السومرية وهي تعنى بالكردية "سيٌ بيتو" أي الآلهة أو الملائكة السبعة وهذا هو المعنى باللغة السومرية[11]. وفي الإسلام تسمى سورة الفاتحة السبع المثاني وفي نهايتها نقول آميـن[12] وهذا التواصل بين الماضي السحيق جدا والحاضر المتقدم بل بين الموروث الوثني كما يعتبره أتباع الديانات السماوية والدين القويم الذي نحن عليه وفي الحقيقة فإن تطور وتلاقح التراث الإنساني المشترك لا يفسر إلا بتواصل الإنسان مع جذوره، فلو تقيد بالنظر إلى المذهبية وحدها لما تمكن من الوصول إلى تنوع كبير في العادات والأعراف[13].

ومصادر هذه الأدعية مختلفة كما ذكرت في الأول وأهمها كتاب: "نقيزين ايزيدييان". (مطبعة الترقي دمشق 1933)، وقد ترجم هذه الأدعية البحاثة عبد الرزاق الحسني في كتابه "اليزيديون في حاضرهم وماضيهم". المطبعة العصرية، صيدا / لبنان 1968 م، وكذلك مجموع أدعيتهم التي نشرتها مجلة لالش على جزئين في الأعداد الأول والثاني والثالث من هذه المجلة وقام بنشرها الأستاذ الدكتور خليل الجندي وهو من يزيدية العراق. وهذه المجموعة مختارة من الأدعية والصلوات اليزيدية التي عملت على جمعها وترتيبها من هذه المصادر المختلفة. وقبل إيراد بعض الصلوات والأدعية اليزيدية نشير إلى أن التأثيرات الزرادشتية موجودة في بعض من هذه الأدعية، ففي دعاء الصباح اليزيدي نجد عديد الفصول متشابهة تماماً مع الترنيمة الخمسين من ترانيم النبي زرادشت، ففي المقطع السادس من دعاء الصباح "يـا رب إنك رب السماء ورب الشمس والقمر، رب الأنهر والوديان، يا رب إنك رب العطاء"[14] ونجد في الترنيمة الخمسين المقطع العاشر " كل ما سأفعل وكل ما فعلت قبل الآن... والأشياء التي تبدو ثمينة للعين

---

[11] "أدعية اليزيدية"، القسم الأول، ص67.

[12] ابن كثير، تفسير القرآن، ج ا، ص 8.

[13] شلحد (يوسف)، المرجع السابق، ص 7.

[14] نقيزين ايزيدييان (أدعية اليزيدية)، مطبعة الترقي، دمشق، 1933، ص 5، "أدعية اليزيدية"، القسم الأول، ص 72.

بواسطة العقل الخير. ضوء الشمس والفجر المتلألئ للأيام... جميعها لأجل مديحك أيها الرب الحكيم كعادل وحق"[15].

ويمكننا مقارنة دعاء طاووس ملك[16] بالترنيمة الرابعة والثلاثين[17] من ترانيم زرادشت ففي كلا الصلاتين تمجيد وتسبيح لطاووس ملك ولأهورامازدا إلـه الخير.

وهذه أهم الأدعية التي اخترناها كنموذج:

▪ دوعايا بشتكر يداني "دعاء شد الحزام"[18]

عندما يستيقظ اليزيدي من نومه أثناء شد (الحزام) "شوتك" للخروج من أجل طلب الرزق في خدمة الأرض يكون دعاؤه التالي:

1) الهـــي اطلب منك الرحمة
أطلب بالخير المرحمات التالية:
أحدهم الكرامة
لشفقة
اللسان والنطق
الدين والإيمان
العقل والفهم
2) الـــهى زودنى بالعقل والفهم
واسأل عن وضعنا ووضع قومنا خيرا
3) الـــهي من أجل خاطر دليل الخليل
الاى دليل
آخر الزمان
حسن زرباب الصالحين المؤمنين
ذلك السر المخفي عند جسر الصراط
ذكرى دندل الرحمان
وأسود البرليم

---

(15) ترانيم زرادشت. ص 33.

(16) سليمان (خدر) وجندي (خليل). الأيزيدية في ضوء بعض نصوص الديانة الأيزيدية. مطبعة المجمع العلمي الكردي، بغداد 1979. ص 24- 26، "أدعية اليزيدية". القسم الثاني. العدد II-III من مجلة لالش. 1994. ص 142 ـ 144 ←

(17) ترانيم زرادشت. الترنيمة XXXIV. ص 47 ـ 50.

(18) "أدعية الأيزيدية". القسم الأول. ص 68.

▪ دوعايا فه جرى "دعاء الفجر"[1]

1) مدحنا وثنائنا للمير والملاك
الصالحين وسط القبب
إنبلج النور في الغسق "الفجر"
2) ظهر نور الفجر.
ركب فرس "بور" العبادة
ليت للشخص الواقف حقا. مئة مرة
3) المفاتيح بيد العشاق والمعشوق
نحن نطلب منهم مرادنا
وهم يطلبون مرادهم من الحق "الله"
4) يا رجال الصباح. صباح الجديد
يا ملكك الشهيد يا نفس سلطان ايزيد.
احد لحد ما يريد وأنت الشيخ أنا المريد.
انا راضي كما أنت تريد. مفرنا سلطان ايزيد
5) يا رجال الصباح. صباح المشوقين
تاجك من الأول حتى الآخر
أعط الخير. وأقلب عنا الشر.
الحق الحمد الله يا رب العالمين.
6) فقير العالي. الشخص الوحداني
يا رب تقبل دعائنا من دعاء المؤمنين الصالحين. الكهنة المخيفين على أبواب الأولياء
اللهم آمـين

7) الشيخ ادى شيخ الحقيقة.
صاحب المعرفة. يأتي من عندك الضرب والانفعالات والكرامات.
8) الشيخ ادى. شيخ كامل.
وضع المعرفة والطريقة
يحبونك الأرض واسماء
9) الشيخ ادى شيخ وأكثر. وهو نور عيني. تحكى عنه أوصاف عديدة.
10) قبل الشيخ ادى بملك شيخ سن شيخا له. وزين له العرش والكرسي.
هلهل لهما الملائكة والأولياء في السماء
11) نظر الشيخ ادى إلى "العظم"
تنور وانبهر العظم من الكرامة
عمل الهي بشفقته ورحمته
12) الشيخ ادى شيخ مقبول
زين العظم الغليظ
يشيع الشفاعة والمحبة والنور من مجلس الشيخ ادى
13) الشيخ ادى شيخ الكاف (الكهف)
يبدأ أوله بالألف. اسم الله في اللوح المحفوظ
14) كرم الشيخ ادى. الشيخ بركات بذلك النور
بسبب ذلك طار للسماوات

---

[1] المرجع نفسه. ص 68 ـ 70.

▪ دوعايا سبه يكي "دعاء الصبح"[1]

عند بزوغ الشمس يكون الأيزيدي ـ كما يودون أن يتسموا ـ قد نهض من نومه وغسل وجهه ويديه بالماء ويشد على بطنه ما يشبه حزام "شوتك Shutik" ويضع شيئاً على رأسه وبعدها يتوجه منتصباً بكل شوق وأمل كبيرين إلى جهة الشرق حيث شروق الشمس. واضعاً يديه على بعضهما في مكان منزوي بعيداً عن الناس منحنياً بكل تبجيل في حضرة الشمس مردداً دعاء الصبح، وبعد الانتهاء منها يركع على الأرض يقبلها ثلاث مرات عوضاً عن الشمس ماسحاً كلتا يديه على جبينه. وإذا كان رجلاً (على لحيته وشاربه) شاكراً إلـه الشمس (الرب) داعياً منه الرحمة والأمان والخير ليس له فقط بل لملته الأيزيدية. لكل الناس الطيبين، وفيما يلي النص:

يشكا ئيكى " القسم الأول "
1) آمـين . آمـين
تبارك الدين
الله أحسن الخالقين
بهمه شمس الدين
فخر الدين ، سجادين
ناصر الدين . بابادين
شيخ شمسى قوة الدين
السلطان شيخ ادى تاج من الأول حتى الآخر
حقاً الحمد لله رب العالمين
اعطى الخير واقلب عنا الشر
نطلب الرحمة
من عطف ورحمة الشيخ ادى

سوف نقبل أيادي الشيخ شمس
ونطوف حوله
بدلا من كعبة الله والحج
8) من العمود إلى العمود
الشيخ شمس صاحب المعرفة والأركان
والعرفان
9) ما بين العين والفم
يتجلى فيه طبع الشيخ شمس
لا نستطيع النوم من شدة حرارة
ميدان العظماء
10) من الرأس حتى أخمص القدمين
طرزتنا ووضعتنا أيها الشيخ شمس
في مفترق الطرقات
نحن لا نقطع الأمل عن الشيخ شمس

---

[1] أدعية الأيزيدية". القسم الأول، ص 70 ـ 72.

ورضا الملك شيخ سن
وكرم الشيخ شمس
بشكا دووى " القسم الثاني "
5) سبحانك أيها الخالق
شفق النور من النور
حضر الملاك أمامه
6) من البيت إلى البيت
الشيخ شمس صاحب (السيقال)
لا يفارق الشيخ شمس خيالنا
7) بين الدرج والدرج
الشيخ شمس صاحب الفرج

لأنك أنت الذي دعوتنا لهذا الإيمان
السني كونه سينا
فقراء متعبدون،
نضع أملهم بالشيخ شمس
11) السنة كونها سنة
فقيرة لا حول لها.
نضع أملها في الشيخ شمس
دعائنا من دعاء :
الكاهل المركة "بابا شيخ"
"قوال" الشيخ ادى
الدعاء مقبول لهيرلبن

■ نقيزا سييده يى "دعاء الصباح"[2]

باسم الله "يزدان" المقدس الرحيم الجميل
1) الـهي لعظمتك ولمقامك ولملوكيتك
2) يا رب أنت الكريم الرحيم الإله،
قلك ملك الدنيا
مملكة الأرض والسماء، ملك العرش
العظيم
3) يا رب إنك أزلي قديم،
يا رب إنك حتى الأبد أمنية الروح
يا رب إنك ملك الإنس والجن
ملك الكرسى والعرش

6) يا رب إنك رب السماء
رب الشمس والقمر
رب الأنهر والوديان
يا رب إنك رب السخاء
7) يا رب إنك أنت الغوث وأنت المدد
لا لون لك ولحن،
لا صوت لك ولا كف.
يا رب لا يدري أحد كيف أنت؟
8) يا رب! أنت أحد كيف أنت؟
ومعطى القوت،

---

(2) نقيزيان ايزيديان، ص 5؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 178 ـ 179؛ أدعية الايزيدية، ص 72 ـ 73.

4) يا رب إنك الصمد. أنت الظاهر والمخفي
5) يا رب أنت الصمد الحي المجيد
الواحد الوحيد. الذي لا مثيل له.
إنك أنت الجدير بالثناء والمديح

أنت الحليم والملكوت.
يا رب أنت خالق الفقراء والملوك
يا رب أنت الدائم الموجود. أنت دائم
أنت الدائم الموجود!

▪ نقيزا روزهلاتي "صلاة الإشراق"[3]

باسم الله "يزدان" الرحمان الرحيم الجميل
1) يا رب إنك أنت الموجود وأنا المعدوم
أنت الغافر للذنوب.
أنت الإله الحق. وأنا الأسير "العبد"
2) لا حركة لك. كم عظيم أنت
لا قامة لك. لكنك رفيع.
لا صوت لك. لكن صوتك معروف
3) مكانك في كل مكان.
أنت خالق العالم كله.
أنت الذي وهبت آدم
أنت الذي جعلت هذا العصر عصرنا
4) أنت لا تتكلم يا رب كما نتكلم نحن
ولا تعمل مثلما نعمل.
يا رب أنت ولي فروض الصلاة.
يا رب إنك تميز روحاً عن روح
وأنت تنتزع الأرواح من الرؤوس
5) يا رب أنت لست قليل الإدراك مثلنا
نحن إنك توحى بالأرواح فتحل الأجساد

6) يا رب إنك أنت الإله. أنت الملك.
أنت أعلم العلماء
ملك الملوك
7) إنك لا تأكل ولا تنام.
ولا صوت لك
أنت رب الحرم ورب الحجاب.
مكانك في كل مكان
8) أنت الإله وأنا المبتلى بالأسقام.
أنت الغفور الرحيم
كفوء للمديح والإجلال
لا يعرف أحد كيف أنت
9) أنت الداء وأنت الدواء
أنت ملك الملوك والفقراء
10) أنت ملك العرش والكراسي يا رب
أنت خالق الثور والسمكة
11) بحق اسمك يا رب تفقد أمور كردستان
وحال الأيزيديين في الشرق والغرب

---

(3) نقيزيان ايزيديان. ص 6؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 178 ـ 179؛ أدعية الايزيدية. ص 73 ـ 74.

▪ باشنقيز "دعاء بعد الصلاة"[4]

دلوقان ومهره بان
1) آمــين، آمــين، آمــين
يا اله معين الدين
يا الـه امنح الخير واطرد الشر
شمس الدين، فخر الدين
آمادين، ناصر الدين
3) أيها الحق أنت الملك
مالك الشمس والقمر
رزاق الإنس والجن
رب عالم القدس
خالق الإنس والجن
3) يا شرف الدين صاحب الجدائل الكثيفة
هات بالبشرى إلى كردستان
ليفتحوا سجل الإيمان
شيخ شمس، شمس الايزيدية
شرف الدين أمير في الديوان
4) لتعم الفرحة والبهجة كردستان
سوف تسدد طلقات المدافع صوب تركستان
فليرفعوا العرش إلى كردستان
وسوف يقع البلاء على عربستان

▪ دوعايا نيڤرو "دعاء الظهيرة"[5]

بما أن الأيزيدي يتوجه في دعائه إلى الشمس شرقاً وغرباً في الصباح والمساء، فإنـه في الظهيرة عندما تكون الشمس في منتصف السماء على رأس المتعبد يتوجه نحو "لالش" أقدس مكان لدى الأيزيدية ويقول الدعاء التالي:

1) يا رب من أجل خاطر عمود الأرض والسماء
ليلون القدر وسورة الرحمــان
أبحث لنا الدعم من العوائل الأربعة.
2) يا رب من أجل خاطر ثور أسفل الدنيا،
والسمكة الوحيدة،
وكرم صاحب الخيمة المنصوبة على قلعة دنكز
يا رب ابحث لنا والسنة رزقا من خزينتك الغيبية
6) يا رب بحق طاحونة المحبة
وبحق سبع أبواب الغيبة
وبحق مفاتيح المعرفة الأربعة،
يا رب اسأل عنا وعم السنة بالخير
7) يا رب بحق رجل الضحى
وكرامة الحجر الأسود في الكعبة
يا رب انقذونا والسنة من القضاء والبلاء

---

(4) نقيزيان ايزيديان، ص 8؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 180 ـ 181، أدعية الايزيدية، ص 74 ـ 75.

(5) "أدعية الأيزيدية"، القسم الأول، ص 75 ـ 76.

يا رب ابحث لنا الدرويش الجالس في كهف زمزم

3) يا رب الحق ذلك السر الذي ظهر في الصومعة بين الرجال

الذي جعل من نفسه ابن الشيخ ادى في الكهف

يا رب اغفر لنا والسنة ذنوبنا مع الوالدين

4) يا رب من أجل خاطر شيخ سن الاديباني

الذي ضحى بنفسه من أجل السنة

يا رب ابحث لنا والسنة، رزقا من خزينتك العلوية.

5) يا رب من أجل خاطر شيخ السنة وجميع الأولياء والمؤمنين الذين يؤدون لك الطاعة والعبادة

8) يا رب بحق ذلك الفارس الذي امتطى وسط النهار

وأتى من الشرق، ذاهباً إلى الغرب

يا رب، اغفر لنا وجميع السنلا ذنوبنا

9) يا رب بحق سر (جرفتا) الأربعة وكرم الملائكة السبعة

يا رب ما نطلبه منك: الدين والإيمان وليس الدولة

10) يا رب بحق الليل والنهار.

وبحق الجنة والجهنم.

يا رب اذكر اسمنا واسم السنة في مجلس أوليائك ومؤمنيك في العلى

يا رب أنت الدائم الموجود، أنت دائم موجود، أنت الدائم الموجود

■ دوعايا هيقاري "دعاء المساء"[6]

عند المساء كما هو الحال في الصباح، يتهيأ الإنسان المتعبد بعد أن يغسل يديه ووجهه ويضع حزاماً على بطنه وغطاء على رأسه (الجمداني - الفطرة - العرقحين...) يتوجه إلى الغرب حيث مغيب الشمس واقفاً بكل إجلال أمام أطهر مادة في الكون ويتلو الدعاء التالي وفي حالة الانتهاء يركع على ركبتيه مقبلا الأرض ثلاث مرات، شاكراً الله وإله الشمس والملائكة طالباً منهم الرحمة والرزق والأمان وغفران الذنوب، علماً أنه نادراً ما نجد الدعاء الجماعي أو حتى الزوجي فكل واحد يؤدي دعاءه بشكل انفرادي في ركن من أركان بيته أو محل تواجده بعيداً عن أعين الناس. وفي مايلي نص الدعاء:

---

[6] سليمان (خدر) وجندي (حليل)، المرجع السابق. ص 29 - 31؛ "أدعية الأيزيدية"، القسم الأول، ص 77 - 79.

1) يا فارس للشرق الشمس ويا فارس مغيبها، بحق الأم وابنتها
أنقذونا من البلاء والمصائب والغلاء
أيها الشيخ شمس، اسأل عن وضع عائلتكم ووضعنا
هذه المرة
2) بحق العرش والكرسي
الثور والسمك
آية الكرسي
أيها الشيخ شمس، اسأل عن وضع عائلتكم ووضعنا أيضا
3) بحق اللوح والقلم
آدم وحواء، عيسى ابن مريم
أيها الشيخ اسأل عن وضع عائلتكم ووضعنا في جميع الأوقات
4) بحق الفلك والمجرة (الدوران)
الحوريات والملائكة،
سر طاووس ملك والطبقات أربعة عشر.
أيها الشيح شمس، اسأل خيرا
لعائلتكم ولنا كذلك
5) بحق الجنة والشجرة،
الكهف والمغارة
سر ايزيد وبيت الفار
أيها الشيخ شمس اسأل خيرا
لعائلتكم ولنا هذه المرة
6) بحق الدرة وبحق الكأس
والكاهل ذو السر المخفي عند معبر الصراط
أيها الشيخ شمس اسألوا عن عائلتكم وعنا أيضا
7) بحق الدرة البيضاء
8) بحق الدرة الحمراء
ايزيدين الأمير
وقبة البدور
أيها الشيخ شمس ليسمع الملاك الأعلى مناجاتنا
9) بحق الدرة الصفراء
التراب والماء والنار
الأرض والسماء والحجر
ايزيد الأمير والأسراء الأربعة
أيها الشيخ شمس لبوا مناجاتنا
10) بحق سوق المعرفة
والرجل (أو الأمير) الذي يؤدي واجبه أمام الدهر
والدرويش الذي يتعبد ليل نهار
والفرائض الخمس :
الشيخ والبير، الصانع والمربي
الخلان وإخوان الآخرة
أيها الشيخ شمس كونوا لعائلتكم ولنا مفرا هذه المرة
11) بحق دعاء العارفين
ورهبان الأ ديرة
أيها الشيخ شمس انظروا كعائلتكم ولنا بعين العطف
12) بحق كرسي الرحمان
ملك الجان
بحر قدس الجان
أيها الشيخ نطلب منك الدين والإيمان
13) بحق عزرائيل، جبرائيل، ميكائيل شفقائيل، دردائيل، عزافيل، عزازيل

الملاك القديم
سر ايزيد
إليها الشيخ شمس ادعوا وترجوا لعائلتكم
ولنا في ديوان السلطان شيخ ادى

الملائكة السبعة الكبار
في أياديهم المفاتيح والأقفال
واقفون هم أيضاً في حضرة الملك الجليل

■ شه هدا ديني "شهادة الدين"[7]

النص الأول

1: أشهد أن لا الـه إلا الله، ملك شيخ سن حبيب الله. مقلوب والمركة "الميركة" صلوات الرجال على مقلوب والميركة على "براهما" والقبتين. إلى تلك الأرض الأرض التي يتوجه إليها الايزيديون إلى الشيخ آدى للسجود والعبادة.

2: السلطان آدى ملاكي. الشيخ أبو بكر مولاي. السلطان ايزيد ملاكي، ييرى حاجي مهمد. مربي الشيخ مهمد. أشهد وأؤمن بطاووس ملك. العين البيضاء "كايناسيي" مكان تعميدي، الكهف والمغارة والزمزم مكان الحج، قبة البدور قبلتي. الملك شيخ سن "أبي السلف" شيخ موسى الصور "الأحمر" صاحبي. الشيخ شمس مذهبي ونور عيني.

3: الحمد لله من أديان فرقنا من الكفار والروافض. ووضعنا في قسم السنة

4: نشكر الأمراء فرقونا من الكفار والخنازير ووضعونا على قسم الشيوخ والأيبار

5: نشكر الشكر فرقنا من الكفار والشريعة وجعلنا محسوبين على شيخ السنة

6: نحن ايزيديون بإرادة الله. ونحن على اسم السلطان ايزيد الحمد لله، رضوان نحن بديننا وطريقتنا.

النص الثاني

1: أشهد أن لا الـه إلا الله، ملك شيخ سن. حبيب الله. مقلوب والمركه، صلوات على المقلوب والمركه على لالش وأصحاب القبة على تلك الأرض، الأرض التي يتوجه
إليها عموم الأيزيدية إلى الشيخ آدى للسجود والعبادة.

---

[7] سليمان (خدر) وجندي (حليل). المرجع السابق. ص 35 ـ 36؛ "أدعية الأيزيدية". ص 140.

▪ دوعايا طاووس مه له ك "دعاء طاووس ملك"[8]

1: يا رب لعظمتك ولمقامك ولملوكيتك. يا رب. أنت الذي خلقت نفسك بنفسك.

2: يا رب أنت ملك ملك الجان. أنت ملك ملك الكريم. إنك أزلي قديم. إنك حتى الأبد أمنية الروح. يا رب أنت الذي خلقت نفسك بنفسك.

3: يا رب إنك ملك الجن والإنس. ملك العرش والكرسي، إنك الصمد. الظاهر والمخفي. أنت الحي الحميد الواحد الفرد الحميد. يا رب أنت الإلـه.

4: يا رب إنك رب السماء، رب الشمس والقمر. رب جميع "المخلوقات" إنك رب العطاء يا رب إنك خلقت نفسك بنفسك.

5: يا رب اسمك فوق كل الأسماء، كم هو اسمك. كم عظيم أنت...أنت المقدس العالي الشأن، يا رب إنك خلقت نفسك بنفسك.

6: يا رب أنت خالـق الحوت وأنت معطي القوت. أنت الحليم والملكوت، أنت عالم العلماء يا رب إنك خلقت نفسك بنفسك.

8: يا رب لا لون لك. ولا لحن لك ولا صوت. أنت الغوث وأنت المدد. يا رب لا يدري أحد كيف أنت؟

9: يا رب أنت ولي الصلاة. وأنت الذي تعطي الأموال والأملاك يا رب إنك خلقت نفسك بنفسك

10: يا رب أنت حاكم الملوك والفقراء أنت حاكم جميع العالم. أنت الذي وضعت التوبة على آدم. وأتيت بعيسى ومريم، يا رب إنك خلقت نفسك بنفسك.

11: يا رب أنت الرحم وأنت الكرم، أنت الأمين وأنت الصمد، لا شيء نحن، يا رب إنك خلقت نفسك بنفسك.

12: يا رب أنا العليل المريض أنت الدواء إنك أنت الداء والدواء أنت الطبيب. أنت الحكيم. نحن الغرباء، يا رب أنت تعرف أين يكمن دوائنا

13: يا رب أنت أنيس الغرباء، الأسباب والخطايا و "...مشوت؟" عرفناها، جعلناها تحيات و "..." يا

---

[8] سليمان (خدر) و جندي (حليل)، المرجع السابق، ص 24 ـ 26؛ "أدعية الأيزيدية"، القسم الثاني، ص 142 ـ 144.

رب اغفر عنا، يا رب أنت الدائم

7: يا رب أنت صاحب المال والحياء، الموجود، أنت الدائم موجود. أنت مكانك في بقعة وفي كل مكان، يا رب إنك الدائم الموجود.

خلقت نفسك بنفسك

2. الكتب المقدسة

كنّا قد اطلعنا في الفصول السابقة على إظهار اليزيدية لعراقتها ولقدم موروثها الديني واحتكاكها بالأديان السماوية وفي عهد الشيخ المتصوف عدي بن مسافر ذي الأصول الأموية شهدت هذه النِحلة الدينية ارتقاءَ إلي مستوى الحركات والفرق الصوفية المنتشرة بصفة كبيرة بالإضافة إلى انتشار الكتب المناقبية واستفحال نشاط الفكر الكرامي. وبروز الدعاية النشيطة لكرامات المتصوفة خلال القرنين الخامس والسادس وحتى بدايات القرن السابع للهجرة.

فالقرن الخامس عرف بأزمته حيث سيطر السلاجقة الأتراك على بغداد[9] مما ساهم في انتشار التعصّب والخرافات، وفي استغلال ظواهر الشرع في المنازعات الدينية بين الفرق الإسلامية المختلفة وفي معاداة العلماء بعضهم لبعض، وغلبة الظواهر الجافة على الفلسفة والأبحاث العلمية الحرة. واستخدام العلم والمعرفة لغرض المجادلات الدينية[10] وتحديد المسائل العلمية بالأحاسيس المذهبية وقد ذكرنا سابقاً كيف راج التعصب المذهبي بعد تأسيس المدرسة النظامية خاصة[11].

---

[9] ابن الجوزي. المنتظم. ج VIII. ص 164 ـ 212؛ الفارقي، المصدر السابق، ص 152 ـ 160؛ ابن الأثير. المصدر السابق. ج VIII. ص 72 –87؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج II، ص 178؛ ابن تغري بردي. المصدر السابق، ج V. ص 67؛ زكار (د. سهيل). المرجع السابق. ص 179.

[10] أبو الفداء. المصدر السابق. ج II. ص175.

[11] كنا قد أشرنا إلى أن نظام الملك هو الذي أسس هذه المدرسة لفرض المذهب السني (الأشعري) ومقاومة إيديولوجية الدولة الفاطمية بالقاهرة، ابن الجوزي، المصدر السابق، ج III. ص 185، ابن كثير. البداية والنهاية، ج XII، ص 64؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق. ج V. ص 54 ـ 55. زكار (د. سهيل). المرجع السابق، ص 180 ـ 183.

وما ذكر عن القرن الخامس الهجري ينطبق على القرن السادس أيضاً. فالتعصب وضيق الأفق والنفوذ المذهبي ازداد بشدة بالنسبة إلى الفلسفة والعلم. وتوسع رواج الخرافات والجهل والجدل والمشاحنات بين أصحاب المذاهب التي أدت إلى السجن والتنكيل وصولاً إلى القتل[12] الذي طال الجميع بدون استثناء، فاليزيدية (العدوية) في عهد إمامهم حسن شمس الدين تعرضوا للتنكيل من قبل حاكم الموصل. وقد رأينا عبث هذا الأخير بضريح الشيخ عدي وحرق عظامه ومع ذلك يبقى السؤال مطروحاً حول هؤلاء القوم، هل أن لهم كتبا أو وثائق تبين مناسك دينهم؟ وأصول عقيدتهم على مراحل تاريخهم السحيق الذي يرجعونه إلى النبي "شيث"؟ وفي الحقيقة فإن للشيخ عدي ولأفراد أسرته من آل مسافر "دار الزاوية" الذين ورثوا عمهم الشيخ عدي الأول تصانيف في العقيدة والتصوف كما رأينا ولم نعثر على المصادر التي كتبت عن تلك الحقبة أمثال الأمير شرف الدين البدليسي صاحب كتاب الشرفنامة الذي ذكر سابقاً، وقد ربط جذور اليزيدية بمعتقدات إيران القديمة وتحدث عن موالاتهم للأمويين بعد سقوط الدولة الأموية سنة (132 هـ / 750 م) تحت ضربات رايات خراسان السوداء، ولم يذكرأن لليزيدية كتبا مقدسة وأسراراً دينية كتبت كسنن وشرائع لأتباعهم على مدى الدهر. ويزعم البعض أن لليزيدية كتابين مقدسين وزعم البعض الآخر أن لديهم "ثلاثة كتب مقدسة: الكتاب الأسود وكتاب الوحي وكتاب الجلوة[13] بينما يشير البقية إلى أن لهم كتابين فقط هما مصحف رش (الأسود) وكتاب الجلوة، وينسبون الكتاب إلى الشيخ عدي بن مسافر. ولم نجد في أي من المصادر التي كتبت في مناقب الشيخ عدي الأول بأن له كتاباً بهذا الاسم[14] بينما يدعي البعض أن الشيخ حسن شمس الدين يعتبر المنظم والمطور للطريقة العدوية بعد عمه الشيخ عدي الأكبر وأن له كتاباً وضعه في الفترة التي اعتزل فيها

---

[12] أبو الفداء، المصدر السابق، ج III، ص 81.

[13] FORBES (Rosita), op. cit., P 291

[14] الربتكي (الشيخ عبد الله)، فتوى في اليزيدية، نقلاً عن تاريخ اليزيدية لعباس العزاوي، ص 85؛ تيمور (أحمد باشا)، اليزيدية، ص 26. ذكره الباحث كوركيس عواد في كتابه المراجع عن اليزيدية، ص 23.

أصحابه لمدة ستة سنوات[15] بعنوان "الجلوة لأرباب الخلوة" وهو كتاب في التصوف[16] وله تصانيف أخرى في التصوف وبعض الأشعار[17]. ونسب البعض هذا الكتاب لأحد مشائخهم: الشيخ فخر الدين[18] أما مصحف رش فينسبه بعض المهتمين باليزيدية إلى الحسن شمس الدين (المعروف عندهم بالبصري أيضاً)[19]. وقد كتب بعد وفاة الشيخ عدي الأكبر بنحومائتي عام حسب مشهور الأقوال المتواترة[20] ومصحف رش أو"le bible noire" وكلمة "رش" بالكردية معناها الأسود فيكون اسم هذا الكتاب "الكتاب الأسود" و"في كلا الكتابين من التلفيق والخلط ما فيه"[21].

وإلى حد الآن لا نعرف بشكل دقيق ومؤكد مصدر هذين الكتابين ولا التاريخ الذي كتبا فيه. ولكن المتعارف عليه هو عدم وجود كتب مقدسة لهذه النحلة[22]

---

[15] الذهبي. العبر. ج V. ص 183.

[16] ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. ج I. ص 335. وقد ذكرها إسماعيل باشا البغدادي البابإني في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. ج I. ص 364 ـ 365. وعن الجلوة أيضا انظر يوسف إليان سركيس. معجم المطبوعات العربية. ص 527 نقلا عن كوركيس عواد. المرجع عن اليزيدية. ص 13.

[17] الذهبي. المصدر السابق. ج V. ص 183 ؛ ابن شاكر الكتبي. المصدر السابق. ج I. ص 334 ؛ ابن العماد الحنبلي. المصدر السابق. م III. ج 5. ص 229.

[18] تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص 26؛ BOIS (Thomas), op. cit., P 8

[19] المقتطف. "اليزيدية عبدة إبليس". ص 393؛ تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص35؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 51؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 143؛ الجندي (محمود). المرجع السابق. ص 163؛ GUEST, op. cit.,P199

[20] WARFIELD (William), op. cit., P 184 ؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 192؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 51؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص144؛ التونجي (د. محمد). المرجع السابق. ص 135؛ الجراد (د.خلف). المرجع السابق. ص37.

[21] تيمور (أحمد باشا). المرجع السابق. ص25؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 51؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 37.

[22] BADGER (G.P), op. cit., Vol. I, P115 ; WARFIELD (William), op. cit., P 183 ; EMPSON, op. cit., (Part II), P220

والكاتب اليزيدي درويش حسومن الدعاة لعدم وجود آية كتب مقدسة لليزيدية. بل هي إمتداد للزرادشتية وأن الأفستا (الأبستاق) هوكتابهم المقدس[23].

فإن دوّن بعض المستشرقين والرحالة الأجانب من غير المسلمين (طبعاً). في البدايات كل ما شاهدوه. فإنهم يمضون بعد ذلك ليذكروا أنه تم العثور على كتب مقدسة لليزيدية[24]. فقد ذهب البعض منهم أمثال (Richard) إلى مسايرة المزاعم اليزيدية في نسبة كتاب الجلوة للشيخ عدي الأكبر. وأنه قد كتب بيد كاتبه الشيخ فخر الدين وأما مصحف رش فقد كتبه الحسن شمس الدين[25] الذي أدخل عديد الطقوس وعمل على بعث أمجاد الأمويين.

لكن الشيء الغريب هو أن هؤلاء الأجانب يطلقون أحكامهم جزافا وبدون مناقشة. وهم أعلم من غيرهم بأن الأقليات الخارجة عن المألوف والإجماع هي أكثر من غيرها تعرضاً للاضطهاد السياسي والمذهبي المبطن بالدين. وقد تعرضنا إلى الاضطهاد وعمليات القمع وسياسة الأرض المحروقة التي طبقت على اليزيدية في عهد إمامهم الشيخ حسن بن عدي الثاني إلى فترة السيطرة العثمانية للمنطقة العربية وحتى قبيل الحرب الكونية الأولى وبالتالي فقد اضطروا إلى إخفاء أمر معتقدهم وأسرارهم الدينية والحيلولة دون إطلاع الغرباء على أدق تفاصيلها. واليزيديون يعتبرهم البعض من ذوي الديانات ذات الأسرار العميقة أو الباطنية. ومع ذلك نجد نوعاً من البساطة والسذاجة في تصرفاتهم اليومية العادية خاصة فيما يتعلق بأمر تحريم طلب العلم إلا على نفر قليل يعود نسبهم إلى آل شمس الدين أو ما يسمونهم بـ "الملائية"[26] وهم

---

(23) اليوسف (إبراهيم). المرجع السابق. ص 26؛ درويش (حسو). المرجع السابق. ص 9.

(24) WARFIELD (William), op. cit., P 184 ; EMPSON, op. cit.,, (Part II), P220

(25) التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 136؛ EMPSON, op. cit., (Part II) P220-221

(26) العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 182؛

LESCOT (R), Enquête sur les Yezidis, P34 –35 ; "Les Yezidis", P 63 ; OSMAN (Sebri) & WIKANDER (Stig), op. cit., P 117

الذين يعود إليهم أمر الاطلاع على الكتب المقدسة وحفظها دون البقية كما أن القراءة والكتابة ليس مسموحا بها للجميع عندهم.

مع أن بعض الأفراد من طبقة "الملالي" العائد نسبهم إلى الشيخ حسن شمس الدين يقولون بأن كتبهم المقدسة قد سرقت من خزانة الكتب بـ "الشيخان" في مرقد الشيخ عدي بن مسافر حيث مد أحد أبناء عائلة "آل سرسم الموصلية" على عهد عبي بيك بن حسين بيك يده إليها. ووضع في محلها كتاب باللغة التركية في موضوع الجغرافيا"[27].

وهذه المعلومة و إن ذكرت من قبل العلامة الحسني فهي متداولة عند عدد لا بأس به من المسلمين المجاورين لليزيدية. ويعتبرون الأقلية مارقين عن الإسلام بحكم الكفرة فلا تؤكل ذبائحهم ولا يجوز لأي مسلم الزواج منهم. وهذه المعلومات قالها الأستاذ الكردي إبراهيم خليل عيسى خطيب المسجد الجامع بمدينة عفرين غربي حلب الذي أجرينا معه حواراً بتاريخ 1994/2/7 أكد فيه الرواية القائلة بسرقة مخطوطة بخط الشيخ الأكبر من خزانة الزاوية من قبل نصارى مركز نصيبين البستري[28] ولم يحدد تاريخ عملية السطو. ووضع بدلاً عنه كتاب لإضلالهم.

وتؤكد عديد الدراسات العربية والغربية أن الكتابين اللذين ينسبان لليزيدية قد وضعا لإضلالهم وواضعهما من المناوئين لليزيدية[29].

---

27. الحسني عبد الرزاق. المرجع السابق. ص 52 ـ 53.

(28) في الحقيقة لا نستطيع اتهام أي طرف ما لم تكن عندنا أدلة دامغة. والتهم التي تطلق عشوائيا على المبشرين النصارى واليهود قد أعطت هؤلاء الناس حجماً أكبر من كل نشاط أو عمل قاموا به بغض النظر عن أعمال هذه الإرساليات التي غلب على نشاطها أعمال إنسانية مرفوقة بدعاية سياسية لمشاريع تخدم دولهم ومن جملة هؤلاء المبشرين نجد ميشال فابر Mcihel feber الذي أرسلته الكنيسة سنة 1667م وكتب عن بعض اليزيدية جبل سمعان وجبل الأكراد في مناطق قضاء حلب. BADGER . G.P. , P115.

(29) أحمد تيمور باشا. المرجع السابق. ص 24 ـ 25؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 183 ؛ الحسني (عبد الرزاق). "اليزيدية". مجلة الإسلام. العدد الثالث. السنة السابعة 1955/1374. ص 284 ـ 285؛ اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 51؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 143 ـ 145؛ الجندي (محمود). المرجع السابق. ص 162؛ مينورسكي (ن.ف). الأكراد. ملاحظات وانطباعات. ترجمة د.معروف خزنة. دار إصدارات رابطة كاوا. لبنان 1987. ص 75؛ اليوسف (إبراهيم). المرجع السابق. ص 26-27؛ التونجي (د. محمد). المرجع السابق. ص 135؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 37.

ويؤكد زعيمهم الديني "نريدخان" أن "مصحف رش" الذي خطه الشيخ عدي الأكبر على جلد غزال[30] بخط يده وقد ظل هذا المصحف في طي النسيان إلى أن وفد إلى الموصل بعض علماء الأثار الألمان إبان الحرب العالمية الأولى، علما أن الأتراك العثمانيين عندما سمعوا بوجود هذا الكتاب الأثري عمدوا إلى سرقته وهو الآن موجود في متحف كوبر في ألمانيا[31]. وبالرغم من ضعف هذه الرواية إلا أننا لا ننكر تعمد البعثات الأثرية وغيرها إلى سرقة النفائس التراثية والآثار في أي بلد يفدون إليه. ومتاحفهم ومكتباتهم الخاصة والعامة مزدانة بالنفائس المسروقة. وقد أيد العلامة عبد الرزاق هذه الرواية باعتبارها قريبة من الصحة لأن رجال االاستشراق يبذلون أقصى جهودهم في سبيل الحصول على الأثار الروحية المخطوطة لمعرفة أسرار الديانات الغربية وما فيها من غث وسمين[32]. ومن ناحية أخرى يقول الباحث اليزيدي درويش حسو: إن اليزيديين كانوا يسألون مشايخهم عن الكتب اليزيدية فلا يحصلون على إجابة لهذه الأسئلة وكان الزعماء اليزيديون من أمراء ومشايخ يتهربون من الرد الواضح والصريح والمباشر مكتفين بترديد العبارات المعتادة "إن الكتب قد سرقت" دون أن يحاول أحد منهم أن يسأل متى وأين ومن سرق تلك الكتب ؟[33] وكان السائد في عموم أوساط اليزيدية أن كتابهم المقدس محفوظ في متحف "الكوبر" في برلين. ولم يعثر هذا الباحث اليزيدي عليه في أوروبا كلها خاصة وأنه مقيم في ألمانيا. فاستنتج أن هذا الكتاب خرافة وليس حقيقة وأكد أن كتاب اليزيدية الحقيقي هو الأفستا الأبستاق الذي كتبه النبي زرادشت[34].

---

(30) علماً وأن لحم الغزال كما مر معنا محرماً عليهم لأن عيونه تشبه عيني الشيخ عدي. فكيف يكتب على جلده (راجع المحرمات عند اليزيدية).

(31) يزيد خان اسماعيل بيك، أمير اليزيدية. "هذه هي اليزيدية"، مجلة العربي، العدد 31. جوان 1961، ص 152.

(32) <u>اليزيديون في حاضرهم وماضيهم</u>، ص 53.

(33) المرجع السابق، ص 9 ؛ خلف الجراد، المرجع السابق، ص39.

(34) اليوسف (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 26 ـ 27؛ درويش (حسو)، المرجع السابق، ص 9 ـ 11؛ د. خلف الجراد، المرجع السابق، ص39.

وقد ذهب الأب أنستاس الكرملي البغدادي إلى القول بأن الكتاب الديني الذي تتمسك به اليزيدية هو "مصحف رش"[35] وهو عبارة عن بعض صحف من القرآن حرفوها بأن حذفوا منها اسم الشيطان ولفظة اللعنة ولم يطلع عليه أحد إلى حدود 1898م (الفترة التي عاصر فيها المؤلف يزيدية العراق وكتب عنهم) غير فقهاء الملائية عند أميرهم الأعظم[36] ويعود السبب في ادعاء الأب انستاس ماري الكرملي بأن كتب اليزيدية ما هي إلا صحف من القرآن تم تحريفها من قبل آل الشيخ حسن من الملائية. هو عدم اطلاعه الكامل والكافي على القرآن الكريم وربما يعود لتأثيرات بعض المستشرقين الذين خرجوا بهذه الاستنتاجات رغم وجود إشارات إلى فتوى الشيخ الربتكي من وجود كتب ذات قداسة عند اليزيدية[37] وكذلك تعليق الدكتور فورباس (Dr. Forbes) الذي قام برحلة إلى سنجار سنة 1838 م أنه سمع بوجود كتاب أسود ينسب للشيخ عدي الأكبر نفسه[38]. وبالتالي فإننا لا ننكر وجود هذه الكتب ومن الصعب أن ننساق وراء ادعاء الأب انستاس خاصة أنه يوجد إلى أيامنا هذه أناس ما زالوا يحرصون على نشر الأوهام عن هذه الأقلية النادرة "الغريبة".

---

(35) مصحف رش. فقد بينا في رواياتهم الشفوية (علم الصدر اليزيدي) التي أخذ كل ما يتعلق بهم منها (بالرغم من وجود روايات غثة وسمينة)أن مصحف رش (Bible noir) هو المصحف "الصحف" التي كان تتلو بها "مهور" وهي فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب وزوجة سعيد بن عمرو بن نوفل عندما دخل عليها أخوها عمر ليتأكد فيما إذا أسلمت هي وزوجها ولما رأته خافت شره فألقت المصحف في تنور كانت تخبز فيه فاسود لونه ولم يشتعل وبعد هذا أخرجته وصاروا يطلقون عليه "مصحف رش" أي المصحف الأسود. الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 144.

(36) المرجع السابق. مجلد II . ص 155. العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 192 ـ 193 ، الموصلي (الراهب بهنام السرياني). المرجع السابق. ص 538 .

ANASTASE (Marie K.), op. cit., vol VI, P 1-39 ; BOIS (Thomas),op. cit., P 8

(37) راجع فتوى الشيخ عبد الله الربتكي (ت 1159هـ / 1746م). "فتوى في اليزيدية". نشرها المحامي عباس العزاوي في كتابه تاريخ اليزيدية. ص 84 ـ 89 نقلا عن نسخة خطية كان قد أهداها نعيم بيك آل بابان إلى إسماعيل حقي الإزميري (رقم 116 ونشرها أيضاً السيد صديق الدملوجي في كتابه اليزيدية. ص 433 ـ 439. نقلا عن نسخة خطية وقف عليها في الموصل.

(38) FORBES (Frederik), "a visit to the Sinjar hills in 1838, with some account of the rivers Tigris and Khabur", JRGS, vol IX, 1839, P 409 - 430

وعبثا حاول الفريق عمر باشا في مطاوي بين سنتي 1892 و 1893 م أن يعرف ما في هذا الكتاب (مصحف رش) حتى تحقق أن ليس فيه شيء أبقاه عنده إلا أحرقه. فسأل عنه "فقيل له: عند فلان. فذهب عند من سماه الأول. فقال له: عندك ذاك؟ فلما جازه قال له: عند ابن فلان. فلما رأى أنهم يضحكون منه أخذ المقدمين بينهم وتهددهم بالضرب إن أصروا على إخفاء المصحف فلم يجيبوا ببت الشفة. فأعمل فيهم السياط والسيف"[39] ومع ذلك لم يحصل على شيء وحسب الظاهر لم يحصل الأب انستاس على كتبهم آنذاك ولم يطلع عليها في أواخر القرن التاسع عشر.

ويضيف الأب انستاس أن أحد القساوسة ويدعى فرياقوس مخنوق "كان قد عثر قبل سنين (أي في حدود سنة 1892م على وجه التقريب) على كتيب يتكلم عن اليزيدية بكلام وجيز شامل لأمورهم كلها ومؤلفه واحد من كهنة اليعاقبة في بعشيقا كتب في عمودين باللغتين السريانية والعربية واستنسخه القس بخط يده في ليلة واحدة لشدة شغفه بهذه الأنواع من الكتابات المخطوطة وأعاد الأصل إلى صاحبه ولكن امتدت إلى نسخة الأب قرياقوس يد غريبة فمزقتها وأصبحت النسخة الأصلية من ممتلكات بطريرك السريان اليعاقبة ومع ذلك يبين سماحة الأب أنستاس جهله بما يوجد في الكتابين[40].

ولكن المثير للغرابة هو كيف ينسب مصحف رش اليزيدي إلى صحف من القرآن وقد حرفها هؤلاء القوم خاصة بعد نشر الكتابين المذكورين باللغة الكردية في مجلة Anthropos النمساوية بالإضافة إلى إدراك الأب بوجود نفثات لا بأس بها من روح مسيحية يهودية ذات الطريقة السريانية في الكتابة بما في ذلك تركيب الجملة وأداء المعنى. ولعله حاول من خلال ذلك

---

[39] البغدادي (الأب انستاس الكرملي). المرجع السابق. م II. ص 155، العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 193، Guest (J.S), Survival Among the Kurds, P 134 - 139, 154.

[40] البغدادي (الأب انستاس الكرملي). المرجع السابق. م II. ص 155.

إبعاد الأنظار عن هذا التشابه المذكور[41]. ليس المقصود من عملنا التشكيك في وجود الكتب اليزيدية ولكن الغاية هي التعريف بالكتابين وعرض كل الملابسات المحيطة بهما وكذلك تبيان نسبتها لأعلام اليزيدية أو لغيرهم؟ خاصة وأن منطقة الشرق الأدنى تعتبر معبراً تاريخياً لكل حضارات المعمورة ومهبط الديانات السماوية ومنشأ الفكر الديني القديم.

إذن من كتب هذين الكتابين المقدسين ؟

يقول اليزيديون بأن كتبهم قد سرقت وليس بالأمر الغريب أن يدعي قوم سرقة مخطوطات قيمة تقف وراءها جهات لها اهتمامات بالعمل المخابراتي الجاسوسي وما نفائسنا التي تزدان بها متاحف أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية وغيرها إلا دليل أكيد لمن يريد التثبت[42] ومع ذلك يجب ألا نبالغ كثيرا في الموضوع خاصة وأن قسماً هاماً منها بالرغم من عملية السطو، تمت العناية به و قد استفاد منه الباحثون.

فاليزيديون يعترفون بوجود كتابين مقدسين ويشككون في صحة الكتب المتداولة بين أيدي الناس الآن. فقد كتب أحد شيوخهم المسموح له دينياً بالقراءة والكتابة إلى العلامة عبد الرزاق الحسني يقول: نعم عند اليزيدية كتابان مقدسان هما "الجلوة" و"مصحف رش" ولكنهما يختلفان كل الاختلاف عن الكتابين المنشورين في سائر كتب الذين بحثوا عن اليزيدية "ونحن لا نعتقد بما نشر من الكتابين اللذين نسبا إلينا إذ شتان بين كتبنا وما نشر. ويجوز أن الكتابين الذين نشرا حتى الآن هما من وضع بعض الجماعات المبغضة لليزيدية"[43].

---

[41] العزاوي (عباس)، المرجع السابق، ص 194؛ الموصلي (الراهب بهنام)، المرجع السابق، ص 538؛ الحسني (عبد الرزاق) المرجع السابق، ص 57؛ التونجي (د. محمد)، المرجع السابق، ص 135؛ الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 37.

[42] القداد (د. محمود)، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة "عالم المعرفة" الكويتية العدد 167، جمادي الأول 1413هـ / نوفمبر 1992م، ص 53 ـ 54.

[43] الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص 53؛ التونجي (د. محمد)، المرجع السابق، ص 136، الجراد (د. خلف)، المرجع السابق، ص 38.

وجميع من اشتهر بالتمحيص والتدقيق التاريخي وعدم التسليم بالأمر الواقع يتهم "الشماس آرميا شامير" بكتابة الكتابين[44] فحياة هذا الشماس غريبة جدا وتاريخه مع اليزيدية ابتدأ منذ 13 جويلية 1821 م في قرية كرمليس (Karaimlais)[45] وقد ترعرع في قرية عين كاوا (Ainkawa) في قضاء إربيل. ودرس في دير الربان هرموزد للكاثوليك الكلدان[46] وتخرج برتبة شماس مبشراً. فقد تميزت سلوكياته بالغرابة مقارنة ببقية رجال الدين الكلدان هناك فقد وصف بالثرثرة وبقوة ذاكرته وخصب خياله[47] وادعائه

---

(44) نوري (مصطفى باشا الكردي). المرجع السابق. ص 38 ـ 48.

JACOB (Georg) , Ein neuer Text über die Jezidis, Beiträge zur Kenntnis des Orients, 1908, vol VII, P30-35 ; MENZEL (Dr Theoder) , Ein Beitrage zur Kenntnis der Jezidis , incl . in Hugo Grothe, meine Vorderasienexpedition, 1906 und 1907, Leipzig, 1911-12, vol. 1, P 127-193 ; MINGANA (Alphonse), "Devil –worshippers, their beliefs and their sacred books", JRAS, vol. XI, 1916, P 506 ; BOIS (Thomas) , op. cit., P116 ; GUEST (J.S), The Yezidis , P 152.

نفس المقال ترجمة مجلة المقتطف. القاهرة. 1916م. المجلد 49. ص 323؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 194؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 52؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 143؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج I، ص 183 ـ 184؛ التونجي (محمد). المرجع السابق. ص 137؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 37، 43 ـ 44.

(45) تبعد 15 ميلاً شرق الموصل.

(46) نسبة هذا الدير إلى الربان "هرمزد الفارسي" الأصل على المذهب النسطوري ولد في مدينة شيراز في النصف الثاني من القرن السادس ميلادي من عائلة نصرانية سنة 640م (كان ربعي بن الأفكل على حرب هذه المدينة وعرفجة بن هرثمة على خراجها. الطبري. المصدر السابق. ج III، ص 143؛ ابن الأثير. المصدر السابق. ج II، ص203 ولم يذكر أي من مؤرخي الإسلام أن أحد كبار القادة أو أمراء الجيوش قطعوا أرضاً لهذا الراهب). ويعتبر هذا الدير من خيرة المنشآت الدينية هناك وتم تدميره على يد نادر شاه بين سنتي 1732م و1743م وظل هذا الدير خراباً نحو 65 سنة إلى أن جدده جبرائيل دنبو سنة 1808 م وأصبح مدرسة دينية تخرج منها عديد الرهبان والشمامسة منهم أرميا (جرمايا). ويعرف الآن بدير السيدة في القوش (قرية ناحوم النبي) / صائغ (سليمان). المرجع السابق. ص 836 ـ 845.

(47) Parry (Oswold. H), six months in Syrian monastery , London, 1895, P 252

بنزول روح القدس عليه وكان يتقن عديد اللغات الأوروبية بطلاقة. وعرف بتتبعه لكل الأخبار. وكان ذكياً لدهائه واهتمامه بكل الوثائق والكتب القديمة الفارسية والعربية والسريانية (علماً أنه من أصل سرياني)[48] وقال عنه (WALLIS BUDGE) أحد موظفي المتحف الإنكليزي الذي زار مدينة الموصل في شهري جانفي وفيفري سنة 1889 م بأنه "شخص مسن. نشط لبق وذكي وبطريقة أو بأخرى نجح في معرفة فعل أو عمل كل الناس"[49] هذا ما قاله الأجانب في صفات وخصال الشماس أرميا (جرمايا) مكتشف كتب اليزيدية المقدسة.

ويقول المستشرق Mingana على لسان Parry الذي التقى بهذا الشماس "أراني بعض الكتب فوجدت بينها كتابا ادعى أنه قديم وحقيقته تنقض ذلك لكنه لم يخف عني أمره لأن مهما اشتد حبه للمال فلا يحمله للغش حقاً إن مقياس الصدق والاستقامة عند هؤلاء الناس أفسد مما يظن"[50] وقد تساءل Mingana ونتساءل نحن كذلك هل هناك كتب مقدسة يعرفها الكل قبل زمن أرميا (جرمايا) خاصة وأن طباعه وسلوكياته لا تجعلنا نثق فيه كل الثقة؟

والمخطوطة السريانية التي وجدت في دير القوش لا يتجاوز تاريخها سنة 1865م / 1282هـ كما تبين لـ Mingana[51]. أما نسخة Parry فهي باللغة العربية ومعروفة بكتاب الجلوة والكتاب الأسود وقد نسخها عنه رجل اسمه عبد العزيز في سنة 1889م[52] وعبد العزيز هذا معروف لدى الأجانب حيث رسم كاهن للسريان اليعاقبة في الموصل اسمه القس عزيز ويشير Parry أن أرميا شامر (جرمايا) لا يشير إلى مصادر معلوماته التي اقتبسها من مصادر

---

(48) Parry (O. H), op. cit., P 252 - 253 ; Guest (J. S), op. cit., P 141

(49) BUDGE (sir E.A. Wallis), By Nile and Tigris, London, 1920, vol II, P 71-73 ; Guest (J. S), op. cit., P 142

(50) Parry (O. H), op. cit., P 253 ; MINGANA, op. cit., P 506-507

(51) MINGANA, op. cit, P 507-508 ؛ المقتطف. المجلد 49 لسنة 1916. ص 322

(52) المقتطف. المجلد 49 لسنة 1916. ص 322؛ Parry (O. H), op. cit., P253 ; FIEY,(J..M.O.P); "Sur un traité arabe sur les patiarches nestoriens", Orientalia christana periodica, vol 41,1975, P58 ; GUEST (J. S), The Yezidis , P 144.

مختلفة[53] وقد نشره الدكتور عيسى يوسف في شيكاغو بالولايات المتحدة في مجلة اللغات والآداب السامية بالعربية مع ترجمة انقليزية[54] وقال أن صديقه داود الصائغ أهداه إياه تذكاراً لصداقتهما قبل مغادرته الموصل[55] وأشار إلى أن مخطوطته الأولى هي من بين المخطوطات التي كتبها الشماس أرميا وهي نظير للنسخة التي أعطيت Parry وأما المخطوطة الثانية فهي باللغة العربية ومن عمل القس اسحاق[56] وهي عبارة عن أسئلة وأجوبة[57] وباتت كل الدلائل تشير إلى اضطلاع الشماس أرميا شامر بأمر كتابة هذه المخطوطات خاصة وأن Parry قد لاحظ على هذا الشماس الكلداني عدم أمانته العلمية لأنه لم يشر إلى مصادر معلوماته وParry على معرفة جيدة به فقد أهداه مخطوطة عربية لكتاب الخطيب محمد أمين خير الله العمري[58] (1203هـ / 1788م) منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء حيث يوجد فيه قسم عن إمام اليزيدية وشيخهم الأكبر عدي بن مسافر[59].

هذه إذن بعض الدلائل الخارجية التي تمنع القول في عدم صحة نسبة هذه المخطوطات لليزيدية والأهم من كل ذلك هو جهل هؤلاء القوم فكل الذين

---

(53) PARRY (O. H), op. cit., P 253

(54) JOSEPH (Isya) , "Yazidis texts: Arabic text by the yezidis sacred books", with an english translation, AJSL, vol XXV(25), 1908-1909, P 111-156, 218-254

(55) Joseph (Isya),op. cit., P111-156؛ المقتطف المجلد 49 لسنة 1916. ص 322؛ GUEST (J.S), <u>Survival Among the Kurds</u>, P 155-156, 158

(56) GUEST (J.S), <u>The Yezidis</u>, P 152 ; JOSEPH (Isya),op. cit., P 115

(57) وقد أشرف على نشرها الربان شموئيل جميل الوكيل العام لبطريرك بابل على الكلدان الكاثوليك ونشر للمرة الأولى في روما تحت عنوان Storia d'un popolo ignots, Roma 1900 وقام بترجمتها عن النص السرياني الكلداني حنا مرقس لصديقه جورج مرقس حبيب ونشره ضمن ملاحق كتابه: المرجع السابق. دار بترا للطباعة والنشر دمشق. 1996. ص 99 – 152.

(58) PARRY (O.H), op. cit., P 357

(59) العمري. <u>منهل الأولياء</u>. ج II. ص 145 ـ 150؛ SIOUFFI (Nicolas), "Notice sur le chéikh Adi et la secte des Yazidis", J.A Series 8 , vol V, 1885, P 78-98.

كتبوا عنهم أجمعوا على أنهم ممنوعون دينياً من تعلم القراءة والكتابة[60]. وهي مقصورة على عائلة آل شمس الدين التي تحتفظ بهذه الكتب في قرية قصر عز الدين[61] في بيت الملا حيدر حيث توجد نسخة من "مصحف رش"[62] وهنا ينكر Mingana وجود هذه الكتب المقدسة خاصة وأنهم يعيشون بين ظهراني قرى مسلمة ومسيحية ويتعايشون جنبا إلى جنب وكل الذين حظروا اجتماعاتهم من أبناء الملل والنحل الأخرى لم يسمعوا تراتيل لنصوص دينية[63] وليس كل ما أورده Mingana منطقيا بالرغم من تميزه بالدقة والموضوعية والظاهر قد خفيت عنه المجازر التي ارتكبت في هذه الأقلية[64] فهي من الأديان الباطنية والغامضة الأسرار لشدة حيطتها وممارستها للتقية. ثم لا ندري كيف لم يسمع بشكاوي اليزيدية حول سرقة كتبهم وخاصة المتعلمين منهم من آل الشيخ شمس فهو ادعى أكثر من غيره بمسألة السرقة مما اضطر الملا حيدر رئيس طائفة الملالي إلى كتابة مصحف رش بخط يده مجددا[65] والظاهر أن سبب إنكار اليزيدية لكل الكتب ربما

---

(60) المقتطف. المجلد 49 لسنة 1916، ص 322؛ ذكر أنه في أواسط القرن التاسع عشر كان هناك واحد أواثنين يعرفون القراءة والكتابة وقد أرادت الإدارة البريطانية بسخاء منها فتح مدرسة ولكنهم أي الإنقليز واجهوا عدة مشاكل أولها تغيير الكتب المقررة وحذف كلمات التي لا يمكن لليزيدي التلفظ بها. EMPSON (R.H.W), op. cit., P 51-52

(61) توجد على مسافة 40 ميلا شمال الموصل.

(62) JOSEPH (Isya) , ; GUEST (J. S), Survival Among the Kurds, P 154 op. cit., P 247-248؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج I. ص 187 .

(63) المقتطف. المجلد 49 لسنة 1916. ص 322؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج I. ص 187.

(64) راجع الاضطهادات التي تعرضت لها اليزيدية على يد أتابكة الموصل وكيف تعرضت مقدساتهم لأبشع أنواع التحقير

(65) يذكر أن السبب في إعادة كتابة مصحف رش أن أحد يزيدية قرية "بحزاني" قد سرق كتابان وأراد أن يذهب بهما إلى بعض أقاربه من يزيدية منطقة حلب ولكنهما سرقا منه عندما هاجمت القافلة مجموعة من قطاع الطرق وفي رواية أخرى للشيخ "نذير" كبير أئمة اليزيدية أن ولد الملاحيدر رئيس آئمة اليزيدية السابق قد سرقهما لسبب أذى زوجة أبيه وتعذيبها له فهرب بهما إلى قرية "طغيتان" في قضاء الشيخان وهناك فقدا منه وفي رواية ثالثة أن سائحا روسيا نزل ضيفا عند الملاحيدر وسرقها منه؛ الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 117 - 118. الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج I. ص 183- 184؛ أما فيما يخص مصحف رش. فقد بين أحد الباحثين من اليزيدية أنه قد فقد منذ مئات السنين أي تقريبا منذ عهد الشيخ عدي الأول ولا توجد سوى نسخة واحدة في خزانة الزاوية بلالش ولهذا لا يعلم أحد شيئا عن هذا الكتاب، درويش حسو، المرجع السابق. ص 80؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 40.

يعود لاحتوائها على قسم هام من أسرار عقيدتهم[66] ولذا يمكننا القول أن الملا حيدر عندما كتب "مصحف رش" دون أن يعتمد نسخة ثانية، قد كتبه بأسلوبه الخاص، وهو الأمر الذي يجعل كل من يطلع عليه يلاحظ كثرة المفردات والكلمات العامية فيه[67]. أما فيما يخص قول Mingana أنه رغم طول هذه المدة لم يعرف اليزيديون ما لديهم من كتب[68] فهذا ليس دليلا على عدم وجود كتاب مقدس لدى اليزيدية. فهناك في المناطق العليا في الجزيرة الفراتية مذاهب وأديان كثيرة لا يعرف القريبون منهم شيئا عنهم أمثال "الصابئة" و"الشبك" و"العلي إلاهية"في العراق و"النصيريون" و"الدروز" في شمال وجنوب بلاد الشام.

أما الأدلة الداخلية التي تؤكد أن كتاب "الجلوة" هو من وضع هذا الشماس الكلداني، فهي من نفس المخطوطات إذ لم يذهب Mingana وحده إلى هذا الأمر بل شاطره عديد الكتاب والباحثين العرب القريبون من شعوب المنطقة فأبرز مثال على ذلك هو اعتياد مؤلف هذه الصحف على كتابة السريانية إن لم تكن لغته الأساسية فألحق الفعل بضمير الجمع كقوله في كتاب الجلوة "التي يسمونها الخارجيين شرور"[69] وكذلك نجد "لأنكم لستم تدرون ما يفعلون الأجانب"[70] وفي مصحف رش نقرأ التعابير التالية "كي يفهم ويعلم لشعبه" فإن اللام في (لشعبه) لازمة هنا في السريانية

---

[66] الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج 1، ص188.

[67] المقتطف، المجلد 49 لسنة 1916، ص 323.

[68] يقول: أ. د. منصف بن عبد الجليل: "إننا لا ننكر وجود الإهتمام بسائر الفرق الأخرى المنتشرة في أصقاع العالم الإسلامي، وبين شتى المجتمعات في الهند وإفريقيا، مثل الأحمدية والنقشبندية واليزيدية والإسماعيلية وهيهات أن ينهض فذ بمثل هذه الدراسة يذوق الأمرين في استجلاب الكتاب الصالح"، المرجع السابق، ج 1، ص 30.

[69] كتاب الجلوة، (الفصل الأول: الآية 3)، ملاحظة: هناك تصحيح قام به الأستاذ الدكتور محمد التونجي في تركيب الجملة بشكل محدود، والنسخة التي نشرها ضمن كتابه هي النسخة التي اعتمدت عليها مع إضافة إلى النسخة كان قد اعتمدها د.خلف الجراد عن نسخة أكادمية العلوم بفيانا من الآية 26 إلى الآية 33 ؛ MINGANA, op.cit., P 523-526.

[70] كتاب الجلوة، (الفصل الرابع: الآية 8)، كالعادة يوجد تصحيح لغوي في النسخة المعتمدة أما الأصلية التي اعتمد عليها Mingana والدملوجي والحسني هي كذلك: MINGANA, op. cit., P 523-526

وممنوعة في العربية أو كقوله "يجب الصدقة عند أنفس الموتى" فكلمة (عند) لا ترد هنا في العربية ولكنها ترد في السريانية وكقوله "فحبلت وولدت لإلهنا" فتعدية ولدت باللام اصطلاح سرياني وكذلك اللام في قوله "ستجذب أمه واحدة وراءك و تقلب لأمي" وتدل على أنه سرياني نصراني الديانة ألف التعابير الدينية النصرانية[71] إذن فقد كان غرض الشماس أن يعرف الأجانب عقائد اليزيدية وشعائرهم الدينية لا أن يعرف اليزيديون كيفية ممارسة طقوس دينهم وشعائره[72]. ثم إن الشماس إرميا ألحق بالكتب التي نسبها إلى اليزيدية أشياء من عقائد عبدة إبليس وعاداتهم[73]. وربما كان من أسباب التشكيك في نسبة هذين الكتابين لليزيدية وأنهما من وضع طرف أجنبي:

أولاً: ورود كلمة شيطان بشكل صريح[74] بالرغم من تورع اليزيديين في نطقها وتدوينها بل حذفها أو الكتابة عنها كما رأينا بحرف (ش) بل إنهم يحذفون كل مفردة فيها بط أوشط[75] حتى أن أمر اليزيديين قد إلتبس على الكثيرين ممن يعتقدون بأن هذه الطائفة من "عبدة الشيطان"[76].

ثانياً: ذكرت في مصحف رش في النسخة التي اعتمدها كل من Mingana والباحث عبد الرزاق الحسني أمور حديثة جداً لا يمتد تاريخها إلى أبعد من أواسط القرن التاسع عشر. مثل تلك البلاد التي قال إنها روسية وهي لم

---

(71) MINGANA, op. cit., P 523-526؛ المقتطف، مجلد 49. 1916. ص323 الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 57؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج ا، ص 188؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 43 ـ 44.

(72) MINGANA, op. cit., P 523-526؛ المقتطف. مجلد 49. 1916. ص323؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 57؛ الأحمد (سامي سعيد) . المرجع السابق. ج ا. ص 188 ؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 44

(73) المقتطف، مجلد 49. 1916. ص323؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 57؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق.ج ا. ص 188؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 44.

(74) مصحف رش. الآية: 24.

(75) مصحف رش. الآية: 24.

(76) المقتطف، مجلد 49. سنة 1916. ص323؛ الحسني (عبد الرزاق)، المرجع السابق. ص 57؛ مينورسكي (ف.ف). الأكراد ملاحظات وانطباعات، ص 75؛ اليوسف (إبراهيم)، المرجع السابق. ص 26–27. الجراد (د. خلف). المرجع السابق، ص 44.

تدخل في حوزة روسيا إلا في الربع الأول من القرن التاسع عشر[77] وليس المراد هنا أن كل ما جاء في هذه الكتب غير صحيح بل إن كثيرا مما فيها ينطبق على عقائد اليزيدية وشعائرها الدينية التي يمارسونها إلى اليوم وإنما مرادنا أن الشماس أرميا ألفها وجمع فيها عقائد اليزيدية التي يتناقلونها بالتواتر لأنه عاشرهم زمناً طويلا[78] خاصة إذا علمنا مدى فطنته ودهائه وقدرته الهائلة على جلب المعلومة وكيف كان يتصرف فيها مع العلم أن النسخة العربية المتواجدة بالمكتبة الوطنية بباريس هي ضمن قائمة المخطوطات العربية و تحت رقم (BN.syr.Ms 306) ووردت إلى باريس في شهر سبتمبر 1891م / 1309 هـ وهي بخط يد عزيز أو عبد العزيز وهو من السريان اليعاقبة من طور عابدين و هي بخط كرشوني Karshuni الذي اعتاد به السريان الكتابة باللغة العربية[79].

أما المصادر العربية الإسلامية التي اهتمت بكتب اليزيدية المقدسة فقد اتهمت الشماس أرميا بالاندساس في وسطها وادعائه اعتناق مذهبها ثم أنه سرق كتبها[80] بينما ذهب كل من صديق الدملوجي وسعيد الديوه جي. إلى أن أمر نسخ هذه الكتب كان من طلب اليزيدية أنفسهم وأن سبب كثرة وجود الكلمات العامية والألفاظ الدارجة فيها مرده أن الكتبة النصارى قد حفظوها عن شيوخ اليزيدية غيباً ثم قاموا بعملية نسخها بعدهم بمدة زمنية[81].

---

(77) MINGANA, op. cit., P 526 ؛ المقتطف. مجلد 49. سنة 1916. ص323 ؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص 58؛ الأحمد (سامي سعيد) . المرجع السابق. ج ا. ص 189.

(78) MINGANA, op. cit., P 526؛ المقتطف. مجلد 49. سنة 1916. ص323.

(79) The Encyclopedia of mission," The Yezidis", ALPHEUS (N. Andrus), New York, 1891, vol II, P 526-528 ; JOSEPH (Isya), op. cit, P 247 – 248.

(80) نوري (مصطفى باشا الكردي). المرجع السابق. ص 48؛ العزاوي (عباس). المرجع السابق. ص 194؛ الحسني (عبد الرزاق). المرجع السابق. ص58؛ الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج ا. ص182 ؛ الجندي (محمود). المرجع السابق. ص 162؛ الجراد (د. خلف). المرجع السابق. ص 37؛ Jacob (G), op.cit., P 30 - 35

(81) الدملوجي (صديق). المرجع السابق. ص 117؛ الديوه جي (سعيد). المرجع السابق. ص 143.

وبالتالي يبقى اتهام القس إرميا (جرامايا) شامر مجرد شك لا غير. لأنه لا يذكر مصادر معلوماته ثم إن عمليات النقل والترجمة لا تكون عادة ناجحة بشكل جيد إذا كان الأصل غير مكتوب بالعربية وهذا الرأي الأرجح. ثم قام الشماس أرميا بعملية الترجمة من الأصل الذي قد يكون بالفارسية أو الكردية وهذا صعب بعض الشيء لأنه لم يعرف أي كتابة بالكردية باستثناء بعض الأغاني[82]، فقام بترجمتها بأسلوبه السرياني.

و لا شك أن واضعي كتابي "الجلوة" و"مصحف رش" قد جمعوا تصورات تلك العقيدة وتعاليمها وحسب الظاهر أن نقلها تم بشكل شفوي وهو ما تسميه اليزيدية "بعلم الصدر اليزيدي" (التلقين الغيبي) والمهم بالنسبة إلينا أن معتقدات اليزيدية قديمة تمتد إلى أعماق ديانات المنطقة قبل ظهور الرسالات السماوية ومن الخطأ مقارنة هذه النصوص بالأفستا أو إنجيل بوذا أو بقية الكتب السماوية[83]. بل إن المطلوب هو الدقة في التحري والأمانة وبيان مدى تطابق تلك الكتب والأسفار مع معتقدات أصحابها.

3. دراسة محتويات الكتابين (تحليل)

أ- كتاب الجلوة

هذا الكتاب المسمى بـ "الجلوة" ينسب عادة للشيخ عدي الأكبر وهو في الحقيقة للحسن شمس الدين فقد أجمع أصحاب الوفايات على أن له كتاباً بعنوان "الجلوة لأرباب الخلوة "[84] (وليست الجلوة في هذا الكتاب من جنس الجلوة الصوفية بل الجلوة التي ينسبها االيزيدية لمعتقدهم تختلف عن

---

[82] المقتطف، مجلد 49. السنة 1916. ص326.

[83] الجراد (د. خلف). المرجع السابق، ص 45.

[84] انظر ما قد سبق حول كتاب الجلوة ونسبته في فصل الأسرة العدوية.

الطريقة الجلوتية المنسوبة إلى المتصوفة فهذه الجلوتية الصوفية حسب المحامي عباس العزاوي مازالت في أنحاء مختلفة من تركية لها علاقة بعرفانية الكشف والمشاهدة ونجدها عند أتباع مولانا جلال الدين الرومي (672 هـ / 1273 م) صاحب المثنوي[85]. ويضيف العزاوي "أن الجلوة لا يعنون بها عقيدة خاصة مثل هذه (المقصود هنا اليزيدية)، وإنما يقصدون مناحي تعبدية وطرق تقرب إلى الله ..."[86] ويفهم من هذه أنها ناحية تصوفية فحتى عنوان الكتاب الذي ينسب للحسن شمس الدين يعني ذلك: "الجلوة لأرباب الخلوة". فبخلوّ الإنسان إلى نفسه ومجابهتها يصل إلى مراتب العلى، ونحن لا نرمي تقديم شروح و تفسيرات لعقلانية التصوف الإسلامي وإنما نجد معناها من خلال سير المتصوفة (مثالنا مولانا جلال الدين الرومي) هي العودة إلى التشكيلة الأصلية أي تطهير النفس من أجل عزل كل الشوائب الدغمائية والإيديولوجية التي زيفت المعنى وحجبته واتخذته رهانا للصراع والتسلط المتبادل بين القوى المتناحرة[87].

وهنا نقول إن اليزيدية حافظت على اسم كتاب إمامها غير أن المحتوى لا يتماشى وذلك الفكر السامي بالنفس البشرية. فاليزيدية ترى أن كتاب الجلوة منزل بأسلوب سماوي، فهو يتضمن خطاب الله إلى عباده المصطفين (اليزيدية) لإنقاذهم من أي زيغ أو ضلال[88] فطاووس ملك ليس هو الشيطان كما نعتقد نحن عنه فالقزويني كما مر معنا أطلق هذه الصفة على جبريل أمين الوحي في

---

[85] كتاب ينسب لمولانا جلال الدين الرومي صاحب الطريقة "المولوية" ومقرها حالياً "قونية" بتركيا له كتاب عرف بـ "مثنوى". توجد ترجمة عربية للدكتور إبراهيم الدسوقي شتا المختص في اللغات والآداب الشرقية بجامعة القاهرة. الكتاب في 6 أجزاء من إصدارات المجلس الأعلى للثقافة، 1416 هـ / 1996 م. القاهرة / مصر.

[86] تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم. ص 187.

[87] الرومي (مولانا جلال الدين)، مثنوي، ج ا، ص 56 ـ 58؛ الزين (محمد شوقي)، "قراءة في كتاب ابن عربي ومولد لغة جديدة"، مجلة مدارات. عدد 9 / 10. تونس 1997 ـ 1998، ص 153 ـ 167؛ "تفكيكية ابن عربي"، (التأويل، الاختلاف في الكتابة عرفانية الكشف والمشاهدة)، مجلة كتابات معاصرة، المجلد التاسع، العدد 36. فيفري / مارس 1999، ص 54.

[88] راجع مقدمة كتاب الجلوة، الآية II

الديانات السماوية[89]. واليزيدية طبقت عقيدة اللالعن الصوفية[90] وتسامت بها عن جميع الفرق والمذاهب الأخرى. ومذهب الصوفية في إبليس يدخل في قصة عدم سجوده لآدم وقد اطلعنا على عقيدة الصوفية في إبليس ومدى تأثيرها أو تواصلها مع اليزيدية. خاصة أن الرسالات السماوية عالجتها وكذلك التاريخ الشفهي للإنسان فنسجت حول تلك القصة الراسخة في تاريخ الأسطورة والخرافة وتركزت كحقيقة أساسية[91] في متاعب هذا الإنسان ودونتها الذاكرة الشعبية كثقافة إنسانية في جميع الحضارات.

فامتناع إبليس عن السجود لأبي البشر آدم هو حادث خطير وذو عواقب جليلة خاصة وأن إبليس كان من المقربين جدا من الملأ الأعلى فقد تميز على الملائكة فجعلهم "يقتبسون من نوره ويستأنسون بحضوره ويهتدون بعلمه ويقتدون بعمله... فلطالما كان للملائكة معلماً وعلى الكروبيين مقدماً"[92] فيما أن موقف إبليس على رأي الصوفية هو الإصرار على عدم السجود لآدم أبي البشر فبالتالي يمثل الإصرار المطلق على التوحيد وكان لسان الحال يقول "جبين سجد لأحد لا يذل في الوجود لأحد"[93] وعبر عن ذلك شهيد التصوف الإسلامي في كتابه "الطواسين" بالكلمات التالية في تأملات: كان أبطاله موسى وإبليس" إلتقى موسى وإبليس على عقبة الطور. فقال له: يا إبليس ما منعك على السجود؟ فقال: منعني الدعوى بمعبود واحد[94]. وكما نعلم فإن اليزيدية تعتبر الحلاج من رجالاتها وصلحائها التاريخيين.

فهكذا ترى اليزيدية إبليس. فقد رسمته في هذه الصورة. وهم يتسامون كغيرهم في البحث عن الخيرة، ويعتبرون أنفسهم أبناء آدم وليسوا بأبناء

---

[89] عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. ص 58. حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 38.

[90] راجع ما قد سبق حول علاقة الصوفية باللعن.

[91] العظم (د. صادق جلال). نقد الفكر الديني. ص 57.

[92] المقدسي (الإمام عز الدين بن غانم). تفليس إبليس. مطبعة مدرسة والدة عباس الأول بالقاهرة. 1906/1323. ص 11.

[93] المقدسي. المصدر السابق. ص 15.

[94] الحلاج. كتاب الطواسين. (طاسين الأزل والالتباس). ص 46.

حواء كبقية البشر[95]. وقد جاء في البند السادس من العريضة "وقت الذي يموت واحد من طائفتنا، إذا ما كان موجود عنده أخوه في الآخرة وشيخه أو بيره. أو واحد من القوالين يقول عليه ثلاثة أقوال يعني: يا عبد طاووس ملك جل شأنه، لازم تموت على دين معبودنا، وهو طاووس ملك جل شأنه ولا تموت على دين غيره. وإذا جاءك أحد وقال لك مت على دين الإسلام أو دين النصارى أو دين اليهود. أو على أديان غير ذلك من الملل. لا تصدقهم ولا تؤمن بهم، وإذا صدقت أو آمنت من دون دين معبودنا طاووس ملك جل شأنه تموت كافراً"[96] وهذه الخصوصية تسعى كل ديانة أن ترسخها في نفوس معتنقيها، فجاء في كتاب الجلوة ما يحث على كتمان أسرار ديانتهم أمام الأجانب (اليهود. النصارى والمسلمون)[97]. وفي كتاب الجلوة تحريض على التقية وكتمان خصوصيات المعتقد.

فطاووس ملك أزلي ودائم وهو القائم على تدبير مصالح رعاياه ومن تحت (حوزته)[98] فالشيطان الذي يعتبره أصحاب الديانات السماوية مصدر شر ولقبه أتباع النبي زرادشت بأهريمان (إله الشر) هو عندهم غير ذلك كما بينا فيما سبق. فطاووس ملك هو الذي يخبر أتباعه بأن يرسل لهم في كل زمان مدبرا أو منفذا، والمنفذ قد ترسخت فكرته في الذاكرة الإنسانية ولم تخل أمة أو حضارة من وجوده[99] فهذا الإرث الإنساني تمثل في الشيخ عدي وأبناء أخيه صخر بن مسافر وعلى رأسهم الشيخ حسن شمس الدين، فلطاووس ملك القوة المتنفذة على كل شيء وله أعضاء من الملائكة يساندونه في أداء وظائفهم مهما كان عددها[100] فذكر القزويني دور الملائكة الأربعة المقربين في تسيير

---

[95] كتاب القس اسحاق، ملاحق جورج حبيب. ص 104 ـ 105؛ مؤلف مجهول. "ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية". ص 572.

[96] عن مخطوط بمكتبة الديوه جي (سعيد) بالموصل لمحمد ذخرى بن الخياط بعنوان فريدة السنية في كشف عقائد اليزيدية، الديوه جي (سعيد). ص 222.

[97] كتاب الجلوة، الفصل: V الآية : 2.

[98] كتاب الجلوة، الفصل: I الآية : 1.

[99] انظر فصل المهدوية والبحث عن منقذ.

[100] القزويني. عجائب المخلوقات. ص 411.

نظام الكون (جبريل، عزرائيل، ميكائيل وإسرافيل)[101] وهم بدورهم حسب المعتقدات اليزيدية الرؤساء المساعدون لطاووس ملك[102].

ويتضمن كتاب "الجلوة" ما جاء من وعد ووعيد كما أنه يبحث عن تناسخ الأرواح وهي تدخل في عقيدة الحلول الصوفية وهي بطبيعتها دخيلة على الإسلام، فهي نابعة من الغنوصية[103] الشرقية وهي نتيجة لرد الفعل بالنسبة إلى فرض مبادئ وعقائد إسلامية على الأمم والشعوب الأرية ومن أهم نتائجها التخلص من عقيدة التوحيد المطلق، والتخلص من التكاليف الشرعية، فاليزيدية ترى أن الشيخ عدي هو الذي تكفل بكل شيء يتعلق بواجباتهم وطقوسهم الدينية. فقصة فرض الصلاة في الإسلام وكيف نبّه النبي موسى الرسول محمد إلى التخفيف منها من خمسين صلاة إلى خمسة صلوات[104] يعود إلى طبيعة النفس البشرية التي ترفض بشدة كل القيود والأوامر الكائنة لشهوة النفس والجسد، فأثرت وتأثرت بهذا الدين، بحيث يبدو جليا أن عديد العادات الراسخة والمفاهيم والقيم المتأصلة لهذه الشعوب التي دخلت في المنظومة الإسلامية قد ظلت حية وإن اتشحت بالرداء الإسلامي[105].

و في "الجلوة" اليزيدية تشديد وتوصية على عدم إعطاء أي من كتبها كي لا تحرف أو يتصرف فيها الآخر كما يحلو له، وقد فسر الدكتور قسطنطين زريق بما شاء هواه[106] ومثاله الذي ضربه لهم وهو حي بينهم كيف اختلفت اليهود والنصارى في أصول كتبها[107]. فلذا نجد أنهم وكاحتياط لكل طارئ

---

(101) المصدر السابق، ص 58 ـ 59.

(102) الجلوة، الفصل I، الآية : 4.

(103) الغنوصية (gnosis/YνωσiS): كلمة يونانية معناها المعرفة ولكنها أخذت معنا اصطلاحيا هو التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا أوهو تذوق المعارف تذوقاً مباشراً. عبد القادر (د.محمود)، الفلسفة الصوفية في الإسلام، ص 4.

(104) ابن هشام، السيرة، ج II، ص 14ـ 15.

(105) بوحدبية (عبد الوهاب)، الإسلام والجنس، ص 5.

(106) الزغبي(د.محمد علي)، وصايا الشيطان، مؤسسة الزغبي للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، بيروت / لبنان، ص 40.

(107) الجلوة، الفصل I، الآية: 8.

وجب عليهم أن يحصروا جميع علومهم ومعارفهم بل حتى القراءة والكتابة منعت على الأغلبية كتحريم ديني ونابهم عنها الملالي من آل الشيخ حسن وبقية آل البيت العدوي ربما لأنهم في نظر عامة اليزيدية هم آل الطريقة أو التجديد وحكمتهم وعلمهم متوارث بتوصية إلهية.

وما جاء في بقية فصول كتاب الجلوة فيه تأثيرات إسلامية خاصة في الفصل الثاني من الآية واحد إلى الآية إحدى عشرة فهي عبارة عن تبيان لقدرة طاووس ملك المكينة فهو الأول والآخر والظاهر والمغني والمفقر وكل هذه الصفات له هو القادر فوقهم جميعاً. أما الآية الأخيرة من هذا الفصل، فهي تتعلق بتناسخ الأرواح والتقمص فهي عقيدة ليست جديدة، بل لها عمق تاريخي ضارب في القدم.

كما أنه وجد سبيله إلى أذهان عدد ملحوظ من فلاسفة العقائد السماوية كالمسيحية والإسلام، ولا يخفى أن معظم العقائد والمذاهب الدينية "تؤمن بحياة أخرى وراء الموت الفيزيقي وتحدد له بصورة محجبة أو بصورة دقيقة واضحة عودة أو رجعة إلى الحياة المادية (الجسدية)"[108] وهنا يمكننا القول إن التناسخ والتقمص ليس سوى الإثبات النهائي لخلود الروح، فالأرواح حسب هذه المعتقدات الشرقية "لا تموت ولا تفنى، ولكنها تتنقل من بدن إلى بدن. من الأرذل إلى الأفضل دون عكسه لتترقى النفس من الكمال حتى يتحقق شوقها... ويتحد العاقل والمعقول ويصيرا واحداً والأرواح الشريرة تتردد في النباتات ومرذول الهوام"[109].

إذن يؤكد كتاب "الجلوة" على تناسخ الأرواح وتقمصها ولكنه بيد طاووس ملك فهو القوة القادرة والمتنفذة في تحويل أو رجوع الإنسان أو الحيوان إلى العالم أو إلى غير هذا العالم الذي لم يحدده لنا وما هويته؟ فهذه تؤكد على عودة الأرواح الخالدة إلى محراب الجسد وهذه التوصيات نازلة من طاووس ملك وبإذن منه.

---

(108) أبو شقرا (سمير)، "حقيقة التقمص في جوهر الأديان السماوية". مجلة الضحى (مجلة الفكر القومي الإسلامي التوحيدي). العدد 55. ربيع الثاني 1417 هـ / أيلول 1996م. ص 50.

(109) البيروني (أبو الريحان)، كتاب ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة، ص 32.

وفي الفصل الثالث تأكيد على سيطرة طاووس ملك على نظم عالمه فهو الهادي والمرشد لأتباعه الأخيار بدون كتاب[110] ويحذر أتباعه في عبارات أخرى من الأجانب والغرباء عن المعتقد اليزيدي فهم مهما تضاربت الحقائق دوما أعداء لملة اليزيدية[111]. فاليزيدي ولد يزيدياً وأي اختلاط بالأخر يعني أنه سوف يجعل من نفسه عرضة للتلاعب بالرغم من أن كل شيء مسطر في ألواح القدر والغيب[112].

في الفصل الرابع إشارة إلى فصول السنة الأربعة وإلى عناصر الطبيعة الأربعة كما هو الحال عند زرادشت. وأركان الكون الأربعة فهي خلقت ووضعها ملك طاووس لأجل حسن سير نظام هذا الكون[113]. وفيه تأكيد على ملازمة الصبر والتحمل حفاظاً على قوة العقيدة فجميع اليزيدية ملزمون بوحدة الصف والترابط والتكاتف لأجل الوقوف صفاً واحداً في وجه الآخر وهو الغريب عن ملة اليزيدية[114] توصية بالتثبت والتحفظ على كل ما يسيعونه من غيرهم مما لا يتفق وما أخذوه عن مشايخهم وحتى تبقى الفطرة اليزيدية التي نشؤوا عليها سليمة وبدون تراكمات قد تضرهم ولا تنفعهم ونجد كذلك تحذيراً من ذكر اسم الملك طاووس وصفاته أمام الغرباء لأنهم الخطر المدمر لهم آجلاً أو عاجلا[115].

أما في الفصل الخامس فنرى "طاووس ملك" يخاطب أبناء عقيدته من اليزيدية آمرا إياهم بإكرام شخصه وتجسيمه في صورة طاووس، رمز الخيلاء والعظمة والجمال[116]. وإلى حد الآن مازالت عديد الرموز التي تعود إلى

---

[110] الجلوة. الفصل : III. الآية : 1.

[111] الجلوة. الفصل : III. الآية : 2.

[112] الجلوة. الفصل : III. الآية : 7.

[113] الجلوة. الفصل : IV. الآية : 2.

[114] الجلوة. الفصل : IV. الآية : 7.

[115] الجلوة. الفصل : IV. الآية : 8.

[116] وجدت في زيارتي لعفرين زخارف صينية لفناجين رسم عليها طاووساً وبالرغم من أن بيت صديقي الكردي يعدون من مسلمي منطقتهم. فحسب الظاهر للاعتقاد والتبرك بتماثيل وصور وسناجق طاووس ملك بقي حياً حتى عند أولئك المسلمين من الأكراد.

عصور وثنية كـ "عشاء الصمت": حيث يطبخ عشاء لضيافة أصحاب البيت من العالم الآخر حسب اعتقادات البدو وبعض سكان المدن وتتم هذه العملية بصمت ويوضع العشاء في الظلام إلى الغد... وهذه من العادات والتقاليد المتوارثة ويبقى حنين الإنسان لها كأصول وجذور إلى يومنا هذا.

إن طاووس ملك في اللغة الآرمية قد تعني "الملاك الطائر"[117] وهو ما ينطبق على صفة تمثال طاووس ملك المعروف. بل إن الميثولوجيات الشعبية تصور الملاك على صور مختلفة فمنها من هو على صورة النسر[118] وكل الملائكة الكبار لهم أجنحة وتزداد درجاتهم ومكانتهم العليا بعدد أجنحتها[119]. فعند المندائية (الصابئة) يعتبرون رب العلم والحكمة هو الملاك الطائر الذي دون العهد القديم (التوراة) فهو شخصية سماوية لها صفات طاووس ملك. فـ"نابو" عند قدماء البابليين هو صاحب الحكمة كما هو طاووس ملك عند اليزيدية "أرشد وأعلم الذين يتبعون تعليمي..."[120].

إذن فالمندائية رمزت لملاك الحكمة والعرفان بالطائر السماوي أو الملاك السماوي وقدماء البابليين رمزوا إلى "نابو" إله الحكمة بالطاووس. الملاك الطير واسمه الآرامي "الملك طاووس" حسب جورج حبيب وبالتالي فإن تغلّب هذا الاسم آنذاك كان مرده الانتشار الواسع للغة الآرامية[121]. لذا كان يفرض على أتباع ملته تقديسه مع مزيد الذكر له والتكريم[122].

يجدد طاووس ملك في كل فصل الحرص على مزيد التقية والحفاظ على أدق خصوصيات المعتقد[123] فالجميع في القرنين السادس والسابع للهجرة وبسبب السياسات والأنظمة غير المستقرة. يعيش حالة حرب وعدم استقرار والصراع بين الأجوار ظاهره ديني مذهبي وباطنه مطامع سياسية لمزيد بسط النفوذ والحصول

---

(117) حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 38.
(118) القزويني. المصدر السابق. ص 57.
(119) القزويني. المصدر السابق. ص 58 ـ 59.
(120) الجلوة. الفصل : I الآية : 11.
(121) حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 26 ـ 38.
(122) الجلوة. الفصل : V الآية : 1.
(123) الجلوة. الفصل : V الآية : 2.

على غنائم أكثر. فلذا كان لزاماً عليهم الحيطة والتقية والحرص أكثر حتى لا يتم القضاء عليهم وإصدار الأحكام الفقهية والفتاوي الشرعية لإبادتهم وهذا ما حدث لهم على مر تاريخهم الدامي. كما بينا ذلك في ما سلف.

ب- الكتاب الأسود : "مصحف رش"

ومن كتب اليزيدية الأخرى نجد كتابا يسمى بـ "الكتاب الأسود". وهو معروف بـ "مصحف رش". وجاء فيه كيف أن الله خلق في البداية درة بيضاء من سره العزيز. ويمكننا مقارنة هذا المعتقد بالمعتقد الأورفي Orphic (اليونانية) الذي يتضمن قصة خلق الإله كرونوس (Cronus) (أب الإله زيوس Zeus) لبيضة الكون الفضية. والعجيب أن إحدى الأساطير الإفريقية تذكر ما يشبه ذلك، بأن الكائن العلوي الذي يعتقدون به ويسمونه أمما (Ammz) أنتج بيضة في البداية[124]. ففكرة الخلق خالدة عند كل البشرية وتختلف في جزئياتها لا غير.

وحسب مصحف رش، خلق الله طيراً اسمه " أنغر" (ربما يشبه الببغاء ـ الديك في اليونانية: أليكتور ـ) والذي كان واقفاً على عصا اسكلبيوس (Ascelpuis) رب الشفاء[125] أو قد يكون "أنغر" هذا من الأرواح الشريرة التي خلقها أهريمان إله الشر حيث أن فيها كائن اسمه (أنكرمينو) أي الروح الخبيثة والشريرة التي تخلق الشياطين (الديو)[126].

وأول يوم الخلق كان يوم الأحد، وهذا لا ينفرد به مصحف رش واليزيدية فقط بل ذكرته كثير من المصادر الراجعة لأصحاب الرسالات السماوية[127].

---

(124) (H. Charles), The mythoof creation, ed alpha, New York, 1963, LONG P 113 ؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق. ج ا. ص 198 ـ 199

(125) مصحف رش. الآية ا؛ الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق. ج ا. ص 199.

(126) إسماعيل (نوري)، المرجع السابق، ص 44.

(127) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين)، أخبار الزمان. بيروت. 1966، ص 26 ؛ القزويني. المصدر السابق. ص 67.

وغيرها وهو اليوم الذي خلق فيه "عزازيل" أو "طاووس ملك" رئيس الجميع [128] والمقدم والمبجل على جميع الملائكة كما مر معنا. وأهم ما جاء فيه هو ذكر مراتب الآلهة وأيام خلقها وكيف تناسخت هذه الآلهة في أشخاص رجالات اليزيدية الكبار فالملك درداثيل هو الشيخ حسن وهو الذي يذكر في بعض أورادهم لأدعيتهم باسم الشيخ سين وسين هو رب أو إله القمر عند سكان ما بين النهرين وحسب[129] فإن الشيخ سين ربما يكون الشيخ أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري وهذا استنتاج صعب جداً لأننا قد وضحنا أن الحسن شمس الدين بن عدي الثاني ليس هو الحسن البصري وحتى المدة الزمنية الفاصلة بينهما بعيدة ولكن يعد كل منهما رمز المريدية ولكن بحكم أن اليزيدية لها عقيدة التناسخ والتقمص فقد أصبح الشيخ أبو سعيد مع الشيخ الحسن بن عدي الثاني ذاتاً واحدة[130] بالتناسخ فإنها تفي الاثنين معاً. وخلق يوم الثلاثاء إسرافيل هو ذلك الملاك الذي سوف ينفخ بالصور يوم القيامة حسب التعاليم الدينية الإسلامية وإسرافيل تقابل الكلمة "سراف" (seraph) (الملائكة المقربين أي الحنانيين) لدى ذات الخالق عند اليهود والنصارى لذلك نجد أسماء النصارى خاصة كـ "حنانيا" أي المقرب إلى الله[131].

أما تسمية "دردائيل"[132] فالظاهر أنها تعود إلى دارفند (Darvand) وهي من ضمن أعوان "أهريمان" إله الشر والظلام[133] والشيخ شمس فقد يكون امتدادا للإله الرافدي "شماس" فنجد عدد الأبطال والملوك باسم شمس حدد في حضارة ما بين النهرين والإله شماس (أتو: Atu) فهو القاضي الأكبر

---

(128) مصحف رش، الآية II

(129) جفري (بارندر)، المرجع السابق، ص 16، وقد مر معنا هذا الفصل الأول حول الديانات القديمة.

(130) HUGO (Makas), "Materialien zur einer Geschichte der Sprachen und Literaturen des vorderen Orients", Heft I, Kurdische Studien, Heidelberg, 1900, P 33

(131) الأحمد (سامي سعيد)، المرجع السابق، ج I، ص 200.

(132) مصحف رش، الآية : III.

(133) إسماعيل (نوري)، المرجع السابق، ص 44.

و"إله القرارات" وكان يرمز إليه في بابل بالشمس ذات الأشعة الأربعة[134]. وهو الذي نراه في صليب الإله ميترا (+) يسيطر على اتجاهات العالم الأربعة وهو يختلف على شكل الصليب المسيحي[135]، وهناك من ذهب إلى القول أن الشيخ شمس هو نفسه مولانا جلال الدين الرومي التبريزي الشاعر المتصوف وكان يعرف بالشيخ شمس[136]. ففي وادي لالش توجد عديد المراقد والقباب قبل أن يوجد مرقد الشيخ شمس بلالش وحجتهم في ذلك أنه بعد حادث أليم وقع لمولانا جلال الدين الرومي يسم وجهه نحو مناطق جبال الموصل وتحديدا في لالش حيث معبد العارفين الفرس وفيها مرقد الشيخ عدي بن مسافر الهكاري والآخرين من رجال العرفان والكبار أمثال الملا أبو بكر الجزيري وغيرهم[137]. والجدير بالذكر أن اليزيدية تعد الشيخ شمس التبريزي من أبرز أوليائها من عائلة الشمسانية[138].

وفي يوم الأربعاء خلق الملك ميكائيل وهو الشيخ أبو بكر[139] من الملائكة المقربين وقد يكون اسمه مأخوذ من (مي كي آل MI-KI-AL) ومعناه بالعبرية الذي يشبه الله، وقد يكون المعنى الذي يضرب بأمر الله وهو الذي حارب الشيطان من أجل موسى. والشيخ أبو بكر الذي يطابقه مصحف "رش" مع الملك ميكائيل قد وضع اسمه في مصحف اليزيدية بعد انقلاب أسرته في القرن السابع عشر على أحفاد الشيخ حسن شمس الدين ذوي الأصل الأموي[140].

---

(134) جفري (بارندر). المرجع السابق. ص 16-17؛ حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 42 ـ 43.

(135) حبيب (جورج). المرجع السابق. ص 53.

(136) الرومي (مولانا جلال الدين). المصدر السابق. المقدمة. ص 8 ـ 30 ؛
JACKSON (A.V.W), Persia past and present, New York, 1906, P12 ; Makas (Hugo), op. cit., P 33

(137) فاروقي (عمر). "شمس تبريزي في كوردستان". ترجمة أ. جروان. لالش. العدد VI. 1996. ص 13.

(138) راجع مقالة خدر بير سليمان. "ضوء على مخطوطة منشورات الأيزيدية". لالش. العدد II-III. 1994. ص 113.

(139) مصحف رش. الآية : V.

(140) الأحمد (سامي سعيد). المرجع السابق. ج I. ص 200 ـ 201.

ثم يذهب مصحف "رش" إلى أنه في يوم الخميس خلق الملك عزرائيل وهو سجادين[141] وسراج الدين حيث تعود أحد أسر اليزيدية إليه. أما يوم الجمعة فقد خلق شمنائيل وهو ناصر الدين[142] (نسروح / Nisroch) للإله الآشوري الذي ذكر في العهد القديم[143].

وفي يوم السبت خلق الملك نورائيل[144] وهو فخر الدين ويبدو أنه مهم عند اليزيدية فقد ساعد الله في صنع الكون. فاليهود تعطل يوم السبت من كل أسبوع لأنه حسب معتقدهم يوم فرغ الله فيه من خلق الأشياء[145] وهو الذي فتح اللؤلؤة التي خرج منها العالم[146] وبذلك يكون لليزيدية رجل منهم ساهم في خلق الكون.

إذن مما تقدم نجد أن مصحف "رش" كتاب تاريخي يشتمل على بعض الحوادث الغابرة ويشتمل على كيفية خروج الشيخ عدي بن مسافر من بلاد الشام إلى لالش في شمال بلاد الرافدين. وما كان من نزول الملك طاووس إلى الأرض، وتنصيبه ملوك اليزيدية[147] وكيف خلق الكون (خلق السماوات والأرضين. وما فيها من بحار وجبال وأشجار...) وفيه قصة الخلق التي تناولناها وكيف تتشابه في معظمها مع قصة الخلق البابلية "إيراوإشيوم"[148]، وكيف قاومت اليزيدية أعداءها. وفيه حديث عن أصل البشرية وقصة الطوفان الموجودة في ملاحم الرافدية والكتب السماوية[149]. وكذلك نجد قصة إلههم الذي ينتسبون إليه يزيد بن معاوية، وقد ناقشناها بشكل تفصيلي ودوما يعترضنا في دراسة المذاهب والملل والنحل أخبار عن الوصي أو المنقذ

(141) مصحف رش. الآية : VI.

(142) مصحف رش. الآية : VII.

(143) العهد القديم: سفر الملوك الثاني 19: 37، أشعياء. 37: 38. MAKAS (Hugo), op. cit., P 32

(144) مصحف رش، الآية : VIII.

(145) القزويني. المصدر السابق. ص 67.

(146) EMPSON, op. cit., P 147

(147) مصحف رش. الآية : XXI.

(148) أساطير من بلاد ما بين النهرين. "قصة الخلق إيرا وإيشوم". ص 333 ـ 365.

(149) راجع فصل ديانات ما بين النهرين.

المنتظر الذي يجدد على رأس كل ألف سنة ومن هؤلاء المجددين يزيد وكذلك الشيخ عدي والحسن بن عدي الثاني.

وفي هذا الكتاب توجد شرائعهم وأحكامهم في الحلال والحرام ومباحث عن صومهم وحجهم وصلاتهم وكذلك طائفة من أعيادهم وكل هذا قد درسناه متفرقا في محله، وقد آثرنا نشر الكتابين كملاحق لهذا البحث مع جملة الملاحق والصور الأخرى.

ولا ندري ربما قد تحمل هذه الآثار ما يفيد وجود كتب لليزيدية غير التي تناولناها بالدرس والمراجعة خاصة أن الدفائن في جبال سنجار وغيرها تخفي الكثير. ولا يمكننا القول أن كل ما كتب في هذه النصوص غير صحيح[150] خاصة وأن "علم الصدر" علم إلهامي عندهم قائم بذاته وهو تاريخهم الماضي والحاضر مازال يغلب عليه الطابع الشفوي وحسب ما توصل إليه المؤرخ الإنقليزي (Henry Field) في سنة 1934 أن هناك نصوصاً يزيدية قديمة غير معروفة وإن بعض المخطوطات لا تزال مخفية في هضاب سنجار[151].

---

(150) GUEST (J. S), The Yezidis, P 156

(151) FIELD (Henry), Perface to Anis Frayha, "New Yyezidi texts from beld Sinjar, Iraq", JAOS, Vol. 66, 1946, P18-43 ; FIELD (Henry), Perface to Sami Said Ahmed, The Yezidis : their life and beliefs, ed. field, Miami 1975 , P VI-VII ; Guest (J. S). op. cit., P 158

النتائج

تبين مما تقدم:

• أن نشأة اليزيدية كانت على يد عدي بن مسافر الأموي خلال القرن السادس هجري الثاني عشر للميلاد.

• أن انتماءهم للإسلام كان انتماء حضارياً سياسياً وإن تخللته بعض الطقوس البسيطة بفضل دور الشيخ عدي في الدعوة لطريقته.

• إن اسم اليزيدية الذي أطلق على العدويين كان الغرض منه التشويه والتشنيع ضدهم خاصة أن سيرة الخليفة الأموي "يزيد بن معاوية" ـ الذي تنسب إليه هذه النحلة ـ غير محمودة عند أغلب الجمهور الإسلامي وساهم جيرانهم الذين ينكرون هذا الخليفة في هذا التشنيع وخاصة الشيعة.

• كما أن تسميتهم باليزيدية ليست مرتبطة بمعتقدات الأجداد وإن كانت قريبة من نفس تلك المعتقدات (زرادشتية، مانوية، مزداكية، مثرائية...).

• لم يمنع تغلغل دعوة اليزيدية بين الأكراد ـ وقد اعتنقوا هذا المذهب ـ من الاحتفاظ بعديد العادات بل حتى الطقوس التعبدية التابعة لديانة الأجداد السابقة ومن ترسخها في سلوكياتهم بالرغم من إقامة الشيخ عدي وأفراد آسرته بين ظهرانيهم.

- انتشار فكر المغالاة والغلو عند مشايخهم وأئمتهم منذ نشأة نحلتهم الدينية لذلك نلاحظ الطابع الأسطوري الذي لازم تعلقهم بعدي وخلفائه.
- كذلك نجد أن مسار الطريقة العدوية في بدايتها صوفي طرقي متأثر بالطرق المجاورة كالقادرية بشكل خاص وبمنهج الإسلام الرسمي لسلطات بغداد (المدرسة النظامية).
- إن بداية الهرطقة والخروج عن المألوف سجل بوضوح في مشيخة الحسن شمس الدين بن عدي II ومع ذلك للفقهاء (علماء الظاهر) بعض التحفظات من تصرفات عدي II كالشطح الصوفي والتفاف العوام وبسطاء الناس حوله وقوله بالشكلة والنقطة وهي بدع مرفوضة دينياً حسب آراء الفقهاء آنذاك إلى درجة التحريم.
- تبقى للصوفية ببعديها الإسلامي والإنساني التي آمنت بوحدة الوجود والأديان الدور في التأثير الواضح على عقائد اليزيدية المرفوضة إسلامياً (حسب الفقهاء ومصالح السلطة آنذاك).
- اصطدامهم السياسي مع حاكم الموصل بدر الدين لؤلؤ خلف عديد المآسي وبالتالي تنافر مذهبي نتج عنه إقصاء هذه الطائفة الصوفية عن جيرانها ودخولها ضمن الجمعيات ذات النشاط السري الخطير.
- تواصل التكتم والانغلاق تولد عنه النقص والزيادة والتبديل. إضافة إلى عودتهم إلى معتقدات الأجداد بتأثيرات صوفية إسلامية فيها شطحات لمشايخهم وبمن اقتدوا به.
- كذلك توالي الحروب والغزوات في أنحاء مختلفة من المشرق الإسلامي خلال القرنين السادس والسابع للهجرة من الصليبيين في مناطق الرّها وفي سواحل بلاد الشام إلى الغزو المغولي المدمر للحرث والنسل كل ذلك ساهم في شدة انغلاقهم وتعصبهم لمشايخهم وبالتالي مزيد من الغلو والابتعاد عن المنهج الصوفي للعدوية.
- كذلك تأثرت اليزيدية بمعتقدات جيرانها من النصارى وحتى الشيعة في بعض العادات والطقوس كما وجدنا تشابها في إرساء بعض المحرمات والمعتقدات والأسماء مع الصابئة.

• أما مسألة عبادتهم للشيطان التي اتهموا بها فهم يعتقدون فيه القدرة والقوة على الفتك والعقاب والبطش لمن يخالفه أو يعاديه لذلك فهم يعملون على مداهنته ومراعاته اتقاء لشروره ولذلك يمكننا القول أن الشيطان هو مقدس (طوطم Totem) وليس بالمعبود.

• لم تكن العدوية (اليزيدية) على خلاف ما قيل في بدايتها الأولى مهدوية سفيانية لبعث الخلافة الأموية وإنما هي طريقة صوفية توفيقية تدور ضمن فلك ثقافة وسياسة السلطة لاستقطاب الخارجين عن الأحكام الشرعية من الأكراد في الجبال. ودليلنا صلاح حالهم بعد استقرار الشيخ عدي الأكبر.

• عرفت هذه الفرقة تطورات لاحقة موصولة بما استجد في السياسة والحروب فظهرت تطلعات سياسية لأفراد الأسرة العدوية خاصة بعد الشيخ حسن شمس الدين ربما قد تكون ذات صلة بالمهدي الأموي (السفياني المنتظر) رغم عدم رفعه كشعار ولكن بسبب اتخاذهم بلاد الشام كموطن لانطلاق ثوراتهم ضد المماليك في القاهرة بحكم جذورهم العربية الأموية ولتعلق الأكراد بهم.

• اتسم الانتماء إلى اليزيدية في هذه الفترة بالتحول من العمل الطرقي الصوفي البحت إلى التنظيم السياسي السري واعتماد الانقلاب كطريق للوصل إلي الحكم.

• ولليزيدية كتب يجلونها ويقدسونها وتظهر في هذه الأصول شطحات المتصوفة ولكن لا صلة لها بالأبستاق لزرادشت ولا بالآيات القرآنية التي طمس منها كما يقال ذكر الشيطان. فهي موضوعة حديثاً ولا صلة لها بمراحل تاريخ اليزيدية فهي مزيج من الإسرائيليات والقصص القرآني وغيرها...

• وتبقى أدعيتهم وصلواتهم وأعرافهم الخاصة بهم في أعيادهم ذات صلة بمحيطهم الإسلامي ومتغلغل فيها الفكر الصوفي بل عن معابدهم مزدانة بالآيات القرآنية وكذلك محافظتهم على ظاهر بعض الطقوس العبادية الإسلامية كالصوم والصلاة ولكن موشحة بترسبات ديانات الأجداد وأعرافهم.

• لم تكن اليزيدية مجرد مذهب "نخبوي" حكراً على خاصة القوم بل كانت تعاليمها حاضرة في حياة آلاف الناس اليومية. إن معتنقي هذا المذهب وجدوا فيه أجوبة على بعض أسئلة واقعهم ومعاشهم، لذلك أدمجوه في نظمهم وعاداتهم وصاغوا من فكرة اليزيدية أشكالا بسيطة تتصل بعلاقتهم بالحياة في جوانب مختلفة: الطقوس والأعياد والاحتفالات. فاليزيدية تحولت إلى ما يشبه قيما اجتماعية وحضارية لدى أتباعها.

فدورها يتقاطع فيه البعد الروحي مع الأبعاد الرمزية والواقعية دون أن نهمل بقية الأبعاد في بساطتها واستجابتها لما يواجه الإنسان في أطوار مختلفة من حياته.

لقد نظر غالباً على أنها مشروع سياسي احتجاجي أو إيديولوجيا مهرطقة وخروج ومروق لكن آن لنا أن نتعامل معها في وظيفتها ودورها لدى الإنسان العادي.

وبصورة عامة فإن الخاصية البارزة في تيارات الإسلام المختلفة هي انبثاقها من معيش الناس قبل أن تصبح في مجال المفكر فيه (Le pensable).

ويبقى مع ذلك الغموض يلف الانقلاب الذي طرأ على هذه الجماعة فحولهم بسرعة من جماعة صوفية على فرقة غالية اتهمت بـ "المروق" و"الاعوجاج".

الخاتمة

حاولنا من خلال هذا العمل قدر الممكن والمستطاع أن نبحث في أصل "اليزيدية" والتعريف بها كمذهب أو فرقة دينية لها طقوسها وعباداتها الخاصة. ومع ذلك بقي ما هو مجهول بحكم الوهم والخرافة التي توشحت بها معتقداتها، وكان جلها من تأثير التراكمات العقائدية ودور الجوار المشترك بينهم وبين المسلمين والنصارى.

ويبقى موضوع الأصل الديني "لليزيدية" مثاراص للبحث. فقد أجهد في معالجته كبار الباحثين الذين كتبوا عنها وقد اتهمها باحثون آخرون بعبادة "الشيطان". فحاولوا الاجتهاد لإماطة اللثام عن سر أصلهم. فحتى النصوص الدينية التي يدعي اليزيديون قدمها وعمق امتدادها التاريخي. هي موضوع جدال لأن الحقائق قد تكون مدفونة في جبال سنجار والهكارية. ولذلك يبقى التمحيص والغربلة من واجب كل باحث يبحث في أصول هذه الفرقة.

ولقد تعددت النظريات الغريبة التي أطلقت على اليزيدية أحكاما مختلفة، فمنها من قالت بجذورهم الرافدية القديمة أو الثنوية الزرادشتية والتأثيرات المانوية عليها، ومنها من جزمت بأصولهم المثرائية بدون تحفظ. في حين ذهب البعض الآخر إلى الاعتقاد بالتأثير المسيحي عليهم.

وهذه الاحتمالات المعروضة حول اليزيدية لا تعطينا سوى تأويلات جزئية. ومع ذلك حاولنا قدر الإمكان التعرض إلى جميع هذه الآراء وطرحها في مسار البحث للوصول إلى الحقيقة العلمية والتي يقبلها التاريخ من غير تحفظات أو شكوك.

لذلك نجد أنفسنا ـ في الواقع ـ أمام بدعة ذات تأثيرات إسلامية. إن لم نقل أنها انسلت عن الإسلام. ولتأكيد ذلك وقبل التعمق في معتقداتهم والخوض فيها نلاحظ سلوكيات اليزيدية الخارجية فالجو الإسلامي يظهر من خلال الأسماء وفي التواريخ الموجودة على أضرحة صلحائهم وفي عديد العادات الإسلامية كالختان والذبائح وإكرام الصلحاء والقديسين. وأيضا في تقليدهم لمناسك الحج الإسلامي (حج مكة / حج لالش / عين زمزم) والتنظيم التراتبي الديني ويظهر كذلك في تلفظهم بعديد المصطلحات العربية من النادر وجودها عند بقية الأكراد ـ علما وأن اليزيدية من الأكراد ـ فطبقات اليزيدية في حقيقة أمرها طبقات صوفية نجدها لدى القادرية وغيرها. فصلواتهم وأدعيتهم هي ذات منشأ صوفي بحت. كما يظهر التشابه جليا بين "خمرة اليزيدية" في اشعارهم وخمرة المتصوفة ـ وإن ابتدعت فيها قليلا ـ أو بين "السكر الروحاني" عند بعض الفرق الصوفية الإسلامية المغالية وتلك الحالة التي يعيشها كواجك اليزيدية لمعرفة مصير الميت اليزيدي.

أما فيما يخص قصص البدء والتكوين وخلق الإنسان والتجسد والتقمص وإبليس (عزازيل) ومشكلة السجود لآدم فقد ذكرتها المصادر الإسلامية بإطناب. وعلى هذه الأسس والمعتقدات تكونت فرق إسلامية مغالية. خرجت عن المألوف.

وأما عن أصل التسمية "اليزيدية" فلا صلة لها بالخارجي "يزيد بن أنيسة" لأن فرقته تعتبر من الفرق المندثرة نهائيا وانصهرت بقاياها ضمن مسلمي الجوار.

وبذلك يبقى القول الفيصل بأن اليزيدية تكونت على يد الشيخ عدي بن مسافر الهكاري من أصل أموي وهو صاحب كبار متصوفة زمانه في القرن السادس للهجرة وقد أخذت عنه طائفته اسمه. فأطلق عليها اسم "العدوية" وكانت ترى الصلاح في يزيد بن معاوية ـ استنادا إلى آراء الشيخ عدي ـ وبدأت الأضاليل والهرطقات في ابن عدي الأصغر. الشيخ حسن شمس الدين. الذي عرف بطموحاته وحسن اطلاعه. ومن الصعب القول أنها فرقة مهدوية أموية كانت لبعث أمجاد الأمويين. ولكن وجدنا في سير وترجمة

أفراد هذه العائلة أنه هناك من أقام بالشام لطموح سياسي وللوصول إلى الحكم، من غير أن يكون تحت شعار "السفياني المنتظر". وإنما لشعور البعض من العدويين بالقوة وبحسن ولاء الأكراد لهم.

وقد انقسمت "العدوية" إلى قسمين: قسم ارتحل إبان مرحلة الهجرات الكردية إلى بلاد الشام ومصر حافظ على التقاليد الصوفية للعدوية. وقسم بقي في شمال العراق شرقي نهر دجلة بدأ يستعيد تدريجيا تعاليم الشيخ حسن شمس الدين المهرطقة. وبدأت ذاكرته تتعايش مجددا مع تراث الأجداد الروحي وقد بقي محفوظاً في أعماق الذاكرة الشعبية لليزيدية.

ومن هنا نستشف أن لليزيدية صلة قوية بالإسلام ساهمت عديد الظروف والأحوال في ابتعادها عن منهجها الصوفي الأول ثم الانحراف كليا في مرحلة أخرى عن الدين الإسلامي الذي قد يفسر بالإيمان الضعيف لأتباع الشيخ عدي ومريديه.

ورغم ذلك كله وإن لم يبق لليزيدية شيء من تعاليم الدين الإسلامي فإنه ليس من السهل إنكار أصولها العدوية ذات المنشأ الإسلامي أو الجزم بأنها تنتمي لأي ديانة أخرى.

وتبقى أعمال البحث والتمحيص متواصلة حول هذه النحلة...

المصادر والمراجع

1. الكتب المقدسة

- **إنجيل بوذا**. ترجمة سامي سليمان شيا. دار الحداثة. بيروت / لبنان. 1991
- **الكتاب المقدس**. طبعة دار الحياة. بيروت / لبنان. (د.ت)
- **القرآن الكريم**

2. المصادر العربية

التفاسير

- **ابن كثير** (تـ 774 هـ / 1372 م). تفسير القرآن العظيم. الناشر دار الخير. بيروت / لبنان. 1414هـ / 1994 م. ج I وIV .
- **القرطبي** (الإمام أحمد بن أحمد بن أبي بكر تـ 671هـ/1273 م). تفسير القرآن الكريم، القاهرة. المكتبة العربية المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. مصورة عن طبعة دار الكتب العربية للطباعة والنشر. 1967/1387، ج I
- **الزمخشري** (محمود بن عمر تـ 538 هـ / 1144 م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل. المطبعة الأميرية، القاهرة / مصر. 1307 هـ.

كتب الحديث

- **ابن الأثير** (مجد الدين أبي السعدات المبارك بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري تـ 606 هـ / 1210م)، النهاية في غريب الحديث والأثر. المطبعة العثمانية، القاهرة. 1311هـ، ج II.
- **البخاري** (الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الحسين إسماعيل بن إبراهيم الجعفي تـ 256 هـ / 870 م)، صحيح البخاري، طبعة بولاق، القاهرة / مصر. 1311 ـ 1313 هـ، ج IX.

• **الزرقاني** (الإمام محمد بن عبد الباقي تـ 1122 هـ / 1710 م). مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ. نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض. 1416 هـ /1995 م.

• **مسلم** (الإمام أبي الحسن النيسابوري تـ 261 هـ / 875 م). صحيح مسلم. شرح النودي. مكتبة الغزالي. دمشق. مؤسسة مناهل العرفان. بيروت. المجلد VI. (ج 18).

المصادر الفقهية

• **ابن تيمية** (تقي الدين أبي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي تـ 728 هـ / 1328م).

▪ مجموعة الرسائل الكبرى. تصحيح ابن الشيخ حسن الفيومي ابراهيم. المطبعة العامرة الشرفية. القاهرة / مصر. 1323هـ. ج I.

▪ سؤال في يزيد بن معاوية. تحقيق د. صلاح الدين المنجد مستل من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. ج III و IV من المجلد III. دمشق. 1383 هـ / 1963 م.

• **أبو يوسف** (القاضي يعقوب بن إبراهيم تـ 182 هـ / 798 م). كتاب الخراج. سلسلة في التراث الاقتصادي الإسلامي. دار الحداثة. بيروت / لبنان. 1990.

• **الأشعري** (ت 324 هـ / 936 م). رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب. تحقيق عبد الله شاكر ومحمد الجنيدي. طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. 1413 هـ.

السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان (مخطوط). قامت بتحقيقه أ. د. سيدة إسماعيل كاشف. طبع وزارة التراث والثقافة العمانية. 1406 هـ / 1986 م. ج II.

كتب الفرق والعقائد

• **ابن أبي الحديد** (تـ 656 هـ / 1258 م). شرح نهج البلاغة. طبعة القاهرة. 1329 هـ. ج I.

• **ابن أبي حاتم** (أبو محمد عبد الرحمان التميمي). الجرح والتعديل. مطبعة دائرة المعارف العثمانية. حيدرآباد الدكن / الهند. 1959. ج I. (ق 2).

• **ابن الجوزي** (عبد الرحمان جمال الدين بن أبي الحسن تـ 597 هـ / 1200 م). تلبيس ابليس. دراسة وشرح وتقديم مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية. منشورات دار ومكتبة الهلال. بيروت/لبنان. 1991 م.

- **ابن حزم** (الإمام أبي محمد علي بن أحمد الظاهري تـ 456 هـ). كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل. المطبعة الأدبية. القاهرة / مصر. 1317 هـ. ج I.
- **الإسفرايني** (أبو المظفر عماد الدين 471 هـ / 1078 م). التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. نشر العطار. مطبعة الأنوار. القاهرة / مصر. 1940.
- **الأشعري** (الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل تـ 324 هـ / 936 م). مقالات الإسلاميين. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الحداثة. بيروت / لبنان. 1985/1405.
- **الراغب الإصفهاني** (أبي القاسم الحسين بن محمد بن محمد الفضل) (502 هـ / 1109 م). الاعتقادات. تحقيق د. شمران العجمي. مؤسسة الإشراف للطباعة والنشر. بيروت / لبنان. 1988.
- **البغدادي** (عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفرائيني). الفرق بين الفرق. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. صيدا ـ بيروت. 1995/1416
- **الشهرستاني** (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد تـ 548 هـ / 1153 م). الملل والنحل. تحقيق محمد السيد الكيلاني. دار المعرفة. بيروت / لبنان. (د.ت). ج I.
- **الطبرسي** (محمد بن عبد الكريم تـ ق 6 هـ /12 م). الاحتجاج. تعليق محمد باقر الموسوي الخراساني. مؤسسة الأعلمي ومؤسسة أهل البيت. بيروت / لبنان. 1989/1410. ج II.
- **الطوسي** (أبو جعفر تـ460 هـ/1067 م). كتاب الغيبة. تحقيق آغا بزرك الطهراني. النجف / العراق. 1385 ـ 1965
- **الغزالي** (أبي حامد محمد بن محمد تـ 505 هـ / 1112 م). مكاشف القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف. الناشر مكتبة الأزهر للتراث. القاهرة / مصر. 1412 هـ / 1991 م.
- **القمي** (سعد بن عبد الله الأشعري تـ 301 هـ / 913 م). المقالات والفرق. تصحيح محمد جواد مشكور. طبعة الحيدري. طهران. 1963.
- **الكليني** (أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني تـ 329 هـ / 944 م). الروضة من الكافي. تصحيح علي الغفاري. نشر دار الكتب الإسلامية. طهران. 1380 هـ. ج VIII.
- **المقدسي** (ابن القيسراني محمد بن طاهر تـ 507 هـ / 1113 م). صفوة التصوف. تحقيق غادة المقدم عدرة. دار المنتخب العربي بيروت/ لبنان. 1995.

كتب التصوف

- **ابن عربي** (الشيخ محي الدين تـ 638 هـ / 1241 م)
  - ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق. طبعة بيروت. 1312 / 1894.
  - كتاب عنقا مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب. **مطبعة محمد علي صبيح** بالأزهر. مصر. 1954.
- **التادفي** (محمد بن يحي الحنبلي تـ 963 هـ / 1556 م) (تـ 963 هـ / 1556 م). قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر. القاهرة / مصر. 1356 هـ.
- **الجيلاني** (الشيخ عبد القادر الحسني تـ 561 هـ / 1166 م)
  - الغنية. المكتبة الشعبية. بيروت/لبنان. ج I.
  - الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية. **جمع وترتيب الحاج إسماعيل بن** السيد محمد سعيد القادري. المكتبة الثقافية. بيروت / لبنان. 1408 هـ / 1988م.
- **حلاج** (الحسين ابن منصور تـ 309 هـ / 922 م). **الطواسين**. **أعد النصوص وقدمها** رضوان الشح. دار الينابيع. دمشق. 1997.
- **السهرودي** (أبو حفص شهاب الدين تـ 632 هـ). **عوارف المعارف**. **دار الكتاب** اللبناني. 1974. على هامش كتاب الأحياء. ج II.
- **الشطنوفي** (نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن جرير بن معضاد بن فضل اللخمي) (تـ 713 هـ / 1313 م). **بهجة الأسرار ومعدن الأنوار**. **طبعة البابي الحلبي. القاهرة /** مصر. 1330 هـ
- **الشعراني** (أبو المواهب عبد الوهاب الأنصاري) (تـ 973 هـ / 1565 م). **الطبقات الكبرى**. المسماة بـ"لواقح الأنوار في طبقات الأخيار". **دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع**. دمشق / سوريا. (د.ت). ج I.
- **المقدسي** (ابن القيسراني محمد بن طاهر تـ 507 هـ / 1113 م). **صفوة التصوف**. تحقيق غادة المقدم عدرة. دار المنتخب العربي بيروت / لبنان. 1995.

كتب الأنساب

- **ابن الأثير** (تـ 630 هـ / 1232 م). **اللباب في تهذيب الأنساب**. **نشر مكتبة** القدسي. القاهرة / مصر. 1369 هـ.
- **ابن حزم** (أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي تـ 456 هـ / 1064 م). جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام هارون. **طبعة دار المعارف. مصر. 1962.**

- **ابن الفوطي** (كمال الدين عبد الرزاق تـ 637 هـ / 1239 م).
  - تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب. تحقيق مصطفى جواد. بغداد. 1962 ـ 1965، ج IV. قسم 1.
  - تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب. تصحيح وتعليق الحافظ محمد عبد القدوس القدسي، أصدرته مجلة Oriental Collège Magasin. لاهور. 1940. ج IV.
- **ابن ماكولا** (أبو نصر علي بن هبة الله الشهير بابن ماكولا تـ 475 هـ / 1095 م). الإكمال لرفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب. تعليق عبد الرحمان بن يحي العلمي. طبعة حيدر أباد. 1962. ج IV.
- **البلاذري** (تـ 279 هـ / 893 م).
  - أنساب الأشراف. تحقيق القسم II. ج I. محمد باقر المحمودي. مؤسسة الأعلمي. بيروت. 1974.
  - أنساب الأشراف. ج IV. القسم II. أو (ب) تحقيق م. شلو سنغار. القدس. 1938.
  - أنساب الأشراف. ج V. تحقيق س. غويتاين. القدس. 1936.
- **الزبيري** (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله المصعب تـ 256 هـ / 870 م). نسب قريش. تحقيق ليفي بروفنسال. دار المعارض. القاهرة / مصر. 1976
- **السمعاني** (الإمام أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي) (تـ 562 هـ/1166 م) الأنساب. تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي. دار الكتب العلمية ودار الجنان، بيروت / لبنان، 1988/1408، ج V.
- **السيوطي** (جلال الدين عبد الرحمان تـ 911 هـ / 1505 م). لب اللباب في تحريم الأنساب. طبعة ليدن، 1940.

كتب الرحلة والجغرافيا

- **الإصطخري** (أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي تـ 346 هـ / 958 م). مسالك الممالك. بريل (Brill) . 1927.
- **ابن بطوطة** (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي) (779 هـ / 1377 م) رحلة ابن بطوطة. المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". دار صادر. بيروت / لبنان، (د.ت)، ج I.
- **ابن حوقل** (تـ 378 هـ / 988 م). صورة الأرض. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت / لبنان، 1979.

- ابن خردذابة (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله تـ 300 هـ / 913 م). المسالك والممالك. نشر وتحقيق DEGOEJE (M. J). بريل (Brill)، 1889.
- **البيروني** (أبو الريحان تـ 440 هـ / 1048 م). كتاب: ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. كلكتا / الهند. 1958.
- **الحموي** (ياقوت 626 هـ / 1228 م). معجم البلدان. دار صادر ودار بيروت. بيروت / لبنان. 1957/1376. ج III.
- **العمري** (ابن فضل الله شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحي تـ 749 هـ / 1349 م)
  - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. "دولة المماليك الأولى". دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي. المركز الإسلامي للبحوث. بيروت / لبنان. 1986.
  - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق أحمد زكي باشا. القاهرة 1921.
- **اليعقوبي** (أحمد بن أبي يعقوب تـ 292 هـ / 905 م). كتاب البلدان. طبع في نفس مجلد الأخلاق النفيسة. طبعة بريل (Brill). نسخة مصورة عن الأصل. مكتبة المثنى ببغداد. (د.ت).

المصادر الإخبارية

- **الأزدي** (أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم تـ 334 هـ / 945 م). تاريخ الموصل. تحقيق د. علي حبيبة. من إصدارات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة / مصر. 1967/1387. ج I.
- **الأندلسي** (صاعد عاش ق IV هـ / XII م). طبقات الأمم. تحقيق حياة بوعلوان. دار الطليعة. بيروت / لبنان. 1985.
- **ابن الأبار** (أبو عبد الله محمد بن عبد الله تـ 659 هـ / 1260 م). التكملة لكتاب الصلة. تحقيق كوديرا. مدريد 1967. ج I.
- **ابن إلياس** (الشيخ محمد بن أحمد بن إلياس الحنفي تـ 930 هـ / 1524 م). بدائع الزهور في وقائع الدهور. شرح ومراجعة سعيد اللحام. المكتبة الحديثة. بيروت / لبنان. 1992.
- **ابن الأثير** (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) (تـ 630 هـ / 1232 م).
  - الكامل في التاريخ. دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر. بيروت / لبنان. 1966/1386 ج XI.

▪ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل. تحقيق عبد القادر طليمات. نشر دار الكتاب الحديثة. القاهرة 1382 هـ / 1963 م.

● **ابن بكار** (أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله الأسدي عاش ق III هـ / X م). الأخبار الموفقيات. تحقيق سامي العاني. بغداد. (دت).

● **ابن تغري بردي** (أبو المحاسن تـ 874 هـ / 1469 م). النجوم الزاهرة. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ووزارة الثقافة. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة. القاهرة. (د.ت). ج III.

● **ابن الجزري** (شمس الدين أبي عبد الله محمد القرشي تـ 699 هـ / 1300 م). تاريخ ابن الجزري. تحقيق د. عبد السلام التدمري. المكتبة العصرية. صيدا / بيروت. 1419 هـ / 1998 م. ج I.

● **ابن الجوزي** (عبد الرحمان تـ 597 هـ / 1200م)

▪ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. حيدر آباد ـ الدكن. 1942. ج VI.

▪ سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز. دراسة وتحقيق وتعليق د. السيد الجميلي. منشورات دار مكتبة الهداية. بيروت / لبنان. 1988.

● **ابن خلدون** (تـ 808 هـ / 1405 م). التاريخ. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت / لبنان. 1391-1971. ج III.

● **ابن طباطبا** (تـ 709 هـ/1309 م). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. تحقيق عبد القادر محمد مايو. دار القلم العربي. حلب. 1997

● **ابن العبري** (غريغوريوس أبو الفرج المالطي تـ 685 هـ / 1286 م). تاريخ مختصر الدول. تحقيق انطون صالحاني. المطبعة الكاثوليكية. بيروت / لبنان. 1890.

● **ابن عذارى** (المراكشي) (كان موجودا سنة 712 هـ / 1312 م). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وإليفي بروفنسال. الدار العربية للكتاب 1983. ج II.

● **ابن الفوطي** (عبد الرزاق تـ 723 هـ/1323 م). الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة. تحقيق د. مصطفى الجواد. بغداد. 1351 هـ.

● **ابن قتيبة الدينوري** (تـ 276 هـ / 889 م). الإمامة والسياسة. (المعروف بتاريخ الخلفاء). تحقيق الأستاذ علي بشري. انتشارات الشريف الرضى. قم / إيران. 1413 هـ / 1992 م. ج I.

● **ابن كثير** (تـ 774 هـ/1372 م). البداية والنهاية في التاريخ. مكتبة المعارف بيروت ومكتبة النصر الرياض. 1966، ج XII.

- **ابن مزاحم** (نصر تـ 212 هـ/828 م). واقعة صفين. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. منشورات مكتبة آية الله المرعشي، قم / إيران، 1382 هـ .
- **ابن المستوفي** (تـ 637 هـ / 1239 م). تاريخ اربل. تحقيق وتعليق سامي بن السيد خماس الصفار. دار الرشيد. منشورات وزارة الثقافة والإعلام بغداد / العراق. 1980. ق I.
- **ابن هشام** (تـ 283 هـ / 896 م). سيرة النبي. دار الفكر. دمشق. 1981/1401. ج I.
- ابن واصل (جمال الدين بن سالم تـ 697 هـ / 1298 م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. طبع جامعة فؤاد الأول. القاهرة / مصر. 1953. ج I.
- **ابن الوردي** (زين الدين عمر بن مظفر) (تـ 749 هـ / 1348 م) تاريخ ابن الوردي. دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان. 1996/1417، ج II.
- **أبو الفداء** (الملك المؤيد عماد الدين بن إسماعيل) (تـ 732 هـ/1332 م)، المختصر في أخبار البشر. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت / لبنان، (د.ت)، ج III.
- **البدليسي** (الأمير شرف خان بن الأمير شمس البدليسي الروزكي) (كان موجوداً في 1005 هـ / 1596 م) .
  - الشرفنامة في تاريخ الدول والإمارات الكردية، نقله إلى العربية من النص الفارسي مولا جميل بندي روزبياني. (طبع على نفقة عبد العزيز الدباس)، مطبعة النجاح، بغداد/العراق. 1953/1372.
  - الشرفنامة في تاريخ الدول والإمارات الكردية، ترجمة محمد علي عوني ومراجعة يحي الخشاب. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة / مصر، 1958، ج I.
- **الثعلبي** (أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري تـ 427 هـ / 1036 م) قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة / تونس. 1989.
- **الحنبلي** (مجير الدين أبو اليمن القاضي عبد الرحمان بن محمد تـ 927 هـ / 1521م). الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المطبعة الوهبية. القاهرة / مصر، ج I.
- **الخطيب البغدادي** (أبي بكر بن أحمد تـ 463 هـ/1071 م)، تاريخ بغداد. طبع مطبعة السعادة بالقاهرة. 1931. ج I.
- **الدينوري** (أبو حنيفة أحمد بن داوود تـ 282 هـ / 895 م). الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر ومراجعة د. جمال الدين الشيال. نقلا عن الطبعة الفارسية. منشورات وزارة الثقافة المصرية. القاهرة، 1960.
- **الذهبي** (الحافظ شمس الدين تـ 748 هـ / 1347 م). دول الإسلام، تحقيق محمد مصطفى وفهيم محمد، القاهرة، 1974. ج I.

- **سبط ابن الجوزي** (تـ 645 هـ / 1257 م)، **مرآة الزمان**. حيدر آباد 1952. ج XIII.
- **السخاوي**. (شمس الدين محمد بن عبد الرحمان تـ 902 هـ / 1497 م). **تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات**. القاهرة / مصر. 1356 هـ / 1937 م.
- **السيوطي** (تـ 911 هـ / 1505 م). **تاريخ الخلفاء**. تحقيق الشيخ قاسم الرفاعي والشيخ محمد العثماني. دار القلم. بيروت / لبنان. 1986/1406.
- **الطبري** (تـ 310 هـ/923 م). **التاريخ**. تحقيق أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة / مصر. ج IV.
- **الفارقي** (أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق تـ590 هـ/1194 م). **تاريخ الفارقي**. حققه د. بدوي عبد اللطيف عوض. دار الكتاب اللبناني. بيروت/لبنان. 1974
- **الفردوسي** (أبو القاسم تـ 411 هـ / 1021 م). **الشاهنامة**، ترجمة الفتح بن علي البنداري. تحقيق وتعليق د. عبد الوهاب عزام. طبعة دار السعاد الصباح. الكويت 1413 هـ / 1993 م. ج I.
- **مسكويه** (علي أحمد بن أحمد تـ 421 هـ / 1030 م). **كتاب تجارب الأمم**. تحقيق: AMEDROZ (H.F)، طبعة القاهرة 1914 /1332 هـ. نسخة مصورة بالأفست لدار الكتاب اللبناني، توزيع مكتبة المثنى، بغداد / العراق، ج I.
- **المقدسي** (مطهر بن طاهر تـ 507 هـ / 1114 م) ينسب خطأ إلى البلخي (أبي زيد أحمد بن سهل). **البدء والتاريخ**، قام بنشره قنصل الدولة الفرنسية كلمان هوار. شالون / فرنسا. 1899، ج IV.
- **المقريزي** (تـ 845 هـ / 1441 م)
  - **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق د. محمد حلمي أحمد. طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة، 1967، ج II.
  - **الخطط**، تحقيق د. محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي. القاهرة. ج III.
  - **كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم**، تحقيق القاضي محمود عرنوس، نشر وطبع إبراهيم يوسف، مكتبة الأهرام، القاهرة / مصر، (د.ت).
- **الواقدي** (تـ 207 هـ/822 م)
  - **تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق**، تحقيق عبد العزيز فياض. حرفوش، دار البشائر، 1966، دمشق / سورية.
  - **فتوح الشام**، دار إحياء التراث العربي، بيروت/لبنان (د.ت)، ج II.

• **اليافعي** (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي) (تـ 768 هـ / 1367 م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. منشورات الأعلمي للمطبوعات. بيروت/لبنان. 1970/1390. ج III.

• **اليعقوبي** (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب العباسي تـ 293 هـ / 906 م). تاريخ اليعقوبي. تحقيق عبد الأمير مهنا. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت / لبنان. 1413/1993. ج II.

• **اليونيني** (قطب الدين أبو الفتح موسى محمد بن أحمد تـ 726 هـ / 1325 م). ذيل مرآة الزمان. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد / الهند. 1954. ج IV.

كتب الأدب والشعر والموسوعات القديمة

• **الأصفهاني** (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد تـ 356 هـ / 967 م). الأغاني. طبعة دار الكتب المصرية عن نسخة بولاق المطبوعة في سنة 1285 هـ. ج XX.

• **ابن برد** (بشار تـ ق II هـ / VIII م). ديوان بشار بن برد. شرح حسين حموي. دار الجيل. بيروت/لبنان. 1996/1416. م II.

• **ابن سلام** (الجمعي محمد تـ 232 هـ / 847 م). طبقات فحول الشعراء. تحقيق محمود شاكر. القاهرة. دار المعارف. 1953.

• **ابن عبد ربه** (أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي تـ 328 هـ / 940 م).

▪ العقد الفريد. ج II. تحقيق محمد سعيد العريان. المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة / مصر. 1943.

▪ العقد الفريد. تحقيق أحمد أمين وزملائه. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. 1962. ج IV.

• **ابن قتيبة** (أبي محمد عبد الله بن مسلم تـ 213 هـ / 828 م). المعارف. حققه وقدم له د. ثروت عكاشة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1992.

• **ابن المعتز** (عبد الله بن المعتز العباسي تـ 296 هـ/909 م). طبقات الشعراء. تحقيق عبد الستار أحمد فرج. دار المعارف. القاهرة / مصر. 1956.

• **ابن منظور** (جمال الدين أبي الفضل محمد بن جلال الدين أبي العز مكرم الأنصاري الإفريقي المصري تـ 711 هـ/1311 م).

▪ لسان العرب أعاد بناءه على الحرف الأول من كلمة يوسف الخياط ونديم مرعشلي. دار لسان العرب. بيروت / لبنان. 1970. ج III.

▪ لسان العرب. دار صادر. بيروت / لبنان. (د. ت). ج VI.

• **ابن النديم** (محمد ابن إسحاق تـ 378 هـ/989 م). الفهرست. المطبعة الرحمانية. مصر. 1348 هـ

• **الجاحظ** (تـ 255 هـ / 869 م). رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الجيل. بيروت / لبنان. 1991/1411. ج I.

• **الجرجاني** (الشريف علي بن محمد بن علي تـ 826 هـ / 1423 م). التعريفات. دار الفكر للطباعة و النشر. بيروت / لبنان. 1997/1418.

• **الحلاج** (تـ 309 هـ / 922 م). الديوان. منشورات الجمل. كولونيا / ألمانيا. 1977.

• **الخزاعي** (دعبل بن علي تـ 245 هـ/860 م). الديوان. جمعه وحققه عبد الصاحب عمران الدجيلي. دار الكتاب اللبناني. بيروت / لبنان. 1989.

• **الخوارزمي** (تـ 387 هـ / 997 م). مفاتيح العلوم. تقديم وإعداد د. عبد اللطيف محمد العيد. دار النهضة العربية بيروت / لبنان (د. ت).

• **القلقشندي** (أبي العباس أحمد بن علي تـ 821 هـ / 1418 م). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. دار الكتب المصرية. القاهرة 1337 ـ 1340 هـ / 1918 ـ 1922 م. ج VI.

• **المعري** (أبو العلاء تـ 449 هـ / 1057 م). لزوم ما لا يلزم من اللزوميات. دار صادر بيروت / لبنان. (د.ت).

كتب التراجم والطبقات والوفيات

• **أبو فرج الأصفهاني** (تـ 356 هـ / 967 م). مقاتل الطالبين. شرح وتحقيق السيد أحمد صهر. منشورات مؤسسة الأعلى. بيروت / لبنان. 1987م / 1408 هـ.

• **ابن خلكان** (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر تـ 681 هـ / 1282 م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر للطباعة والنشر. بيروت / لبنان. (د.ت). ج III.

• **ابن حجر العسقلاني** (تـ 852 هـ / 1422 م). الدرر الكامنة من أعيان المائة الثامنة. حيد آباد الدكن. 1348 هـ. ج I.

• **ابن شاكر الكتبي** (محمد) (تـ 764 هـ/1361 م) فوات الوفيات والذيل عليها. تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر. بيروت/لبنان. (د.ت). ج I

• **ابن شداد** (القاضي بهاء الدين تـ 632 هـ/1235 م). كتاب سيرة صلاح الدين الأيوبي. دار الفكر دمشق. (د. ت).

- **ابن العماد الحنبلي** (أبي الفلاح عبد الحي تـ 1089 هـ / 1678 م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت / لبنان. (د ت). م III، ج 5.

البغدادي (زين الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن شهاب الدين أحمد تـ 795 هـ / 1392 م)، كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، مطبعة السنة المحمدية. القاهرة / مصر، (د.ت)، ج II.

- **الذهبي** (تـ 148هـ / 1347 م)
  - سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان، 1985. جXX
  - العبر في خبر من غبر، تحقيق فؤاد السيد. طبعة وزارة الإعلام الكويتية، 1984. جIII
  - العبر في خبر من غبر، ج V، من تحقيق صلاح الدين المنجد. طبعة الكويت، 1986.
- **الطبرسي** (أبو علي الفضل بن الحسن تـ 548 هـ / 1153 م)، أعلام الورى بأعلام الهدى، قدم له السيد محمد مهدي والسيد حسن الخرسان، المطبعة الحيدرية. النجف / العراق، 1390 هـ / 1970 م.
- **العمري** (الخطيب محمد آمين خير الله تـ 1203 هـ / 1788 م)، منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، حققه ونشره سعيد الديوه جي. مطبعة الجمهورية الموصل، 1388هـ / 1968م.
- **الكشي** (أبو عمرو محمد بن عبد العزيز تـ بعد 369 هـ / 979 م)، رجال الكشي. تحقيق السيد محمد الحسيني، كربلاء / العراق. (د.ت).
- **النسوي** (محمد بن أحمد تـ 647 هـ / 1249 م)، سيرة السلطان جلال الدين منكرتي، تحقيق حافظ أحمد حمدي. دار الفكر العربي / مطبعة الاعتماد بمصر/ 1953

3. المصادر الغير عربية

- **أوليا** (جلبي تـ بعد 1090 هـ / 1679 م)، أوليا جلبي سياحتنا مه سي. استانبول، 1317 هـ، ج IV (بالتركية)
- **HEBRAEUS** (Bar), Chronograph, ed. Bedjann trans. Budge, Oxford 1932, vol I

4. المراجع العربية

- **إبراهيم** (د. نبيلة). أشكال التعبير في الأدب الشعبي. دار النهضة. القاهرة / مصر .
- **ابن عبد الجليل** (المنصف). الفرق الهامشية في الإسلام. أطروحة دكتورا دولة مرقونة. كلية الآداب. منوبة. 1997. ق I.
- **أبو النصر** (عمر). الأيام الأخيرة للدولة الأموية. منشورات المكتبة الأهلية. بيروت / لبنان. 1962.
- **أبو ريان** (محمد علي). أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردي. منشورات دار الطلبة العرب. بيروت 1969.
- **أبو يحي** (أحمد). الحية في التراث العربي. المكتبة العصرية. صيدا / لبنان 1417 هـ / 1997 م.
- **أحمد** (علي). تاريخ المغرب العربي الإسلامي. منشورات جامعة دمشق. 1412 هـ / 1992 م.
- **الإحقاقي** (الحاج ميرزا عبد الرسول الحائري). الولاية. مكتبة الإمام الصادق. الكويت. سنة 1993. ج I.
- **الأحمد** (د. سامي سعيد). اليزيدية (أحوالهم ومعتقداتهم). مطبعة الجامعة. بغداد / العراق. 1975.
- **الأحمد** (سامي سعيد الهاشمي) ورضي (د. جواد). تاريخ الشرق الأدنى القديم ايران والأناضول. ببغداد 1985.
- **أدلبي** (محمد منير). أبناء آدم من الجن والشياطين. دمشق. 1993.
- **إسماعيل** (نوري). الديانة الزرادشتية (مزديسنا). منشورات دار علاء الدين. دمشق / سورية. 1997.
- **الأسود** (العميد عبد الرزاق). المدخل الى دراسة الأديان والمذاهب. الدار العربية للموسوعات. بيروت / لبنان. 1401/1981. ج III.
- **الأعرجي** (محمد حسين). جهاز المخابرات في الحضارة الإسلامية. دار المدى للثقافة والنشر. بيروت / لبنان. 1998
- **أمين** (أحمد). ضحى الاسلام. منشورات مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. 1964. ج I.
- **الأمين** (شريف يحي). معجم الفرق الإسلامية. دار الأضواء. بيروت / لبنان. 1986/1406.

- **أنس الوجود** (سناء). رمز الأفعى في التراث العربي. مكتبة الشباب بالمنيرة. القاهرة / مصر. (د.ت).
- **البابانى** (إسماعيل باشا البغدادي). هداية العارفين في أسماء المؤلفين. اسطنبول 1955.
- **باباي** (أحمد). السعي إلى الآخرة. الشركة التونسية للتوزيع. 1982.
- **البستاني** (كميل أفرام). النصوص الفينيقية في قرية تيبة. الجامعة اللبنانية. 1985
- **البسيوني** (إبراهيم). التصوف الإسلامي. القاهرة / مصر. 1969.
- **البكر** (محمود مفلح). الروح الأخضر "احتفالات الخصب في العادة والمعتقد". دار الحضارة الجديدة. بيروت / لبنان. 1992
- **البناء** (هاشم). اليزيديون. طبع في بغداد. 1964
- **بن حسين** (رضا). الجزيرة الفراتية وعلاقتها بالأمصار والخلافة (بين الفتح - 132هـ). (شهادة الكفاءة في البحث مرقونة). كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس. 1990.
- **الترك** (عثمان). صفحات من تاريخ الأمة الأرمينية. مطبعة الأهرام. حلب. 1960.
- **التونجي** (د. محمد). اليزيديون واقعهم تاريخهم معتقداتهم. الناشر الدار السلفية. الكويت 1409هـ/1988م
- **تيمور** (أحمد باشا) (ت 1348 هـ / 1929 م) اليزيدية ومنشأ نحلتهم. المطبعة السلفية ومكتبتها. القاهرة / مصر. 1352هـ.
- **الجابري** (د. محمد عابد). العقل السياسي العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت / لبنان. 1990.
- **الجراد** (د. خلف). اليزيدية واليزيديون. دار الحوار. اللاذقية / سورية. 1995.
- **الجندي** (محمود). ما هي اليزيدية ومن هم اليزيديون. بغداد. 1976.
- **جعيط** (هشام) . الكوفة. دار طليعة بيروت / لبنان. 1993.
- **الحسني** (عبد الرزاق). اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. المطبعة العصرية. صيدا / لبنان. 1968.
- **الخربوطلي** (د. علي حسين). تاريخ الكعبة. دار الجيل. بيروت / لبنان. 1991/1411.
- **خليل** (فاضل). خالد بن يزيد (سيرته واهتماماته العلمية. دراسة في العلوم عند العرب). منشورات وزارة الثقافة والإعلام. بغداد / العراق. 1984.
- **خماش** (د. نجدة)
  - دراسات في الآثار الإسلامية. مطبعة الرياض. دمشق. 1402/ 1982.

▪ الإدارة في العصر الأموي. دار الفكر. الطبعة الولى. دمشق / سورية.
● **الخوري** (د. روجيه شكيب)
▪ عبدة الشيطان. دراسات المركز اللبناني الباراسيكولوجي. بيروت / لبنان. 1998.
▪ الباراسيكولوجيا في خدمة العلم (طاقة الإنسان وقدرته الحاسة السادسة عنده). جII. تقديم وهيب كيروز. مكتبة صادر. بيروت. 1984.
● **الدرة** (محمود) . القضية الكردية. دار الطليعة. بيروت / لبنان. 1966
● **الدملوجي** (صديق). اليزيدية. مطبعة الاتحاد. الموصل. 1949
● **الدوري** (عبد العزيز). الجذور التاريخية للشعوبية. دار الطليعة بيروت / لبنان 1986.
● **دولباني** (يوحنا). المثال الرباني. المطبعة السريانية. بوينس أيرس / الأرجنتين. 1942.
● **الديوه جي** (سعيد).
▪ تاريخ الموصل. طبع المجمع العلمي العراقي ببغداد. 1982/1402. ج I.
▪ اليزيدية. ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره. بغداد 1393هـ / 1973 م.
● **ربيع** (الشيخ محمود حسن). حل مشكلات عن مسائل مهمات. مطبعة الزاوية التيجانية. القاهرة / مصر، 1 أغسطس 1956.
● **رستم** (د. أسد). تاريخ كنيسة مدينة الله العظمى أنطاكية. بيروت/لبنان. 1958 م. ج I.
● **رسلان** (د. أحمد فؤاد). أرمينيا الأمة والدولة. دار الأمين. القاهرة. 1977.
● **الرويشدي** (سوادي عبد محمد). إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ. مطبعة الإرشاد. بغداد / العراق. 1971.
● **الزحيلي** (محمد) والعش (يوسف). تاريخ الأديان. منشورات جامعة دمشق. 1995م / 1416هـ.
● **الزغبي** (د.محمد علي). وصايا الشيطان. مؤسسة الزغبي للطباعة والنشر والتوزيع. (د.ت). بيروت / لبنان.
● **زكار** (د. سهيل). تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي الثاني. مطبعة جامعة دمشق. 1990/1411.
● **زيتون** (د. عادل). تاريخ المماليك. منشورات جامعة دمشق. 1992/1412.
● **زيعور** (علي). الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم. بيروت. 1978.
● **زيود** (محمد أحمد). دول بلاد الشام ومصر في العصر العباسي الثاني. منشورات جامعة دمشق. 1994.
● **ساكا** (المطران إسحاق)

• السريان إيمان وحضارة. مطرانية السريان الأرثوذكس. حلب / سورية. (سلسلة يصدرها المطران يوحنا إبراهيم). ج I.
• كنيستي السريانية. مطابع ألف باء الأديب. دمشق / سورية. 1985.
• السامرائي (يونس الشيخ ابراهيم). تاريخ الطرق الصوفية. مكتبة الشرق الجديد. بغداد / العراق. 1988/1408.
• السحمراني. من قاموس الأديان (الصابئة. الزرادشتية. اليزيدية). دار النفائس. بيروت / لبنان. 1997/1417. جI.
• سعيد (حبيب). أديان العالم. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة. (S.P.C.K). بولاق. القاهرة/مصر. (د.ت)
• الشيخ (حسين). ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ. دار العلوم. بيروت/لبنان. 199/1416
• الصائغ (القس سليمان الموصلي). تاريخ الموصل. المطبعة السلفية. مصر. 1923/1342. ج I
• الصادقي (د. محمد). علي والحاكمون. دراسة تحليلية. منشورات مؤسسة الأعلمي. بيروت/لبنان. 1969
• العظم (د. صادق جلال). نقد الفكر الديني. دار الطليعة. بيروت/لبنان. 1997
• الصافي (لطف الله). منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر. منشورات مكتبة الصدار. طهران / إيران. (د.ت).
• الصدر (السيد حسن). تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام. مؤسسة النعمان للنشر والتوزيع. بيروت / لبنان. 1993.
• الصراف (أحمد حامد). الشبك (من فرق الغلاة في العراق). مطبعة المعارف. بغداد. 1954/1373
• الصفدي (د. هشام). تاريخ الشرق القديم. منشورات جامعة دمشق. 1992. ج I.
• العابد (مفيد رائف). دراسات في تاريخ الإغريق. مطبعة دار الكتاب. دمشق. 1990.
• العاملي (السيد محسن الأمين الحسيني). في رحاب أئمة أهل البيت. دار الثقافة للمطبوعات. بيروت / لبنان. 1980/1400. ج III
• العايب (د. سلوى بالحاج صالح)
• المسيحية العربية وتطوراتها. دار الطليعة. بيروت / لبنان. 1997.
• تغلب بين المسيحية والإسلام. بحث مرقون شهادة الكفاءة في البحث. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. تونس. 1988.

- **العبادي** (أحمد مختار). في التاريخ العباسي والفاطمي. الاسكندرية / مصر. (د.ت).
- **العريبي** (محمد). موسوعة الأديان السماوية والوضعية. (الديانات الوضعية المنقرضة). دار الفكر اللبناني. بيروت / لبنان. 1995. الجزء الثاني.
- **العزاوي** (عباس)
  - تاريخ العراق بين احتلالين. منشورات الشريف الرضي. قم إيران. مصور عن النسخة الأصلية لمطبعة التنصيص ببغداد 1939/1357. ج III.
  - تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم. مطبعة بغداد. شارع المأمون. 1354 هـ / 1935 م
- **العسكري** (السيد عبد الحسين مهدي).
  - العلويون أو النصيرية. نشره المؤلف دون تجديد مكان النشر. بيروت / لبنان. 1980/1400.
  - عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى. طبعة إيران. 1992. المجلد II
- **الغريفي** (عبد الله)
  - أحاديث وكلمات حول الامام المنتظر. مكتبة الهداية الإسلامية. دبي. 1988.
  - التشيع: نشوؤه مراحله مقوماته. دار الموسم لإعلام. بيروت / لبنان. 1991/1412.
- **الفتلاوي** (مهدي). مبادئ الثقافة المهدوية. دار الكرام. بيروت / لبنان. 1995.
- **الفرحاني** (محمد). أقوام تحولت بيننا فعرفتها. دمشق. 1958/1378.
- **الفضيلي** (عبد الهادي). في انتظار الامام. دار الأندلس. بيروت / لبنان. 1979.
- **الفيل** (د.سهير محمد علي). اليزيدية. دار المنار للنشر والتوزيع. القاهرة. 1990.
- **قانصو** (د. أكرم). التصوير الشعبي العربي. سلسلة عالم المعرفة الكويتية، العدد 203، 1995.
- **الكاندهلوي** (محمد يوسف). حياة الصحابة. دار الوعي. حلب. 1979. ج II.
- **كامل** (مراد) وبكري (أحمد)، تاريخ الأدب السرياني، دار المقتطف، القاهرة، 1949 م.
- **مراد** (د.سعيد)، الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي (قديماً وحديثاً)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة / مصر، 1997.
- **مرعي** (د.عيد)، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام 539 ق.م، الأبجدية للنشر، 1991.
- **مظهر** (سليمان)، أساطير من الشرق، الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1997.
- **المقداد** (د. محمود)، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة "عالم المعرفة" الكويتية العدد 167، جمادي الأول 1413هـ / نوفمبر 1992م.

- **مكارم** (سامي نسيب). أضواء على مسلك التوحيد: "الدرزية". دار صادر. بيروت / لبنان. 1966.
- **موصلي** (منذر). عرب وأكراد. دار الغصون. بيروت/لبنان. 1995 م.
- **ناصف** (عصام الدين حفني). المسيح في مفهوم معاصر. دار الطليعة. بيروت. 1979
- **نوح** (علي). الخطاب الإسماعيلي في التجديد الفكري الإسلامي المعاصر. دار الينابيع. دمشق 1994.
- **نوري** (مصطفى باشا الكردي والي الموصل ما بين 1902 و 1906 م) عبدة ابليس. أعاد طبعه (جلال نوري). مطبعة جهاد. استانبول. سنة 1323هـ / 1905 م.
- **يعقوب** (سركيس). مباحث عراقية. بغداد. 1948.

5. المراجع المعربة

- **أرنست** (باركر). الحروب الصليبية. ترجمة الباز العريني. مكتبة النهضة المصرية / القاهرة. (د.ت).
- أساطير من بلاد ما بين النهرين. جمع وترجمة سيتفاني م. دالي. ترجمته إلى العربية د. نجوى نصر. بيسان للنشر والتوزيع والإعلام. بيروت / لبنان. 1997.
- **إلياد** (مارسيا)
  - تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية. ترجمة عبد الهادي عباس. ج ا. دار دمشق. 1986 ـ 1987.
  - الحنين إلى الأصول في منهجية الأديان وتاريخها. ترجمة حسن قبيس. دار قابس للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت / لبنان. 1994.
- **أنطون** (مورتكات). تموز عقيدة الخلود والتقمص في فن الشرق القديم. تعريب د. توفيق سليمان. دار المجد. دمشق. 1985
- **برنارد** (جفري). المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام. سلسلة عالم المعرفة. العدد 173. ماي 1993.
- **البرنجي** (سليم). الصابئة المندائيون. (دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين). ترجمة جابر أحمد. دار الكنوز الأدبية. بيروت / لبنان. 1997.
- **الرهاوي** (مار يعقوب). الأيام الستة. ترجمة صليبا شمعون. دار الرها. حلب / سوريا. 1990.

• **بو حديبة** (عبد الوهاب). الإسلام والجنس. ترجمة وإعداد هالة العوري. مكتبة مدبولي. القاهرة / مصر. 1987.

• **بوتيرو** (جان). الديانة عند البابليين. ترجمة د. وليد الجادر. جامعة بغداد. 1970

ترانيم زرادشت. ترجمة وتقديم د. فليب عطية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1993.

• **جرني** (أ. د). الحيثيون. ترجمة د. محمد عبد القادر محمد. مراجعة د. فيصل الوائلي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1997.

• **جولدزيهير**. العقيدة والشريعة في الإسلام. ترجمه إلى العربية الأساتذة: محمد يوسف موسى. وعبد العزيز عبد الحق. وعلي حسن عبد القادر. طبع دار الكاتب المصري. القاهرة. 1946.

• **حتي** (فيليب). تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين. ترجمة كمال اليازجي. دار الثقافة. بيروت / لبنان. 1959. ج II.

• **دارول** (أركون). الجمعيات السرية بين الأمس واليوم. ترجمة آسيا الطريحي ومراجعة د. عزمي الصالحي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت / لبنان. 1994.

• **دراور** (الليدي)

▪ الصابئة المندائيون. ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي. بغداد. مطبعة الإرشاد. 1969.

▪ أساطير وحكايات صابئية. ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي. بغداد. مطبعة الأديب. 1973.

• **دونلدسن** (د. دوايت م.). عقيدة الشيعة. تعريب (ع.م). طبع مطبعة السعادة. القاهرة. 1946.

• **زكي بيك** (محمد أمين)

▪ خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية إلى الآن. ترجمة محمد علي عوني. مطبعة السعادة. القاهرة / مصر. (1948 ـ 1961). ج I.

▪ خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور إلى الآن. تعريب محمد علي عوني. نشر حسين قاسم قاسم. مطابع زين الدين. لبنان 1985.

• **سايكس** (سربرسي). تأريخ إيران. ترجمه إلى الفارسية فخر داعي الكلاني. مطبعة رنكين. طهران / إيران. 1322 ش. ج I.

• **سيرغي** (أ. توكاريف). الأديان في تاريخ شعوب العالم. ترجمة د. أحمد فاضل. دار الهالي. دمشق. 1998.

- **شابولر** (برتولد). العالم الإسلامي في العصر المغولي. ترجمة الأستاذ خالد أسعد عيسى. دار حسان، دمشق. 1402/1982.
- **شلحد** (يوسف). بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده. تعريب د. خليل أحمد خليل. دار الطليعة. بيروت / لبنان. 1996.
- **شويتزر** (ألبير). فكر الهند. ترجمة يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. دمشق. 1994.
- **طومسون** (جورج). اسخيلوس وأثينا. ترجمة صالح الكاظم. وزارة الإعلام العراقية. 1975.
- **غني** (د. قاسم)، تاريخ التصوف في الإسلام. ترجمه عن الفارسية صادق نشأت. مكتبة النهضة المصرية. منشورات جامعة الدول العربية. القاهرة. 1972
- **فان فولتن** (ج). السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات "المهدية" في ظل خلافة بني أمية. ترجمة د. إبراهيم بيضون. دار النهضة العربية. بيروت/ لبنان. 1996
- **فرانكفورت** (هـ). ما قبل الفلسفة، الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى. ترجمة جبرا إبراهيم جبرا. بغداد 1960.
- **فرويد** (سيغموند)
  - الطوطم والتابوت. ترجمة بوعلي ياسين. دار الحوار اللاذقية. 1983.
  - موسى والتوحيد، ترجمة د. جورج طرابيشي، دار الطليعة. بيروت / لبنان. 1986.
- **فيسنر** (جرنوت)، تاريخ الشعب اليزيدي وديانته، ترجمة دفرهاد إبراهيم، نشر في "لالش". العدد II - III ، 1994.
- **كاسان** (إيلينا). "مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين"، ترجمة د. وليد الجادر. مجلة سومر. المجلد XXXI، ج 1 و2، 1975.
- **كاليبو** (جاك ونبكول). مذاهب وملل وأساطير في الشرقين الأدنى والأوسط. تعريب فارس غصوب، دار الفارابي. بيروت / لبنان، 1997.
- **كاهن** (كلود)، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ. دار سينا للنشر، القاهرة / مصر. 1995.
- **كريزر** (كلوس). وآخرون، معجم العالم الإسلامي، ترجمة الدكتورة ج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت / لبنان، 1991/1411.
- **كريستنسن** (آرثر). ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحي الخشاب، القاهرة، 1958.
- **كريمر** (صموئيل نوح). الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، بغداد، 1971.

• **لسترنج** (كي). بلدان الخلافة الشرقية. نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد. مطبعة الرابطة. بغداد. 1954/1373.

• **لومبارد** (موريس). الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي. ترجمة د. عبد الرحمان حميدة. دار الفكر. دمشق. (د. ت).

• **لويس** (برنارد). أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية. ترجمة د. خليل أحمد خليل. دار الحداثة. بيروت / لبنان. 1993.

• **ليرخ** (ب). دراسات حول الأكراد وأسلافهم الخالدين الشماليين. ترجمة عبدي حاجي. حلب / الأشرقية. 1994.

• **مؤلف مجهول**. "مخطوطة" ترجمة السريانية في أحوال الفرقة اليزيدية الشيطانية. ترجمها الأب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي. مجلة المشرق المجلد 47، العدد كانون الثاني / شباط 1953.

• **موسكاني** (سباتينو). الحضارة الفينيقية. ترجمة نهاد خياطة. دمشق. 1988.

• **مينورسكي** (ن.ف). الأكراد، ملاحظات وانطباعات. ترجمة د.معروف خزنة. دار إصدارات رابطة كاوا. لبنان 1987.

• **نغرين** (جيووايد). ماني والمانوية. (دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها). ترجمة د. سهيل زكار. دار حسان للطباعة والنشر، دمشق. 1985.

• **نيبور كرستن** (ت 1815)، رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمه عن الألمانية د. محمود حسين الأمين ومراجعة سالم الألوسي. وزارة الثقافة والإرشاد. بغداد / العراق، 1965.

• **هيقل**. موسوعة العلوم الفلسفية. ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام. دار التنوير، بيروت / لبنان، 1983.

• **وبدجري** (آليان ج). التاريخ وكيف يفسرونه. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة / مصر. 1996، الجزء الأول.

• **وودز** (ويليام)، تاريخ الشيطان، ترجمة ممدوح عدوان. دار الجندي للطباعة والنشر. دمشق، 1996.

• **يوزورث** (كليفورد أ.)، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة حسين علي اللبودي، مؤسسة الشراع العربي، القاهرة، 1995.

6. المراجع غير العربية

- **رازي** (عبد الله). أنين زردشت. طبعة القاهرة. 1306 ش (فارسي).
- نقرين ايزيديان (أدعية اليزيدية). مطبعة الترقي. دمشق. 1933 (كردي).
- **وهبي** (توفيق). سفرة من ده ريه ندي بازيان الى ملة ناسلوجه. مطبعة دار المعارف. بغداد 1965 (كردي).

7. المقالات العربية

- **أبو زيد** (أحمد). "الملاحم كتاريخ وثقافة مثال من الهند الرمايانا". مجلة عالم الفكر. المجلد XVI. العدد الأول. 1985. ص 23...
- **أبو شقرا** (سمير). "حقيقة التقمص في جوهر الأديان السماوية". مجلة الضحى (مجلة الفكر القومي الإسلامي التوحيدي). العدد 55. ربيع الثاني 1417 هـ / أيلول 1996م. ص 50 ـ 54.
- **أبو واثق** (الكاتب). "ملاحظات عابرة حول اليزيدية والصابئة". لالش. العدد 5. ص 142 ـ 144.
- **أبو وجدان**. "تعقيب حول الأيزيدية والصابئة". لالش. العدد 5. ص 144 ـ 149.
- أسرة مجلة لغة العرب. "أصل كلمة إبليس". مجلة لغة العرب. المجلد السابع. ج XI. 1929. ص 447...
- **آغرى** (نزار) **وفتاح** (أوميد). "تحقيق حول اليزيدية". ملحق جريدة النهار اللبنانية. السبت 1995/3/25 م. ص 358.
- **الأموي** (الأمير بايزيد)
  - "أعياد الطائفة اليزيدية". التراث الشعبي. العدد 9 للسنة الرابعة. ص 79ـ 84
  - "مرحة كعبة الأمويين اليزيدية". التراث الشعبي. السنة IV. العدد 11. 1973. ص 57 ـ 61.
- **أمين** (حسين). "الإمام الغزالي: مدرس المدرسة النظامية ببغداد". مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الرابع. 1961. ص 335 ـ 349.
- **الأمين** (د.محمود). "شعار سومر رمز الحياة الخالدة والحكمة والعرفان". سومر. مجلد VIII. ج 2. 1952. ص 214 ـ 335.
- **باعدّري** (شيخ زيدو)
  - "نتف من المراسيم الاجتماعية لدى الايزيدية". مجلة لالش. العدد I. 1993. ص 59-62.

■ "نتف من المراسيم الاجتماعية لدى الايزيدية". لالش. العدد (2 ـ 3). 1994. ص 179 ـ 185

● **البحراني** (مكي). "زاردشت المصلح الحكيم". مجلة الإخاء (الفارسية). العدد 61 السنة 5. شوال 1384هـ/ آذار (مارس) 1965. ص 85...

● **بدران** (عبد الرحمان). "اليزيدية في كردستان". مجلة الجنان. الجزء السابع لسنة 1876 م. ص 525-529

● **برنس** (موسى). "كلمة في احتفال تكريمي". الضحى. العدد 55. ربيع الثاني 1417 / أيلول 1996. ص 22- 25.

● **البغدادي** (الأب انستاس الكرملي). "اليزيدية". مجلة الشرق. المجلد II. 1899. ص 32-37. 151- 156. 309- 314. 395- 399. 547- 553. 651- 655. 731- 736. 830- 836.

● **بيضون** (وجيه). "نوروز في التاريخ". مجلة الإخاء. العدد 49. السنة الرابعة. 16 شوال 1383 هـ / آذار 1964 م. 8. 39.

● **تيمور** (أحمد باشا). "اليزيدية بحث في منشأ نحلتهم". المقتطف. المجلد الـ 48. يناير / جانفي 1916. ج I. ص 53-64.

● **الجلبي** (داود)

■ "الحال ومعناها". لغة العرب. الجزء V. السنة الـ9. 1931. ص 374...

■ "الملك بدر الدين لؤلؤ". مجلة سومر. ج I / المجلد الثاني. كانون الثاني 1946. ص 26...

● **جميل** (السيد فؤاد). "الطوفان في المصادر السومرية. البابلية. الآشورية والعبرانية". (دراسة نقدية). مجلة سومر. المجلد XXIIX. ج 1 - 2. 1972. ص 87...

● **جندي** (د. خليل)

■ "نحو معرفة حقيقة الديانة الايزيدية". مجلة لالش. العدد V. 1955. ص6-34.

■ "أدعية الأيزيدية" (القسم الأول). مجلة لالش. العدد الأول 1993. ص 64-81

● **جواد** (مصطفى)

■ "الراية واللواء وأمثالها". مجلة لغة العرب. ج VIII. السنة التاسعة. 1931. ص 573-582. 686-691.

■ "نقد كتاب اليزيدية لصديق الدملوجي". مجلة المجمع العلمي العراقي. الجزء I من السنة الأولى 1950. ص 356-367.

• جواد علي، "عبد الله بن سبأ". مجلة المجمع العلمي العربي ببغداد (م.م.ع.ع). ، VI، 1378هـ / 1959م. ص 66...

• جوزي (بندلي)

▪ "السفياني". المقتطف. ج I. 1 يونيو 1933 م /8 صفر 1352 هـ. ص 48...

▪ "السفياني". مجلة المقتطف. م II. ربيع الأول 1352 هـ / جويلية 1933. ص 181...

• حبي (د. يوسف). "أسطورة التنين السومرية وامتدادها عبر العصور". التراث الشعبي. العدد VII للسنة الثامنة. 1977. ص 207.

• الحسني (عبد الرزاق). "اليزيدية". مجلة الإسلام. العدد الثالث. السنة السابعة 1374 هـ / 1955 م. ص 282–290.

• الحكيم (دخيل). "مراجعة نقدية في كتاب الإزداهيون اليزيديون". لالش. العدد 7. 1997. ص 29– 36.

• حنون (نائل). "هل كان تموز في عقائد السومريين والأكاديين إله الخصوبة أو من آلهة الحب ". سومر. المجلد XXXVI. ج 1 و 2. 1980. ص 41...

• الخالتي (حسو هرمي). "الموت وما بعده عند الايزيدية". مجلة لالش. العدد V. 1995. ص 58–72.

• خدر بير (سليمان)

▪ "ضوء على مخطوطة منشورات الأيزيدية". لالش. العدد 2 ـ 3. 1994. ص 95 ـ 114.

▪ "لالش". مجلة لالش. العدد I. 1993. ص 51 ـ 59

▪ "التقمص ـ تناسخ الأرواح". مجلة لالش. العدد V. 1995. ص 34 ـ 65.

• خدر بير (سليمان) وجندي (خليل). "أدعية اليزيدية". القسم الثاني. العدد 2 ـ 3 من مجلة لالش. 1994. ص 142 ـ 144.

• خصباك (د. شاكر). "مميزات الحياة القبلية الكردية". مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد II. (شباط 1952). ص 126–133.

• دهمان (محمد أحمد). "نافذة تطل على تاريخ اليزيدية". مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. مجلة 44. ج III. 1969. ص 596–602.

• زيباري (محمد صالح). "مقدمة في تاريخ الديانة الزرادشتية". مجلة لالش (ناطقة باسم اليزيدية) العدد الأول. 1993. ص 81–96

• الزين (محمد شوقي)

▪ "تفكيكية ابن عربي". (التأويل. الاختلاف في الكتابة عرفانية الكشف والمشاهدة). مجلة كتابات معاصرة. المجلد التاسع. العدد 36. فيفري / مارس 1999. ص 51 ـ 59.

▪ "قراءة في كتاب ابن عربي ومولد لغة جديدة". مجلة مدارات. عدد 10/9. تونس 1997- 1998. ص 60 ـ 68.

• **سركيس** (يعقوب نعوم). "اليزيدية". لغة العرب. السنة التاسعة. الجزء السادس. جوان / حزيران 1929. ص 433.

• **الشرقي** (الشيخ علي). "اليزيديون / البازيدية". مجلة العرفان العدد 11 لسنة 1926. ص 603–610. ص 703–709. ص 818–824.

• **صادر** (قيص). "اليزيدية". المقتطف. ج 3 من المجلد 88. مارس 1936. ص 361–367.

• **الصائغ** (القس سليمان الكلداني الموصلي). "رحلة حديثة إلى الشيخ عادي والربان هرمزد". المشرق العدد 10. السنة العشرون. أكتوبر 1922. ص 831 ـ 845.

• **عثمان** (أحمد). "ماني التوأم البابلي": نشر دعوته من الحيرة إلى بلاد المغرب. جريدة الحياة العدد 1278 بتاريخ 6 مارس 1998. ص 21.

• **العزاوي** (عباس)

▪ "أصل اليزيدية وتاريخهم". مجلة لغة العرب. الجزء VII من السنة الـ IX. 1931. 529...

▪ "أصل اليزيدية وتاريخهم"، مجلة لغة العرب.ج X من السنة التاسعة. 1931. ص 748...

• **عزتي** (مهردار). "الايزيدية من كتاب الكورد". ترجمة معصوم مايي. مجلة لالش. العدد الخامس. 1995، ص 65–77.

• **علي** (د. فاضل عبد الواحد)، "ثم جاء الطوفان"، مجلة سومر، المجلد XXXI. ج 1 ـ 2. ص 3 ـ 37.

• **عواد** (كوركيس)

▪ "تحقيقات بلدانية تاريخية. أثرية في شرق الموصل"، مجلة سومر، الجزء I وII . 1961/1381، المجلد XVII، 43 ـ 99.

▪ "تحقيق: فهرست مؤلفات محي الدين بن عربي"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الـ 29، 1373 هـ / 1954 م، ص 345 ـ 359.

▪ "كتاب في اليزيدية"، مجلة المقتطف، المجلد 102، 1943، ص 425–427

• **العوض** (هاني حمدي أحمد). "ثورات الموصل في العصر العباسي". مجلة الجامعة. العدد 16. الموصل 1972/5/15. ص 57...

• **غنيمة** (يوسف). "الألفاظ الأرامية في اللغة العامية العراقية". مجلة لغة العرب. العدد IV. سنة 1926. ص 587

• **فاروقي** (عمر). "شمس تبريري في كوردستان"، ترجمة أ. جروان. لالش. العدد السادس. 1996. ص 11–14.

• **فؤاد** (سفر). "قناطر جزوانة". مجلة اللطائف المصورة. عدد 28 أغسطس 1933. ص 17.

• **فرديناند** (الأب اليسوعي توتل). "اليزيدية قديماً وحديثاً". المشرق. مجلد (33). 1935. ص 155.

• **فرنسيس** (بشير) **وكوركيس** (عواد). "نبذة تاريخية في أصول أسماء الأمكنة العراقية". سومر. العدد VIII. الجزء الثاني لسنة 1952، ص 236– 280.

• **كاسان** (إيلينا). "مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين". ترجمة د. وليد الجادر. مجلة سومر. المجلد XXXI. ج 1 و2. 1975. ص 327–343.

• **كرومي** (كيورك مرزينا). "ملامح في الفكر العراقي القديم". مجلة آداب الرافدين. العدد IX. 1 أيلول 1978. ص 99–115.

• **كلدة**. "القول الفصل في أصل اليزيدية". المقتطف. جويلية / يوليو 1922. ص 113– 119.

• **الكوقان** (ب. ش). "الإيزيدية والصابئة". لالش. العدد IV. ص 126–141.

• **اللبناني** (الأب أنطونيوس شبلي). "مقالة في اليزيدية". المشرق. السنة 45. ج I. كانون الأول / جانفي ـ آذار / مارس 1951. ص 547.

• **مجلة معهد المخطوطات العربية**. 9 [1963]. ص 220 الرقم 175 (5)

• **محو** (د. يبير). "ضوء على فلسفة الديانة اليزيدية وأصلها". مجلة لالش. العدد (2 – 3) 1994. ص 155–165.

• **الموصلي** (الراهب بهنام). "مقالة في اليزيدية". مجلة الشرق. السنة 45. ج I. جانفي ـ مارس. 1951. ص 533–548

• **ناجي** (معروف). "علماء ينسبون إلى مدن أعجمية وهم من أروقة عربية". مجلة كلية الآداب ببغداد. العدد الثامن. نيسان 1385/1965. ص 5...

• **هكاري** (م. س). "الزاد في أعياد ومناسبات الأيزيدية". لالش. العدد VI. ص 20 ـ 38.

• **وهبي** (توفيق). "اليزيدية بقايا الديانة المثرائية". لالش العدد 2– 3. 1994. ص 93-95.

• **يزيد خان** (اسماعيل بيك. أمير اليزيدية). "هذه هي اليزيدية". مجلة العربي. العدد 31. جوان 1961. ص 151-153.

اليوسف (إبراهيم). "اليزيدية ديانة التوحيد في التاريخ". دراسات اشتراكية. العدد VIII. 1988. ص 23-35

• **لامانس** . "مادة الشام". دائرة المعارف الإسلامية. م XIII. ص 84..

• <u>المعجم الوسيط</u>. إنجاز معجم اللغة العربية بالقاهرة. طبع دار الدعوة استنابول/تركيا. ج I. ص 25

• <u>الموسوعة العربية الميسرة</u>. المجلد II. دار الشعب. القاهرة / مصر 1987/1407. ص 1980.

• <u>الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة</u>. طبع الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الرياض / السعودية. (د.ت). ص 277

8. المراجع الأجنبية

• **ADMONDS** (C.J.E), <u>Kurds Turks and Arabs</u>, London, Oxford University Press, 1957

• **AL JADA'AN** (Khalouf Ahmad), <u>Caste among the Yezidis : An ethnic group in Iraq</u>, (M.S Thesis in Rural sociology, presented at Pennsy Lvania State University, in August 1960

• **AMIR** (Ali Sayed), <u>Short History of the Saracenes</u>, London, 1981

• **ARBERY** (A. J), <u>Le Soufisme</u>, Cahiers du Sud, Paris, 1952

• **AUROBINDO** (Shir), <u>Reconnaissance et Karma</u>, ed. du Rocher, Monaco, 1983

• **BADGER** (Rev. George Percy), <u>The Nestorians and their Rituals</u>, London, 1852, vol. I

• **BELL** (Gertrude Lowthian), <u>Amurath to Amurath</u>, London, 1911

• **BERCHEM** (Maxvan), <u>Matriaux pour un corpus Inscuptiossum Arabicum</u>, part I, Egypte, Cairo, 1894

• **BOSWORTH** (Califford), <u>At the Ghaznavid</u>, Edinburgh, 1963

- **BROKLMAN** (Carl), History of Islamic People, London, 1959
- **BUCKINGHAM** (J. S.), Travels in Mesopotamia, London, 1827,vol II
- **BUDGE** (sir E.A. Wallis), By Nile and Tigris, London, 1920, vol II
- **CORBIN** (Henry), Histoire de la philosophie islamique, Paris, 1964
- **DAGHFOUS** (R), Le Yaman islamique, Université Tunis I, 1995, T. I
- **DE PLANHOL** (Xavier), Minorités in Islam, Geographie Politique et Social,
- **DEMEERSMAN** (André), Nouveau regard sur la voie spirituelle d'Adbd-Al-Qâdir-Jilâni et sa tradition, Paris, 1988
- **DEVONSHIRE**, (Mrs R. L), Some Cairo Mosques and their Founders, London, 1921
- **DROWER** (E. S), Peacock Angel, John Murray, Albermarie street, W, London, 1941
- **EMPSON** (R.H. W), The Cult of the Peacock Angel, London 1928
- **FIELD** (Henry), Perface to Sami Said Ahmed, The Yezidis : their life and beliefs, ed. field, Miami 1975 , P VI-VII
- **FIEY** (J.M.O.P)
  - Mossoul chrétienne, Collection recherches, l'Institut de lettres orientales de Beyrouth, 1959, Vol. XII
  - Chrétiens Syriaques sous les Mongoles, Louvain, 1975
- **FLETCHER** (Rev. J. P), Notes from Nineveh, and Travels in Mesopotania, Assyria and Syria, London, 1850 vol. I
- **FORBES** (Rosita), Conflict Angora to Afghanistan, London 1931
- **FRANÇOIS** Nou, Recueil de textes et de documents sur les Yezidis, Paris, 1918
- **FRANK** (Dr. Rudolf), Scheich Adi der große heilige der Jezidis, Berlin, 1911
- **FREZER** (J.G.), In the old testement, London, 1918, Vol. I

• **GAUDEFROY** (Demombynes M), Le Pèlerinage à la Mekke, Annales du musée Guinet, Bibliothèque d'étude, T. 33, Paris, 1923

• **GEOFFROY** (Eric), Le Soufisme en Egypte et en Syrie, IF de Damas, 1995

• **GUEST** (John S.)

  ▪ Survival among the Kurds(a history of the Yezidis), KPI, London & New York, 1993

  ▪ The Yezidis (a study in survival), KPI, London & New York, 1987

• **HARDING** (M. Esther), Women mysteries Harper and Row, New York, 1976

• **HARRY** (Myriam), Les Adorateurs de Satan, Paris, 1937

• **HASLUCK** (F. W),

  ▪ Assyrie chrétienne, Beirut, 1965 - 1968, Vol. II

  ▪ Christianity and Islam under the Sultans, Oxford, 1929, Vol. I

• **HOPFE** (Lewis), The Cult of Mithras, Religion and Ethics, Institute, Evanston, U.S.A, 1988

• **HOWARD** (Teeple), The Cult of Mithras, Religion and Ethics, Institute, Evanston, U.S.A, 1988

• **JACKSON** (A.V.W), Persia Past and Present, New York, 1906

• **JACOB** (Georg) , Ein neuer Text über die Jezidis, Beiträge zur Kenntnis des Orients, 1908, vol VII

• **LABOURT** (J), le Christianisme dans l'empire Perse sous la dynastie Sassanide (224 - 632), Paris, 1904

• **LAYARD** (Henry), Nineveh and its remains, New York, 1853, Vol. I

• **LESCOT** (Roger), Enquête sur les Yezidis du Syrie et du Djebel Sindjar, Mémoires de l'Institut Français de Damas, Tome V, Beyrouth, 1938

• **LEVY** (Bruhl. L.), L'expérience mystique et les symboles chez les primitifs, Alcan, Par , 1938

• **LONG** (H. Charles), The mythoof creation, ed alpha, New York, 1963

• **LUKE** (Harry Charles), Mosul and its Minorities, London 1925

• **LYARD** (Austen Henry), Nineveh and its remains, New-York, 1851

• **MASSIGNON** (Louis)

  ▪ Essai sur les origines du Lexique technique de la mystique musulmane, Paris, 1954

  ▪ La passion de Husayan Ibn Mansour Hallaj, Gallimard, Paris, 1975, Tome II

• **MENANI** (Joachim), Les Yezidis : Episodes de l'histoire des adorateurs du diable, (Annales du Musée Guimet, Bibliothèque de vulgarisation), Vol. V, Paris, 1892

• **MENZEL** (Dr Theoder) , Ein Beitrage zur Kenntnis der Jezidis , incl . in Hugo Grothe, meine Vorderasienexpedition, 1906 und 1907, Leipzig, 1911-12, vol. 1

• **MILLENGENE** (F), Wild life among the Kurds, London, 1870

• **MUIR** (W), The Caliphate, Londres 1891

• **NEANDER** (August), Über die Elemente, aus denen die Lehren der Yeziden hervorgegangen zu sein scheinen, incl. In Wissenschaftliche Abhandlungen, ed. Jacobi, Berlin, 1851

• **NIKITINE** (B)

  ▪ Les Kurdes, Paris 1950

  ▪ Les Kurdes, études sociologiques et historiques, Paris, 1959

• **OLIVER** (C. Coxcaste), Class and Race, New York, 1948

• **OLMSTEAD** (A.T), History of the Persian Empire, Chicago, 1943

• **PARRY** (Oswold. H), six months in Syrian monastery , London, 1895

• **PATTON** (Douglas), Badral-Din Lu'Lu (Atabeg of Mosoul 1211-1259), University of Washington, 1991

• **PRITCHARD** (James B.), Ancient new Eastern Texts Melating to the old Testament, Princeton, 1969

• **RABBATH** (Edmand), L'orient chrétien à la veille de l'Islam, Beyrouth, Librairie Orientale, 1986

• **RESWELL** (K.A.C), The Muslim Architecture of Egypte, Oxford, 1952 - 1959, Vol II

• **ROMER** (W. H. Ph), Einfuhrung in die sumerologie, Nijmegen, 1984

• **ROYSTON** (E. Pike), Encyclopedia of Religion and Religions, London

• **SAMNE** (D. George), La Syrie, Paris, 1920

• **SARASVATI** (Shir Mahacharya Hamsananda), Yoga et sagesse : (Le travail spirituel de l'homme moderne), ed. Albin Michel, Paris, 1978

• **SEABROOK** (W B), Adventures in Arabia, New-York, 1927

SPRINGETT (Bernard H), Secret sects of Syria and Lebanon, London, 1922

• **WAFIELD** (Wiliam), The Gate of Asia, New York and London 1916

• **ZAEHNER** (R. C),The Dawn and Twilight of Zoroatrinism, London 1961

• E.I2, "YAZIDI", Menzel (Th), vol. VIII

• E.I^{2}, art. "Nusayruyya", Halm, T. VIII

• E.I^{2}, "Adi" Tritton (A. S), T I,

• E.I^{2}, art "Abd Al Kadir Aldjilani", Braune (W), T. I

• EI^{2}, "Kurdes", BOIS, T. V

• Encyclopaediea of relegion and ethics, Vol. XI

• The Encyclopedia of mission," The Yezidis", ALPHEUS (N. Andrus), New York, 1891, vol II

9. المقالات الأجنبية

- **AHMED** (Sami Saïd), "Characteristic of ancient Mesopotamian Religions", A.M.E. Zion Quarterly Review, Vol. 79, 1967, N° 3, P 125...
- **ANASTASE** (Marie K.), "La découverte récente Des deux livres sacres des yezidis", Anthropos , vol VI, 1911, P 1-39
- **BOIS** (Thomas)
  - "Les Yezidis : essai historique et sociologiques sur leur origine religieuse", Al Machriq, Vol. 55, 1961, P 109-128, 190-240
  - "Monastères chrétiens et temples Yezidis dans le Kurdistan irakien", Al Machriq, vol. 61, 1967, P 75-103
- **BURROWS** (Father) , "Notes on hairian", in J.R.A.S., Londre, 1925, P 281...
- **CAHEN** (Claude), "Simples interrogations heresiographiques, (Yezidis, Nusayris)", Islamwissenschafliche Abhandlungen, mit 6 Tafeln, 1974
- **COPHIN** (J), "De l'origine des peuples habitants la province d'Arménie", Summarized by [P.I] Köppe, Bulletin scientifique, Académie Impériale des Sciences de Saint-Pétersbourg, Vol. VIII, 1841, P 16-20
- **FIELD** (Henry), Perface to Anis Frayha, "New Yyezidi texts from beld Sinjar, Iraq", JAOS, Vol. 66, 1946, P 18
- **FIEY**,(J..M.O.P); "Sur un traité arabe sur les patiarches nestoriens", Orientalia christana periodica, vol 41,1975, P 57-75
- **FINCH** (J.P.G), "St George and El Khidr", J.R.A.S, Vol. XXXIII, 1946, P 236-238
- **FORBES** (Frederik), "a visit to the Sinjar hills in 1838, with some account of the rivers Tigris and Khabur", JRGS, vol IX, 1839, P 409-430
- **FURLANI** (G)

▪ "Sui Yezidi", R.S.O, vol. XIII, 1932, P 409-430

▪ "Gli interdetti dei Yezidi", der Islam, vol. XXIV, 1937, P 51-57

▪ "Der feste der Yezidi", Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes, Vol. 45, 1937, P 65-97

• **GORDON** (Cyrus H), "Satan Worshipers in Kurdistan", Asia, vol. XXXV, Oct. 1935, P 626-630

• **GUIDI** (Michel Angelo), "Nouve ricerche sui Yazidi", R.S.O, Vol. XIII, 1932, P 377-427

• **HARTMAN** (Seven.S), "la disposition de l'avesta", Orientalia, vol. V, 1956, P 30-71

• **HUGO** (Makas), "Materialien zur einer Geschichte der Sprachen und Literaturen des vorderen Orients", Heft I, Kurdische Studien, Heidelberg, 1900, P 33...

• **JANIN** (R), "L'église Melkite" dans le dictionnaire de théologie catholique, T. X, Paris, 1928, P 515...

• **JOSEPH** (Isya) , "Yazidis texts: Arabic text by the yezidis sacred books", with an english translation, AJSL, vol XXV(25), 1908-1909, P 111-165, 218-254

• **LAMBERT** (W. G), "Note brève Nişir ou Nimuš", Revue d'Assyriologie, T 80, 1986, P 8-33

• **LAMMENS** (Henri S.J) "Le Calif de Yazid 1er", MFO, Vol. IV, 1910, P 233-312

• **LAOUST** (H), "Essai sur Les doctrines sociales et politiques de Taqi-al-Din Ibn Taymia", I.F.A.O, Le Caire 1939, P 173-183

• **LESCOT** (R), "Un peuple minoritaire d'orient les Yezidis", F.M.A, série 3, 1938, P 5-87

• **MARGOLIOUTH** (D.S), "Contributions to the Biography of Abdal-Kadir of Jilan", JRAS, 1907, P 267-310

• **MINGANA** (Alphonse), "Devil –worshippers, their beliefs and their sacred books", JRAS, vol. XI, 1916, P 505-526

• **MULLMAN** (Manfred), "Halid Iben Yazid und die Alchemie", Eine Legendes der Islam, Band 55, Heft II, Tübingen, 1978, P 181-218

• **NAU** (A. François), "Recueil des textes et de documents sur les Yezidis", R.O.C, séries 2, vol. X, 1915-1917, P 142-200, 225-275

• **PAREJA** (F. M), La Yazidia, "Islamologie", Beyrouth, 1957 – 1963, P 55...

• **POUZET** (L,)"Hadir Ibn Abi Bakr Al-Mihrani, Sayh du sultan mamelouk Al-Malik Azzahir Baïbars", in B.E.O, XXX, 1978, P 193...

• **RAWLINSON** (Major H.C), "Notes on a journez from Tabriz through Persian Kurdistan to the Ruins of Takhti-Soleïman, and from thence by Zenjan and Taron to Gilan, In October and November 1838", JRGS, Vol X, 1841, P 1-158

• **SEBRI** (Osman) & **WIKANDER** (Stig), "Un témoignage kurde sur les Yezidis du Djebel Sindjar", Orientalia, série 2/4, Vol. II,1953, P 115

• **SIOUFFI** (N)

  ▪ "Notices sur le Cheikh Adi et la secte des Yezidis", J. A, séries 8, Vol. V, 1885, P 252-268

  ▪ "Notices sur la secte des Yezidis", J. A, séries 7, vol. XX 1882, P 78-98

• **SOLECKI** (Ralph), "Predatory bird rituals at Zawi Chenir Shanidar", Sumer, XXXIII.1, 1977

• **SPERSER** (E. A), "Southren Kurdistan in the Annals of Ashurnasirpal and Today", Annual of the American schools of oriental research 8, 1926 - 1927, P 17

• **VON SALEH** (K. Mammaneh), "Marwan b. Al-Hakam and the Caliphate", Der Islam, Band 65, Heft II, 1988, P 201-225

• **WIKANDER** (Stig), "Mithraen vieux-perse", Orientalia, vol (I), Fax 1/2, 1952, P 66-68

الكتب المقدسة

كتاب الجلوة

المقدمة

I- الموجود قبل كل الخلائق هو الملك طاووس.

II- وهو الذي أرسل عبطاووس إلى هذا العالم لكي يميز ويفهم شعبه الخاص وينجيه من الضلال والوهم.

III- وأول ذلك كان تسليم الكلام شفاهياً ثم بواسطة هذا الكتاب المسمى جلوة وهو الكتاب الذي لا يجوز أن يقرأه الخارجون عن الملة.

الفصل الأول

I- أنا كنت وموجود الآن وأبقى إلى النهاية بتسلطي على الخلائق وتدبيري مصالح وأمور لكل الذين تحت حوزتي.

II- حاضر أنا سريعاً للذين يثقون بي ويدعونني حين الحاجة.

III- ما يخلو مني مكان من الأمكنة مشترك أنا لجميع الوقائع التي يسميها الخارجون شرورا لأنها ليست مصنوعة حسب مرامهم.

IV - كل زمن له مدبر وذلك بشورى كل جيل بتغير رئيس هذا العالم حتى الرؤساء يكون كل واحد بدوره ونوبته يكمل وظيفته.

V - أعطي رخصة حسب الحق للطبيعة المخلوقة باخلاقها.

VI - يندم ويحزن الذي يقاومني.

VII - الآلهة الأخرى ليس لها مداخلة بشغلي ومنعي منها عما قصدته مهما كان.

VIII - ليست الكتب الموجودة بيد الخارجين هي حقيقة ولا كتبها المرسلون لنا لكن زاغوا وبدلوا، كل واحد يبطل الآخر وينسخه.

IX - الحق والبطل معلوم وهما مشهوران من وقوعهما بالاختبار والتجربة.

X - وعيدي للذين يتكلمون على ميثاقي وأخالفه حسب رأي المدبرين الحذاق الذين وكلتهم لأوقات معلومة مني أذكر أموراً وأحرم الأشغال اللازمة لحينها.

XI - أرشد وأعلم الذين يتبعون تعليمي ويجدون لذة وفرحاً بموافقتهم معي.

الفصل الثاني

I - كافئ وأجازي نسل أدم بانواع أعرفها.

II - بيدي التسلط على كل ما في الأرض وفوقها وتحتها.

III - ما أقبل مصادقة العوالم.

IV - وما أمنع خيرهم محضوضا للذين هم خاصتي وبطوعي.

V - أسلم شغلي بيد الذين جربتهم وهم حسب مرامي.

VI - اتراءى بنوع من الأنواع وشكل من الأشكال للذين أمينون وتحت شوري.

VII - أخذ وأعطي، أغني وأفقر وأسعد وأشقي حسب الظروف والأوقات.

VIII - وليس من يحق له بان يتدخل أو يمنع بشيء من تصرفي.

IX - أجلب الأوجاع والأسقام على الذين يعادونني.

X - ما يموت الذي حبيبي كسائر بني أدم.

XI - وما أسمح لأحد بان يسكن في هذا العالم الأدنى أكثر من الزمن الذي هو محدود مني.

XII - وإذا شئت أرسلته تكراراً ثانياً وثالثاً إلى هذا العالم أو غيره بتناسخ الأرواح.

الفصل الثالث

I - أرشد بلا كتاب، أهدي عيبا أحبائي وخواصي وتعليمي هو بلا كلفة.

II - موافقة الحال والزمان اقاصيص الذين يخالفون شرائعي بالعوالم الاخر.

III - بنو هذا ادم لا يعرفون الأحوال المزمعة، ولذلك يسقطون أوقات كثيرة بغلط

IV - حيوانات البر وخيور السماء وسمك البحر جميعا بيدي وتحت ضبطي.

V - الخزائن والدفائن المدفونة تحت قلب الارض معلومة عندي وأخلفها من واحد للاخر لمن أريد.

VI - أظهر معجزاتي وعجائبي للذين يقبلونها ويطلبون مني بحينها.

VII - مضاددة ومخالفة الأجنبيين لي ولاتباعي هي ضرر عليهم لأنهم لا يدرون العظمة والثروة هم بيدي، وأختار من يليق لها من نسل ادم.

VIII - تدابير العوالم وانقلاب الأجيال وتغيير كل مدبريهم منظومة مني منذ القديم.

الفصل الرابع

I - حقوقي ما أعطيها لغيري من الآلهة.

II - أربعة عناصر وأربعة أزمنة وأربعة أركان سمحت بها لأجل ضروريات المخلوقين.

III - كتاب الأجنبيين مقبولة نوعا بالذي يطابق ويوافق سنتي وما يخالفها هم غيروه.

IV - ثلاثة أشياء هي ضدي و ثلاثة أسماء أبغضها.

V - الذين يحفظون أسراري ينالون مواعيدي.

VI - سجميع الذين يحتملون المصائب بسببي لابد أن أكافئهم باحد العوالم.

VII - أريد أن يتحد أبنائي برباط واحد وكذلك كل تابعي لأجل مضاددة الأجنبيين لهم.

VIII - يا أيها الذين تبعتم وصاياك انكروا أقوال وكل التعاليم التي ليست من عندي ولا تذكروا اسمي وصفاتي لئلا تذنبوا لأنكم لستم تدرون ما يفعل الأجانب.

الفصل الخامس

I - كرموا شخصي وصورتي لأنهم يذكرونكم بي الأمر الذي أهملتموه من سنين.

II- وشرائعي أخبعوا واصغوا لخدّامي بما يلقنوكم من علم الغيب الذي هو من عندي

وتتمة الجملة من رواية الزعبي: (ص 50)

"ولا تبيحوا قدام الأجانب كاليهود والنصارى والإسلام لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي، ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيروها لكم وأنتم لا تعلمون، واحفظوا أكثر الأشياء غيبا لئلا تتغير عليكم"

مصحف رش

I - في البداية خلق الله الدرة البيضاء من سره العزيز وخلق طائرا اسمه "انفر" وجعل الدرة فوق ظهره وسكن عليها أربعين ألف سنة.

II- أول يوم خلق الله فيه هو يوم الأحد وخلق فيه ملكا اسمه "عزرائيل" وهو طاووس ملك رئيس الجميع.

III- ويوم الاثنين خلق ملك دردائيل وهو الشيخ حسن.

IV- ويوم الثلاثاء خلق ملك إسرافائيل وهو الشيخ شمس.

V- ويوم الأربعاء خلق ملك ميكائيل وهو الشيخ أبو بكر.

VI- ويوم الخميس خلق ملك جبرائيل وهو سجاد الدين.

VII- ويوم الجمعة خلق ملك شمنائيل وهو ناصر الدين.

VIII- ويوم السبت خلق ملك نورائيل وهو فخر الدين.

IX- وجعل الله ملك طاووس رئيس عليهم.

X- بعده خلق صورة السبع سماوات والأرض والشمس والقمر.

XI- فخر الدين خلق الإنسان والحيوان والطائر والوحوش ووضعهم في جيوب الخرقة وخرج من الدرة ومعه ملائكة، فصاح صيحة عظيمة على الدرة فانفصلت وصارت أربع قطع ومن بطنها خرج الماء وصار بحراً. وكانت الدنيا مدورة بلا تخلل.

XII- وخلق الله جبرائيل بصورة طائر وأرسله وبيده وصنع أربع زوايا الأرض ثم خلق مركباً ونزل بالمركب ثلاثين ألف سنة بعده جاء وسكن في لالش. ثم صاح في الدنيا فجمد الحجر وصارت الدنيا أرضاً وبدأت تهتز فامر جبرائيل على قطعتين من الدرة البيضاء ووضع

الواحدة تحت الأرض والأخرى في باب السماء، فسكنت ثم جعل فيها شمساً وقمرا وخلق نجوماً من نثريات الدرة البيضاء وعلّقها في السماء للزينة.

XIII- وخلق أشجاراً مثمرة ونباتات في الأرض والجبال لأجل زينة الأرض ثم خلق العرش على الفرش.

XIV- الرب العظيم قال، "يا ملائكة أنا أخلق ادم وحواء واجعلهم بشراً ومنهم يكون من يسير ادم شهر بن سفر، ومنه يكون ملة على الأرض ثم ملة عزرائيل أعني طاووس ملك وهي ملة اليزيدية".

XV- ثم أرسل الشيخ عادي بن مسافر من أرض الشام وأتى إلى لالش.

XVI- ثم نزل الرب إلى الجبل الأسود وصاح وخلق ثلاثين ألف ملك وفرقهم ثلاث فرق وبدأوا يعبدونه أربعين ألف سنة، ثم أسلمهم إلى طاووس ملك وصعد بهم إلى السماوات.

XVII- ثم نزل الرب في أرض القدس أمر جبرائيل جلب تراب من أربع زوايا الدنيا فجاء بتراب وهواء ونار وماء فخلق من كل هذا أدم الأول وجعل فيه روحاً من قدرته، وأمر جبرائيل أن يدخل أدم إلى الفردوس وياكل من كل ثمر الشجر، أما من الحنطة فلا ياكل.

XVIII- وبعد مائة سنة طاووس ملك قال لله، كيف يكون كثير ويزيد ادم وأين نسله ؟ قال له الله، "الأمر والتدبير سلمته بيدك فجاء وقال لأدم أأكلت الحنطة؟ قال، لا، لأن الله نهاني، قال، كل يصير لك أحسن، بعد ما أكل حالاً نفخ بطنه فاخرجه طاووس ملك من الجنة وتركه وصعد إلى السماء.

XIX- فتضايق أدم من بطنه لأنه ما كان له مخرج فارسل له الله طائراً فجاء ونقره وفتح له مخرجاً فاستراح.

XX- و جبرائيل غاب عن أدم مائة سنة فحزن و بكى مائة سنة.

XXI- حينئذ أمر الله جبرائيل أن يخلق حواء فجاء و خلق من تحت أباط أدم الأيسر.

XXII- ثم نزل ملك طاووس إلى الأرض لأجل طائفتنا المخلوقة وأقام لنا ملوكاً ما عدا ملوك الأشوريين القدماء، نسروخ وهو ناصر الدين وكاموش وهو الملك فخر الدين وأرطيموس وهو ملك شمس الدين وبعد ذلك صار لنا ملكان شابور الأول وشابور الثاني ودام ملكهما مائة وخمسين سنة ومن نسلهما قام أمراؤنا إلى الأن.

XXIII- وبغضنا لأربع ملوك.

XXIV- حرمنا علينا الخس لانه على اسم نبيتنا الخاسية . والملوخية (إضافة من مذكرات إسماعيل جول بيك)-، واللوبياء والصبغ الأزرق وما نأكل السمك لأجل احترامنا ليونان النبي، والغزال لأنه غنم أحد انبيائنا، والشيخ وتلامذته ما ياكلون لحم الديك احتراماً لطاووس ملك. وطاووس ملك هو واحد من الآلهة السبعة المذكورة لأن صورته تمثال الديك، والشيخ وتلاميذه ما ياكلون القرع. وحرام علينا البول وقوفاً. ولبس اللباس قعوداً. والاستخلاء في ادبخانة والغسل في الحمام، وما يجوز أن نلفظ كلمة الشيطان لانه اسم إلاهنا ولا اسم يشابه ذلك مثل قيطان وشط وشر. ولا لفظة ملعون، لعنة، نعل وما أشبه.

XXV- قبل مجيء المسيح عيسى الى هذا العالم ديانتنا كانت تسمى الوثنية. واليهود والنصارى والإسلام ضاددوا ديانتنا والعجم ايضاً.

XXVI- وكان من ملوكنا احاب. فامر كلاً من كان منا أن يسميه باسم خاص به فسموه الإله احاب أو بلعزبوب والآن يسمونه عندنا بيربوب.

XXVII- وكان لنا ملك في بابل اسمه بختنصر. وفي العجم احشويرش وفي قسطنطينية اغريقالوس.

XXVIII- إنه قبل قبل كون السماء والأرض كان الله موجوداً على البحار. وكان قد صنع له مركبا وكان يسير به في بينونات البحار متنزها في ذاته.

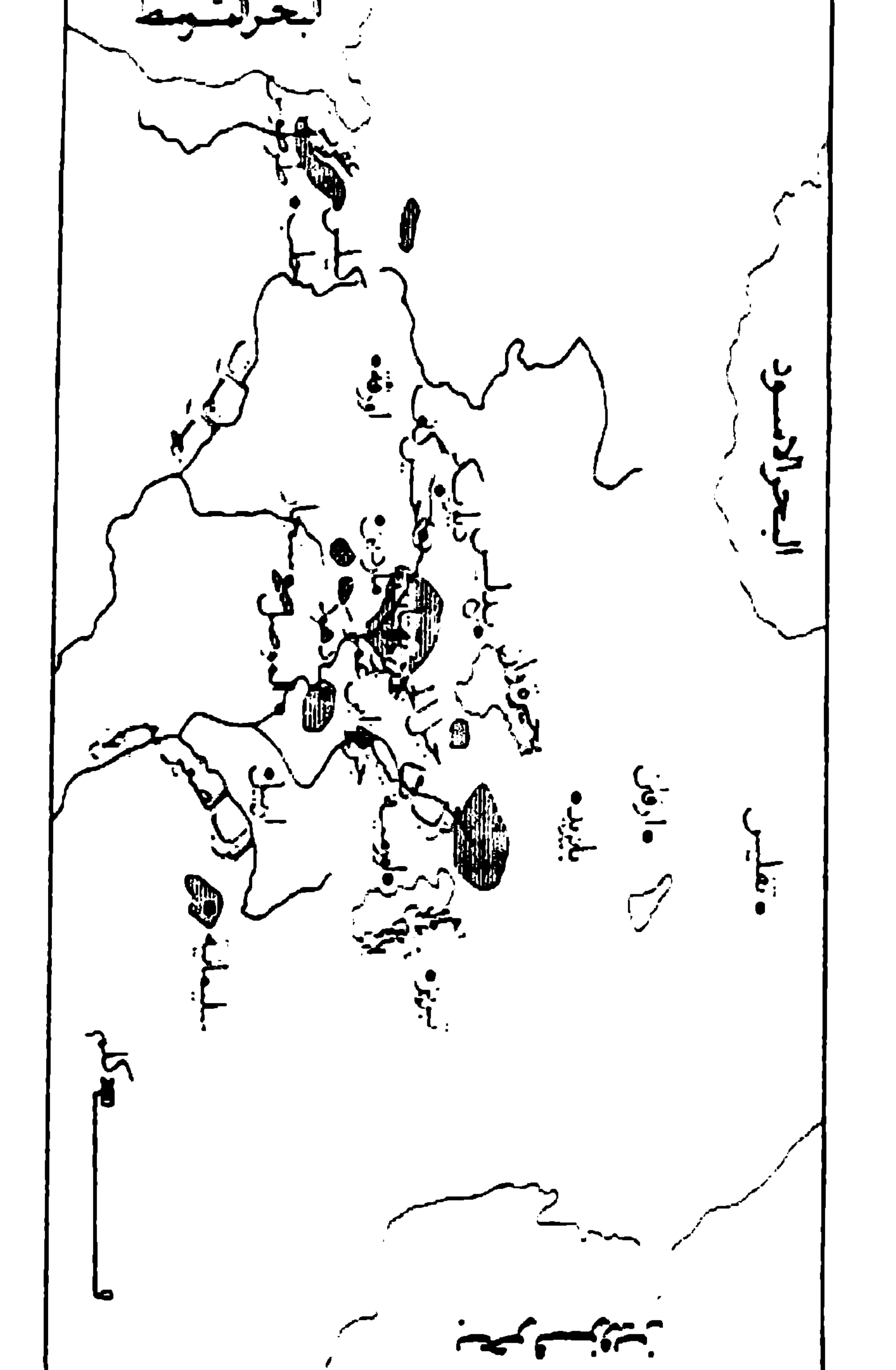
XXIX- إنه خلق منه درة وحكم عليها أربعين سنة ومن بعد ذلك غضب على الدرة ورفسها.

XXX- فيا لعجيب العجب إذ صارت من ضجيجها الجبال ومن عجيجها التلال، ومن دخانها السموات، ثم صعد الله في السماوات وجمدها وثبتها بغير عواميد.

XXXI- ثم قفل الأرض. ثم أخذ قلم بيده. وبدأ في كتابة الخلقة كلها.

XXXII- ثم خلق ستة آلهة من ذاته ونوره. وخلقتهم صارت كما إذا أوقد إنسان سراجاً من سراج آخر.

XXXIII- فقال الإله الأول للثاني ، أنا خلقت السماء فقط اصعد أنت إلى السماء واخلق شيئا. فصعد وصار شمساً. وقال للآخر فصعد وصار قمراً. والرابع خلق الفلك. والخامس صار نجم الصبح والسادس خلق الفراغ يعني الجو.

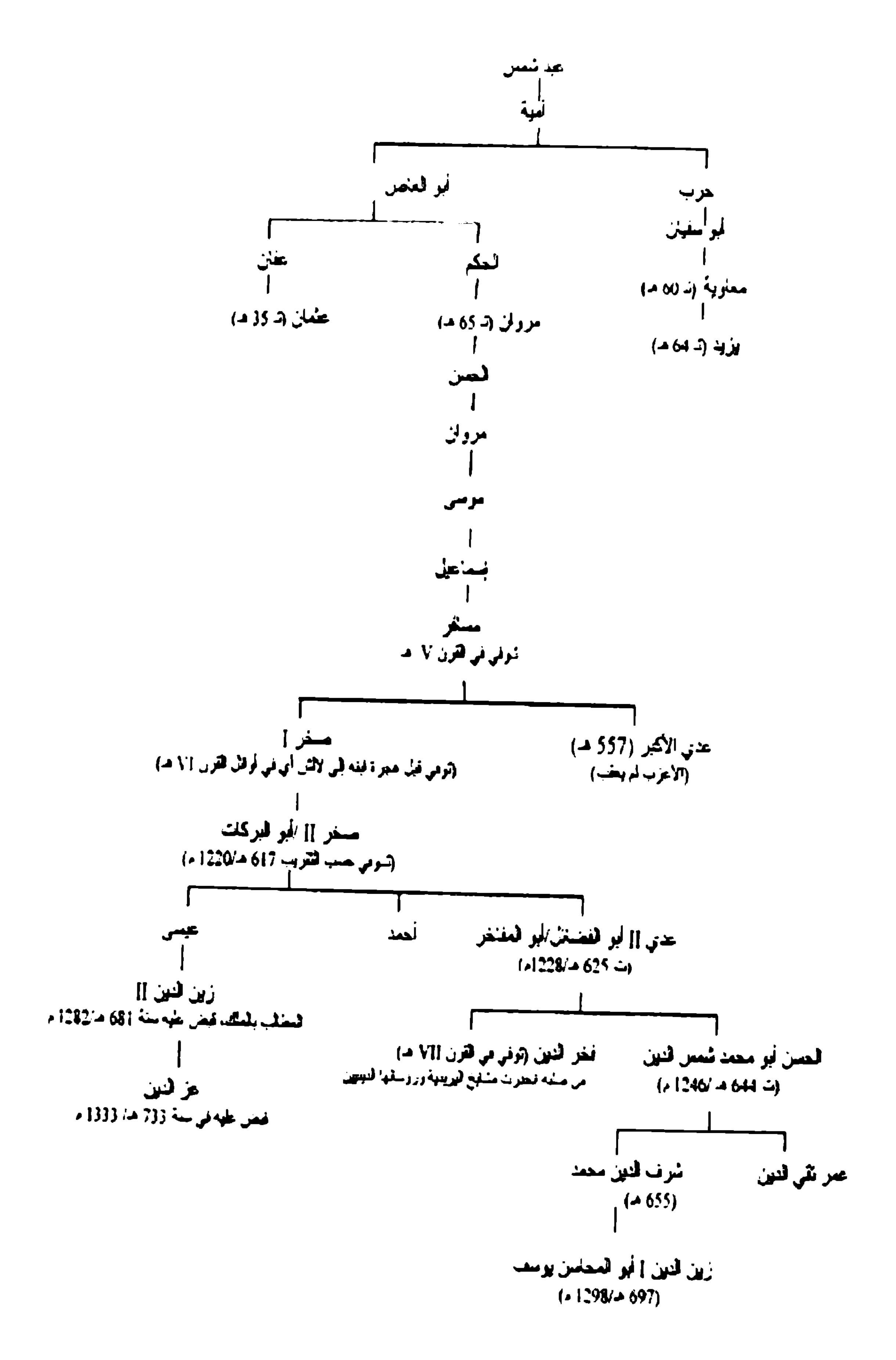


التونجي (محمد)، اليزيدية واليزيديون

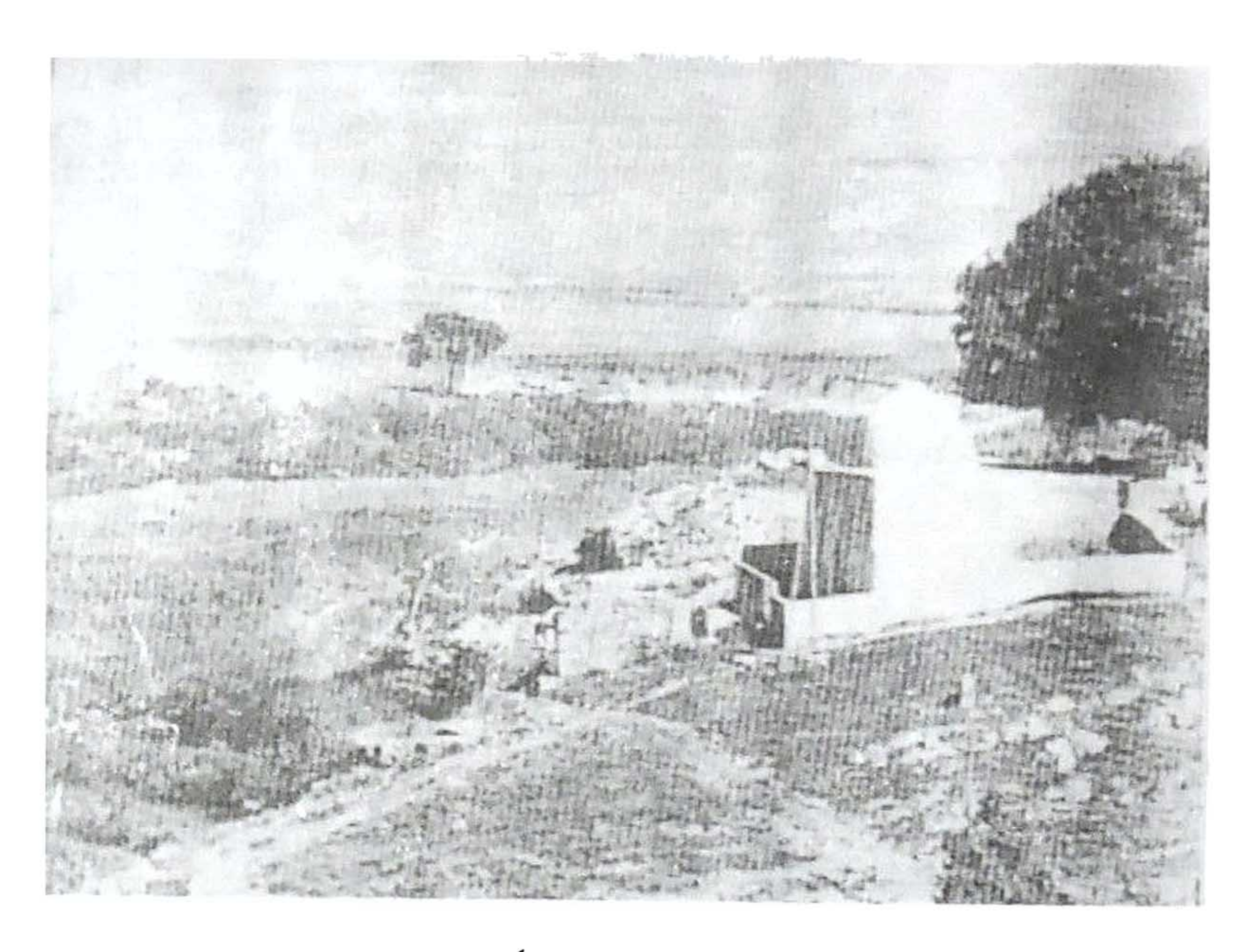
مقاطعات الإمبراطورية العثمانية (مناطق آسيا الغربية)

البحر الأسود
بلاد ما وراء النهر
الأناضول
إيران
سوريا
العراق
قبرص
كريت
البحر الأبيض المتوسط
الصحراء السورية
الإسكندرية
القاهرة
مصر
دير الزور
بغداد
الخليج الفارسي العربي

شجرة نسب البيت العدوي (الأموي)



صورة رقم : I



خربت قنفاؤ (بيت فار سابقاً) في لبنان
مكان ولادة الشيخ عدي / عادي (آدي)
مقبرة (مزار) آل مسافر

GUEST (J.S), The Yezidis

صورة رقم : II

المخطط المفصل للزاوية العدوية في سنة 1911

العتبة المقدسة

نقطة عبور بين القسمين
A وB من الزاوية

الصومعة (قباب مخروطية)

الباب المؤدي للزاوية

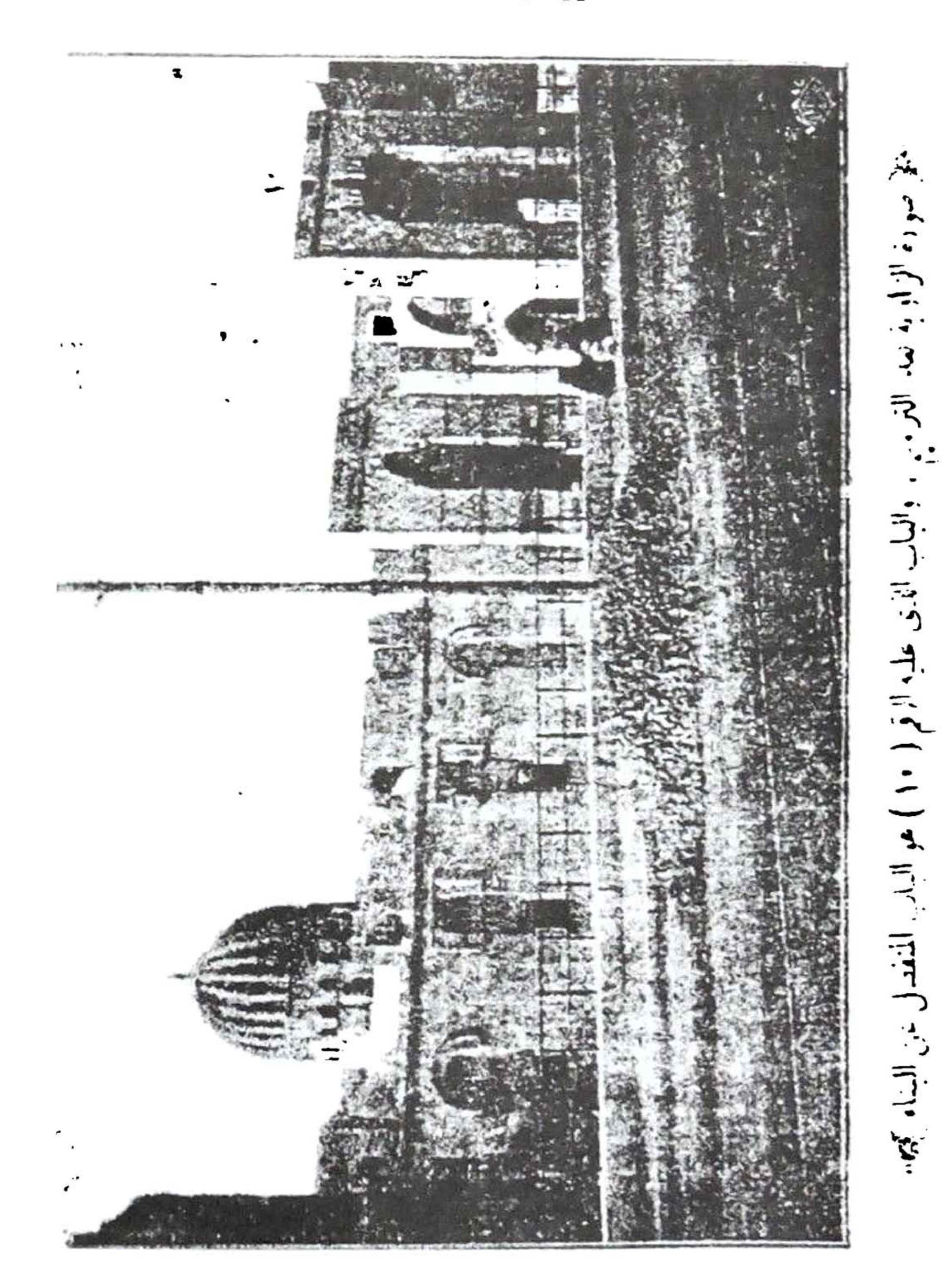
الساحة

قائمة الغرف :
1 : الغرفة الرئيسية
2 : ضريح الشيخ حسن
3 . ضريح الشيخ عدي
4 . مخزن الزيت (الوالود)
5 غرفة الربط (ممر)
6 : ضريح الشيخ أبو بكر
7 . ساحة شرف الدين

المخطط الأرضي لبناية الزاوية العدوية بلالش

Walter Bachman, Kirchen und Moscheen in Armenien und Kurdistan, Leipzig, J.G. Hinrichs, 1913, Plate 15. (Deutsche Orient Gesellschaft, Wiss. Veroff., vol. 25. Photo: Orient Division, NYPL.)

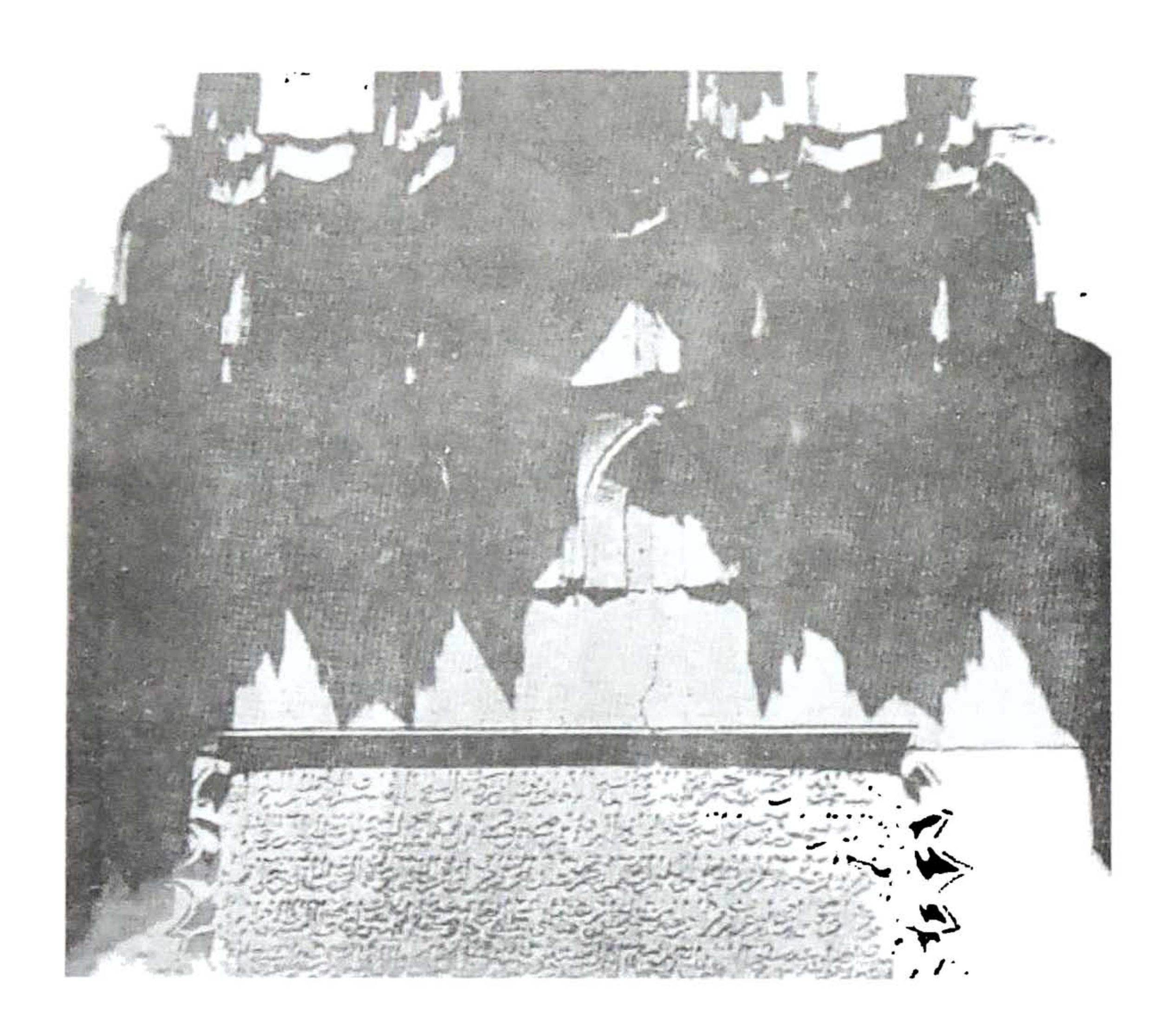
صورة رقم : III



منظر خارجي للزاوية العدوية بالقرافة القاهرة / مصر

أحمد تيمور باشا . اليزيدية.

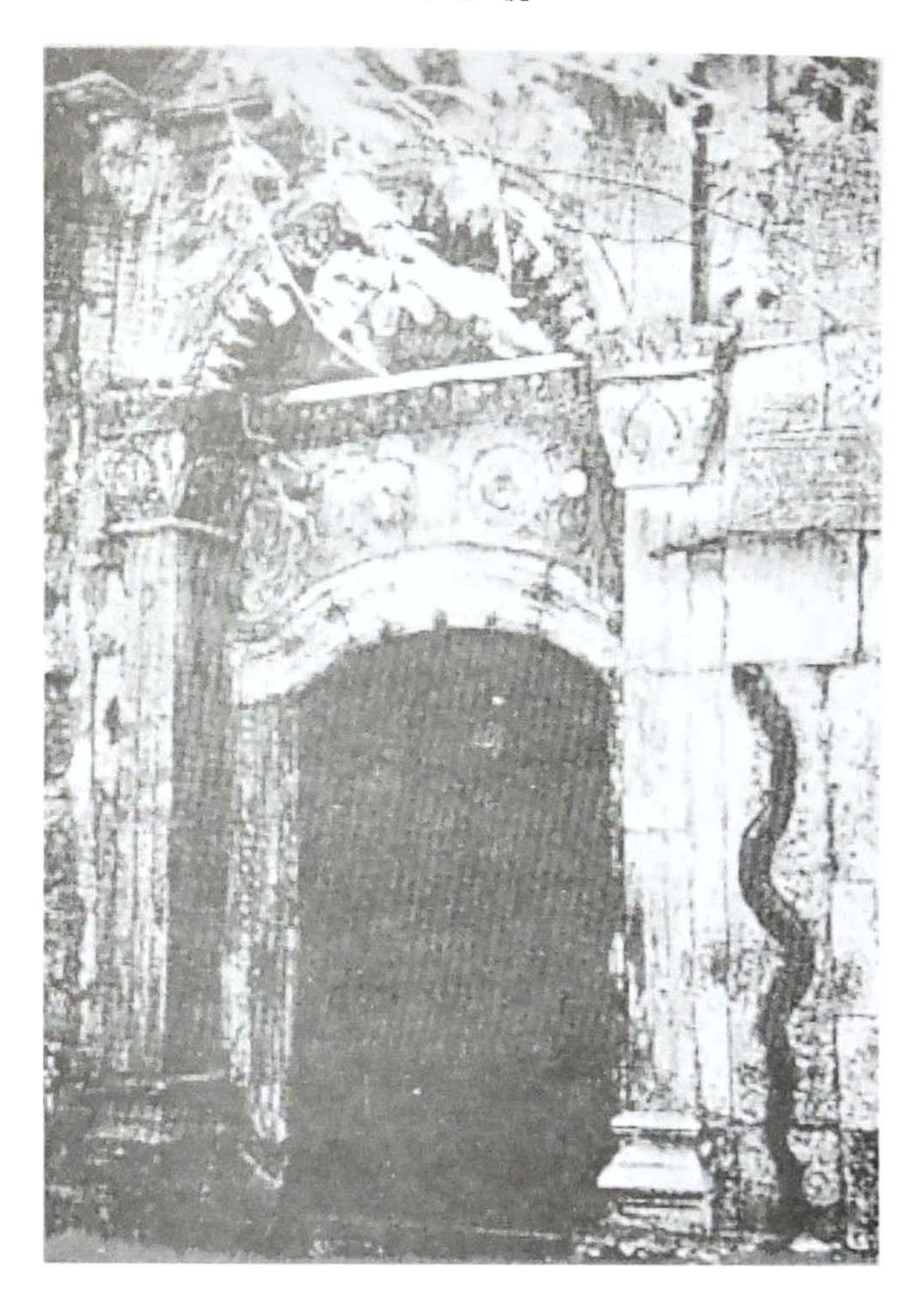
صورة رقم : IV



الزاوية العدوية بالقرافة القاهرة / مصر
حيث نقش في الرواق المؤدي لداخل الزاوية تاريخ بنائها

GUEST (J.S), The Yezidis

صورة رقم : V



الدخل المؤدي لمرقد الشيخ عدي
(علي اليمين توجد الحية السوداء)

GUEST, The Yezidis

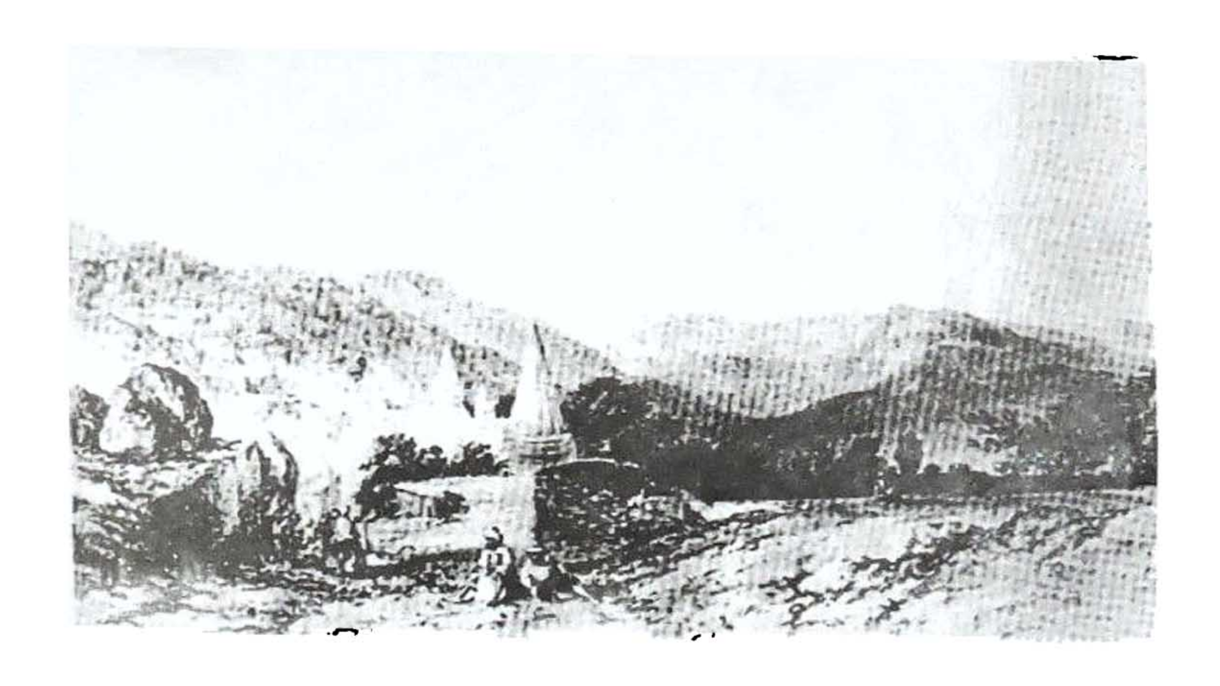
صورة رقم : VI



منظر لمدخل الشيخ عدي بلالش

GUEST, The Yezidis

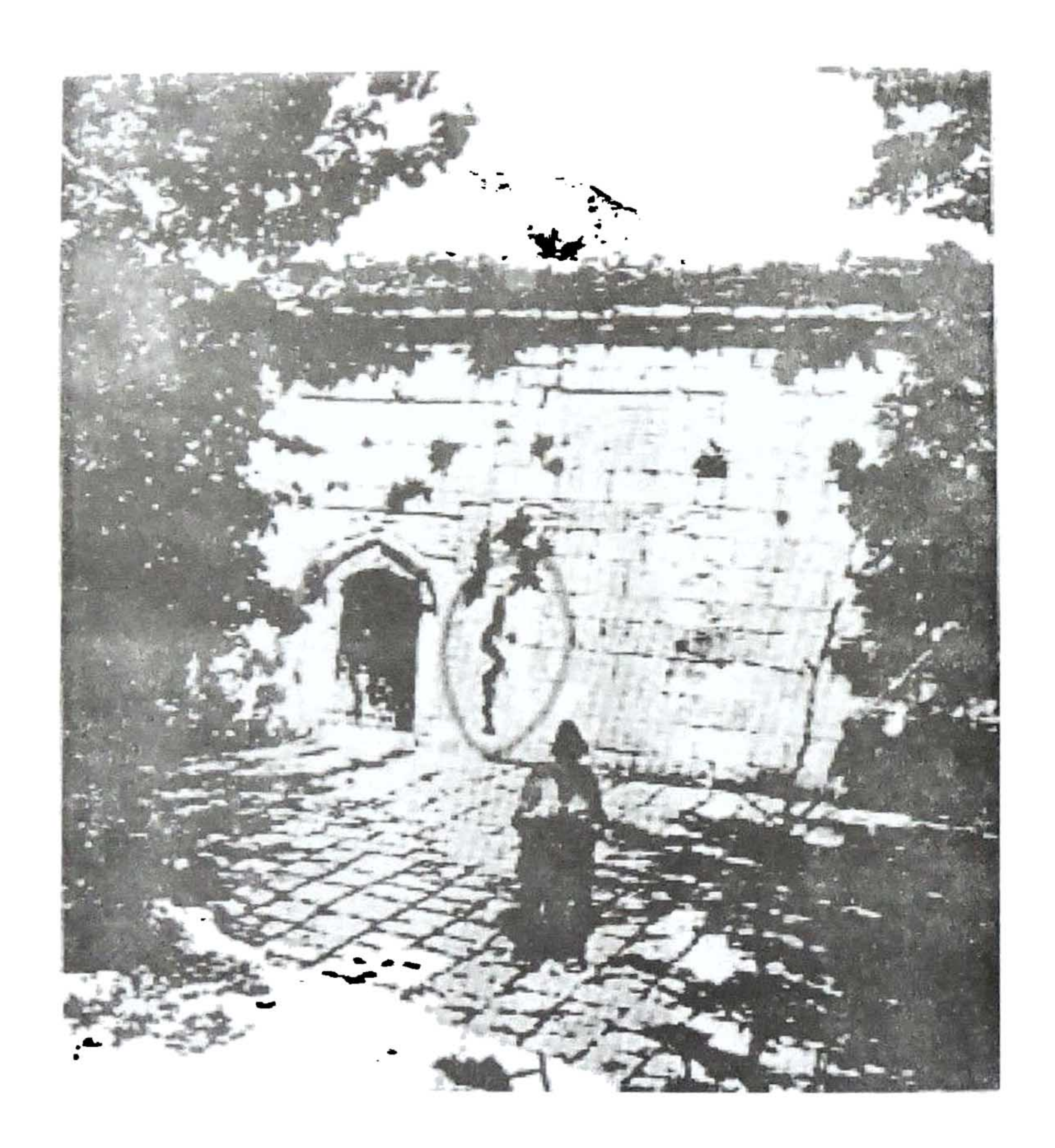
صورة رقم : VII



منظر عام لمزارات اليزيدية
فب لالش (1850)

Lyard (H), Nineveh and its remains

صورة رقم : VIII



لاش

الحائط الشرقي لوسط الساحة

صور في 1909 حيث يبرز الثعبان

الصورة نقلها Guest عن Certrude Bellz

صورة رقم : IX



أضرحة لالش: الحائط الشرقي لفناء ساحة الثعبان

صورة: Althelstan riley

1886م

GUEST (J.S), <u>The Yezidis</u>

صورة رقم : X



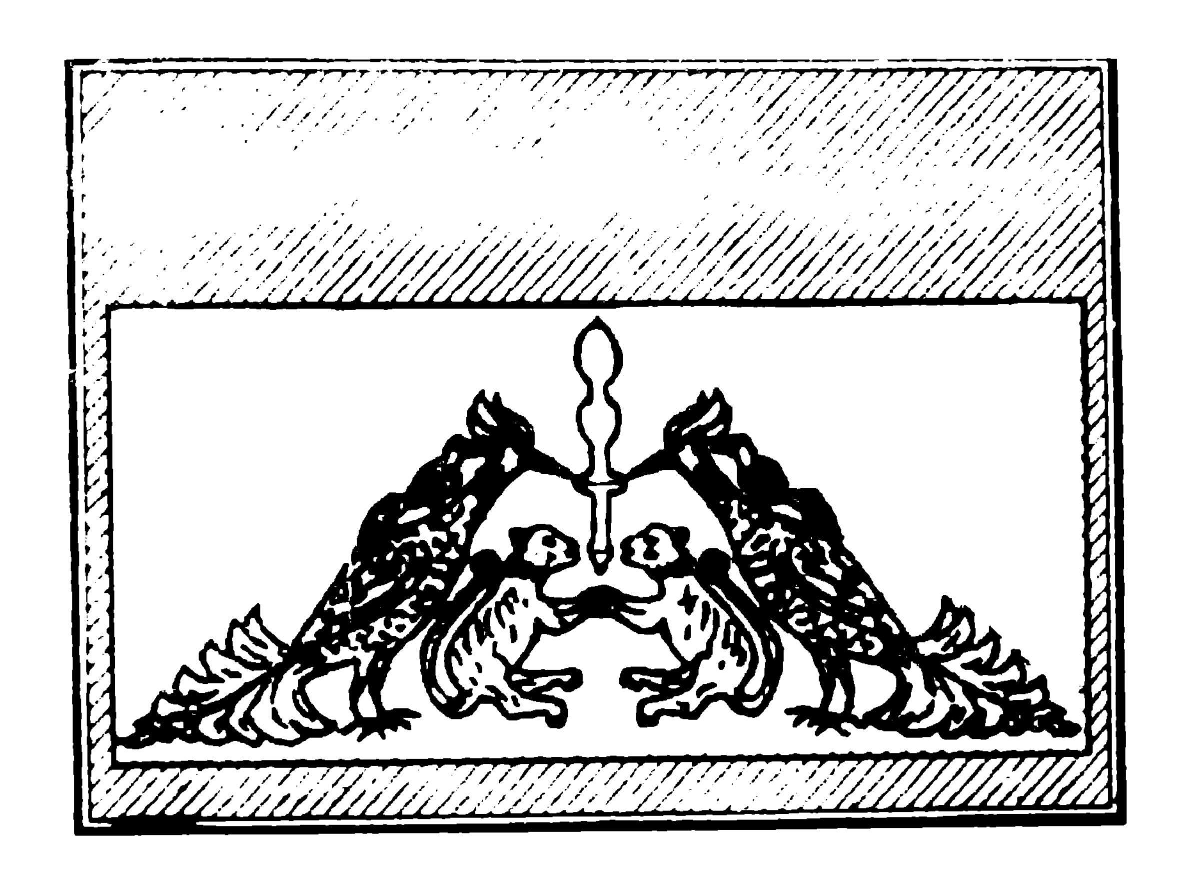
أضرحة لالش

بابا الشاوش بير كمال والفقير مراد والمؤلف Guest J.S

في الرواق المؤدي لمرقد الشيخ عدي 1992

GUEST, Survival among the Kurds

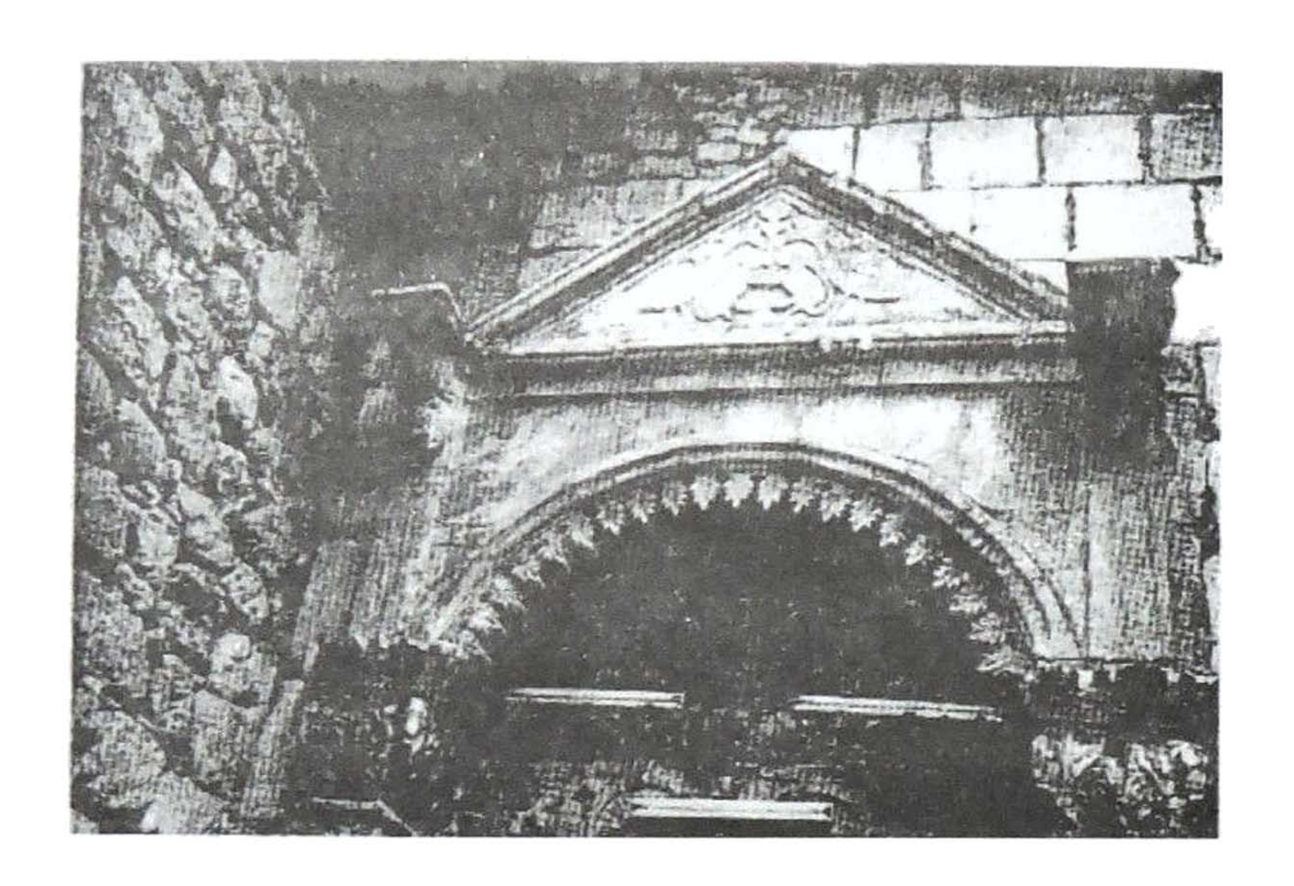
صورة رقم : XI



صور منقوشة للرموز اليزيدية المقدسة

عن مجلة لالش. العدد vi . 1996.

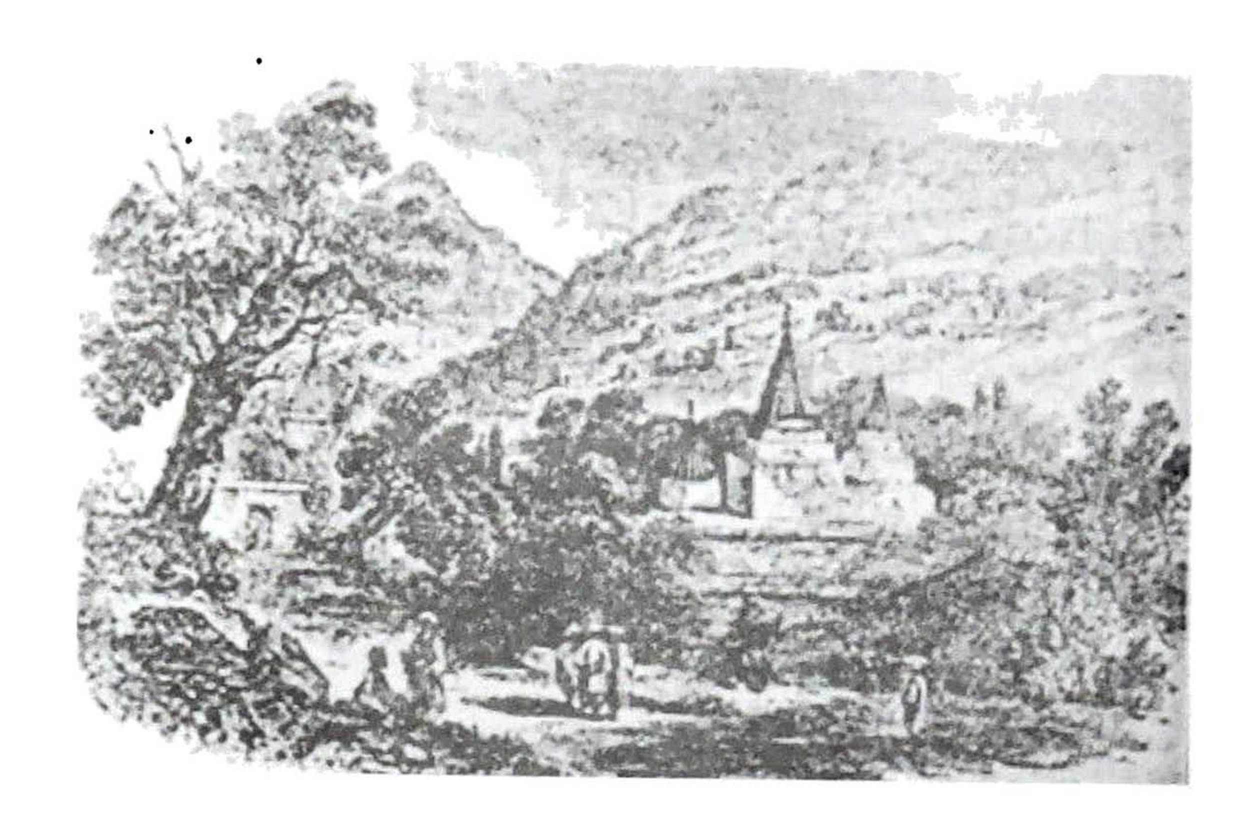
صورة رقم : XII



الواجهة الأمامية للرواق المؤدي لضريح الشيخ عدي
حيث يوجد في أعلى المدخل رموز مقدسة للطاووس

GUEST (J.S), Survival Among the Kurds

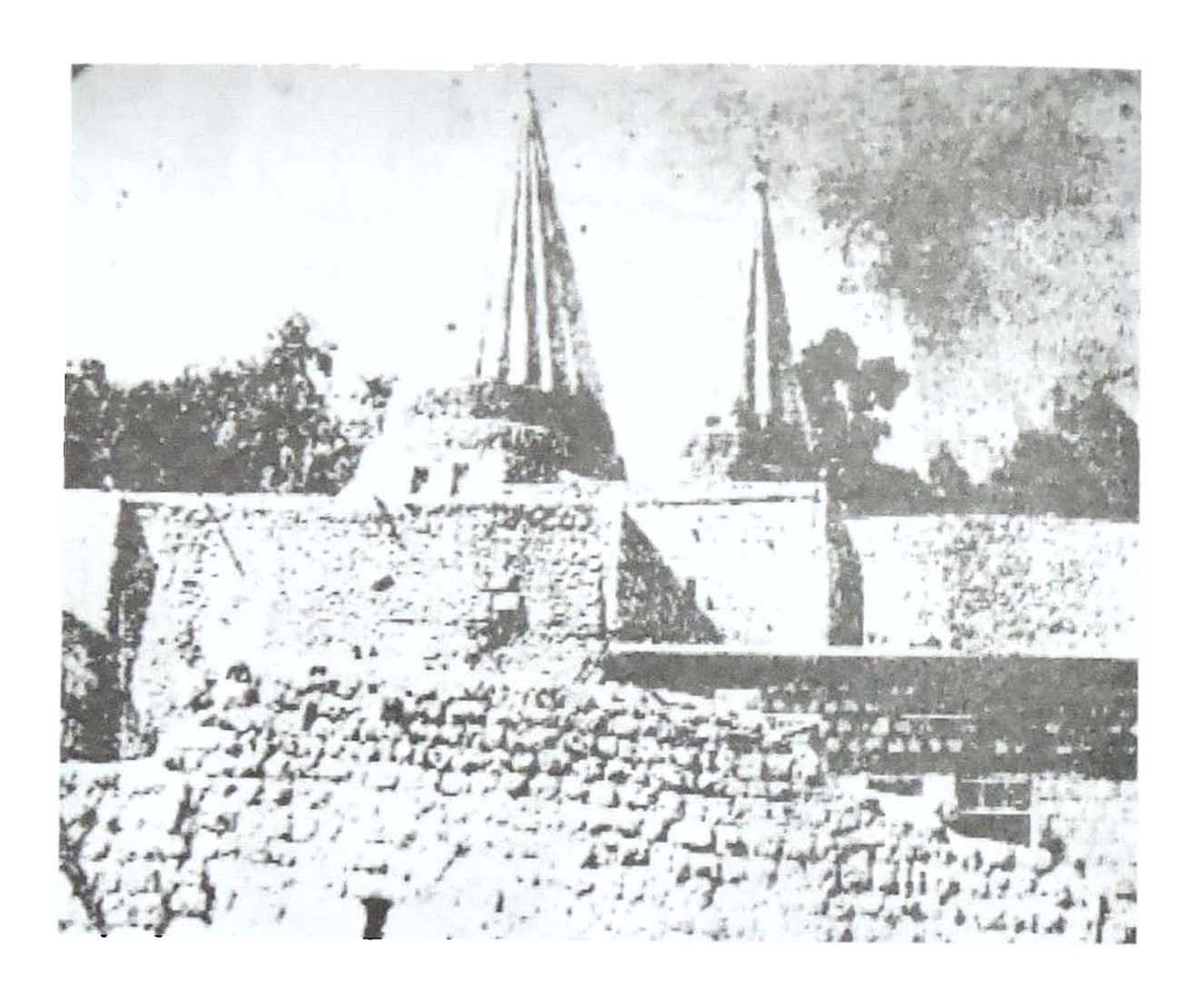
صورة رقم : XIII



مزار الشيخ عدي

LYARD (H) نقلاً عن مجلة المقتطف. أكتوبر. 1916.

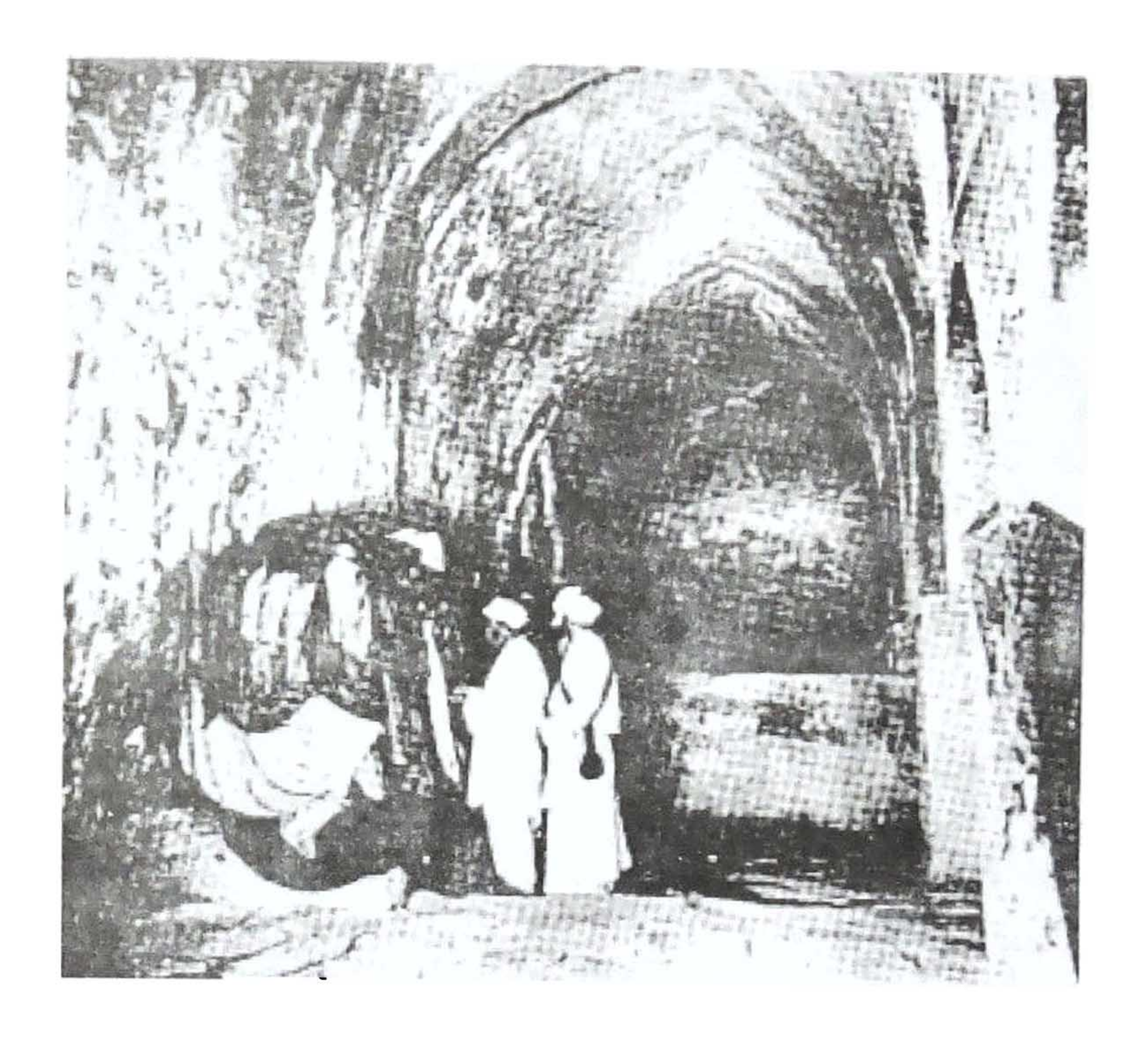
صورة رقم : XIV



منظر خارجي للزاوية العدوية بلالش

غلاف مجلة لالش. العدد ١ (لسان حال اليزيدية).

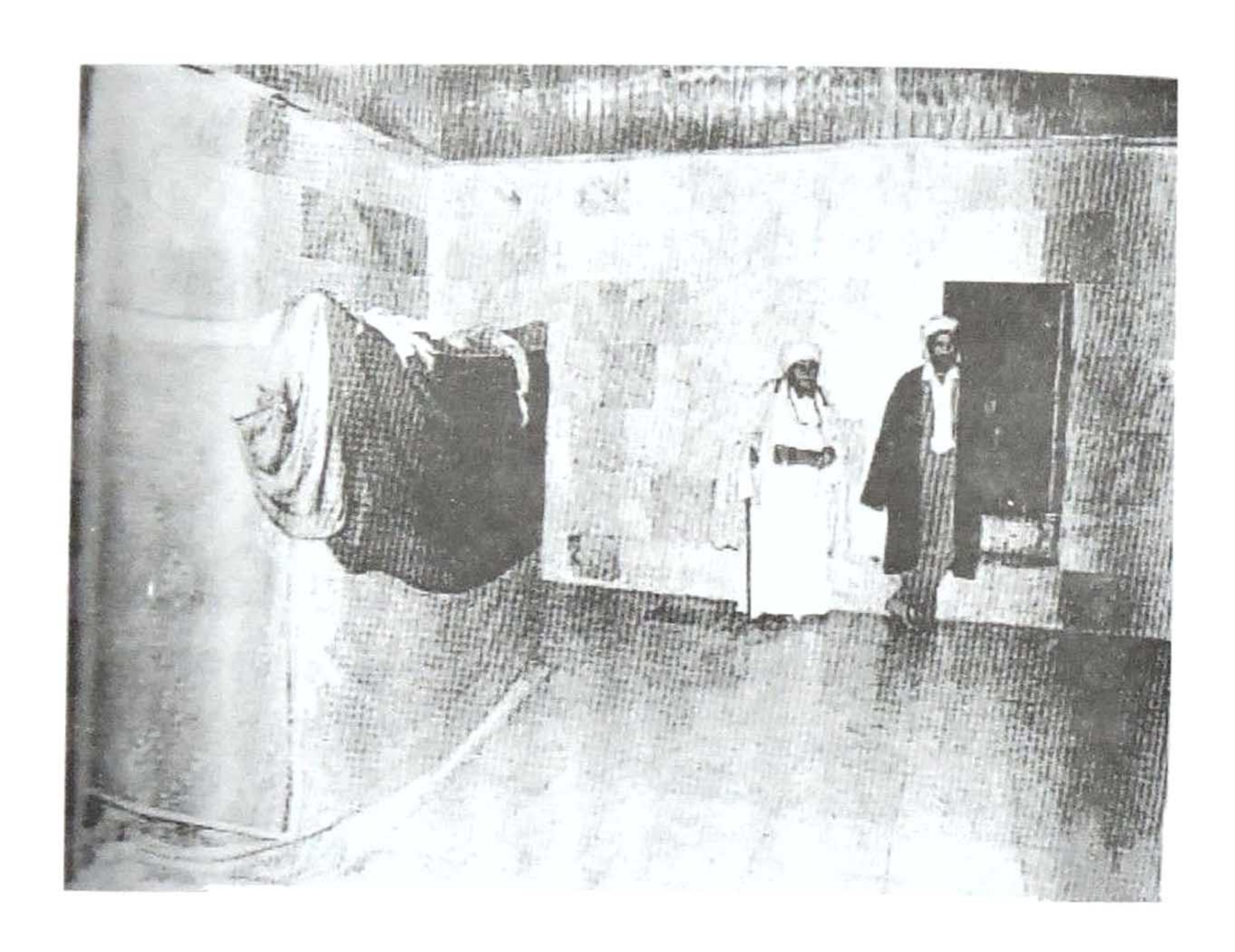
صورة رقم : XV



ضريح الشيخ عدي 1943

GUEST (J.S), The Yezidis

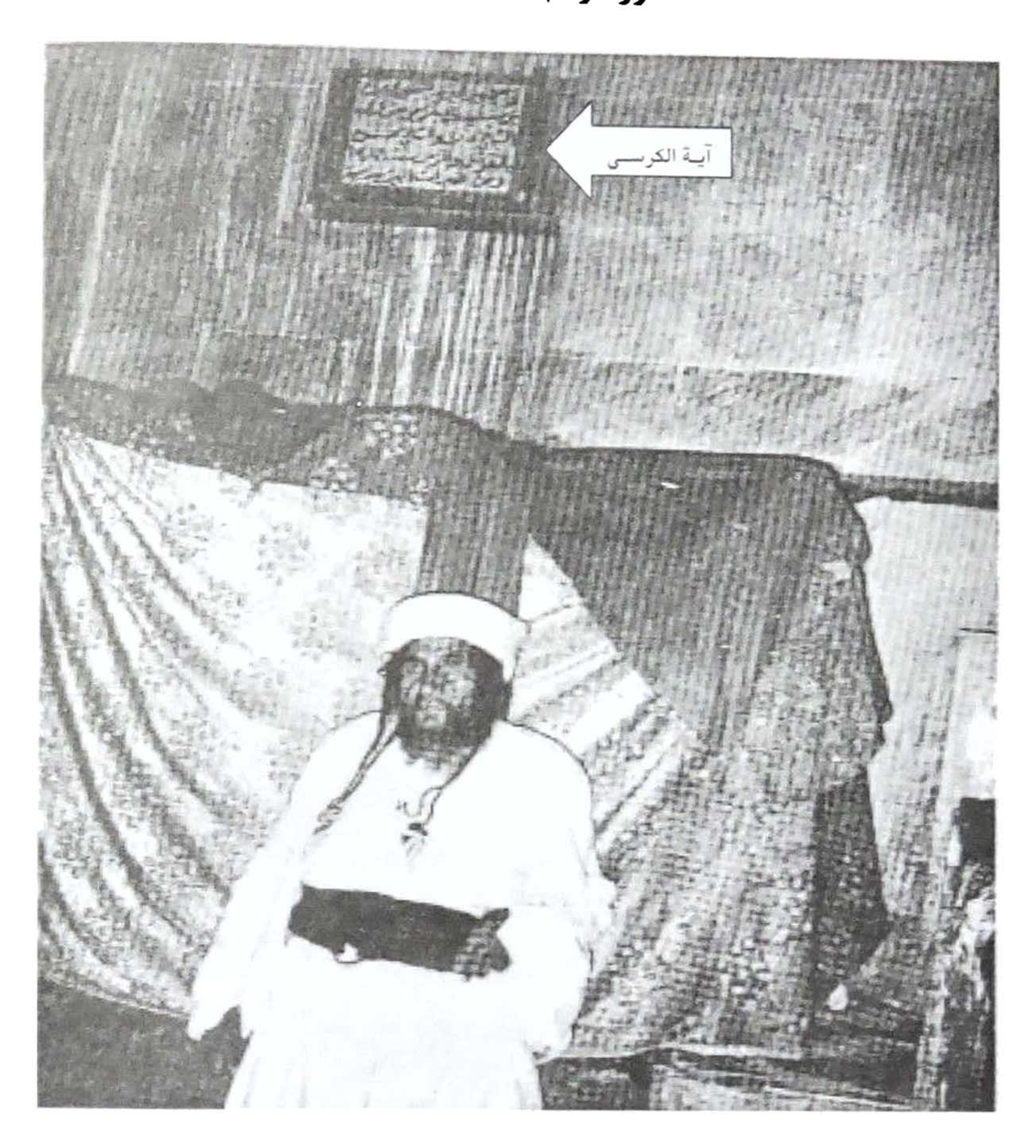
صورة رقم : XVI



ضريح الشيخ عدي 1989
حيث يبدو لنا كأي ضريح لأحد صلحاء الإسلام

GUEST, The Yezidis

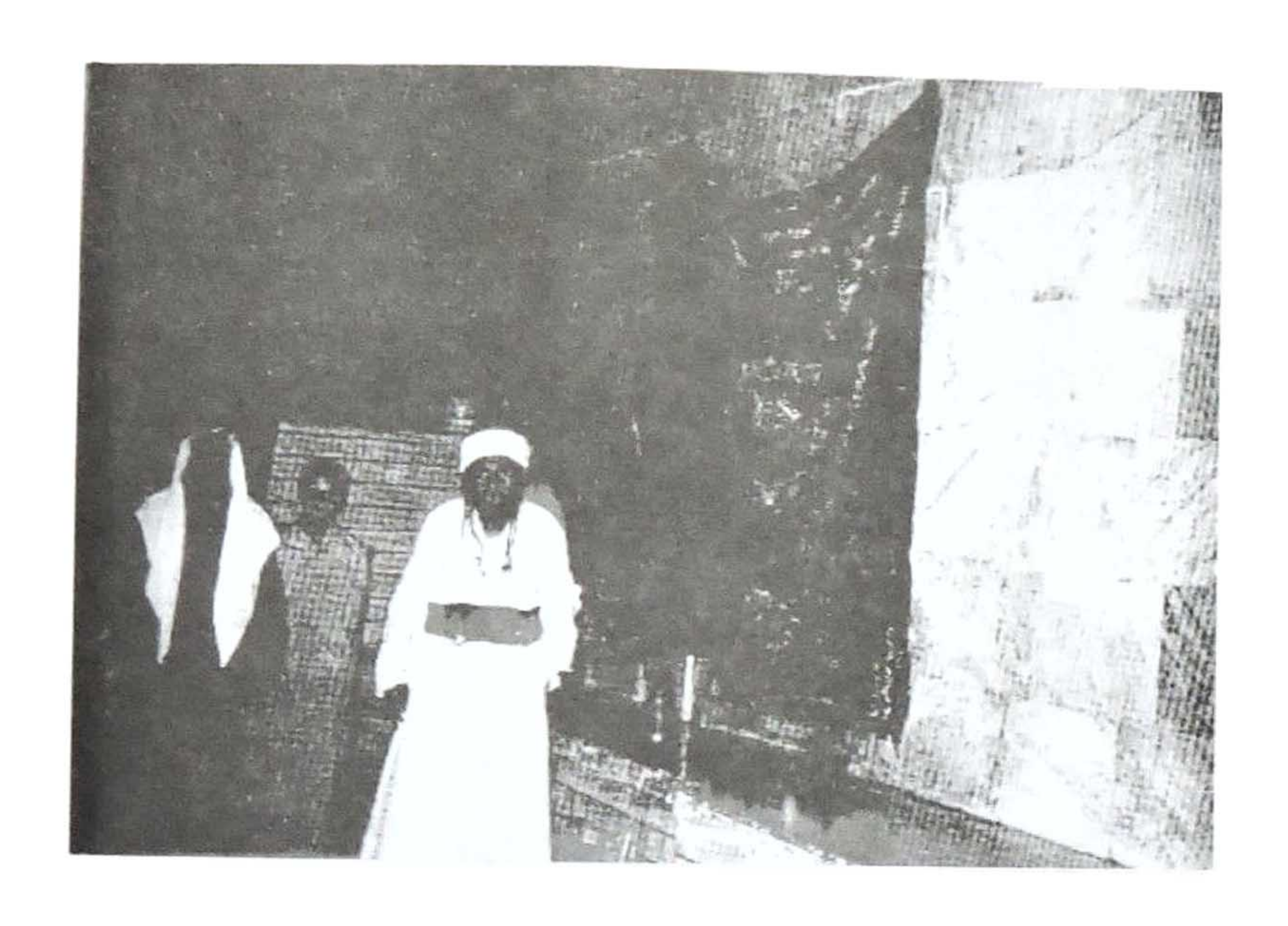
صورة رقم : XVII



بابا الشاوش في مرقد الشيخ "حسن شمس الدين" 1992
تسجيل حديث بعد عمليات الترميم لضريحي الشيخين عدي وحسن

GUEST (J.S), Survival among the Kurds

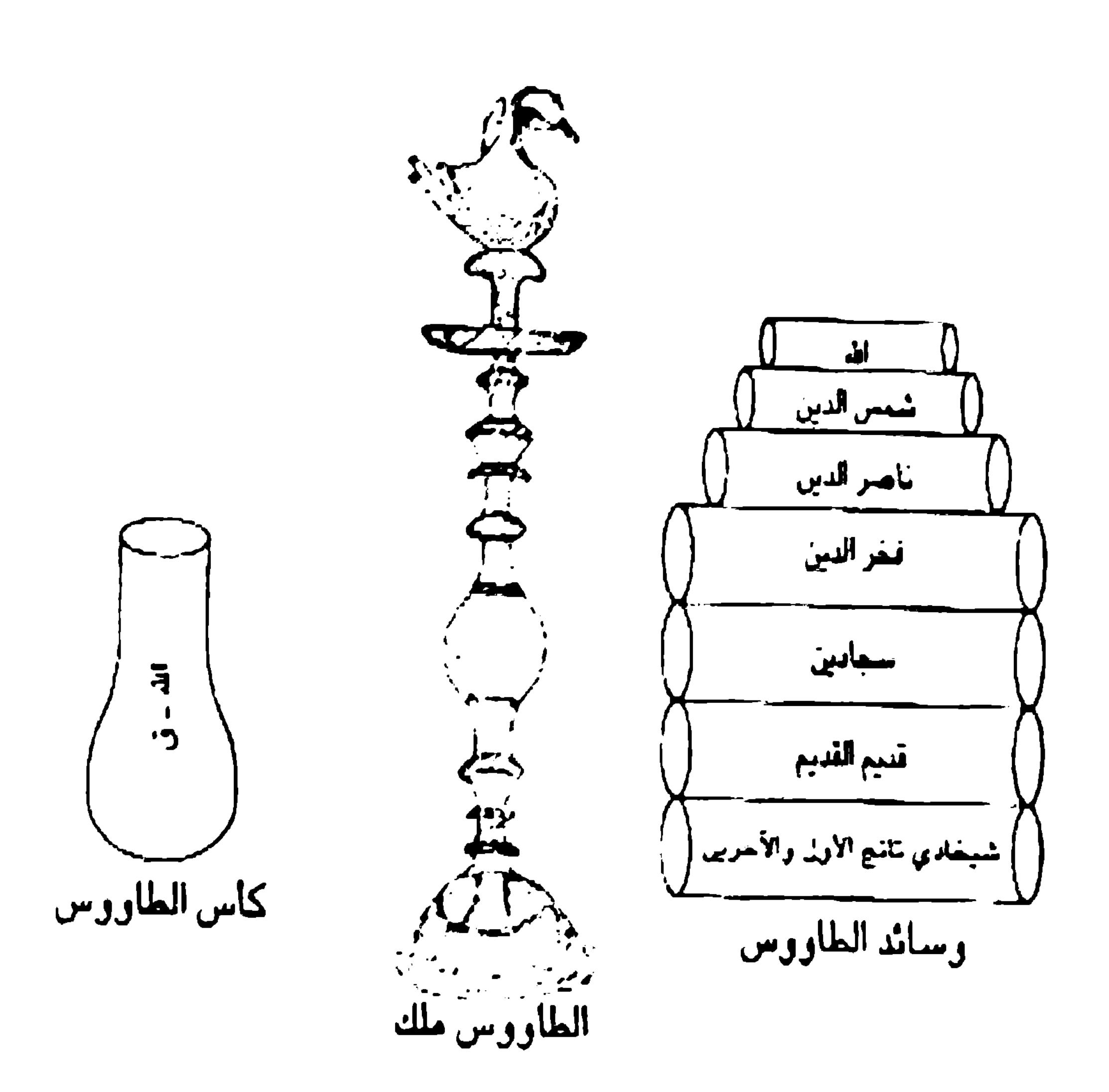
صورة رقم : XVIII



الستار الذي يغطي الشباك المطل على غرفة مرقد الشيخ عدي

GUEST (J.S), The Yezidis

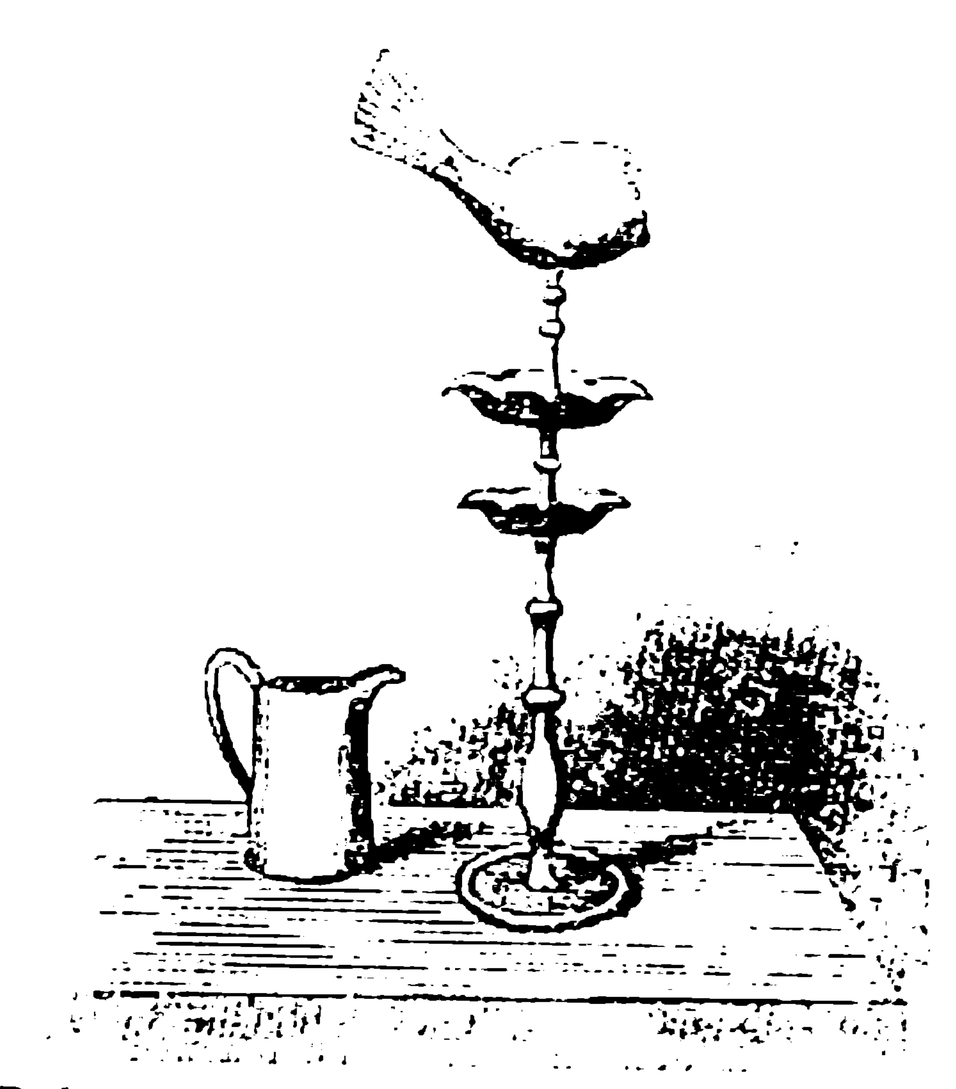
صورة رقم : XIX



صور لسنجق اليزيدية المقدس وأدواته

الحسني (عبد الرزاق). اليزيدية في حاضرهم وماضيهم.

صورة رقم : XX



رسم سنجق "الشيخان" حب تصور وتخيل السيدة بادجر (Badger)
في بعشيقة العراق 1850
(الشمعدان والإناء)

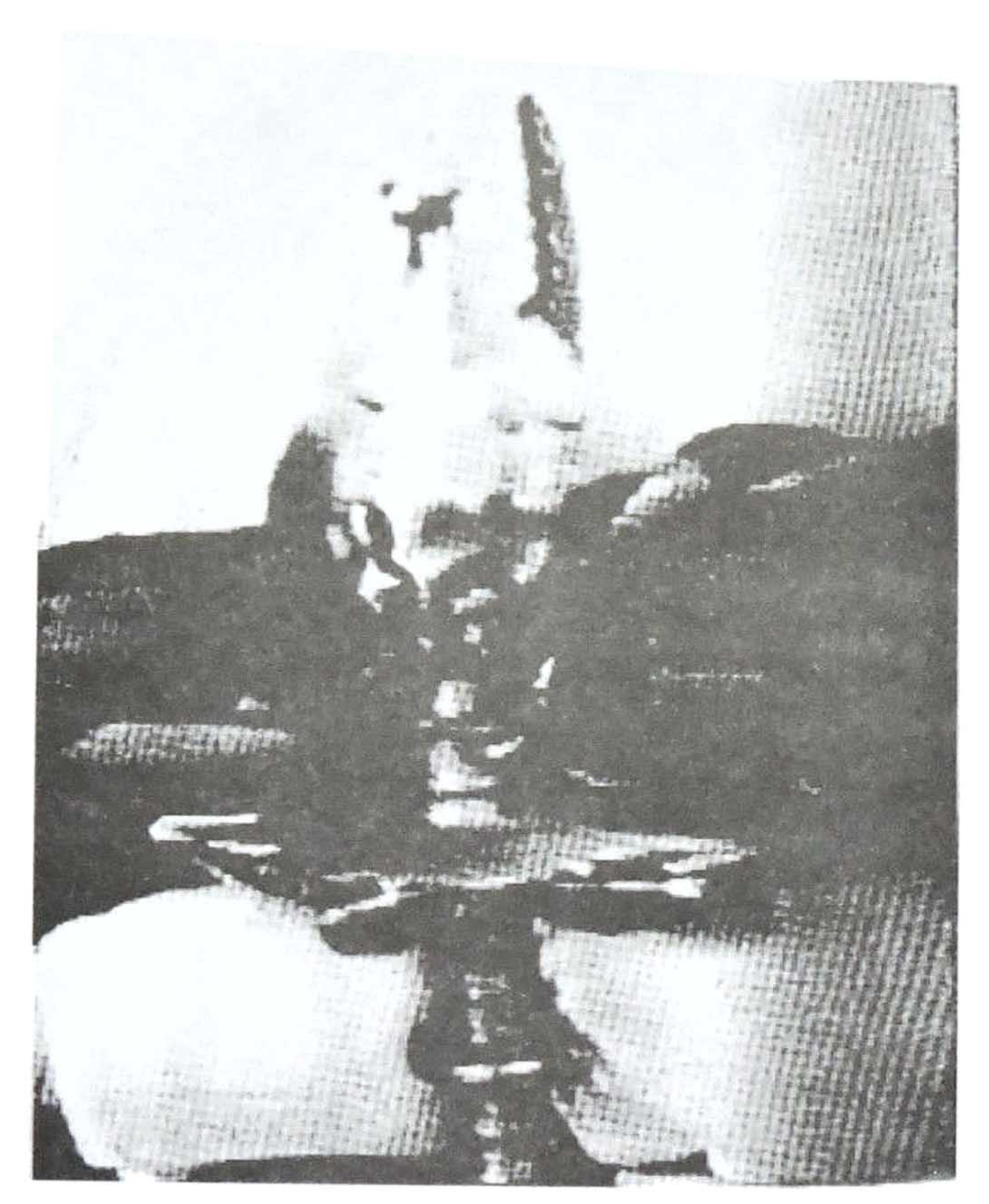
GUEST (J.S), The Yezidis

صورة رقم : XXI



السنجق المتخيل في حيازة عائلة بغدادية 1911

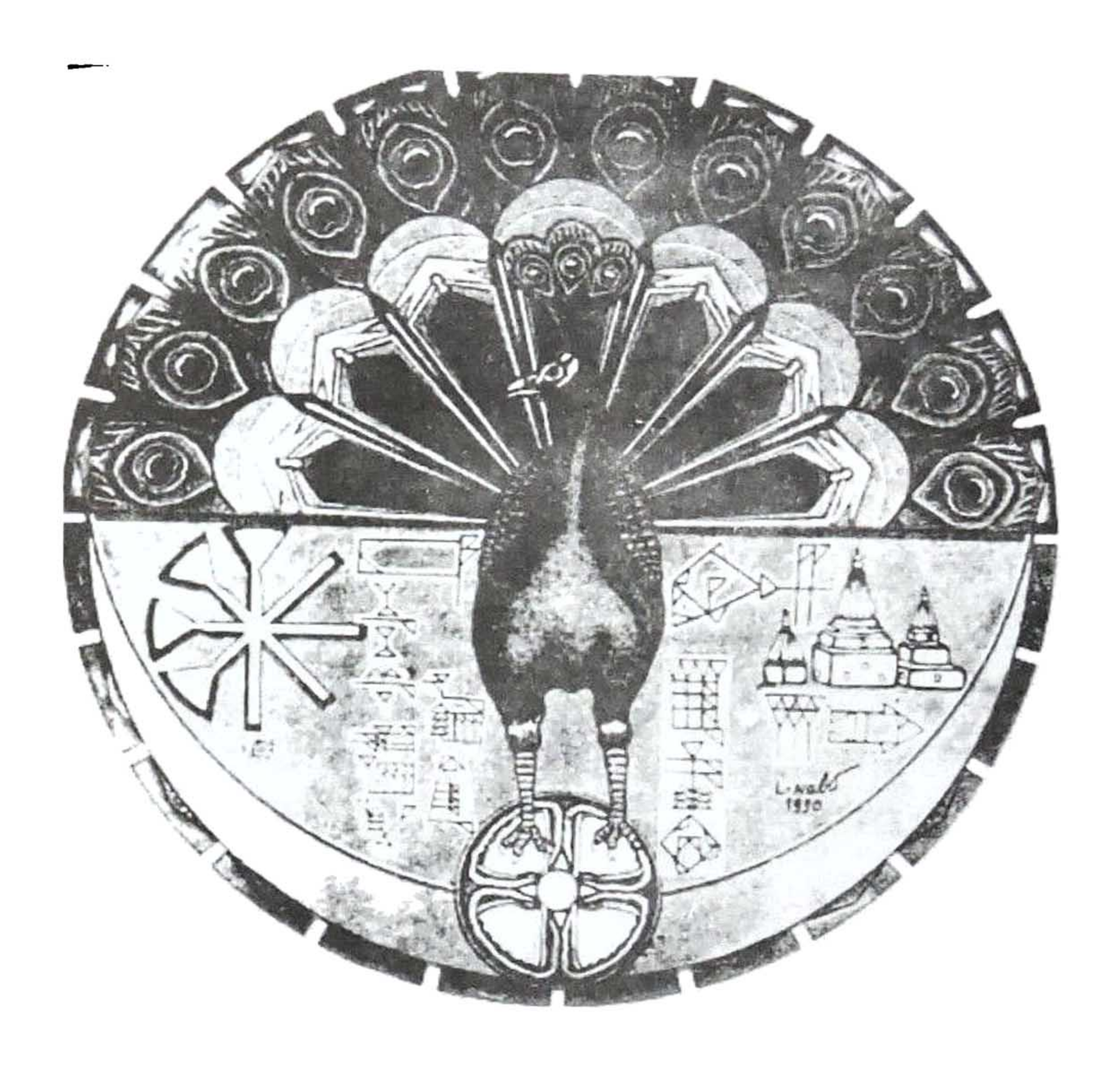
صورة رقم : XXII



سنجق الشيخان 1990

GUEST (J.S), Survival among the Kurds

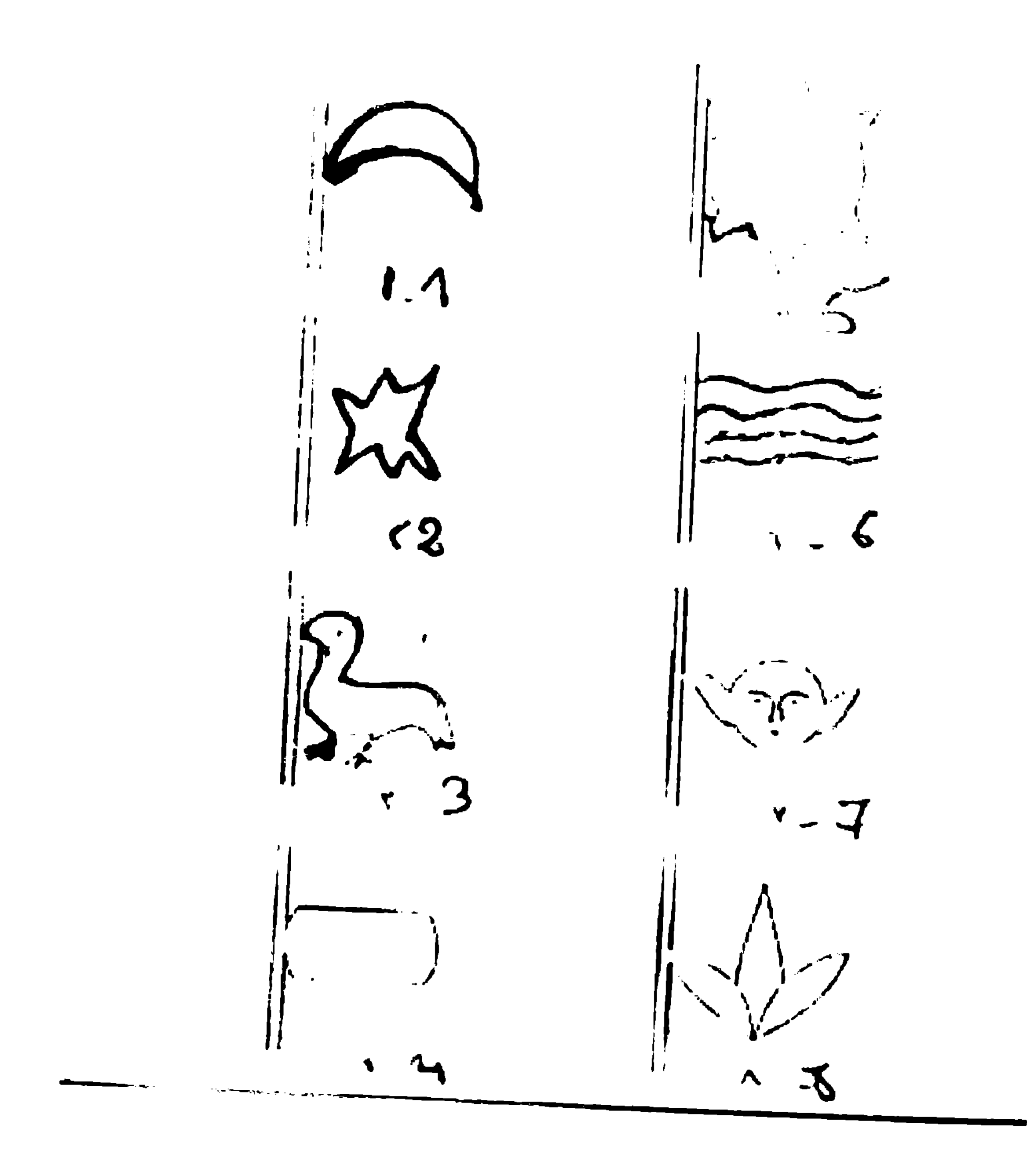
صورة رقم : XXIII



مجلة ثقافية فصلية يصدرها مركز لالش باللغتين الكوردية والعربية

الغلاف الخارجي لمجلة لالش، العدد IV. 1994. حيث تبرز لنا صورة "طاووس ملك" كما يتخيله اليزيديون وهو أشبه بطائر "الحبارة"وعديد الرموز بالخط المسماري.

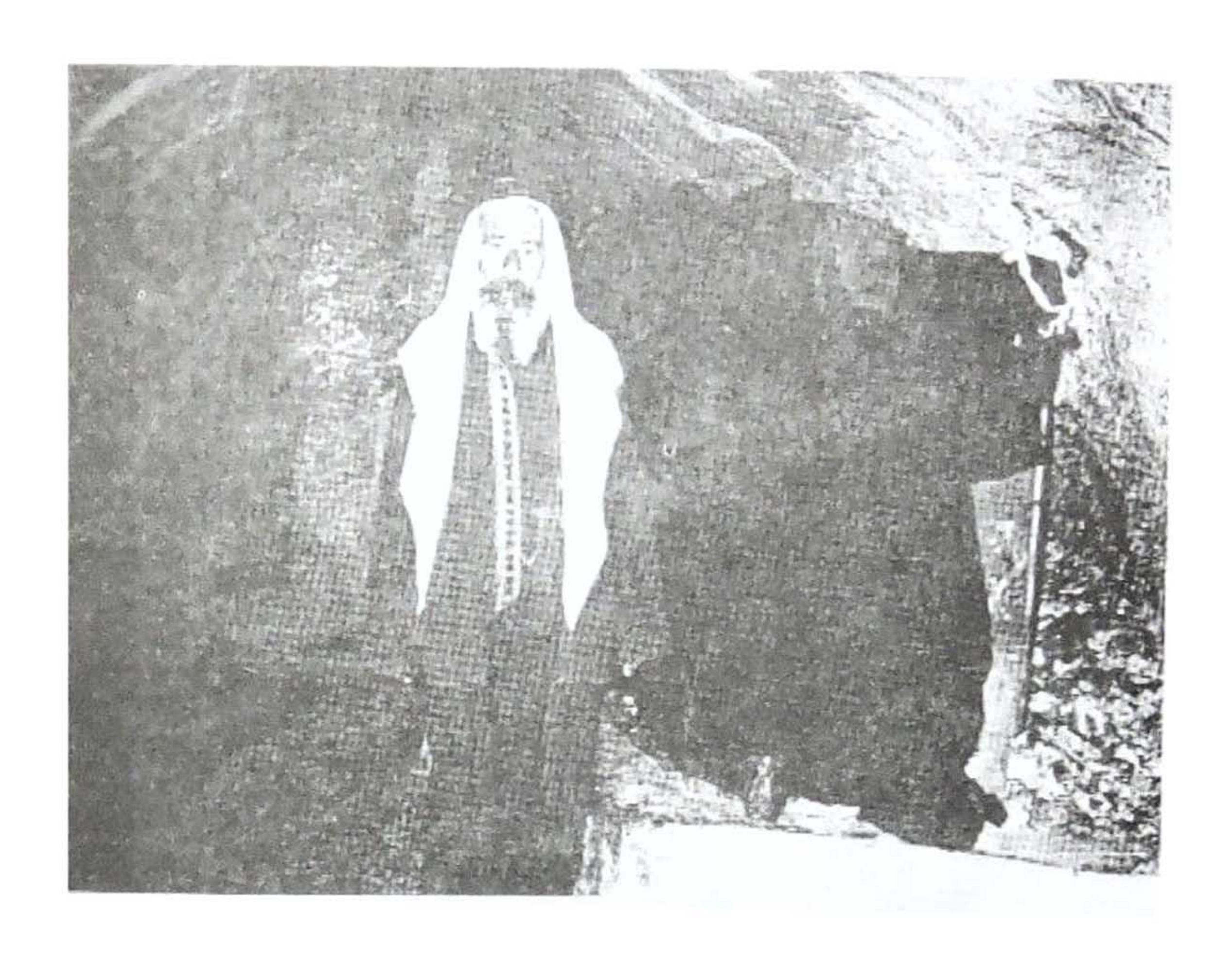
صورة رقم : XXIV



رموز السناجق كما نشرها الأب انستاس الكرملي في بغداد

Antrhopos, P 4 – 5, 1911

صورة رقم : XXV



الفقير مراد داخل الزاوية العدوية / معبد لالش
حيث تظهر لنا ملابس طبقة الفقراء

Guest (J.S), Survival among the Kurds

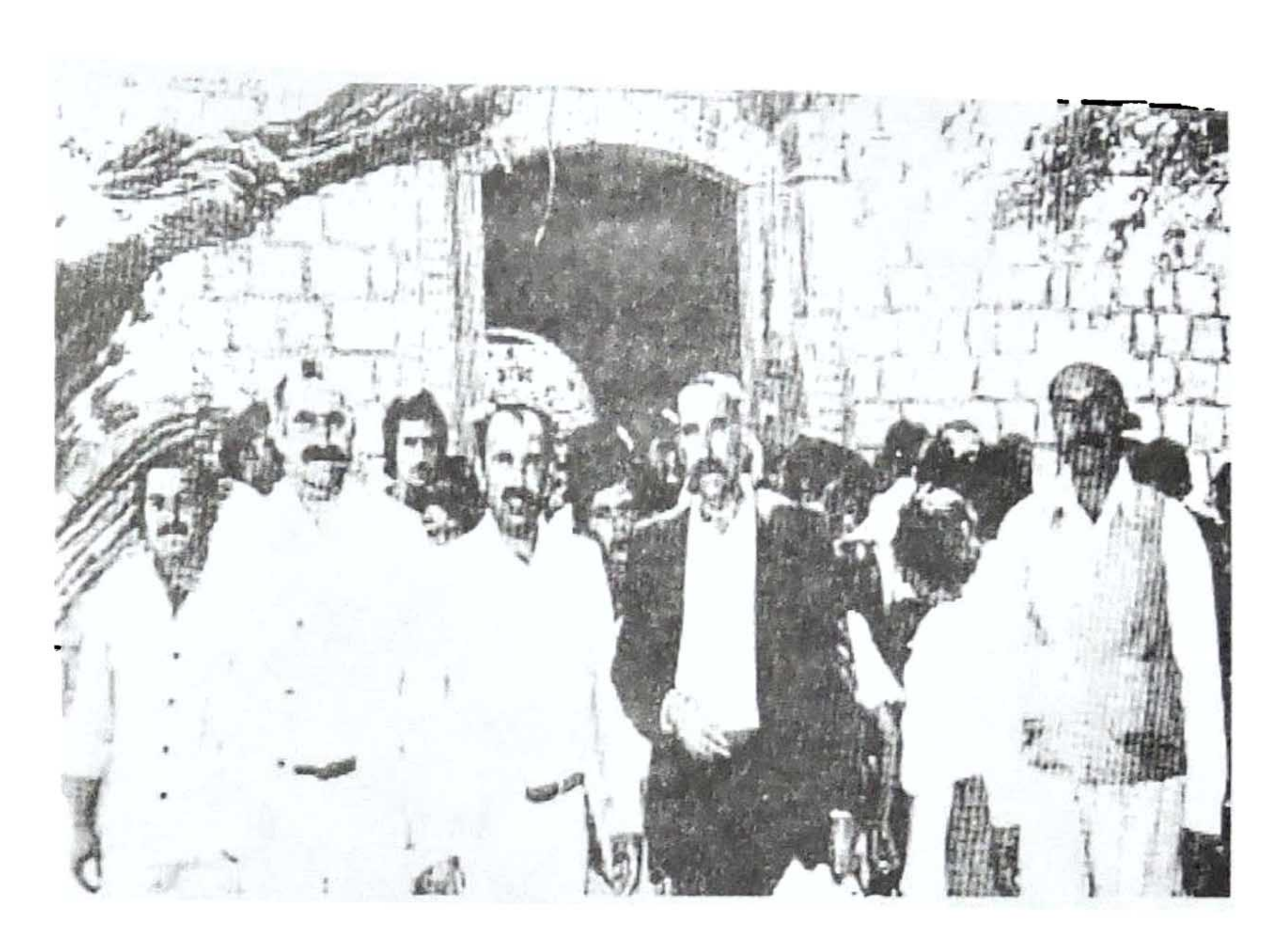
صورة رقم : XXVI



بابا الشاوش بجانب مرقد "أبو البركات" 1992
حيث يظهر لنا لباسه وظفيرة شعره

GUEST (J.S), Survival Among the Kurds

صورة رقم : XXVII



جموع حجاج اليزيدية بلالش
صورة حديثة

GUEST (J.S), The Yezidis

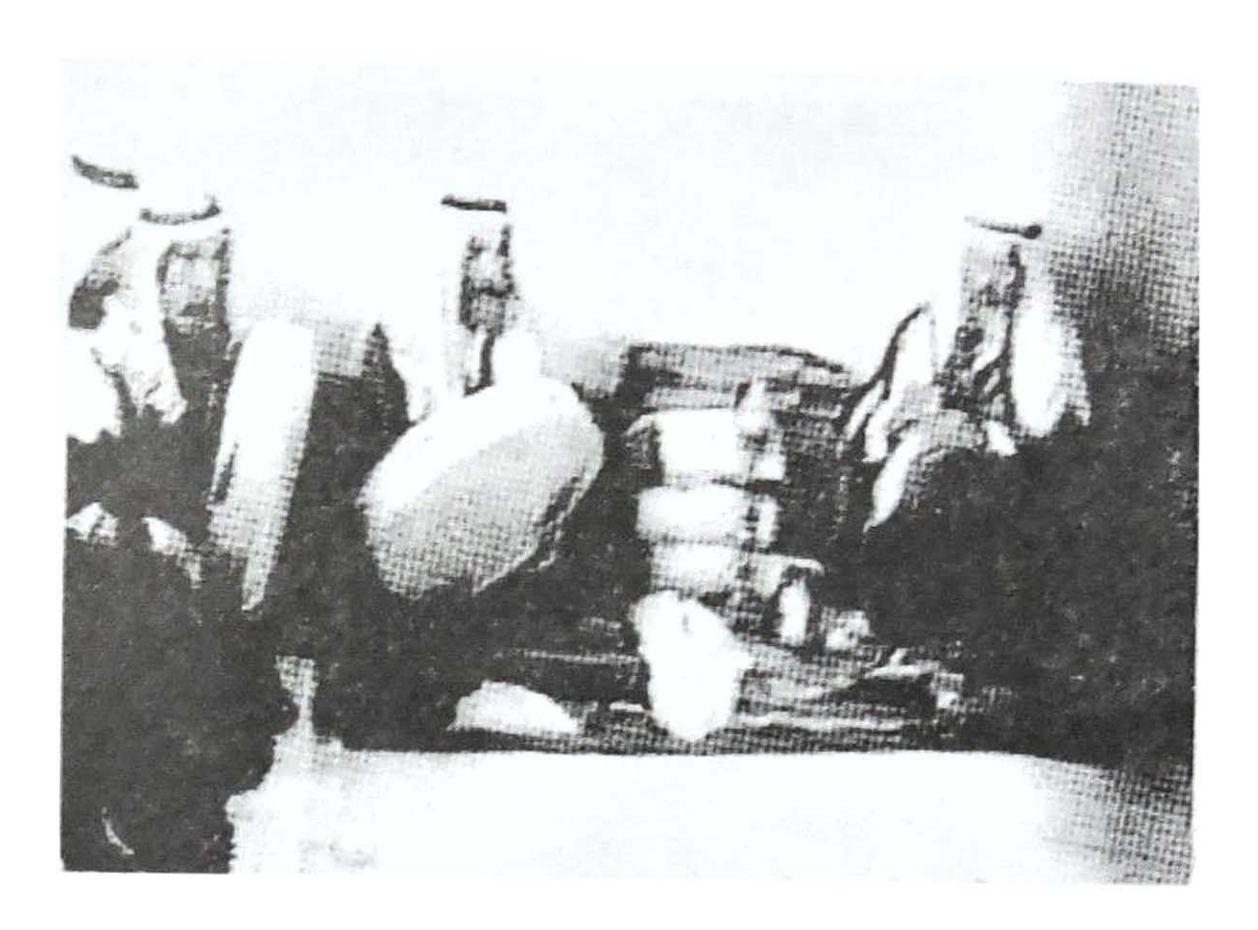
صورة رقم : XXVIII



قوالة اليزيدية في القرن الماضي
(جماعات المدح الصوفي)

مجلة المقتطف، أكتوبر 1916.

صورة رقم : XXIX



قوالة اليزيدية صورة حديثة

GUEST (J.S), <u>The Yezidis</u>

صورة رقم : XXX



رقص اليزيدية عند مزار الشيخ عدي

إن صور اليزيدية كلها منقولة عن كتاب السراستن ليرد "نينوى وبابل"

مقتطف اكتوبر 1916

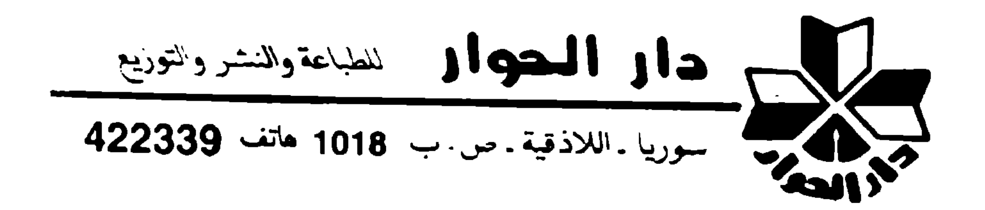
الرقص الصوفي

الفهرس

يبدأ هذا البحث التاريخي الفريد بتمحيص ونقد أهم المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي تناولت الفرق بعامة. واليزيدية بخاصة. ويلي ذلك النظر في الإطار الجغرافي والتاريخي لليزيدية، من الفتح الإسلامي للمناطق الكردية إلى المذاهب المسيحية والشيعية فيها. ثم يقدم هذا البحث حفرياته في ديانات بلاد ما بين النهرين وإيران والأناضول، ليؤسس للفكر المهدوي والإنقاذي في شخص المنقذين المهديين الهاشمي والسفياني.

بتحديد القول في اليزيدية، يتناول هذا البحث مرحلة التأسيس في الأسرة العدوية الأموية وخلفاء الشيخ عدي الأكبر، ومسار العدوية بين الهرطقة والطموح السياسي في مشيخة الحسن بن عدي. وإثر ذلك ينكبّ المؤلف على نشأة النحلة اليزيدية وطقوسها العقائدية والدينية، وصلة هذه الطقوس بالموروث الشعبي، ويصف المؤلف الطبقات الاجتماعية والدينية والأعياد والمحرمات اليزيدية، كما يثبت أدعيتهم وكتبهم المقدسة، عدا عن الصور الموثّقة والشارحة.

لقد تعددت النظريات حول اليزيدية، لكنها لم تعط سوى تأويلات جزئية، إلى أن جاء هذا الكتاب كما يقتضي البحث العلمي الرصين.


دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا - اللاذقية - ص.ب 1018 هاتف 422339